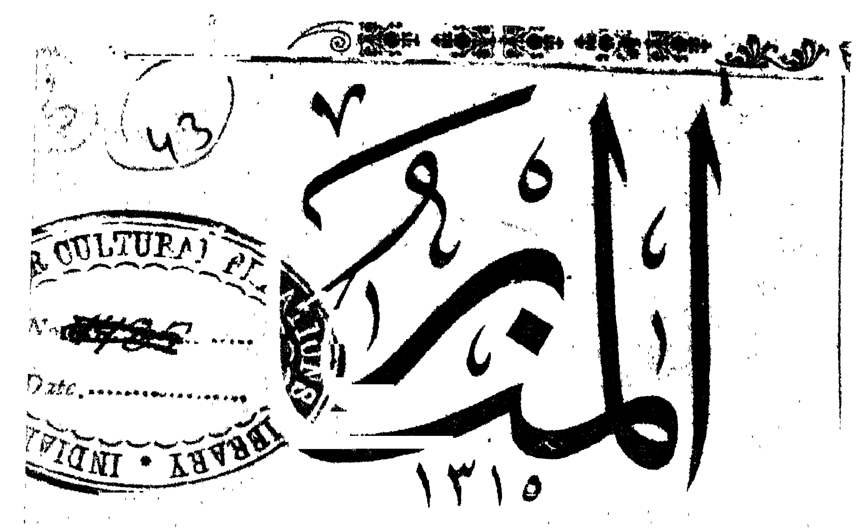


مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

ناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

المجلد الثالث والعشرون

صدر في سنتي ١٣٤٠ و١٣٤١

قيمة الاشتراك في المنار جنيه مصري في القطر المصري
وفي الخارج ١٢٠ قرشا (أو ٢٥ شلنا ذهبا)

« الطبعة الاولى »

مطبعة المنار

فهرس عناوين أجزاء المجلد الـ٢٣ من المنار



انتهى



— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق —

٣٠ جمادى الاولى ١٣٤٠ ـ ٨ الجدي (ش ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢

فاتحة المجلد الثالث والعشرون



نحمدك اللهم على ما أسبغت علينا من نعمك الظاهرة في السراء، والباطنة في الضراء، وأريتنا من آياتك في الآفاق بتنازع الباغين الطاغين وفشلهم، وفي أنفسنا بالتأليف بين المستضعفين المؤذن بظفرهم، وأتممت النعمة بما أكملت لنا قبل من الدين، واستخلفتنا في الارض فجعلتنا أئمة وارثين، اذ جعلت إرثها لاهل العدل من عبادك الصالحين، ونصلي ونسلم على من بعثته خاتما للنبيين، محمد نبي الرحمة، الامي المعلم للكتاب والحكمة، وآله وعترته، وكل من فاز بصحبته، الذين آمنوا وجاهدوا وهاجروا في سبيل الله والذين آووا ونصروا، والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا وصبروا والذين جاءوا من

فهرس الجزء الاول من المجلد الـ٢٣

مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

ألا وانه قد آنَ الاوان ، للعمل بما أرشد اليه الامامان، حتى كأنهما كانا يخاطبان أهل هذا الزمان ، من اهل مصر والسودان ، وسائر العرب والهند والترك والفرس والافغان ، فهاؤم اقرؤا بعض قواعدهما التى نشراها في الشرق ، في مثل هذا الشهر من السنة الاولى بعد الالف والثلاثمائة:

﴿ خفيت مذاهب الطامعين أزمانا ثم ظهرت، بدأت على طرق ربما ﴾
﴿ لاتنكرها الانفس ثم انتهت، أوغل الاقوياء من الامم في سيرهم بالضعفاء ﴾
﴿ حتى تجاوزوا بيداء الفكر، وسحروا ألبابهم حتى أذهلوهم عن أنفسهم ﴾
﴿ وخرجوا بهم عن محيط النظر، وبلغوا بهم من الضيم حدًّا لا تحتمله ﴾
﴿ النفوس البشرية

﴿ ذهب أقوام الى ما يسوله الوهم، ويغري به شيطان الخيال ، فظنوا ﴾
﴿ أن القوة الآلية وان قل عاملها ، يدوم لها السلطان على الكثرة العددية ﴾
﴿ وان اتفقت آحادها ، بل زعموا أنه يمكن استهلاك الجم الغفير ، في العدد ﴾
﴿ اليسير ، وهو زعم يأباه القياس ، بل يبطله البرهان، فان تقلبات الحوادث ﴾
﴿ في الازمان البعيدة والقريبة ناطقة بأنه ان ساغ أن عشيرة قليلة العدد ﴾
﴿ فنيت في سواد أمة عظيمة ونسيت تلك العشيرة اسمها ونسبتها فلم يجز ﴾
﴿ في زمن من الازمان امحاء أمة أو ملة كبيرة بقوة أمة تماثلها في العدد أو ﴾
﴿ تكون منها على نسبة متقاربة وان بلغت القوة أقصى ما يمثله الخيال ﴾

﴿ والذي يحكم به العقل الصريح ، ويشهد به سير الاجتماع الانساني ﴾
﴿ من يوم علم تاريخه الى اليوم: أن الامم الكبيرة اذا عراها ضعف لافتراق ﴾
﴿ في الكلمة ، أو غفلة عن عاقبة لا تحمد ، أو ركون الى راحة لا تدوم، ﴾
﴿ أو افتتان بنعيم يزول، ثم صالت عليها قوة أجنبية أزعجتها ونبهتها بعض ﴾

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)

أما بعد فان المنار يبشر قراءه فى فاتحة المجلد الثالث والعشرين ، وخاتمة ربع قرن من جهاد منشئه فى خدمة الشرق باصلاح حال المسلمين، وبعد انقضاء جيل من صيحة أستاذيه الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين ، بأن ليل الذل والعبودية قد عسعس، وصبح العزة والحرية قد تنفس، فقد ذهب طور الترف والفسوق المهلك للامم ، والمفسد للحكومات والدول ، وصرنا الى طور الشدائد الممحصة للقلوب، المذكية لمصابيح العقول، الموقدة لنار الهمم، المطهرة لاستعداد الامم، بازالة الاحقاد، وجمع الكلمة على الجهاد، (١:٢٩) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٢:٢١٤) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ ؟ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ)

جرينا على منهج الامامين الحكيمين في الدعوة الي الوحدة ، وجمع كلمة الامة ، بالتذكير بآيات الله المنزلة فى القرآن، وماهدى اليه من سننه المطردة فى أطوار الانسان ، عالمين أن هداية القلم واللسان ، لا يغيران مارسخ فى القلوب والاذهان، الا بقدر تربية كوارث أحداث الزمان، وإنما تتغير أحوال الامم بتغير الاعمال ، التي تنبعث عما ثبت فى الانفس من الافكار وملكات الاخلاق، (١٣:١٢ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (٨:٥٤ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا

وان كانت تستكبره، وكلما أنكرته بعدت عن الميل اليه، وكلما تباعدت منه الجهة كونه غريبا تقرب بعضها من بعض، فعند ذلك تستصغره فتلفظه كما تلفظ النواة، وما كان ذلك بغريب

ان مجاوزة الحد في تعميم الاعتداء تنسي الامم ما بينها من الاختلاف في الجنسية والمشرب، فترى الاتحاد لدفع ما يعمها من الخطر، ألزم من التحزب للجنس والمذهب، وفي هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة البشرية الى الاتفاق أشد من دعوتها اليه للاشتراك في طلب المنفعة

أبعد هذا يأخذنا العجب اذا أحسسنا بحركة فكرية في أغلب أنحاء المشرق في هذه الايام — كل يطلب خلاصا ويبتغي نجاة وينتحل لذلك من الوسائل والاسباب ما يصل اليه فكره على درجته من الجودة والأَفن، وان العقلاء في كثير من أصقاعه يتفكرون في جمع القوي المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل ؟

بلى كان هذا أمرا ينتظره المستبصر، وان عمي عنه الطامع، وليس في الامكان اقناع الطامعين بالبرهان، ولكن ما يأتي به الزمان من عاداته في أبنائه، بل ما يجري به القضاء الالهي من سنة الله في خلقه، سيكشف لهم وهمهم فيما كانوا يظنون

بلغ الاجحاف بالشرقيين غايته، ووصل العدوان فيهم نهايته، وأدرك المتغلب منهم نكايته، خصوصا في المسلمين منهم، فمنهم ملوك انزلوا عن عروشهم جورا، وذوو حقوق في الامرة حرموا حقوقهم ظلما، وأعزاء باتوا أذلاء، وأجلاء أصبحوا حقراء، وأغنياء أمسوا فقراء، وأصحاء اضحوا سقاما، وأسود تحولت أنعاما، ولم تبق طبقة من الطبقات الا وقد مسها الضرر من إفراط الطامعين في أطماعهم، خصوصا من جرّاء

﴿ التنبيه ، فاذا توالت عليها وخزات الحوادث وأقلقتها آلامها فزعت الى استبقاء الموجود ، ورد المفقود ، ولم تجد بدا من طلب النجاة من أي سبيل ، وعند ذلك تحس بقوتها الحقيقية ، وهي ما تكون بالتئام افرادها ، والتحام آحادها ، وان الالهام الالهي والاحساس الفطري والتعليم الشرعي — ترشدها الى أن لا حاجة لها الى ماوراء هذا الاتحاد وهو أيسر شيء عليها

﴿ ان النفوس الانسانية وان بلغت من فساد الطبع والعادة ما بلغت اذا كثر عديدها تحت جامعة معروفة لا تحتمل الضيم الا الى حد يدخل تحت الطاقة ويسعه الامكان ، فاذا تجاوز الاستطاعة كرت النفوس الى قواها ، واستأسد ذئبها ، وتنمر ثعلبها ، والتمست خلاصها ، ولن تعدم عند الطلب رشادا

﴿ ربما تخطىء مرة فتكون عليها الدائرة ، لكن ما يصيبها من زلة الخطأ ، يلهمها تدارك ما فرط ، والاحتراس من الوقوع في مثله ، فتصيب اخرى فيكون لها الظفر والغلبة ، وان الحركة التي تنبعث لدفع مالا يطاق اذا قام بتدبيرها القيّم عليها ومدبر لسيرها ، لا يكفي في توقيف سريانها أو محو آثارها قهر ذلك القيم ، واهلاك ذلك المدبّر ، فان العلة ما دامت موجودة لا تزال آثارها تصدر عنها ، فان ذهب قيّمٌ خلفه آخر أوسع منه خبرة وأنفذ بصيرة . نعم يمكن تخفيف الأثر أو ازالته بإزالة علته ورفع أسبابه

﴿ جرت عادة الامم أن تأنف من الخضوع لمن يباينها في الاخلاق والعادات والمشارب وان لم يكلفها بزائد عما كانت تدين به لمن هو على شاكلتها ، فكيف بها اذا حملها ما لا طاقة لها به ؟ لا ريب أنها تستنكره ، ﴾

مداركهم، وهم من تذكار الماضي ومراقبة الحاضر يتنفسون الصعداء ولا نأمن أن يصير التنفس زفيراً، بل . . . بل يكون صاخة تمزق مسامع من أصمه الطمع.

ان اولى المتغلبين بالاحتراس من هذه العواقب جيل من الناس لا كتائب له في فتوحاته الا المداهاة، ولا فيالق يسوقها للاستهلاك سوى المحاباة، ولا اسنة يحفظ بها ما تمتد اليه يده الا المراضاة، يظهر بصور مختلفة الالوان، متقاربة الاشكال، كحافظ عروش الملوك والمدافع عن ممالكهم، ومثبت مراكز الامراء، ومسكن الفتن، ومخلص الحكومات من غوائل العصيان، وواقي مصالح المغلوبين، فكان أول ما يجب عليه ملاحظته في سيره هذا أن لا يأتي من أعماله بما يهتك هذا الستر الرقيق الذي يكفي لتمزيقه رجع البصر، وكر النظر، وأن يتحاشى العنف مع أمة يشهد تاريخها بأنها اذا حنقت خنقت، وليس له أن يغتر بعدم مكنتهم وهو يعلم أن الكلمة اذا اتحدت لا تعوزها الوسائط، ولا يعدم المتحدون قويا شديد البأس يساعدهم بما يلزمهم لترويج سياسته، وان المغيظ لا يبالي في الايقاع بمناوئه أسلم اوعطب، فهو يضر ليضر، وان مسه الضر ...

ان الرزايا الاخيرة التي حلت بأهم مواقع الشرق جددت الروابط، وقاربت بين الاقطار المتباعدة بحدودها، المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها، فأيقظت افكار العقلاء وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة امرهم، مع ملاحظة العلل التي أدت بهم الى ما هم فيه، فتقاربوا في النظر، وتواصلوا في طلب الحق، وعمدوا الى معالجة علل الضعف، راجين أن يسترجعوا بعض ما فقدوا من القوة، ومؤملين ان تمهد لهم الحوادث سبيلا حسناً يسلكونه لوقاية الدين والشرف، واني في الحاضر

﴿ هذه الحوادث التي بذرت بذورها في الاراضي المصرية من نحو خمس ﴾
﴿ سنوات بأيدي ذوي المطامع فيها: حملوا الى البلاد ما لا تعرفه فدهشت ﴾
﴿ عقولها، وشدوا عليها بما لا تألفه فخارت ألبابها ، وألزموها ما ليس في ﴾
﴿ قدرتها فاستعصت عليه قواها، وخضدوا من شوكة الوازع تحت اسم ﴾
﴿ العدالة ليهيئوا بكل ذلك وسيلة لنيل المطمع. فكانت الحركة العرابية ﴾
﴿ المشوراء فاتخذوها ذريعة لما كانوا له طالبين، وما دفع بهم سيل المصاعب ﴾
﴿ بل طوفان المصائب على تلك البلاد ، وظنوا بلوغ الارب ولكن ﴾
﴿ أخطأ الظن وهموا بما لم ينالوا — الى ان قال —

﴿ ولو أنهم تركوا الامر من ذلك الوقت لاربابه، وفوضوا تدارك ﴾
﴿ كل حادث للخبراء به ، والقادرين عليه العارفين بطريق مدافعته ، ﴾
﴿ واقتناء فائدته ، لحفظوا بذلك مصالحهم ، ونالوا ما كانوا يشتهون من ﴾
﴿ المنافع الوافرة ، بدون أن تزل لهم قدم، أو ينكس لهم علم

﴿ غير أنهم ركبوا الشطط وغرهم ما وجدوا من تفرق الكلمة ﴾
﴿ وتشتت الاهواء وهوا نفذ عواملهم وأقتلها ، وما علموا أنه وان كان ﴾
﴿ ذريع الفتك الا أنه سريع العطب، وما أسرع أن يتحول عند اشتداد ﴾
﴿ الخطوب الى عامل وحدة يسدد لقلوب المتدن ، فان بلاء الجور اذا ﴾
﴿ حل بشطر من الامة وعوفي منه باقيها كانت سلامة البعض تعزية للمصابين ﴾
﴿ وحجاب غفلة للسالمين، يحول بينهم وبين الاحساس بما اصاب اخوانهم ﴾
﴿ أما اذا عم الضرر ، فلا محالة يحيط بهم الضجر ، ويعز عليهم الصبر ، ﴾
﴿ فيندفعون الى ما فيه خيرهم، ولا خير فيه لغيرهم

﴿ ان الفجيعة بمصر حركت أشجانا كانت كامنة، وجددت أحزانا ﴾
﴿ لم تكن في الحسبان، وسرى الالم في أرواح المسلمين سريان الاعتقاد في ﴾

(١٦٠ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)

هذه الآية استئناف لبيان الجزاء العام في الآخرة على الحسنات وهي الايمان والاعمال الصالحة ، وعلى السيئات وهي الكفر والاعمال الفاسدة ، جاءت في خاتمة السورة التي بينت قواعد العقائد وأصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وأقامت عليها البراهين وفندت ما يورده الكفار عليها من الشبهات ، كما بينت بالبراهين فساد ما يقابلها من قواعد الشرك وأصول الكفر وأبطلت شبهات أهله . ثم بينت في الوصايا العشر أصول الآداب والفضائل التي يأمر بها الاسلام وما يقابلها من أصول الرذائل والفواحش التي ينهى عنها ، فناسب بعد ذلك كله ان يبين الجزاء على كل منهما في الآخرة بعد الاشارة الى فوائد الامر والنهي وما فيهما من المصالح الدنيوية بما ذيلت به آيات الوصايا . وما سبق من ذكر الجزاء في أثناء السورة غير مغن عن هذه الآية لانه ليس عاما كعمومها ، ولا مبينا للفرق بين الحسنات والسيئات كبيانها

فقوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ معناه ان كل من جاء ربه يوم القيامة متلبسا بالصفة الحسنة التي يطبعها في نفسه طابع الايمان والعمل الصالح فله عنده من الجزاء عشر حسنات أمثالها من العطايا ، فاذا كان تأثير الحسنة في نفسه أن تكون حالة حسنة بقدر معين بحسب سننه تعالى في ترتيب الجزاء على آثار الاعمال الحسنة في تزكية الانفس فهو يعطيه ذلك مضاعفا عشرة أضعاف تغليبا لجانب الحق والخير على جانب الباطل والشر رحمة منه جل ثناؤه بعباده المكلفين (وقد قرأ يعقوب «عشر» بالتنوين و «أمثالها» بالرفع على الوصف) والظاهر ان هذه العشر لا تدخل فيما وعد الله تعالى به من المضاعفة لمن يشاء في بعض الاعمال كالنفقة في سبيله فقد وعد بالمضاعفة عليها باطلاق في قوله من سورة التغابن (٦٤ : ١٧ ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم) وبالمضاعفة الموصوفة بالكثرة في قوله من سورة البقرة (٢ : ٢٤٥ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) الآية ثم بالمضاعفة سبعمائة ضعف وذلك قوله منها أيضا (٢ : ٢٦١ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة

﴿ منها انُهزة تغتنم، واليها بسطوا أكفهم، ولا يخالونها نفوتهم، ولئن فاتت ﴾
﴿ فكم في الغيب من مثلها والى الله عاقبة الامور .
﴿ تألفت عصبات خير من أولئك العقلاء لهذا المقصد الجليل في عدة أقطار ﴾
﴿ خصوصاً البلاد الهندية والمصرية، وطفقوا يتحسسون أسباب النجاح من ﴾
﴿ كل وجه، ويوحدون كلمة الحق في كل صقع، لا ينون في السعي ولا يقصرون ﴾
﴿ في الجهد، ولو أفضي بهم ذلك الى أقصى مايشفق منه حي على حياته الخ ﴾

هذا بعض مانشره يومئذ ذانكم الامامان الحكيمان . ولو كان الشرق مستعداً له في زمنهما كاستعداده في هذا الزمان، لما رسخ قدم الاحتلال في مصر والسودان ، ولكان الشرق على غير ما هو عليه الآن. وحسبهما أنهما هما السابقان، والموقظان المرشدان ، وان زعيم مصر اليوم ليفتخر بانهما هما المربيان لعقله وارائه، ويشهد بأنهما هما النافخان لروح الوطنية في قومه وأمته ؛ كما يفتخر المنار بأنه المحيي لذكرهما ، والناشر لدعوتهما ، والمقفي على آثارهما ، ونسأله تعالى ان يتم لهذه الامة، ماظهرت أوائل فضله به من جمع الكلمة ، ويكمل لخلفها ، ماصدق به وعد سلفها، بان يستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم بجعلهم من الصالحين ، (ونريد ان نمنَّ على الذين استُضعِفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)

منشيء المنار ومحرره محمد رشيد رضا

(الدعوة الى انتقاد المنار والنصيحة له)

نذكر قراء المنار في جميع الاقطار بما جرينا على مطالبتهم به في رأس كل عام — أن يذكرونا بما عسى أن يروه من الخطأ فيه سواء كان ذلك في المسائل الدينية والعلمية أو في مصلحة الامة ، ونعدهم بنشر مايتفضلون بكتابته الينا ملتزمين فيه لشروطنا ، فاننا لا نكتب الا مانرى انه الحق وان فيه المصلحة، وكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا المعصوم صلى الله عليه وسلم

وصفهم) فيراجع تفسيره السابق في هذه السورة (ص١٢٩ ج ٨ تفسير)

وأما قوله تعالى ﴿وهم لا يظلمون﴾ فيحتمل أنه في أهل السيئات لانهم الذين يحتاج الى نفي وقوع الظلم عليهم ولا سيما اهل الشرك والكفر منهم ، مع ما ورد من الشدة في وصف عذابهم ، والمعنى ان الله تعالى لا يظلمهم بالجزاء فانه منزه عن الظلم عقلا ونقلا والآيات فيه كثيرة وفي الحديث الصحيح انه حرم الظلم على نفسه كما حرمه على عباده . روى مسلم من حديث ابي ذر (رض) عن النبي (ص) فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال « ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » الخ والذي صرحوا به انها في الفريقين فان معنى الظلم في أصل اللغة النقص من الشيء كما قال تعالى (١٨ : ٣١ كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا) ثم توسع فيه فأطلق على كل تمد وإيذاء بغير حق . والمعنى انهم لا يظلمون في يوم الجزاء لا من الله عز وجل لما ذكر ولا من غيره اذ لا سلطان لاحد من خلقه ولا كسب في ذلك اليوم يمكنه من الظلم كما يفعل الاقوياء الاشرار في الدنيا بالضعفاء . وفي جواز تعلق القدرة الالهية بالظلم وعدمه جدال بين الاشعرية والمعتزلة يتأول كل منها الآيات لتصحيح مذهبه فيه ؛ وقد سبق بيان الحق فيه غير مرة ويراجع فيه وفي معنى مضاعفة الاعمال الحسنة تفسير قوله تعالى (٤ : ٣٩ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجراً عظيما) (١) فانه يجلي معنى هذه الآية بما يعلم منه مافي خلاف الاشعرية مع المعتزلة من الضعف في مسألة جواز الظلم على الباري تعالى عقلا واستحالته بحيث لا يقال إن الباري سبحانه قادر عليه

روى احمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس (رض) عن النبي (ص) فيما يرويه عن ربه عز وجل قال « ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات — ثم بين ذلك — فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة . ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » هذا لفظ البخاري وقالوا ان معنى كتبها الله له أمر الملائكة ذلك وأخذوا هذا من حديث ابي هريرة في كتاب التوحيد من البخاري مرفوعا قال « يقول الله اذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى

(١) يراجع ص ١٠٤ ج ٥ تفسير

حبة . والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) قيل إن المراد بالمضاعفة لمن يشاء هذه المضاعفة نفسها وقيل بل المراد به غيرها أو مايزيد عليها ، وقيل أيضا ان المضاعفة كلها خاصة بالانفاق . والارجح ان المضاعفة عامة وأن الجملة على إطلاقها فتتناول ما زاد على سبعمائة ضعف وما نقص عنه ، وهي تشير الى تفاوت المنفقين وغيرهم من المحسنين في الصفات النفسية ، كالاخلاص والنية والاحتساب والاريحية ، وفيما يتبعها من العمل كالاخفاء سترا على المعطى وتباعدا من الشهرة ، والابداء لاجل حسن القدوة ، وتحري المنافع والمصالح ، وفي الاحوال المالية والاجتماعية ، كالغنى والفقر والصحة والمرض . وفيما يقابل ذلك من الصفات والاعمال كالرياء وحب الشهرة الباطلة والمن والاذى . فالعشرة مبذولة لكل من أتى بالحسنة والمضاعفة فوقها تختلف بمشيئته تعالى بحسب مايعلم من اختلاف أحوال المحسنين فقد بذل أبو بكر (رض) كل مايملك في سبيل الله عند الحاجة اليه وبذل عمر (رض) نصف ما يملك ، رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وزاد بعضهم ان النبي (ص) جعل النسبة بينهما كالنسبة بين عطائيهما ، والدرهم من المسكين والفقير ، أعظم من دينار الغني ذي المال الكثير ، ومن يبذل الدرهم متعلقة به نفسه حزينة على فقده ، ليس كمن يبذله طيبة به نفسه مسرورة بالتوفيق لايثار ثواب الآخرة به على متاع الدنيا (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى) وتفصيل التفاوت فيما ذكرنا يطول وفيما أوردناه مايرشد الى غيره لمن تفكر وتدبر . وقد غفل عن هذا من قال من المفسرين ان ذكر العشرة مثال يراد به الكثرة لا التحديد ليتفق مع المضاعفة المعينة في سورة البقرة . وقد ورد في الاحاديث النبوية ما يؤيد ما اخترناه وسنذكر بعضها

﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ﴾ أي ومن جاء ربه يوم القيامة بالصفة السيئة التي يطبعها في نفسه الكفر وارتكاب الفواحش والمنكرات فلا يجزى الا عقوبة سيئة مثلها بحسب سنته تعالى في تأثير الاعمال السيئة في تدسية النفس وإفسادها وتقديره الجزاء عليها بالعدل . وانما قلنا الصفة الحسنة والسيئة ولم نقل الفعلة لان الافعال أعراض تزول وتبقى آثارها في النفس فالجزاء عليها يكون بحسب تأثيرها في النفس وهو الذي يكون وصفا لها لا يفارقها بالموت كما صرح به في قوله تعالى من هذه السورة (١٣٩ سيجزيهم

يكون على عزم الاقلاع عن ذلك الذنب فلا جرم كانت عقوبته منقطعة اه بنصه

ونقول في الرد عليه (اولا) إننا لا نسلم أن كل كافر يعزم أو يخطر بباله العزم المذكور ولا سيما من عرضت له عقيدة أو فعلة مما عدوه كفراً ساعة من الزمان ومات عليها والكفر عند المتكلمين والفقهاء لا ينحصر في جحود العناد وربما كان اكثر الكفار يعتقدون انهم مؤمنون ناجون عند الله تعالى ... (ثانيا) إن كون العقاب الابدي على العزم المذكور يحتاج الى نص والعقل لايوجبه بل لايوجب عند الاشعرية حكما ما من احكام الشرع وهذا الاشكال لا يرد على ما جرينا عليه هنا تبعاً لما وضحناه مرارا من كون الجزاء على قدر تأثير الاعتقاد والعمل في النفس (ثالثا) قد تنصل بعض العلماء من هذا الاشكال بمثل ما نقلناه في تفسير (خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) وهو يرجع الى قولين أحدهما نفي كون العذاب أبديا لا نهاية له وثانيهما تفويض الامر فيه الى حكمة الله تعالى وعلمه

قال (الثاني) إعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو في كفارة الظهار، وتارة جعل بدلا عن صيام أيام قلائل وذلك يدل على ان المساواة غير معتبرة (جوابه) ان المساواة انما تحصل بوضع الشرع وحكمه اه

ونقول ان جعل الشرع العتق كفارة لذنوب متفاوتة إنما هو لعنايته بتحرير الرقيق وهو لا ينافي كون كل ذنب منها له جزاء في الآخرة بقدره يشير اليه تفاوت الكفارة بالصيام

قال (الثالث) اذا أحدث في رأس انسان موضحتين وجب فيه أرشان فان رفع الحاجز بينهما صار الواجب ارش موضحة واحدة فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب فالمساواة غير معتبرة (وجوابه) ان ذلك من باب تعبدات الشرع وتحكماته اه

ونقول ان ما ذكره من القصاص في شجة الرأس الموضحة (وهي ما كشفت العظم) الموضحتين ليس مما ورد فيه نص الشرع بكتاب ولا سنة وتعبدنا به تعبدا وانما ورد في الحديث ارش الموضحة خمس من الابل، فاذا شج رجل رجلا موضحتين ثم أزال هو أو غيره الحاجز بينهما فصار كالموضحة الواحدة لا نسلم ان الحكم يتبدل فيصير الواجب ارش موضحة واحدة كما قال وان قاله معه مئة فقيه مثله

قال (الرابع) إنه يجب في مقابلة تفويت كل واحد من الاعضاء دية كاملة ثم اذا قتله وفوت كل الاعضاء وجبت دية واحدة وذلك يمنع القول من رعاية

يعملها فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة وان أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف » وهذا يفسر كتابة ترك عمل السيئة حسنة بأن الكتابة ليست لامر سلبي محض بل لعمل نفسي وهو مخالفة النفس بكفها عن عمل السيئة من أجل ابتغاء رضوان الله واتقاء سخطه وعذابه . وروى احمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أخبر رسول الله (ص) اني أقول : والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت — فقلت قد قلته يارسول الله . قال « فانك لا تستطيع ذلك صم وأفطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها وذلك كصيام الدهر » وروى مسلم واصحاب السنن الاربعة من حديث ابي ايوب الانصاري "سمعت رسول الله (ص) يقول « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر » هذا لفظ مسلم والمعنى ان رمضان بعشرة أشهر والستة الايام بستين يوما

ومن المباحث الكلامية في الآية قول الاشعرية إن الثواب كله بفضل الله تعالى ولا يستحق احد من المحسنين منه شيئا ، وقول المعتزلة إن الثواب هو المنفعة المستحقة على العمل والتفضل المنفعة غير المستحقة وان الثواب يجب أن يكون أعظم من التفضل في الكثرة والشرف إذ لو جاز العكس أو المساواة لم يبق في التكاليف فائدة فيكون عبثا وقبيحا ومن ثم قال الجبائي وغيره يجب ان تكون العشرة الامثال في جزاء الحسنة تفضل والثواب غيرها وهو أعظم منها ، وقال آخرون يجوز أن يكون احد العشرة هو الثواب والتسعة تفضل بشرط أن يكون الواحد أعظم وأعلى شأنا من التسعة . ونقول إن هذه النظريات كلها ضعيفة ولا فائدة فيها واذا كان التفضل ما زاد وفضل على أصل الثواب المستحق بوعد الله تعالى وحكمته وعدله فأي مانع أن يزيد الفرع على الاصل وهو تابع له ومتوقف عليه واغا كان يكون الثواب حينئذ عبثا على تقدير التسليم لو كان التفضل يحصل بدونه فيستغنى به عنه كما هو واضح .

وقد أورد الرازي في تفسير الآية اشكالات شرعية وأجاب عنها أجوبة ضعيفة قال : (الاول) كفر ساعة كيف يوجب عقاب الابد على نهاية التغليظ (جوابه) انه كان الكافر على عزم انه لو عاش أبدا لبقي على ذلك الاعتقاد أبداً فلما كان ذلك العزم مؤبدا عوقب عقاب الابد خلاف المسلم المذنب فان

ومعانيها . ذلك بأنه كان مما امتازت به السورة كثرة بدء الآيات فيها بخطاب الرسول (ص) بكلمة « قل » لانها لتبليغ الدعوة ، كما كثر فيها حكاية أقوال أهل الشرك والكفر مبدوء بكلمة (وقالوا) مع التعقيب عليها بكشف الشبهة ، وإقامة الحجة — ترى بدء هذا وذاك في آخر العشر الاول وأول العشر الثاني منها ، فجاءت هذه الخاتمة بالامر الاخير له صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول لهم القول الجامع لجملة ما قبله ، وهو ان ما فصل في السورة هو صراط الله المستقيم ، ودينه القيم الذي هو ملة ابراهيم ، دون ما يدعيه العرب المشركون ، وأهل الكتاب المحرفون ؛ وأنه عليه صلوات الله وسلامه إنما يدعو اليه وهو معتصم به قولا وعملا وإيمانا وتسليما على أكمل وجه. فهو أول المسلمين، وأخلص الموحدين ، وأخشع العابدين ، بما جاء به من تجديد الدين وإكماله ، بعد تحريفه وانحراف جميع الامم عن صراطه ، وان توحيد الالوهية الذي يخالفنا فيه المشركين . مبني على توحيد الربوبية الذي هم به مؤمنون ، (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم به مشركون) وان الجزاء عند الله على الاعمال مبني على عدم انتفاع أحد أو مؤاخذته بعمل غيره، وأن المرجع الى الله تعالى وحده ، وأن له تعالى سننا في استخلاف الامم ، واختبارها بالنعم والنقم ، وأنه هو الذي يتولى عقاب المسيئين ، والرحمة للمحسنين ، — وكل ذلك مما يهدم أساس الشرك الذي هو الاتكال على الوسطاء بين الله والناس في غفران ذنوبهم ، وقضاء حاجهم

﴿قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم﴾ أي قل أيها الرسول الخاتم للنبيين لقومك وسائر أمة الدعوة وهم جميع البشر : إنني أرشدني ربي وأوصلني بما أوحاه الي بفضله واختصاصه في هذه السورة وكذا غيرها الى طريق مستقيم يصل سالكه الى سعادة الدارين — الدنيا والآخرة — من غير عائق ولا تأخير لانه لا عوج فيه ولا اشتباه ، كما قال في آية اخرى (ويهديك صراطاً مستقيما) ﴿ دينا قيما ﴾ أي ان هذا الصرط المستقيم هو الدين الذي يصلح ويقوم به أمر الناس في المعاش والمعاد ، فقوله (دينا) بدل من صراط مستقيم باعتبار المحل و(قيما) صفة له قرأه ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بكسر القاف وفتح الياء على أنه مصدر نعت به للمبالغة وكان قياسه «قوما» كعوض ولكنه أعل تبعاً لفعله « قام» كالقيام واصله القوام، وتقدم في أوائل تفسير النساء(١) وأواخر المائدة انه ما يقوم ويثبت

(١) راجع ص ٣٧٨ ج ٤ تفسير

المماثلة (وجوابه) ان ذلك من باب تعبدات الشرع وتحكماته اه

ونقول فيه انه هو وما قبله ليس من تعبدات الشرع وتحكماته كما زعم بادي الرأي بغير روية وذلك أن القتل يوجب القصاص لا الدية اذا كان عن تعمد الا ان يعفو ولي الدم ويرضى بالدية وفساد قتل الخطأ الموجب للدية دون فساد قطع اليد أو الرجل أو قلع العين تعمدا . على ان عقوبات الدنيا لا يجب ان تكون معياراً لعقوبات الآخرة فانها يراعى فيها من مصالح العباد ما لا محل له في الآخرة كقطع يد السارق بشرطه يراعى فيه ردع المجرمين وتخويفهم من عاقبة هذا العمل الذي يزيل أمن الناس على أموالهم ويسلب راحتهم ويكلفهم بذل مال كثير وعناء عظيم في حفظ أموالهم — وبهذا المعنى يستوي سارق الدينار أو ربع الدينار وسارق الالوف من الدنانير والجواهر . وحسبنا هذا التنبيه هنا

(١٦١) قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦٢) دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦٣) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٥) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

قد ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الآيات الكريمة الجامعة فكانت خير الخواتيم في براعة المقطع ، ذلك بأننا بينا في مواضع من تفسيرها أنها أجمع السور لاصول الدين وإقامة الحجج عليها ودفع الشبه عنها ، ولابطال عقائد الشرك وتقاليده وخرافات أهله ، وهذه الخاتمة مناسبة لجملة السورة في أسلوبها

(١٦٠ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)

هذه الآية استئناف لبيان الجزاء العام في الآخرة على الحسنات وهي الايمان والاعمال الصالحة ، وعلى السيئات وهي الكفر والاعمال الفاسدة ، جاءت في خاتمة السورة التي بينت قواعد العقائد وأصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأقامت عليها البراهين وفندت ما يورده الكفار عليها من الشبهات ، كما بينت بالبراهين فساد ما يقابلها من قواعد الشرك وأصول الكفر وأبطلت شبهات أهله ، ثم بينت في الوصايا العشر أصول الآداب والفضائل التي يأمر بها الاسلام وما يقابلها من أصول الرذائل والفواحش التي ينهى عنها ، فناسب بعد ذلك كله أن يبين الجزاء على كل منهما في الآخرة بعد الاشارة الى فوائد الامر والنهي وما فيهما من المصالح الدنيوية بما ذيلت به آيات الوصايا . وما سبق من ذكر الجزاء في أثناء السورة غير مغن عن هذه الآية لانه ليس عاما كعمومها ، ولا مبينا للفرق بين الحسنات والسيئات كبيانها

فقوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ معناه ان كل من جاء ربه يوم القيامة متلبسا بالصفة الحسنة التي يطبعها في نفسه طابع الايمان والعمل الصالح فله عنده من الجزاء عشر حسنات أمثالها من العطايا ، فاذا كان تأثير الحسنة في نفسه أن تكون حاله حسنة بقدر معين بحسب سننه تعالى في ترتيب الجزاء على آثار الاعمال الحسنة في تزكية الانفس فهو يعطيه ذلك مضاعفا عشرة أضعاف تغليبا لجانب الحق والخير على جانب الباطل والشر رحمة منه جل ثناؤه بعبيده المكلفين (وقد قرأ يعقوب «عشر» بالتنوين و«أمثالها» بالرفع على الوصف) والظاهر ان هذه العشر لا تدخل فيما وعد الله تعالى به من المضاعفة لمن يشاء على بعض الاعمال كالنفقة في سبيله فقد وعد بالمضاعفة عليها باطلاق في قوله من سورة التغابن (٦٤ : ١٧ ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم) وبالمضاعفة الموصوفة بالكثرة في قوله من سورة البقرة (٢ : ٢٤٥ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) الآية ثم بالمضاعفة سبعمائة ضعف وذلك قوله منها أيضا (٢ : ٢٦١ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة

به الشيء ،وقرأه الباقون بفتح القاف وتشديد الياء بوزن (سيد) وقد قالوا انه ابلغ من المستقيم بزنته وهيئته ، وهذا أبلغ بصيغته وكثرة مادته ، وقيل بما في الصيغه من معنى الطلب المعنوي فكأن المستقيم هو الذي يقتضي أن يكون الشيء قيما أو يجعل ذلك سهلا ،وتقدم في تفسير قوله تعالى(٥ : ١٠٠ جعل الله الكعبة البيت قياما للناس) مايفيد القاريء تفصيلا فيما فسرنا به الدين القيم(١) ﴿ ملة ابراهيم حنيفا ﴾ أي أعني —أو الزموا— ملة ابراهيم حال كونه حنيفا أي مائلا عن جميع ما سواه من الشرك والباطل والعوج والضلال مستقيما عليه ، ﴿ وما كان من المشركين ﴾ فان الحنيفية تنافي الشرك ففيه تكذيب لهم في دعواهم انهم على ملة ابراهيم . وقد وصف ابراهيم بالحنيف في سورة البقرة (٢ : ١٣٥)وسورة آل عمران (٣ : ٦٧ و ٩٥) وسورة النحل (١٦ : ١٢٠ و ١٢٣ وسورة الانعام (٦ : ٨٠) وهذه الآية التي نفسرها وفي كل آية من هذه الآيات وصف بأنه لم يكن من المشركين . وجاء في سورة النساء (٤ : ١٢٤ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) ولكن قيل ان حنيفا هنا حال ممن أسلم وجهه لله وقيل من ابراهيم

هذا الدين دين التوحيد والاستقامة والاخلاص لله وحده في العبادة هو الدين الذي بعث الله به جميع رسله وقرره في جميع كتبه وانما عبر عنه بملة ابراهيم لانه عليه الصلاة والسلام وعلى آله هو النبي المرسل الذي أجمع على الاعتراف بفضله وصحة دينه وهديه العرب ومن حولهم من اهل الكتاب اليهود والنصارى وكل يدعي الاهتداء بهداه ، وقد كانت قريش ومن وافقها من العرب يسمون أنفسهم الحنفاء مدعين انهم على ملة ابراهيم ، ولذلك وصل وصفه بالحنيف بنفي الشرك عنه.وكذا فعل اهل الكتاب بادعاء اتباعه وإتباع موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وكذا يفعل اهل البدع الشركية من المنتمين الى الاسلام ، لان الشرك والكفر يسري الى اكثر الناس من حيث لا يشعرون انه شرك وكفر ، وقد بينا هذا الاحتراس في تفسير (٣ : ٦٧ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)

وقد قال تعالى في ارشاد هذه الامة (٢٢ : ٢٨ فاجتنبوا الرجس من الاوثان

(١) يراجع ص١١٧ ج ٦ من التفسير

وصفهم) فيراجع تفسيره السابق في هذه السورة (ص١٢٩ ج ٨ تفسير)

وأما قوله تعالى ﴿وهم لا يظلمون﴾ فيحتمل أنه في أهل السيئات لانهم الذين يحتاج الى نفي وقوع الظلم عليهم ولا سيما اهل الشرك والكفر منهم ، مع ما ورد من الشدة في وصف عذابهم ، والمعنى ان الله تعالى لا يظلمهم بالجزاء فانه منزه عن الظلم عقلا ونقلا والآيات فيه كثيرة وفي الحديث الصحيح انه حرم الظلم على نفسه كما حرمه على عباده . روى مسلم من حديث ابي ذر(رض) عن النبي (ص) فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال « ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا »الخ والذي صرحوا به انها في الفريقين فان معنى الظلم في أصل اللغة النقص من الشيء كما قال تعالى (١٨ : ٢١ كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا)ثم توسع فيه فأطلق على كل تعد وإيذاء بغير حق . والمعنى انهم لا يظلمون في يوم الجزاء لا من الله عز وجل لما ذكر ولا من غيره اذ لا سلطان لاحد من خلقه ولا كسب في ذلك اليوم يمكنه من الظلم كما يفعل الاقوياء الاشرار في الدنيا بالضعفاء . وفي جواز تعلق القدرة الالهية بالظلم وعدمه جدال بين الاشعرية والمعتزلة يتأول كل منها الآيات لتصحيح مذهبه فيه ، وقد سبق بيان الحق فيه غير مرة ويراجع فيه وفي معنى مضاعفة الاعمال الحسنة تفسير قوله تعالى (٤ : ٣٩ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجراً عظيما) (١) فانه يجلي معنى هذه الآية بما يعلم منه مافي خلاف الاشعرية مع المعتزلة من الضعف في مسألة جواز الظلم على الباري تعالى عقلا واستحالته بحيث لا يقال إن الباري سبحانه قادر عليه

روى احمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس (رض) عن النبي(ص) فيما يرويه عن ربه عز وجل قال « ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات — ثم بين ذلك — فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة . ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » هذا لفظ البخاري وقالوا ان معنى كتبها الله له أمر الملائكة بذلك وأخذوا هذا من حديث ابي هريرة في كتاب التوحيد من البخاري مرفوعا قال « يقول الله اذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى

(١) يراجع ص ١٠٤ ج ٥ تف

حبة . والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) قيل إن المراد بالمضاعفة لمن يشاء هذه المضاعفة نفسها وقيل بل المراد به غيرها أو مايزيد عليها ،وقيل أيضا ان المضاعفة كلها خاصة بالانفاق . والارجح ان المضاعفة عامة وأن الجملة على إطلاقها فتناول ما زاد على سبعمائة ضعف وما نقص عنه ، وهي تشير الى تفاوت المنفقين وغيرهم من المحسنين في الصفات النفسية، كالاخلاص والنية والاحتساب والاريحية، وفيما يتبعها من العمل كالاخفاء سترا على المعطى وتباعدا من الشهرة، والابداء لاجل حسن القدوة ، وتحري المنافع والمصالح ، وفي الاحوال المالية والاجتماعية ،كالغنى والفقر والصحة والمرض . وفيما يقابل ذلك من الصفات والاعمال كالرياء وحب الشهرة الباطلة والمن والاذى . فالعشرة مبذولة لكل من أتى بالحسنة والمضاعفة فوقها تختلف بمشيئته تعالى بحسب مايعلم من اختلاف أحوال المحسنين فقد بذل أبو بكر (رض) كل مايملك في سبيل الله عند الحاجة اليه وبذل عمر (رض) نصف ما يملك ، رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وزاد بعضهم ان النبي (ص) جعل النسبة بينهما كالنسبة بين عطائيهما ، والدرهم من المسكين والفقير ، أعظم من دينار الغني ذي المال الكثير ، ومن يبذل الدرهم متعلقة به نفسه حزينة على فقده ، ليس كمن يبذله طيبة به نفسه مسرورة بالتوفيق لايثار ثواب الآخرة به على متاع الدنيا (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى) وتفصيل التفاوت فيما ذكرنا يطول وفيما أوردناه مايرشد الى غيره لمن تفكر وتدبر . وقد غفل عن هذا من قال من المفسرين ان ذكر العشرة مثال يراد به الكثرة لا التحديد ليتفق مع المضاعفة المعينة في سورة البقرة . وقد ورد في الاحاديث النبوية ما يؤيدما اخترناه وسنذكر بعضها

﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ﴾ أي ومن جاء ربه يوم القيامة بالصفة السيئة التي يطبعها في نفسه الكفر وارتكاب الفواحش والمنكرات فلا يجزى الا عقوبة سيئة مثلها بحسب سنته تعالى في تأثير الاعمال السيئة في تدسية النفس وإفسادها وتقديره الجزاء عليها بالعدل . وانما قلنا الصفة الحسنة والسيئة ولم نقل الفعلة لان الافعال أعراض تزول وتبقى آثارها في النفس فالجزاء عليها يكون بحسب تأثيرها في النفس وهو الذي يكون وصفاً لها لا يفارقها بالموت كما صرح به في قوله تعالى من هذه السورة (١٣٩ سيجزيهم

يكون على عزم الاقلاع عن ذلك الذنب فلا جرم كانت عقوبته منقطعة اه بنصه

ونقول في الرد عليه (اولا) إننا لا نسلم أن كل كافر يعزم أو يخطر بباله العزم المذكور ولا سيما من عرضت له عقيدة أو فعلة مما عدوه كفراً ساعة من الزمان ومات عليها والكفر عند المتكلمين والفقهاء لا ينحصر في جحود العناد وربما كان اكثر الكفار يعتقدون انهم مؤمنون ناجون عند الله تعالى ... (ثانيا) إن كون العقاب الابدي على العزم المذكور يحتاج الى نص والعقل لا يوجبه بل لا يوجب عند الاشعرية حكما ما من احكام الشرع وهذا الاشكال لا يرد على ما جرينا عليه هنا تبعاً لما وضحناه مراراً من كون الجزاء على قدر تأثير الاعتقاد والعمل في النفس (ثالثا) قد تنصل بعض العلماء من هذا الاشكال بمثل ما نقلناه في تفسير (خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) وهو يرجع الى قولين أحدهما نفي كون العذاب أبديا لا نهاية له وثانيهما تفويض الامر فيه الى حكمة الله تعالى وعلمه

قال (الثاني) إعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو في كفارة الظهار ، وتارة جعل بدلا عن صيام أيام قلائل وذلك يدل على ان المساواة غير معتبرة (جوابه) ان المساواة انما تحصل بوضع الشرع وحكمه اه

ونقول ان جعل الشرع العتق كفارة لذنوب متفاوتة إنما هو لعنايته بتحرير الرقيق وهو لا ينافي كون كل ذنب منها له جزاء في الآخرة بقدره يشير اليه تفاوت الكفارة بالصيام

قال (الثالث) اذا أحدث في رأس انسان موضحتين وجب فيه أرشان فان رفع الحاجز بينهما صار الواجب ارش موضحة واحدة فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب فالمساواة غير معتبرة (وجوابه) ان ذلك من باب تعبدات الشرع وتحكماته اه

ونقول ان ما ذكره من القصاص في شجة الرأس الموضحة (وهي ما كشفت العظم) الموضحتين ليس مما ورد فيه نص الشرع بكتاب ولا سنة وتعبدنا به تعبدا وانما ورد في الحديث ارش الموضحة خمس من الابل ، فاذا شج رجل رجلا موضحتين ثم أزال هو أو غيره الحاجز بينهما فصار كالموضحة الواحدة لا نسلم ان الحكم يتبدل فيصير الواجب ارش موضحة واحدة كما قال وان قاله معه مئة فقيه مثله

قال (الرابع) إنه يجب في مقابلة تفويت كل واحد من الاعضاء دية كاملة ثم اذا قتله وفوت كل الاعضاء وجبت دية واحدة وذلك يمنع القول من رعاية

يعملها فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة
وإن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له
عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف » وهذا يفسر كتابة ترك عمل السيئة حسنة بأن
الكتابة ليست لامر سلبي محض بل لعمل نفسي وهو مخالفة النفس بكفها عن
عمل السيئة من أجل ابتغاء رضوان الله واتقاء سخطه وعذابه . وروى احمد
والبخاري ومسلم والنسائي وابن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أخبر
رسول الله (ص) اني أقول : والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت —
فقلت قد قلته يارسول الله ، قال « فانك لا تستطيع ذلك صم وأفطر ونم وقم وصم
من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها وذلك كصيام الدهر » وروى
مسلم واصحاب السنن الاربعة من حديث ابي ايوب الانصاري سمعت رسول
الله (ص) يقول « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر »
هذا لفظ مسلم والمعنى ان رمضان بعشرة أشهر والستة الايام بستين يوما

ومن المباحث الكلامية في الآية قول الاشعرية إن الثواب كله بفضل
الله تعالى ولا يستحق احد من المحسنين منه شيئا ، وقول المعتزلة إن الثواب
هو المنفعة المستحقة على العمل والتفضل المنفعة غير المستحقة وان الثواب يجب
أن يكون أعظم من التفضل في الكثرة والشرف إذ لو جاز العكس أو المساواة
لم يبق في التكليف فائدة فيكون عبثا وقبيحا ومن ثم قال الجبائي وغيره يجب
ان تكون العشرة الامثال في جزاء الحسنة تفضل والثواب غيرها وهو أعظم
منها ، وقال آخرون يجوز أن يكون احد العشرة هو الثواب والتسعة تفضل بشرط
أن يكون الواحد أعظم وأعلى شأنا من التسعة . ونقول إن هذه النظريات كلها
ضعيفة ولا فائدة فيها واذا كان التفضل ما زاد وفضل على أصل الثواب المستحق
بوعد الله تعالى وحكمته وعدله فأي مانع أن يزيد الفرع على الاصل وهو تابع
له ومتوقف عليه واذا كان يكون الثواب حينئذ عبثا على تقدير التسليم لو كان
التفضل يحصل بدونه فيستغنى به عنه كما هو واضح .

وقد أورد الرازي في تفسير الآية اشكالات شرعية وأجاب عنها أجوبة
ضعيفة قال : (الاول) كفر ساعة كيف يوجب عقاب الابد على نهاية التغليظ
(جوابه) انه كان الكافر على عزم انه لو عاش أبدا لبقي على ذلك الاعتقاد
أبداً فلما كان ذلك العزم مؤبدا عوقب عقاب الابد خلاف المسلم المذنب فانه

ومعانيها . ذلك بأنه كان مما امتازت به السورة كثرة بدء الآيات فيها بخطاب الرسول (ص) بكلمة « قل » لانها لتبليغ الدعوة ، كما كثر فيها حكاية أقوال أهل الشرك والكفر مبدوء بكلمة (وقالوا) مع التعقيب عليها بكشف الشبهة ، وإقامة الحجة — ترى بدء هـذا وذاك في آخر العشر الاول وأول العشر الثاني منها ، فجاءت هذه الخاتمة بالامر الاخير له صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول لهم القول الجامع لجملة ما قبله ، وهو ان ما فصل في السورة هو صراط الله المستقيم ، ودينه القيم الذي هو ملة ابراهيم ، دون ما يدعيه العرب المشركون ، وأهل الكتاب المحرفون ، وأنه عليه صلوات الله وسلامه إنما يدعو اليه وهو معتصم به قولا وعملا وإيمانا وتسليما على أكمل وجه . فهو أول المسلمين ، وأخلص الموحدين ، وأخشع العابدين ، بما جاء به من تجديد الدين وإكماله ، بعد تحريفه وانحراف جميع الامم عن صراطه ، وان توحيد الالوهية الذي يخالفنا فيه المشركين ، مبني على توحيد الربوبية الذي هم به مؤمنون ، (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم به مشركون) وان الجزاء عند الله على الاعمال مبني على عدم انتفاع أحد أو مؤاخذته بعمل غيره ، وأن المرجع الى الله تعالى وحده ، وأن له تعالى سننا في استخلاف الامم ، واختبارها بالنعم والنقم ، وأنه هو الذي يتولى عقاب المسيئين ، والرحمة للمحسنين ، — وكل ذلك مما يهدم أساس الشرك الذي هو الاتكال على الوسطاء بين الله والناس في غفران ذنوبهم ، وقضاء حاجهم

﴿قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم﴾ أي قل أيها الرسول الخاتم للنبيين لقومك وسائر امة الدعوة وهم جميع البشر : إنني أرشدني ربي وأوصلني بما أوحاه الي بفضله واختصاصه في هذه السورة وكذا غيرها الى طريق مستقيم يصل سالكه الى سعادة الدارين — الدنيا والآخرة — من غير عائق ولا تأخير لانه لا عوج فيه ولا اشتباه ، كما قال في آية اخرى (ويهديك صراطاً مستقيما) ﴿ دينا قيما ﴾ أي ان هذا الصرط المستقيم هو الدين الذي يصلح ويقوم به أمر الناس في المعاش والمعاد ، فقوله (دينا) بدل من صراط مستقيم باعتبار المحل و(قيما) صفة له قرأه ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بكسر القاف وفتح الياء على أنه مصدر نعت به للمبالغة وكان قياسه « قوما » كعوض ولكنه أعل تبعاً لفعله « قام » كالقيام واصله القوام ، وتقدم في أوائل تفسير النساء(١) وأواخر المائدة انه ما يقوم ويثبت

(١) راجع ص ٣٧٨ ج ٤ تفسير

المماثلة (وجوابه) ان ذلك من باب تعبدات الشرع وتحكماته اه

ونقول فيه انه هو وما قبله ليس من تعبدات الشرع وتحكماته كما زعم بادي الرأي بغير روية وذلك أن القتل يوجب القصاص لا الدية اذا كان عن تعمد الا ان يعفو ولي الدم ويرضى بالدية وفساد قتل الخطأ الموجب الدية دون فساد قطع اليد أو الرجل أو قلع العين تعمدا ، على ان عقوبات الدنيا لا يجب ان تكون معياراً لعقوبات الآخرة فانها يراعى فيها من مصالح العباد ، الا محل له في الآخرة كقطع يد السارق بشرطه يراعى فيه ردع المجرمين وتخويفهم من عاقبة هذا العمل الذي يزيل أمن الناس على أموالهم ويسلب راحتهم ويكلفهم بذل مال كثير وعناء عظيم في حفظ أموالهم — وبهذا المعنى يستوي سارق الدينار أو ربع الدينار وسارق الالوف من الدنانير والجواهر . وحسبنا هذا التنبيه هنا

(١٦١) قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦٢) دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦٣) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٥) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

قد ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الآيات الكريمة الجامعة فكانت خير الخواتيم في براعة المقطع ، ذلك بأننا بينا في مواضع من تفسيرها أنها أجمع السور لاصول الدين وإقامة الحجج عليها ودفع الشبه عنها ، ولابطال عقائد الشرك وتقاليده وخرافات أهله ، وهذه الخاتمة مناسبة لجملة السورة في أسلوبها

واجتنبوا قول الزور (٢٩) حنفاء لله غير مشركين به) ومثله في أواخر سورة يونس (١٠ : ١٠٥ وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين) وفي سورة الروم (٣٠ : ٢٩ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون (٣٠) منيبين اليه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ٣١ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فهذا بمعنى ما نحن بصدد تفسيره في جملته وسياقه كما نبهنا اليه في الكلام على التفرق في الدين وما هو ببعيد

وأما امره تعالى لخاتم رسله بالاخبار بأن ما هداه الله تعالى اليه من الدين القيم هو ملة ابراهيم فهو بمعنى امره باتباع ملة ابراهيم في سورة النحل حيث قال (١٦ : ١٢٠ ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين (١٢١) شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم (١٢٢) وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين (١٢٣) ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فحكمة كل من الاخبار والامر استمالة العرب ثم اهل الكتاب الى الاسلام ببيان أن اساسه وقواعد عقائده ودعائم فضائله هي ما كان عليه ابراهيم المتفق على هداه وجلالته وكذا سائر رسل الله تعالى، وانما تختلف الاحكام العملية من العبادات والمعاملات المدنية والسياسية كما تقدم بيانه في قوله تعالى بعد ذكر التوراة والانجيل من سورة المائدة (٥ : ٥٠ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الى مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) وقد ذكرنا الآية بطولها لمناسبة آخرها لخاتمة هذه السورة التي هي اول ما نزل من السور الطول والمائدة آخر ما نزل منها وإذ علمنا حكمة الاخبار والامر باتباع ملة ابراهيم فلا مجال بعد لتوهم أن ابراهيم أفضل، ولا أن ملته اكمل، اذ ليس هذا بمناف ولا بمعارض لنص آية إكمال الدين وإتمام النعمة على العالمين، على لسان خاتم النبيين، المبعوث رحمة للخلق اجمعين.

﴿ قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ هذا بيان إجمالي لتوحيد الالهية بالعمل، بعد بيان أصل التوحيد المجرد بالايمان، والمراد بالصلاة جنسها الشامل للمفروض والمستحب. والنسك في الأصل العبادة أو غايتها

به الشيء ، وقرأه الباقون بفتح القاف وتشديد الياء بوزن (سيد) وقد قالوا انه ابلغ من المستقيم بزنته وهيئته ، وهذا أبلغ بصيغته وكثرة مادته ، وقيل بما في الصيغه من معنى الطلب المعنوي فكأن المستقيم هو الذي يقتضي أن يكون الشيء قيما أو يجعل ذلك سهلا ، وتقدم في تفسير قوله تعالى (٥ : ١٠٠ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) مايفيد القاريء تفصيلا فيما فسرنا به الدين القيم(١) ﴿ ملة ابراهيم حنيفا ﴾ أي أعني — أو الزموا — ملة ابراهيم حال كونه حنيفا أي مائلا عن جميع ما سواه من الشرك والباطل والعوج والضلال مستقيما عليه ، ﴿ وما كان من المشركين ﴾ فان الحنيفية تنافي الشرك ففيه تكذيب لهم في دعواهم انهم على ملة ابراهيم . وقد وصف ابراهيم بالحنيف في سورة البقرة (٢ : ١٣٥) وسورة آل عمران (٣ : ٦٧ و ٩٥) وسورة النحل (١٦ : ١٢٠ و ١٢٣ وسورة الانعام (٦ : ٨٠) وهذه الآية التي نفسرها وفي كل آية من هذه الآيات وصف بأنه لم يكن من المشركين . وجاء في سورة النساء (٤ : ١٢٤ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) ولكن قيل ان حنيفا هنا حال ممن أسلم وجهه لله وقيل من ابراهيم

هذا الدين دين التوحيد والاستقامة والاخلاص لله وحده في العبادة هو الدين الذي بعث الله به جميع رسله وقرره في جميع كتبه وانما عبر عنه بملة ابراهيم لانه عليه الصلاة والسلام وعلى آله هو النبي المرسل الذي أجمع على الاعتراف بفضله وصحة دينه وهديه العرب ومن حولهم من اهل الكتاب اليهود والنصارى وكل يدعي الاهتداء بهداه ، وقد كانت قريش ومن وافقها من العرب يسمون أنفسهم الحنفاء مدعين انهم على ملة ابراهيم ، ولذلك وصل وصفه بالحنيف بنفي الشرك عنه . وكذا فعل اهل الكتاب بادعاء اتباعه واتباع موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وكذا يفعل اهل البدع الشركية من المنتمين الى الاسلام ، لان الشرك والكفر يسري الى اكثر الناس من حيث لا يشعرون انه شرك وكفر ، وقد بينا هذا الاحتراس في تفسير (٣ : ٦٧ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)

وقد قال تعالى في ارشاد هذه الامة (٢٢ : ٢٨ فاجتنبوا الرجس من الاوثان

(١) يراجع ص ١١٧ ج ٦ من التفسير

وعلى هذا التفسير للنسك يكون الجمع بين الصلاة وذبح النسك كالامر بهما في قوله تعالى (فصل لربك وانحر) ، واذا فسر النسك بالعبادة مطلقاً يكون عطفه على الصلاة من عطف العام على الخاص لانها منه ، والا كان سبب الاقتصار على ذكر هذين النوعين أو الثلاثة من العبادة هو كونها أعظم مظاهر العبادة التي فشا فيها الشرك أما الصلاة فروحها الدعاء والتعظيم وتوجه القلب الى المعبود والخوف منه والرجاء فيه وكل ذلك مما يقع فيه الشرك ممن يغلون في تعظيم الصالحين وما يذكر بهم كقبورهم أوصورهم وتماثيلهم ، وأما الحج والذبائح فالشرك فيهما أظهر ، وقلما يقع الشرك في الصيام لانه أمر سلبي ، ولكن بعض النصارى ابتدعوا صياما أضافوه الى بعض مقدسيهم كصوم السيدة ولا أعلم أن أحداً من المسلمين اتبعهم فيه ، ولا ينافي هذا صدق الحديث الصحيح الوارد في اتباعهم سنتهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع فانه في الكليات دون الجزئيات

وقد كانت الذبائح عند الوثنيين من العبادات يقربونها لآلهتهم ويهلون بها لهم ثم سرى ذلك لبعض أهل الكتاب فخرجوا بقرابينهم عما شرعت له من كفارة يتقرب بها الى الله وحده فصاروا يهلون بها للانبياء والصالحين ، وينذرونها لاولئك القديسين ، وذلك كله من عبادة الشرك فمن فعلها من المسلمين فله حكم من فعلها من أولئك المشركين ، كما تقدم تفصيله في تفسير ما أهل لغير الله من هذه السورة وما هو ببعيد . وما تأويل بعض المعممين لهم الا كتأويل من سبقهم من الرهبان والقسيسين .

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

والعبادات إنما تمتاز على العادات بالتوجه فيها الى المعبود تقربا اليه وتعظيما له وطلبا لمثوبته ومرضاته ، وكل من يتوجه اليه المصلي أو الذابح بذلك ويقصد به تعظيمه فهو معبود له ، سواء عبر فاعله عن ذلك بقول يدل عليه أم لا ، والعبادة لا تنبغي الا لله رب العباد وخالقهم ، فان توجه أحد اليه والى غيره من عباده المكرمين أو غيرهم مما يستعظم خلقه كان مشركا والله لا يقبل من العبادة الا ما كان خالصا لوجهه الكريم .

إن كون الصلاة والنسك لا يكونان في الدين الحق الا خالصين لله وحده أمر ظاهر يعد من ضروريات الدين . وأما المحيا والممات فهما مصدران ميميان بمعنى الحياة والموت وزعم الرازي أن معنى كونهما مع الصلاة والنسك لله انه هو الخالق

والناسك العابد ، ويكثر استعماله في القرآن والحديث في عبادة الحج وعبادة الذبائح والقرابين فيه أو مطلقا . وفسر بالوجهين قوله تعالى في حكاية دعاء ابراهيم واسماعيل (وأرنا مناسكنا) وأما قوله تعالى (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) فلا خلاف في ان المراد به عبادات الحج كلها. كما انه لا خلاف في تخصيص النسك ببعض الذبائح في قوله تعالى (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) فالنسك في هذه الفدية ذبح شاة . وقوله تعالى في سورة الحج (٢٢: ٣٤ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام) قد عين السياق كون المراد بالنسك فيه القرابين التي تذبح أو تنحر تقربا اليه تعالى وبعد هذه الآية آيات أخرى في ذلك خاصة. وأما قوله بعد آيات أخرى منها (٦٧ لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) فالسياق يدل على انه أعم ماورد من هذا الحرف في القرآن وانه بمعنى الدين أو الشريعة وهو ما قدمه بعضهم ولكن روي تفسيره في المأثور بالذبح وفسره بعضهم بالعيد. وحقق ابن جرير ان الاصل فيه الموضع الذي يتردد اليه الناس لخير أو شر ومن هنا أطلق على مشاعر الحج ومعاهده وعلى المواضع التي كانوا يذبحون فيها للاصنام كالنصب

وأما المأثور في تفسير « نسكي » هنا فعن سعيد بن جبير قال : ذبيحتي ، وعن قتادة : حجي ومذبحي ، وفي رواية أخرى : ضحيتي وعن مجاهد : ذبيحتي في الحج والعمرة . وعن مقاتل : يعني الحج . ومما يدل على تفسيره بالذبيحة الدينية مطلقا سواء كانت فدية أو أضحية في الحج أو غيره حديث جابر عند أبي داود والترمذي وابن ماجه فيما قاله (ص) عند التضحية وهو « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض(١) حنيفاً وما انا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ـ الى قوله ـ أول المسلمين » الحديث، وحديث عمران بن حصين عند الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي قال قال رسول الله (ص) لفاطمة « يافاطمة قومي فاشهدي أضحيتك فانه يغفر لك بأول قطرة تقطر من دمها كل ذنب عملته وقولي : ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين » قلت يا رسول الله هذا لك ولاهل بيتك خاصة فأهل ذلك أنتم أم للمسلمين عامة ؟ قال « بل للمسلمين عامة »

(١) زيد هنا في رواية « على ملة ابراهيم »

الذين لا هم لهم في حياتهم إلا التمتع بالشهوات الحيوانية ، والتعديات الوحشية ، يعدو الاقوياء منهم على الضعفاء لاستعبادهم ، وتسخيرهم لشهواتهم ومنافعهم، ولكن المنتمين الى الدين في هذه القرون الاخيرة قد تركوا هدايته ، وفتنوا بزينة أهل المدينة المادية وقوتهم ، ولم يجاروهم في فنونهم وصناعاتهم، فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، ولو اعتصموا بحبله المتين ، وعادوا الى صراطه المستقيم ، لنالوا سيادة الدنيا وسعادة والآخرة وذلك هو الفوز العظيم .وعسى أن يكون الزمان قد أيقظهم من رقادهم ، وهداهم الى السير على سنن أجدادهم ، وما ذلك على الله بعزيز

﴿ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ أي لا شريك له تعالى في ربوبيته ، فيستحق أن يكون له شركة ما في عبادته ، بأن يتوجه اليه معه لاجل التأثير في إرادته ، أو تذبح له النسائك لاجل شفاعته عنده ، (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه ؟ * ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وبذلك التجريد في التوحيد والبراءة من الشرك الجلي والخفي ، أمرني ربي ، ولا يعبد الرب إلا بما أمر ، دون أهواء الانفس ونظريات العقول وتقاليد البشر ، وأنا أول المسلمين في علو الدرجة والرتبة ، وفي الزمن بالنسبة الى هذه الامة ، وبيان هذا أنه (ص) أكمل المذعنين لامر ربه ونهيه ، بحسب ما أعطاه من الدرجات العلى التي فضله بها على جميع رسله . كما أنه أول من لقنه ربه الاسلام. في هذه الامة الشاملة لجميع الامم والموصوفة بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وقد يستلزم عموم بعثته وخيرية امته أوليته (ص) وأولويته بالتقدم على الرسل الذين بعثوا قبله ، فيكون أولا في كل من مزاياه الخاصة والعامة المتعدية ، وهذا التفسير للاول مما فتحه الله تعالى علي الآن وهو الفتاح العليم

ولما بين توحيد الألوهية ، انتقل الى برهانه الاعلى وهو توحيد الربوبية، بما أمره به تعالى في قوله ﴿ قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ﴾ الاستفهام للانكار والتعجب والمعنى أغير الله خالق الخلق. وسيدهم ومربيهم بالحق ، أطلب ربا آخر أشركه في عبادتي له ، بدعائه والتوجه اليه أو ذبح النسائك أو نذرها له ، لينفعني أو يمنع الضر عني أو ليقربني اليه زلفى ويشفع لي عنده كما تفعلون بآلهتكم، والحال أنه تعالى هو رب كل شيء مما عبد ومما لم يعبد ، فهو الذي خلق الملائكة وخواص البشر كالمسيح والشمس والقمر والكواكب والاصنام المذكرة

لذلك وأن هذا دليل على قول اصحابه الاشعرية ان افعال العباد مخلوقة لله وليس للعباد فيها تأثير. وهذا من أغرب ما انفرد به من السخف بعصبية المذهب مع الغفلة عن منافاة قوله (وبذلك أمرت) له وعن كونه ليس مما يختلف فيه المؤمن الموحد والمشرك فلا يصح أن يكون هو المراد في بيان تقرير حقيقة التوحيد، والمتبادر ان معنى كون حياة الرسول (ص) وموته - وكذا من تأسى به - لله وحده هو أنه قد وجه وجهه وحصر نيته وعزمه في حبس حياته لطاعته ومرضاته وبذلها في سبيله ليموت على ذلك كما يعيش عليه. وفي الكشاف أن معناه وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح كله لله رب العالمين. زاد البيضاوي: أو طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير (١) أو الحياة والممات أنفسهما اهـ ويزاد في الاعمال التي تضاف الى الموت كل ما يبتدئ ثوابه به كالصدقة الجارية المعلقة على الموت وما يستمر بعده وإن وجد قبله كالصدقات الجارية المبتدأة في عهد الحياة والتصانيف التي ينتفع بها الناس. وبهذا تكون الآية جامعة لجميع الاعمال الصالحة التي هي غرض المؤمن الموحد من حياته وذخيرته لمماته بجعلها خالصة لله رب العالمين. ولفظ الجلالة (الله) و«رب العالمين» لم يكن المشركون يطلقونهما على معبوداتهم ولا معبودات غيرهم المتخذة التي أشركوها مع الخالق سبحانه وتعالى، وقد قرأ نافع (محياي) باسكان الياء إجراء للوصل مجرى الوقف وهو مما كان يجري على ألسنة بعض العرب ولا يزال جاريا على ألسنة العراقيين حتى في الشعر

فتذكر أيها المؤمن أن الذي يوطن نفسه على أن تكون حياته لله ومماته لله يتحرى الخير والصلاح والاصلاح في كل عمل من أعماله ويطلب الكمال في ذلك لنفسه ليكون قدوة في الحق والخير في الدنيا وأهلا لرضوان ربه الاكبر في الآخرة. ثم يتحرى أن يموت ميتة مرضية لله تعالى فلا يحرص على الحياة لذاتها ولا يخاف الموت فيمنعه الخوف من الجهاد في سبيل الله لاحقاق الحق وابطال الباطل وإقامة ميزان العدل والاخذ على أيدي أهل الجور والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا مقتضى الدين يقوم به من يأخذه بقوة، ولا يفكر فيه من يكتفون بجعله من قبيل الروابط الجنسية، والتقاليد الاجتماعية، فأين أهل المدنية المادية من أهل الدين اذا أقاموه كما أمر الله؟ اولئك الماديون

(١) التدبير العتق المعلق على الموت

عباس في تفسير الجملتين بحاصل المعنى : لا يحمل أحد ذنب غيره . فالدين قد علمنا ان نجري على ما أودعته الفطرة من ان سعادة الناس وشقاءهم في الدنيا بأعمالهم ، وان عمل كل نفس يؤثر فيها التأثير الحسن الذي يزكيها ان كان صالحا أو التأثير السيء الذي يدسيها ويفسدها ان كان فاسداً، وان الجزاء في الآخرة مبني على هذا التأثير فلا ينتفع احد ولا يتضرر بعمل غيره من حيث هو عمل غيره . وأما من كان قدوة صالحة في عمل أو معلما له فانه ينتفع بعمل من أرشدهم بقوله وفعله زيادة على انتفاعه بأصل ذلك القول أو الفعل ، ومن كان قدوة سيئة في عمل أو دالا عليه ومغريا به فان عليه مثل اثم من أفسدهم كذلك ، وكل من هذا وذاك يعد من عمل الهادين والمضلين ؛ وقد بين النبي (ص) هذا بقوله « من سن في الاسلام سنة حسنة فلها اجرها واجر من عمل بها من غير أن ينقص من اجورهم شيء، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الملك البجلي والترمذي بلفظ « من سن سنة خير . . ومن سن سنة شر . . » وبهذا يعلم انه لا تعارض بين الآية وما في معناها وبين قوله تعالى في المضلين من الناس (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) وقوله فيهم (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم)

ولكن أشكل في هذا الباب حديث « ان الميت يعذب ببعض بكاء اهله عليه » رواه الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا من عدة طرق وهذا لفظ البخاري في احد طرقه وليس في سائرها ذكر « ببعض » والمراد به النياحة كما صرح به في بعض الروايات عنه وعن أبيه وورد التصريح بعدم المؤاخذة بالبكاء المجرد ، وقد أوله بعضهم بأنه إنما يعذب بما نيح عليه اذا أوصى أهله به وكان ممن يرضى به ويحتمل أن يكون المراد بتعذيب الميت بنواح الحي عليه أنه يشعر ببكائه فيؤلمه ذلك لا أن الله تعالى يعذبه به ويؤاخذه عليه والله اعلم

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال توفيت أم عمرو بنت أبان بن عثمان فحضرت الجنازة فسمع ابن عمر بكاء فقال : ألا تنهى هؤلاء عن البكاء فان النبي (ص) قال « إن الميت يعذب ببكاء الحي عليه » فأتيت عائشة فذكرت لها ذلك فقالت : والله إنك لتخبرني عن غير كاذب ولا متهم ولكن السمع يخطىء وفي القرآن ما يكفيكم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) اه وكانت عائشة ترد كل ما

ببعض الصالحين وصانعيها (والله خلقكم وما تعملون) . فاذا كان تعالى هو الخالق المقدر ، وهو السيد المالك المدبر ، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وفضل بعض المخلوقات على بعض ولكنها بالنسبة اليه على حد سوى ، فكيف أسفه نفسي واكفر ربي . بجعل المخلوق المربوب مثلي ربا لي ؟ وقد سبق تقرير هذه المسألة مراراً في تفسير هذه السورة وغيرها ، ومنه أن جميع المشركين كانوا يقرون بأن معبوداتهم مخلوقة وأن الله رب العالمين هو خالق الخلق أجمعين . الا ان النصارى يقولون بخلق ناسوت المسيح دون لاهوته اذ اللاهوت عندهم هو الله سبحانه وتعالى عن الحلول في الاجساد ، والتحول في صور العباد .

﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة الحالية قبلها ، لانها معللة للانكار ومقررة للتوحيد مثلها ، وهي قاعدة من أصول دين الله تعالى الذي بعث به جميع رسله كما قال في سورة النجم (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان إلا ما سعى) وهي من أعظم أركان الاصلاح للبشر في أفرادهم وجماعاتهم ، لانها هادمة لاساس الوثنية ، وهادية للبشر الى ما تتوقف عليهم سعادتهم الدنيوية والاخروية ، (وهو عملهم) وقد بينا مرارا أن أساس الوثنية طلب رفع الضر وجلب النفع بقوة من وراء الغيب ، هي عبارة عن وساطة بعض المخلوقات العظيمة الممتازة ببعض الخواص والمزايا بين الناس وبين ربهم ليعطيهم ما يطلبون في الدنيا من ذلك بدون كسب ولا سعي اليه من طريق الاسباب التي جرت بها سنته تعالى في خلقه ، وليحملوا عنهم أوزارهم حتى لا يعاقبهم تعالى بها ، أو يحملوا الباري تعالى على رفعها عنهم وترك عقابهم عليها ، وعلى اعطائهم نعيم الآخرة وانقاذهم من عذابها ، أي على ابطال سننه وتبديلها في أمثالهم ، أو تحويلها عنهم الى غيرهم . وإن قال في كتابه (ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

فمعنى الجملتين : ولا تكسب كل نفس عاملة مكلفة إثما الا كان عليها جزاؤه دون غيرها ، ولا تحمل نفس فوق حملها حمل نفس أخرى ، بل كل نفس إنما تحمل وزرها وحده ، (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) دون ما كسب أو اكتسب غيرها . والوزر في اللغة الحمل الثقيل ، ووزره يزره — حمله يحمله . قال ابن

احد عن احد ولا يصم احد عن احد » وقد جعل الحنفية فتوى ابن عباس مانعة من العمل بحديثه على مذهبهم في ذلك المبني العالم ان الصحابي لايخالف روايته الا اذا كان لديه ما يمنع العمل بها ككونها منسوخة ، ومذهب غيرهم من أهل الاصول والحديث ان الحجة برواية الصحابي لا برأيه فانه قد يترك العمل بالرواية سهوا أو نسيانا أو تأولا على انه غير معصوم من تركه عمدا . وعندنا انه لا تعارض بين قولي ابن عباس وعائشة وروايتهما لان قولهما أو فتواهما بأن لا يصلي ولا يصوم أحد عن أحد هو أصل الشريعة العام في جميع الناس الا ما استثنى بالنص من صيام الولد أو حجه أو صدقته عن والديه ولا سيما اذا كان ذلك حقا ثابتا بأصل الشرع أو بنذر أو ارادة وصية كما كانت الحال في وقائع فتوى النبي (ص) لاولئك الاولاد . فلا محل اذا لتخريج الحنفية ولا الجمهور في المسألة وكتاب الله فوق كل شيء . وأما قياس عمل غير الولد على عمله فباطل ، لمخالفته للنص القطعي على كونه قياساً مع الفارق ، وقد غفل عن هذا من عودونا استدراك مثله على المتقدمين ، كشيخي الاسلام والشوكاني من فقهاء الحديث المستقلين ، فعلم مما شرحناه ان كل ماجرت به العادة من قراءة القرآن والاذكار واهداء ثوابها الى الاموات واستئجار القراء وحبس الاوقاف على ذلك بدع غير مشروعة ، ومثلها مايسمونه اسقاط الصلاة ، ولو كان لها اصل في الدين لما جهلها السلف ولو علموها لما اهملوا العمل بها ، وليس هذا من قبيل ما لا شك في جوازه ووقوعه في كل زمن من فتح الله على بعض الناس بما لم يؤثر عن غيرهم من حكم الدين واسراره والفهم في كتابه كما قال أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله وجهه : الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن . بل هو من العبادات العملية التي يهتم الناس بأمرها في كل زمان ولو فعلها الصحابة لتوفرت الدواعي على نقلها بالتواتر أو الاستفاضة

﴿ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ أي ثم ان رجوعكم في الحياة الآخرة التي بعد هذه الحياة الدنيا الى ربكم وحده دون غيره مما عبدتم من دونه زاعمين أنهم يقربونكم اليه فينبئكم بما كنتم تختلفون فيه من أمر أديانكم إذ كان بعضكم يعبده وحده ، وبعضكم قد اتخذ له أنداداً من خلقه ، ويتولى هو جزاءكم عليه وحده بحسب علمه وارادته القديمتين ويضل عنكم ما كنتم تزعمون من دونه ، فكيف تعبدون معه غيره ؟ وقد تقدم مثل هذا في سورة المائدة

يروى لها مخالفا للقرآن وتحمل رواية الصادق على خطأ السمع أو سوء الفهم — ولكن العلماء قصروا في إعلال الاحاديث بمثل هذا مع أن مخالفة الرواية الآحادية للقطعي كالقرآن من علامة وضع الحديث عندهم

ومما ينتفع به المرء من عمل غيره من حيث يعد من قبيل عمله لانه كان سببا له دعاء اولاده له أو حجهم عنه وقضاؤهم لصومه كما ثبت في الصحاح وهو داخل في حديث « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة ومن قال بانتفاع الميت من كل عمل يعمل له وان لم يكن العامل ولده فقد خالف القرآن ولا حجة له في الحديث الصحيح ولا القياس الصحيح . أما الحديث فقد صح فيه الاذن بالصيام والحج المنذورين عن الوالدين من حديث ابن عباس في الصحيحين وغيرهما وفيهما من حديث عائشة انه (ص) قال « من مات وعليه صيام فليصم عنه وليه » وقد علل (ص) الصيام والحج المنذورين عن الوالدة أو الوالد بقضاء دين العباد عنه وان دين الله أحق بان يقضى وقد روى هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما بألفاظ مختلفة في السائل فقيل رجل وقيل امرأة من جهينة وهو الصحيح وفي المسؤول عنه فقيل اب وقيل اخت وقيل ام وهو الصحيح . وفي المسؤل فيه هل هو الصيام او الحج ولا تنافي بينهما لجواز الجمع بينهما وتدل عليه رواية لمسلم، وذكر الراوي وهو ابن عباس لكل منهما في وقت لاقتضاء المقام لذلك ولهذا الخلاف قال بعض العلماء ان الحديث مضطرب لا يحتج به ، ولكن حديث عائشة لا اضطراب فيه وقد اختلفوا في الولي فيه فقيل كل قريب وقيل الوارث وقيل العصبة ، والراجح المختار انه الولد لينطبق على الآيات وحديث « اذا مات الانسان انقطع عمله » الخ ومن اصولهم ان العبادات البدنية لا تصح النيابة فيها في الحياة ولا بعد الممات . ومذهب اشهر ائمة الفقه انه لا يصام عن الميت مطلقا ومنهم ابو حنيفة ومالك والشافعي والامام زيد ابن علي والهادوية والقاسم من العترة وحصر احمد وآخرون الجواز بالنذر عملا بحديث ابن عباس ويلزمه ان يكون من يصوم عن الميت ولده لان الرواية وردت بذلك وما روي في بعض طرقها من ذكر الاخت غلط ظاهر لمخالفته للطريق الصحيح وللآيات والاحاديث الاخرى كحديث انقطاع عمل الانسان بموته وحديث ابن عباس موقوفا او فتواه التي رواها النسائي بسند صحيح « لا يصل

يطلبه الناس من سعادة الدنيا ونعمها أو رفع نقمها، أو من ثواب الآخرة والنجاة من عذابها ، الا وهو منوط باعمالهم التي ابتلاهم بها، بحسب ما قرره شرعه المبني على توحيده المجرد ، ومضت به سننه في نظام الاسباب والمسببات ، فبقدر علمهم وعملهم بالشرع وسنن الكون والاجتماع البشري يكون حظهم من السعادة

فهذه الهداية الاجتماعية مقررة لعقيدة التوحيد وهادمة لقواعد الشرك التي هي عبارة عن اتكال الناس واعتمادهم على ما اتخذوا بينهم وبين ربهم من الوسطاء ليقربوهم اليه ويشفعوا لهم عنده فيما يطلبون من نفع ودفع ضر كما تقدم شرحه ، ولهذا ترى هؤلاء المشركين من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون أشقى الناس وأبعدهم من نيل مآربهم ، وترى خصومهم دائما ظافرين بهم ، وان كانوا شرا منهم فيما عدا هذا النوع من الشرك ، فربما ترى قوما يدعون الايمان بالله ورسله كلهم أو بعضهم يعتمدون في قضاء حاجهم من شفاء مرض وسعة رزق ونصر على عدو وغير ذلك على التوسل ببعض الانبياء والصالحين وذبح النذور لهم ودعائهم والطواف بقبورهم والتمسح بها ، وتجد آخرين ليس لهم مثل اعتقادهم وعملهم هذا وهم أحسن منهم صحة وأسلم من الامراض واوسع في الرزق ، واذا قاتلوهم ينتصرون عليهم ويسودونهم ، وسبب ذلك أنهم يعرفون سنن الله في الاسباب والمسببات وان الرغائب انما تنال بالاعمال مع مراعاة تلك السنن سواء كانوا يعلمون مع ذلك أن الله تعالى رب الخلق هو الخالق والواضع لنظام خلقه بتلك السنن، وأنه لا تبديل لسننه كما أنه لا تبديل لخلقه ، أم لم يكونوا يعلمون ذلك

ولو استوى شعبان من الناس في الجري على هذه السنن الربانية للاجتماع الانساني في القوة والضعف والعز والذل والحرية والعبودية وكان أحدهما مؤمنا بالله مستمسكا بوصاياه وهداية دينه والآخر كافر به غير مهتد بوصاياه فلا شك في أن المؤمن المهتدي يكون أعز وأسعد في دنياه من الآخر كما أنه يكون في الآخرة هو الناجي من العذاب الفائز بالثواب ، ومن جهل مصداق ذلك في تواريخ الامم القديمة لعدم ضبطها فامامه تاريخ الامة الاسلامية واضح جلي ولكن اكثر المنتمين الى الاسلام في هذا العصر يجهلون تاريخهم كما يجهلون حقيقة دينهم ، حتى ان كثيرا من حملة العمائم الدينية منهم يجهلون حقيقة التوحيد الذي بينته هذه الآيات بالاجمال بعد شرح السورة له بالتفصيل، وربما يعد بعضهم

في سياق اختلاف الشرائع وذكر نصه آنفا — وكذا آل عمران في قصة عيسى (٣ : ٥٤ الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) ومثله في البقرة بعد ذكر طعن اليهود والنصارى بعضهم ببعض (٢ : ١١٢) وله نظائر بعضها في الانبياء بالاختلاف أو الحكم فيه وبعضها في الانبياء بالعمل ومنه ما تقدم في هذه السورة (٦ : ٢٠ و ١٠٩) وكله إنذار بالجزاء وانه بيده تعالى وحده.

﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ هذه الآية مبينة لبعض احوال البشر التى نعبر عنها في عرف هذا العصر بالسنن الاجتماعية وقد عطفت على ما قبلها لانها في سياق تقرير التوحيد وإبطال خرافات الشرك على ما سنبينه . والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف احداً كان قبله في مكان أو عمل أو ملك — وفي الخطاب وجهان «أحدهما» أنه للبشر جملة والمعنى أنه تعالى جعلهم خلفاءه في الارض بالتبع لابيهم آدم على ما تقدم في سورة البقرة ، أو جعل سنته فيهم أن تذهب أمة وتخلفها أخرى «ثانيهما» ان الخطاب للامة المحمدية وأنه جعلهم خلفاء لمن سبقهم من الامم في الملك واستعمار الارض وهذا هو الراجح المختار ويؤيده قوله تعالى بعد ذكر إهلاك القرون الخالية (١٠ : ١٤ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) وفي معناها آيات أخرى . وقال تعالى (٢٤ : ٥٣ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهذا استخلاف خاص وذلك عام .

والمعنى إن ربكم الذي هو رب كل شيء هو الذي جعلكم خلائف هذه الارض بعد أمم سبقت ولكم في سيرتها عبر ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الخلق والخلق ، والغنى والفقر ، والقوة والضعف ، والعلم والجهل ، والعقل والجهل(١) والعز والذل ، ليختبركم فيما أعطاكم أي يعاملكم معاملة المختبر لكم في ذلك فيبني الجزاء على العمل ، بمعنى أن سننه تعالى في تفاوت الناس فيما ذكرنا من الصفات الوهبية والاعمال الكسبية هي التي يظهر بها استعداد كل منهم ودرجة وقوفه في تصرفه في النعم والنقم عند وصايا الدين وحدود الشرع ، ووجدان الاطمئنان في القلب ، والحقوق والواجبات تختلف باختلاف احوال الناس في تلك الدرجات ، وسعادة الناس أفراداً وأسراً وأمماً وشقاوتهم في الدنيا والآخرة تابعة لاعمالهم وتصرفاتهم في مواهبهم ومزاياهم وما يبتليهم به تعالى من النعم والنقم ، ولا شيء مما

(١) الجهل يطلق بمعنى ضد العلم وبمعنى ضد العقل والحلم كالخفة والطيش

وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال (٢ : ١٥٤ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين) وقال (٤٧ : ٣٢ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وقال (٢٩ : ألم (١) أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقال حكاية عن نبيه سليمان (٢٧ : ٤٠ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم) وثم آيات أخرى

أرشدنا الله تعالى في هذه الآيات وأمثالها الى طريق الاستفادة من سننه في جعلنا خلائف في الارض ، ورفع بعضنا درجات على بعض ، بان نصبر في البأساء والضراء، ونشكر في السراء، والشكر عبارة عن صرف النعم فيما وهبت لاجله، وهو ما يرضي المنعم تعالى وتظهر به حكمته، وتتم رحمته، كانفاق فضل المال في وجوه البر التي تنفع الناس، وإعداد القوة بقدر الاستطاعة لتأييد الحق و إقامة العدل ، ولكل نعمة بدنية او عقلية أو علمية أو مالية أو حكمية شكر خاص ، ومن لم يهتد بهذه الهداية الربانية في الاستفادة من النعم والنقم فانه يسيء التصرف في الحالتين فيظلم نفسه ويظلم الناس ، وإن العقل الصحيح والفطرة السليمة مما يهدي الى الصبر والشكر ، ولكن لا تكمل الهداية إلا بتعليم الوحي ، لان الاسلام قد شرع لمساعدة العقل على حفظ مواهب الله تعالى في الفطرة ومنع الهوى من إفسادها ، وصدها عن الوصول الى كمالها ، ولذلك سمي دين الفطرة، فالمسلمون أجدر الناس بالصبر والصبر عون على الجهاد والجلاد ، ومنجاة من جميع الشدائد والاهوال ، وأحقهم بالشكر والشكر سبب للمزيد ، فلو كانوا مهتدين به كما يجب لكانوا أعظم الناس ملكا وأعدلهم حكما ، وأوسعهم علما ، وأشدهم قوة ، وأكثرهم ثروة ، وكذلك كان به سلفهم ، وقد أخبرهم الله بانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ولكن التقليد أضلهم عن تدبر القرآن ، والاتكال على الميتين حال بينهم وبين سنن الله في هذا الانسان (٢٠: ١٢١ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ١٢٢ ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * ٧٢ : ١٦ وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا(١٧) لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعداً *) ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، ونعيمها ادوم واعلى ، كما قال

الداعي اليه كافراً أو مبتدعاً ، ويعتمدون في هذا على قوة أنصارهم من العوام الذين أضلوهم ، وهم غافلون عن عقاب الله لهم ، وعن كونهم صاروا فتنة للناس، وحجة على الاسلام ، فأعداؤه يحتجون بجهلهم وسوء حالهم على فساد دينهم المسمى وان لم يكن هو الاسلام الذي نزل به القرآن بل ضده ، وأولياؤه الجاهلون يتسللون منه فرادى وثبات - كالتلاميذ - بما يظهر للذين يقتبسون علوم سنن الكائنات وعلم الاجتماع من مخالفته لها، وانما المخالف لها بدعهم وتقاليدهم الخرافية، وأما دين الله في كتابه القرآن فهو المرشد الاعظم لها ،ولو فهموه وعملوا به لكانوا أسبق اليها .

واضرب لهم مثلا اهل مراكش : انشأنا منذ انشأنا المنار نذكرهم بآيات الله وسننه ، وأنذرناهم الهلاك والزوال بفقد الاستقلال اذا لم يوجهوا كل همتهم الى ما تقتضيه حالة العصر من التربية والتعليم العسكري وغيره ، وأرشدناهم الى الاستعانة على ذلك بالدولة العثمانية، فكان يبلغنا عنهم أنهم يجتمعون عند حلول النوائب بهم وتعدي الاجانب عليهم عند قبر مولاي ادريس في فاس ، راجين أن يكشف باستنجادهم إياه ما نزل بهم من البأس ، أنذرناهم بطشة الله بترك هدي كتابه وتنكب سننه فتماروا بالنذر ، واتكلوا على ميت لا يملك لهم ولا لنفسه شيئا من نفع ولا ضرر ، وكم سبق هذه العبرة من عبر ، (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ؟ (*

نزل في معنى هذه الآية آيات كثيرة ناطقة بأن نعم الله في الانفس والآفاق مما يفتن الله به عباده — أي يختبرهم — ليظهر أيهم أحسن عملا فيترتب عليه الجزاء في الدارين ، قال تعالى في بني اسرائيل (٧ : ١٦٧ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقال في خطاب كل البشر (٢١ : ٣٥ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) وقال بعد ذكر خلق السموات والارض وخلق الموت والحياة (١١ : ٧ — و ٦٧ : ٢ ليبلوكم أيكم أحسن عملا) وقال (١٨ : ٧ انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وقال في ابتلاء المؤمنين بالكافرين (٢٥ : ٢٠ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ؟)وقال في خطاب المؤمنين (٣ : ١٨٦ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ،

*) يراجع اسم مراكش واسم فرنسة في فهارس مجلدات المنار السبع الاولى

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء. واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح في إغفاله

﴿ سؤال عن الاسترقاق المعهود في هذا الزمان ﴾

(س ١) من احد القراء في سنغافورة نشرناه بنصه وغلطه :

ما قول علماء الاسلام أدام الله بهم النفع للخاص والعام فيما يتعاطاه اهالي بعض الجهات وذلك أن احدهم يأخذ من احد الشينة وهم مشركون بنته الصغيرة بثمن فيربيها ثم يتسراها أو يبيعها الى آخر مثلا ويستولدها فهل يجوز ذلك والحال أن حكومة تلك الجهة كافرة تمنع ذلك وتعاقب عليه بفرض ثبوته لديها لمنعها بيع الرقيق والفاعل لذلك انما يفعله بخفية وبصورة استخدام ومتى خرجت تلك البنت من عنـده وامتنعت منه لا يقدر هو ولا غيره على ردها بحال — أو لا يجوز ذلك أو يكون مجرد شراها من والدها أو والدتها استيلاء تملك به فيجوز تسريها وبيعها؟ وان كان الحال ما ذكر واذا قلتم بالملك فهل يختص بها المشتري أو يسلك بها مسلك الفيء؟ أفيدوا فان المسألة واقعة ولا يخفى ما يترتب عليها من هتك الابضاع وضياع الانساب وقد استشكل ذلك بعض طلبة العلم وفهم بديهة أن مجرد الشراء والحال ما ذكر لا يملك به لان المملك هو الاستيلاء لا الشراء كما نص عليه ومن لا يقدر على قهره ليس مستولى عليه، فالمسئول من اهل العلم توضيح هذه المسئلة بما فيها من خلاف وأقوال بما يطلع الكاتب مذهبيا كان غيره وفي أنه هل يختص بها المشتري فلا يجب عليه تخميسها أو لا يجب؟ فلعل شيئا من الاقوال يحمل من وقع في شيء من ذلك أفيـدونا وأوضحوا وبينوا فان المسئلة وقع فيها كثير من الناس وحرجت منها الصدور

تعالى بعد بيان حال من يريد بعمله حظوظ الدنيا وحدها ، ومن يريد الآخرة ويسعى لها سعيها ، (١٦ : ٢٠ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ٢١ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) وإنما جعل الدنيا للمؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، لئلا تعظم الفتنة بجعل نعيمها كله او معظمه للكفار وحدهم فيكون الناس كلهم لضعفهم كفارا ، قال تعالى (٤٣ : ٣١ اهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون ٣٢ ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) الى قوله — والآخرة عند ربك للمتقين

﴿ إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ﴾ اي انه تعالى سريع العقاب لمن كفر به او بنعمه، وخالف شرعه وتنكب سننه . وسرعة العقاب تصدق في عقاب الدنيا والآخرة فان العقاب العام عبارة عما يترتب على ارتكاب الذنوب من سوء التأثير وهو في الدنيا ما حرمت لاجله من الضرر في النفس او العقل أو العرض او المال او غير ذلك من الشؤون الاجتماعية فان الذنوب ما حرمت الا لضرها وهو واقع مطرد في الدنيا في ذنوب الامم وا كثري في ذنوب الافراد ولكنه يطرد في الآخرة بتدنيسها النفس وتدسيتها كما وضحناه مرارا ، وقد يستبطىء الناس العقاب قبل وقوعه لان ما في الغيب مجهول لديهم فيستبعدونه وهو عند الله معلوم مشهود فليس ببعيد (إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً)

وإنه تعالى على سرعة عقابه وشدة عذابه للمشركين والكافرين ، غفور للتوابين الاوابين ، رحيم بالمؤمنين والمحسنين ، بل سبقت رحمته غضبه ووسعت كل شيء، ولذلك جعل جزاء الحسنة عشر امثالها وقد يضاعفها بعد ذلك اضعافا كثيرة ، وجزاء السيئة سيئة مثلها ، وقد يغفرها لمن تاب منها (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) وقد اكد المغفرة والرحمة هنا بما لم يؤكد به العقاب وهو اللام . فنسأله تعالى ان يغفر لنا ذنوبنا ، ويكفر عنا سيئاتنا ، ويتغمدنا برحمته الواسعة ، ويجعل لنا نصيبا عظيما من رحمته الخاصة، ويكون منه توفيقنا لاتمام تفسير كتابه على ما يحب ويرضى من هداية الامة ، وكشف الغمة ، فنكون هادين مهديين، وقد تم تفسير ربعه بفضله وتوفيقه والحمد لله رب العالمين

فعلم من هذا أن ما يجري عليه الناس من اغتصاب بعض أولاد الزنوج أو « الشينة » الصينيين أو الجركس أو شرائهم من آبائهم وأوليائهم لا يعد استرقاقا شرعيا فلا تملك به الاعيان ولا الابضاع وإن التسري بالمغصوبة أو المشتراة من والدها أو غيره حرام وأهون ما يقال في فاعله جاهلا حكم الشرع فيه ان وطأه وطء شبهة وولده منها ولد شبهة وإلا فهو زنا ظاهر ، لا يستحله أحد يؤمن بالله واليوم والآخرة

وما ذكر في السؤال عن بعض طلبة العلم من ان سبب الملك هو الاستيلاء دون مجرد الشراء لا محل له في النوازل المسؤل عنها فان شرط كون الاستيلاء الصحيح مملكا قابلية المحل للملك وهو الحربي المشرك الذي يسبى بالحرب الدينية بعد إباء الاسلام والجزية وبعد ترجيح امام المسلمين لاسترقاقه كما تقدم فهنا يختلف الفقهاء في حقيقة الاستيلاء المملك هل يشترط فيه دار الاسلام ام يحصل بالحيازة في دار الحرب ، وقد صرح الفقهاء بعدم جواز بيع الكافر لاولاده في دار الحرب ولا في دار الاسلام

وانا لنعجب ممن يهتم بأمر الابضاع والانساب والحلال والحرام ثم يصر على اتباع شهوته في الاستمتاع بهؤلاء الحرائر من السود او الصفر او البيض ويسأل عن نوادر الخلاف بين الفقهاء وشواذ الأقوال ليجد لنفسه عذراً لبقائه على ضلاله ؟ ألا فليتوبوا الى الله تعالى وليتركوا هذه الرذيلة وما يتبعها من الفواحش والمنكرات ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ مسيح الهند ﴾

(س ٢) من أحد القراء في زنجبار

نكتب ملخص هذا السؤال لكثرة الغلط في عبارته لغة وإملاء وإعرابا وهو أن الدعوة الى مسيح الهند غلام أحمد القادياني قد بثت في زنجبار بأنه « النبي المسيح المهدي » وان مذهب أتباعه ودعاته هو مذهب خوجه كمال الدين الذي في لندن والامامين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده . ويقول السائل إنهم قد غشوا الناس بهذه الاسماء وصار الناس بالمجادلات حزبين أحدهما مصدق والآخر مكذب ، وسألنا هل عندنا كتاب في الرد عليهم فنرسله اليه ؟ وقد أرسل الينا صورة القادياني التي يوزعونها هنالك

وماذا يكون الحكم في الاولاد من هذا الوطء لو قيل بفساد وجه التملك لا عدمكم المسلمون

(ج) ليعلم المسلمون في سنغافورة وفي سائر بلاد الاسلام ان الله تعالى خلق البشر احراراً وان الحرية حق لكل فرد ولكل جماعة أو شعب منهم بفطرة الله وشرعه كما كتب الفاروق رضي الله عنه الى عمرو بن العاص لما بلغه أن ابنه ضرب غلاما قبطيا « يا عمرو منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً » وان الرق كان عادة اجتماعية عمت بها البلوى حتى كانت تكون في بعض الاحيان من الضروريات التي تختل بدونها بعض المصالح العامة . وكان العرف بين الامم والدول أن الدولة الظافرة في الحرب تملك الرقاب كما تملك الاعيان مما تستولي عليه

فلما جاء الاصلاح الاسلامي فتح أبوابا كثيرة لتحرير الرقيق ولم يحرم الاسترقاق من اول الامر تحريماً قطعيا لئلا ليكون المسلمون وحدهم عرضة للاسترقاق اذا غلبوا في الحرب وهذه علة صحيحة كنا غافلين عنها فهذا أمر لا يمكن ابطاله الا بتواطؤ بين الامم ولا سيما الحربية منها كما جرى أهل هذا العصر ووافقتهم عليه الدولة العثمانية لانه من مقاصد الشرع لا من محظوراته — ولان البشر يشق عليهم إبطال العادات الراسخة دفعة واحدة ولا سيما اذا كانت مصالحهم مشتبكة بها ولأ ن بعض الرق كان يكون لمصلحة الارقاء في بعض الاحوال كأن يقتل رجال قبيلة ويبقى النساء والاطفال لا ملجأ لهم ولا عائل ، وقلما يقع مثل هذا في زماننا لان شؤون العمران فيه قد تبدلت ، والذي عليه فقهاء المذاهب المعروفة كلها ان الاسترقاق للسبي والاسرى جائز لا واجب ولا مندوب لذاته لانه ضرورة كالحرب نفسها وانه مفوض الى الامام الاعظم يعمل فيه وفيما يقابله بما يرى فيه المصلحة بمشاورة أهل الحل والعقد ويشترط فيه ان يكون في حرب شرعية مبنية على تبليغ دعوة الاسلام وحمايتها وحفظ بلاد المسلمين بالشروط المعروفة في كتب الفقه، ويقابله المن على من ذكر أي اطلاقهم بدون مقابل أو فداء أسرى المسلمين عند قومهم بهم، وهذا مقدم على غيره عند التعارض بالضرورة على خلاف فيه وفي قتل الاسرى. وقد خير الله رسوله (ص) في هذين الامرين الاخيرين بسورة القتال ولم يذكر الاسترقاق فقال (فإما منا بعد وإما فداء) وقد فصلنا هذه المسائل في مواضع من مجلدات المنار السابقة كالرد على خطبة لورد كرومر الشهيرة وغيره

وقد رد عليه كثير من علماء الهند وناظروه ففندوا دعوته ورددنا عليه في المجلد الثالث والمجلد الخامس من المنار وترجمت ردنا عليه الجرائد الهندية في حياته فساءه ذلك وآلمه حتى حمله على تأليف كتاب في شتمنا وتهديدنا يضحك الثكلى ، سماه (الهدى ، والتبصرة لمن يرى) فانه خلط فيه الهزل بالجد ، وجمع بين الذم والمدح ، ولم يخل من المجون ، ووحي شياطين الجنون ، ومما توعدني به فيه زاعماً أنه قاله بالوحي قوله بعد كلام ، « وعمد أن يؤلمني ويفضحني في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع وألقى وجوده في الآلام ، ووطئني كالحصى ، واستوقد نار الفتنة وحضى ، (١) وقال ماقال وما أمعن كأولي النهى ، —الى أن قال — سيهزم فلا يرى ، نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى » الخ (٢)

ولو قدر الله تعالى جعل وفاتنا أو نكبة تقع بنا أو بالمنار بعد صدور كتابه هذا لادعى هو وأتباعه أنها مصداق دعواه ، ولكن الله لم يزدنا الا صحة وقوة وحجة ، ولم يزد المنار بفضله الا تأييداً وانتشاراً وقبول كلمة ، اذ رددنا عليه بعد هذا عدة مرات ، فكان هو المنهزم الى أن مات

ولكن كان من الغريب أن أتباعه قد مرنوا على المناظرة والجدل فانصرف أناس منهم الى الدعوة الى الاسلام في الهند وانكلترة والولايات المتحدة الاميركية ، وما أعرف لهم بدعة غير هذه الضلالة الوهمية ، التي زاحموا بها البابية البهائية ، ولو تركوها للقي دعاتهم للاسلام مساعدة وتعضيداً من جميع المسلمين ، وما أدري أي فائدة يطلبون باصرارهم عليها ، فانهم ليسوا كالبهائية الذين اخترع دعاتهم ديناً جديداً ملفقا أصابوا به مجداً وعظمة باقرار من اشربت قلوبهم الوثنية بأن البهاء الههم وربهم حتى أن خليفته وابنه ، الذي فعل في تأسيس هذا الدين ما عجز قبله أبوه عن مثله ، قد لقب نفسه بعبد البهاء

وكنت أظن أن هؤلاء القاديانية قد رجعوا عن هذه الدعوى الخرافية حتى اذا ما زرت الهند جاءني وفد منهم للسلام علي في (لكهنؤ) ودعوني الى زيارة بلدهم . فعلمت منهم أنهم لا يزالون على غرورهم ، ولم يتسع الوقت لاختبارهم التام بزيارة بلدتهم ، ولا يبعد أن يكون خوجة كمال الدين منهم فانه ليس من كبار العلماء الاعلام ، وحاشا حكيم الاسلام والاستاذ الامام ، أن يكونا من اهل هذه الاوهام

«١» حضأ النار بالهمز وحضاها بحثوها بالراء اذا حركها اشتعل ، واستعمالها هو بالياء

«٢» يراجع ص ٣١٧ — ٣٢٠ من مجلد المنار الخامس وص ٩٠٠ ج ١٢

(ج) إن غلام أحمد القادياني قد ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وأن الله تعالى قد أوحى اليه بذلك وأن البسملة تدل بلفظ الرحمن الرحيم على أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله وان غلام أحمد القادياني هو المسيح عيسى بن مريم ، وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد ، وكان يستدل على صدق دعوته بقصيدة نظمها وادعى أنها معجزة كالقرآن ، على أنها كثيرة السخف والغلط والهذيان ، وبكتاب في تفسير الفاتحة سماه (إعجاز أحمدي) واكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الالفاظ بحقيقتها ولا بضرب من ضروب المجاز ولا الكناية بل هي دعاو باطلة كادعاء دلالة البسملة على نبوة محمد (ص) ومسيحيته ، وكان يتأول الاحاديث الواردة في نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء في الشام وبكونه يقتل الدجال ويفعل كيت وكيت أو يردها بزعم انها مخالفة للقرآن ، والقرآن لا يدل عليه بل ولا على نزول المسيح عيسى بن مريم أيضا كما بيناه في المنار من قبل . والآيتان اللتان استدل بهما بعضهم على ذلك ليستا نصا — ولا ظاهرا فيه —

فأما قوله تعالى في المسيح (٤: ١٧ وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) فانه لا يدل على ماذهب اليه بعضهم في تأويل الآية الا بتكلف بعيد لا مسوغ له كما بيناه في تفسيرها (١) وأما قوله تعالى (٤٣ : و ٦١ وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) بعد قوله عز وجل (٤٣: ٥٧ ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ٥٨ وقالوا أآلهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) ففي مرجع الضمير في قوله (وإنه لعلم للساعة) وجهان ذكرهما المفسرون (احدهما) أنه القرآن فانه ذكر أولا رسالة موسى ثم رسالة عيسى لاجل الاستدلال بهما على رسالة محمد (عليهم الصلاة والسلام) وصدق القرآن (ثانيهما) أنه عيسى عليه السلام وقد ذكروا لكونه علما للساعة وجوها أظهرها انه إحياؤه لبعض الموتى وحياة صورة الطير من الطين بنفخه فيها فانه دليل يعلم به ان البعث ممكن تتعلق به قدرة الله تعالى وواقع بتأييده تعالى لعيسى وجعل احياء الميت وحياة الجماد من آياته الدالة على رسالته . وقد اوضحنا هذا في المنار من قبل

(١) راجع ص ٨١٥ و ٩٠٢ م ١٥ منار وص ٢١ و ٩٥ ج ٦ تفسير وبيان حقيقة مسيح الهند وبهاء البابية في ص ٩٠٠ — ٩٠٢ م ١٢ وص ٤٢ و ٥٧ ج ٦ تفسير

العلة الحقيقية لسعادة الانسان (*)

لسيدنا آية العصر ، وسر حكمة الدهر ، ودرة تاج الحكماء ، وواسطة عقد البلغاء ، من لا تستوعب وصفه الاقلام وما نسقت ، والطروس وما وسقت ، استاذنا الاكبر ، الفيلسوف الاشهر ، السيد جمال الدين الافغاني أعزه الله

ان الممكن بالامكان الخاص (وهو الذي لا يلزم من وجوده ولا من عدمه محال) يكون وجوده بوجود علته وعدمه لعدمها ، ولا ريب في أن السعادة من الماهيات الممكنة بالامكان الخاص ، وانها العلة الغائية لحركة كل فرد من أفراد الانسان حسية كانت تلك الحركة أو معنوية ، اذ لو لوحظت مساعيه آناء الليل وأطراف النهار ، وأخذه بوسائل الحرف من زراعة وصناعة وتجارة . وجده في تحصيل العلوم والفنون ، وارتكابه المصاعب ، في نيل المراتب والمناصب ، لما وجد لها من باعث أو داع سوى طلب السعادة ، مع أنك لا تجد من نالها أو دنا منها ولو تنقل في مراتب الشؤون وتقلب في درجات التطورات ، وما ذلك الا لعدم تحقق علتها ، فعلينا أن نبحث عن تلك العلة وعن الاسباب التي أوجبت عدم تحققها ، حتى يتبين وجه ضلال طلاب السعادة عن أن يصيبوها فنقول :

ان بين السعادة والصحة شبها كليا ، فكما أن صحة الجسم هي نتيجة ومعلولة للتناسب الطبيعي بين أعضاء ذلك الجسم وجوارحه وكمال الاعتدال فيما تكونت عنه تلك الاعضاء وحسن قيام كل عضو منها بأداء وظيفته مع مراعاة اللوازم والشروط الخارجية من الزمان والمكان والمطعم والمشرب والملبس فيكون زوالها لزوال هذه الامور كلها أو بعضها — كذلك سعادة الانسان هي معلولة للتناسب الحقيقي في الاجتماعات المنزلية وقيام كل من اركان المنزل بأداء وظيفته ، وللتعادل التام في الائتلافات المدنية بأن تكون المدينة فيها من الحرف

(*) هذا الاثر النفيس لاستاذنا موقظ الشرق رحمه الله تعالى كان فاتحة لكتاب (البيان في الانكليز والافغان) الذي كان مما أملاه حكيمنا ونشر في جريدة (مصر) التي أصدرها بأمره الاديبان السوريان الشهيران سليم النقاش وأديب اسحق وكانت لسان حاله ، ومظهر آرائه وأقواله ثم طبع ذلك في كتاب مستقل بمطبعة جريدة مصر بالاسكندرية سنة ١٨٧٨ وكتب تحت الاسم هذه العبارة : « لسيدنا آية الحكمة ، مجلى الجمال والجلال ، ومظهر محاسن الكمال ، أستاذنا الفيلسوف الطاهر الارومة ، النسيب ابن النسيب ، السيد جمال الدين الافغاني أعزه الله » وقد كان لمقالات « البيان » المذكورة تأثير في الامة البريطانية حتى ردت عليها جرائدها فرد هو عليها ردا عرفت به عظيم شأنه وكان ذلك السبب الاول لمعرفة اسمه في أوربة

﴿ اشكال في بيت من الشعر ﴾

(س٣) من صاحب الامضاء في لنجة (في خليج فارس) في ١٠ ربيع الاول ١٣٤٠
حضرة العلامة المفضال الاستاذ الامام المصلح الفهامة السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار لا زال مفيداً للاسلام ومعيداً للانام ، المرجو بيان إعراب هذا البيت فقد وصلنا اليه في الاشموني في المدرسة الرحمانية وعجزنا عنه لأن اعرابه ينافي معناه وبالعكس فسألنا حضرة الوالد خليصكم عنه فادعى أن فيه تحريفاً ولم نقتنع فصدعنا حضرتكم لتزيلوا الاشكال ولم تزالوا كذلك

(وكائن في الاباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصابا)

وقد راجعنا المواد التي عندنا كالصبان وحاشية ابن سعيد وشرح شواهد الرضي وشرح العيني وشرح شواهد المغني فلم نجد ما يشفي العليل ويطفي الغليل والمرجو أن تشرفوني بالجواب فنحن من المحسوبين ولم يزل حضرة الوالد يحثنا على ذلك
من أسير احسانكم — محمد بن عبد الرحمن سلطان العلماء بلنجة

(ج) إذا كنتم لم تطلعوا على ما قاله ابن هشام في روايتي البيت ووجوه اعراب الرواية المشكلة من المغني فالعجب منكم كيف راجعتم فيما عندكم من الكتب شرح شواهد المغني ولم تراجعوا المغني نفسه أولا ، واذا كنتم قد اطلعتم على ما في المغني — ورأيتم فيه أن في البيت روايتين وما ذكره في اعراب الرواية المشكلة — فالعجب منكم كيف لم تكتفوا بما فيه وما بعده قول لقائل؟ والمختار عندنا في البيت أن الرواية التي عني بنقلها النحاة ليشحذوا قرائحهم باعرابها غير صحيحة بل هي من تحريف بعض الرواة وفاقا لذوق والدكم السليم وان الرواية الصحيحة

وكائن بالاباطح من صديق يراه إن أصبت هو المصابا

أي إن أصبت أنا يرى أنه هو المصاب لانه بصدق وده ، أنزلني منه منزلة نفسه ، وما ينبغي لمن علم بنقل الروايتين أن يعرض عن الواضحة ، ويضيع الوقت النفيس في الرواية المشكلة ، التي لا يمكن تطبيقها على القواعد وفهم معنى صحيح لها الا بتكلف الاحتمالات البعيدة التي ذكرها من وقفوا أعمارهم لاستقصاء أمثالها من الاغلاط أو الشواذ لاجل الاحاطة بفروع فن النحو ونوادره ، وتقييد أوابده وشوارده ،

وقد أورد صاحب المغني البيت في الكلام على (شرح حال الضمير المسمى فصلا وعماداً وهو في الباب الرابع (ص ١٠٥ ج ٢)

السعادة المدنية انما جاء من تهاون الآخرين

وتدبر حال الملوك مع رعاياها ترى كلا منهما يرمي الآخر بالاغراق وعدم الاعتدال ويتهمه بانتهاك المحارم والحقوق ويبرئ نفسه من نسبة شيء من ذلك اليها .

فالملوك فضلا عما رسخ في نفوسهم من أن رتبتهم الملوكية ، إنما هي رتبة سماوية ساقتها اليهم يد العناية الالهية ، بسبب طيب عنصرهم، وطهارة طينتهم، يعتقدون أن لاقوام للرعية بدون وجودهم ، وأن لا غنى لهـا عنهم ، إذ هم يحفظون أموالها ، ويحقنون دماءها ، ويوفون لكل ذي حق حقه، وينتقمون للمظلوم من الظالم ، ويحرسون الثغور لدفع ضرر المهاجمين ،فيرون أن لهم بذلك حق التصرف في أموال الرعية ودمائها ، وأنه يجب عليها طاعتهم ، والخضوع لسطوتهم وسلطتهم ، وامتثال أوامرهم واجتناب نواهيهم ، ويرمون الرعية بالتقصير فيما يجب عليها .

والرعايا يخاطبونهم قائلين لا مزية لكم علينا كما زعمتم ،ولستم أطهر عنصراً ، ولا أطيب طينة ، بل نراكم أناساً استولى عليكم حب الرئاسة وأسرتكم الشهوة واستعبدكم الهوى، فاستمالكم الى سلب راحتكم وراحة رعاياكم حرصاً على التغلب وطمعاً في توسيع دائرة السلطة وكسب الافتخار مينا ، وأما اعتقادكم ان لا قوام لنا الا بكم فأنى لكم صدق هذا الاعتقاد وقد أصبحتم كلا على كواهلنا : نحن نغرس ونحرث ، ونغزل ونحوك ، ونفصل ونخيط ، ونبني ونشيد، ونخترع الصنائع، ونتفنن في المعارف، وأنتم تأكلون وتشربون، وتلبسون وتسكنون، وتتمتعون بلذة الراحة . وأما ما تعللتم به من حفظ أموالنا وحقن دمائنا الى آخر ما ادعيتم فذلك إنما نشأ عن العظمة والكبرياء اللذين ثبتت أصولهما في نفوسكم ، أفلا تعلمون أن الحارس والمرابط إنما هو منا ، وان الحافظ والحاقن والمنتقم إنما هو القانون والشريعة الحقة، وما أنتم الا منوطون بحفظها، والعمل في الناس بها ، فان قمتم بذلك على وجه الاستقامة كان لكم علينا ما يقوم أودكم، فكيف ساغ لكم أن تلعبوا بأموالنا وتعبثوا بدمائنا وتلقوا بنا في هاوية الشقاوة، ثم تبتغوا طاعتنا وامتثالنا ، وترمونا بالتقصير والتهاون فيما وجب علينا

وذلك الذي ذكرناه فيما اذا لم يكن الملوك من المتغلبين المباينين للرعايا جنسا ومشربا، وأما المتغلبون من الملوك والمتغلب عليهم فكل منهما يزعم فوق ما ذكر

والصنائع ما يكفيها مؤنة الافتقار من دون نقص أو خروج عن حد حاجتها مع حسن التعامل بين أرباب تلك الصنائع ، وأن تكون أحكامها تحت قانون عدل تساوى فيه الصغير والكبير ، والامير والمأمور ، وللارتباطات العادلة بين الدول بأن تقف كل دولة عند حدها ، ولا تتعدى على حقوق غيرها ، وأن يمهد سبل التواصل بينها وبين باقي الدول لكمال التعاون والتوازر بين نوع الانسان وانتفاع كل من الآخر ، فيكون حصولها على السعادة بحصول تلك الامور وفقدها لفقد جميعها أو بعضها

وهذه الامور وان كانت ممكنة الحصول وجدّ الناس في التماسها ما استطاعوا الا أن هناك مانعا من الوصول اليها وهو اعتقاد كلّ كمال نفسه ونقص غيره، ونظره الى أفعاله بعين الرضى والى أفعال غيره بعين السخط ، وزعمه أنه ما حاد عن حد الاعتدال ولا أخل بشيء من واجباته وشؤونه ، ولا تقاعدت همته عن أداء وظائفه في العالم الانساني ؛ ويتمحل لاثبات ذلك بما تسوله له نفسه من الحجج والبراهين، وان أصابه العناء، ونزل به الشقاء، حسبهما من تهاون الغير فيما يلزمه واهماله ما يجب عليه، مبرئا نفسه من أسباب ذلك، حتى لو أغفل شأنا من شؤونه يزعم أنه قد سدت دونه أبواب الامكان وتعذر عليه القيام به، ولو انتهك محظوراً من المحظورات لادعى أنه لا اختيار له فيه وانما الضرورة هي التي ساقته الى ارتكابه فهو مجبور لا مختار، مع أنه لا يلتمس للغير عذراً فيما يفوته أو يقع منه ولو كان في نفس الامر مجبوراً. ومن ثم وقع التضارب في الآراء والتدافع في الافعال والحركات ، وعمل كل على نقيض الآخر، فارتفع التناسب وانعدم التعادل وذهب الارتباط

أنظر الى حال الآباء مع الابناء والسادات مع الخدمة ، كيف أن كلا منهم مع علمه بأن السعادة المنزلية انما تحقق بأدائه ما يجب عليه وجعل حركته من متممات حركات الآخر يخالفه في أفعاله ويضاده في آرائه، معتقداً أنه لو لم يقصر ذلك الآخر في اداء الحقوق المفروضة عليه لاستقرت الراحة المنزلية وارتفع العناء — والى حال المشتركين في المدينة فان كل واحد مع جزمه بأن الراحة والنجاح انما يكونان باحكام الصنعة وتهذيبها وحسن التعامل وكف يد الشره والخيانة وضبط العهود والمواثيق واجتناب الكذب والاعتصام بحبل الصدق والوفاء لا يرى نفسه مخلا بشيء من ذلك وان اخل بجميعه ، ويزعم أن زوال

وظلمك الآن قد عم وطم ؛ وإن الثروة والابهة والجلالة والشأن التي يزدهي بها الآن أهالي بريتانيا كان المتمع بها وقتئذ أبناء وطننا ؛ إذ النوابون والراجوات وغيرهم من الامراء والكبراء وحاشيتهم وخاصتهم كانوا من أبنائنا ومشاركينا في الجنسية ، وكنا نتيه بهم فخاراً على سائر الممالك والاقطار ، فكيف بك أن تمني علينا بما مننت زوراً ومينا . وانا لا نراك أيتها المتغلبة علينا الا كالعلق مصصت دماءنا ، بل كالسلاخ سلخت جلودنا لتتخذيها أحذية لنعال البريتانيين . على أنك لم تكتف بهذا وذاك بل تريدين أن تستعملي عظامنا النخره لتصفية السكر في معاملك

وتبصر في شأن الملوك بعضها مع بعض فان كل واحد منهم يرى بما اقيم من الحجج القاطعة أنه على صراط العدل وحد الاستقامة لا يقدم على محاربة ولا يحجم عنها ولا يضع غرامة أو يأخذ من ممالك الآخر شيئاً الا وهو في ذلك محق عادل ، مثلا ملك الروسيين يحتج لحرب العثمانيين بأن أنين النصارى من رعاياهم قد ذهب براحته وتجافى به عن مضجعه وحرك فيه حاسة الشفقة حتى دعته الرحمة والانسانية للاخذ بناصرهم واستنقاذهم من ايديهم ، وتحريرهم من رق عبوديتهم ، من ..... والعثمانيون يدحضون حجته قائلين (اولا) لو كنت ممن تحركهم الشفقة والرحمة لكان الاحق بنيلها رعاياك المتحدون معك في المذهب من اهالي (لهستان) فادعواك هذه الامحض الرياء والمواربة (وثانيا) اننا لا نعامل رعايانا الا كمعاملة الآباء للابناء بدون تفرقة بين مذهب ومذهب وجنس وجنس ، وأوضح دليل على ذلك بقاؤهم على مذهبهم حافظين للغاتهم وجنسيتهم ، ولو أننا كنا نفرق بين المذاهب والاجناس كما تدعي لحملناهم على رفض مذاهبهم وتغيير لغاتهم ، وكنا قادرين على ذلك في وقت لم يكن لك فيه اسم ولا رسم ، بل لم تكن شيئاً مذكورا

وكذلك امبراطور الفرنساويين بما ثبت عنده من البراهين البينة على طمع الجرمانيين وحرصهم وشرههم يرى لنفسه الحق في افتتاح الحرب عليهم . وامبراطور الالمانيين بما تحقق لديه من كبر الفرنساويين وعجبهم ومجاوزتهم الحد في أطوارهم يحسب أن من الواجب عليه أن يضع عليهم غرامة باهظة ويتسلط على قطعة واسعة من بلادهم لتذليل نفوسهم واضعاف قوتهم ، ليدفع بذلك شرهم ، ويأمن على نفسه وامته من تعديهم .

انه الوسيلة لمنفعة الآخر والواسطة لمصلحته ، وان الآخر قابل حسنته بالسيئة . ومنفعته بالمضرة .

مثلا ان الحكومة الانكليزية المتغلبة على الهنود تخاطبهم بقولها اني عمرت لكم المدن (كبمباي) و(كلكتا)و(كراجي) وأمثالها وزينتها بالابنية الشاهقة، والقصور الشائقة،ووطأت شوارعها ، ووسعت مسالكها، ورقشتها بالاغصان وزخرفتها بمروج وبساتين ، ومهدت لكم سبل التجارة ، وسهلت لكم أسباب الزراعة ، وفتحت أبواب الثروة بما مددت من الاسلاك البرقية في ارجاء بلادكم، وأنشأت من الطرق الحديدية في أنحائها، وحفرت من الترع والانهار، ووضعت من القناطر ، وكذلك أسست لكم المدارس ، ورفعت عنكم ظلم النوابين وقهر الراجاوات،وأنتم مع ذلك أبيتم الا الشقاق والنفاق، ونبذ الطاعة وسلب الراحة..

وإن الهنود يجيبونها متظلمين مستغيثين منها قائلين لها : انك ما عمرت تلك المدن إلا بعد أن خربت بلاداً كانت زينة الارض وفخار الابناء (شيو) و (وشنو) و(كهكلي)و(مرشدآباد) و (عظيمآباد) و (اكبرآباد)و(اله آباد) و (دهلي) و (رايبود) و (فيضآباد) و (لكهنؤ) و (حيدرآباد) وغيرها من البلدان ، وإنك ما مددت الاسلاك البرقية ،ولا أنشأت الطرق الحديدية ، ولا حفرت الترع والانهار ولا وضعت القناطر الا لنزف مادة ثروتنا وتسهيل سبل التجارة لساكني جزيرة بريتانيا وتوسيع دائرة ثروتهم ، وإلا فما بالنا أصبحنا على فقر وفاقة وقد نفدت أموالنا ، وذهبت ثروتنا ، ومات الكثير منا يتضور جوعا ؟فان زعمت أن ذلك لنقص في فطرتنا ، وضيق في مداركنا ، فيا للعجب من أبناء (بريتوس) الذين مضت عليهم أحقاب متطاولة يهيمون في أودية التوحش والتبربر اذ يعتقدون النقص وعدم الاستعداد في أولاد (برهما) و (مهاديو) مؤسسي شرائع الانسانية وواضعي قوانين المدنية .

وأما المدارس التي تمنين علينا بتأسيسها فلم تكن لمصلحة تعود علينا اذ لو كانت لذلك لاحتوت على العلوم والفنون والصنائع مع أنها لم تنشأ إلا لتعليم اللغة الانجليزية المتعجرفة الخشنة لابناء اللغة (السنسكريتية) اللغة المقدسة السماوية حتى تستعمليهم في ادارة مصالحك في تلك الممالك الشاسعة .

وأما دعواك رفع ظلم النوابين وقهر الراجوات عنا، فما يضحك الثكلى ؛ ويبكي المستيئس الذي جاءته البشرى ، فان الظلم إذ ذاك كان قاصراً على البعض

المهمة وعدم تمكنه من إسعافهم — شرها شهويا محتجا بأنه بشرهه وانصبابه الى الشهوة يؤدي حق الطبيعة — فخوراً برتب وشؤون ساعده على نيلها البخت والصدفة بدون استحقاق مع أنه ما أدى حقها ساعة من دهره مرضيا نفسه في ذلك بكلمة «العبد العاجز» أو (إفتخار أولمسون) (١) متكبراً يظن أنه وقور من الواجبات عليه إقامة الحجاب على بابه، والذائدين عن أعتابه، قياما بحق رتبته ولازم شأنه — مرتشيا يقنع نفسه بأن ما يأخذه حق تبيح له الشريعة أخذه إما لانه جعالة على عمله أو هدية من صديق — مهملا في المصالح العامة متهاونا فيها معتذراً بأنه من آحاد الناس ليس في طوعه تقويمها. وما من مساعد يعاضده عليها. وقد أدى الواجب على شخصه — مستبداً برأيه معتقداً أنه قد بلغ من العقل والدراية الى حد تنحط دونه جميع أفكار العالم ويقصر عن إدراك غايته مدى أنظارهم، مع أنه أعمى البصر والبصيرة لا يرى ما تحت قدميه — مقدما للمفضول على الفاضل مستنداً الى سلامة قلب ذلك المفضول ولين عريكته وطلاقة وجهه. أي أنه (يهزله القاووق) وفي رواية (يمسح له جوخ) وأنه (سطري لجنابه العالي) (١) — رافعاً الى أسنى المراتب من لا يليق لادناها حاسبا نفسه طبيبا روحانياً خبيراً بأخلاق العالم وطبائعهم حكيما لا ينظر في أعماله إلا الى المصالح العامة — غضوبا سريع العقوبة يحسبها سياسة وتدبيراً مدنيا — سفيها بذيئا يرى أن الناس لا يستحقون سوى قبيح فعله وفحش قوله ولا يدركون مزية الآداب، ولا يقدرون الاديب حق قدره — خائنا لوطنه ساعيا في خرابه وإذلال أهله (كأفيا لتيس اليوناني) ويعد نفسه في ذلك مجبوراً ملجأ — طالبا الاستعباد متشبثاً بأن الحرية لا تليق بالاهالي لعدم استعدادهم لها، بل إنها مما يوجب فسادهم لو نالوها — آيسا من صلاح العالم اذ يراهم لنقص قريحته ناقصي الاستعداد فاقدي القابلية، ويزعم أنه لو كان لهم نوع من التهيؤ للاصلاح لاتمه لهم بسعيه واجتهاده

ومن أغرب آثارها ان المتخلق بها مع كونه متصفا بأرذل الاخلاق وأشنع الخصال يعمى عن أنه متصف بها — مثلا يكون قسي القلب ويعتقد نفسه رحيما

---

(١) كان السيد رحمه الله يملي وقلما كتب بيده مقالا وكان تلاميذه كالاقاني وأديب اسحق يكتبون كل ما يقوله حتى الكلام والامثال العامية التي يمزج بها الكلام عادة كهذه الجمل والموضعين وكان دائما في مناظري الحكام من الترك ولكن ابرهم الاستاذ الامام كان يتصرف في العبارة ويحذف له ذلك السيد

ودقق النظر في شؤون العقلاء والحكماء وذوي الآراء والمذاهب الذين يعتقدون أن الحق واحد في نفس الامر والواقع لا يتعدد كيف أنهم بعد اتفاقهم على أن القواعد المنطقية هي ميزان النظر وبها يعرف صحيح الفكر من فاسده قد انتهج كل واحد منهم منهجا واتخذ مشربا يناقض به الآخر ويعتقد أن دلائله المؤدية اليه هي المنطبقة على ذلك الميزان وان لا انطباق لدلائل غيره عليه

وارجع البصر الى احوال السارقين والقاتلين ونحوهم من مرتكبي الفواحش والشناعات في العالم الانساني ترى أنه لا يصدر عمل من هذه الاعمال المجمع على قبحها من فاعلها الا بسبب هذه الخلة الذاتية، أعني اعتقاده كمال نفسه والنظر الى أعماله بعين الرضى — ضرورة أن الفعل انما يكون بعد الارادة التي لا تكون الا بعد ترجيح الفعل على الترك ورؤيته خيراً منه وهو عين الرضى به

ومن غرائب آثار هذه الخلة ابرازها الحقيقة واحدة بصور مختلفة في انظار شخص واحد على اختلاف مراتبه وشؤونه، فانك ترى زيداً من الناس مثلا وهو في رتبة دانية رؤوفا بالفقراء، رحيما بالضعفاء، شفيقا على المظلومين، ذاما للبخل والشح، مادحا للكرم والسخاء، مهتما بقضاء حوائج ذوي الحاجات، مدعيا للعفة، كارها للانكباب على الشهوة، مستهزئا بذوي التكاثر والتفاخر، مبغضا للكبرياء، متنفرا عن الارتشاء، مشمئزا من الاهمال في المصالح العامة والتهاون في الواجبات، مستهينا بالمستبدين بآرائهم، المعجبين بأقوالهم وأفعالهم، مستقبحا تقديم المفضول على الفاضل لغرض يعود على ذاته، مستبشعاً لاعطاء المراتب لغير أهلها وحرمان مستحقيها منها، لائما على الغضب وإسراع العقوبة، مستفحشا للسفاهة والبذاء، محبا للوطن، محاميا عن الحرية، زاعما أنه لو آل الامر اليه لقام بصلاح العالم.

وإذا ارتقى الى رتبة سامية تجده قسي القلب على الفقراء زاعما أن التكفف صناعة اتخذها أرباب السفالة والبطالة هربا من عناء الكسب — جافي الطبع على المظلومين مستدلا بأن المتظلمين أولو مكر ودهاء (اورياء) يعلنون خلاف مايسرون ويستترون تحت حجاب المسكنة والالتجاء للتغلب على حقوق غيرهم — بخيلا شحيحا متمسكا في ذلك بأن من مقتضيات الحزم أن تحرز الاموال وتودع المخازن لوقت اللزوم أو (إن الكرم والسخاء قبيحان عند السويليين من الافرنج)— متوانيا في الاخذ بيد المحتاجين متعللا بتراكم الاعمال عليه في وظيفة.

وهذا الذي ذكرناه هو العلاج الحقيقي والوسيلة العظمى لوقوف كل عند حده ، وسعي كل لاستكمال نفسه ، اللذين هما مدار السعادة .

ولسنا نذم حب الذات بجميع أنواعه فان منه ما قد يعود بسعادة ما على طائفة من الطوائف أو امة من الامم وهو حب الذات الداعي الى طلب المحمدة الحقة (١) وهو الذي يرتقي بصاحبه الى توجيه افكاره وأعماله نحو المصالح العمومية بدون أن يطلب في ذلك شيئا سوى الحمد وخلود الذكر، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

كتاب الخلافة الاسلامية

مؤلفه باللغة الاوردية
مولانا أبو الكلام محيي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

مترجمه بالعربية
الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى * وسلام على عباده الذين اصطفى

باب

(الخلافة)

« الخلافة » مصدر من خلف يخلف خلافة ، ومنها « الخليفة » من قولك «خلف فلان فلانا في هذا الامر، اذا قام مقامه فيه بعده » (ابن فارس) « فالخليفة » هو الذي يخلف من قبله ويقوم مقامه إما بموته أو عزله أو غيبته أو نصبه إياه في منصبه وسلطته — وفي مفردات الامام الراغب الاصفهاني « الخلافة — النيابة عن الغير ، إما بغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف » « ص ١٥٥ »

وهذه الكلمة أيضاً من تلك المختارات اللغوية التى اختارها القرآن الحكيم ، فنقلها من معانيها اللغوية الى المعاني المصطلحة الشرعية « كالايمان والغيب والتقدير والبعث والصلاة » وغيرها من الكلمات التى انتقاها من اللغة لمعنى خاص به — فكلمة « الايمان » مثلا تستعمل في اللغة لليقين

١ الحق مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والجمع

ومتكبراً ويرى نفسه متواضعا . وهكذا باقي الخصال مع أنه لو تلبس غيره بأدنى رذيلة لادركها وشد عليه النكير فيها . حتى انك ترى كل واحد «كأنه» قد جعل على احدى عينيه نظارة معظمة (ميكرسكوب) ليقف على دقائق معايب معاشريه وعلى الاخرى نظارة رصدية (تلسكوب) لئلا يفوته أعمال البعداء عنه ، وعلى احدى اذنيه موصلة الصوت (تليفون) لاستراق اخبار الناس كيلا يعزب عنه شيء من نقائصهم ، وعلى الاخرى حافظة الصوت (فنوكراف) ليستحفظ قبائحهم لئلا يغيب عنه شيء منها ويقتدر على استحضارها وقت الحاجة عند ما يتحرك دولاب حقده وحسده ، مع أن أقرب الاشياء اليه نفسه وهو لا يرى شيئا من معايبها ، فهو اعمى حديد البصر وأصم قوي السمع ،

فتعسا لها من خلة قضت على نوع الانسان بالاختلال وسوء الحال ، وآذنته بالشقاء والعناء ، وأوقعت الخبط في الاعمال والخلط في الاقوال ، ولبست الحق بالباطل والزائف بالصافي والجيد بالرديء ، وحسنت القبيح وقبحت الحسن ، وأبرزت المعوج مستقيما والمستقيم معوجا .

ومن نظر بعين الحق وسبر الحقائق بنور البصيرة لا يجد لهذه الخلة أعني (اعتقاد كل كمال نفسه ونظره الى اعماله بعين الرضى) علة وسببا سوى حب الذات الذي هو غشاوة على عين العقل تمنعه من استطلاع الحقائق على ما هي عليه ، ووقوفه عند حد الصواب في سير الافكار ، بل هو متغلب على جميع الاحساسات النفسانية وحاكم على كلها بالتغيير . بل لا يختص حكمه بها اذ يتعدى الى الاحساسات الطبيعية أيضا . فانك ترى مشوه الوجه مختل الخلقة رث الثياب الذي قد تجسدت عليه الأدران والاقذار اذا نظر الى صورته بهذه الصفة الرديئة في مرآة مثلا لا يشمئز ولا يستنكر ، واذا وقع بصره على من بلواه في ذلك أخف من بلواه انفعلت نفسه واستنفر واستبشع .

وهذا الوصف أعني حب الذات الذي هو علة الشقاء والعناء من الاوصاف اللازمة لذات الانسان ما دام موجودا فلا ينفك الانسان عنه ولا هو يزايله ، فاذن لا حيلة ولا خلاص من بلاياه ونكباته الا باستعمال الانسان عقله ورجوعه اليه في جميع اموره ، والخروج من ربقة عبودية سلطان حب الذات ورفض احكامه ، وذلك أن يحكم على نفسه بما يراها عليه في مرآة غيره لا في مرآة نفسه (ما أجملك أيها الانسان المعجب في مرآة نفسك وما أقبحك في مرآة غيرك) .

« وهو الذي جعلكم خلائف الارض « ٦ : ١٦٧ » و يستخلف ربي قوماً غيركم « ١١ : ٥٧ » ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ؟ « ١٠ : ١٤ » واذكروا إذ جعلكم خلفاء بعد قوم نوح « ٧ : ٦٨ » ياداود ! إنا جعلناك خليفة في الارض « ٣٨ : ٢٦ » —

وعبر عن هذه الخلافة «بوراثة الارض» فقال تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون » (٢١ : ١٠٥) وأيضاً «بالتمكن في الارض » وهو استفحال القوة وكمال العظمة الذي ناله فتى اسرائيلي في ارض الفراعنة بعد أن بيع فيها عبداً ، ثم وصل الى عرش الحكومة وتاج الملك بعدله الحق وسيره القويم « وكذلك مكنا ليوسف في الارض » ١٢ : ٥٦

وقد وعد الله به سبحانه المسلمين فقال « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور » ٢٢:٤٣

وثبت أيضا من هذه الآية ان الله تعالى انما يريد من التمكن في الارض أن تقام عبادته فيها ويعم الصلاح والصدق والهداية فيها ويصد الانسان العنود عن غيه وعمل المنكر —

وعبر في الآية الاخرى عن التمكين في الارض « بالخلافة» فقال تعالى :
« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٢٤ : ٥٥)

نزلت هذه الآية العظيمة بعد هجرة رسول الله (صلعم) وأصحابه الى المدينة ، وكانوا فيها خائفين من الكفار ومحاطين بالاعداء من كل جهة، يصبحون في السلاح ويمسون في السلاح ، فضجر منهم رجل من هذه الحالة وقال « ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح » فبشرهم الله بهذه الآية أن لا يهنوا ولا يحزنوا ، فانه لا يضيع اجر ايمانهم وحسن صنيعهم. فسينالونه باذنه، ويأمنون أعداءهم . فيذهب الخوف ويحل محله الامن ، ويصيرون ملوكا وسلاطين . فيكون الامر أمرهم ، والكلمة كلمتهم ، واكبر من ذلك كله ان خلافة الله ستنتقل اليهم فيرثونها وتطمئن قلوبهم بها (ذكره الطبري بالمعنى في تفسيره عن ابي العالية (ج ١٨ ص ١٠٩)

والطمانينة وزوال الخوف والشك — ولكن القرآن يستعملها في يقين أخص من الاول ، يصحبه اقرار باللسان وعمل بالجوارح ، فصارت اصطلاحا خاصا ، دالة على معنى خاص به دون دلالتها في اللغة —

وكذلك كلمة « الخلافة » كان معناها عاما في اللغة ، فوضعها القرآن لمعنى أخص من الاول ، واستعملها (وكذلك الاستخلاف في الارض ، ووراثتها والتمكين فيها) في العظمة القومية والرآسة الملية ، والحكومة العامة والسلطة التامة على الارض ومن فيها من الامم والشعوب . ويعدها اكبر منة وجزاء من الله سبحانه تناله الامم في هذه الحياة الدنيا على ايمانها وحسن عملها — أما المراد من هذه الخلافة فهو أن تقوم في الارض امة وحكومة تأخذ على عاتقها هداية النوع البشري وسعادته ، وتنشر لواء القسط الالهي ، وتمحق الظلم والجور والضلال والطغيان حتى لا تذر له اثرا على وجه البسيطة ، وتمد رواق الامن والسكينة والراحة والطمأنينة على العالم بأسره ، وتقيم ناموس العدل الالهي الذي يسميه القرآن « بالصراط المستقيم » الذي هو نافذ من الارض الى السموات العلى ، ومن ذرات الرمل في الصحراء الى الشمس والقمر والنجوم وما هو تحت الثرى — فتقيم ذلك الناموس في مشارق الارض ومغاربها وتنفذه في جميع بقاعها ونواحيها حتى تصبح الكرة الارضية جنة ودار قرار ، وتكون السعادة ضاربة فيها بأطنابها ، والامنية باسطة جناحيها من فوقها !

وإنما أطلق لفظ الخلافة على هذه الخلافة المصطلحة ، لان أول أمة وأول فرد لما قام في الارض باعباء الخلافة ، كان نائباً عن الله في اقامة عدله ، ثم الذين جاؤا بعد تلك الامة وذلك الفرد كانوا نائبين عنهم في هذا الامر ، حتى ظهر الاسلام وقامت الامة الاسلامية ، فانتقلت الخلافة الارضية الالهية اليها ، فكان اول خليفة من هذه السلسلة المباركة صاحب الشرع المتين ، ورسول رب العالمين ، محمد صلى الله عليه وسلم — فكان خليفة الله العظيم مباشرة — ثم الذين استووا بعده على منصة الحكومة الاسلامية المركزية ، كانوا خلفاء هذا الخليفة الالهي والنائبين عنه في الدنيا ، فلهذا سموا « الخلفاء » ولا يزالون يسمون به الى الآن —

وقد تقلبت خلافة الارض ووراثتها في أمم كثيرة ، قامت كل واحدة منها في نوبتها بخدمة دين الله الحق — وقد ذكرت هذه الخلافة في الآيات الآتية :

﴿ الخلافة النبوية الخاصة ، والخلافة الملكية ﴾

انصبغت الخلافة الاسلامية بعد النبي عليه الصلاة والسلام بصبغتين مختلفتين ، وظهرت بمظهرين متباينين ، وكان عليه السلام قد أخبر عنهما ، ورفع الستار عن خصائصهما ، والاحاديث التي وردت في هذا الباب تكاد أن تكون متواترة لكثرة طرقها وشهرة متونها — فخلافة الخلفاء الراشدين المهديين كانت مصبوغة بصبغة الرسالة ، وسائرة على منهاج النبوة ، فكانت خلافة الرسول حقا ، والخلفاء الراشدون خلفاءه حقا — لا في منصة الحكم والسلطان فقط، بل في جميع اعماله وهديه — فكانوا مثله دعاة الدين، هداة الامم، قضاة الشرع، قادة الشعوب، ساسة البلاد ، قواد الجيوش ، أخوة الحروب، رايات الامن، قد اجتمعت في شخص كل واحد منهم صفات كثيرة مما كان مجتمعاً في شخص سلفهم وهاديهم (صلعم) فكانوا خلفاءه وحاملي شرعه ، بل حلقة من حلقات عهد الرسالة ، وبركة من بركات زمن النبوة، حكومتهم حكومة اسلامية محضة، ونموذج كامل للنظام الاسلامي، فكانت «حكومة جمهورية» قائمة على اساس الشورى بالمعنى الصحيح ـ غير أنها لم تدم كثيراً ، بل ماتت بموت علي عليه السلام ودفنت معه في ارض الكوفة

ثم ظهرت بعد هذه الخلافة الراشدة ، خلافة في حلة غير حلة اختها منحرفة عن منهاج النبوة ، منقطعة عن مسلك الرسالة، فكانت حكومة دنيوية وملكا عضوضا، وذلك عند ما فشت البدع العجمية ، وامتزجت بالمدنية الاسلامية العربية ، وولدت جراثيم الفساد في فضاء العالم الاسلامي ، فهذه الخلافة ـ وان كانت كل حلقة منها أشبه بالخلافة الراشدة من التي جاءت بعدها ـ لم تكن في مجموعها من محاسن الخلافة الراشدة في شيء . ولذا سميت الاولى على لسان النبي (صلعم) «بالخلافة» لغلبة الهداية والصلاح عليها . والثانية «بالملك العضوض» لظهور الاستبداد والقهر فيها ـ فقال صلعم « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك» (١) وفي حديث ابي هريرة « الخلافة بالمدينة والملك بالشام» (٢) واخبر في حديث آخر بأن هنالك ثلاثة ادوار : عهد نبوة ورحمة ـ عهد خلافة ورحمة ـ عهد ملك وسلطان (٣) فانتهى الدور الاول بالنبي صلعم ـ

«١» رواه احمد والترمذي وابو يعلى وابن حبان عن سفينة بسند صحيح، وفي رواية «ثم تكون ملكا عضوضا» «٢» رواه البخاري في تاريخه والحاكم بسند صحيح

وقد تضمنت هذه الآية أن مراد القرآن الحكيم « بالخلافة » انما هو « خلافة الارض » أي الحكومة والسلطان فيها — فاذاً لا بد للخليفة الاسلامي من أن يكون صاحب الامر والنهي والحكومة التامة ، لانه ليس كبابا المسيحيين وبطاركتهم فأولئك سلطتهم روحية وهي خضوع القلوب وانحناء الرؤوس امامهم — بل هو حاكم وسلطان بالمعنى الحقيقي — الا أن سلطته يجب أن تكون تحت الشريعة الالهية ، وليس له حق التشريع البتة (١) ولا أعطته الشريعة سلطة دينية روحانية كما أعطت المسيحية للبابوات ، لانها تعد كل سلطة لغير الله ورسوله شركا به وكفراً تمقته أشد المقت وتمحقه من أول ظهوره(٢) قال الله سبحانه « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٩ : ٣٢) وقال « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (٣ : ٧٩)

هذا ـ وقد وفى الله تعالى للمسلمين وعده بالخلافة ، كما وفى جميع وعوده وعهوده . فلم يمض بضع سنين والرسول بين أظهرهم . الا وأصبحت جزيرة العرب في قبضة يدهم ، وشوهدت جيوشهم خارجة من أسوار المدينة لمقاومة الروم اعداء دينهم ، وسبقت خلافة الارض اليهم بعد أن نزعت من غيرهم ، فكان اول خليفة منهم هو حامل الشريعة الغراء بنفسه صلى الله عليه وسلم — ثم الذين قاموا في مقامه من بعده كانوا خلفاءه — وقد أوضح النبي (صلعم) بتسميتهم « خلفاء » أنهم ينوبون عنه بعده ، فقال للمسلمين « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » (رواه ابن ماجه عن العرباض ابن سارية) ولذا سمي ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما خلفه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الشارع في دين الاسلام هو الله تعالى ويطلق اللقب على النبي « ص » باعتبار التبليغ وقال بعض العلماء ان الله تعالى اذن له ان يشرع والجمهور على ان كل ماثبت في السنة من الاحكام الشرعية فهو اما استنباط من القرآن واما وحي غيره فان الوحي لا ينحصر فيه . والتحقيق ان هذا التفصيل خاص بالاحكام الدينية كالعبادات واما الامور المدنية والسياسية والحربية فقد كان « ص » يحكم فيها ويسن برأيه واجتهاده ومشاورة أولي الامر من هؤلاء المسلمين وزعمائهم بالمكانة والرأي وجمهور الامة وقد اذن له تعالى بهذا ولأولي الامر بعده بالتبع له كما حققناه بالتفصيل في تفسير (٤ : ٥٩ اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وهذا يسمى تشريعا في عرف علماء الحقوق وواضعي القوانين ، وبه يبطل قول الجاهلين بشرعنا انه شرع جامد لا ينطبق على كل زمان

(٢) الكاثوليك من النصارى يقولون بأن من حق البابا ان يكون حاكما سياسيا مدنيا أيضا

«والله متم نوره» الخ «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»(١) ولذا لا يزال قلب المؤمن قويا برجاء الله ، مملوءاً باليقين، لم يخالطه ريب ، ولا دخله زيغ، ولا صادفه قنوط ويأس — حتى في هذا الزمان الذي انصبت فيه على المسلمين المصائب ونزلت بهم النوازل وزلزلوا فيه زلزالا شديدا — بل كلما ازدادت العواصف شدة ، والليل ظلمة ، والارض عداوة ، يزداد المؤمن رجاء ويقينا ، ويبصر بعينيه نور الصبح الجميل من بين هاتيك الظلمات والغيوم والعواصف — ولسان حاله يقول «إن موعدهم الصبح ،اليس الصبح بقريب؟ »

﴿ فصل ﴾

﴿ عهد الاجتماع والائتلاف * ودور التشتت والانتشار ﴾

قبل ان نخوض غمار هذا البحث نتكلم في هذا الفصل على كلمتين مصطلحتين زيادة في الايضاح وتفصيلا للبيان — فنقول :

« الاجتماع والائتلاف » كلمتان خفيتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان، فيهما سر حياة الامم ومماتها. نهوضها وهبوطها .سعادتها وشقوتها ـ «فالاجتماع» من الجمع وهو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض (مفردات ص ٩٥) ويقرب منه « الائتلاف » من الالف اجتماع مع التئام « والمؤلف ما جمع من اجزاء مختلفة ورتب ترتيباً فقدم فيه ما حقه ان يقدم واخر فيه ما حقه ان يؤخر» (مفردات ص ١٩) اما « عهد الاجتماع والائتلاف » فهو ذلك العهد الذي تجتمع فيه القوى الاجتماعية الفعالة في مكان واحد ، في نقطة واحدة ، في سلسلة واحدة، في ذات واحدة ،وفي يد واحدة ،بترتيب طبيعي لائق بها . فتصبح كل المواد والقوى والاعمال الاجتماعية وافراد الامة متماسكة متشابكة . حتى لا ترى فيها خللا ولا خرقا ولا فتقا . بل تجدها كلها كحلقات السلسلة التي التحم بعضها مع بعض فأضحت شيئاً واحداً ـ

فدور الاجتماع والائتلاف اذا جاء على المادة ظهر فيها الخلق واستمدت للحياة . وعبر القرآن عن هذا « بالتخليق ~~والخلق~~ والتسوية » فقال « الذي خلق فسوى» (٨٧ : ٢) فالوجود والحياة ليس الا اجتماع اجزاء المادة مؤتلفة .

(١) كان شيخنا الاستاذ الامام يقول ان هذا الوعد لما يتم ولا بد من تمامه بظهور الاسلام على سائر الاديان في أوربة وأمريكة والشرق الاقصى

والثاني بعلي عليه السلام كما مرّ - وقد كان هذا الدور بالحقيقة ذيلا للاول وجزءاً لازما له كما هو سنة الله في دعوة الاديان وتوثيق عرى الشرائع حيث يجعل الله لكل نبي خلفاء يقومون بعده بدعوته ، ويوطدون دعائم شريعته - ثم جاء بعد هذا وذاك الدور الثالث ، دور حكومة وملك عضوض ، وهو باق على حاله الى الآن - ولم يكن الصحابة يجهلون هذا الدور ولا يستبعدونه بل كانوا يعرفونه وينتظرون مجيئه لاخبار النبي صلعم اياهم به -

وقد كان هذا الدور اكبر مصيبة ابتليت بها الامة ، فبعد أن كانت ترتع في رياض النبوة ، وتجني ثمار الخلافة الراشدة آمنة مطمئنة ، اذ نعق ناعق الشر بينها ، وقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان بين يديها ، فتقاص ظل هدي النبوة شيئا فشيئا ، وذهبت بركاتها واحدة تلو واحدة ، وأخرجت البدع رءوسها ، وزحفت الفتن بخيلها ورجلها ، فأحاطت بها من كل جوانبها ، فكلما ابتعدت الامة عن عهد الرسالة حرمت نصيبا من بركاته وبركات الخلافة الراشدة - ولم يكن حرمانها محصورا في امر الامامة العظمى والخلافة الكبرى فقط ، بل تعداها الى غيرها ، فتغلغلت جراثيم الفساد في هيكلها الاجتماعي فزعزت نظامها وقوامها ، ثم سرت الى حياتها الشخصية فأفسدت عقائدها وعواطفها ، ونفثت في أعمالها سمومها ، فغيرت من صغيرها وكبيرها - ولم تكن فتنة واحدة أو فتنا قليلة محصورة فيسهل اتقاؤها ، بل سالت سيول من الفتن دهمت المسلمين بغتة فماجت عليهم أمواجها ، وثقلت عليهم وطأتها . فكانت كما قال أعلم الصحابة بالفتن حذيفة رضي الله عنه « تموج كموج البحر » وبين لهم انه ليس بينها وبينهم سد الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنه متى سقط هذا السد المنيع طغت تلك السيول الجارفة وبغت فلم يقدر احد على صدها ، فما زالت حتى أخذت الخلافة النبوية في تيارها وحطمتها وتركتها اثرا بعد عين -

نعم وقع ما وقع ، الا ان الامة المسلمة قد بشرت على لسان نبيها بأنها سترى في آخر أيامها دور نجاح وفلاح ، فتقر به عينها وينشرح صدرها وتصلح أمورها حتى «لا يدرى أولها خير أم آخرها» (١) ويتم فيه نور الله

---

(١) اشارة الى حديث « امتي امة مباركة لايدري اولها خيراو آخرها » رواه ابن عساكر عن عمرو بن عثمان مرسلا وسنده حسن

الاجتماعية ، فانها اذا مستها لا تبقي عليها ولا تذر - فقال تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٣ : ١٠٣) ثم يخبر بأن الحياة الاجتماعية في الامم ليست من تدبير البشر(١) ، فمهما بلغ الانسان من القوة والعظمة والعقل ، لا يقدر على أن يكون أمة ، بل هو الله الواحد القادر يجمع الاشتات فيؤلف بينها ويسلكها في نظام واحد فقال « لو أنفقت ما في الارض جميعاً ، ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » (٨ : ٦٤)

وأخبر القرآن أيضاً بأن أول ثمرة تثمرها الشريعة الالهية وأعظم بركة تجود بها على النوع الانساني في الدنيا هي « الاجتماع والائتلاف » وكرر مرة بعد أخرى ان التفرق والتشتت والانتشار لا يجتمع مع الدين أبداً. وأنه عاقبة الاعراض عن الله وعصيانه والبغي عليه . فقال « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم (٢ : ٢١٢) وما اختلفوا حتى جاءهم العلم » (١٠ : ٩٣) وآتيناهم بينات من الامر . فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (٤٥ : ١٦)

ولذلك جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام والحياة الاسلامية في الجماعة وعد الخروج عنها من الجاهلية . والحياة الجاهلية. فقال «من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية» (كما ستراه مفصلا ان شاء الله) وأمر المسلمين أمراً مؤكداً بالتزام الجماعة في كل حال . وبطاعة الامير سواء كان برا أو فاجرا . اهلا للامارة أو غير اهل . عادلا في حكمه أو ظالما . كيفما كانت سيرته ومهما فسدت طريقته يجب عليهم طاعته . ولا يجوز لهم الخروج عليه . الا أن يمرق من الدين جهارا أو يترك الصلاة فحينئذ لا طاعة له عليهم(٢) - وأخبر أن كل من تنكب عن الجماعة

(١) ليس المراد أنه لا ينبغي لزعماء الشعوب والاقوام المتفرقة ان يسعوا الى تكوينها وجعلها امة عزيزة لعجز البشر عن ذلك بل المراد ان هذا التكوين للامم قد جعل بسنة الله تعالى في الاجتماع اثرا وغاية لاعمال اطوار كثيرة بعضها من كسب الافراد وبعضها ليس من كسبهم فلا تقع بتدبيرهم ولكن عليهم ان يعملوا ما في طاقتهم من وسائلها ويكلوا الى عناية الله تعالى إنجاح سعيهم وإتمام عملهم

(٢) انما الطاعة في المعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما صح في الحديث وأجمع عليه المسلمون. وصرح الخلفاء الراشدون على منبر الرسول (ص) =

وكذلك الموت والفناء ليس الا تفرقها وتشتتها - واذا جاء على الاعمال سماه علماء الاخلاق « بالخير » وسمته الشريعة « بالعمل الصالح والحسنات » واذا جاء على الجسم سماه علم الطب « بالصحة » وقال الطبيب « هذه حياة » ثم اذا جاء على القوى والاعمال الاجتماعية القومية سمي « بالحياة الملية الاجتماعية » وكان موجباً لنبوغ الامة ونفوذها وسلطانها - فالعبارات مختلفة كثيرة . والحقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتبدل . ولا غرو فان الله الحكيم واحد منفرد . وحكمته واحدة . وناموسه واحد - ولنعم ما قيل :

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذلك الجمال يشير

وضد الاجتماع والائتلاف « التشتت والانتشار » فالتشتت من « الشتات » ومعناه في اللغة التفرق يقال شت جمعهم شتاً وشتاتاً . وجاؤا أشتاتاً اي متفرقي النظام (مفردات ص ٢٥٦) وفي القرآن « يومئذ يصدر الناس اشتاتاً (٩٩ : ٦) من نبات شتى (٢٠ : ٥٣) وقلوبهم شتى » (٥٩ : ١٤) اي مختلفة - « والانتشار » من النشر وهو ايضاً التفرق والبسط كما في القرآن « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا » اي تفرقوا -

واما دور « التشتت والانتشار » فهو ان تتفرق المواد والقوى والاعمال والافراد . فيصير كل شيء على ضد ما كان عليه في عهد الاجتماع - فاذا عرضت هذه الحالة للمادة قيل « فساد وانحلال » وللجسم قيل « مرض وداء ثم موت » وللاعمال قيل في تعبير القرآن « عمل السوء والعصيان والفسق والاجرام » وللامم قيل « الموت الملي . والموت الاجتماعي » فتصبح الامة في هذا الدور في هبوط بعد الصعود وذلة بعد العزة ، وضعف بعد القوة . وعبودية بعد الحرية والسيادة ، ثم تسير الى الموت والهلاك بعد ان كانت صحيحة قوية حية ، فياله من بلاء ليس فوقه بلاء والعياذ بالله !

ولذلك تجد القرآن ينبه مرة بعد مرة على أن « الاجتماع والائتلاف » الاساس الاكبر لحياة الامم ، ويعده اكبر نعمة من الله سبحانه على البشر ، ويعبر عنه بالعبارات العظيمة الشأن « كالاعتصام بحبل الله » وغيره ، ويقول للامة « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا » ثم يخبر بعد هذا بان لا حياة مع التشتت والانتشار ، فانه نار موقدة تحرق كل شيء يقربها ولاسيما شجرة الحياة

الجماعة في كل حال ، حتى أنها لا تترك لفقدان الامام الاهل للجماعة ، بل يداوم عليها مع السعي في نصب الاهل لقوله صلعم « صلوا خلف كل بر وفاجر » (١)

ولذلك نرى سورة الفاتحة التي هي دعاء اجتماعي للمؤمنين عامة يدعو بها كل واحد منهم على حدته استعملت فيها صيغ الجمع لا الواحد — فقال « اهدنا الصراط المستقيم » ولم يقل « اهدني » وذلك لان القرآن كما قلنا من قبل لا يرى للفرد حياة قائمة بالذات، بل الحياة عنده للجماعة فقط ـ وما الافراد وأعمالهم في نظره الا لان تتكون منهم ومنها الهيئة الاجتماعية ، فلهذا عبر بصيغ الجمع في هـذا الدعاء الذي هو حاصل الايمان ، وزبدة القرآن ، ومخ الاسلام ـ وكذلك جعل الدعاء الذي يدعو به كل مسلم لاخيه لما يلقاه « السلام عليكم » بالجمع لا « السلام عليك » وكذلك السلام حين الخروج من الصلاة ـ والعلة فيه أيضا ماذكرناه لا ما فهمه كثير من الناس ـ

وانك اذا أمعنت النظر ترى جميع أحكام الشريعة وأعمالها مبنية على هذا الاساس ـ أساس الاجتماع والائتلاف ـ وقد علمت ما في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين ، ومثلها الحج، فليس هو الا عبارة عن اجتماع المسلمين (على أحاديث شعائر الله)وكذلك الزكاة التي ماجعلت الا لقيام الهيئة الاجتماعية، فيؤخذ من رءوس أموال الافراد شيء معين ليصرف على الجماعة ، وطريقة أدائها أيضا اجتماعية فليس لكل أحد أن يصرف زكاته بمشيئته وارادته، بل عليه ان يؤديها الى الامام الذي له وحـده أن ينفقها في الامور العامة ويعين لها مصرفا من المصارف المنصوصة في الكتاب ـ لا كما يفعله الناس في الهند فينفق كل واحد زكاته بنفسه ـ نعم ليس في هذه البلاد التعسة امام ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نعمل لها نظاما مخصوصا كما عملنا للجمعة والعيدين ـ

ولعمر الله إن هذه الحقيقة واضحة لا غبار عليها تنجلي كالشمس لمن دقق النظر في الاحاديث النبوية التي تنص على أن المسلمين يجب أن يعيشوا عيشة واحدة ويحسبوا أنفسهم أبناء امة واحدة ـ فانظر مثلا حـديث مسلم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحـد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وحديث الصحيحين « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ثم شبك بين أصابعه فأوضح (صلعم) ان المسلمين ليسوا آجرا

(١) رواه البيهقي في سننه بسند ضعيف وله تتمة

شبرا فقد كب على وجهه في النار . وجعل زمامه بيد الشيطان، وقضى على نفسه بالخسران والهلاك — وذلك لان الجماعة كالسلسلة الفولاذية التي يعيي الاشداء كسرها .وآحاد الامة كالحلقات التي سلامة كل واحدة منها في سلسلتها. فانها ان انفصلت عنها صارت حلقة واحدة تكسر أو تلقى في الزبالة—

ولقد كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما يروي في خطبه « عليكم بالجماعة . فان الشيطان مع الفذ . وهو من الاثنين أبعد » وفي رواية « فان الشيطان مع الواحد » وقد ذكره في خطبته الشهيرة بالجابية التي رواها عبد العزيز بن دينار وعامر بن سعد وسليمان بن يسار وغيرهم — ونقل البيهقي أن الشافعي رضي الله عنه كان يستدل بهذا على صحة الاجماع — وورد في الحديث المتواتر بالمعنى « عليكم بالسواد الاعظم » وحديث « فانه من شذ . شذ في النار » وحديث « يد الله على الجماعة » وحديث لا يجمع الله امتي على الضلالة » وكما قال علي عليه السلام في خطبة له « اياكم والفرقة .فان الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب . الا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ، ولو كان تحت عمامتي هذه (١) ! » وغير هذا كثير من الاحاديث والآثار في هذا الباب —

فجملة القول ان المسلمين أمروا أمراً مؤكدا بأن يكونوا مع الجماعة أبدا ، لان من انقطع عنها انقطع في النار — ولان الافراد والآحاد المتفرقة لا حياة لهم بل انما هم للموت والفناء والهلاك ، وأما الامة الصالحة فحياتها باقية على وجه الدهر ، ولن تهلك أبدا — ولان يد الله مع الجماعة ، وهو لا يرضى أن تجتمع الامة بأسرها على الضلالة —

ولتعويد المسلمين على الحياة الاجتماعية (٢) أمرتهم الشريعة بالتزام صلاة

عطالبة المسلمين بتقويم زيغهم وعوجهم ، وانما يمتنع عند علماء أهل السنة الخروج على الامام الجائر اذا كان يخشى من الخروج عليه فتنة تفرق الامة وشق عصاها اضعف القائمين بذلك من الامة . واذا كان المؤلف قد وعد بتفصيل القول في المسألة فاننا منتظرون ما يجيء به فاما ان نقره واما ان نذيله بحاشية نبين فيها ما نرى انه الحق كما بيناه في المنار مرارا

(١) روي هذا في الروايات الاخرى مرفوعا — اه من حواشي الاصل

(٢) تقديم التعليل يفيد الحصر ولا حصر ففي صلاة الجماعة فوائد اخرى

ايقاع الشقاق والتفريق بين المسلمين .

لقيت البذور التي زرعها هذا اليهودي المتزيي بزي المسلمين تربية خصبة، وكانت ادارة عثمان بن عفان كساعد لنموها . فتمكن الرجل من تفريق المسلمين في أمر الخليفة وشق عصاهم فاذا هم فريقان يختصمون

ولم يكتف بذلك، بل تمسك بحبل الاستفادة من شعور الحب والاحترام في القلوب لاهل البيت النبوي الشريف، واستفاد من استخدام هذا الشعور العالي لمقاصده ، واتخذ الفجيعة بعلي المرتضى وولديه سبطي الرسول (عليهم السلام) ذريعة لدس الدسائس وتقسيم المسلمين الى شيع ، لانه كان يعلم أن العقائد الراسخة والتقاليد الموروثة والعادات لا تتبدل في الناس بسرعة بمجرد دخولهم في دين جديد مهما يكن واضحاً جلياً ومنطقياً معقولا ، كما كان يعلم أن الدين اذا دخل محيطاً غير محيطه الاصلي لابد أن يضم اليه أشياء كثيرة ويكتسب لوناً يوافق نظر أهل تلك البلاد . لذلك عزم على أن يستفيد من هذا الحال ليضرب الدين ضربة قاضية . فأخذ ينشر قواعد الدين الحنيف صابغاً اياها بصباغ عادات البلاد الموروثة . والناس كانت تستقبل ذلك بشوق وسرور

انتشر الاسلام في فارس ومصر وسورية واستولى عليها . وكان لاهالي هذه البلاد عقائد وعادات قديمة راسخة في القلوب . ومع قبول هؤلاء الناس للدين الاسلامي كانت عاداتهم لا تزال ذات السلطان الغالب عليهم . فسذاجة الدين الاسلامي وبساطته لم تكن كافية لتسكين نيران شوق السكان الاصليين لحب الفخفخة والمنجهية التي ورثوها عن آبائهم واجدادهم، ولذلك كانوا يتلقون أقاويل عبد الله بن سبأ كماء زلال تسرب الى قلوبهم المملوءة حرارة وشوقا الى المظاهر الفارغة . وكانوا يحرصون على إلباس الدين الحنيف كساء جديداً منسوجاً من خيوط عاداتهم واساطيرهم . وهذا الشوق من جملة اسباب دخول خرافات ايران ومصر القديمة والهند في الدين الحنيف

اول من تصدى لهدم دين مجوس الفرس وملكهم الكسروي أبو بكر الصديق الاعظم وتلاه الفاروق الاعظم فقضى على ذلك الاستقلال وجعل تلك الامة تابعة للعرب الذين كانت تحتقرهم، وتبع ذلك انتشار الاسلام فيهم . فساء هذا وذاك الذين ظلوا مستمسكين بدينهم ، ولا سيما أصحاب السلطتين الدينية والدنيوية منهم ، فكان منهم بالطبع من يندب استقلالهم . ويتربص الفرص

أو حجارة متفرقة بل هم جدار بل حصن مشيد يشد بعضه بعضا - ولا يذهبن عن بالك أن الامر بتسوية الصفوف في الصلاة ، انما هو لنفس هذه الحكمة - قال صلعم « لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم » (البخاري) وفي رواية السنن « سووا صفوفكم ، فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة » (البخاري) ومثله كثير من الآيات والاحاديث في هذا الباب، يحتاج في شرحها وبيان حقائقها الى مجلد ضخم ، وقد وفينا البحث حقه في تفسيرنا « البيان في مقاصد القرآن » فليراجعه من يشاء -

من الخرافات الى الحقيقة

—٢—

﴿ الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها ﴾

كان الواجب أن نبدأ بالفصل الاول والثاني حسب ترتيب الكتاب الذي هو مأخذنا . ولكن بعض الاسباب دعتنا الى تأخير ذينك الفصلين وتقديم هذا الفصل :

ان الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها كانت بيد رجل اسمه (عبدالله ابن سبأ) كان هذا الرجل يهوديا ثم أسلم ظاهراً ، وأعماله تدل على أنه كان يحمل حقدا شديدا للمسلمين . وكان يرمي الى غرض واحد هو تمزيق شمل (الوحدة) الاسلامية، وسلاحه القاطع نشر الخرافات الملائمة لطبائع المسلمين من غير العرب

ذهب هذا الرجل الى البصرة اذ كان عبدالله بن عامر عاملا (واليا) عليها وسمى نفسه باسم مستعار (ابن السوداء) وأخذ ينشر هناك آراء تلائم أهواء الذين دخلوا في الاسلام حديثاً . وعند ما بلغ خبره العامل (الوالي) استقدمه اليه وسأله عن شخصه وسبب مجيئه الى البصرة فقال «أنا رجل من أهل الكتاب أحببت السكنى في دار الاسلام تحت رعايتك» واذ لم يقنع الوالي هذا الجواب طرده من البصرة . فتزيا بزي مسلم مهتد وطفق يزرع بذور الفساد بين المسلمين الذين دخلوا في الاسلام حديثاً ولم ينسلخوا من تقاليدهم القديمة . ذهب أولا الى الكوفة ثم الى مصر والف جمعيات سرية لاجل القيام على الخليفة بقصد

آخر، وقد تلقاه الايرانيون بأحسن قبول لانه يشابه اعتقادهم أن (هرموز) موجب دين (زردشت) صعد الى السماء وسينزل يوما ما الى الارض. وبهذا الشكل جعل اليهود والنصارى والمجوس راضين مطمئنين! لانه أتاهم بشيء أنست به ارواحهم، ولطم الحنيفية لطمة لطخ بها جسمها الناصع البياض لطخة مباينة للونه الجميل فكانت هذه اول خرافة سرت الى اهل هذا الدين الحنيف

العوام غريبو الطبع يتبعون كل ناعق ويركضون خلف كل صوت بسهولة. لذلك تمكن هذا اليهودي (عبد الله بن سبأ) من تكوين حزب ديني وشيمة سميت (السبائية). واذكان افراد هذه الفرقة الي زالت ولم تزل خرافاتها يعتقدون أن الرعد صوت علي عليه السلام صار من شعائرهم أن يقولوا كلما تألق البرق بالتقاء الكهربائية الايجابية بالسلبية (السلام عليك ياامير المؤمنين)

الاسباب التي مهدت لظهور هذه الفرقة ثلاثة

(السبب الاول) سيرة عثمان ابن عفان رضي الله عنه في ارخاء العنان لمروان وكثرة استعماله لاقاربه ومحاباته لهم خلافا لما جرى عليه الخليفتان قبله، فبذلك كثر الناقمون الطالبون لتغيير الحال وقد قال الله تعالى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) فلو اتبعت هذه الآية الكريمة لما وجد عبدالله بن سبأ محلا خصبا لبذر بذوره.

(السبب الثاني) افتتح المسلمون بسيف الحق ومكارم الاخلاق بلاد الفرس والروم (مستعمرات الرومان) وكانت هاتان الدولتان في ذلك الوقت على غاية من الانحطاط وفساد الاخلاق وكان ابو بكر الصديق والفاروق رضي الله عنهما يبذلان الجهد لحفظ كرامة الاسلام ورفعته ونقائه ويحذران عليه من سريان امراض تينك الامتين الروحية والاجتماعية الى العرب، وناهيك بعناية الفاروق وحرصه على معالي الاخلاق والفضيلة والشرف فمتانته في الدين وصلابته في الحق وعدالته التامة بين الخلق كانت تجذب الى الاسلام فضلاء الامتين (الفرس والروم) كما يجذب المغناطيس الحديد. ومن سوء حظ الامم المنحطة أن يكون ابناؤها المتحلون بالفضائل خصوماً لها كما وقع في هاتين الامتين وغيرهما من الامم(١)

(١) المنار: هذه الكلمة منبعثة عن التعصب الجنسي من المؤلف وهي ليست حقا باطراد فما جرى عليه اهل الفضائل من تفضيل الصلاح والاصلاح الاسلامي وان جاءهم من غير أبناء جنسهم على فساد أقوامهم كان من حسن حظ أقوامهم لانهم =

لرفع السلطة العربية عنهم ، وكانوا يمقتون الفاروق مقتا شديدا لانه هو الذي فتح بلادهم وذهب بعزهم ومجدهم. في ذلك الوقت استفاد عبد الله بن سبأ من مجرى الاحوال كما استفاد في زمان ذي النورين وظهر بمظهر المدافع عن حقوق آل البيت ، نخدع بعض العرب ومهد الطريق أمام سياسي المجوس لاخذ الثأر والانتقام من العرب واعادة الاستقلال السياسي لبلادهم بحجة الانتصار لآل البيت .

وأما مقصد عبد الله بن سبأ فلم يكن الا تفريق المسلمين بجعلهم شيعتين متعاديتين تقاتل كل منهما الاخرى ، مستفيدا من شعور المسلمين معتمدا على أهواء الفرس، فاستفاد من احساس العرب ومن دهاء العجم .

بث أولا دعوة حصر الخلافة والامامة في علي وأولاده رضوان الله عليهم . ثم ادعى ألوهية علي حتى قال له (أنت الله) عندئذ نفاه كرم الله وجهه الى المدائن ولكنه ظل مثابرا على نشر دعوته

قلنا ان الذي بدأ بالمسألة الايرانية ابو بكر الصديق والذي ضرب الضربة القاضية عمر الفاروق . وفي زمان ذي النورين عام ٣١ هجرية قتل آخر ملوك ايران (يزدجرد) فكان هذا من دواعي تشيع عبد الله بن سبأ لعلي رضي الله عنه لاجل أن يشق عصا المسلمين ويفرق شمل العرب فيجعلهم فريقين مختصمين، ويوقع الشبهات في العقيدة الاسلامية الجامعة للكلمة ، ويجرىء المجوس من الفرس على أخذ ثارهم ومحاولة استعادة ملكهم

وبعد أن توفى الله أبا الحسنين طفق يقول « لم يمت علي وان الذي قتله ابن ملجم شيطان تمثل بصورة علي لان صهر النبي صعد الى السماء ! والرعد صوته والبرق لمعان سيفه ، وسينزل يوما الى الارض ويملأها عدلا »

وقد صدق كثير من العوام الجاهلين أقوال هذا اليهودي الماكر، لان دأبهم تصديق كل قائل واتباع كل ناعق، ولا سيما اذا كانت هذه الاقوال قريبة من تقاليدهم كما هو شأن اولئك الذين دخلوا الاسلام حديثا من النصارى واليهود والمجوس، فالقول بالوهية علي وربوبيته كالقول بربوبية عيسى والوهيته، والقول بنزول علي الى الارض لاجل اصلاحها يوافق اعتقاد النصارى (الذين ينتظرون نزول عيسى من الملكوت الى الارض ولا يبعد عن اعتقاد اليهود ظهور مسيح

(السبب الثالث) توسيد الامور السياسية التامة الى غير العرب من المسلمين فلو حصرت الحقوق السياسية — أي حق التدخل بأمر الادارة وتنفيذها — بالعرب لما حصل ما حصل، فان بعض الذين أسلموا لم يكن اسلامهم حقيقيا بل اتخذوا الاسلام سلاحا لجرح الاسلام، ثم كانوا أمهر من العرب بالدسائس السياسية فاستفادوا من صفاء قلوب العرب وكدروها كما شاؤوا بكل سهولة،

ألم تر الى الدول التي تغلب الشعوب على أمرها في هذا العصر لا تعطي مثل هذا الحق للمغلوبين البتة، أيتصور اليوم أن يدخل مجلس النواب الانكليزي أعضاء من فلسطين أو الهند ويكون لهم رأي في أمور الادارة والسياسة؟ ان رجال دول الاستعمار في هذا العصر يبعدون المغلوبين عن الوظائف العالية ادارية كانت أو سياسية أو عسكرية — لانهم درسوا التاريخ وعرفوا علة انحطاط من سبقهم من الامم. فاعتبروا بخطيئات المتقدمين (١)

---

(١) المنار : يظهر ان مؤلف الكتاب وهو من اخواننا الترك الذين ينظرون في تاريخ الاسلام بالعين التي ينظرون بها الى دول أوربة وشعوبها ولا يقدرون ما بينهما من الفارق حق قدره . ان أهل أوربة يقصدون من التغلب على الشعوب استخدامها لتوفير لذاتهم والاستعلاء عليها لمجرد التمتع بالعظمة والسلطان والكبرياء والعلو في الارض . وأما الاسلام فانه يحرم هذا كله ولم يقصد اهله العارفون به من فتح البلاد الا هداية اهلها الى الحق والعدل والفضيلة وانقاذهم من الشرك والخرافات والرذائل لا لجعلهم عبيداً للمسلمين بل ليكونوا مثلهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، ولو جرى العرب على الخطة التي يجري عليها الاوربيون اليوم خلافا لتعاليم الاسلام لما أمكن أن يستولوا في قرن واحد على سلطة اعظم من السلطة الرومانية التي اسسوها في بضعة قرون ولما غلبوا اعظم دول الارض — الفرس والروم — في بضع سنين وقد كانت الدولة الاموية ذات عصبية عربية فلم تقدر أن تثبت قرنا واحدا . نعم ان سياسة الفاروق كانت هي السياسة المثلى في محافظة العرب الفاتحين على آدابهم وعاداتهم التي كانت على وفق هداية الاسلام لئلا تفسدها التقاليد الأعجمية الفاسدة وكان ينبغي ان تكون بيدهم مقاليد الامور وألا يشركوا فيها الامن يوثق بصلاح حاله وعدم الخوف من سوء مآله. ولم يعمل الامويون ولا العباسيون بهذه القاعدة الراشدة فضاع الامر بين التفريط والافراط

وأول ما كان الفاروق يعتني به هو منع الامتزاج بين العنصرين الغالب والمغلوب كما يفعل الانكليز اليوم (٢)

ولكن عندما صار الامر الى عثمان النورين وحصل الشقاق بين بني هاشم وبين الامويين تمكنت عادات الفرس والروم «ايران وبيزانس» من التسرب الى المسلمين. وهذا ما جعل بذور عبدالله بن سبأ تنبت ثم تثبت في هذه القلوب، فبرجوع مروان الى المدينة وهو المطرود منها بأمر نبوي وجعله على رأس رجال الحل والعقد وتعيين اكثر الامويين ولاة واشتداد الخصام بين الامويين وبني هاشم أهملت أحكام الشرع الانور. وكانت شكايات الناس وتظلماتهم تصل الى عثمان رضي الله عنه بصورة مقلوبة لا يعرف بها حقيقتها، الى أن اشتد البأس ونفد الصبر فسفك الدم، أفكان صيبا نافعا يسقي بذور أعداء الاسلام.

= استفادوا من العرب هدى وصلاحا ولم يخسروا شيئا لان الاسلام لم يفضل العرب عليهم بشيء الا بحصر الخلافة في قريش. وقد عني بعض كتاب فرنسة الاحرار لو بقي العرب في بلادهم عند ما فتحوا بعضها وقال ان اخراجهم منها قد كان لسوء حظهم فلولاه لسبقوا سائر اوربة الى المدنية ببضعة قرون. وانما تصح هذه الكلمة في حالة استيلاء شعب على شعب آخر ليسخره في منافعه ويستغل بلاده بأيدي أهلها كما فعل الرومان بالامس ويفعل أخلافهم من الافرنج اليوم، ولكن اهل الفضائل في هذه الحالة لا يفضلون الاجنبي على قومهم وان كان يفوقهم في كثير من المزايا وانما يفضله طلاب المنافع بخدمته وهم من اهل الرذائل وان رفعتهم المناصب التي يخونون امتهم بقبولها من الاجنبي ثمناً لأوطانهم

(٢) من أصح الشواهد على هذا ما رواه مسلم في صحيحه مختصراً: كتب عمر (رض) الى قائد جيشه في بلاد العجم عتبة بن فرقد: ياعتبة! انه ليس من كدك ولا من كد ابيك ولا من كد امك فأشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك. واياكم والتنعم وزي اهل الشرك. ولبوس الحرير الخ وفي مسند ابي عوانة بسند صحيح أنه كتب اليه: «أما بعد فاتزروا وارتدوا وألقوا الخفاف والسراويلات وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل، واياكم والتنعم وزيّ الاعاجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب. وتمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وابرزوا وارموا الاغراض» قال النووي في شرح صحيح مسلم: ومقصود عمر رضي الله تعالى عنه حثهم على خشونة العيش وصلابتهم في ذلك ومحافظتهم على طريقة العرب في ذلك اه والتمعدد التشبه بمعد بن عدنان في ذلك

ثانيا — العلاقات الاجنبية

(٢) تتولى الشؤون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تحت ادارة وزير معين لذلك

(٣) يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى في مصر قومسيير عال يكون له في جميع الاوقات وبسبب مسؤولياته الخاصة مركز استثنائي ويكون له حق التقدم على ممثلي الدول الاخرى

(٤) يمثل الحكومة المصرية في لوندره وفي أية عاصمة أخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعي هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم لقب ومرتبة وزير

(٥) بالنظر للتعهدات التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها في مصر وعلى الخصوص فيما يتعلق بالدول الاجنبية يجب أن توجد اوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقوميسير العالي البريطاني الذي يقدم كل المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فيما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسيه

(٦) لا تدخل الحكومة المصريه في أي اتفاق سياسي مع دولة أجنبية بدون أن تستطلع رأي حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بواسطة القوميسير العالي البريطاني

(٧) تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصليين في الخارج حسب مقتضياتها

(٨) لاجل تولي الشؤون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية في الاماكن التى لا يوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضع ممثلو جلالة ملك بريطانيا العظمى تحت تصرف الحكومة المصرية ويقدمون لهم كل مساعدة في قدرتهم

(٩) تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولي المفاوضة لالغاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات وتقبل مسؤولية حماية المصالح المشروعة للاجانب في مصر وتتداول حكومة جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت في هذه المفاوضات رسمياً

ثالثا — النصوص العسكرية

(١٠) تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر في الدفاع عن مصالحها

العبر التاريخية فى أطوار المسألة المصرية

ذهب وفد وزارة عدلي باشا الرسمي الى لندره لاجل الاتفاق مع حكومتها على رفع الحماية البريطانية عن مصر واستبدال علاقة أخرى بين البلدين بعد أن صدع هذا الوفد بناء الوحدة المصرية وفرق كلمتها فمن جراء هذا كان نصيبه الفشل واغتر الانكليز بتفريق الكلمة بقوة الوزارة المصرية فوضع اللورد كرزون لمصر نظاما جديدا حذف به كلمة الحماية وأبقى معناها بل ما هو أشد منه في استعباد البلاد واستذلالها الابدي فلم يسع عدلي باشا ووفده قبول هذا النظام باسم مصر بل عاد اليها وبعد عودته بأيام نشرت الحكومة الوثائق الثلاث الآتية في المسألة المصرية وها هي ذي بنصها:

بلاغ رسمي

رفع حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس الوفد الرسمي المصري الى حضرة صاحب العظمة السلطانية بطريق البريد مشروع المعاهدة الذي وضعته الحكومة البريطانية وجواب الوفد الرسمي المصري عليه وهذه ترجمة هاتين الوثيقتين

ترجمة مذكرة

بخصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

أولا — انهاء الحماية

(١) في مقابل ابرام المعاهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى رفع الحماية المعلنة على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والاعتراف بمصر من ذلك الحين دولة متمتعة بحقوق السيادة SOVEREiNG STATE تحت امرة ملوكية دستورية فبمقتضى هذا قد ابرمت وتستمر باقية بين حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمي وشعبها من جهة وبين حكومة مصر والشعب المصري من الجهة الاخري معاهدة دائمة ورابطة سلام وودادو تحالف

العظمى قوميسيراً قضائياً يكلف بسبب التعهدات التي تحملتها بريطانيا العظمى القيام مراقبة تنفيذ القانون في جميع المسائل التي تمس الاجانب

(١٦) لاجل أن يؤدي القوميسير القضائي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الامور التي تمس الاجانب وتكون من اختصاص وزارة الحقانية والداخلية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول على وزيري الحقانية والداخلية

سابعا — السودان

(١٧) حيث أن رقي السودان السلمي هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه لها تتعهد مصر بأن تستمر في أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربيه التي كانت تقوم بها في الماضي أو أن تقدم بدلا من ذلك لحكومة السودان اعانة مالية تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين

تكون كل القوات المصرية في السودان تحت أمر الحاكم العام

وغير ذلك تتعهد بريطانيا العظمى بأن تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر أن لا تقام أعمال ري جديدة على النيل أو روافد جنوبي وادي حلفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء يمثل أحدهم مصر والثاني السودان والثالث أوغندا

ثامنا — فروض الجزية

(١٨) المبالغ التي تعهد خديوي مصر في أوقات مختلفه بدفعها للبيوت المالية التي أصدرت القروض التركيه المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة المصرية على تخصيصها كما كان في الماضي لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضي سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ الى ان يتم استهلاك هذين القرضين

تستمر الحكومة المصرية أيضا في دفع المبالغ التي كان جاريا دفعها لسداد فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون .

عندما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهي مسؤولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأي تعهد ناشيء عن الجزية التي كانت تدفعها مصر لتركيا سابقاً

الحيوية وعن سلامة أراضيها

لاجل القيام بهذه التعهدات ولحماية المواصلات الامبراطورية البريطانية الحماية اللازمة تكون للقوات البريطانية حرية المرور في مصر ولها أن تستقر في أي مكان في مصر ولاية مدة يحددان من وقت لآخر . ويكون لها أيضاً في كل وقت ما لها الآن من التسهيلات لاجرائه واستعمال الثكنات وميادين التمرين والمطارات والترسانات الحربية رالمين الحربية

رابعا — استخدام الموظفين الاجانب

(١١) بالنظر للمسئوليات الخاصة التي تتحملها بريطانيا العظمى وبالنظر للحالة القائمة في الجيش المصري والمصالح العمومية تتعهد الحكومة المصرية بأن لا تعين ضباطاً أوموظفين أجانب في أية مصلحة منها قبل موافقة القوميسير العالي البريطاني

خامساً — الادارة الماليه

(١٢) تعين الحكومة المصرية بعد استشارة *In consultatio With* حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً مالياً توكل اليه في الوقت المناسب الحقوق التي يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين ويكون هذا القوميسير المالي مسؤولا بوجه أخص عن دفع المطلوبات الآتية في مواعيدها وهي :

(١) المبالغ المخصصة لميزانية المحاكم المختلطة

(٢) جميع المعاشات والسنويات الاخرى المستحقة للموظفين الاجانب المحالين على المعاش وورثتهم

(٣) ميزانيتي القومسيريين المالي والقضائي والموظفين التابعين لهما .

(١٣) لاجل أن يؤدي القوميسير المالي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الامور الداخلة في دائرة وزارة المالية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول على رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية

(١٤) ليس للحكومة المصرية عقد قرض خارجي أو تخصيص ايرادات مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسير المالي

سادسا — الادارة القضائية

(١٥) تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا

أو الآداب العمومية

(٢٥) جميع الحائزين للرعوية المصرية يكونون متساوين أمام القانون ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق المدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين .

اختلاف الاديان والعقائد والمذاهب لا يؤثر على أي شخص حائز للرعوية المصرية في المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية مثل الدخول في الخدمات العمومية والتوظف والحصول على ألقاب الشرف أو مزاولة المهن أو الصناعات

لا يسوغ فرض أي قيد على أي شخص متمتع بالرعوية المصرية في حرية استعماله لأية لغة في معاملاته الخصوصية أو التجارية أو في الدين أو في الصحف أو في المطبوعات من أي نوع كانت أو الاجتماعات العمومية

(٢٦) الاشخاص الحائزون للرعوية المصرية التابعون للاقليات القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق في القانون وفي الواقع في نفس المعاملة والضمانات التي يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعوية المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لحق الآخرين في أن ينشئوا أو يديروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس أو غيرها من دور التربية ويكون لهم الحق في أن يستعملوا فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بحرية فيها اهـ

ترجمة رد الوفد المصري الرسمي

(على مشروع الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر)

اطلع الوفد الرسمي المصري على المشروع الذي سلمه اللورد كرزون الى رئيس الوفد بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢١

ولقد رأى أن هذا المشروع تضمن فيما يتعلق باكثر المسائل التي تناولتها مناقشاتنا والمذكرات التي تبادلناها منذ اربعة شهور نفس النصوص والصيغ التي عرضت علينا عند بدء المفاوضات ولم نقبلها حينئذ

فعن المسألة العسكرية وهي ذات أهمية كبرى استبقى المشروع الحل الذي قاومناه أشد مقاومة ولم يقتصر على ذلك . بل توسع في مرماه بما جعله أشد وطأة على أن حماية المواصلات الامبراطورية . (وهي التي قيل في مفاوضات

تاسعا — اعتزال الموظفين والتعويض المستحق لهم

(١٩) للحكومة المصرية الحق في أن تستغني عن خدمة الموظفين البريطانيين في أي وقت كان بعد نفاذ هذه المعاهدة بشرط أن يمنح هؤلاء الموظفون تعويضاً مالياً كما سيأتي بيانه وذلك زيادة على المعاش أو المكافأة التي يستحقونها بمقتضى احكام استخدامهم

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشرط في الاستعفاء من الخدمة في أي وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة .

تسري جميع هذه الاحكام على الموظفين الذين لهم الحق في المعاش والذين ليس لهم الحق في المعاش وأيضا على موظفي البلديات ومجالس المديريات والهيئات المحلية الاخرى

(٢٠) الموظفون المرفوتون أو المحالون على المعاش طبقاً لنص المادة السابقة تعطى لهم زيادة على التعويض اعانة اياب لبلادهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومتاعه المنزلي الى لوندره .

(٢١) تدفع التعويضات والمعاشات بالجنيهات المصرية باعتبار سعر ثابت قدره ½ ٩٧ قرشاً للجنيه الانجليزي

(٢٢) يوضع جدول عن التعويضات :

(١) للموظفين الدائمين

(٢) للموظفين المؤقتين

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات التأمين Societiofu act arles

عاشرا حماية الاقليات

(٢٣) تتعهد مصر بأن النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية . والا يتضارب معها أو يؤثر عليها أي قانون أو لائحة أو عمل رسمي والا ينقض مفعولها قانون أو لائحة أو عمل رسمي .

(٢٤) تتعهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاملة لارواحهم وحريتهم من غير تمييز بسبب مولدهم أو تبعيتهم الدولية أو لغتهم أو جنسهم أو دينهم

يكون لجميع سكان مصر الحق في أن يقوموا بحرية تامة علانية أو غير علانية بشعائر أية ملة أو دين أو عقيدة ما دامت هذه الشعائر لا تنافي النظام العام

عند الاقتضاء المفاوضات بشأن الغاء الامتيازات

أما فيما يتعلق بالمندوبين (القوميسرين) المالي والقضائي وبتداخلهما في ادارة الشؤون الداخلية كلها باسم حماية المصالح الاجنبية تداخلا قد يصل في بعض الاحوال فيما يختص بالمندوب (القوميسير) المالي الى شل سلطة الحكومة والبرلمان فاننا لا نريد هنا أن نكرر ماسبق لنا إبداؤه من الاعتراضات في مذكراتنا على انه يتحتم علينا القول بان المناقشات التى تلت تأجيل مسألة الامتيازات بعثت في نفوسنا الشعور بان الاتفاق فيما يتعلق بحماية المصالح الاجنبية سيقوم على قواعد أكثر ملاءمة للسيادة المصرية .

أما مسألة السودان التي لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى أن النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على هذه البلاد من حق السيادة الذي لا نزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل

ان الملاحظات المتقدمة لا تجعل ثمة حاجة الى مناقشة المشروع تفصيلا اذ فيها ما يكفي للدلالة على روحه ومرماه وغير هذا فقد التزم المشروع تكرار ذكر تعهدات بريطانيا العظمى و « المسؤوليات الخصوصية » الواقعة على المندوب السامي وكذلك الغرض الجديد — وهو قصد صيانة المصالح الحيوية لمصر — الذي اتخذ سببا لوجود القوة العسكرية وبهذا تم للمشروع صبغة الوصاية الفعلية

إنا لما قبلنا المهمة التي عهد بها الينا عظمة السلطان كنا نؤمل الوصول الى ابرام معاهدة تحالف مؤيدة لاستقلال مصر تأييدا حقيقياً وكفيلة في الوقت نفسه بصيانة المصالح البريطانية وعندئذ فان مصر حليفة بريطانيا العظمى كانت تعد من واجبات كرامتها الوفاء باخلاص بما تقطعه على نفسها من العهود ولكن التحالف بين أمتين لا يمكن أن يتحقق الا على شريطة أن لا يقضى على احداهما بالخضوع الدائم

وان روح المسالمة التي سادت مناقشاتنا كانت تسمح لنا بالتفاؤل بنجاح المفاوضات . ولكن المشروع الذي أمامنا لم يحقق هذا الامل فهو بحالته لا يجعل محلا للامل في الوصول الى اتفاق يحقق أماني مصر الوطنية

لوندره في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١

العام الماضي أنها العلة الوحيدة لوجود قوة عسكرية في القطر المصري) لاتبرر هذا الحل

ففي حين أنه كان يكفي تعيين نقطة في منطقة القنال تنحصر فيها طرق ووسائل المواصلات الامبراطورية وكذلك القوة التي تتولى حمايتها نص المشروع على تخويل بريطانيا العظمى الحق في ابقاء قوات عسكرية في كل زمان وفي أي مكان بالاراضي المصرية وضع أيضا تحت تصرفها كل ما لدى القطر من وسائل المواصلات وطرقها. وهذا أعاهو الاحتلال بذاته — الاحتلال الذي يهدم كل معنى للاستقلال بل ويذهب الى حد القضاء على السيادة الداخلية . على أن الاحتلال العسكري في الماضي ، ولو لم تكن له الا صفة مؤقتة ، قد كفى لأن يثبت لبريطانيا العظمى المراقبة المطلقة على الادارة كلها وان لم يكن هناك أي نص في معاهدة أو تقوية لأية سلطة

أما مسألة العلاقات الخارجية — وهي المسألة الوحيدة التي عدلت فيها الصيغة الاولى التي كانت وضعتها وزارة الخارجية البريطانية وذلك بقبول مبدإ التمثيل — فان المشروع قد أحاط الحق الذى اعترف لنا به بقيود كثيرة أصبح معها بمثابة حق وهمي . اذ لا يتصور ان تتوفر لدى وزير الخارجية الحرية التي يقتضيها القيام باعباء منصبه وتحمل مسؤوليته اذا كان ملزما بنص صريح بأن يبقي على اتصال وثيق بالمندوب السامي . فان ذلك معناه أن يكون خاضعاً في الواقع لمراقبته مباشرة في ادارة الامور الخارجية . وعدا ذلك فان الالتزام بالحصول على موافقة بريطانيا العظمى على جميع الاتفاقات السياسية (حتى ما لا يتناقض منها مع روح التحالف) فيه اخلال خطير بمبدإ السيادة الخارجية . وأخيراً فان استبقاء لقب المندوب السامي (وهو لقب لم تجر العادة بمنحه الى الممثلين السياسيين لدى البلاد المستقلة) لهو أوضح في الدلالة على طبيعة النظام السياسي المقترح لمصر

ومن جهة أخرى فان تأجيل مسألة الامتيازات دعانا الى الاعتقاد بانه لم تبق حاجة الى النص عليها في المعاهدة وان المفاوضة بشأنها في المستقبل تكون موكولة الى مصر صاحبة الشأن الاول مع معاونتها في ذلك سياسياً من جانب حليفتها . ولكن المسألة منظور اليها اليوم كانها تعني على الاخص بريطانيا العظمى التي تتولى من الآن حماية المصالح الاجنبية . وتريد أن تباشر وحدها

بريطانيا العظمى ومصر هي أفضل عميلة للاخرى فقط بل لان كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجارية أو المالية يدعو الى مداخلة الدول الاخرى فيها ويهدد استقلالها . هذه كانت البواعث الرئيسية للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهي لا تزال الآن على ما كانت عليه من القوة في الماضي

قد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء العهد السابق للحرب العظمى . ولما بدأت بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتماما فعليا كان المصريون فريسة للاختلال المالي والفوضى الادارية وكانوا تحت رحمة أي قادم ولم يكن في طاقتهم مقاومة ضروب الوسائل القتالة للاستغلال الاجنبي تلك الوسائل التي تستأصل من نفوس الامة كرامتها وتمحو قواها الحيوية . فاذا كانت الامة المصرية الآن أمة نشيطة ذات كرامة فانها مدينة بهذه النهضة على الخصوص لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها — ان المصريين سلموا من المداخلة الاجنبية واعينوا على انشاء نظام اداري واف وقد تدرب عدد كبير منهم على ادرة الامور والحكم واطرد نمو مقدرتهم ونجحت ماليتهم نجاحا فوق المنتظر وقد قامت سعادة جميع الطبقات على أسس ثابتة . وفي هذا التقدم السريع لم يكن هناك ظل للاستقلال . ان بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربحا ماليا أو امتيازا تجاريا والامة المصرية قد جنت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها

ان شبوب نار الحرب بين الدول الاوربية العظمى سنة ١٩١٤ زاد بالضرورة عرى الائتلاف توثيقاً بين الامبراطورية البريطانية ومصر . ولما انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب لم يكن أثر ذلك قاصراً على تهديد المواصلات البريطانية وحدها بل كان مهدداً لها ولاستقلال مصر على السواء تهديداً عاجلا ، فكان اعلان الحماية على مصر اعترافا بهذه الحقيقة وهي انه لا يمكن دفع الخطر عن الامبراطورية البريطانية ومصر معاً الا بعمل مشترك تحت قيادة واحدة . كان اتساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب في قتل وتشويه آلاف من رعايا جلالة الملك من الهند واستراليا ونيوزيلاندا ومن رجال بريطانيا العظمي أيضاً وقبورهم في غاليبولي وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذي كابدته شعوب الامبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا ، قد اجتازت مصر هذه المحنة دون أن يمسها ضرر بفضل جهود

ترجمة تبليغ

من نائب جلالة الملك الى حضرة صاحب العظمة سلطان مصر

في ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

يا صاحب العظمة

انه بموجب التعليمات التي وصلتني من حكومة جلالة الملك لي الشرف أن أرفع الى مقام عظمتكم البيان الآتي المتضمن آراء حكومة جلالته فيما يتعلق بالمفاوضات التي جرت حديثاً مع الوفد المرسل من قبل عظمتكم تحت رئاسة صاحب الدولة عدلي باشا . ان حكومة جلالته قدمت الى عدلي باشا مشروع اتفاق لعقد معاهدة بين الامبراطورية البريطانية ومصر كانت حكومة جلالته على استعداد لان توصي جلالة الملك ومجلس النواب بقبوله ولكنها علمت بمزيد الاسف ان ذلك المشروع لم يحز قبولا لديه . ومما زاد أسفها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه سخية في جوهرها واسعة النطاق في نتائجها وانها لا يمكنها أن تبقي محلا لاي أمل في اعادة النظر في المبدأ الذي بنيت عليه تلك الاقتراحات لذلك كان من المستحسن أن تحيط حكومة جلالته علم عظمتكم احاطة وافية بالاعتبارات الرئيسية التي استرشدت بها وبالروح التي صدرت عنها تلك الاقتراحات

ان هناك حقيقة جلية سادت العلاقات بين بريطانية العظمى ومصر مدة أربعين سنة ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة هذه العلاقات على الدوام وهي التوافق التام بين مصالح بريطانيا العظمى في مصر وبين مصالح مصر نفسها . ان استقلال الامة المصرية وسيادتها كلاهما عظيم الاهمية للامبراطورية البريطانية، ان مصر واقعة على خط المواصلات الرئيسي بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك في الشرق وجميع الاراضي المصرية هي في الواقع ضرورية لهذه المواصلات لان مصير مصر لا يمكن فصله عن سلامة منطقة قنال السويس . لذلك فان حفظ مصر سالمة من تسلط أية دولة عظيمة أخرى عليها هو في الدرجة الاولى من الاهمية للهند واستراليا ونيوزيلاند ولجميع مستعمرات وولايات جلالته في الشرق ويؤثر في سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مليونا من رعايا جلالته . ثم ان نجاح مصريهم هذه البلاد ليس لان كلاً من

سيرفعه الى عظمتكم صاحب الدولة عدلي باشا . وأهم هذه الشروط هو مايتعلق بالجنود البريطانية . فان حكومة جلالة الملك قد عنيت أتم عناية ببحث الادلة التى قدمها الوفد المصري في هذا الشأن ولكنها لم تستطع أن تقبلها . لان حالة العالم الحاضرة ومجرى الاحوال في مصر منذ عقد الهدنة لا يسمحان بأي تعديل كان في توزيع القوات البريطانية في الوقت الحاضر . ومن الواجب اعادة القول بان مصر هي جزء من مواصلات الامبراطورية . ولم يكد يمضي جيل على مصر منذ انقذت من الفوضى . وهناك علامات على انه لا يبعد على المتطرفين في الحركة الوطنية أن يزجوا بمصر ثانية في الهوة التى لم يطل العهد على انقاذها منها . وقد زاد اهتمام حكومة جلالة الملك بهذا الشأن لما رأته من وفد عظمتكم في الاعتراف بان الامبراطورية البريطانية يجب أن يكون عندها ضمان قوي ضد أي تهديد مثل هذا لمصالحها ، والى أن يحين الوقت الذي يكون فيه سلوك مصر مدعاة الى الثقة بالضمانات، وأول هذه الضمانات ورأسها هو وجود جنود بريطانية في مصر، وحكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تتخلى عن هذا الضمان ولا أن تنقص منه

على انها تعيد القول وتؤكده بأن مطالبها في هذا الصدد لا يقصد بها استمرار الحماية لافعلا ولا حكما بل بالعكس ان امنيتها القلبية الخالصة هي أن تتمتع مصر بحقوق وطنية ويكون لها بين الامم مقام دولة متمتعة بحق السيادة على أن تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقا بالامبراطورية البريطانية بمعاهدة تكفل للفريقين مصالحهما وأغراضهما المشتركه. ولهذه الغاية التي جعلتها حكومة جلالته نصب عينها اقترحت رفع الحماية فوراً والاعتراف بمصر « دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت امرة ملوكية دستورية » والاستعاضة عن العلاقات القائمة الآن بين الامبراطورية البريطانية ومصر بمعاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف » وكانت حكومة جلالته تأمل ان مصر باعادة وزارة الخارجية ترسل ممثليها في الحال الى الممالك الاجنبية. كما انها كانت على استعداد لتعضيد مصر في انضمامها الى جمعية الامم اذا طلبت ذلك وبذلك كان يتحقق لمصر في الحال ما للدول المتمتعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات

ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه الاقتراحات أوجد حالة جديدة . وهذه الحالة لا تؤثر في مبدإ السياسة البريطانية ولكنها بالضرورة

من بعثت بهم تلك الشعوب من الجنود . فكانت خسائر مصر طفيفة ولم يزد دينها . وثروتها الآن أعظم مما كانت قبل الحرب في حين أن الكساد الاقتصادي قد اشتدت وطأته على اكثر البلدان الاخرى . فليس من الحكمة ان الشعب المصري يتغاضى عن هذه الحقائق أو ينسى لمن هو مدين بذلك كله ، ولولا القوة التي أبدتها الامبراطورية البريطانية في الحرب لأصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المتحاربة ولوطئت هذه القوات حقوق مصر باقدامها وأفنت ثروتها . ولولا نصر الحلفاء لم تكن الآن في مصر أمة تطالب بحقوق السيادة الوطنية بدلا عن حماية أجنبية . فالحرية التي تتمتع بها مصر الآن وما تتطلع اليه من حرية أوسع انما هي مدينة بهما للسياسة البريطانية والقوة البريطانية

ان حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتفاق التام في المصالح بين بريطانيا العظمى ومصر الذي جعل ائتلافهما نافعاً لكلتيهما في الماضي هو دعامة العلاقة التي يجب على كلتيهما استمرار المحافظة عليها . وعلى الامبراطورية البريطانية الآن كما كان في الماضي أن تحمل على عاتقها في آخر الامر مسئولية الدفاع عن أراضي عظمتكم ضد أي تهديد خارجي . وكذلك عليها تقديم المعونة التي قد تطلبها في أي وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم في البلاد . ثم ان حكومة جلالة الملك تطلب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق في تقديم ما قد تحتاج اليه حكومة عظمتكم من المشورة في ادارة البلاد وتدبير ماليتها وترقية نظامها القضائي ومواصلة علاقاتها مع الحكومات الاجنبية . على ان حكومة جلالته لا ترمي من وراء هذه المطالب الى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها في حكومة ذاتية وطنية بل هي ترمي بذلك الى التمسك بها قبل الدول الاجنبية الاخرى وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهي ان استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسعادتها ركن أساسي لسلامة الامبراطورية البريطانية، وحكومة جلالة الملك تأسف على ان مندوبي عظمتكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدما يذكر في سبيل الاعتراف بما للامبراطورية البريطانية دون سواها من الاسباب الصحيحة للتمسك بهذه الحقوق والمسؤوليات

ان شروط المعاهدة التي تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفالة هذه المسؤوليات قد ادرجت في مواد المشروع الذى

الاسابيع الاخيرة على التأثير في مصير المفاوضات بنداءات مهيجة استثاروا بها جهل العامة وشهواتهم، وان حكومة جلالة الملك لا تعتبر انها تخدم مصلحة مصر بتساهلها ازاء تهييج من هذا القبيل ولن يمكن مصر أن تسير في سبيل الرقي الا متى اظهر قادتها المسئولون من الحزم والعزيمة ما يكفل قمع مثل هذا التهييج. فان العالم يتألم الآن في جهات عديدة من الاندفاع في نوع من الوطنية المتعصبة المضطربة. وحكومة جلالة الملك تقاوم هذا النوع من الوطنية بكل شدة سواء في مصر أو في غيرها. وان اولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات انما يعملون على جعل القيود الاجنبية التي يطلبون الخلاص منها أشد لزوما وبذلك يطيلون أجلها

واذ الامر كذلك فان حكومة جلالة الملك مراعاة لمصلحة مصر ومصلحتها الخاصة أيضاً ستستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كمرشدة لمصر وأمينة على مصالحها. ولا يكفيها أن تعلم ان في استطاعتها العودة الى مصر اذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت الى عهد التبذير والاضطراب الذي لازمها في القرن الماضي فرغبة حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذي بدىء به في عهد اللورد كرومر لا أن تبدأه من جديد وهي لا تنوي أن تبقي مصر تحت وصايتها بل بالعكس ترغب في تقوية عناصر التعمير في الوطنية المصرية وتوسيع مجال العمل أمامها وتقريب الوقت الذي يمكن فيه تحقيق المطمح الوطني تحقيقا تاما. ولكنها ترى من الواجب أن تصر على الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لاجل صيانة مصالح مصر ومصالحها الخاصة على السواء وذلك الى أن يظهر الشعب المصري أنه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلي وما يترتب عليه حتما من تدخل الدول الاجنبية

وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصري يقوم على تآزره مع الامبراطورية البريطانية لا على تنافرها. وحكومة جلالته لرغبتها في هذا التآزر مستعدة فيما يتعلق بها الى البحث في أية طريقة قد تعرض عليها لاجل تنفيذ اقتراحاتها في جوهرها وذلك في أي وقت تريده حكومة عظمتكم، على أنها مع هذا لا يسعها تعديل المبدأ الذي بنيت عليه تلك الاقتراحات ولا إضعاف تلك الضمانات الجوهرية التي تشتمل عليها. وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر في أيدي الشعب المصري نفسه. فكلما زاد اعتراف شعبكم

تقلل من التدابير التي يمكن تنفيذها الآن . فلذلك ترغب حكومة جلالة الملك ان تبدي بوضوح حالة موقفها الآن

ففيما يتعلق بالحاضر لا يمكن لحكومة جلالته تنفيذ اقتراحاتها بدون رضاء الامة المصرية واشتراكها ولكن حكومة جلالته تحافظ على الرغبة التى كانت لديها على الدوام وهي العمل على انماء مواهب المصريين بزيادة عدد الموظفين منهم في كل فرع ولا سيما في الفروع الادارية العالية التى كثر فيها عدد الموظفين الاوربيين . حكومة جلالته مستعدة لان تواصل بمشاورة حكومة عظمتكم المفاوضات مع الدول الاجنبية لاجل إلغاء الامتيازات لكي يكون الموقف الدولي جليا عند ما يحين وقت اصدار التشريع المصري الذى سيحل محل تلك الامتيازات ، وكذلك ترجو حكومة جلالته ان السلطة التى يباشرها الآن القائد العام تحت القانون العسكري تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضي القوانين المدنية المصرية وهي تسر برفع الاحكام العسكرية حالما يصدر « قانون التضمينات » (actol Indemniti) ويعمل به في كل المحاكم المدنية والجنائية في مصر . وهو قانون لا بد منه لحماية الحكومة المصرية وحماية السلطة البريطانية في مصر

وأما من جهة المستقبل فان حكومة جلالة الملك ترغب أن توضح بعبارة جلية السياسة التي تنوي اتباعها . فقد علمت ان المشروع الذي قدمته الى وفد عظمتكم قد رفض بحجة ان الضمانات التى تضمنها المشروع لصيانة المصالح البريطانية والاجنبية تقضي على التمتع بالحكومة الذاتية تمتعاً صحيحاً وهي تأسف غاية الاسف على ان استبقاء الجنود البريطانية فى مصر واشتراك الموظفين البريطانيين مع وزارتي الحقانية والمالية يساء فهم المراد منها الى هذا الحد . اذا كان الشعب المصري يستسلم الى أمانيه الوطنية مهما كانت هذه الاماني صحيحة ومشروعة في ذاتها دون أن يكترث اكتراثاً كافياً بالحقائق التى تستحكم في الحياة الدولية فان تقدمه في سبيل تحقيق مطمحه الاسمى لا يصيبه التأخر فقط بل يتعرض للخطر تعرضاً تاما . اذ ليس من فائدة ترجى من وراء التصغير من شأن ما على الامة من واجبات وتعظيم ما لها من الحقوق. وان الزعماء المتطرفين الذين يدعون الى هذا العمل لا يعملون على نهوض مصر بل يهددون رقيها . وهم بما كان لهم من الاثر في مجرى الحوادث قد نحوا مرة بعد مرة الدول الاجنبية في مصالحها وأثاروا مخاوفها . وكذلك عملوا في

القاهرة الى الريف — فردوا الامر فاعتقلوا و نفوا من مصر — فثارت البلاد ثورة اجتماعية عامة لم يصدها عنه الخوف من الجند البريطاني الذي ملأ العاصمة وغيرها من المدن معززا بالسيارات المدرعة والطيارات المهددة وعاد أعضاء الوفد المشاقون فاتحدوا مع الباقين يعملون في بيت الامة ، وبرزت الى ميدان السياسة عقيلة الزعيم التي أبت مرافقته لتحل محله في خدمته فألقت على أعضاء الوفد خطابا من وراء حجاب ، ذرفت منه العيون واضطربت الالباب ، ثم جمعت شمل النساء على مقاومة الخصم بمقاطعة تجارته ، وتربية الاولاد على بغضه وعداوته ، وعم التظاهر بالاستياء والاحتجاج على المذكرتين ونفي الزعيم وأعضاء الوفد في الجرائد وغيرها من جميع الاحزاب والجماعات الرسمية وغير الرسمية من دينية ومدنية حتى أن رؤساء الكنيسة القبطية قرروا ترك الزيارات والتهاني بعيدي الميلاد ورأس السنة ، وألحت الوزارة العدلية بقبول استقالتها وتعذر تأليف وزارة جديدة تنفذ للسلطة البريطانية ما تريد لشدة الاحتجاج من الرأي العام للامة حتى الذين كانوا يسمون العدليين أو الحكوميين والوزاريين .

وتواترت الوفود من جميع أرجاء القطر رافعة احتجاجها الى القصر السلطاني على المذكرتين ونفي الزعيم ومن معه الخ واستقر رأي السواد الاعظم على مقاطعة التجارة الانكليزية ورجال الانكليز . وأخيراً أصدر الوفد قرارا شديداً في هذا المعنى نشر في بعض الجرائد فعطلتها السلطة العسكرية واعتقلت أعضاء الوفد الذين وقعوه فحل محلهم أفراد آخرون بلا خوف ولا وجل ، ولا غرو فان كل ما حصل فهو خير لمصر اذ لا تتربى الامم الا بالشدائد ، وشر للانكليز لانه وضع للقوة العسكرية القاهرة ، في موضع سياسة الحكمة والدهاء الساحرة ، فاذا أصروا على ذلك كانوا هم الخاسرين . واذا أصررنا على طلب حقنا كنا نحن الفائزين ، والعاقبة للمتقين

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ باحثة البادية ﴾

« بحث انتقادي بقلم الآنسة مي »

قد اشتهر هذا الكتاب بين الناطقين بالضاد في كل قطر تنشر فيه أو تقرأ الصحف العربيـة فقد قرظتـه صحف القطر المصري فالقطر السوري فسائر

بوحدة المصالح البريطانية ومصالحه كلما قلت الحاجة الى هذه الضمانات . وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم في هذا العهد الثاني من اشتراكهم مع بريطانيا العظمى أن يثبتوا بقبولهم النظام الوطني المعروض عليهم الآن وبالتزام جانب الحكمة في العمل به أن المصالح الحيوية للامبراطورية البريطانية في بلادهم يمكن أن توكل لعنايتهم بالتدريج . اه

(المنار) قد صدقت الاحداث جميع ما قررناه في المسألة المصرية في الجزء السابع وجاءت الوقائع بما توقعناه من فشل مفاوضة الوفد الرسمي للحكومة البريطانية واستعفاء وزارة عدلي باشا فكان ما أحدثه اختلافها مع الوفد — او سعد — من الشقاق، سبب حرمانها ما تبغي من الاتفاق، وكان فشلها خيرا لمصر من نجاحها ، فانه أزال غرور جميع محسني الظن بالدولة البريطانية وأبطل تغرير الانتفاعيين الذين كانوا يخدعون بها الامة ، فمشروع (كرزون) الصادع ، خير من مشروع (ملنر) الخادع ، اذ أظهر للعالم والجاهل والذكي والغبي أن بريطانية لاتبغي من المصريين الا الاعتراف لها بأنها سيدة مصر والسودان والمالكة لها ولاهلهما ، ولئن كان لورد كرومر هو المسترق ، فكرزون هو المحرر بحفزه الامة الى الخروج من هذا الرق، وإنما الفضل للسلطة العسكرية التي أرهقت البلاد ، وأجبرت وزراء لندن على إماطة حجاب الرياء . ونكتفي بأن نقول في هذه التعليقة المعجلى على هذه الوثائق الرسمية إن بريطانية كانت تظن أن هذا الطغيان والجبروت والعظموت والتهديد بقوة السعير العسكري لابد أن يرهب مصر الفتاة العزلى فتخر ساجدة بين يدي القائد اللنبي فاتح القدس قائلة غفرانك غفرانك نحن عبيد بريطانية العظمى صاحبة الحق في أموالنا ودمائنا وأرضنا وسمائنا فمها تمنحنا في حكم بلادنا من وظيفة أو منصب ، أو حق مأكل أو مشرب، فهو فضل وسخاء منها نقابله بالحمد والشكر، ومهما تستأثر به من الحكم والتصرف والمنافع ومن رقبة الارض فهو من تصرف المالك في ملكه وان سمي في العرف العام والخاص مصادرة وظلما

كذب ظن بريطانية فان الامة قد هبت كلها للانكار الشديد على المذكرتين ورفضهما أشد الرفض وفي مقدمتها زعيمها الاكبر سعد باشا وأعضاء الوفد داعية الى الاتحاد على ذلك وعلى الاصرار على الاستقلال التام المطلق بلسان جميع أحزابها وصحفها. فأمر القائد اللنبي سعدا ومن معه باعتزال السياسة والخروج من

ثم في المنار، فكان لها تأثير عظيم ذكرناه في محله من قبل. ثم جاءت الحرب الكبرى وما تلاها من الهدنة وبناء قواعد الصلح بين الدول الغربية على حل المسألة الشرقية حلا نهائيا فتم تنبه أذهان الشرقيين عامة والمسلمين خاصة للبحث في هذه المسألة فبعث ذلك حسين لبيب أفندي أستاذ التاريخ في مدرسة القضاء الشرعي على وضع كتاب وجيز في المسألة نشرته مجلة الهلال المصرية ثم طبعته على حدته في جزء بلغت صفحاته ١٢٠ ص من قطع المنار وهو خاص بطور المسألة الشرقية العثمانية التركية، وقد استمد مسائله من كتب التاريخ العربية والافرنجية والجرائد. وهو مؤلف من مقدمة في التعريف بالمسألة وستة فصول بين فيها معنى المسألة وأسباب ضعف الدولة وما كان من نهضة الدولة الروسية وقتالها اياها لحل المسألة الشرقية، والانقلاب العثماني الاخير ومسألة استقلال العناصر، وخاتمة في حال الدولة العثمانية في الحرب العظمى ومعاهدة سيفر المقررة للقضاء على سلطنتها (ونحمد الله تعالى ان أماتها عقب ولادتها) والكتاب مزين بصور عظماء رجال الدولة من المتقدمين والمتأخرين ويتصل به خريطة تاريخية لاملاك الدولة في القرن الماضي. فنحث كل من يهمه أمر الشرق والدولة العثمانية من قراء العربية أن يطالع هذا الكتاب المختصر المفيد

﴿ مفاوضات الانكليز بشأن المسألة المصريه ﴾

نشر أمين بك الرافعي مدير جريدة الاخبار في العام الماضي مقالات في الاخبار في تاريخ اعتداء الدولة البريطانية على البلاد المصرية واحتلالها إياها وماتبع ذلك من الوقائع والاحداث والمفاوضات السياسية الدولية في شؤون هذه البلاد كشف فيها القناع عن الدهاء والرياء والخداع الانكليزي الذي يجب على كل مصري وكل عربي بل كل شرقي أن يعرفه ويعتبر به، وكنا كلما قرأنا مقالة من تلك المقالات نرى وجوب حفظ الجريدة لاجل الرجوع اليها ثم نتمنى لو تجمع تلك المقالات في كتاب خاص. وكان يتمنى ذلك مثلنا كل من يعرف قيمتها وشدة الحاجة اليها وما كان من تعب الكاتب في جمع تلك الحقائق وابرازها في الصيغة النافعة المؤثرة، وقد كاشف الكاتب بذلك كثيرون منهم واقترحوه عليه فأجابهم اليه، وطبعت المقالات على ورق جيد فكانت كتابا تاريخيا سياسيا جليلا بلغت صفحاته ٢٧٠ من قطع المنار فنحث كل من يعني بالسياسة من قراء العربية على قراءة هذا الكتاب مرارا، ونتمنى لو ينتشر في جميع الاقطار العربية ولا سيما المخدوعة منها الى اليوم بالسياسة الانكليزية،

الجرائد العربية في سائر الاقطار، فكان له في صفحاتها أجمل الذكر والثناء. اذ كان غريبا في بابه، عديم النظير في الكتب العربية في نفسه، وفي كون منشئته فتاة عربية تترجم عقيلة عربية بأسلوب عربي جمع بين تأثير الشعر ودقة الفلسفة وتحقيق التاريخ

وقد عرف قراء هذه الصحف أن « باحثة البادية » لقب أدبي منتحل للاديبة المصرية الشهيرة فقيدة الاصلاح (ملك ناصف) عقيلة عبد الستار بك الباسل (رحمها الله تعالى) كانت تتنكر على به على عادة ربات الحجال المسلمات في عصرنا، وان (ميا) لقب ادبي منتحل للاديبة المصرية النشأة السورية الاصل الآنسة (ماري زيادة) أمتع الله الآداب العربية بطول حياتها، وأن هاتين النابغتين العربيتين قد فاقتا جميع بنات جنسهما في هذا العصر، بل تفاخر مصر العربية بهما بنات كل شعب وكل مصر،

نشر هذا الكتاب مطبوعا منذ سنتين وأهدته الي المؤلفة وأنا في دمشق فكانت مطالعته مروحة لنفسي مما أكابد من اعمال رياسة المؤتمر، وسياسة الوطن؛ وتبريح المرض، والبعد عن الاهل والولد، فتوجهت الارادة الى العناية بتقريظه، والاستقصاء لوصفه، والبحث في نقده، على إثر التأثر بقراءته، فحالت دون ذلك كارثة زحف الجند الفرنسي على الشام، واسقاطه لحكومتها المبنية على اساس الاستقلال، واشتداد المرض، ومنع المعتمد البريطاني اياي من العودة الى وطن السكن، فأحلت امر تقريظه الى من كان يقرظ غيره من المطبوعات التي تهدى الى المنار، على ما كان من تقصيره في حقوق المهدين والقراء، فجرى فيه وفي كثير من الكتب على مذاهب الارجاء، وحسبي من قضاء حقه هذا التنويه الآن، وأرجو أن أعود اليه في وقت اطيل فيه البحث في شؤون تربية النساء

﴿ كتاب المسألة الشرقية ﴾

المسألة الشرقية في علم السياسة أهم من مسألة التحسين والتقبيح العقليين في علم الكلام، وأعقد من مسألة تربيع الدائرة في علم الهندسة، ونحن الشرقيين أحوج الى الاحاطة بها والوقوف على عللها ومعلولاتها منا الى العلم بسائر مسائل السياسة ومستمدها من علم التاريخ

وقد كان اكثر أهل الشرق غافلين عن هذه المسألة لعدم المنبهات، الموقظة من ذلك السبات، ولهذا افترصنا مسألة تألم العالم الاسلامي من مسألة طرابلس الغرب وبرقة فكتبنا عشر مقالات بعنوان المسالة الشرقية نشرناها في المؤيد

[illegible]	[illegible]
[illegible] ([illegible])	[illegible]
[illegible] ([illegible])	[illegible]
[illegible] ([illegible])	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
	[illegible] ([illegible])
	[illegible]
	[illegible]

النسخة منه ٢٥ قرشاً مصرياً تضاف اليها اجرة البريد

﴿ كتاب الارشادات الصحية والاسعافات الوقتية ﴾

الاطباء أنفع العلماء بسنن هذا الكون للبشر وأكثرهم قد قصر نفعه على معالجة المرضى التي هي حرفتهم ومنهم أفراد ينفعون الناس بعملهم هـذا وبما ينشرون من الكتب النافعة وهم قليلون، وأقل منهم من لاتقف همته عند هاتين الخدمتين العملية والعلمية بل تتجاوزها الى السعي لانشاء المستشفيات والملاجيء للفقراء وغير ذلك من الاعمال الاجتماعية التي ترتقي بها الامم — والدكتور عبد العزيز بك نظمي من هؤلاء الافراد، الذين تفتخر بهمتهم هذه البلاد، فهو على كثرة عمله في عيادته الذي هو حق الحرفة، وعمـله في مستشفيات الاوقاف بما توجب عليه الوظيفة (حكمباشي مستشفيات الوزارة) وعمله في ملجأ الحرية الذي أسس بسعيه الحميد، يجد سعة فيما يقتصد من وقته للتأليف، فله عدة كتب باللغة العربية أكثرها في تربية الاطفال ومعالجتهم — وهو اخصائي في ذلك — وأخرى باللغة الفرنسية. وآخر ماكتبه هذا الكتاب الذي نحن بصدد تقريظه فقد نشره بالطبع في أول هـذا العام، واسمه يدل على مسماه، وهو يتألف من مقدمة وأربعة أقسام

فالمقدمة في التعريف بقانون الصحة، والقسم الاول في الارشادات الصحية المتعلقـة بالاغذية والاشربة والماء والهواء والنور والنوم والملابس والرياضة ومضار المسكرات والمخدرات، والثاني في التمريض وفيه ٣ فصول، والثالث في الامراض الكثيرة الانتشار في الظاهر والباطن وطرق اتقائها، والرابع في الاسعافات الطبية بانواعها، ويتلوها بيان الصيدلية المنزلية، أي ماينبغي ان يكون في كل دار من العلاجات والمطهرات والادوات التي تشتد الحاجة اليها ولاسيما للاسعاف عند حدوث مرض أوحرق أوجرح أولدغ أولسع، وعبارة الكتاب سلسة، يفهمها كل متعلم ومتعلمة، وان لم يخل كاكثر المطبوعات المصرية من أغلاط لفظية يحسن تصحيحها في الطبعة الثانية، وفيه عـدة صور ورسوم لايضاح بعض المسائل. وجملة القول انه ينبغي ان لايخلو منه بيت من البيوت ولاأن يجهل ماأودعه رجل ولا امرأة، فكل ذلك من الضروريات التي لا يستغنى عنها. وصفحاته ١٧٠ من قطع كتاب الاسلام والنصرانية. وثمن النسخة منه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد، وهو يطلب من مكتبة المنار

(تنبيه) ضاق هذا الجزء عن سائر المواد الموعود بها ومنها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

([illegible])

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

معدودة عدا ، معرفة بحدود ناقصة ، أو رسوم دارسة ، مقرونة بأدلة نظرية ، وتشكيكات جدلية ، لا تثمر إذعان الاذعان ، ولا خشية الديان ولا حب الرحمن ، بل تثير رواكد الشبهات ، وتتعارض في إثباتها دلائل النظريات

تأمل كيف بدئت السورة بحمد الله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ، ثم التذكير بخلق الناس وقضاء الآجال . وكيف عطف على الاول ذكر شرك الكافرين بربهم بجعل بعض خلقه عدلا له ، مع أن البداهة قاضية بأن الرب الخالق لا يعادله أحد ولا شيء من خلقه . وعطف على الثاني التنبيه الى اعراضهم عن الآيات الدالة على الحق ، وانه هو المانع لهم من العلم ، تذكيرا للمستعد للفهم بالمانع ليجتنب ، والمقتضى ليتبع ، وإيذانا للعاقل بأن عقائد الاسلام ، مؤيدة بالحجة والبرهان

ولما كان التوحيد الذي هو لباب الدين وروحه نوعين — توحيد الربوبية وتوحيد الآلهية — [1] بين كلا منهما بالآيات والبراهين . ولما كان الشرك في الربوبية قليلا في الناس والشرك في الآلهية دون الربوبية هو الكثير الفاشي وعليه سواد جاهلية العرب الاعظم بنى القول ببطلان هذا على بطلان ذاك ، كما بنيت حجج إثبات أحدهما على المعترف به من إثبات الآخر ، راجع في فهرسي الجزئين السابع والثامن من التفسير بحث الايمان والتوحيد والشرك والشفاعة والرب والاله والجزاء وفي آخر تفسير السورة بحث نجاة الناس وسعادتهم أو شقاوتهم بأعمالهم

وأنتقل بك من هذا التذكير الى قصة ابراهيم (صلى الله عليه وعلى نبينا وآلهما وسلم) مع أبيه وقومه في انكاره عليهم اتخاذ الاصنام آلهة أي معبودين ، واتخاذ الكواكب أربابا أي مدبرين لامور العالم وان لم يكونوا خالقين ، وهو بحث جاء بأسلوب المناظرة في قصة واقعة تعددت فيها الحجج على توحيد الالوهية والربوبية معا فكان أجدر بأن يوعى فيحفظ ، ويعقل فيقبل ، وقد أسهبنا القول في تفسيره بما لم يأت بمثله أحد من المفسرين المعروفين فاستغرق خمسين صفحة أو أكثر (ص ٥٢٣ - ٥٨٤ ج ٧ تفسير)

ومن أبلغ ما في السورة من تقرير عقيدة التوحيد وسوء حال أهل الشرك في ضلالهم عنها واعراضهم عن آياتها بأسلوب التمثيل قوله تعالى (٣٩ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات) فارجع الى تفسيرها (في ص ٤٠٢-٤٠٦ من

(١) راجع تفسير الرب والاله في ص ٥٦٨

آياتها في الالوهية والربوبية والرسالة والجزاء وأصول البر وأحوال المؤمنين والكافرين، وآيات الله وحججه على العالمين، وإنما ذكر فيهما من قصص الرسل عليهم السلام محاجة ابراهيم لابيه وقومه في التوحيد وما آتاه الله من الحجة عليهم لما بيناه من حكمة ذلك، وذكر موسى والتوراة لشبه بين رسالته وكتابه وبين رسالة محمد وكتابه عليهما السلام كما شرحناه في محله، ومنه وصايا القرآن العشر ووصايا التوراة العشر، وذكر فيها أيضا ما كان من حال الرسل عامة مع أقوامهم المشركين، لاجل العبرة وتسلية خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين. وإننا بعد هذا الاجمال نذكر القراء ببعض الاصول التي يغفل الكثيرون عن جملتها وفوائد الجمع بينها

أساليب القرآن في العقائد الالهية

أما مسائل العقائد في الالهيات فقد فصلت أبلغ تفصيل بأساليب القرآن العالية الجامعة بين الاقناع والتأثير كبيان صفات الله في سياق بيان أفعاله وسننه في الخلق والتكوين، والتقدير والتدبير، وآياته في الانفس والآفاق، وطبائع الاجتماع وملكات الاخلاق ، وتأثير العقائد في الاعمال ، وما يترتب عليها في الدارين من الجزاء . وناهيك بإيراد الحقيقة بأسلوب المناظرة والجدال ، أو ورودها جوابا بعد سؤال ، أو تجليها في برود الوقائع وضروب الامثال ، وهذا الاسلوب أعلى الاساليب وأكلها جمعا بين إقناع المعقول والتأثير في القلوب ، فيقترن اليقين في الايمان ، بحب التعظيم وخشوع الخوف والرجاء ، وفي أثناء ذلك يذكر شبهات المشركين والكفار ، فيكون مثلها فيه كقطعة من الطين الآسن تلقى في غدير صاف، يتدفق من صخر، على حصباء كالدر ، لا تلبث أن تتضاءل وتخفى، ولا تكدر له صفوا ، حتى إنه ليستغنى بمجرد بيانها، عن وصف قبحها والحجة على بطلانها ، فكيف وهي تقترن غالبا بالوصف الكاشف لما غشيها من التلبيس، أو يقضى عليها بالبرهان الدامغ لما فيها من الاباطيل . ولا نغفل عن أسلوب احالة المخاطبين على ما أودع في غرائزهم وفطرهم ، وتذكيرهم بمعارضته لما ألفوا من تقاليدهم وفساد نظرهم، ولا عن اسلوب انذار سوء المغبة في العاجلة، وسوء العاقبة والمصير في الآخرة، وقد أضلت الفلسفة اليونانية علماء الكلام عن هذه الاساليب العليا فلم يهتدوا بها، ولا اقتدوا بشيء منها ، بل طفقوا يلقنون النشء الاسلامي صفات الله تعالى مسرودة سردا،

القصوى يدعون الله وحده دون غيره لا يخطر في بالهم سواه ، وهذا هو الايمان الوجداني الذي فطر الله عليه الناس ، وأضداده من هذه الوساوس الوهمية ، والتقاليد الموروثة ، (راجع تفسير هذه الآيات في ص ٣١ ـ ١٢ ج ٧ تفسير)

ولا تغفل عند مراجعة ما ذكر من الآيات في هذا الأسلوب عما يمازجها أو يقارنها من الآيات في الأسلوب الآخر المناسب له وهو التذكير بأحوال الأمم في كفرهم وعنادهم ، وقيام حجج الرسل عليهم . فانما غرضنا هنا التنبيه والتذكير ، واذا أحيانا الله تعالى ووفقنا لانجاز ما وعدنا به من وضع كتاب في فقه القرآن وهدايته مرتب على أبواب العقائد والآداب والأعمال الدينية والمدنية فهناك نستوفي بيان هذه الأساليب في اثبات العقائد بالشواهد من القرآن كله

ولا حاجة الى ذكر شيء من الشواهد على أسلوب انذار العاقبة ، وسوء المصير في الدنيا والآخرة ، فانها جلية واضحة

الأساليب في عقيدة الوحي والرسل

وأما مسائل الركن الثاني من أركان الاعتقاد وهو الوحي والرسل فنستغني من التذكير بأساليب الاثبات وطرق الاقناع فيه بما ذكرنا في عقيدة التوحيد وآياته وصفات الله وأفعاله وما يتعلق بها من بطلان الشرك وإقامة الحجة على الكفار أجمعين . على أن بعض ما ذكرنا فيه وما لم نذكر من الشواهد على مكابرة المعاندين للآيات والحجج تشترك فيه حجج الوحي والرسالة مع حجج التوحيد وسنشير الى بعضه هنا . وانما المهم تذكير القارىء ابتغاء الاهتداء في نفسه والهداية لغيره بالآيات التي تعرفه موضوع الوحي والرسالة وصفات الرسل ووظائفهم ، وما أبدوا به من الآيات لاثبات دعوتهم ، وشبهات الكفار على ذلك وبيان بطلانها

قد بينا في مواضع من التفسير أن أكثر البشر يؤمنون بأن للعالم خالقاً مقدراً ، وربا مدبراً ، وان هذا الرب الخالق عليم حكيم قادر على كل شيء ، وانه يجب أن يعبد ويشكر ، وأن كفر أكثر الكفار إنما هو بعبادة غيره معه ، ولو بقصد التوسل للتقريب اليه والشفاعة عنده . ولكن كثيرا من الكفار المشركين وغير المشركين يكفرون بالرسل سواء كانوا مؤمنين بوجود الله وهم الاكثرون ، أم لا وهم الاقلون ، وسبب ذلك استبعاد وقوع الوحي وشبهات أخرى عليه . وقد بينت هذه السورة معنى الرسالة وموضوع الوحي والدليل عليه ووظائف الرسل عليهم السلام . وكشفت ما أوردوا من الشبهات على ذلك ، فنحن نلخص أولا

ج ٧ تفسير) وقوله تعالى (٧١ قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) الخ فراجع تفسيرها (ص ٥٢٣ ـ ٥٣٠ منه أيضا)

ولا حاجة الى الدلالة على شواهد بيان التوحيد من طريق السؤال والجواب لكثرتها، مع ظهورها لكل قارىء بصيغتها

وإنما أرق أساليب الاقناع، وأبلغ وسائل الاذعان بأصول الايمان، إحالة المخاطبين الى غرائزهم وفطرهم، وتذكيرهم بتأثير التربية التقليدية في أنفسهم، ومناشئ عروض الشبهات لأذهانهم، وإلزامهم الحجة بمحاسبة عقولهم لأنفسهم على تعارض الأفكار، وتناقض الأقوال، بسبب اختلاف الأوقات والأحوال، ومخالفة التقاليد والمسلمات للغرائز والملكات. ويتلو هذا الأسلوب إحالتهم على مثل ذلك في غيرهم من الناس بالنظر في أحوال المعاصرين، والاعتبار بسير الغابرين.

تأمل وصف المعاندين من مشركي مكة في الآية الرابعة وما بعدها الى آخر التاسعة بالاعراض عن جميع الآيات التي تأتيهم من ربهم، وتكذيبهم بالحق لما جاءهم، والجزم بأنهم يكابرون الحس، ويشتبهون في اللمس، ولا يخرجون من محيط اللبس. وقابله بقوله (١٠٨ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ـ الى قوله في آخر الآيتين بعدها ـ ولكن أكثرهم يجهلون) ثم بما يناسبه من إقامة الحجة عليهم بقطع إنزال الكتاب لاعتذارهم يوم القيامة عن شركهم وضلالهم، بأن الكتاب إنما أنزل على طائفتين من قبلهم، وكانوا غافلين عن دراسته، جاهلين لهدايته، وأنه لو أنزل عليهم لكانوا أهدى منهم، لذكاء عقولهم وعلو هممهم ـ فراجع تفسير الآيات ١٥٥ ـ ١٥٧ في (ص ٢٠٠ ـ ٢٠٨ ج ٨ تفسير)

ثم تأمل قوله تعالى في أولئك المعرضين بعد تسلية الرسول (ص) عن جحودهم (٣٥ وإن كان كبر عليك إعراضهم) الى آخر الآية (٣٩) ترَ كيف سجل عليهم الجهل والحرمان من العلم، وشبههم بالصم البكم. ثم تأمل كيف التفت عن خطاب الرسول الى خطابهم، سائلا إياهم أن يراجعوا عقولهم وضمائرهم، ويخبروا كيف حالها إذا أتاها عذاب الله أو أتتها الساعة، أغير الله يدعون في هذه الحالة؟ ثم أجاب عنهم بما يعلمونه حق العلم من أنفسهم، وهو أنهم في مثل هذه الشدة

من الاعتماد على الآيات والبراهين ومخاطبة العقل . وكان أصحاب الاديان المحرفة والاديان المبتدعة قد بعدوا عن العقل والعلم ، واعتمدوا في الدعوة وتلقين الدين على التسليم والتقليد الاعمى

ووصف القرآن في آية ١٥٥ بأنه مبارك أي جامع لاسباب الهداية الدائمة النامية ثم قال في آية (١٥٧ فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) وقال (١٦١ قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما) والصراط المستقيم أقرب الطرق الموصلة الى السعادة التي شرع لها الدين من غير عائق ولا تأخير ، والقيم مايقوم ويثبت به الامر المطلوب حتى لا يفوت صاحبه . وقال (١١٥ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الاحكام . فهذه أمهات الآيات في بيان صفة ماجاء به الرسول وانه أفضل وأكمل مايحتاج اليه الخلق لتكميل أنفسهم وتزكيتها بالعلم والهدى وليس هو من قبيل الدعوى بغير دليل ، بل هو من قبيل التنبيه وعطف النظر الى الشيء البديع الصنع البالغ منتهى الحسن والجمال الذي يدرك جماله وكماله بمجرد النظر اليه ، ولعمري إن من كان صحيح العقل مستقل الفكر ، لايحتاج الى دليل يثبت به كون هداية القرآن حقا وصدقا وعدلا وصراطا مستقيما ، وقد أثبتت الوقائع ان الذين آمنوا به بمجرد الدعوة كانوا اكمل الناس عقلا ونظرا وفهما وفضلا كالسابقين الاولين من المهاجرين والانصار ، على انه ارشد الى الاعتماد فيه على الآيات البينات ، والحجج الواضحات ، ومتى ثبتت بهذه الآيات حقية ماجاء به الرسول وحسنه ونفعه فمن الحماقة أن يترك الاهتداء به لاجل مشاركته لنا في البشرية ، أو استبعاد ما فضله الله به من الخصوصية ،

الرسول ووظائفه

أمر الرسول أن يخاطب الناس بقوله (٥٦ قل اني على بينة من ربي) والبينة ما يتبين به الحق ، والمراد بها هنا العلم الذي أوحاه اليه مبينا له به الحق مؤيداً بالدلائل والحجج العلمية والفطرية . وهذا في معنى قوله (ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فليس في دينه تحكم ولا إكراه إذ أمره أن يقول (٦٦ لست عليكم بوكيل) أي ليس أمر هدايتكم والتصرف في شؤونكم موكولا إليّ من الله بحيث اكون مسيطراً عليكم وملزما إياكم كما أن الوكيل على اعمال الناس ، وبين في الآيات ١٠٣ - ١٠٦ ان ماجاء به (ص)

ما جاء في معنى الرسالة وموضوعها ووظائف الرسل ثم نقفي عليه بما ورد فيها أثبتها الله تعالى به من الآيات ودفع الشبهات عنها فنقول :

موضوع الرسالة ووظائف الرسول

ان الرسول بشر آتاه الله علما ضروريا غير مكتسب لهداية الخلق به الى ما تتزكى به أنفسهم، وتتهذب به أخلاقهم، وتصلح به أحوالهم الشخصية والاجتماعية، بحيث يكون الوازع لهم به من أنفسهم، وهو الايمان اليقيني والتسليم الاذعاني بالتعليم والهدى الذي جاء به الرسول لا القهر والسيطرة. وبذلك يكونون سعداء في الدنيا بقدر ما يكون في الدنيا من السعادة، ويحيون الحياة الابدية العليا في الآخرة

وصف الله تعالى ما أرسل به خاتم رسله (ص) بأنه الحق وبأنه بصائر للناس وبأنه هدى ورحمة، وبأنه صدق وعدل. وبأنه صراط مستقيم ودين قيم. وأثبت ان الرسول نفسه على بينة من ربه فيه، وانه أول المسلمين له والمهتدين به، قال تعالى (٥ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) وقال (٦٦ وكذب به قومك وهو الحق) وقال (١١٣ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) وقال (٥٧ ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) والحق هو الامر الثابت المتحقق بنفسه فلا يمكن نقضه ولا ابطاله فبهذا الوصف ينبه العقلاء الى ان يبحثوا عن حقيته بفكر مستقل وبالآيات الدالة عليه ليصلوا بأنفسهم الى معرفة انه الحق، وهي غاية لابد أن يصل اليها الباحث المنصف البريء من الاهواء في نظره، ومن قيود التقليد في طلبه للحق، كما قال في آخر سورة فصلت (٤١ : ٥٣ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وكذلك كان وهكذا يكون

وقال (١٠٣ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) والبصائر جمع بصيرة وهي لادراك العقل كالبصر في ادراك الحس، فتطلق على المعرفة اليقينية، وعلى الحجة العقلية والعلمية، وفي معناه وصف الوحي من آخر سورة الاعراف بقوله (٧ : ٢٠٣ هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ومثلها في سورة الجاثية (٤٥ : ١٩) وأمر رسوله في أواخر سورة يوسف بأن يقول (١٢ : ١٠٨ قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) ويؤيد هذا كل ماورد في القرآن

ومنذرين» (٥٠ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك . إن تبع الا ما يوحى الي . قل هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون) فراجع تفسيرها في (ص٤٢١ — ٤٣٠ ج ٧ تفسير) فقد بينا فيه بطلان ما سرى الى المسلمين من أهل الوثنية والكتب المحرفة من الغلو في الانبياء والصالحين زعمهم أنهم يعلمون الغيب ، ويتصرفون في خزائن ملك الله بالعطاء والمنع ، والضر والنفع ، وإلحاقهم اياهم بالملائكة من عالم الغيب ، حتى صاروا يطلبون منهم ما لا يطلب الا من الله تعالى ، وذلك عين العبادة التي يسمى الذين توجه اليهم آلهة ،

شبهات الكفار على الوحي والرسالة

هذا الغلوّ من بعض الناس في الانبياء والرسل يقابله غلو آخرين منهم في انكار رسالتهم واختصاص الله تعالى إياهم بوحيه اليهم ، فأولئك الغلاة أفرطوا في تصوير خصوصيتهم ، وزادوا فيها بأوهامهم وأهوائهم ، وهؤلاء فرطوا فيها، فلم يروا لهم مزية يمتازون على غيرهم بها ، أولئك زادوا في بيان حقيقتهم فصلا فصلهم من نوع الانسان، وهؤلاء جعلوا بشريتهم مانعة من تفضيل الله إياهم على سائر افراد الناس، إذ رأوهم بشرا وظنوا أن الوحي يخرجهم منها فيجعلهم كالملائكة كما يزعم الغلاة — قال تعالى في هذه السورة (٩٢ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) أي انهم ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه بانكارهم قدرته على انزال شيء من العلم على قلوب بعض البشر لاقتضاء علمه وحكمته ان يكونوا معلمين لسائر البشر ما فيه هدايتهم — كما ان الغلاة فيهم ما قدروا الله حق قدره إذ زعموا انه جعلهم شركاء له في علم الغيب ، والتصرف في ملكه بالعطاء والمنع ، . . .

وقد بينا في تفسير هذه الآية حقيقة الوحي ووجه حاجة البشر اليه واقتضاء حكمة الله وفضله الانعام عليهم به، فراجعه في (ص٦١١ ج ٧ تفسير) وهذه الشبهة شبهة كونهم بشرا قد ذكرت في سور كثيرة عند الكلام على رسالة الرسل كالاعراف وابراهيم والنحل والكهف والانبياء والشعراء ويس والتغابن، وذكرت في بعض السور بلفظ رجل بدل بشر كقوله تعالى في اول سورة يونس ١٠:١١ الر — اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس) الخ وهذا في نبينا (ص) ومثله عن اول من كذبوا الرسل وهم قوم نوح فقد قال تعالى في قصته من سورة

بصائر للناس فمن أبصر به الحق واتبعه ، فلنفسه أبصر فهو الذي سيسعد به ،
ومن عمي فعليها الوزر اذ هو الذي يشقى به ، ثم قال (وما انا عليكم بحفيظ)
اي موكل باحصائها وحفظها لاجل الجزاء عليها ، ثم أخبر تعالى جده بأن هذا من
تصريفه الآيات وتنويعه الدلائل وتبيينها لقوم يعلمون . ثم امره باتباع مايوحى
اليه والاعراض عن المشركين - الى ان قال (وماجعلناك عليهم حفيظا وما انت
عليهم بوكيل) (راجع تفسير الآيات في ص ٦٥٢ - ٦٦٣ ج ٧ تفسير)

وكل هذه الآيات وأمثالها تفصيل للآية التي حصرت فيها وظيفة جميع
المرسلين في التبليغ والتعليم المقدم الى التبشير والانذار وهو قوله تعالى (٤٨
وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) وقد وردت هذه القاعدة في الحصر
بصيغة الاثبات بعد النفي ، الذي هو الاصل فيما يخاطب به الجاهل أو خالي الذهن ،
لانها من اول ما نزل في بيان هذه العقيدة الهادمة لعقائد الكفار في الرسل
وخواص أتباعهم التي منها انها وكلاء الله على الارض بيدهم الهدى والحرمان
والاسعاد والاشقاء والرحمة والغفران والعقاب وغير ذلك . ووردت آيات
اخرى مثلها في عدة سور منها ما هو عام في جميع الرسل ومنها ما هو خاص
بخاتمهم . ووردت آيات اخرى في معناها ذكر الحصر فيها بصيغة « إنما » وهي
متأخرة عن الاولى كلها أو بعضها ، وهي الصيغة التي يخاطب بها من كان على
علم بالشيء لنكتة من النكت كما تقدم بيانه في تفسير (١٤٥ قل لا أجد فيما
أوحي اليّ) الآية

وكما غلا الضالون في الرسل ومن دونهم من الصالحين بجعلهم وكلاء الله
سبحانه وتعالى في الهداية والجزاء كالمغفرة والرحمة والعقاب ، غلوا فيهم بزعمهم
انهم يعلمون الغيب وانهم يتصرفون في امور الارض ، فيوسعون على الناس
الرزق . ويقضون الحاجات بقوة غيبية الهية فيهم مخالفة لسنن الله تعالى في الناس ،
او بحمل الخالق سبحانه وتعالى على ذلك بحيث لولاهم لم يفعله ، وانهم في تفوقهم
في ذلك وامثاله على سائر الناس كالملائكة او اعظم تأثيرا من الملائكة . وقد
بين الله تعالى على لسان خاتم رسله فساد هذا الغلو وبطلان هذه العقائد وصرح
بأن الرسل كسائر البشر في سنن الله تعالى فيهم الا انه ميزهم بالوحي وعصمهم من الخطأ
في تبليغ ما أمرهم بتبليغه قولا وعملا ومما يحول دون التأسي بهم . وحسبك من
[illegible] ذلك قوله تعالى في إثر قوله « وما نرسل المرسلين الا مبشرين

والخيالات ، فيوهمونهم أن الاولياء والقديسين فوق مرتبة البشر ويقدرون على ما لا يقدر عليه غيرهم من البشر ، وانهم عند الله تعالى كالوزراء ورؤساء الحجاب والاعوان عند الملوك المستبدين يقربون منه ويبعدون عنه من شاؤا ويحملونه على العطاء والمنع والضر والنفع كما يشاؤون

وجملة القول إن الله تعالى قد أبطل هذه الشبهة في الآيات ٧ و ٨ و ٩ من هذه السورة اكمل رد

فراجع تفصيل القول في تفسيرهن (ص ٣٠٩ ج ٧ تفسير) ثم بين في الآية (١١٠) انه لو نزل اليهم الملائكة وآتاهم كل شيء من الآيات مقابلا لهم أو حشره وجمعهم قبيلا بعد قبيل ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله لانهم معاندون لا مريدو حق وطلاب دليل يعرفونه به ، فراجع تفسيرها (في أول جزء التفسير الثامن)

تعجيزهم الرسول بطلب الآيات

كان الجاهلون المعاندون من كفار مكة يطالبون الرسول (ص) بالآيات على رسالته وكان بأمر الله تعالى يحتج ويستدل عليها بالقرآن الجامع لاقوى طرق الاستدلال العلمية والعقلية على كونه آية في نفسه من وجوه كثيرة وآية باعتبار كون من انزل على قلبه وظهر على لسانه كان اميا لم يتعلم شيئا ما من أنواع العلوم الالهية والشرعية والاجتماعية والتاريخية التي اشتمل عليها، وقد بينا وجوه دلالة القرآن على رسالته (ص) في مواضع من تفسير هذه السورة فراجع تفسير الآية ١٩ في (ص ٣٣٨) والآية ٢٥ (ص ٣٤٦) والآية ٣٧ (ص ٣٨٦) وفيه بيان كون القرآن أدل على رسالة محمد (ص) من الآيات الكونية التي أوتيها موسى وعيسى وغيرهما (ع س) على رسالتهم والآية ٥٠ (ص ٤٢١ — ٤٢٦) وكل ذلك في الجزء ٧ من التفسير والآية ٥ (ص ١٠ ج ٨)

نعم إن آية القرآن أقوى الحجج وأظهر الدلالات، وهي مشتملة ومرشدة الى كثير من الآيات والبينات، ولكن الذين كانوا يطالبون الرسول (ص) بالآيات على صدقه لم يكونوا ينظرون في الآيات، ولا يحفلون بأمر الاستدلال ، بل كانوا يعرضون عن كل آية لانهم فريقان: فريق الرؤساء والكبراء الذين شغلهم الكبر والحسد للرسول والعداوة له عن النظر فيما جاء به من هدى وما أقام عليه من دليل ، وفريق المقلدين الذين ألفوا ما ورثوا عن آبائهم وأجدادهم فاعرضوا عن كل ما يخالفه ولا سيما اذا كان مزيفا له ومضللا لاهله ، ولهذا قال

الاعراف حكاية لخطابه إياهم (٧: ٦٢ او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) ويليه حكاية مثل ذلك عن هود مع قومه (آية ٦٧)

ولما استبعد هؤلاء الوحي لرجل من البشر مثلهم كما حكاه عنهم في قوله (٢٣ : ٣٣ ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ٢٤ ولئن اطعتم بشراً مثلكم انكم اذا لخاسرون) زعموا ان الرسول عن الله يجب ان يكون ملكا او ان يؤيد بملك يكون معه كما حكاه عنهم بقوله (٢٤: ٧ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ؟ لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا) وقد ردت هذه الشبهة في الآيتين الثامنة والتاسعة ببيان سنة الله تعالى في إنزال الملائكة وبيان عدم استعداد جمهور البشر لرؤيتهم والتلقي عنهم في الدنيا وإنما يعدالله بعض الافراد من كملتهم لذلك فلامندوحة اذا انزل الملك عن جعله رجلا أي متمثلا في صورة رجل وحينئذ يلتبس عليهم الامر وتبقى شبهتهم في موضعها

هذه الشبهة على الرسالة وهي كون الرسول بشرا مثل المرسل اليهم لم تدعم بحجة ولم تؤيد ببرهان بل هي باطلة بالبداهة لانها تقييد لمشيئة المرسل وهو الفعال لما يريد (يختص برحمته من يشاء) وقد كان أولئك المشتبهون مؤمنين بقدرته التامة ومشيئته العامة ، بل كون الرسول الى البشر بشراً مثلهم يفهمون أقواله ويتأسون بأفعاله هو المعقول الذي تقتضيه الفطرة وطبيعة الاجتماع ، ولكن الاوهام الجهلية تقلب الحقائق وتعكس القضايا حتى إن بعض القرويين في زماننا جاء احدى المدن مرة فرأى الناس مجتمعين للاحتفال بوال جديد جاء من دار السلطنة فرغب أن يرى بعينيه الوالي الذي أرسله السلطان اليهم فلما مر أمامه وقيل له هذا هو استغرب أن يكون انسانا وقال كلمة صارت مثلا وهي : حسبنا الوالي واليا فاذا هو إنسان أو رجل .

وأخبرني محمود باشا الداماد أن بعض فلاحي الاناضول يتخيلون أن خلق السلطان مخالف لخلق سائر الناس وان لحيته خضراء اللون . ولهذا الضعف في كثير من البشر يلبس بعض رجال الاديان ازياء خاصة ويوفرون شعورهم لاجل استجلاب المهابة — فقوله تعالى (ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) كاشف لهذه الغمة من الوهم، وهاد الى ما يوافق سنن الفطرة من العلم، وقاطع على الدجالين طريق الجبت والخرافات ، التي يخدعون بها أولي الاوهام

(لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) فان ذلك الرومي لم يكن [illegible] في العربية . وهذا القرآن قد بلغ ببيانه فيها حد الاعجاز [illegible] وفي هذا تراه في تفسير الآية الثانية من الآيتين اللتين افتتحنا بهما هذه المسألة

فعلم مما تقدم ان الرسل رجال من البشر في جميع الشؤون البشرية الفطرية ليسوا أربابا ولا شركاء لرب العباد هي في علم الغيب ، ولا في تصرفه في تدبير أمر الخلق ، فهم لا يملكون لانفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعاً ، ولا إعناتاً ولا رشداً ، بل هم عبيد لله سبحانه كسائر عباده ولكنه أكرمهم بسلامة الفطرة واختصهم بعلم أوحاه اليهم وأمرهم أن يبلغوه لاقوامهم ليهتدي به المستعد منهم للهداية وتحق الكلمة على الجاحدين والمعاندين (ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيّ عن بينة)

وقد بين للناس ان ما يؤيدهم به من الآيات ليس في استطاعتهم ولا من مقدورهم لان سنة الله تعالى في قدرتهم كسنته في سائر البشر كما ان سنته في علمهم كذلك ، ولا الوحي الذي اختصهم به من كسبهم واستنتاج عقولهم ، ولا الآيات المثبتة له من عملهم ، تأمل قوله تعالى لخاتم الرسل (٣٥ وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وراجع تفسيرها في (ص ٣٨٠ : ج ٧)

وتأمل أمره إياه بان يبين للناس انه ليس عنده خزائن الله ولا علم الغيب وانه ليس ملكا وحصر خصوصيته باتباع وحي ربه في الآية (٥٠) التي أشرنا اليها آنفاً وأمره في الآية التي بعدها بالانذار ثم تدبر بعد هذين الامرين ما نهاه عنه وما أمره به في شأن معاملة فقراء المؤمنين السابقين وسائر المؤمنين في الآيات (٥١ — ٥٥) وقارن فيها بين قوله في الآية ٣٥ (فلا تكونن من الجاهلين) وقوله في آية (٥٢) ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكونن من الظالمين) تعلم الفرق بين مقام الربوبية ومقام عبودية النبوة .

ويقابل هذا النهي عن طرد فقراء المؤمنين اجابة لاقتراح الاغنياء المتكبرين قوله تعالى في معاملة هؤلاء المشركين (٧٠ وذر الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا) الخ وسيأتي شيء من بيان سنن الله تعالى في الرسل وأقوامهم عند الاشارة الى ما في السورة من بيان السنن الالهية العامة في الخلق

تعالى بعد افتتاح هذه السورة الكريمة بحمده ووصفه بما يثبت استحقاقه للحمد، ومقارنة ذلك بما نحن (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)، ثم (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) وأنى يفيده شيء من يعرض عنه ولا ينظر فيه؟

وقد كان النبي (ص) يحزن لاعراضهم، ويود لو يؤتيه الله تعالى آية مما اقترحوا عليه من الآيات السماوية كنزال الملك أو انزال كتاب من السماء - أو الآيات الارضية كتفجير ينبوع في مكة أو اعطائه جنة فيها يفجر الانهار خلالها تفجيراً، فهون الله تعالى عليه ذلك وعلمه مالم يكن يعلم من طباع هؤلاء المعاندين وعدم استعدادهم للايمان، وكونهم يكذبون بكل آية يؤتونها كما كذب أمثالهم الرسل من قبلهم، وبين له سنته في عذاب المكذبين بعد إيتائهم الآيات المقترحة بالاستئصال، وفي خذلانهم ونصر الرسل عليهم، وأمره أن يصبر على قومه كما صبروا على أقوامهم، ويتحمل مثل ما تحملوا من أذاهم، ويخبرهم ان الآيات عند الله تعالى لاعندهم، راجع تفسير الآيات ٧-٩ (ص ٣٠٩ ج ٧) و٢٥ و٢٦ (ص٣٣٧ منه) و٣٣ - ٣٧ (في ص ٣٧١ - ٣٨٩ منه) وآية ٥٠ (ص ٤٢١ منه) و ٥٧ و٥٨ (في ص ٤٣٥ منه) و ٦٥ - ٦٧ (ص ٤٩٠ الى ٥٠٣ منه) و ١٠٨ و ١٠٩ (ص ٦٧٠) الى آخر الجزء السابع و ١١٠ في أول الجزء الثامن و ١٢٣ — ١٢٥ (ص ٢٧ - ٤٤ منه)

وأما قولهم في القرآن أساطير الاولين كما في الآية ٢٥ (ص ٣٤٦ ج ٧) وقولهم للنبي (ص) «درست» كما في الآية ١٠٤ (ص ٦٥٨ منه) فهو مما قاله بعضهم في قصص القرآن تعليلا لانفسهم بما أملاه الخاطر، وتبادر الى فكر المكابر، لا عن معرفة واطلاع، كما بيناه في تفسير الآيتين، فمثلهم فيه كمثل من يستكبر من أهل البداية من كاتب أو شاعر ما يكتب أو ينظم فينسبه الى أحد المشهورين ولا سيما اذا كان لذلك الكاتب أو الشاعر صلة بأحد منهم، كما كان يظن بعض الناس أن الاستاذ الامام هو الذي يحرر المنار كله، أو التفسير والفتاوى والمقالات الاصلاحية. ولم يجد الجاحدون شبهة على كون النبي (ص) تعلم شيئا من أحد وقد عاش طول عمره معهم وليس عنده ولا عندهم أحد يعلم أخبار الرسل مع أقوامهم، وقد احتج عليهم بذلك بأمر الله تعالى حتى ألجأت المكابرة بعضهم الى عزو هذا التعليم الى قين (حداد) رومي جاء مكة يشتغل فيها بصنع السيوف فكان النبي (ص) يقف عليه ليشاهد صناعته، وقد رد الله تعالى شبهتهم هذه بقوله

يؤلف في هذه الدار ، وهذا جهل وغفلة من قوم يؤمنون بأن الله تعالى هو الذي بدأ هذا الخلق ، وانه هو الذي خلق السموات والارض ، وانه قادر على كل شيء ، لهذا اكتفى في هذه السورة بجعل هذه القضية في ثبوتها كالقضايا المسلمة ، مع التذكير في بعض الآيات بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، وحكمته في التكليف والجزاء ، وكونه رحمة منه تعالى وهو غني عن عبادة العباد ، كالآيات الثلاث ١٣٢ — ١٣٤ (ص ١١٣ ج ٨ تفسير) ولم يذكر هذه الصفات بأسلوب الاستدلال لانه لم يحك عن المنكرين شيئا من الاحتجاج وما ثم احتجاج ، ولا ما حكاه عنهم في غير هذه السورة من التعجب والاستغراب ، فكان الغرض من سرد الآيات بالاساليب التي أشرنا اليها التأثير في النفس ، فان من غرائز البشر ومقتضى فطرتهم أن تتأثر أنفسهم وعقولهم بما يتكرر على أسماعهم من كلام الصادقين الموقنين ، ولا سيما اذا كانوا هداة مهديين ، وقد كان فيما نزل قبل هذه السورة حكاية تعجبهم من خبر البعث وتفنيد ذلك بأسلوب إقامة الحجة ، ودخص الشبهة ، ومنها سورة (يس) وقد تكرر فيها ذكر الحشر والبعث والجزاء ، وختمت بأسلوب المناظرة والاستدلال ، فراجع تفسيرها في مفاتح الغيب للرازي ، وذكر مثل ذلك في فواتح السورة التي تليها (الصافات) وفي فاتحة سورة (ق) ومن الرد عليهم فى أثنائها (٥٠ : ١٥ أفعيينا بالخلق الاول ؟ بل هم في لبس من خلق جديد) وقد بينا في تفسير آيات البعث والجزاء من هذه السورة وغيرها ما ينبغي بيانه وذكرنا فيه بعض ماورد في سور أخرى ، فللقاريء أن يراجع ذلك اذا أراد أن يجمع بين الآيات في ذلك

عالم الغيب

عقيدة البعث والجزاء مما يجب اعتقاده من أمر عالم الغيب ومنه الملائكة والجن والشياطين ، ومن الغريب أن العرب كانت تؤمن بوجود الجن ويزعمون انهم يظهرون لهم أحيانا بصور الغيلان وانهم يسمعون أصواتهم وعزفهم ، وأنهم يلهمون الشعر في هواجس الشعراء ، ويستغني القاريء عن ذكر ماورد في هذه السورة من الآيات في ذلك بمراجعة كلمات الملائكة والشياطين والغيلان والروح والارواح في فهرس الجزئين ٧ و ٨ من التفسير وبمراجعة ما كتبناه في تفسير اسم الله اللطيف فيه ، وكذا غيرهما من أجزاء التفسير ، ومنها تعلم أن العلوم الكونية قد وصلت الى درجة لم يعد يستغرب معها شيء من أخبار عالم الغيب

البعث والجزاء

ذكرت آيات البعث والجزاء في هذه السورة تارة خبرا مجردا مؤكدا كقوله (١٢ ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه) وقوله (١٣٣ إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) أو غير مؤكد للاستغناء عن التوكيد في السياق كقوله (٣٦ والموتى يبعثهم الله) وكفى بالاسناد الى القادر على كل شيء استغناء عن التوكيد كما قال في آخر السورة (١٦٥ ثم الى ربكم مرجعكم). والاسلوب الغالب في بيان هذه العقيدة ايرادها في سياق ذكر الجزاء على الاعمال والبشارة والانذار والوعد والوعيد ، وأبلغ الآيات فيه التذكير بما يكون في ذلك اليوم كقوله (٢٢ ويوم نحشرهم جميعا) الى آخر آية (٢٤) وقوله (٢٧ ولو ترى اذ وقفوا على النار) الى آخر آية (٣٢) وقد جاء هذا بعد حكاية انكار البعث عنهم وحصرهم الحياة في الدنيا فبين لهم سوء مصيرهم في الآخرة التي ينكرونها لعدم الاستعداد لها بتزكية أنفسهم وختم السياق بحصر متاع الحياة الدنيا باللعب واللهو الذي هو شأن الاطفال وتفضيل الآخرة عليها . ويناسب هذا المعنى قوله في الآية (٧٠) وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع (الآية) وكل هذه الآيات في الجزء ٧ ويقرب منه ما جاء في أسلوب حشر الانس والجن ، وبيان ما يقوله يومئذ كل منهما في الآخر وسؤال الله إياهم عن مجيء الرسل منهم اليهم يقصون عليهم آيات ربهم وينذرونهم لقاء ذلك اليوم ، وشهادتهم على أنفسهم — راجع آية ١٢٧ — ١٢٩ (ص ٦٤ ج ٨) وقد جمع في الآيات ١٣٢ — ١٣٤ بين الوعيد بسوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة جميعا

اذا استقصى القارىء آيات البعث في هذه السورة يراها تخبر بشيء ثابت مقرر ، هو لصدق المخبر به كأنه مسلم ، لانذار ما يقع في يومه من العذاب للمجرمين عسى أن يتقي ، والبشارة بما أعد فيه للمتقين من الفوز والنعيم عسى أن يسعى له بالايمان والهدى. ويظن الذين اعتادوا تلقي العقائد من طريق النظريات الجدلية ، ان هذه دعاو غير برهانية ، وإنما هي أساليب خطابية ، والصواب أنها أخبار أخبر بها من لا خلاف بين المؤمنين والكفار في صدقه وأمانته ، وقد قام البرهان على رسالته ، ولم يأت منكروها بدليل على انكارها ولا شبهة فيحتاج الى ابطالها بالحجة ، وإنما كان سبب الانكار ، استغراب مالم يعرف ولم

فلا يحمل أحد وزر غيره ولا ينجو بحسنات غيره (راجع الآية ١٦٥ وتفسير هذا الاصل فيها (ص ٢٤٥) والاستدراك عليه (ص ٢٥٤ — ٢٧٠ ج ٨)

﴿ تنبيه ﴾ [1] مسألة الجزاء على الاعمال بجعل الحسنات مضاعفة دون السيئات التي جزاؤها بمثلها ان لم ينل صاحبها شيء من عفو الله ومغفرته ومسألة سعة الرحمة الالهية لكل شيء وسبقها للغضب — كل ذلك قد عد مشكلا مع تفسير الجمهور لخلود الكفار في النار خلوداً لا نهاية له ، وقد بسطنا ماوقع من الخلاف في هذه المسألة في تفسير قوله تعالى (٢٧) قال النار مثوا كم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) فيراجع (في ٦٨ — ٩٩ ج ٨) وفيه كلام نفيس في رحمة الله تعالى وحكمته

(الاصل الخامس) الجزاء يكون على الاعمال البدنية والنفسية جميعا ولذلك أمر تعالى بترك ظاهر الاثم وباطنه ؛ بل المراد من العمل الظاهر اصلاح الباطن. (راجع الاصل الثاني)

(الاصل السادس) الناس عاملون بالارادة والاختيار ، ولكنهم خاضعون في أعمالهم للسنن والاقدار ، فلا اجبار ولا اضطرار ، ولا تعارض بين عملهم باختيارهم وبين مشيئة الخالق سبحانه ولا يعدون به مشاركين له تعالى في ارادته وقدرته فان صفاته تعالى ذاتية واجبة الوجود كاملة وارادة العباد وقدرتهم من عطاء الله وخلقه حسب مشيئته فهو الذي شاء أن يخلق نوعا من الخلق ويجعله ذا قدرة محدودة ومشيئة تتوقف عليها أعماله الاختيارية ، ومعنى خلقه تعالى الاشياء بقدر وتقديره لكل شيء أنه خلقها بنظام جعل فيها المسببات على قدر الاسباب عن علم وحكمة، ولم يخلق شيئا جزافا ولا أنفا كما يزعم منكرو القدر . والانف بضمتين الامر الذي يكون بادئ الرأي عن غير تقدير ولا نظام يجري عليه فليس في القدر شيء من معنى الاكراه والاجبار على العمل البتة. راجع في فهرسي الجزئين ٧ و ٨ كلمات مشيئة والجبر والقدر وسنة الله أو سنن الله تعالى في الكائنات. مثال ذلك ص ٣٠٢ و ٤٠٢ و ٤٩٨ و ٦٦٩ من الجزء السابع وص ٣ و ٨ ج ٨ وتفسير (١٢٤ فمن يرد الله أن يهديه) الآية (ص ٤٢ ج ٨) وآية (١٢٨ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) ص ١٠٠ ج ٨ ايضا وص ١١٢ منه وتفسير (١٤٨ و ١٤٩ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا) ص ١٧٦ — ١٨١ منه

(١) كان اللائق بهذا التنبيه ان يجعل عقب الاصل الثالث وكذلك وضع في جزء التفسير

ولا سيما علم الكيمياء وعلم الكهرباء، لكن من عجائب تفاوت أفهام البشر أنه لا يزال الكثيرون ينكرون من أخبار الرسل ما لم يألفوا . ولا يرون المعروف منها الا ما عرفوا ، واذا قيل لهم فيه أو في مثله إنه قد اكتشفه الهر فلان والمستر علان (١) مثلا قبلوه مذعنين ، وقالوا أنه الحق المبين ، وهذا شر التقليد .

أصول الدين العلمية والعملية

أجمع ما ورد في السورة من الاصول الكلية الجامعة للعقائد والآداب والفضائل والنهي عن الرذائل الوصايا العشر في الآيات الثلاث ١٥١ — ١٥٣ وتفصيل القول في تفسيرها في (ص ١٨٣—١٩٩) ونشير الى بعض الاصول والقواعد المتفرقة في الآيات قبلها وبعدها

(الاصل الاول) إن دين الله دين توحيد واتفاق فتفريقه بالمذاهب المختلفة والاهواء المفرقة، وجعل أهله شيعا متعادية ، مفارقة له ، وخروج عن هدي الرسول الذي جاء به، يوجب براءته (ص) منه ، — راجع تفسير (١٥٩ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) (ص٢١٣— ٢٣٢ ج٨) وهذا الاصل هو قاعدة سياسة الدين وحياة أهله الاجتماعية والتشديد فيه يضاهي التشديد في أصل التوحيد الذي هو القاعدة الاعتقادية

(الاصل الثاني) ان سعادة الناس وشقاوتهم منوطتان بأعمالهم النفسية والبدنية وان جزاءهم على أعمالهم يكون بحسب تأثيرها في أنفسهم وهذا المعنى يستفاد من آيات كثيرة بالنص أو الفحوى . ومن أصرح آيات هذه السورة فيه قوله تعالى في آية (١٣٩ سيجزيهم وصفهم) فراجع تفسيره في (ص١٢٩ ج٨) واستعن على مراجعة سائر الآيات بالارقام التي بجانب كلمة « الجزاء » من فهرس الجزئين ٧ و ٨ ومن أهمها ما في ص ٣٢٥ ج ٧ وتفسير (ولا تكسب كل نفس الا عليها) في أواخر السورة (ص ٢٤٥ ج ٨)

(الاصل الثالث) في الجزاء على الاعمال وهو الجزاء على السيئة بمثلها وعلى الحسنة بعشرة أمثالها فضلا من الله ونعمة جل ثناؤه، وعظمت نعماؤه، ويا خسارة من غلبت سيئاته حسناته المضاعفة، اولئك هم الخاسرون (راجع الآية ١٦٠ ص ٢٣٢ ج٨)

(الاصل الرابع) كون جزاء سيئات كل عليه وحده وحسناته له وحده

(١) كلمة هر لقب الماني ومستر لقب انكليزي كمسيو الفرنسي

(الاصل التاسع) التقليد في الدين باطل لانه ينافي أصل العلم اليقين ، فان المقلد في الدين هو من يعتمد في دينه على قول من يثق به من أهله وقومه او معلمه وليس على علم ولا بصيرة فيه ، فهو لا يدخل في أتباع الرسول الذين قال فيهم الله عز وجل «١٢ : ١٠٨ قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » فكل ما ورد في هذه السورة وغيرها من القرآن أو السنة من كون هـذا الدين علما مؤيدا بالحجة وبصائر للناس وآيات بينات فهو مبطل للتقليد ، وكل ما ورد فيها من النعي على الكفار وعيبهم بالجهل وعدم العلم ، ووصفهم بالصم البكم العمي ، وبكونهم لا يعقلون — فهو مبطل للتقليد . وكل ما فيه من مطالبتهم بالدليل على ما يدعون وبالعلم والعقل فكذلك . وقد نبهنا في تفسير بعض آيات السورة الواردة في هذه المسائل الى بطلان التقليد كقوله تعالى في آخر آية ١٤٤ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم « ص ١٤٤ ج ٨ » والعبرة فيه انه جاء في خاتمة تقريعهم على ما حرموا من الحرث والانعام تقليدا لآبائهم فبذلك كانت كل تلك الآيات هادمة للتقليد ، ويؤيدها آية محرمات الطعام بعدها وقد نقلنا في تفسيرها كلاما حسنا في جهل المقلدين وإيثارهم كلام شيوخهم على كلام الله ورسوله نقله الرازي عن شيخه الذي وصفه بخاتمة المحققين والمجتهدين « راجع ص ١٦٩ ج ٨ » وراجع تفسير خسران النفس في ص ٣٢٨ ج ٧

(الاصل العاشر) ان التحليل والتحريم التعبديان وسائر شرائع العبادة وشعائرها من حق الله على عباده فمن وضع لهم حكما من ذلك لم يستند الى شرع الله الذي أوحاه الى رسوله فقد افترى على الله وجعل نفسه شريكا له في ربوبيته وأضل الناس بغير علم فهو ضال مضل ، وما جاء به فهو بدعة ضلالة ، راجع تفسير الآيات ١٣٦ — ١٤٠ (ص ١٢١ — ١٤٧ ج ٨)

(الاصل الحادي عشر) ان الله تعالى لم يحرم على الناس طعاما يطعمونه الا الثلاث التي ذكرت بصيغة الحصر في الآية (١٤٥) وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فراجع تحقيق الحق في تفسيرها (من ص ١٤٧ — ١٧٠ ج ٨)

(الاصل الثاني عشر) ان هذه المحرمات تباح للمضطر اليها بشرط أن لا يكون باغيا أي مريدا لها ، ولا عاديا أي متجاوزا حد الضرورة الى التمتع بها ، واذا كان

ويدخل في هذا الباب سنة الله تعالى وقدره في فقد الاستعداد للايمان الذي يعبر عنه في القرآن بمشيئة الاضلال وبالاكنة والختم والرين على القلوب ويوصف أصحابه بالصم البكم العمي — ليس معنى هذه السنة أن الله بقدرته طبع هؤلاء على الكفر ابتداء وخلقا أنفا ، حتى صار تكليفهم الايمان عبثا ، ومن تكليف مالا يطاق ، بل هي داخلة في نظام المقدار ، وارتباط الاسباب بالمسببات ، اذ هي عبارة عن تأثير اعمال الانسان في نفسه وتأثير التربية والمعاشرة أيضا ، فهي اذاً أثر كسبه كما يعلم من الشواهد التي أشرنا اليها آنفا . وكثيراً ما نذكر به في التفسير لايضاح هذه المسائل التي ضل فيها كثير من المتكلمين فأوقعوا الناس في الحيرة ، راجع تفسير آية ٧ و ٩ ص ٣٠٩ وآية ٢٠ ص ٣٤٢ وآية ٢٥ ص ٣٤٦ و ٣٥ ص ٣٨١ و ٤٦ ص ٤١٧ كلها من الجزء السابع وتفسير ١١٠ — ١١٢ من آخر السابع وأول الثامن و ١٢١ و ١٢٢ ص ٢٩ و ١٢٣ — ١٢٥ ص ٣٧ و ١٤٤ ص ١٤٥ من الجزء الثامن

وكذلك سنن الله في افتتان بعض الناس — وكذا الجن — ببعض في الآية ٥٣ ص ٤٤٣ وفي لبسهم شيعا واذاقة بعضهم بأس بعض في الآية ٦٥ ص ٤٩٠ وتولية بعض الظالمين بعضا في الآية ١٢٨ ص ١٠٠ ج ٨ و ١٠٩ منه وفي تزيين أعمالهم لهم في الآية ١٠٧ ص ٦٦٨ ج ٧ وآية ١٢١ ص ٣١ وآية ١٣٧ ص ١٢٤ من الجزء الثامن ، وفي مكر اكابر المجرمين في المدائن في الآية ١٢٢ ص ٣٢ منه ، كل هذه السنن العامة في الاجتماع البشري في معنى ما بيناه في الاصل الذي قبل هذا علمها الله رسوله والمؤمنين ليكونوا على بصيرة من أمر البشر وتأثير دعوة الاسلام في المستعدين دون غيرهم ، حتى لايحزنوا ولا يطمعوا في غير مطمع ، ولا شيء منها يقتضي سلب الاختيار ، ولا وقوعها بالاكراه والاجبار

(الاصل السابع) ما ورد من بيان السنن الاجتماعية في حياة الامم وموتها وسعادتها وشقاوتها وإهلاكها بمعاندة الرسل وبالظلم والفساد في الارض وتربيتها بالشدائد وكذا بالنعم والنقم . راجع ص ٢٣٦ وما بعدها و ٣٠٨ و ٣٦٩ و ٤١٢ و ٤٩٧ من الجزء السابع و ٦٤ و ١١٨ و ٢٥٢ من الجزء الثامن

(الاصل الثامن) » ان مسائل عقائد الدين علم صحيح ، يشترط فيه اليقين ، ومن ثم كان بصائر للناس ، وأيد بالآيات البينات ، كما تقدم في بحث العقائد الالهية وبحث الرسالة ، واليقين جزم تطمئن به النفس ، لا يزلزله شك ولاريب ،

الذي هو فرض عين فالسفر لطلبه اذا تعذر تحصيله بدونه يكون فرض عين ، والسفر لطلب العلم الذي هو فرض كفاية (ومنه الفنون والصناعات التي يتوقف عليها حفظ البلاد وشؤون المعاش والصحة ...) فرض كفاية تأثم الامة كلها اذا لم يقم به من تحصل بهم كفاية الامة والبلاد . وقد يكون محرما أو مكروهاً اذا قصد به عمل محرم أو مكروه . كالذين يسافرون الى أوربة لاجل الفسق

وأجمع الآيات لتكميل النفس بالسفر من طريق الدراية المستفادة بالنظر والاكتشاف والاعتبار ، وطريق الرواية والتلقي عن أهل العلم والبصيرة والاختبار ، قوله تعالى في سورة الحج (٢٢ : ٤٤ أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

وقد نبهت آية آل عمران الى أصل من أعظم أصول العلم التي تستفاد من السياحة واختبار أحوال الامم وهو العلم بسنن الله في شؤون البشر العامة المعبر عنه في هذا العصر بعلم الاجتماع وهي (٣ : ١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) الآية . ونبهت آية العنكبوت الى أصل آخر وهو البحث فيما يتعلق ببدء الخلق من الآثار ، ليكون من فوائده قياس النشأة الآخرة على النشأة الاولى وذلك قوله تعالى (٢٩ : ١٩ قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدء الخلق) الآية . ونبهت الآية الاولى من آيتي سورة الروم الى النظر في أحوال الامم وآثارها الخاصة بالقوة الحربية وموارد الثروة الزراعية وسائر شؤون العمران وكيف كان عاقبة ذلك وأسبابه ليعلم أن القوة والثروة . لا تحول دون هلاك الامة ، اذا استحقت ذلك بالظلم وكفر النعمة ، وهي (٣٠ : ٨ أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها) الخ وفي معناها آية فاطر (٣٥ : ٤٤) وهي خاصة بمسألة القوة ولكنها جاءت بعد بيان سنة الله في الاولين ، وان سنن الله لا تبديل لها ولا تحويل ، فهي ترشد بموقعها الى البحث عن تلك السنن ، وفي معناها آيتا سورة غافر(٤٠ : ٢١و٨٢) فهما ترشدان الى الاعتبار بقوة الامم وآثارها في الارض فتزيد على ماقبلها الارشاد الى الاستفادة من صناعة الاولين وكسبهم ، والاعتبار بكونها لم تكن واقية لهم مع قوتهم الحربية من عذاب الله إياهم بذنوبهم وكفرهم ،

الاضطرار علة هذه الاباحة بشرطها فمثل هذه الاطعمة غيرها من المحرمات التي يضطر اليها الانسان لحفظ حياته كالاضطرار الى الخمر أحيانا كما صرحوا به وليس منه الزنا لانه ليس مما يضطر اليه أحد لحفظ حياته

(الاصل الثالث عشر) السياحة والسير في الارض ، فاتنا أن نذكر في تفسير قوله تعالى (١١ قل سيروا في الارض) أنه يدل بعمومه على وجوب السياحة ، وان جعل الزمخشري والبيضاوي الامر فيه للاباحة ، نعم ان الخطاب في هذه الآية للمشركين المكذبين وان الغرض منه الدلالة على مصداق الآية التي قبلها الناطقة بما حل من عقاب الله بالساخرين من الرسل والمستهزئين بهم من قبلهم ، ولكن العبرة بعموم اللفظ دون السبب الخاص لنزوله والاحتجاج به ، وقد تكرر الامر في الكتاب العزيز بالسير في الارض والحث عليه ، فمنه ماجاء في خطاب المشركين كآية الانعام ومثلها في النحل والنمل والعنكبوت ويوسف وفاطر وغافر ، ومنه ماجاء في خطاب المؤمنين كآية آل عمران (٣: ١٣٧) ومثلها آية سورة الروم (٣٠: ٤١) ومنه ما يحتمل العموم والاطلاق. ويؤيد ذلك وصف المؤمنين والمؤمنات في القرآن بالسائحين والسائحات في سورتي التوبة والتحريم . وكذا تخصيص سهم من مال الزكاة لابناء السبيل وهم الرحالون الذين ينقطعون بالاسفار عن أوطانهم ومعاهد كسبهم حتى كأن السبيل لكل منهم أبوه وامه ، لانه لا يكاد يفارقه، وانظر أحكام السفر وفوائده في الاصل التالي :

(الاصل الرابع عشر) النظر في أحوال الامم، وعواقب الاقوام التي كذبت الرسل ، في أثناء السير في أرضها ، ورؤية آثارها ، وسماع أخبارها ، كما بينا ذلك في تفسير الآية التي استدللنا بها على الاصل السابق وهي (١١ قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين)

وهذا النظر والاعتبار لاخلاف بين العلماء في وجوبه شرعا وكونه مطلوبا لذاته ومقصوداً من السياحة والسير في الارض وانما اختلفوا في السفر نفسه اذا لم يقصد به ذلك فذهب بعضهم الى إباحته كما تقدم وبعضهم الى وجوبه، والحق ان القرآن قد بين للسفر فوائد أخرى علل بها الامر به والحث عليه. وان الاصل فيه الاباحة وقد يكون واجباً اذا كان لامر واجب كالحج والجهاد الشرعي والنظر والاعتبار الذي هو موضوع هذا الاصل من أصول فوائد سورة الانعام — وقد يكون مندوبا اذا كان لطلب التوسع في العلوم . وأما العلم

أحاديث أخرى أبلغ منها معروفة في محلها وراجع تفسير الآية (ص ٣٩١-٤٠٢ ج٧)

(الاصل الثامن عشر) إثبات أن الحياة الدنيا ليست الا لعبا ولهوا وأن الحياة الآخرة خير منها للذين يتقون ما أمر الله تعالى الناس باتقائه من الشرك وكفر النعم والظلم والفواحش والمنكرات، والآية ٣٢ نص صريح في ذلك وقد ذكرنا في تفسيرها ما ورد في معناها فراجعه في (ص ٣٦٢ - ٣٧٠ ج ٧)

والمراد من بيان هذه الحقيقة تحذير العاقل من جعل التمتع بشهوات الدنيا كل همه من حياته أو اكبر همه فيها، وان وقف في ذلك عند حد المباح من الزينة والطيبات من الرزق، ولم يضيع ما لله وما لعباده عليه من حق، على أن هذا لا يكاد يتفق لمن كان ذلك اكبر همه، ذلك بأن متاع الدنيا قليل، وأجله قصير، وهو مشوب بالمنغصات، وعرضة للآفات. والذي لا هم له فوقه يسرف فيه فيظلم نفسه ويظلم غيره، واننا نرى أهل الحضارة المادية في هذا العصر قد وصلوا الى درجة رفيعة من العلوم العقلية والادبية والاجتماعية ولم تكن بصارفة لهم عن افتراس أقويائهم لضعفائهم فضلا عن الضعفاء الذين هم دونهم في حضارتهم أو من غير أبناء جنسهم، وقد انتهوا في الخبث والشر والظلم والفتك الى غاية لم يعرفها تاريخ البشر في أشد المتوحشين جهلا

(الاصل التاسع عشر) ابتلاء الناس بعضهم ببعض أي جعل ما بينهم من الاختلاف والتفاوت في الصفات والمزايا الوهبية والكسبية مما يختبر به استعداد الافراد والشعوب في التنافس والمسابقة الى ما يفضل به بعضهم على بعض فنهم من سلك في ذلك سبيل الحق والخير، ومنهم من سلك طرق الباطل والشر، ولذلك ينتهي الاختبار تارة بارتقاء كل من المتنافسين في العلوم والاعمال النافعة وتارة ينتهي بالرزايا والنكال لكل منهما، وتارة ينتهي بارتفاع فريق الى أعلى الدرجات، وهوي الآخر الى أسفل الدركات، وكان الواجب على المسلمين أن يكونوا أول المهتدين بهذا الارشاد الالهي في منافستهم لغيرهم ومنافسة غيرهم لهم، وذلك قوله تعالى في آخر السورة (١٦٧ وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) عسى أن يتوب الله تعالى عليهم، ويعود برحمته الخاصة عليهم، فيرفع عنهم ما نزل بهم من الارزاء، ويعيد اليهم ما سلبهم من الآلاء، وهو

وقد ذكرناهذه الامهات من أصول علوم الاجتماع والعمران على سبيل الاستطراد لتذكير مسلمي هذا العصر بأن القرآن قد أرشد البشر الى جميع ما يتعلق بسعادة الامم والافراد ، في أمري المعاش والمعاد .

(الاصل الخامس عشر) جعل الله الظلم سببا لهلاك الامم وإبادة الاقوام فقال (٤٥ فقطع دابر القوم الذين ظلموا) وقال (٤٧ هل يهلك الا القوم الظالمون) وقال (٨٣ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون) والظلم أنواع قد بين في هذه السورة بعضها والحق أن المراد في مثل هذه الآيات الظلم العام

(الاصل السادس عشر) الترغيب في علوم الكائنات والارشاد الى البحث فيها لمعرفة سنن الله وحكمه فيها وآياته الكثيرة فيها الدالة على علمه وحكمته ومشيئته وقدرته وفضله ورحمته ولاجل الاستفادة منها على أكمل الوجوه التي ترتقي بها الامة وتشكر فضل الله عليها ، وقد جعلنا هذا النوع من هداية السورة أصلا واحدا وهو أصول تتعلق بكثير من العلوم المتعلقة بالمواليد الثلاث وغيرها ، وإنما غرضنا بذكر هذه الاصول التذكير والاشارة ويمكن القارئ أن يأخذ من هذا الاصل ارشاد القرآن الى جميع العلوم النباتية والحيوانية والانسانية من جسدية ونفسية ، والفلكية والجوية والحسابية

ولو لم يرد في هذه السورة الا الآيات الاربع المتصلة من قوله تعالى (١٩٥ إن الله فالق الحب والنوى ـ الى قوله ـ لآيات لقوم يؤمنون) لكفى فراجع تفسيرها في (ص ٦٢٩ — ٦٤٥ ج ٧) وفي معناها في إثبات (١٤١ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) الآيات . ومثلها في الحيوان خاصة آية ٣٨ التي تذكر في الاصل الذي بعد هذا

(الاصل السابع عشر) العناية بحفظ أنواع الحيوان ، والرفق بما سخره الله منها للانسان، وبغيره. يؤخذ هذا من قوله تعالى (٣٨ وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) فقد استنبط النبي (ص) منها حظر قتل الكلاب فقال « لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها » الحديث رواه أبو داود والترمذي عن عبدالله بن مغفل بسند صحيح

وقد استدلت احدى الصحابيات بالآية على وجوب الرفق بالحيوان وتحريم تعذيبه كما ذكرناه في تفسيرها وذكرنا في المعنى بعض الاحاديث المرفوعة وهنالك

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء. واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح في إغفاله

﴿ حرية الدين وقتل المرتد وانتفاع الوالدين بعمل أولادهم ﴾

(س ٨و٩) من الشيخ محمد نصر الوكيل طالب العلم بالقسم الثانوي النظامي للازهر (من أسطنها)

سيدي الرشيد، ذو الرأي السديد، خليفة الاستاذ الامام، وحامي ذمار الاسلام، سلام عليكم من فتى معجب بالمنار ومتأثر بدعوة صاحبه الذي وقف محياه ومماته لله رب العالمين، ونصب للناس في ديجور الشرك صوى ومناراً به يهتدون ويهدون، وأطلع لهم في ليالي السرار نجم الحقيقة في سماء الدين

وبعد فلدي سؤالان أتقدم بهما الى موائد علمكم الشريف رجاء أن تحسنوا الى محبكم بتضحية بضع دقائق من وقتكم المبارك تكتبون فيها جوابا على صفحات المنار الاغر أو في كتاب خاص يكون ذخراً لديه من حكيم الاسلام وخادمه ومقر عين النبي ووارثه

(١) ان شريعتنا السمحة قد امتازت بالتسامح مع المخالفين في الاعتقاد والتساهل مع ذوي المذاهب والاديان، وفي ذلك قال الله تعالى (لا اكراه في الدين... الخ) وهذه الآية هي مفخرتنا على الغربيين في أن ديننا أتى بمبدأ حرية الاعتقاد، ووسع صدره في الايام التي كان فيها قابضا على ناصية الارض ومتقلداً صولجان العزة والملك كل مخالف من غير أن يتعرض لعقيدته، بل كان يستعين بالنصارى النسطوريين على نشر العلم واقامة المدارس في ربوع المملكة،

الغفور الرحيم ، ذو الفضل العظيم ،

(الاصل العشرون) التوبة الصحيحة مع ما يلزمها من العمل الصالح توجب مغفرة الذنوب ورحمة الرب بايجابه ذلك على نفسه ،بسننه في خلقه ، ووعده في كتابه ، لا بتأثير مؤثر ، ولا إيجاب موجب ، ولا محاباة شافع ، والآية ٥٤ من هذه السورة نص في هذا الايجاب الشرعي إذ قال (كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) وأما إيجابها بمقتضى سنن الله تعالى فهو أن مبدأ التوبة شعور بالالم والامتعاض من الذنب والحياء من الله والخوف من سخطه وعقابه عليه ولوم النفس الذي يسميه بعضهم توبيخ الضمير وهذا يستلزم بسنة الفطرة البشرية تركه والاتيان بعمل يضاده ويذهب بأثره من النفس . وقد عرف أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى التوبة بأنها مركبة من علم وحال وعمل فالعلم بقبح المعصية وكونها سببا لسخط الله وعذابه يوجب الحال وهو ألم النفس الذي ذكرناه آنفا ، وهذا الحال يوجب العمل الشامل لترك الذنب وتكفيره بالعمل الصالح ولا سيما اذا كان مضادا له . ويراجع تفسير الآية في ص ٤٤٨ ج ٧ ثم تفسير الآيات التي يحيل عليها في تفصيل المسألة

وقد أخرنا هذا الاصل لتذكير الافراد والاقوام من هذه الامة التي جعل الله تعالى هذا الكتاب إمامها بما يجب عليها من التوبة عن مخالفة ماهداها اليه من دين الله القويم وصراطه المستقيم ، وتنكب ما أرشدها اليه من سننه في خلقه

هذا ما تيسر التذكير به من أصول علوم الدين والدنيا في هذه السورة بقدر ما تذكرناه وقت كتابته والفكر في بلبال والقلب في آلام ، والزمن غير مساعد على محاولة الاستقصاء ، على ان الاحاطة بعلوم القرآن ، ليست في استطاعة إنسان ، فهي تتجدد في كل زمان ، ويهب الله منها الاواخر ، مالم يهب الاوائل ، ويمنح بعض الضعفاء ، ما لا يمنح الاقوياء ، وبهذا نختم تفسير هذه السورة . ونسأله تعالى أن يلهمنا الصواب ، ويوفقنا لاتمام تفسير الكتاب ، ويؤتينا فيه الحكمة وفصل الخطاب . آمين

وهو حديث « من مات وعليه صيام فليصم عنه وليه » على ان ذلك لا يمنعنا من أن نقول فيها ماقالته هي في ابن عمر : لقد حدثتموني عن غير كاذب ولا متهم ولكن خانه سمعه . أجيبوا لازلتم هاديين مهديين والسلام محبكم المخلص

محمد نصر الوكيل

« الجواب عن مسألة حرية الدين وقتل المرتد »

ذكرت هذه المسألة في مواضع من المنار كالتفسير والفتاوي فنقول فيها هنا قولا نلخص به ما تقدم نشره . فنقول (أولا) انه ليس في القرآن أمر بقتل المرتد بل فيه مايدل على عدم قتل المرتدين المسالمين الذين لا يحاربون المسلمين ولا يخرجون عن طاعة الحكومة فقد جاء في تفسيرنا لقوله تعالى (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) من سورة النساء مانصه :

« وفي الآية من الاحكام — على قول من قالوا انهم كانوا مسلمين أو مظهرين للاسلام ثم ارتدوا — ان المرتدين لا يقتلون إذا كانوا مسالمين لا يقاتلون ولا يوجد في القرآن نص بقتل المرتد فيجعل ناسخا لقوله (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) الخ

« نعم ثبت في الحديث الصحيح الامر بقتل من بدل دينه وعليه الجمهور، وفي نسخ القرآن بالسنة الخلاف المشهور ، ويؤيد الحديث عمل الصحابة ، وقد يقال ان قتالهم للمرتدين في أول خلافة أبي بكر كان بالاجتهاد فانهم قاتلوا من تركوا الدين بالمرة كطي وأسد ، وقاتلوا من منع الزكاة من تميم وهوازن ، لان الذين ارتدوا صاروا الى عادة الجاهلية حربا لكل أحد لم يعاهدوه على ترك الحرب . والذين منعوا الزكاة كانوا مفرقين لجماعة الاسلام ناثرين لنظامهم ، والرجل الواحد اذا ترك الزكاة لايقتل عند الجمهور » اه والتحقيق ان القرآن لا ينسخ بالسنة كما قال الشافعي ومن تبعه وخالفهم الكثيرون في السنة المتواترة

ويؤيد الحكم في هؤلاء الحكم فيمن ذكروا في الآية التالية لهذه الآية وهي (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث

ولكني أعرض على نور معلوماتكم الدينية ، ومشكاة معارفكم القدسية الربانية ، مسألة المرتد فانها تعارضت عندي مع هذا الاصل الكريم وهذا هو السؤال :

هل في القرآن الشريف أو في السنة الصحيحة أمر بقتل المرتد؟ واذا كان فكيف التوفيق بينه و بين النهي عن الاكراه في الدين؟ واذا لم يكن فما مراد الشارع من قوله صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فاقتلوه) وقوله (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله... الخ) وقوله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الى أن قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)

واذا لم يكن المراد من ذلك اكراه المرتد وكل مخالف على الدين فعلى أي أصل استند الفقهاء في وجوب قتل المرتد؟ واذا قلتم انه من باب سد الذريعة واستئصال جذور الفتنة أفلا يصدق ذلك على الفلاسفة والعلماء الاحرار الافكار الذين قد يكتشفون نظريات علمية تخالف ظاهر الدين؟ واذا كان لا يصدق أفلا يعد على كل حال عملا منافيا لحرية الاعتقاد وماسا بمبدأ التسامح والتساهل الذي امتاز به الاسلام ؟

(٢) جاء في الجزء الاخير من المنار الاغر صفحة ٢٤ قولكم : ومما ينتفع به الانسان من عمل غيره بعد موته صوم ولده أو حجه عنه مستدلين بقوله (ص) « من مات وعليه صيام فليصم عنه وليه » أفلا يعد ذلك نسخا لقوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) بحديث الآحاد لانكم قلتم ان الحديث لا يصح الا من طريق عائشة (رضى الله عنها) واذا لم يكن نسخا وقلتم انه تخصيص أفلا يعد التخصيص نسخا لبعض المفهوم الكلي الشامل في الآية ؟ واذا كان لا يعد نسخا فلم خصصتم في هذه الآية ولم تخصصوا في آية الطعام (قل لا أجد فيما أوحي الى محرما . . . الخ) واذا قلتم انه ينتفع بذلك من حيث يعد من قبيل عمله لانه كان سببا فيه فلم لا تعد الصلاة كذلك وينتفع بها من هذه الحيثية ؟ واذا قلتم ذلك مخالف للنص القطعي فكذلك انتفاعه بصوم الولد وحجه مخالف للنص القطعي وهو قوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) ويعجبني في ذلك مبدأ السيدة عائشة حيث كانت ترد كل ما تراه مخالفا للقرآن وتحمل رواية الصادق على خطأ السمع أو سوء الفهم ولكن كيف كان هذا مبدؤها وقد روت هي ما خالف القرآن

وان بعض اليهود كان يصد الناس عن الاسلام باظهار الدخول فيه ثم باظهار الارتداد عنه ليقبل قوله بالطعن فيه . وذكرنا ما حكاه الله عنهم في هذا . وقلنا: فالظاهر ان الامر في الحديث بقتل المرتد كان لمنع المشركين وكيد الماكرين من اليهود فهو لاسباب قضت بها سياسة ذلك العصر التي تسمى في عرف أهل عصرنا سياسة عرفية عسكرية لا لاضطهاد بعض الناس في دينهم . ألم تر ان بعض المسلمين أرادوا ان يكرهوا أولادهم المتهودين على الاسلام فمنعهم النبي (ص) بوحي من الله عن ذلك حتى عند جلاء بني النضير والاسلام في أوج قوته وفي ذلك نزلت آية (٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين) وأزيد هنا ما كنت ذكرته في تفسير هذه الآية وهو ان النبي (ص) أمر بتخيير أولئك المتهودين فمن اختار الاسلام بقي مع أهله المسلمين وكان منهم ومن اختار اليهودية جلا مع أهل دينه من اليهود وهو منهم. وراجع تفسير الآية وكلام الاستاذ الامام فيها (ص٣٦ ج ٣ تفسير)

وقد أعدت ذكر هذه المسألة في تفسير (٣: ٦٥ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)

فما ذكر يعلم السائل جواب سؤاله ومأخذ الفقهاء في قتل المرتد — وهو الحديث الذي أخذوه على إطلاقه — والجمع بين الحديثين اللذين ذكرهما وبين قاعدة التسامح والحرية في الاسلام .

وأما قوله تعالى (٩: ٥ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الخ فهو يعلم أنه نزل في نبذ عهود الذين نكثوا العهد من المشركين وانهم أعطوا في الآية الاولى من هذه السورة (التوبة) مهلة الاربعة الاشهر الحرم وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثم قال (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) الخ ومن الضروري ان يستثنى من ذلك من يتوب منهم عن الشرك ويدخل في الاسلام . ألا تراه استثنى من حافظوا على عهدهم من المشركين فقال (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) ثم ألا ترى كيف علل قتال الناكثين بقوله (كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة) الخ وفيها التصريح بأنهم هم المعتدون وانهم لا أيمان لهم أي لا عهود لهم تحفظ بل يجعلونها خداعا في وقت الضعف. ثم قال في هذا

ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) روى ابن جرير عن مجاهد ان هؤلاء ناس كانوا يأتون النبي (ص) فيسلمون رياء فيرجعون الى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا فأمر بقتالهم ان لم يعتزلوا ويصلحوا . وروي عن ابن عباس انه قال : كلما أرادوا أن يخرجوا من فتنة أركسوا فيها . وذلك ان الرجل منهم كان يوجد قد تكلم بالاسلام فيقرب الى العود والحجر والى العقرب والخنفساء فيقول له المشركون قل : هذا ربي للخنفساء والعقرب . وقد جعل حكمهم حكم من سبقهم وهو انهم اذا لزموا الحياد وهو ماعبر عنه باعتزال المسلمين والقاء السلم وكف الايدي عن القتال — فلا سبيل الى قتلهم والا قتلوا حيث ثُقفوا لانهم محاربون لا لانهم مرتدون فقط وقال (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أي دون غيرهم من المسالمين والمحايدين .

ونقلنا في تفسيرها عن الرازي انه عزا القول بعدم قتال هؤلاء الى الاكثرين ونظر له بآيات سورة الممتحنة وآية البقرة في انه لا يقاتل الا المقاتلون وقلنا والظاهر انه يعني بمقابل الاكثرين من يقول ان في الآيات نسخا ولا يظهر فيها النسخ الا بتكلف فما وجه الحرص على هذا التكلف ؟

وقد استفتينا في هذه المسألة قبل كتابة هذا التفسير بسنين فتجد في فتاوى المجلد العاشر من المنار (ص٢٨٧ ج ٤ م ١٠) أسئلة من أحد علماء تونس منها السؤال عن حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » الخ ألا يعارض كون الاسلام قام بالدعوة لا بالسيف كما يعتقد الجهلاء؟ والسؤال عن حديث « من بدل دينه فاقتلوه» ألا ينافي كون الاسلام لا يضطهد أحداً لعقيدته؟ وقد أجبنا عن الاول بأن الحديث ليس لبيان أصل مشروعية القتال فان هذا مبين في قوله تعالى ٢٢ : ٣٩ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآيات وقوله (٢ : ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) الآيات . بل هو لبيان غايته إذ الغرض منه بيان ان قول «لا إله إلا الله» كاف في حقن الدم حتى في أثناء القتال وان لم يكن القائل من المشركين معتقداً في الباطن لان الامر في ذلك مبني على الظاهر الخ وأجبنا عن الثاني بان المرتد من مشركي العرب كان يعود الى محاربة المسلمين

في المسألة . ومن أهم الاحكام المتعلقة بالمسألة ان المجاهر بما يعد في الاسلام كفرا صريحا لا تجري عليه أحكام الاسلام في موت ولا حياة ولا زواج ولا ارث .

﴿ جواب السؤال المتعلق بعدم انتفاع المرء بعمل غيره ﴾

لعل الاستدراك على هذه المسألة الذي نشرناه في الجزء الذي قبل هذا قد أغنى السائل عن جواب سؤاله هذا وعلم منه كون عمل الولد ملحقا بعمل الوالد فان لم يكن أغناه فليكتب الينا ثانية بما بقي عنده من إشكال ، وليراجع في تفسير آية محرمات الطعام مسألة امتناع نسخ الآيات المؤكدة

﴿ شرب الدخان (التبغ) والتذكير في المنائر ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء في جزيرة البحرين

الى حضرة الاستاذ العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار

بعد رفع جزيل السلام اللائق لمقامكم العالي ورحمة الله وبركاته على الدوام لايخفى عند جميع الناس اشتغالك بالعلوم والمعارف الدينية النافعة وارشاداتك المفيدة المنشورة بمجلتك لابناء جلدتك في جميع البلدان — لذا كلفني بعض أصحابي الذين هم من أهل السنة والجماعة أن أوجه اليك هذا السؤال وهو : ضمني وجماعة من الاصحاب مجلس جرى فيه البحث في التذكير على المنائر قبل العشاء وقبل صلاة الفجر وفي شرب الدخان (التتن) واستمر الجدال ساعات ولم يقدر أحد الفريقين أن يقنع الآخر برأيه . . ولا عجب لسؤالنا لان علماءنا وتعصبهم لا يقفون عند حد ، واحد يجوز والثاني يحرم ، ولا ندري أي الصواب لنأخذ به . واسترضى الجميع أن نرسل اليك هذا السؤال لترشدنا من فنون علومك وآرائك الحرة الناضجة وتبين لنا الخطأ من الصواب لنعتمد عليه والله يحفظك على ابراهيم كانو

الجواب عن مسألة شرب الدخان

اعلم أولا أن التحريم والتحليل تشريع وهو حق الله تعالى وحده فمن استباح لنفسه أن يحرم على عباد الله تعالى شيئا بغير حجة شرعية عن الله ورسوله فقد افترى على الله وادعى الربوبية معه ومن أطاعه وتبعه في ذلك يكون قد اتخذه ربا كما ورد في الحديث تفسيراً لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من

التعليل (ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة) ؟

والفقهاء الذين يقولون بقتل المرتد اختلفوا في بعض مسائله كالمرتد ذي المنعة في قومه وغيره وقال أبو حنيفة لاتقتل المرأة . وقد قال الشيخ صالح اليافعي في رده على الدكتور محمد توفيق صدقي (رحمه الله تعالى) ما نصه

« قال الفاضل حفظه الله : أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث والقرآن يقول (لا اكراه في الدين * فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقا ليس بصحيح على اطلاقه بل لو منع الامام عن قتل المرتد لمصلحة كهادنة ومعاهدة ومأمنة بشروط ألجئ اليها لا يجوز قتله فقتل المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات » الخ (وهو في ص ٤٤٩م١٢ من المنار)

وقد نقلنا في المجلد التاسع عن جريدة اللواء مقالة مترجمة عن جريدة (ريج) الروسية عنوانها (تسامح الدين الاسلامي) موضوعها أسئلة ألقيت على شيخ الاسلام في الاستانة منها هذه المسألة وأجاب عنها بما قاله بعد تشبيهه المرتد عندنا بالفار من العسكرية في الاستياء منه : «وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبنية على أساس ان كل الناس مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكومة أن تعاقب الخارجين عن الدين الا بالحكم المعنوي، ولا يمكن إجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية، واذا كان لشخص اختيار في الارتداد فلا يمنعنا مانع من اظهار كراهتنا له ونفورنا منه» اه المراد منه

وقد ألم السائل في سؤاله باكتشاف أحرار العلماء لنظريات علمية تخالف ظاهر الدين هل يكونون بها مرتدين أم لا ؟ ونقول ان مخالفة بعض ظواهر النصوص الدينية وهي ما كان مدلوله غير قطعي فيها تفصيل فمن كان يعتقد ان كلام الله كله حق وكلام رسوله فيما يبلغه عنه حق وقام عنده دليل على ان بعض ظواهرهما غير صحيح فصرف الكلام عنه الى معنى آخر رجح عنده بالدليل انه هو الصحيح المراد فلا يعد مرتدا بل لا اثم عليه ولا حرج، وانما الردة تكذيب كلام الله أو تكذيب رسوله فيما جاء به من أمر الدين بنظريات فاسفية أو بغير ذلك. ونحن نعتقد اعتقادا جازما بأنه ليس في أصول الاسلام القطعية فيه شيء يمكن نقضه وقد بينا حقيقة الاسلام وحقيقة الكفر والردة في المجلد الثاني والعشرين الذي قبل هذا وفي غيره وهو أقرب ما يراجع

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا ابو الكلام
محيي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

٣

فصل

﴿ طاعة الخليفة والتزام الجماعة ﴾

بعد هذه التوطئة الضرورية للبحث نقول ان الشريعة الغراء فرضت على المسلمين طاعة الخليفة ما لم يأمر بمعصية ، كما فرضت طاعة الله وطاعة رسوله ، ولا عجب ، فان نظام الشريعة الاجتماعي يقتضي ذلك وهو مطابق لناموس الفطرة تمام المطابقة - بل هو حلقة من سلسلة هذا الناموس الالهي الذي يخضع له كل ما في السموات والارض ، وذلك لانا نرى كل شيء من هذا الكون البديع على نظام طبعي مخصوص ، وهو الذي يسمونه « بناموس المركزية » او « بناموس الدوائر » ففي كل جهة من هذا الكون « مركز » تحيط به الاجسام والذوات على شكل الدائرة ، وعلى هذا المركز تتوقف حياتها وبقاؤها ونماؤها فلو تحولت عنه هذه الدائرة او انحرف عن طاعتها تمحل حالا ويعتريها الخراب والدمار في طرفة عين - وعن هذه الحقيقة عبر بعض الصوفية بقوله « ان الحقيقة كالكرة » وعنها قال صاحب الفتوحات « بأنها دائرة قاب قوسين »

« ناموس المركزية » هذا نافذ في الكائنات كلها ، فما هذا النظام الشمسي الذي فوقنا ، وهذه السيارات المعظمة والنجوم المتلألئة ، والكرات النيرة المتبعثرة على بساط السماء ، وهذه الحياة العجيبة والحركة المدهشة للعقول ؟

دون الله) وقد بيناهذه المسائل مراراً وآخر تفصيل لنا فيها تفسير آية محرمات الطعام — وثانيا — ان الاصل في الانتفاع بما خلقه الله لنا في هذه الارض الحل كما تدل عليه الآيات القرآنية فلا يحرم شيء منها الا بنص عن الله ورسوله صحيح الدلالة باللفظ أوالفحوى ولا نص في هذا الدخان المسئول عنه بعينه، بل هو داخل في الاباحة العامة لكل ماخلقه الله لنا من هذه الارض الا اذاثبت ضرره في الجسم أو العقل كالحشيشة والافيون والحقن بالمورفين فحينئذ يظهر القول بتحريمه كما أفتينا من قبل وفاقا لبعض الفقهاء وفي الحديث الصحيح « لا ضرر ولاضرار » فاذا ثبت بشهادة الاطباء انه يضر كل من شربه ضرراً ذا شأن فالقول بتحريمه على الاطلاق وجيه واذا كان يضر بعض الناس كالمصدورين دون بعض فهو محرم على من يضره سواء علم ذلك بقول الطبيب أو بالتجربة والاختبار والافلا. و يستدل بعض الناس على تحريمه بقوله تعالى (و يحرم عليهم الخبائث) بناء على تفسير الخبيث بالطبعي وهوما تعافه الطباع السليمة وقيل العرب . والصواب انه الخبث المعنوي الشرعي كالربا والخيانة والغلول كما فصلناه في تفسير آية محرمات الطعام أيضا والا فان الثوم والبصل من الخبائث قطعا وهما غير محرمين. ونحمد الله ان حمانا من هذا الدخان وننصح لكل من لم يبتل به أن يجتنب تقليد الناس بشربه ولكل من ابتلي به أن يتركه اذا قدر إن كان يرى بالتجربة أنه لايضره ولعله لايخلوا من مظنة الضرر التي تقتضي كراهة التنزيه بما فيه من السم المسمى بالنيكوتين وهذا الضرر ظاهر لامحالة في أصحاب الامراض الصدرية وربما كان سببا لها في المستعدين ، والله أعلم

﴿ التذكير على المنائر ﴾

ان كل ما زاده الناس قبل الاذان المأثور و بعده من الاذكار والصلاة على النبي (ص) بدعة اشتبهت على العامة بالمشروع بل صارت عندهم من شعائر الدين فيجب تركها لان الزيادة في الدين كالنقص منه كلاهما شرع لم يأذن به الله وان كانت الزيادة في نفسها حسنة . ولو أبيح في الاسلام ان يزاد في كل ما شرعه الله تعالى من العبادات زيادات حسنة من ركوع وسجود وأذكار لتغيرت الشرائع والشعائر في هذه الملة كالملل السابقة وقد بينا هذا من قبل مراراً

جعل الله الانبياء مركزا لسعادة البشر ، وجعل حياتهم المعنوية وخلاص أرواحهم موقوفة على ارتباطهم بهذا المركز ـ قال الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) (٤ : ٦٨) وقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (٤ : ٦٩) وقال (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ثم جعل الله تعالى تحت هذا المركز الاعظم دوائر مختلفة ومراكز متعددة ، فجعل عقيدة التوحيد مركزاً لسائر العقائد ، فهي تحوم حولها قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (٤ : ٥٢) وجعل الصلاة مركزاً للعبادات عليها مدارها وبضياعها ضياعها وبطلانها لقول النبي (ص) « من أقامها أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين » وفي حديث الترمذي « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الاعمال تركه كفر غير الصلاة » وقد جعل الكعبة مركزاً أرضيا لسائر الامم والشعوب والبلاد فقال تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » ولذا أوجب أن تتوجه الى هذا المركز دوائر الناس ووجوههم فقال (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره (٢ : ١٤٥)

ثم لما كان للاجسام والاشخاص والمعتقدات والاعمال مراكز ، وجب أن يكون للحياة الاجتماعية مركز ، فجعل الله لها مركزاً ، وجعل الامة حوله كالدائرة ، وأوجب عليها مرافقته وموافقته وطاعته ، فاذا نادى لبت ، واذا تحرك تحركت ، واذا وقف وقفت ، واذا نهض نهضت بخيلها ورجلها وسائر قواها ـ وجعل عصيانه من الجاهلية التي لا مخرج منها الا بطاعته والرجوع اليه ، وقد سمى المسلمون هذا المركز الاجتماعي « بالخليفة والامام » وفرض على المسلمين قاطبة أن يعينوه وينصروه ويطيعوه كما يطيعون الله ورسوله ، فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (٤ : ٦٣)

فصل

﴿ أولو الامر ﴾

أمر الله سبحانه في هذه الآية بثلاث طاعات : طاعة الله ، وطاعة الرسول وطاعة أولي الامر ، وقد علمنا أن طاعة الله تكون بطاعة كتابه ، وطاعة

ان هي الا مظهر من مظاهر هذا الناموس - فالنجوم لها دوائر ؛ وكل دائرة منها قائمة على نقطة في الشمس ، حولها حركتها ودورانها ، وعليها حياتها وبقاؤها . وبها قيامها ودوامها - وستبقى هكذا مادامت مرتبطة بمركزها ومنقادة له - (ذلك تقدير العزيز العليم)وكذلك أرضنا حلقة من تلك الدائرة خاضعة لمركزها كل آن - فكل من الارض والسموات يدور في محوره ويسبح في فلكه ويطيع مركزه ولا يخرج عن دائرته ابدا حسب قوله تعالى (وله أسلم من في السموات والارض) (٣ : ٨٣) وقوله ألم تر ان الله له يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم) الخ (٢٢ : ١٩) وقال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار . وكل في فلك يسبحون(٣٦ : ٤١)

ليست الكائنات العظيمة وحدها هي الخاضعة لناموس المركزية - بل الكائنات الحقيرة المنحطة مثلها كذلك العالم النباتي مثلا ففي كل شجرة ترى الاوراق والفروع والازهار والاثمار كلها مرتكزة على مركزها الذي هو أصل الشجرة - ومهما انفصلت ورقة أو غصن من الاصل ، حل به الموت والفناء -

هذا في عالم الآفاق ، ثم انظر في عالم الانفس . افلا ترى اعضاءك الخارجية والداخلية ومشاعرك الظاهرة والباطنة كلها تتحرك وتعمل عملها ، حتى كأنك مدينة مزدحمة بالاحياء لكل واحد منها حياة قائمة بذاته ووظيفة خاصة به - ولكنها كلها خاضعة لمركزها الذي هو القلب ، به صلاحها وفسادها ،وعليه مدار حياتها وبقائها . اذا صلح صلحت كلها - واذا فسد فسدت كلها

وكما جعل الله سبحانه للكائنات ناموسا ونظاما ، كذلك جعل لسيادة النوع الانساني وهدايته ناموسا ونظاما وهو الاسلام :(فطرة الله التي فطر الناس عليها) ولا بد ان يكون هذا الناموس المعنوي موافقا لذلك الناموس الصوري غير متعارض معه لانها صنع يد واحدة ، وتقدير العزيز العليم الذي لا ترى في خلقه من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى فيه من فطور ؟ ولعمري انهما لكذلك فكما ترى نظام الكون قائما على ناموس المركزية كذلك نظام الاسلام قائم على ناموس المركزية سواء بسواء - وقد نبه القرآن الحكيم على هذه الحقيقة مرارا وهي أن النوع الانساني جماعاته وآحاده وحياتهم الادبية والمادية قائمة بناموس المركزية - كسائر أنواع الاجسام، فكما أن الشمس مركز لنجوم سيارة في محيطها

هذا الاستعمال ، يكون معناها الحكومة والسلطان [١] وقد كثر استعمالها في هذا المعنى في الاحاديث النبوية كثرة زائدة لا يبقى معها محل للريب والشك وفي اللغة أيضا معنى «الامر» «الحكم» ولذا قال الامام البخاري «أولو الامر هم ذوو الامر» ومعلوم أن صاحب الحكم لا يكون الا صاحب الحكومة ـ

(٣) لقد ثبت بالاحاديث الصحيحة أن هذه الآية إنما نزلت في طاعة أمير الجماعة ، ففي الصحيحين «عن ابن عباس أنها نزلت في عبدالله بن حذافة ابن قيس بن عدي اذ بعثه النبي (ص) في سرية» وروى ابن جرير الطبري في تفسيره «بأنها نزلت في قصة جرت لعمار مع خالد وكان خالد أميرا ، فأجار عمار رجلا بغير أمره فتخاصما» فعلم من هاتين الروايتين ان الآية إنما نزلت في طاعة الامراء لا غير [٢]

(٤) روينا هذا التفسير عن كثير من الصحابة والتابعين ، ولم يؤثر عنهم غيره ، واما ماقيل في الآية فانما هو من عند المفسرين المتأخرين ، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن عيينة انه قال «سألت زيد بن اسلم عنها ، ولم يكن بالمدينة احد يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله ، فقال اقرأ ما قبلها تعرف ، فقرأت ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها . واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، فقال هذه في الولاة (فتح الباري ١٣ : ٩٩) فانظر كيف استدل زيد بن أسلم على أن المراد من «أولي الامر» الحكام والولاة بالآية التي قبلها والتي ذكر فيها الامراء والحكام [ ] وقد روى الطبري بسند صحيح عن ميمون ابن مهران وابي هريرة وغيرهما «أولو الامر هم الامراء» وعد ابن حزم الصحابة والتابعين الذين نقل عنهم هذا التفسير فبلغوا ثلاثة عشر رجلا

(١) هذا الحكم غير صحيح فان الامر الشأن ومنه الشؤون العامة ويدخل فيها معنى الحكم بالقرينة تعين المراد كما تقدم فالامر في الآية عين هذا عن الامر في آية (وشاورهم في الأمر) وآية (وأمرهم شورى بينهم) فأولو الأمر في لغة القرآن أهل الشورى الذين اصطلح العلماء على التعبير عنهم بأهل الحل والعقد وهم الذين لا يكون الخليفة اماما للمسلمين الا ببايعتهم له (٢) هذا الحصر بل هذا الوجه غير صحيح كما علم من الحاشيتين اللتين قبل هذه وكانوا كثيراً ما يعنون بقولهم ان هذه الآية نزلت في كذا انها مبينة للحكم في مثله وذلك بحسب فهم القائل (٣) ليس في الآية التي قبلها ذكر للحكام والامراء وانما هي خطاب الامة أنه يجب على من اؤتمن منهم على شيء ان يؤديه الى أهله وعلى من حكم بين الناس بولاية عامة أو خاصة أو تحكيم من بعضهم ان يحكم بالعدل

الرسول بطاعة سننه القولية والفعلية ، ومن أولو الامر الذين أمرنا بطاعتهم؟ لقد تضافرت الادلة القطعية والبراهين النيرة على أن المراد باولي الامر «الخليفة والامام» الذي ينفذ أحكام كتاب الله وسنة رسول الله ، ويقوم بمصالح الامة ويحكم ويستنبط الاحكام من الشريعة عند النوازل برأيه واجتهاده ، وانما ذهبنا الى هذا القول لوجوه :

(١) قاعدة « القرآن يفسر بعضه بعضا » فاذا رجعنا اليه نجد في نفس هذه السورة قول الله تعالى (وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به. ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (٤ : ٨٦)

ذكر الله سبحانه في هذه الآية تلك الآونة التي كانت تروج فيها أخبار الامن والخوف ، والفتح والهزيمة ، فيسمعها الناس ، فيضطربون من أجلها اضطرابا شديداً ، وقد أشاع في عهد النبي (ص) بعض المنافقين مثل هذه الاخبار ، فهلع منها بعض ضعفة الايمان من المسلمين ، وأمرهم الله أن اذا سمعتم هذه الاشاعات ، فلا تأخذوها على علاتها ولا تصدقوها بل ردوها الى الرسول والى « أولي الامر » ليحققوها ويمحصوها ويستنبطوا منها ما يجب استنباطه -

فالحالة التي ذكرت في هذه الآية ، حالة الحرب والصلح والامن والخوف ولا يخفى على أحد ان النظر في هذه الحالة والاهتمام لها واتخاذ التدابير اللازمة لها من وظائف الامراء والحكام ، لا من وظائف العلماء والفقهاء ، لان المسئلة مسئلة نظام البلاد ، وقيام الامن ، ونشوب الحرب ، لا مسئلة الحلال والحرام التي ينظر فيها العلماء ، فاذن لا مناص من أن نسلم بأن المراد « بأولي الامر » هم الذين بيدهم الحرب والصلح وتنظيم البلاد وسياسة العباد ، والذين من شأنهم أن يحققوا مثل هذه الاخبار المؤثرة على السياسة العامة وما هم الا الامراء والحكام (١)

(٢) اذا تتبعنا الكتاب والسنة واللغة نجد أن كلمة «الامر» اذا استعملت

---

(١) المنار : هذا الوجه حجة على الكاتب لا له فان الرسول (ص) كان عند نزول الآية هو الامام الاعظم وصاحب الامر في السياسة وغيرها ولم يكن معه أمراء ولا حكام فتعين ان يكون المراد بأولي الامر أهل الشورى من زعماء الأمة وأهل الرأي فيها اذ كان (ص) يأخذ برأيهم واستنباطهم في أمر الامن والخوف وسياسة الحرب وغيرها لقوله تعالى (وشاورهم في الامر) وهذا نص في موضع النزاع

وروى تحته حديث أبي هريرة « من أطاع أميري فقد أطاعني » فأثبت بهذا أن أولي الامر في مذهبه أيضاً هم الامراء والأئمة لا الفقهاء والعلماء كما قال ابن حجر في شرح هذا الحديث « في هذا أشارة من المصنف الى ترجيح القول الصائر الى أن الآية نزلت في طاعة الامراء ، خلافا لمن قال نزلت في العلماء » (فتح الباري ١٣ : ٩٩)[1]

(٦) أن أقدم التفاسير عهدا وأغزرها مادة تفسير ابن جرير الطبري ، ومكانة صاحبه في معرفة تفسير الصحابة والتابعين واستقصائه معلومة ، وهو قد رجح هذا القول بعد أن ذكر سائر الاقوال -

(٧) لا يذهبن عن بالك أن الاقاويل الكثيرة في تفسير القرآن إنما جاءت من المتأخرين الذين سحرت ألبابهم الفلسفة اليونانية في زمن كانت العجمية المعوجة قد اندست في الفكر والنظر ، واستولت على العلوم والمعارف ، وتقهقرت العربية الخالصة الصالحة وهجرت علوم السنة وعشق الناس « التعمق » في كل شيء ، حتى في العلوم الدينية ، ذلك التعمق الذي ورد فيه « هلك المتعمقون »

وأما السلف الصالح فلم تكن في عصرهم منازعات ولا مشاجرات ولا قيل ولاقال ، بل كانوا يفهمون كتاب الله بملكتهم اللغوية ، بدون أن يتكلفوا أو يتعمقوا ، أو يجهدوا أفكارهم في نحت المعاني البعيدة واختراع الاحتمالات الباردة ، فاذا سمعوا كلمة « أولي الامر » التي نحن بصددها فهموا منها بلا أدنى تكلف معناها المتبادر الى الذهن ، مثل ما يفهم الاعراب والرعاع -

ولكن الدهر كان خبأ أمثال فخر الدين الرازي الذين لا ترضيهم هذه السماحة والسذاجة ، فجاؤا من بعدهم يخترعون لكل كلمة معاني عديدة واحتمالات كثيرة ويظهرون بذلك براعتهم وجودة ذهنهم ، فلا تروعنك أقاويل المتأخرين واختلافهم لانهم إنما اتخذوا العلم صنعة لهم ومماراة بينهم ، بل ان كنت تنشد الحق فعليك بالسنة النبوية الصحيحة والآثار الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، فما وافقهما نخذه وما خالفهما فاضرب به عرض الحائط - اذ صاحب القرآن (صلعم) اعلم به وكذلك أصحابه الذين شهد الله العليم بعلمهم وعملهم

(١) قد صرح الكاتب من قبل كغيره بان المسألة خلافية فترجيح بعض كبار العلماء لاحد الوجوه التي يحتملها اللفظ ليس حجة على غيرهم وانما العبرة بقوة الدليل

نعم قد روى عن بعض الصحابة والتابعين ان المراد من اولي الامر العلماء فقال جابر بن عبدالله (رض) «انهم أهل العلم والخير» وقال مجاهد وعطاء وابو العالية « انهم العلماء » ولكن لا تعارض بين التفسيرين ، وذلك لان الشريعة جعلت الحكومة والولاية مركزاً اسائر شؤون الامة الدينية والسياسية والعلمية ، ولم تكن المناصب والوظائف قد انقسمت الى ذاك الحين ، فأمير المؤمنين كما كان حاكما و سائسا ، كذلك كان عالما وفقيها ايضاً ، فالصحابة والتابعون الذين فسروا اولي الامر « بأهل العلم والخير » قد احسنوا التفسير ، اذ أثبتوا به أن أمراء المسلمين يجب أن يكونوا من أهل العلم والخير ، لا ما فهمه المتأخرون من هذا القول بأنهم قصدوا به تلك الفئة التي عرفت « بالعلماء والفقهاء » بعد انقراض ذلك العهد وانهدام نظام الجماعة الشرعي ، لان هذه الفئة لم تخطر على بال أحد من الصحابة والتابعين في الصدر الاول ، ومن هذا القبيل ما نقله ابن جرير أيضا عن عكرمة أنه قال « أولو الامر ، هم أبو بكر وعمر » أي ان المراد من أولي الامر الخلفاء والائمة مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (١)

وهذا التفسير مطابق لحالة البلاد الاجتماعية اذ ذاك ، لان بلاد الحجاز كانت في الفوضى قبل الاسلام ولا سيما قريش مكة ، فانهم لم يكونوا يعرفون الامارة ولا ينقادون لاحد من الناس . فجاءهم الاسلام « بنظام الجماعة » و « نظام الامارة » وأوجب على كل الناس أن يطيعوا الامراء ويلتزموا الجماعة والى هذا ذهب الامام الشافعي (رض) كما نقل عنه العسقلاني في الفتح حيث يقول « ورجح الشافعي الاول واحتج بأن قريشا كانوا لا يعرفون الامارة ولا ينقادون لامير ، فأمروا بالطاعة لمن ولي الامر» ولذلك قال (ص) « من أطاع أميري فقد أطاعني » (فتح الباري ٨ : ١٩١) (٢)

(٥) هذا هو قول اكبر فقيه قام في الامة الاسلامية ، الا وهو الامام محمد ابن اسماعيل البخاري رضي الله عنه ، فقد بوب في كتاب الاحكام من صحيحه بابا على هذه الآية فقال «باب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم»

---

(١) ليس هذا معنى قوله بل معناه هم أهل الشورى عند الرسول (ص) كأبي بكر وعمر لانه كان يستشيرهما في كل امر (٢) ان طاعة الائمة والامراء واجبة في المعروف باجماع المسلمين والنصوص فيها معروفة ومنها هذا الحديث الصحيح ولكن هذا ليس دليلا على تفسير الآية بما ذكر

رضي الله عنهم ورضوا عنه (٦)

ومالي لا أعجب من هؤلاء الناس الذين يرضون من السلف الصالح [illegible] يقيمون لهم وزناً في تلك العلوم التي اخترعوها اختراعاً لأنهم [illegible] يعلمون أصول الفقه وعلم الكلام اليوناني الآن [illegible] فلم لا يسلمون لهم في علم الكتاب الالهي؟ أليس بعجيب أن [illegible] القرآن نزل على محمد العربي (ص) ثم يستهدوا في فهم معانيه [illegible] اليوناني؟ نعم ان هذا لشيء عجاب!

وأما الذي حير الرازي وغيره في فهم الآية فانما هو ذكر الطاعة لأولي الامر معطوفة على طاعة الله ورسوله ـ فقالوا كيف تكون طاعتهم مثل طاعة الله ورسوله؟ وأين الملوك والسلاطين من هذا المقام الرفيع؟ فاخترعوا لذلك معنى يوافق فلسفتهم، وقالوا هم «العلماء والفقهاء» (٧) ولقد تعبوا سدى لأن المسألة واضحة جلية لا تحتاج في حلها وظهورها الى التفلسف البارد، وذلك لان القرآن والسنة شريعة وقانون، وماذا يجدي القانون اذا لم تكن وراءه قوة منفذة ـ فطاعة هذه القوة، طاعة القانون نفسه وطاعة واضعه ـ ولا يخفى على أحد من الناس حتى السوقة والاعراب أن طاعة والي البلد طاعة للملك الذي أرسله وعينه، وعصيانه، عصيان للملك بلا ريب حتى ان الذي يعارض الشرطي في عمله الرسمي يعد مخالفاً للقانون وللقوة التي سنته ـ وانما تخبط الناس في فهم الآية لانهم لم يتأملوا النظام الشرعي الاجتماعي، اذ أنهم لو امعنوا النظر فيه لما تحيروا هذا التحير ولعلموا حق العلم أن لا بد لقيام الشريعة وبقاء الامة من قوة مركزية وما هي تلك القوة الا [illegible] والامراء ونوابه ولو أنهم [illegible]

---

(٦) هذا الكلام حق ولكنه [illegible] للمسألة مما خالف [illegible]

(٧) قد نقل [illegible]

تحت رئاسة رجل اسمه نوري بك كاز (مكتوبجيا) بالشام وكان من أشد الناس ضراوة بالضرر والفساد وكان يكره في الباطن جمالا وطلعت وكل رجال جمعية الاتحاد والترقي ولكنه يغري جمالا بالنفي والتغريب انتقاما منهم املا ان هذه الاعمال ليس وراءها الا الخراب وقيام الاهالي وقد نبهنا جمالا الى هذا الامر وحذرناه من نوري وأحزابه ومن أقوال الجواسيس وأعلمناه انهم لايخبرونه الا بما يرون انه يقربهم إليه زلفى من السعايات والوشايات ، فلم يكن يعبأ بكلامنا وكان يعتقد إنه لاتخفى عليه خافية ، حتى لو قلت أنه كان يظن نفسه ملهما ومعصوما من الخطأ لما كنت مبالغا . ومن جملة من بدأ « بتهجيرهم » أسرة المرحوم الامير عبد القادر الجزائري ولما راجعته في ذلك قال لي ان عنده أدلة ووثائق خطية تثبت خيانتهم وخدمتهم لفرنسا في سورية ، فقلت له الذي أعلمه أن الامير سعيدا الجزائري كان لاشغل له الا شتم فرنسا فقال هذا من باب الاحتيال ، لاجل أن تسكته فرنسا بالمال ، فقلت له مهما يكن من الامر فان مراعاة هذا البيت واجبة لكون الامير عبد القادر له منزلة سامية في العالم الاسلامي فأجابني : « بكأنه » ومعناها هنا ماذا يأتي من ذلك

(المنار) وقد أطال الكاتب هنا في ذكر وقائع جزئية (منها) أنه لما بلغه أمر جمال باشا بنفي بعض وجهاء لبنان — وكان الامير توفيق أرسلان والامير فؤاد أرسلان ابنا عمه منهم — كلمه وكتب اليه محاولا صرفه عن هذا العزم فلم يأبه له فتوسل اليه بعزمي بك والي الشام كما ذكر أولا فغضب وأنذره أن لا يراجعه في شيء من أمر المنفيين ونشر في الجريدة الرسمية أنه لا يسمح لاحد بالاقدام عليه في ذلك . وقد كان هذا رئيس لجنة تحري (أو ... التحرير) محمد فوزي باشا العظم بأن الارادة [illegible] الامير شكيب [illegible] بأن يبعث [illegible]

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب وتخمية ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الأمير شكيب أرسلان

٢

ثم نعود الى حوادث سورية التي كنا في صددها فنقول :—

عهدنا بالبيكباشي شكري بك رئيس الديوان العرفي الذي كان في عاليه أنه «حي يرزق» وكان قد تقرر بيننا وبينه أن نفتح بعد نهاية الحرب مسألة سورية في مجلس المبعوثين في الاستانة ونطالب شهادته وأنه يشهد بكل ماجرى معه على أن شكري هذا وان استظهر جمال عليه بما في ديوان الحرب من مستنطق ومدع عمومي وأكثر الاعضاء قد أمكنه إنقاذ بضعة عشر شخصا من الموت لان جمالا طلب الحكم على أربعين كما تقدم فلما بالغ في المعارضة نزل معه جمال الى عدد ٢٧ ووقف هنالك ولكن شكري بك تمكن من تخليص ستة من هؤلاء أيضا وتقدم ذكر رأيه فيهم . ولما نفذ الحكم استعفى حالا وذهب الى الاستانة مغاضبا لجمال باشا .

مسألة نفي السوريين الى الاناضول

قبل أن أنفذ الحكم بالقتل على الواحد والعشرين رجلا الذين صلبوا في ساحة المرجة بالشام وساحة البرج في بيروت أخذ جمال ينفي العائلات ويرسلها الى الاناضول من كل مدن سورية . وكان يعتمد في ذلك على جداول يقدمها له مديرو البوليس وغيرهم من جواسيسه وشكل لها قومسيون التهجير (١)

---

(١) المنار : المراد بالتهجير الحمل والاكراه على الهجرة أي الخروج من الوطن الى غيره وهو استعمال جديد [illegible] الاصل [illegible] من الوطن [illegible] اللغة [illegible] التهجير [illegible] هو الخروج في وقت الهجير [illegible]

[illegible] الامر الى حبيب باشا السعد من جملة من صدر الامر بنفيهم [illegible] دمشق وزارني في محلي وقال لي انه سمع من اسبر أفنـدي شقير [illegible] التي جرت بيني و بين جمال باشا من أجل مسئلة النفي والقتل [illegible] لا يمكن الكلام معه في امره بل الكتابة الى علي منيف متصرف لبنان [illegible] يتمكن من اقناعه فحكيت له كل ما جرى وحررت [illegible] جهده في صرف جمال عن نفيه فان لم يمكن فليكن النفي الى [illegible] ثم توجهت الى الجبل و بيروت وسألت علي منيف [illegible] عن مسئلة حبيب باشا وغيره فاجابني انه لم يدخر وسعا في صرف جمال باشا عن فكرة النفي [illegible] ولكنه نجى أناسا كثيرين وأما حبيب السعد فقـد كتب [illegible] جودت بك بأن لا يشخصه الى أبعد منها متى وصل اليها [illegible] مع جودت بك . ولقد صادف وصولي الى [illegible] بعض المنفيين على أهبة السفر مثل رشيد بك نخله فاقنعت علي منيف [illegible] بالرغم من الحاح جمال باشا بتسفيره [illegible] عدة أشخاص بحجة المرض مثل أمين بك عبد الملك [illegible] وغيرهما

وأما اسبر أفندي شقير فكان جمال باشا نفاه الى القدس ثم سمح له بالمجيء الى [illegible] كثيرا في اعادته الى بيته لانه كان بيني وبينه [illegible] لاجل ان أسدي اليه هذه [illegible] من [illegible] الرجوع الى البيت على [illegible] [illegible] علي منيف [illegible] [illegible] ان أكون [illegible] [illegible] [illegible] هذا الامر [illegible] [illegible]

وهو على علمه بأن هذا الكلام حق لم ينل من جرمه

(ومنها) انه على تعرضه للخطر بهذا السعي لهؤلاء كان بعضهم يتهمه بأنه هو الذي أغرى جمالا بهم ويستدلون على ذلك بأنه لم يكن في المنفيين أحد من حزبهم الارسلاني وان الجواب على ذلك سهل وهو ان الحزب الارسلاني معروف قديما وحديثا بأنه الحزب المعادي للاجانب على الاطلاق وأنه الحزب العثماني الوحيد في الجبل ، وسواء كان ذلك حسنة أو سيئة فهو حقيقة يعرفها كل أحد ، فمن المعقول ان لا تعمد الدولة الى رؤساء هذا الحزب فتنفيهم مهما بلغ من غرضها

(ومنها) ان جمال باشا كان يعتمد في اختيار من ينفيهم على الافادات الجواسيس الموظفين والمتطوعين وان علي منيف بك متصرف لبنان كان معارضاً له في خطة النفي وكلمه في ترك نفي أحد من الجبل فلم يقبل إذ تنخب له من تواتر عنهم الميل الى الاجانب ومنهم من وجد في أوراق قنصلية فرنسة ببيروت وثائق تجرح صداقتهم للدولة ومن قدمت عليهم شهادات أخرى . وذكر الكاتب هنا تآزر الرابطة السرية وعيون الحكومات وانه كان للدولة منها بعض ما للمحالفين في سورية وفلسطين الآن [illegible]

(ومنها) انه لو كان الكاتب [illegible] على أمثاله لما أمكنه أن يشفع [illegible] الاسعاف [illegible] جمال باشا [illegible] كان [illegible] لبنان [illegible] عليهم [illegible]

[illegible] الكاتب

حال جمال باشا بعد ثورة الحجاز

هذا ولما ثار الشريف بالحجاز وسرت الحركة الى سورية خاف جمال العواقب فبدل بعض الخشونة الى المجاملة واستدعاني أنا وكامل بك الاسعد وسليم باشا الاطرش ونسيب بك الاطرش وكنج أبا صالح شيخ مجدل شمس وغيرنا من الزعماء وتكلم معنا في اتحاد العرب والترك وفي مقاصد الدولة العلية الحقيقية وأفاض بكلام بعضه صحيح وبعضه سياسة . والتمس منا السهر على الامانة للدولة . وانا وان كنت لم أصدق كلامه في البراءة من السياسة الطورانية . . . لم أخالفه في الطعن بسياسة الشريف من جهة مخالفته لانكلترة وتصديقه لمعاهداتها . . . . وقلت قبل الحرب وكررت في أثناء الحرب و بعد الحرب ولا أزال أقول : ان كل عربي يصدق ان دول الحلفاء يسعين في استقلال العرب لا بل يقبلن ? باستقلال العرب. يكون في عقله خبال ، وانهن ما أردن الا فصل العرب عن الترك ليتسهل لهن ازدلاع الاثنين ، هذه هي غايتهن : ولي بذلك قبل الحرب نظم من جملة قصيدة في مديح صلاح الدين الايوبي

وكيد على الاتراك قيل مدبر ولكن لصيد الامتين حبائله
اذا غالت الحلى أخاك فانه لقد غالك الامر الذي هو غائله

وطلب مني جمال أن أرافقه في سياحة الى حوران وجبل الدروز واستصحب أيضا المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف وسامي باشا مردم بك وبعض العلماء والمعممين وأراد أن يجلو ما كان أظلم بيني وبينه فلما كنا في مقعد السويداء بجبل الدروز وكان قبض قبل ذلك على شكري باشا الايوبي وعدة رجال منهم فارس افندي الخوري أحد المشار اليهم بالبنان في سورية علما وفضلا واتهموهم بالمراسلة مع الامير فيصل (فانتهزت تلك الفرصة وتكلمت معه بشأن هؤلاء الثلاثة على مسمع من عبد الرحمن باشا اليوسف ووجيه افندي الايوبي وحضور بك ابن سامي باشا مردم بك وما زلت ألح عليه بشأنهم حتى وعد بأن يطلق سراحهم وحدثته بهم وانها تحت خاتمهم ، ولما نزلنا الشام قال لي ان التحقيقات لم تثبت امرا يوجب الشنقة وشاهد ولاسيما فارس افندي الخوري

ورجاني أن لا أعرض نفسي للضرر من أجلهم وانهم لم يعرفوا قدر همتي من عدوهم ونجاحي في تخليص والدهم وعدمه لا يقدمان ولا يؤخران شيئاً في امتثالهم مما جرى . ثم ذهبت بعدها الى الشام فكان كلام الامير الشديد معي طبق كلام ولده فوزي . ثم انه تخلص فيما بعد بقرار حصلنا عليه عن ... بشأن عم جميع المنفيين الذين فوق الستين ومع هذا كان يقدر حسن نيتي واخلاصي السعي له جميلا وينوه به ويلوم من أساءوا الظن في من المتكلمين ويزيل مالصق باذهانهم من الشبهات على حين كان الذين نفعتهم فعلا ودفعت عنهم شرورا عظيمة وعاركت من أجلهم في مواقف عديدة قد نسي أكثرهم الجميل وأنكروه ومنهم من قابلوا الاحسان بالاساءة والود بالشماتة

ووجدت رجلا آخر بلغت به الجرأة الادبية ان دافع عني بقلمه بعد الحرب الا وهو المرحوم سليم بك المعوشي قائمقام جزين فقد كنت أيام الصغار مع جمال لاول الحرب استرجعت أمرجمال بنفيه الى القدس ثم وجدت له أوراق في قنصلية فرنسا أوجبت القبض عليه وحبسه في عاليه فتمكنت بواسطة رئيس الديوان العرفي وأعضائه و باقناعهم بكون هذه الاوراق لا بال لها وليس فيها خيانة للدولة ان أطلق سراحه بدون ان يعلم بذلك جمال فكان هو الرجل الوحيد الذي نشر عند نهاية الحرب في احدى الجرائد ما معناه: انني أعلم ان كلامي لا يرضي الكثيرين ولكن الحق أولى أن يتبع وهو ان الامير شكيب ارسلان لم يشترك في شيء من أعمال جمال باشا بل خاصمه وعانده من أجلها الخ

هذا ولو كانت الحرب انتهت بغير ما انتهت به لم أكن عرضة الآن لافتراء بعض المفسدين المتملقين للخلفاء ! ويا ليت الواقفين على آثارهم اليوم سمعوا نغمة الرؤساء والزعماء في لبنان أيام الحرب وهم يقولون في هذا المأمور على ضعفه وقصوره : هذا أمير البلاد وأبوها وأمها وان لم يحافظ عليها هو فمن يحافظ عليها الخ ! . ولكن لما دارت الدائرة على الالمان كما انقلبت الحقيقة عندهم وصار الابيض أسود في نظرهم، الا أن أكثر الناس يعلمون من وراء ... الاهواء الحاضرة وكان ... الاحداث حتى ... الاهواء ...

سبب هذه الثورة بسكونه، والحال ان فارسا الخوري قرر ونحن طالما أكدنا لجمال باشا ان ذهاب فيصل الى الحجاز كان قبل المسئلة التي سئل عنها فارس افندي ومع هذا بقي فارس نحو أربعة أشهر بين أربعة حيطان

(وهنا ذكر الكاتب مجيء وفد الآستانة الى سورية وقول مبعوثها (صلاح بك جيجوز) الشهير بجرأته ان موعد افتتاح المجلس قد حان ولا يرضون أن يكون أحد المبعوثين محبوساوان هذا كان سببا لقبول جمال اطلاق فارس الخوري بكفالة الكاتب بشرط استقالته من المجلس)

مصادرة جمال باشا لغلال سورية

ثم انه خطر لجمال باشا خاطر غريب من جهة تأمين الجيش على ميرته وهو جمع حبوب البلاد كلها موسم سنة ١٩١٦ وادخارها في أنبار العسكرية واعطاء الاهالي والعساكر جميعا حاجتهم من المنازل والانابير بموجب وثائق، وقد اقتدح هذا الرأي ولم يجرأ أحد لا من أعيان البلاد ولا من كبار المأمورين أن يبين له ضرر هذا التدبير الا أنا فراودته كثيراً أن يرجع عن هذا الفكر لاسباب عديدة (منها) أن الاهالي ولاسيما الفلاحين لايمكن أن يقدموا جميع غلات أراضيهم ويصيروا عالة على المنزل كلما أرادوا أخذ مقدار من الحب لقوت عيالهم وعلف دوابهم اضطر الواحد الى تقديم وثيقة والانتظار أياما وليالي أمام باب المنزل فهذا الفلاح سيطمر في الارض كل مايقدر عليه من محصوله فيقل مجموع الموسم عما هو (ومنها) أنه ان كان المقصود هو تأمين الجيش على قوته فيمكنكم عمل حساب مايلزم الجيش كل يوم ومن ثمة ما يلزمه طول السنة الواحدة وقسم من العام القابل وبعد معرفة مجموع اللازم طرحه على الولايات والالوية بحسب درجات غلاتها واقبال مواسمها واما أخذكم الجميع سواء احتاج الجيش الى كل هذا المقدار أم لا فانه يوهم الناس أن مقصودكم إماتتهم جوعا والآن يذيع كثير من المفسدين بين العامة انكم ترسلون بجانب من الحبوب الى المانيا وعقول الساذجين تصدق هذه الفرية، فلم يقبل النصيحة، وحصل كل ما كنت تكهنت به لان الذي أعطى جميع حاصلاته احتاج الحب فكان يذهب الى المنزل فلا يأخذه القمح الا بعد الاتيا والتي وان الا كثرين

والشيخ خضر حسين التونسي الاديب العالم الفاضل والمرحوم الشيخ صالح الرافعي وأناس من وجوه راشيا وآخرين من وجوه زحلة أوصلتهم الى السجن تقريرات شاب طرابلسي ولعب في هذه المسئلة دوراً مهما المسمى توفيق بك الذي جعله جمال باشا وكيلا لولاية الشام فاجتهد هذا التوفيق — لا وفقه الله — كل الاجتهاد في اثبات ان هناك مؤامرة على قتل جمال وخلع طاعة الدولة . وكانوا يضربون الناس ضربا مبرحا ويعذبون الشهود ليقرروا مايريدونه هم . وقيل ان هذا الجهد البالغ لاثبات وجود المؤامرة هو لاجل اقناع رجال الدولة والرأي العام الذي كان بدأ يقيم النكير على جمال في الاستانة بأن جمالا لم يعتد على أحد وانه لاتزال المؤامرات وحركات الثورة في سورية متصلة ولكن جمالا اضطر في هذه المرة الى الاكتفاء بالحبس ولم يتجاوز الى القتل ، فقيل ان شريف مكة أرسل ينذرهم انهم ان قتلوا في هذه المرة أحداً قتل هو جميع الاسرى الذين عنده من الاتراك وفي مقدمتهم الوالي غالب باشا . وقيل ان الاستانة أنذرته هذه النوبة انذاراً شديداً بأن يعدل عن خطته المعهودة لانه قد طفح الكيل وقد كفى ماجرى ، فلذلك رأينا هذه الدعوى أخرجت في يوم من الايام من يد توفيق وكيل الولاية وتحولت الى ديوان عرفي في الشام أخذ ينظر فيها مجدداً ويطرح الشهادات المأخوذة بقوة الضرب والتعذيب ويسلك مسلك العدالة وأمكننا يومئذ اطلاق سبيل أناس من مشايخ راشيا وآخرين من زحلة وواحد من عرمون الغرب . ثم أطلق سبيل الشيخ صالح الرافعي والشيخ محمد خضر حسين التونسي اللذين كان ذنبهما انهما استفتيا في أحد المجالس في جواز الخروج على الدولة فلم يفتيا بذلك ولكن لم يبادرا بأخبار جمال باشا بوقوع هذا الاستفتاء ولو كان هذا الاستفتاء مجرد كلام فارغ من أناس لاشأن لهم . أما شكري الايوبي فكانت قضيته شديدة لانه اعترف بالاتصال بفيصل وكونه اشترك معه في انتقاد الاحوال . وأما فارس الخوري فذنبه الوحيد انه سأله الشاب الطرابلسي رأيه في عمل ثورة فأنكر هذا الامر ونهاه عن الخوض فيه لكن جمالا يقول : لو كان فارس الخوري أخبرني يومئذ بما سئل عنه لعلمت بنية فيصل وقبضت عليه ولم أدعه يذهب الى الحجاز ولم تكن حصلت ثورة الحجاز ففارس الخوري هو

باشا في تسكين الثورة فلم أستطع الا الذهاب ولو لم أذهب لم يبعد عليه أن يجعلني مسؤولا عما وقع. ولما وصلت الى درعا (اذرعات) استدعيت مشايخ الدروز فحضروا في الف وخمسمائة فارس وأكدوا طاعتهم الدولة وأبرقت الى جمال بالخبر فورد الي جوابه بالشكر والسرور ثم راسلت مسلمي حوران فحضر مشايخهم وقالوا لي نحن كنا أخبرنا الحكومة أنه لا يقدر على تسكين هذه الثورة الا الامير شكيب فالحمد لله على قدومك وان أكثر الثائرين متجمعون في قرية نوى فبعثت الى جمال برقية أعرض فيها عليه رأي العفو عن الثائرين واعادة الامن الى نصابه وانني أتعهد في مقابلة ذلك بادخالهم جميعا في الطاعة فأجابني برقية صريحة بأن من أطاع الى نهاية أربعة أيام وحضر الى مركز الحكومة فهو معفو عنه فأسرعت بكتابة خطاب الى الثائرين المحتشدين في نوى أدعوهم فيه الى الطاعة وأعظهم وأبين لهم عواقب العصيان فأجابوني الى ما أردت وطلبوا أن نتلاقى أولا في قرية الرمثاء .

وبينما نريد تعيين يوم للاجتماع هناك اذ ورد لي خبر بكون حافظ جمال باشا القائد العسكري في حوران المأمور بقمع الثورة قد ساق عدة توابير على نوى فكبسوها بياتا وضربوها بالمدافع وقتلوا نحو ثمانين نفسا ، فلم أصدق هذا الخبر ولم يهضم عقلي ان جمال باشا يأذن لي بتأمين الثائرين على نيل العفو ويضرب لي لذلك موعداً اربعة أيام وقبل انقضاء الموعد يسوق عليهم العساكر ويضربهم واذا بالوالي تحسين ألك وبحافظ جمال باشا (وكانوا يقولون له جمال باشا الثالث لانه كان في سورية احمد جمال باشا القائد العام وجمال باشا المرسيني الذي صار بعد الحرب العامة ناظراً للحربية في الاستانة ونفاه الانكليز الى مالطه وجمال باشا هذا) قد حضرا الى أذرعات وعلمنا ان واقعة نوى هذه قد حصلت فكان بيني وبينهما في دار الحكومة في أذرعات خصام عظيم ارتفعت فيه الاصوات وبلغت الحدة أقصاها على مسمع الجمهور وانما ظهر ان جمال باشا الثالث هذا في يده أمر برقي بالضرب خلافا للامر الذي بيدي بالتأمين ، فعند ذلك أبرقت الى جمال باشا القائد العام أبين له مزيد استغرابي من هذه الواقعة التي وقعت ضمن المدة التي أعطاني إياها لتأمين الثائرين ومقدار الفظاعة في قتل نحو ٨٠ شخصا منهم بعض نساء وهدم

طمروا في الارض أكثر حاصلاتهم فتصور جمال أنه بانذاره الاهالي أن من يخفي منهم شيئا من الحبوب يجزى بالقتل يخاف الاهالي فيقدمون كل ماعندهم من الغلة والحال ان هذا الانذار لم يزدهم الا تكتما في العمل فصار الواحد يطمر الحب في جوف الليل تحت الارض ويأخذ منه حاجته لعياله ودوابه واذا جاءه أي كان وطلب منه حفنة من الحب بحجة أن أولاده يموتون جوعا انكر ان يكون عنده شيء خوفا من أن يكون ذلك الطالب جاسوسا يقصد استكشاف سره أو يذهب فيقول ان هذا القمح هو من عند فلان جزاه الله خيرا فيصل الخبر الى الحكومة المحلية ويجزى بالشنق. وجمال باشا اذا قال فعل. فأصبح اناس يدورون في البراري في طلب القوت ولا يجدونه وآخرون عندهم أكداس الحب مخبوءة تحت الارض.

١ ولا أقصد بذلك أن هذا هو السبب الاصلي في مجاعة سورية كلا بل ان هذا التدبير السيء المبني على الاستبداد والغرور بالنفس كان من جملة أسباب المجاعة ولكن السبب الاهم هو الحرب من حيث هي وقلة الايدي العاملة وفقد البذار والابقار والحصر البحري وأعظم المسئولية في شدة المسغبة وموت الالوف جوعا بسببها تعود على الحلفاء الذين رفضوا اغاثة سورية من جهة البحر وايصال اعانات أميركا واسبانيا والبابا وأحبوا أن يلصقوا ذنب التجويع بالحكومة العثمانية ظلما وزورا كما سيأتي في كلامنا على المجاعة

على أننا لما كنا نذكر كلا بفعله نقول إن هذا التدبير الذي قرره جمال باشا لتلافي تخبئة الغلال كان تدبيرا فائلا وأتى بعكس المقصود ومن جملة نتائجه أن أهل حوران ثاروا على الحكومة . وذلك أنه فرض على لواء حوران ٨٠ مليون كيلو وجعلها تحت التزام ميشيل ابراهيم سرسق مبعوث بيروت ووضع تحت طلب ميشيل القوة العسكرية لجمع هذا ٢٠ مليون كيلو ووقف حمار الشيخ في العقبة فأخذوا حينئذ بالعسف والتضييق وأحرجوا الاهالي فثاروا وضربوا الجندرمة فساقوا عليهم العسكر فتضاربوا والعسكر وقطعوا اسلاك البرق وخربوا سكة الحديد واستفحل الامر وكان جمال في حلب فخاف أن تمتد الفتنة ويشترك فيها العربان والدروز فأبرق إلي — وكنت في لبنان — أن اذهب الى حوران وأن اشترك مع حافظ جمال

وحينئذ نجد أن أشد الضربات وأفجع النكبات قد هبت ريحها على الاسلامية من جهة ايران.

كان الفكر الديني ذو السلطان الروحي في محيط ايران وهو مذهب (زردشت) محافظا على قوته وصولته بعد أفول نجم الفرس السياسي. نعم ان ظفر المسلمين بالفرس في القادسية قد دك دين زردشت كما ثل عرش ملوك الاكاسرة فان الفرس كانوا يدخلون في دين الله أفواجا ولكنه لم يعف أثره بل أصر عليه كثيرون ولا يزال له أتباع في بلاد الهند في شبه جزيرة كجرات وفي فيافي ايران وعلى ساحل بحر الخزر يدينون دين زردشت. فما بالك بما كان من بقايا تأثيره في أنفس الذين آثروا الاسلام عليه من حيث لا يشعرون

كان للفرس إلهان (آهريمان) أي خالق الشر، و(هرموز) أي خالق الخير. وفي عام ٢٢٦ ميلادية في زمان الدولة الساسانية اتحدت في ايران السلطة السياسية والسلطة الدينية وظلتا متحدتين حتى دخول الاسلام في ديار ايران. كان الاهلون يقسمون في تلك الازمنة أربع طبقات:

(١) طاجيه (٢) شمارجه (٣) دهقين (٤) موبذان

فالاولى طبقة العوام والثانية طبقة الخواص والثالثة طبقة رجال الحكومة والرابعة طبقة رؤساء الدين والاشراف والوجوه

وكان القضاء للرئيس الديني المسمى (موبذ موبذان)

كانت عاصمة الفرس اذ ذاك بلدة اصطخر. وكان للعرب هنالك حكومة عاصمتها الحيرة لا دولة (وبين مدلول كلمة حكومة ومدلول كلمة دولة بون شاسع)

هكذا كانت التنظيمات الاجتماعية والسياسية في ايران عند دخول الاسلام فيها. وكانت هذه التنظيمات منطبقة على روح الايرانيين طبعا بمرور الزمان. وكل تشكيل سياسي أو اجتماعي يتولد من روح الامة الاجتماعي لا يمكن تعديله. ولو أرادوا ذلك لما استطاعوا اليه سبيلا

كان الفرس ينظرون الى دولة الامويين والى حكومتهم شزراً لسببين رئيسيين:

(١) أن تأليف امتهم أحسن ترتيباً وأتم نظاما من تأليف الامة الحاكة

(٢) انهم كانوا يعدون الامويين ناصبين لاستقلالهم السياسي. ولكنهم يسترون ذلك باللباس بغضهم إياهم لباس التشيع لآل البيت النبوي الكريم.

لذلك كان الايرانيون دائما يترقبون الفرص لكي يستردوا سلطتهم

بيوت في بلدة الامام النووي رضي الله عنه . وتلغرافي هـذا مسجل ولاشك في بيت التلغراف بأذرعات . فغضب جمال من هذا الخطاب وزاده غضباً أن الشيخ أسعد شقير الذي كان أرسله مراقبا له على حركات الجميع في حوران حضر الخصومة بيني و بين الوالي وجمال باشا الثالث (كان ممن اجتهد في كف النزاع ولكنه ثاني يوم برح حوران الى عكا ويقال انه أبرق الى جمال بما حصل بيني و بين ممثلي الحكومة الملكية والعسكرية واني أغلظت لهم القول وقلت انني لا بد أن أفتح هذه المسائل في المجلس بالاستانة وأشرح كل ماجرى الخ فأبرق جمال الي بالحضور الى صوفر وكان قدم الينا من حلب وهناك أرغى وأزبد وأشرف علي من سماء عظموته فلم أجاوبه لانفيا ولا اقراراً وقمت منصرفا فكأنه وجد في سكوتي دليلا على احتقار الدولة فقام وتبعني وحاول استرضائي وعدل عن الخاشنة الى الملاينة وبقيت ساكتا وصممت أن أذهب الى الاستانة وأن لاأعود الى سورية مادام جمال فيها . . .[1] (للمقال بقية)

من الخرافات الى الحقيقة

٤

الاسلامية والمجوسية

أو

العرب والعجم

ان السبب الاول لدخول الخرافات في الاسلام هو روح مجوسية الفرس: الدين الاسلامي دين حر ساذج ، ولكن حال لونه الاصلي في محيط ايران ، ولما دخلت الاصول الاسلامية بلاد اليونان ومصر والروم تعقدت سذاجته العالية وأخذ شكلا غريبا ممزوجا بنظريات تلك الشعوب الدينية والفلسفية ولا سيما اليهود الذين كانوا كلما دخل أحدمنهم في محيط الاسلامية يدخل معه خرافات دينه

هنا يجب على الباحث عن جراثيم مرض التحزبات الاسلاميـة أن يجول ،

(١) حذف من هذا الموضع ذكر الوسائل التي توسل بها الكاتب الى الذهاب الى الاستانة مع منع جمال للسفر بدون اذنه

شجرة الدين، وقلعه من أسه وهو التوحيد، فوضعوا مذهب التعليم الباطني على أس الحلول، وحاولوا اصطياد قلوب ملوك العرب باللين والدهاء. الى ان ينالوا المرام، ويأخذوا بأزمة الادارة وينفردوا مع صنائعهم بالاحكام، . . .

على هذه السلم صعدت البرامكة الى صرح وزارة التفويض، والاستبداد بالتنفيذ، كان جدهم (خالد) قائداً من قواد جيش أبي مسلم الخراساني. وكان ناراً تتقد غيظاً وحقداً على العرب. وهو ابن رجل مجوسي اسمه (برمك) وكان متوليا أوقاف (نيران) مدينة بلخ. وانما أظهر خالد الاسلام عند التحاقه بأبي مسلم وكان شديد الغيرة والحرص على احياء مجد الفرس السياسي والديني. وكان من الدهاء والحنكة بحيث إن السفاح الخليفة العباسي أعجب به وجعله وزيراً له. ثم انتقلت الوزارة من بعده لابنه (يحيى) ثم لحفيده (جعفر). وقد نجح الفرس في هذه السياسة سياسة اصطياد قلوب العرب الذين تروج عليهم الدسائس بكل سهولة. حتى ان الدولة العربية في زمان السلالة العباسية كانت في أيدي الفرس، فكان الولاة والقواد فرسا كالوزراء. وقد اشتهر في الادارة العربية عدة فصائل عجمية ادارت الملك مثل (١) فصيلة برمك (٢) وفصيلة وهب (٣) وفصيلة قحطبة (٤) وفصيلة سهل (٥) وفصيلة طاهر

فكانت الدولة عربية اسما، وفارسية جسما، أومسلمة ظاهرا، ومجوسية باطنا، وقد تجلى النفوذ الفارسي عند جلوس المأمون على كرسي الخلافة أكمل التجلي حتى إن بعضهم كان يتخيل أن الفرس سيعيدون ملك الاكاسرة بلا جدال

الا أن الاسلام لما كان قد تمكن من مباءته في قلوب الناس لم يتجرأ منافقو المجوس على ابراز جميع مكنونات قلوبهم بوضوح، بل حاولوا الاستفادة من الاسلام بطريقة خفية تدنيهم من آمالهم السياسية بالتدريج، وهذا كان ممكنا ومعقولا. لذلك اكتسى امراء الفرس كسوة الاسلام ورفعوا علم الخلافة والامامة وظهروا بمظهر جديد يحلو لبسطاء العرب ويجذب قلوبهم. على هذه الطريقة ساروا الى خدمة مقام الامامة والخلافة، وبعض العرب يركضون وراءهم مجذوبا بجاذبة الآمال الخلابة

اذا دقق الانسان النظر في التاريخ تدقيقا جيدا يجد أن غلو الفرس في آل البيت النبوي وتقليبهم بين العباسيين والعلويين، لم يكن الالعبة سياسة لعبوها خلف ستار الدين، تأمينا لاعادة مجدهم الذي قوضه العرب. ومن الآيات الدالة

المادية، ولم يجدوا سبيلا يوصلهم الى مقصدهم الاصلي أقصر من تكييف قواعد الدين الحنيف بأشكال توافق احتياجاتهم الروحية.

وفي سنة احدى واربعين للهجرة اضطر سيدنا الحسن السبط الى ترك الخلافة لخصمه معاوية، ثم خلف يزيد أباه معاوية، وما عتم يزيد أن فعل فعلته الشنعاء في سيدنا الحسين رضي الله عنه. فكانت كجذوة نار القيت على مستودع بارود النفور والكراهة المخزونين في قلوب المسلمين لسلطنة بني أمية، فانتهز الايرانيون هذه الفرصة فاتخذوها ذريعة لتنفير المسلمين من خلافة معاوية، وبذلوا كل ما أوتوه من قوة لنشر هذه الدعوة.

وفي أثناء بث دعوتهم شعروا بالحاجة الى قوة يتكئون عليها فجعلوا مسألة (التشيع لآل البيت الكريم) مذهبا دينيا.

ثم تمخضت الايام بل الاعوام بهذا الجدال والجلاد حتى وضعت حملها، فظهر أبو مسلم الخراساني الذي تجلت جميع آمالهم بشخصه، فكان ظهوره كانفجار القذائف النارية فلم يلبث أن فاز بازالة السلطنة الاموية واقامة سلطنة العباسيين الذين يمثلون نفوذ الفرس مكانها[1]

وكان من أعوان أبي مسلم على إعادة النفوذ الفارسي اغنى أهل زمانه (ابو سلمة الخلال). بذل ماله وجاهه بكل سخاء في سبيل فوز أبي مسلم.

ولكن العاقبة لم تكن كما كان يروم الفرس من كل وجه فطرقوا بابا آخر وهو باب (العلوية) فاستمر الجدال والجلاد وتوالت الفجائع الدموية. ومع كل هذا لم ينل الفرس كل مبتغاهم من أنهار الدماء التي فجروها تفجيرا، اذ لم يكن القصد في الباطن الا ادارة ملك العرب كما يشاءون ترويجا لسياستهم. ولكن العباسيين عرفوا سر الامر، ولم ينقادوا كل الانقياد للفرس، وحينئذ ظهر هؤلاء بمظهر جديد وهو مظهر (العلوية). وبهذا الشكل توالت الفجائع، وتعاقب سيل الدماء

وهذه السياسة قد فشلت أيضا فلما رأوا ان بلادهم قد ملكت، ودماءهم قد سفكت، ولم ينالوا شيئا – عمدوا الى سياسة أخرى. وهي سياسة اجتثاث

---

(١) ليعتبر العربي بهذا لكيلا يساق في سبيل مصالح الاجنبي مخدوعا بأنها مصلحته، فيخسر ما كان بيده ولا يستفيد عوضا مما خسره كما جرى في أثناء الحرب العالمية – حاشية للمترجم

عن الحزب الايراني أو الشيعي الفرس ، وعن الحزب العربي او السني الترك ، وقد كان الفوز لهؤلاء في العراك الصوري والمادي . ولاولئك في التنازع المعنوي. لأن الايراني كان ادهى من التركي في السياسة وبهذ تمكنوا من إلقاء بذور التشيع في قلوب الترك انفسهم .

ثم دالت دولة آل بويه ، ولكن فكرة مجد كسرى ظلت باقية في ادمغة العجم ، فكانوا كلما سنحت لهم فرصة مناسبة او وجدوا بيئة موافقة يظهرون بمظهر ديني مرتدين رداء نصرة آل البيت النبوي الكريم .

هكذا كان الاسلام يتدحرج بين يدي العجم والترك .

فكرة إعادة مجد الفرس ظلت تنمو وتكبر منذ زمان الفاروق الاعظم وقصت في طريق نموها اجنحة العرب وبقيت مثابرة على غاياتها تركض خلف بغيتها غير ملتفتة الى شيء حتى عام ٩٠٥ ففي تلك السنة أعلن اسماعيل الصفوي رسميا مذهب الشيعة واعيد مجد كسرى فعلا : فالبسطاء كانوا يظنون أن المنتصر هو حزب آل البيت النبوي الكريم والحال أن المنتصر كان ورثة كسرى[1] والمغلوب ورثة عدنان — ﴿ بل قوم رسول الله (ص) ولغة كتاب الله ، فماذا استفاد آل الرسول عليهم السلام من اتخاذهم وسيلة لذلك الملك؟ هل تحولت الامامة اليهم ، وصار أمر الدين والدنيا ثمة في أيديهم وفقا لدعوة دعاة الفرس لهم ؟ أم يغنيهم عن ذلك سب ابي بكر وعمر وزيري جدهم وأعز أنصاره وناشري دينه ومؤسسي ملك شريعته وسبب هداية الفرس الى الايمان به ؟ ﴾

ثم تكرر الاصطدام بين السنة والشيعة أي الحزبين الاسلاميين المتظاهرين بنصرة مبدأ ديني . والحقيقة أن التصادم كان بين شعبين يريدان الاستفادة من غفلة العرب لتوطيد نفوذهما السياسي وهما الترك والفرس وكانت العاقبة انتصار الترك . الا أن ظهور نوادر من بين الفرس مثل الشاه طهماسب والشاه عباس

(١) حاشية للمترجم : لا أدري أين كان عقلاء العرب ودهاتهم عندما كان الفرس والترك يتنازعون على سلطانهم بحجة المحافظة عليه ؟ ويتبادر الى الذهن أن تنازع الانكليز والفرنسيس علينا اليوم بحجة ترقيتنا يشبه ذلك التنازع حتى باسم الاسلام فالانكليز يزعمون أنهم يرقون العرب وأهل البيت النبوي شرفاء مكة والفرنسيس يزعمون أنهم يؤيدون الترك محافظة على سلطة الاسلام وخلافة النبي عليه الصلاة والسلام ؟

على ذلك ان جعفرا البرمكي وزير هارون الرشيد قال مرة لمن كانوا يستحسنون أعمال أبي مسلم الخراساني: «إن ماعمله أبو مسلم ليس شيئاً مهماً، لانه نقل السلطنة من سلالة الى سلالة، متحدتين في العشيرة وفي الديانة. وإنما المهارة هي نقل السلطنة من امة الى امة أخرى لا تتحد معها لسانا ولا دينا». وكان قصده من هـذا الفخر ان اسرته تنقل السلطنة من العرب الى العجم، ثم ان فضل ابن سهل السرخسي اشهر رجال المأمون كان مجوسيا تقلد خدمة الحكومة ولاجل تأمين مصالح الفرس اسلم عام ١٩٠ اسلامية وتقلد مذهب الشيعة الذي أحدثه قومه. وبعد اسلامه بثماني سنين الف جيشا قيادة (طاهر بن حسين) وفتح بغداد وقهر الامين لان امه عربية، واجلس المأمون ابن الفارسية.

ولم يكتف الفضل بن سهل بهذا بل قرر في عام ٢٠١ جعل علي بن موسى ولي عهد ثم أزال شعار العباسيين وهو السواد واستبدل به شعار الفرس الاخضر بحجة انه شعار آل البيت.

وظلت فتوحات الفرس في قلوب اهل المملكة تزداد وتهويشاتهم لامور الدين الاسلامي تتكاثر حتى زمان الخليفة المعتصم فاستعان بالترك على الفرس فجرى بين الفرس والترك ماجرى وانتهى الامر بدخول الترك بغداد مظفرين بعد ان سحقوا قوة الفرس المجوسية وكان هذا بزعامة طغرل بك السلجوقي في زمان الخليفة القائم بأمر الله[1]

عند ذلك انتقلت المناصب من ايدي الفرس الى ايدي الترك، فانسحب امراء الفرس من ميدان السياسية ودخلوا ميدان الجندية واعلنوا الاستقلال واظهروا مكنونات قلبهم القديمة. الفوا في خراسان دويلة الطاهرية وفي نفس فارس الصفاوية وفي ما وراء النهر السامانية وفي آزربايجان الساجية وفي جرجان الزيارية. وجميع هذه الدويلات كانت كمرآة تتجلى فيها الروح الفارسية منذ عهد الامويين الى زمن إعلانها. وكانت جميع دويلات الفرس ضعيفة بالنسبة الى قوة المركز العربية ما عدا دولة (آل بويه) التي ظهرت عام ٣٢٠.

ونتيجة ما تقدم ان بذور التفريق التي غرسها الفرس قد نما نبتها واثمرت وقوع الشقاق بين المسلمين فكانوا فرقتين يتنازعان السيادة بينهما، وكان يدافع

(١) (المترجم: كنت هنا احب ان ابحث عن سر مراجعة المعتصم للترك دون العرب، لولا موانع منعتني لذلك اتركه لغيري)

جمعية الرابطة الشرقية

من سنن الله تعالى في (الاجتماع البشري) ان يتآلف الافراد والجماعات من الناس ويتعاونوا بقدر ما يكون بينهم من ضروب المشاركة في الصفات التي تميزهم من غيرهم وفي مرافق الحياة الخاصة بهم ، هي مساعدة في تكوين البيوت والعشائر والقبائل والشعوب [illegible] هذا العصر منذ [illegible] كانت حتى صارت الشعوب الكثيرة التي تجمعها رابطة كبيرة كاسم الارض المسماة بالقارات تتحد وتتعاون على [illegible] خاص [illegible] دون الشعوب الاخرى وبناء على هذه السنة وضع [illegible] قاعدة [illegible] الاوربيين من عهد بعيد يتعاونون فيما بينهم متفقين على وضع سلطانهم على رقاب الاسيويين والافريقيين على ما بين دولهم من التعادي والتنازع في [illegible] وفي غيره . ثم انهم لكثرة الروابط بينهم وبين الممالك الامريكية قسموا العالم قسمين أطلقوا على احدهما اسم الغرب ويعنون به اوروبة [illegible] وعلى الآخر اسم الشرق ويعنون به آسية وأفريقية ، وهم يفضلون الغرب على الشرق ويجتهدون في جعله تحت سيطرته وسيادته في الحكم وهذا خاص باوربة وفي الشؤون الاقتصادية والادبية والدينية وهذا مشترك بين الاوربيين والامريكيين ، وقد ظل الشرقيون غافلين عن أنفسهم خاضعين للغربيين في كل ما يبغون منهم الى هذا العصر الذي تنبهت فيه الشعوب الشرقية الى وجودها والخطر عليها

وقد كانت الحرب الاخيرة أقوى المنبهات للشرقيين اذ ظهر لهم ان الدول الاوربية الظافرة تريد أن تقضي على بقية الدول الشرقية التي أنهكت قواها من قبل بالحروب وبالتدخل السياسي والاقتصادي والعلمي والديني . فشعرت أواخي التعاون السياسي بين الترك والفرس والافغان والروس وغيرهم من شعوب الشرق

وفي أوائل هذا العام الهجري نبتت في مصر فكرة تأليف جمعية للمعارف والتعاون العلمي والادبي والاقتصادي بين الشعوب الشرقية — نبتت هذه الفكرة في حفلة كرم فيها أحد وجهاء الايرانيين في مصر كاتباً أديباً ايرانياً أراد العودة الى بلاده . هذا الاديب هو عبد المحمد صاحب جريدة (جهرنما) الفارسية المصرية وذلك الوجيه هو ميرزا مهدي بك رفيع مشكي أمين التجار

والشاه نادر جعل الغلب دينيا فقط ، وظل البناء السياسي قائما

اكثر العارفين بدقائق الامور في زماننا يرون ان علة تأخر كل من الترك والفرس عن شوط الاوروبيين محصورة في هذا النزاع الهائل الذي شغل العنصرين المسلمين مدة طويلة . فبينما كان الاوربيون يصلحون ما اختل من امورهم العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية كان المسلمون يقتل بعضهم بعضا باسم اختلاف عرضي ثم سبق الترك الايرانيين في الانتباه لوخامة هذا الاختلاف وطفقوا يقومون ما اعوج من امورهم منذ عام ١٢٥٤ هـ ثم تبعهم الايرانيون بعد مدة . ولكن الاصلاحات العصرية وجدت في الاناضول تربة أخصب من تربة بلاد ايران

والحاصل أن الايرانيين اشتغلوا عن استقلالهم مدة لا تنقص عن الف سنة بأساليب مختلفة وطرق متنوعة أنموا بها الاسلام والمسلمين وأتعبوا أنفسهم. ولا يلوم المؤرخون ولا الاجتماعيون رجال العجم على ما فعلوه في سبيل استعادة مجدهم ولكن الطرق التي سلكوها كانت مضرة بالاسلام لان القاء بذور التفرقة بين المسلمين وتشتيت وحدتهم السياسية أنتج نتائج سيئة جداً. وعواقب الحروب التي وقعت بين أهل السنة والشيعة لم تزل مؤثرة في حياة المسلمين الاقتصادية والسياسية الى يومنا هذا ولا سيما لدماء التي سفكها الاخوان في الاسلام التي لو سكبت في بحر الخزر لكفت لجعله أحمر قانياً وهي واأسفاه لم تكف لفتح عيون المسلمين وإراءتهم سوء نتائج الاختلافات المذهبية ليرجعوا عن اسبابها (١)

حسني عبد الهادي

---

(١) المنار : نحمد الله أن أرانا ما لم يره مؤلف الكتاب من يقظة المسلمين في هذه الايام وشروعهم في شد أواخي الاخاء والوحدة بين أهل السنة والشيعة عامة وبين الترك والفرس خاصة كما نوهنا بذلك من عهد قريب في تفسير قوله تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأشرنا اليه بعد هذه المقالة في الكلام على جمعية الرابطة الشرقية

جمعية الرابطة الشرقية

من سنن الله تعالى في (الاجتماع البشري) ان يتآلف الافراد والجماعات من الناس ويتعاونوا بقدر ما يكون بينهم من ضروب المشاركة في الصفات التي تجمعهم من نسبهم ومرافق الحياة الخاصة بهم كما هو مشاهد في تكوين البيوت والعشائر والقبائل والشعوب وقد اتسعت في هذا العصر هذه المشاركات حتى صارت الشعوب الكثيرة التي تجمعها بقعة كبيرة كاقسام الارض المسماة بالقارات تتحد وتتعاون على ما لها من شأن خاص بها دون القارات الاخرى وبناء على هذه السنة وضعوا مذهب (امريكة للامريكيين) ونرى الاوربيين من عهد بعيد يتعاونون فيما بينهم متفقين على وضع سلطانهم على رقاب الاسيويين والافريقيين على ما بين دولهم من التعادي والتنازع في ذلك وفي غيره . ثم انهم لكثرة الروابط بينهم وبين الممالك الاميركية قسموا العالم قسمين أطلقوا على احدهما اسم الغرب ويعنون به اوروبة وأميركة وعلى آخر اسم الشرق ويعنون به آسية وأفريقية . وهم يفضلون الغرب على الشرق ويجتهدون في جعله تحت سيطرة اوربة وسيادتها في الحكم وهذا خاص باوربة وفي الشؤون الاقتصادية والادبية والعلمية وهذا مشترك بين الاوربيين والاميركيين . وقد ظل الشرقيون غافلين عن انقسام خصميهم الغربيين في كل ما يشعر منهم الى هذا العصر الذي تنبهت فيه الشعوب الشرقية الى وجودها والخطر عليها

وكان للحرب الاخيرة أقوى التأثيرات في الشرقيين اذ ظهر لهم ان الدول الاوربية الكبرى تريد أن تقضي على بقية الدول الشرقية التي أنهكت قواها من قبل [illegible] السياسي والاقتصادي والعلمي والادبي . فتنبهت أواخي الرابطة [illegible] الاستقلال والترقي [illegible] من شعوب الشرق [illegible] في مصر [illegible] المعارف [illegible] الشعوب الشرقية [illegible] هذه [illegible] في مصر [illegible] اديبا ايرانيا [illegible] (جمعا) [illegible] النجار

والقاه نادر جعل الغلب دينيا فقط ، وظل البناء السياسي قائما [illegible]
أكثر العارفين بدقائق الامور في زماننا يرون ان علة تأخر [illegible]
والفرس عن شوط الاوروبيين محصورة في هذا النزاع الهائل الذي [illegible]
المسلمين مدة طويلة . فبينما كان الاوروبيون يصلحون ما اختل من [illegible]
العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية كان المسلمون [illegible]
باسم اختلاف عرضي . ثم سبق الترك الايرانيين في الانتباه [illegible]
وطفقوا يقوّمون ما اعوج من امورهم منذ عام ١٣٠٤ ثم [illegible] الايرانيون
بعد مدة . ولكن الاصلاحات العصرية وجدت في الاناضول [illegible]
تربة بلاد ايران .

والحاصل أن الايرانيين ناضلوا عن استقلالهم مدة لا تنقص عن [illegible]
بأساليب مختلفة وطرائق متنوعة أتعبوا بها الاسلام والمسلمين [illegible]
ولا يلوم المؤرخون ولا الاجتماعيون رجال العجم على ما فعلوه في سبيل
استعادة مجدهم . ولكن الطرق التي سلكوها كانت مضرة بالاسلام [illegible]
بذور التفرقة بين المسلمين وتشتيت وحدتهم السياسية [illegible]
وعواقب الحروب التي وقعت بين أهل السنة والشيعة [illegible]
المسلمين الاقتصادية والسياسية [illegible]
الاخوان في الاسلام التي [illegible]
وأبناءه [illegible] عيون المسلمين [illegible]
المذهبية [illegible] عن اسبابها (١)

[illegible]

(١) المنار : [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

قد يعتريها التحلل الجزئي ، ولكنها لا تموت . بل تستطيع التي فقدت مجدها بعامل من عوامل الضعف الطارئة عليها ، أن تسترد مكانتها الاولى بفضل عوامل القوة الكامنة فيها ، اذا أحسنت استخدامها .

وفي الإيمان بهذه القاعدة ما يبعث على الامل « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

***

وقد لوحظ مع الاسف أن الشرقي لا يزال قليل العلم بشؤون بلاده التي أعقبها اهماله الاهتمام بأحوال شعوبها والعوامل المؤثرة فيها، الا قليلا ، على ما بين الشرقيين عامة — بالرغم من اختلاف الاجناس والعقائد واللغات — من الاشتراك في كثير من المميزات والصفات الخاصة بالشرق : من حيث التقاليد والمدارك ووجهة النظر الفلسفية في امور الحياة . على أن كثيراً من شعوبه متحدة في الجنس أو العقيدة أو اللغة ، وكلهم مشتركون في المنافع أو المصالح بحكم المجاورة أو المبادلة التجارية أو غير ذلك من الاسباب . وهذه العوامل من شأنها أن تشرك الجميع في الشعور بما يلم بهم عامة من اسباب الانحطاط وبما يصيب كل شعب منهم خاصة من جراء ذلك . وقد بدت بوادر هذا الشعور في زماننا بالتضامن العنصري أو الجغرافي بين بعض هذه الشعوب للتعاون على النهوض في سبيل الرقي لخير العالم . ولما كان الغرب رقيه المادي والفكري متمماً للشرق ولا غنى لاحدهما عن الآخر وان اختلفت الاديان ، أصبح من مصلحة الانسانية أنه لكي يصبحوا متضامنين في نهضتهم لا متخاصمين عاملين على تقدمها .

هذا وقد آن الأوان لتأليف هيئة شرقية يكون غرضها

وقد أجاب الدعوة كثير من كبار العلماء والادباء والوجهاء من المصريين وغيرهم دعيت الى هذه الحفلة فوافيتها بعد الشروع في الخطب فدعيت الى الخطابة اذ كان اسمي مطبوعا في البرنامج فوقفت فألقيت جملا وجيزة في معنى الاحتفال رجوت فيها أن يكون المحتفل به رسول تعارف وتآلف بين البلاد المصرية العربية التي أقام فيها عزيزاً كريماً وبين البلاد التي يريد السفر اليها (وهي فارس والافغان) ثم قلت لا أدري هل الموقف يسمح لي بحرية القول في وجه الحاجة الى هذا التعارف والتآلف، فصاح أحمد زكي باشا نعم كلنا طلاب حرية ولك أن تقول ما شئت فحينئذ ذكرت اني قريب عهد بأوربة واني رأيت فيها جميع عقلاء الشعوب الشرقية يعقدون روابط التآلف فيما بينها عن شعور بشدة الحاجة الى ذلك وان مصر على مكانتها العالية في بلاد الشرق لا تزال مقصرة في ذلك، وأفضت في ذلك بما ألهمت من القول ثم تبارى الخطباء في ذلك وكان أوسعهم فيه قولا وطولا أحمد زكي باشا والشيخ مصطفى القاياتي — فأفضى ذلك الى اقتراح تأليف لجنة لوضع مشروع جمعية فتألفت اللجنة ثم شرعت تجتمع في دار السيد عبد الحميد البكري فوضعت القانون الاساسي الآتي مع مقدمته وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إن من يتأمل في حالة الشرق وما أصبحت عليه أممه ويقارن ذلك بماضي التاريخ، يدهش للانحطاط الذي وصلت اليه هذه الامم على ما كان لها — جلها إن لم يكن كلها — من التاريخ المجيد الحافل بدلائل [illegible]

قد يقول بعضهم : ان هذه سنة الطبيعة وان حكم الامم في ذلك حكم الافراد: تولد وتشب وتهرم وتموت

ثم لا يبعث على اليأس !

ولكن في حالة الامم — ولا حد لعمرها — وليس ثمة حتمٌ [illegible]

أن تتعاقب عليها المراحل الثلاث في كل حالة، فيتطور الامة منها بهذه المراحل

قانون جمعية الرابطة الشرقية

إن الموقعين على هذا ، قد نظروا فيما آلت اليه أحوال الامم الشرقية من التخاذل والانحطاط فرأوا بعد البحث أن يسعوا الى تلافي ذلك بتأسيس جمعية علمية اجتماعية تقوم بترقية الامم الشرقية: بالعلم الذي هو أساس كل فلاح، وبإحكام الروابط بين هذه الامم، وبإحياء حضارة الشرق وارجاعه الى فضائله، مع الأخذ بما في مدنية الغرب من المحاسن التي لا تتنافر مع الروح الشرقية . وذلك بمقتضى المواد الآتية :

---

١ — ألفت في القاهرة جمعية علمية اجتماعية باسم «جمعية الرابطة الشرقية»

٢ — شعار الجمعية « الارواح جنود مجندة : ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

٣ ـ غرض الجمعية نشر المعارف والآداب والفنون الشرقية ، وتعميمها وتوسيع نطاقها ، وتوثيق روابط التعارف والتضامن بين الامم الشرقية على اختلاف أجناسها وأديانها

٤ ـ يشترط في أعضاء الجمعية أن يكونوا من أهل المكانة والجاه في الشرق أو من أهل الرأي في المصلحة العامة، أو من أرباب القلم في أي لغة من لغات الشرق ويجب أن يكونوا من أولي الحرص والعمل على تحقيق غرض الجمعية .

٥ ـ تتوسل الجمعية الى غرضها بالوسائل العلميــة والاقتصادية . وتبث دعوتها بالقلم واللسان ، وتنشر ما ترى فيه المصلحة بأي لغة تراها .

٦ ـ تنشر الجمعية مجلة تتضمن محاضراتها ومباحثها العلمية والادبيــة والاقتصادية والأثرية ، وتحيي بواسطتها آثار السلف ، وتدون فيها أيضا ماترى منه فائدة لتحقيق غرضها .

٧ — المركز الرئيسي للجمعية مدينة القاهرة .

٨ ـ تكون للجمعية شعب في كل قطر من الاقطار الشرقية . وللجنة المركزية ولكل شعبة انشاء ما تراه من الفروع في المدائن الداخلة في دائرتها

نشر علوم الشرق وآدابه والبحث في شؤونه: للعمل على ترقية شعوبه، وتكوين صلة تعارف بين أرباب الرأي والقلم منهم على اختلاف اجناسهم لتبادل الآراء والمعلومات في هذا السبيل؛ ثم لتكون رسول سلام وتعارف بين الامم الشرقية التي لها من سوابق تواريخها المجيدة وحضاراتها القديمة وتقاليدها القومية ومدارك أفرادها العالية وموارد ثروتها الثمينة ما تستطيع به أن تخدم بعضها بعضا وأن تتضامن في سبيل اسعاد المجتمع الانساني وترقيته لخير جميع الاجناس والاديان.

ولهذا الغرض تألفت بمصر القاهرة جمعية **الرابطة الشرقية** المسطر قانونها بعد. وقد اختيرت مصر مركزا لها لمكانة موقعها الجغرافي الخاص الذي كانت به ملتقى الامم من اهل المشرق والمغرب المارين بها أو المقيمين فيها. ومن ثم كانت هي الواسطة بين الشرق والغرب.

وعولت الجمعية على الوصول الى غرضها السلمي العمراني بالوسائل العلمية العملية. وهي تقبل في عضويتها كل طالب من أهل الفكر والجاه يعمل على تحقيق أغراضها بلا تمييز بين العقائد والاجناس

وستجعل في مقدمة منهاجها دراسة جغرافية الشرق وتاريخه وكذا علوم الامم الشرقية وآدابها وحضاراتها، والتنقيب عن عادياتها وآثارها، والبحث في علل تقهقر هذه الامم، وعقد المؤتمرات الدورية للنظر في وسائل رقيها الادبي والمادي، وتسهيل التعامل وتبادل المنافع بينها؛ ثم التوفيق بين حضاراتها وآدابها وبين الحضارة الغربية وآدابها بما تقتضيه مصلحة الوقت، لتوثيق روابط الوداد والائتلاف بين الشرق والغرب.

والله المسؤل أن يوفقها لما تريد وأن يؤيدها بروح من عنده؟

ولكل شعبة اصدار مجلة خاصة بها لتحقيق غرض الرابطة في دائرة حدودها

١٦ ـ تفاصيل العمل بهذا القانون موكولة الى مجلس ادارة الجمعية بمصر .

وكل شعبة مستقلة في وضع لائحتها الداخلية وادارة أعمالها ، بشرط أن لا تخرج عن القواعد الاساسية المقررة في هذا القانون ?

الاعضاء المؤسسون (مرتبة أسماؤهم على حروف الهجاء)

احمد زكي باشا كاتب السر المؤقت
صالح جودت بك
عبد الحميد البكري (السيد) الرئيس المؤقت
محجوب ثابت بك (الدكتور)
محمد بخيت (الشيخ)
محمد التفتازاني الغنيمي (السيد)
محمد رشيد رضا (السيد) طرابلس الشام
مهدي رفيع مشكي (ميرزا) فارس
نور الدين مصطفى بك تركية

﴿ تأليف الجمعية بالفعل ﴾

بعد وضع المؤسسين لهذا القانون أرسلت نسخ منه الى مئين من أهل العلم والادب ومن الوجهاء وطلب منهم أن يكتبوا الى كاتب السر الموقت (أحمد زكي باشا) بالرغبة في الانتظام بسلك الجمعية من شاء منهم ذلك . ثم دعي جميع من أجاب الدعوة الى الاجتماع في دار الرئيس الموقت للجنة المؤسسة ليبدوا رأيهم في القانون وينتخبوا أعضاء مجلس الادارة بأنهم هم الجمعية العامة

وقد اجتمع عدد كثير بعد ظهر يوم الاحد ٢٢ جمادى الآخرة الماضي (١٩ فبراير) بدار صاحب السماحة الرئيس الموقت وكان في مقدمة الحاضرين الاميران الجليلان يوسف كمال واسماعيل داود وافتتحت الجلسة بتلاوة آي الذكر الحكيم ثم ألقى حضرة صاحب السماحة السيد البكري خطبة افتتاحية نوه فيها بفضل الشرق والشرقيين وما كان لهم من المنزلة في الحكمة والعلم والادب ثم أبان الغرض من الاجتماع ودعا الحاضرين الى اقرار قانون

٩ – يتألف مجلس ادارة الجمعية في القاهرة من رئيس ونائبي رئيس وأمين صندوق وكاتب سر عام وثلاثة مساعدين (عربي وتركي وفارسي) ومن سبعة أعضاء يعينون بطريق الاقتراع السري . على أن يكون ثلاثة منهم من الشرقيين غير المصريين

١٠ – يتخذ مجلس الادارة من مركزه ناديا للاجتماعات العامة والخاصة ولالقاء المحاضرات . ويدعو اليه ويستقبل فيه الوافدين على ديار مصر من كبراء الشرقيين والمستشرقين وفضلائهم لاحكام روابط التعارف والتضامن .

١١ – تعقد الجمعية في كل ثلاث سنوات مؤتمرا شرقيا عاما يتألف أعضاؤه من جميع الامم التي ينتظم افراد منها في سلك الرابطة الشرقية : لاجل التعارف والتآلف ، وتبادل الافكار والمعارف ، والبحث في الاعمال والوسائل التي اتخذت في المركز العام وفي سائر الشعب والفروع لتحقيق غرض الجمعية .

ويجوز عقد هذا المؤتمر بصفة فوق العادة . اذا دعت الحاجة المامة الى ذلك

١٢ – يكون من أغراض المؤتمر الاساسية توحيد الاصطلاحات اللغوية التي تقضي بها الاحوال العمرانية في هذا الزمان ، وتوحيد الخط العربي وترقيته بين الشعوب التي تكتب به لغاتها بحيث يكون وافيا بالحاجات التي طرأت على هذه الشعوب بعد تقريره على الحالة المعهودة للآن ؛ والسعي لوضع وحدة للمعاملات بين الامم الشرقية من حيث النقود والموازين والمقاييس والمكاييل ونحو ذلك من الامور التي تزيد في أسباب التفاهم بين الامم الشرقية مما تدعو اليه التجارة والتعامل وكل الاسباب الاقتصادية العامة .

١٣ – على كل شعبة أن تقدم الى المركز العام بالقاهرة تقريرا سنويا في خلاصة أعمالها . وهذه التقارير تعرض على المؤتمر العام عند انعقاده .

١٤ – ينعقد المؤتمر العام أول مرة بمدينة القاهرة في الموعد الذي يحدده مجلس ادارة الجمعية . وقبل ختامه ينتدب لجنة من أقطار مختلفة لتقرير محل الاجتماع التالي في عاصمة قطر آخر أو في مدينة من كبرى مدنه . وعلى هذا السنن يكون كل اجتماع دواليك .

١٥ – يكون لكل شعبة في كل قطر عقد مؤتمر محلي قبل المؤتمر العام بستة أشهر على الاقل . تبسط فيه ما يتعلق بشؤون أمتها الخاصة والمسائل التي يجب عرضها على المؤتمر العام القادم .

دبيب الدسائس البريطانية والمطامع الاستعمارية ، ولكن اجماع كلمة الامة المصرية على مقاومة المشروع البريطاني بكل شدة وعدم الخنوع لما فيه من تهديد الفطرسة والعظمة وشروعها في مقاطعة التجارة الانكليزية وكل ماهو انكليزي من الاشياء والاناسي واغتيال الموظفين والجندعندالامكان وتعذر تأليف وزارة تكون آلة للمستشارين ونائب الملك في استمرار الادارة السابقة — قد حمل نائب الملك (لورد اللنبي) على السفر الى عاصمة حكومته بأمرها ليطلعه على حقيقة الحال في هذا القطر وما يراه من وجوب الاعتراف باستقلال وترك ادارة البلاد لاهلها ، مع قيود تحفظ بها المصالح البريطانية فيها ، فذهب يصحبه اثنان من أعقل رجالهم في هذه الديار وهما مستشار الداخلية الجنرال جلبرت كليتون ومستر اموس مستشار الحقانية فمكثا أياماً قليلة في لندن أقنعا فيها الوزارة بوضع المشروع الآتي الذي جاء به . وهذا نص البلاغ الرسمي فيه :

الوثيقة الاولى

﴿ كتاب اللورد اللنبي الى عظمة السلطان ﴾

يا صاحب العظمة :

١ — أتشرف بان أعرض لمقام عظمتكم ان الناس قد ذهبوا في تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التي قدمتها الى عظمتكم في الثالث من شهر دسمبر مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياستها وهو ما آسف له أشد الاسف

٢ — ولقد يخال المرء مما نشر عن هذه المذكرة من التعليقات العديدة ان كثيراً من المصريين ألقي في روعهم أن بريطانيا العظمى توشك ان ترجع في نيتها القائمة على التسامح والعطف على الاماني المصرية وانها تنوي الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسي اداري لايتفق والحريات التي وعدتها

٣ — غير انه لاشيء أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة بل ان الاساس الذي بنيت عليه المذكرة التفسيرية هو ان الغاية من الضمانات التي تطلبها بريطانيا العظمى ليست ابقاء الحماية حقيقة أو حكما وقد نصت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة في أن ترى مصر متمتعة بما تتمتع به البلاد

الجمعية وانتخاب أعضاء مجلس الادارة. وبعد المناقشة أقرت أغلبية الحاضرين القانون وشرع في الانتخاب بطريقة الاقتراع السري، ثم أعلنت نتيجة الانتخاب في الجلسة وبلغت بعد ذلك للصحف وهي :

صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري رئيس وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت نائب رئيس وصاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا نائب رئيس وأصحاب السعادة والعزة أحمد زكي باشا كاتب السر العام وميرزا مهدي بك رفيع مشكي أمين التجار أمين الصندوق والسيد محمد الغنيمي التفتازاني مساعد عربي لكاتب السر العام ونور الدين بك مصطفى مساعد تركي لكاتب السر العام ومحمد رضا قزويني افندي ناصر التجار مساعد فارسي لكاتب السر العام وصالح جودت بك والاستاذ الدكتور محجوب ثابت وأحمد شفيق باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق والامير حبيب لطف الله وأميل زيدان افندي والشيخ عبد المحسن الكاظمي أعضاء .

العبر التاريخية في اطوار المسألة المصرية

٢

نشرنا تحت هذا العنوان في الجزء الاول نص البلاغ الرسمي الذي رفعه عدلي باشا رئيس الوفد الرسمي المصري الى السلطان بشأن مفاوضته مع الدولة البريطانية في عاصمتها وفيه ترجمة المذكرة التي وضعتها نظارة خارجيتها لمشروع الاتفاق بينها وبين مصر وترجمة رد الوفد المصري عليها وعدم قبوله إياها وانقطاع المفاوضات بذلك

ثم ترجمة البلاغ الذي أنهاه نائب ملك الانكليز الى سلطان مصر في شأن تفسير مشروع نظارة الخارجية البريطانية وتأييده، وقفينا عليه بتعليق وجيز في بيان سوء تأثير المشروع وبلاغ نائب الملك في الامة المصرية وتفقه إياها باجماع الكلمة على رده والاستمساك بالاستقلال التام للبلاد حتى أشد الناس مقاومة لسعد باشا وحزبه ورغبة في الاتفاق مع الانكليز

وقد كنا نريد أن نكتب مقالا مطولا في تفنيد الشبهات البريطانية وما فيها من العبر لنا في مصر والعراق وسورية وسائر بلاد العرب التي يدعي فيها

وأية دلالة على تغيير القاعدة السياسية التي سبق بيانها ، فان الحكومة البريطانية لم يعد غرضها أن تضع حداً لتهييج ضار قد يكون لتوجيهه الى اهواء العامة نتائج تذهب بثمرة الجهود القومية المصرية ، ولذلك كان الذي روعي بوجه خاص فيما اتخذ من التدابير مصلحة القضية المصرية التي تستفيد من ان البحث فيها يجري في جو قائم على الهدوء والمناقشة باخلاص

٨ — والآن وقد بدأت تعود السكينة الى ما كانت عليه بفضل الحكومة التي هي قوام الخلق المصري، والى تغلب في الساعات الحاسمة ، فانني سعيد أن أنهي الى عظمتكم ان حكومة جلالة الملك تنوي أن تشير على البرلمان باقرار التصريح الملحق بهذا واني على يقين بان هذا التصريح يوجد حالة تسود فيها الثقة المتبادلة ويضع الاساس لحل المسألة المصرية حلا نهائيا مرضيا

٩ — وليس ثمت ما يمنع الآن من اعادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسي والقنصلي لمصر

١٠ — اما انشاء برلمان يتمتع بحق الاشراف والرقابة على السياسة والادارة في حكومة مسئولة على الطريقة الدستورية فالامر فيه يرجع الى عظمتكم والي الشعب المصري

واذا أبطأ لاي سبب من الاسباب انفاذ قانون التضمينات (اقرار الاجراءات التي اتخذت باسم السلطة العسكرية) الساري على جميع ساكني مصر والذي أشير اليه في التصريح الملحق بهذا فانني أود أن أحيط عظمتكم علما بانني الى ان يتم الغاء الاعلان الصادر في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ سأكون على استعداد لايقاف تطبيق الاحكام العرفية في جميع الامور المتعلقة بحرية المصريين في التمتع بحقوقهم السياسية

١١ — فالكلمة الآن لمصر وانه ليرجي انها وقد عرفت مبلغ حسن استعداد الحكومة البريطانية ونيتها تسترشد في أمرها بالعقل والروية لا بعامل الاهواء

ولي مزيد الشرف أن أكون الخادم المطيع

(اللنبي فيلد مارشال)

القاهرة في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

المستقلة من ميزات أهلية ومن مركز دولي

٤ — وإذا كان المصريون قد رأوا في هذه الضمانات انها تجاوزت الحد الذي يلتئم مع حالة البلاد الحرة فقد غاب عنهم ان انجلترة انما ألجأها الى ذلك حرصها على سلامة نفسها تلقاء حالة تطلب منها أشد الحذر خصوصا فيما يتعلق بتوزيع القوات العسكرية . على ان الاحوال التي يمر بها العالم الآن ان تدوم ولا يلبث كذلك ان يزول الاضطراب السائد في مصر منذ الهدنة ، والامل وطيد في ان الاحوال العالمية صائرة الى التحسن ، هذا من جانب ومن جانب آخر[1] فكما قيل في المذكرة : سيجيء وقت تكون فيه حالة مصر مدعاة الى الثقة بما تقدمه هي من الضمانات المصرية لصيانة المصالح الاجنبية

٥ — اما ان تكون انجلترة راغبة في التدخل في ادارة مصر الداخلية فذلك ما قالت فيه الحكومة البريطانية ولا تزال تقول ان أصدق رغباتها وأخلصها هو ان تترك للمصريين ادارة شؤونهم . ولم يكن يخرج مشروع الاتفاق الذي عرضته بريطانيا العظمى عن هذا المعنى ، وإذا كان قد ورد فيه ذكر موظفين بريطانيين لوزارتي المالية والحقانية فان الحكومة البريطانية لم ترم بذلك الى استخدامهما للتدخل في شؤون مصر ، وكل ما قصدته هو أن تستبقي اداة اتصال تستدعيها حماية المصالح الاجنبية

٦ — هذا هو كل مرمى الضمانات البريطانية ولم تصدر هذه الضمانات قط عن رغبة في الحيلولة بين مصر وبين التمتع بحقوقها الكاملة في حكومة أهلية

٧ — فاذا كانت هذه هي نية انجلترة فلا يمكن لاحد ان ينكر ان انجلترة يعزّ عليها أن ترى المصريين يؤخرون بعملهم حلول الاجل الذي يبلغون فيه مطمحا ترغب فيه انجلترة كما تتوق اليه مصر ، أو ان ينكر انها تكره ان ترى نفسها مضطرة الى التدخل لرد الامن الى نصابه كلما أدركه اختلال يثير مخاوف الاجانب ويجعل مصالح الدول في خطر ، وانه ليكون مما يؤسف له ان يرى المصريون في التدابير الاستثنائية التي اتخذت أخيراً أي مساس بمطمحهم الاسمى

(١) قوله : هذا من جانب الخ تركيب غير صحيح في اللغة

﴿ تأليف الوزارة الجديدة ﴾

﴿ أمر كريم نمرة ١٣ لسنة ١٩٢٢ ﴾

(صادر لحضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا)

عزيزي عبد الخالق ثروت باشا :

ان القرار الذي أبلغنا إياه حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامي لدولة بريطانيا العظمى فيما يختص بانتهاء الحماية البريطانية على مصر و بالاعتراف بها دولة مستقلة ذات سيادة يحقق أعز أمنية لنا ولشعبنا العزيز وهو ثمرة الجهاد القومي الذي تعهدناه على الدوام بالتشجيع والتأييد . ولا ريب عندنا في ان استمساك الامة بروابط الوئام والاتحاد والتزامها جانب الحكمة في هذا الدور الجديد من حياتها السياسية كفيل بتحقيق كامل أمانيها

ونظراً لما نعرفه لكم من الجهد المشكور في خدمة القضية المصرية ولما لنا من الثقة التامة بكم وما نعهده فيكم من الجدارة الكاملة للقيام بمهام الامور — اقتضت ارادتنا السلطانية توجيه سند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرئاسة الجليلة لعهدتكم . وقد أصدرنا أمرنا هذا لدولتكم للاخذ في تأليف وزارة جديدة يكون من بينها وزير للخارجية وعرض مشروعه لجانبنا لصدور مرسومنا العالي به

ولما كان من أجل رغباتنا أن يكون للبلاد نظام دستوري يحقق التعاون بين الامة والحكومة لذلك يكون من أول ماتعنى به الوزارة اعداد مشروع ذلك النظام

وانا نسأل الله العلي القدير أن يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا ورعايانا بالخير والسعادة وهو المستعان   الامضاء

صدر بسراي عابدين في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ — أول مارس سنة ١٩٢٢   فؤاد

﴿ برنامج الوزارة ﴾

ياصاحب العظمة :

أتقدم الى سدة عظمتكم بفائق الشكر على ماتفضلت فأوليتني من الثقة السامية اذ عهدت الي بتأليف الوزارة الجديدة وجدت لي رتبة الرئاسة الجليلة

الوثيقة الثانية

(مرفوعة من لدن فخامة المندوب السامي الى عظمة سلطان مصر باسم تصريح لمصر)

« بما أن حكومة جلالة الملك عملا بنيتها التي جاهرت بها ترغب في الحال في الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة

وبما ان للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر أهميـة جوهرية للامبراطورية البريطانية ، فبموجب هذا تعلن المبادئ الآتية :

١ — انتهت الحمـاية البريطانيـة على مصر . وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة

٢ — حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات (اقرار الاجراءات التي اتخذت باسم السلطة العسكرية) نافذ الفعل على جميع ساكني مصر تلغى الاحكام العرفية التي أعلنت في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤

٣ — الى أن يحين الوقت الذي يتسنى فيه ابرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالامور الآتي بيانهـا وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقـين تحتفظ حكومة جـلالة الملك بصورة مطلقة بتولي هذه الامور وهي :

أ تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر
ب الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبي بالذات أو الواسطة
ج حماية المصالح الاجنبية في مصر وحماية الاقليات
د السودان

وحتى تبرم هـذه الاتفاقات تبقى الحال فيما يتعلق بهذه الامور على ما هي عليه الآن »

أما وقد جزنا هذا الدور بخير فلم يبق على مصر الا أن تثبت لبريطانيا العظمى أن ليس بها في سبيل حماية مصالحها من حاجة للتشدد في طلب ضمانات قد يكون فيها مساس باستقلالنا وان خير الضمانات في هذا الصدد وأجابها أثراًهي حسن نية مصر ومصلحتها في حفظ العهود

على ان الوزارة ترى انه لكي تكون جهود البلاد في سبيل تحقيق كامل أمانيها بحيث تؤتي جميع ثمرها يجب أن يؤلف بين عمل الحكومة و بين عمل هيئة تنوب عن الامة وان تسعى الهيئتان متساندتين لاغراض متحدة

ولذلك فان(١) الوزارة عملا بأوامر عظمتكم ستأخذ في الحال في اعداد مشروع دستور طبقا لمبادىء القانون العام الحديث وسيقرر هذا الدستور مبدأ المسؤولية الوزارية ويكون بذلك للهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسي المقبل

وغني عن البيان ان انفاذ هذا الدستور يقتضي إلغاء الاحكام العرفية وأنه على أي حال يجب أن تجري الانتخابات في أحوال عادية وفي ظل نظام تمتنع معه جميع التدابير الاستثنائية، وقد سلمت بهذا الوثيقتان اللتان أبلغتا أخيراً الى عظمتكم وستتخذ الوزارة بلا امهال ما يدعو اليه الامر في ذلك من التدابير كما انها ستبذل جهدها اعتماداً على حسن موقف الامة في الحصول على الرجوع فيما اتخذ من التدابير المقيدة للحرية عملا بالاحكام العرفية

هذا وان إعادة منصب وزير الخارجية سيعين على العمل لتحقيق التمثيل السياسي والقنصلي لمصر في الخارج

ونظراً لان النظام الاداري الحالي لا يتفق مع النظام السياسي الجديد ومع الانظمة الديمقراطية التي ستمنحها البلاد فان الوزارة قد اعتزمت أن تتولى الامر بنفسها وبلا شريك في الحكم الذي ستتحمل كل مسؤوليته امام الهيئة النيابية المصرية وسيكون رائدها في ادارة شؤون الامة توجيهها الى المصلحة القومية دون غيرها

والوزارة موقنة بأن أكبر عامل لنجاح مصر في تسوية المسائل التي بقي حلها

(١) هذا التعبير يكثر في الجرائد وكتب أهل هذا العصر وهو خطأ ومابعد الفاء لا يعمل فيما قبلها. وفاء السببية تقدم على لام التعليل اذا احتيج اليهما معا

واني لا تشرف بأن أعرض على عظمتكم أسماء الوزراء الذين تتألف منهم هيئة الوزارة وقد قبلوا مشاركتي في العمل وهم : —

اسماعيل صدقي باشا	لوزارة المالية
وابراهيم فتحي باشا	« الحربية والبحرية
وجعفر والي باشا	« الاوقاف
ومصطفى ماهر باشا	« المعارف العمومية
ومحمد شكري باشا	« الزراعة
ومصطفى فتحي باشا	« الحقانية
وحسين واصف باشا	« الاشغال العمومية
وواصف سميكه بك	« المواصلات

وقد احتفظت بوزارتي الداخلية والخارجية

فاذا وقع هذا الاختيار موقع الاستحسان لدى عظمتكم يصدر المرسوم العالي بالتصديق عليه

يا صاحب العظمة :

لم يكن لزملائي ولي ونحن نشاطر الامة أمانيها في الاستقلال الا أن نقر الوفد الرسمي الذي تولى المفاوضات لعقد اتفاق مع بريطانيا العظمى على مافعل . فلم يكن يسعنا أن نتولى اعباء الحكم مادامت المبادىء التي تسترشد الحكومة البريطانية في سياستها نحو مصر هي تلك التي كانت تظهر من مشروع ١٠ نوفمبر من العام الماضي ومن المذكرة التفسيرية التي تلته . فان تولي الحكم في ظل مثل هذه المبادىء قد يكون فيه معنى القبول بها

غير ان الكتاب الذي رفعه فخامة المندوب السامي البريطاني الى عظمتكم وتصريح الحكومة البريطانية في البرلمان قد أحدثا في الحالة تغييراً كبيراً . فأصبح من الممكن أن تتألف هذه الوزارة اذ أنها ترى أن الشعور القومي أصاب ترضية من هاتين الوثيقتين لا من ناحية الاعتراف باستقلال مصر حالا وقبل أي اتفاق فحسب بل ولان المفاوضات المقبلة ستكون حرة غير مقيدة بأي تعهد سابق

مغتنما فرصة فشل الانكليز في تأليف وزارة يتخذونها آلة لادارة البلاد كدأبهم منذ تمكنوا في أرض مصر وما زالت المساومة في ذلك دائرة بين القاهرة ولندن حتى انتهت بما ذكرنا في مقدمة هذه البلاغات الرسمية من سفر اللورد اللنبي الى لندن وعودته بهذا المشروع وعلم بذلك ان ثروت باشا ذو شجاعة أدبية يقل مثله فيها كما أنه ذو ذكاء وفطنة نافذة — وقد انبرى لهذا العمل وهو يعلم ان المعارضين يكيدون له ويستعدون لاغتياله وقد شرعوا في ذلك بالفعل فأنجاه الله من الموت واكتشفت الجمعية التي تواطأت على ذلك وحاولته وحكم على بعض أفرادها بعقاب شديد

هذا وان الامة قد قابلت هذا التصريح البريطاني بالغاء الحماية على مصر والاعتراف باستقلالها التام وتأليف الوزارة بفتور ونفور، وعدوه خداعاً بريطانياً وان لم يشترط على مصر أن تعترف لهم في مقابلته بحق من الحقوق، ذلك بأنه تم على أيدي أصدقاء الانكليز، وبأنهم أخرجوا سعد باشا وبعض بطانته وأنصاره من البلاد ووضعوهم في جزيرة صغيرة في أقصى البحار، وبأن الاحتلال العسكري باق والحكم العرفي باق، وبأن ماحفظوه لانفسهم من الحقوق مثار لاخطار كثيرة ولاسيما مسألة السودان . وسنذكر في جزء آخر ما فيه العبرة من الانباء والآراء في هذا الطور الجديد

الرحلة السورية الثانية

— ٩ —

جريت فيما كتبت من هذه الرحلة على طريقة بيان أحوال سورية الاجتماعية والادبية والسياسية في هذا الطور الجديد الذي دخلت فيه بعد الحرب لاعلى طريقة بيان تنقلي في البلاد بتواريخه وذكر المشاهدات وما يتبعها من الآراء تبعا له كما اعتاد المؤرخون. وقد كان كل ما كتبته من فصول الرحلة بيانا لما فيه الفائدة مما رأيت وخبرت وجرى لي في الساحل مدة إقامتي فيه متردداً بين بيروت وطرابلس وأخرت الكلام على دمشق وما يتبعها عمداً، .وكنت عازما على اطالة الكلام في شأنها. وقد بدا لي الآن أن أختصر لما كان من التراخي في كتابة الرحلة ونشرها ولانني ذكرت بعض ماحدث في الشام بعد ذلك في بعض المقالات التي قضت الحال ببيان بعض

وأقوى حجة تستعين بها في تأييد وجهة نظرها هو أن تقبل على هذا الدور الجديد متحدة الكلمة مؤتلفة القلوب وان تأخذ بدواعي النظام وتلتزم جانب الحكمة

والوزارة تحيي العصر الجديد الذي كان لعظمتكم أجل أثر في طلوعه على الامة بفضل مابذلته عظمتكم من المساعي الوطنية العالية وهي واثقة أن ستلقى من لدن عظمتكم كل تأييد في عمل الغد وانها لترجو أن يجيء مكملا لمجهود البلاد

واني لا أزال لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الامين ثروت

القاهرة في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ (أول مارس سنة ١٩٢٢)

(المرسوم السلطاني بتأليف الوزارة)

نحن سلطان مصر

بعد الاطلاع على الامر الكريم الصادر في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ و بعد الاطلاع على أمرنا الكريم الصادر في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ (أول مارس سنة ١٩٢٢)

و بناء على ماعرضه علينا رئيس مجلس الوزراء

رسمنا ماهو آت : المادة الاولى

عين عبد الخالق ثروت باشا وزيراً للداخلية والخارجية

اسماعيل صدقي باشا وزيرا للمالية ابراهيم فتحي باشا وزيرا للحربية والبحرية

جعفر باشا والي « للاوقاف مصطفى ماهر باشا « للمعارف العمومية

محمد شكري باشا « للزراعة مصطفى فتحي باشا « للحقانية

حسين واصف باشا « للاشغال العمومية واصف سميكه بك « للمواصلات

المادة الثانية — على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا

صدر بسراي عابدين في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ أول مارس سنة ١٣٤٠ (فؤاد)

بأمر الحضرة السلطانية رئيس مجلس الوزراء ثروت

(المنار) — هذا مانشرته الحكومة في الصحف وعلم مما نشر قبله أنه كان نتيجة لسعي جماعة رشدي باشا وعدلي باشا ولكن الذي تولى العمل وظهر به في هذه الكرة عبد الخالق ثروت باشا فهو الذي أخذ على عاتقه مواصلة المفاوضة مع اللورد اللنبي في أمر تأليف وزارة بالشروط التي يقترحها

فيه وهل يعقل أن تنقلب سياسة انكلترة بهذه السرعة فتسمح بسورية لفرنسة .
وقد ذكر في النبذة الثانية من جوابي لهم ان السياسة البريطانية لم تتغير في المسألة وليس لعاقل أن يظن انها تفضل العرب على فرنسة وانما عرض افرنسة أمل بأخذ سورية كلها بحجة إجماع السوريين على وحدة البلاد وعدم تقسيمها . وأما بقية الجواب الذي منعت المراقبة نشره يومئذ فهو ان انكلترة لما شعرت بهذا الطمع من فرنسة استعانت بالامير فيصل وحزبه على نبذ السواد الاعظم من أهل المناطق السورية الثلاث للانتداب الفرنسي والمساعدة الفرنسية وقد تم هذا وظهر باستفتاء اللجنة الاميركية لاهل البلاد . وغرض انكلترة من ذلك أن تعلم فرنسة أنها اذا شذت عن الاتفاق معها وحاولت أخذ فلسطين بحجة اتفاق الاهالي على طلب وحدة البلاد فانها هي قادرة على حرمانها من كل شيء برأي أهل البلاد الذي جعل له الاعتبار الاول في عهد عصبة الامم ! فلما رأت فرنسة ذلك قنعت بنصيبها في اتفاق سايكس بيكو حتى بعد تعديله بما هو في مصلحة الانكليز

مع هذا كان أهل المنطقة الشرقية عامة وأهل دمشق خاصة يظنون أن استقلال منطقتهم مضمون فان فاتهم إلحاق المنطقتين الأخريين بهم فان يفوتهم التمتع بالسلطان القومي في منطقتهم . وازداد شعورهم قوة بهذا بعد جلاء الجيش البريطاني وما تلاه من ترك المراقبة على الحكومة وان كانت لا تزال عسكرية تابعة للقائد العام للجيوش البريطانية

كانت مظاهر هذا الشعور بالاستقلال، تبعث في أنفس الشعب السرور وتقوي الآمال فقد صارت دواوين الحكومة ومصالحها عربية والتعليم في المدارس الرسمية كغيرها بالعربية ، وتلاميذ المدارس كانوا يتعلمون أناشيد الاستقلال، فيترنمون بها صباح مساء، وكانت البرقيات المبشرات والمسكنات ترد على الحكومة من الامير فيصل أو من مندوبه النائب عنه لدى الحلفاء وفي مؤتمراتهم (أحمد رستم بك حيدر) وكانت الاجتماعات والمظاهرات حرة تنفخ في هذه الاماني روحاً حياً، كل ذلك كان يبعث السرور في كل نفس لم تستشف شيئاً مما وراءه حتى ان سليم بك شاهين أحد أصحاب المقطم قال لي في بيروت إنني أقمت في دمشق يوما واحداً فبعث في روح حياة عربية

حقائق المسألة العربية فيها ، وكان مرضها اللائق بها الرحلة لولا الضرورة فأقول :

الحال العامة بدمشق في سنتي ١٣٣٧ و١٣٣٨

قد علم من النبذة الثانية من هذه الرحلة التي نشرت في المجلد الحادي والعشرين (ص٤٢٨ ..) ان وصولي الى دمشق كان (في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٧ — ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩) وانه اتفق ان أعلن عقبه كل من انكلترة وفرنسة انهما اتفقتا نهائيا على تنفيذ معاهدة (سايكس و بيكو) المعروفة باتفاق سنة ١٩١٦ وان انكلترة ستخرج جنودها من المنطقتين الشرقية والغربية من سورية وتترك الاولى للجيش العربي الحجازي والثانية للجيش الفرنسي — وان أهل سورية عامة كانوا يظنون قبل هذا الاعلان أن الدولتين الحليفتين عدلتا عن تنفيذ هذا الاتفاق لما رأوه من تنازع سياستيهما أثناء مجيء اللجنة الاميركية لاستفتاء أهل البلاد . وكنت بينت في تلك النبذة ان الناس أحفوني بالسؤال عن سبب هذا الانقلاب وذكرت فيها ملخص جوابي لاهل الرأي منهم ولكن المراقبة على المطبوعات بمصر في ذلك العهد منعت نشر ذلك كله وانما نشر منه بعض المقدمات فكان الكلام أبتر غير مفيد ولم أعلم بذلك الا عند مراجعته الآن وسألخص ماحذف منه في موضعه

لقد كان الغرور بخديعة الانكليز للسوريين وغيرهم من العرب في أثناء الحرب بأن استقلالهم سيكون مكفولا بانتصار الحلفاء في الحرب بما بينهم و بين ملك الحجاز من العهود والحلف، فلما جلا الترك عن سورية وكان أول من دخلها الامير فيصل بجنده المؤلف من السوريين والعراقيين والحجازيين اعتقدوا أن الاستقلال قد تم والسلطنة العربية قد تم أمرها ونصب عرشها ، ولم يكن نزع العلم العربي من بيروت وغيرها من السواحل — ولا خطب سايكس — و بيكو الخادعة ولا استيلاء السلطة العسكرية الفرنسية في الساحل على الادارة — بذاهب بذلك الوهم الخادع . وقد ألممنا بشيء من هذا المعنى في الفصلين السادس والسابع من الرحلة ومنه يعلم أن الريب دب دبيبه الى أهل الساحل ثم انتشر فيهم أولا بتأثير السلطة الفرنسية المحتلة

نعم ان الاذكياء في دمشق قد اضطربوا لاعلان الدولتين الاتفاق على تنفيذ اتفاق (سايكس و بيكو) وكانوا قد عرفوا حقيقته ولذلك كثر سؤالهم اياي عن رأيي

لم تخاطبني بذلك البتة وانه لم يصل الى منه الا الكتاب الذي أرسله في ضمن مكتوبات الحكومة لمندوبها التجاري بمصر الدكتور بشير القصار، وذكرته بما كتبته اليه في الجواب عنه وهو انني مستعد لمساعدة الحكومة العربية بكل ما استطيعه بشرط أن لا أتقيد بعمل رسمي. وذكرت مشربي وتربيتي الصوفية التي بسببها وطنت نفسي على أن لا أقبل وظيفة ولا عملا للحكومة ولا رتبة ولا وساما طول عمري... ثم قال له بعد محاورة طويلة: ضع لي مذكرة بالعمل لارى رأيي فيه

وفي يوم الخميس (٣٠ ذي الحجة) أخبرني أن المشروع الذي تضعه الحكومة لادارة الامور الشرعية يتم يوم السبت الآتي ويقدمه لي، وانه كان كلم فيه الامير فيصلا قبل سفره الى أوربة فوافق هو ونائبه الامير زيد على نوطه بي — فاعتذرت بمشربي الخاص وبالموانع العامة الاخرى وهي سوء حالة البلاد الداخلية والخارجية وعدم استقرار الحال السياسية. اذ البلاد لا تزال بحسب القانون الدولي تابعة للدولة العثمانية — والمستقبل مجهول — ثم بضعف الحكومة والامارة وبأن الاصلاح الصحيح يلقى معارضة قوية من أهل الاهواء الذين يرتزقون بهذه المصالح الشرعية فاذا لم يكن للمصلح ركن شديد من قوة الحكومة لا يستطيع عملا، فاعترف بذلك وقال إنه هو الحجة التي يستند اليها في وجوب وجود مثلي، وإنني سأكون حرا في عملي، وان الاصلاح الذي تبغيه البلاد مني لا يتم الا بالقيام به بنفسي لان الارشاد بالقول والكتابة لا ينفع الا اذا وجد رجالا أكفاء يقدرون على العمل به وهم غير موجودين (قال) يجب أن تستفيد بلادك من علمك الواسع واختبارك الدقيق مدة اقامتك بمصر بتطور البلاد المصرية وارتقاء الادارة والنظام فيها. وان ما نعلمه فيك من الغيرة وحب الاصلاح يحملنا على الاعتقاد بأن لا يخيب أمل وطنك فيك

وفي يوم السبت (٢ المحرم سنة ١٣٣٨) زارني الامير زيد في الفندق بعد العصر ودار الكلام بيننا في حالتنا العامة فذكرت له ملخص ما أعلم من اتفاق والده مع الانكليز وانه ينافي مصلحة العرب. ثم انتقلنا الى الكلام في سورية فكلمني الامير في شدة حاجة الحكومة الى مساعدتي لها فاعتذرت له بمثل ما اعتذرت لعلي رضا باشا فأجاب بمثل جوابه، ومما قاله ان الاخلاق في الشام ضعيفة جداً فان أكبر الرجال يرهبه أقل تخويف ويستميله أقل نفع، فاذا لم

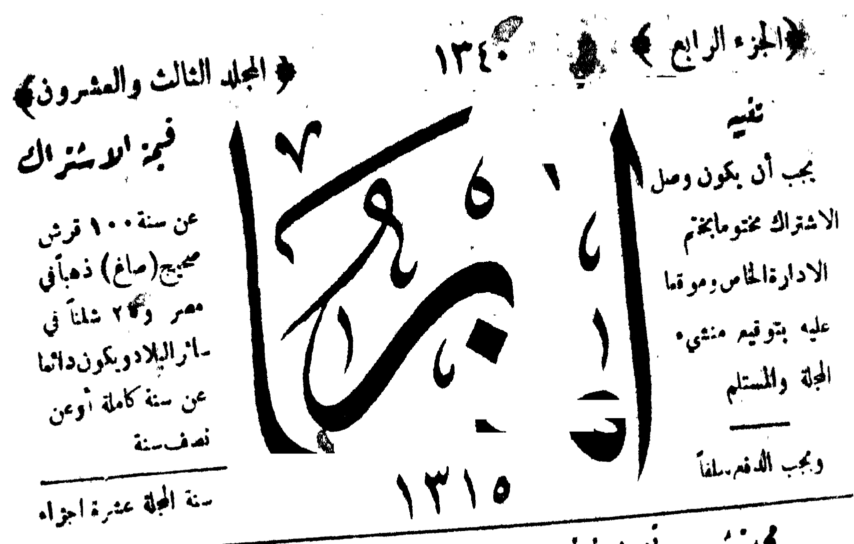
ووطنية جديدة ، ولا أرى هنا إلا أمارات الذل والموت التي تبعث الحزن والاسى

لقد كنت أعلم مالا يعلم أهل وطني من نية الحلفاء فيهم وتواطؤهم على بلادهم ومن بناء عهودهم على الدخل ووعودهم على الغش ، وأنهم اذا وفوا لملك الحجاز بماوعدوه به ولو على الوجه الذي طلبه منهم فيما يسميه « مقررات النهضة » لم تكن البلاد العربية ولا الحجاز منها الا مستعبدة تحت نير السلطة الاجنبية ، فلهذا لم أكن أشعر بشيء مما يشعر به الجمهور من السرور ، المنبعث عن الغرور وانما كنت أعتقد أن الامة لا يزال يمكنها أن تعمل لاستقلالها عملا تضطر الطامعين الى احترامه اذا وجد فيها عدد من الرجال الاكفاء وهذا ما كنت أبديه وأعيده للسائلين ولا سيما من هم مظنة العمل من الاخوان ، حتى بعد ان تم ماسعيت اليه معهم من اعلان الاستقلال ، فانني لم أكن أعده الا تقوية لحرية العمل باخراج الحكومة من مضيق العسكرية التابعة للقيادة البريطانية الى فضاء الحرية الوطنية ، لتكوين قوة من الجند المنظم ومن العشائر والقبائل التي يمكن تنظيمها لتوطيد الامن والنظام ، وإقامة الحجة المحترمة لدى الحلفاء على القدرة على الاستقلال ، وهذا ما كنت أبغيه وأسعى اليه ولم يوجد في رجال الحكومة من هو أهل للنهوض به ، ولذلك كان لساني صامتا في كل تلك الاحتفالات العظيمة التي أقامتها الحكومة وكذا الشعب فلم أخطب في شيء منها على ما كان من الالحاح علي في كل احتفال بطلب ذلك . واني اذكر مسألة صرحت فيها برأيي بعدم الثقة بحالة البلاد قبل اعلان الاستقلال ، وهي

دعوتي الى تولي المصالح الشرعية بدمشق

لم أكد أستريح في دمشق من لقاء وفود الزائرين حتى كاشفني الحاكم العسكري العام (علي رضا باشا الركابي) بما يرغبون أن ينيطوه بي من مساعدة الحكومة العربية وهو تولي اصلاح (دوائر الامور الشرعية) ففي يوم الاحد ٢٦ ذي الحجة (٢١ سبتمبر) وعدني بأن يزورني زيارة خاصة للمذاكرة والاستشارة في شؤون الحكومة ومايطلب من مساعدتي لها وفي اليوم التالي أعاد الكلام معي فيما يبغيه من تقليدي ادارة الامور الشرعية وهي الاوقاف والمحاكم الشرعية والتعليم الديني والمفتين ، وقال انه طلبني من الانكليز خمس مرات وكان يظن ان الامتناع مني . فأخبرته بأن الانكليزية

«الجزء الرابع» ١٣٤٠ «المجلد الثالث والعشرون»



تنبيه
يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم
ويجب الدفع سلفاً

قيمة الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهباً في مصر و٢٤ شلناً في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة أو عن نصف سنة
سنة المجلة عشرة اجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران
لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا
عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي «المنار بمصر»

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة
سنة ١٣٢٠ وهي

{ الناس في عماية عن النافع، وفي انكباب على الضار، فلا تعجب اذا }
{ لم يسرعوا بالاشتراك في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى }
{ تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر، }
{ ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا، والفقراء لا يستطيعون الى البذل }
{ سبيلا، ولكن ذلك لا يضعف الامل، في نجاح العمل }

ينهض مثلك ... بالاصلاح فمن؟ . . .

فقلت له ان حجتكم عليّ وان كانت عنـدي ضعيفة من حيث مبالغتكم في حسن الظن بي هي أقوى من حجتي عليكم بالتنصل من العمل ، وانني على علمي بضعفي لا أرتاب في قوة إخلاصي وحرصي على الاصلاح لذاته ، ولكن الاصلاح العام يعوزه الاعوان الا كفاء علماونزاهةو إخلاصاوهم قليلون متفرقون وسأفاوض من أثق به منهم قولا وكتابة ثم أبني على ذلك مايتجدد من الرأي، ولا أعد الآن بشيء .

وسألني هل أحضر الاسرة وانقل عملي من مصر الى الشام ؟ فقلت ان قبلت المكث الآن في الشام للمساعدة فلا يمكنني أن أنقل أسرتي لما يقتضيه نقلها من النفقة الكثيرة والخسارة التي لا يسمح بها لمكث موقت ومركزنا في مصر ثابت لا يمكن التفريط فيـه فلا بد من ابقائه على حاله حتى يستقر الامر في الشام على أساس ثابت . فأقرني على ذلك وجاءته وهو عندي برقية من أخيه الامير فيصل يؤكد فيها وجوب السكينة في البلاد — اذ علموا ان الاهالي في اضطراب من جراء الاتفاق بين الانكليز والفرنسيس

وفي هـذا اليوم أعطاني علي رضا باشا المذكرة التي وضعها لادارة الامور الشرعية وهي خاصة بالادارة والعاملين فيها — ادارة المدير العام — ومحكمة التمييز الشرعية — ولجنة التوجيه والانتخاب والامتحان والتدقيق والمعاهد والمدارس الدينية — وادارة الاوقاف العامة — وقلم الرسائل . و يلي ذلك الامور المالية لهذه الادارات

ومن هذه القضية يعلم رأيي في حالة البلاد وحكومتها في سورية على حين كان الوجهاء والمتعلمون يعتقدون ان لها دولة ثابتة يتهافتون على مناصبها ووظائفها . وقد كان التزاحم على ادارة الامور الشرعية بعد مجيء الامير فيصل و بعد اعلان الاستقلال أعظم ، والتزاحم أشد ، وكان كثير من العلماء يختلفون الي للبحث فيها وقد كتبوا لي زهاء أربعين اسما قالوا إنهم على رأي واحد في أن يكونوا أنصارا لي ، ولا يدعون في رياسة الامور العلمية لغيري ، فكان ذلك مما زادني فيها زهدا ، وعنها بعدا ، وذكرت لهم رأيي ومشربي كما ذكرته للملك فيصل بمناسبة ذكر هذه المسألة . وانتهى الامر فيها بعد الاستقلال وتأليف الوزارة الى إحداث وظيفة مدير للعلمية ، ليس له شأن في الاوقاف ولا المحاكم الشرعية . (للرحلة بقية)



— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق —

٢٩ شعبان ١٣٤٠ــ٦ الثور (ر٢) سنة ١٣٠٠هـ ش ٢٧ أبريل سنة ١٩٢٢

تفسير القرآن الحكيم

سورة الاعراف ٧

(وهي السورة السابعة في العدد ، وسادسة السبع الطول ، وآياتها ٢٠٥ آيات عند القراء البصريين والشاميين و ٢٠٦ عند المدنيين والكوفيين)

الاعراف مكية بالاجماع وقد أطلق القول في ذلك عن ابن عباس وابن الزبير، واستثنى قتادة آية (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) رواه عنه أبو الشيخ وابن حبان ، قال السيوطي في الاتقان : وقال غيره : من هنا الى (واذ أخذ ربك من بني آدم) مدني اهـ وكأن قائل هذا رأى ان هذه الآيات متصل بعضها ببعض بالمعنى فلا يصح أن يكون بعضها مكيا وبعضها مدنيا . وبهذا النظر نقول: ان ماقبل هذه الآيات ومابعدها ينتظم معها في سياق واحد وهو قصة بني اسرائيل — على ان الغاية وهي (واذ أخذ ربك) غير داخلة في المغيا بدء فهي سياق جديد عام — ومقتضى ذلك ان السورة كلها مكية وهو الصحيح المختار

مناسبتها لما قبلها

سورة الاعراف أطول من سورة الانعام فلو كان ترتيب السبع الطول

فهرس الجزء الرابع من المجلد الـ ٢٣

الوزن فقال عز من قائل (والوزن يومئذ الحق) ثم من ثقلت موازينه هو من زادت حسناته على سيئاته، ثم من خفت وهو على العكس ، ثم ذكر أصحاب الاعراف وهم في أحد الاقوال من استوت حسناتهم وسيئاتهم اه ونكتفي بهذا مع ما أشرنا اليه قبله هنا وان كان من السهل بسطه بأوضح من هذه العبارة والزيادة عليه، ونشرع في تفسير السورة مستعينين عليه بالهامه وتفهيمه عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم

المص (١) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ، قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)

﴿ المص ﴾ هذه حروف مركبة في الرسم بشكل كلمة ذات أربعة أحرف ولكنها تقرأ بأسماء هذه الاحرف ساكنة هكذا : ألف، لام ، ميم ، صاد ، والمختار عندنا ان حكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها بأسماء حروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام هي تنبيه السامع الى ماسيلقى اليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء ، فهي كأداة الافتتاح « ألا » وهاء التنبيه . وإنما خصت سور معينة[1] من الطول والمئين والمثاني والمفصل بهذا الضرب من الافتتاح لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها الى الاسلام واثبات الوحي والنبوة ، وكلها مكية الا الزهراوين البقرة وآل عمران، وكانت الدعوة فيهما موجهة الى أهل الكتاب — الا سورة مريم وسورتي العنكبوت والروم وسورة ن . وفي كل منها معنى مما في هذه السور يتعلق باثبات النبوة والكتاب ؛ فأما سورة مريم فقد فصلت فيها قصتها بعد قصة يحيي وزكريا المشابهة

١) وهي ٢٩ سورة بعدد حروف الهجاء العربية بعد الالف اللينة منها وهي نصف تلك الاحرف المستقلة اذا لم تعد منها لانها لا ينطق بها وحدها ومن الغريب انها جامعة لكل مخارج الحروف

مراعى فيه تقديم الاطول فالاطول مطلقا لقدمت الاعراف على الانعام على انه قد روي انها نزلت قبلها ، — والظاهر انها نزلت دفعة واحدة مثلها، — فلم يبق وجه لتقديم الانعام الا أنها أجمع لما تشترك السورتان فيه وهو أصول العقائد وكليات الدين التي أجملنا جل أصولها في خاتمة تفسيرها، وكون ما أطيل به في الاعراف كالشرح لما أوجز به فيها أو التفصيل بعد الاجمال، ولا سيما عموم بعثة النبي (ص) وقصص الرسل قبله وأحوال أقوامهم . وقد بينا بعض هذا التناسب بين السورتين مع ما قبلهما في فاتحة تفسير الاولى ، (ص ٢٨٨ ج ٧ تفسير) وسنزيده تفصيلا فيما نذكره في خاتمة الاعراف على نحو ما ذكرنا في خاتمة الانعام من الاصول الكلية فيها إن أحيانا الله تعالى (*

وذكر السيوطي في المناسبة بين السورتين مانقله الآلوسي عنه وهو أن سورة الانعام لما كانت لبيان الخلق وفيها (هو الذي خلقكم من طين) وقال سبحانه في بيان القرون (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) وأشير الى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم وكان ما ذكر على وجه الاجمال — جيء بهذه السورة بعدها مشتملة على شرحه وتفصيله فبسط فيها قصة آدم وفصلت قصص المرسلين وأممهم وكيفية هلاكهم أكمل تفصيل . ويصلح هذا ان يكون تفصيلا لقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) ولهذا صدّر السورة بخلق آدم الذي جعله خليفة في الارض ، وقال سبحانه في قصة عاد (جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) وفي قصة ثمود (جعلكم خلفاء من بعد عاد) وأيضاً فقد قال سبحانه فيما تقدم (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وهو كلام موجز وبسطه سبحانه هنا بقوله (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) الخ وأما وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الاولى فهو انه قد تقدم (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه* (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه) وافتتح هذه بالامر باتباع الكتاب . وأيضاً لما تقدم (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون * ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) قال جل شأنه في مفتتح هذه السورة (فلنسألن الذين أرسل اليهم) الخ . وذلك من شرح التنبئة المذكورة . وأيضاً لما قال سبحانه (من جاء بالحسنة) الآية وذلك لا يظهر الا في الميزان افتتح هذه بذكر

*) كان عنوان تلك الاصول في المنار أخص منها وقد صححناه بعد ذلك في التفسير وزدنا في تلك الاصول فلينتظر الى ان يتم طبع الجزء الثامن

بأن تبدأ بهذه الحروف المسترعية للاسماع المنبهة للاذهان، وكان هذا بعد انتشار الاسلام بعض الانتشار ، وتصدي رؤساء قريش لمنع الرسول (ص) من الدعوة وتلاوة القرآن على الناس ولاسيما في موسم الحاج ، وكان السفهاء يلغطون اذاقرأ ويصخبون، (وقالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)

وأما سورة (ن) ففاتحتها وخاتمتها في بيان تعظيم شأن الرسول صاحب الدعوة (ص) ودفع شبهة الجنون عنه ، وهي أول مانزل بعد سورة (اقرأ باسم ربك) وكانت شبهة رميه ـ حماه الله وكرّمه ـ بتهمة الجنون مما يتبادر الى الاذهان من غير عداوة ولامكابرة. فان رجلا أمياً فقيراً، وادعا سلما، ليس برئيس قوم ، ولاقائد جند ، ولا ذي تأثير في الشعب ،بخطابة ولا شعر ، يدعي ان جميع البشر على ضلال الكفر والفسق، وأنه مرسل من الله لهداية هؤلاء الخلق، وان دينه سيهدي العرب والعجم، وإصلاح شرعه سيعم جميع الامم، أفيستغرب من مدارك أولئك المشركين الاميين ، الجاهلين بسنن الله في الامم ، وآياته في تأييد المرسلين ، أن يكون أول مايصفون به صاحب هذه الدعوى قبل ظهور الآيات والعلوم بقولهم «انه لمجنون»(١) وبعد ظهور الآيات بقولهم « ساحر أو كاهن أو مجنون »(٢) وبعد ظهور العلم والعرفان بقولهم « معلم مجنون»؟(٣) (٥١:٥٢ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون (٥٣) أتواصوا به؟ بل هم قوم طاغون)

نعم قد قيل: إن (ن) هنا بمعنى الدواة ولذلك قرن بالقلم لبيان أن هذا الدين يقوم بالعلم والكتابة ، وقيل إنه بمعنى الحوت لان في السورة ذكرا لصاحب الحوت يونس عليه السلام ، ولو صح هذا أو ذاك لما كتبت النون مفردة ونطقت ساكنة ، بل كانت تذكر مركبة ومعربة، كقوله (وذا النون اذ ذهب مغاضبا) وإنما يصح أن يكون فيها إشارة الى ماذكر كما يصح في سائر تلك الحروف أن يكون فيها إشارات الى معاني معينة تظهر لبعض الناس دون بعض، أو غير معينة تذهب فيها الافهام مذاهب تفيد أصحابها علما أو خشوعا، بشرط أن تتفق مع هداية القرآن وإن لم يصح أن يقال: إنها مرادة لله تعالى بحسب دلالة الالفاظ العربية على معانيها

(١) هو ما حكاه عنهم في آخر سورة (ن) بعد الرد عليهم في أولها وفي أوائل سورة الحجر (٢) أشير اليه في سورة الطور (٣) حكاه عنهم في سورة حم الدخان

لها، ويتلوهما ذكر رسالة ابراهيم وموسى واسماعيل وادريس مبدوءاً كل منها بقوله تعالى (واذكر في الكتاب) والمراد بالكتاب القرآن، فكأنه قال في كل من قصة زكريا ويحيى وقصة مريم وعيسى « واذكر في الكتاب » وذكر هذه القصص في القرآن من دلائل كونه من عند الله تعالى لان النبي (ص) لم يكن يعلم هذا لا هو ولا قومه كما صرح به في سورة هود بعد تفصيل قصة نوح مع قومه بقوله (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر ان العاقبة للمتقين) وكما قال في آخر سورة يوسف بعد سرد قصته مع اخوته (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وختمت هذه السورة (أي سورة مريم) بابطال الشرك وإثبات التوحيد ونفي اتخاذ الله تعالى للولد وتقرير عقيدة البعث والجزاء؛ فهي بمعنى سائر السور التي كانت تتلى للدعوة ويقصد بها اثبات التوحيد والبعث ورسالة خاتم النبيين وصدق كتابه الحكيم

وأما سورة العنكبوت وسورة الروم فكل منهما قد افتتحت بعد (الم) بذكر أمر من أهم الامور المتعلقة بالدعوة؛ فالاول الفتنة في الدين، وهي ايذاء الاقوياء للضعفاء واضطهادهم لاجل ارجاعهم عن دينهم بالقوة القاهرة، كان مشركو قريش يظنون أنهم يطفئون نور الاسلام ويبطلون دعوته بفتنتهم للسابقين اليه وأكثرهم من الضعفاء الذين لا ناصر لهم من الاقوياء بحمية نسب ولا ولاء. وكان المضطهدون من المؤمنين يجهلون حكمة الله بظهور أعدائه عليهم، فبين الله في فاتحة هذه السورة ان الفتنة في الدين من سننه تعالى في نظام الاجتماع يمتاز بها الصادقون من الكاذبين، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، وتكون العاقبة للمتقين الصابرين. فكانت السورة جديرة بأن تفتتح بالحروف المنبهة لما بعدها. والامر الثاني الذي افتتحت به سورة الروم هو الانباء بأمر وقع في عهد النبي (ص)ـ ولما يكن وصل خبره الى قومهـ وبما سيعقبه مما هو في ضمير الغيب، ذلك ان دولة فارس غلبت دولة الروم في القتال الذي كان قد طال أمره بينهما فأخبر الله رسوله (ص) بذلك وبأن الامر سيدول وتغلب الروم الفرس في مدى بضع سنين، وبأن الله تعالى ينصر في ذلك اليوم المؤمنين على المشركين. وهذه معجزة من أظهر معجزات القرآن، والآيات المثبتة لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام، ولو فات من تلاها عليهم النبي (ص) كلمة من أولها لما فهموا مما بعدها شيئاً، فكانت جديرة

هذا واني بعد ان هديت الى هذه الحكمة لبدء سور مخصوصة بهذه

ألا أيها النوام ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

وكنت أحفظ أنه رفع صوته بالمصراع الاول وخفضه ورققه بالمصراع الثاني وعلله بأنه بانه أراد الايقاظ والتنبيه في الاول، وخاطب بالثاني مستيقظين يسألهم عن أمر يرق له القلب ويخشع له الصوت ، ولكني راجعت العقد الفريد فرأيته ينقل عنه أنه قال : ألا ترى النصف الاول كيف استأذن على القلب فلم يأذن له ، والنصف الثاني استأذن على القلب فأذن له .

وأنه قد ورد الامر في القرآن نفسه بترتيله وقراءته على مكث، والحث على الخشوع فيه والتأثر بقراءته، وفي المسند والسنن من حديث البراء بن عازب أن النبي (ص) قال «زينوا القرآن بأصواتكم» و في رواية «حسنوا القرآن بأصوانكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا» وكان أهل البصيرة في الدين الجامعين بين العلم والعمل والتخلق يراعون في التلاوة المعاني وما يؤثر في القلب

قال أبو حامد الغزالي في الادب الثامن من آداب التلاوة الباطنة وهو (التأثر) هو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ، ثم قال : فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط «أي كقوله تعالى (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدي)» يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت — وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح — وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته — وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض من صوته و ينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم — وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها — وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ، اه وقد ذكر في موضع آخر أن بعضهم قرأ قوله تعالى حكاية عن فرعون (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى) فخفض صوته كالمستحي من الله عز وجل

أقول والواجب في مثل ماذكر أن يكون خاليا من التكلف والصنعة التي يقصد بها التأثير في قلوب الناس لكسب اعجابهم كما يفعل المراؤون ، ولكن بعض المسلمين أتبعوا في هذا سنن من قبلهم من أهل الكتاب وغيرهم الذين جعلوا عباداتهم أغاني ومعازف مطربة أو مشجية لاستمالة الناس اليهم

وقد ورد في الحديث « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق فانه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية

ومن هذا القبيل الاخير جعل بعض مفسري السلف هذه الاحرف مقتطعة من أسماء الله تعالى ، أو من جمل من الكلام تشتمل عليها . أخرج اكثر رواة التفسير المأثور والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابن عباس في (المص) قال أنا الله أفصل، ورواه ابن جرير عن سعيد بن جبير، وروى هو وابن أبي حاتم عن السدي فيه قال: هو المصور . وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن محمد ابن كعب القرظي فيه قال : الالف من الله ، والميم من الرحمن ، والصاد من الصمد . وأبو الشيخ عن الضحاك فيه قال : أنا الله الصادق . وروى أبناء جرير والمنذر وأبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس في قوله (المص وطه وطسم وحمعسق وق ون) وأشباه هذا أنه قسم أقسم الله به وهي من أسماء الله تعالى

وأقرب من هذا الى الفهم أنها أسماء للسور ، والاسم المرتجل لا يعلل ، وهو ما اخترناه في تفسير ألم من سورتي البقرة وآل عمران، وهو لا ينافي ما بيناه من الحكمة آنفا وهي التي فتح علينا بها في درس التفسير الذي كنا نلقيه في مدرسة دار الدعوة والارشاد وقد فصلناه فيه أتم تفصيل ، اذ أثبتنا أن من حسن البيان وبلاغة التعبير ، التي غايتها إفهام المراد مع الاقناع والتأثير ، أن ينبه المتكلم المخاطب الى مهمات كلامه والمقاصد الاولى بها ، ويحرص على أن يحيط علمه بما يريده هو منها، ويجتهد في انزالها من نفسه في أفضل منازلها، ومن ذلك التنبيه لها قبل البدء بها، لكيلا يفوته شيء منها ، وقد جعلت العرب منه هاء التنبيه وأداة الاستفتاح، فاي غرابة في ان يزيد عليها القرآن ، الذي بلغ حد الاعجاز في البلاغة وحسن البيان، ويجب ان يكون فيها الامام المقتدى، كما انه هو الامام في الاصلاح والهدى؟ ومنه ما يقع في أثناء الخطاب من رفع الصوت ، وتكييفه بما تقتضيه الحال من صيحة التخويف والزجر ، أو غنة الاسترحام والعطف، أو رنة النعي واثارة الحزن، أو نغمة التشويق والشجو ، أو هيعة الاستصراخ عند الفزع ، أو صخب التهويش وقت الجدل ، ومنه الاستعانة بالاشارات ، وتصوير المعاني بالحركات (*)

(*) مما شرحناه في ذلك الدرس أن الشعراء والخطباء من العرب وأدباء المولدين كانوا يراعون في إلقاء الكلام وانشاد الشعر مناسبة الصوت للمعنى ومراعاة تأثير في النفس، حتى رووا عن عليان الممرور (الموسوس) أنه سئل أي بيت تقوله العرب أشعر قال البيت الذي لا يحجب عن القلب . قيل مثل ماذا ؟ قال مثل قول جميل :

واستماعهم لما يرد عليهم من القرآن فأنزل الله عليهم هذه الحروف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين: اسمعوا الى ما يجيء به محمد — عليه السلام — فاذا أصغوا هجم عليهم القرآن، فكان ذلك سبباً لاستماعهم، وطريقاً الى انتفاعهم . اه ثم سمى هذا حكمة في مواضع أخرى ، وهو كما قلنا ، ثم علمت ان للشيخ محيي الدين بن عربي تفسيرا مختصرا اقتصر فيه على هذا المعنى

وفي شرح الاحياء بعد ذكر القول بان هذه الحروف تنبيهات مانصه : قال الحوبي القول بانها تنبيهات جيد لان القرآن كلام عزيز وفوائده عزيزة فينبغي أن يرد على سمع منتبه فكان من الجائز أن يكون قد علم في بعض الاوقات كون النبي (ص) في عالم البشر مشغولا فأمر جبريل بان يقول عند نزوله : ألم، وحم ، ليسمع النبي (ص) صوت جبريل فيقبل عليه ويصغى اليه (قال) وانما لم تستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كألا وأما لانها من الالفاظ التي تعارفها الناس في كلامهم والقرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد ليكون أبلغ في قرع سمعه اه وقيل ان العرب اذا سمعوا القرآن لغوا فيه فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم له واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده فترق القلوب وتلين الافئدة اه

وأقول: إن جعل التنبيه للنبي (ص) مستبعد وقد كان يتنبه وتغلب الروحانية على طبعه الشريف بمجرد نزول الروح الامين عليه ودنوّه منه كما يعلم مما ورد في نزول الوحي من الاحاديث الصحيحة، ولا يظهر فيه وجه تخصيص بعض السور بالتنبيه. وانما كان التنبيه أولا وبالذات للمشركين في مكة، ثم لاهل الكتاب في المدينة كما تقدم قريبا اذ كان المؤمنون يتوجهون بكل قواهم الى ما يتلوه الرسول (ص) عليهم وكله عندهم سواء ، فهم مقصودون بهذا التنبيه بالدرجة الثانية

وقد ظهر لنا استقصيناه من التتبع انه لم يبين هذه الحكمة احد بمثل ما بيناها به ابتداء ولله الحمد ، ولو راى مثل هذا البيان ابن كثير، لما ضعف هذا الوجه اذ نقله موجزا مجملا عن ابن جرير، وقد رجح هو ما ذهب اليه كثير من العلماء من ان حكمة ذكر هذه الحروف بيان إعجاز القرآن بالاشارة الى انه مركب من هذه الحروف المفردة التي يتألف منها جميع الكلام العربي ، وقد اطنب في تقرير ذلك من مفسري علماء البلاغة الزمخشري ، وتلاه البيضاوي ، واختاره من علماء المنقول والمعقول ابن تيمية وتبعه تلميذه الحافظ المزي، فيراجع في محله.

الاحرف بحثت عن سلف لي في ذلك فراجعت التفسير الكبير للرازي لسعة اطلاعه وبسطه لكل ما اطلع عليه ولم أكن اقرأ مثل هذا منه فألفيته قد ذكر للناس قولين في هذه الاحرف (أحدهما) انها علم مستور وسر محجوب استأثر الله تعالى به وانه روي عن أبي بكر الصديق (رض) انه قال : في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور ، وعن علي كرم الله وجهه : ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي (ونقول قد نقل أهل الاثر عن الخلفاء الاربعة وابن مسعود أن هذه الحروف مما استأثر الله بعلمه.) ثم ذكر ان المتكلمين انكروا هذا القول واحتجوا عليه بالآيات، والاحاديث، والمعقول، وفصل ذلك (ثانيهما) ان معناها معلوم ونقل من أقوالهم فيها ٢١ قولا، الثاني عشر منها قول ابن روق وقطرب[1] ان الكفار لما قالوا (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وتواصوا بالاعراض عنه أراد الله تعالى لما أحب من صلاحهم ونفعهم أن يورد عليهم مالا يعرفونه ليكون سبباً لاسكاتهم

لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبه شأنهم» رواه الطبراني والبيهقي

قال السخاوي في كتابه جمال القراء : قد ابتدع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء . . . ومما ابتدعوه بشيء سموه الترعيد وهو أن يرعد صوته كأنه يرعد من برد أو ألم — وآخر سموه الترقيص وهو أن يروم الوقوف على الساكن ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو او هرولة — وآخر يسمونه التطريب وهو أن يترنم بالقرآن ويتنغم به فيمد في غير موضع المد ويزيد على المد مالا ينبغي — وآخر يسمى التحزين وهو أن يأتي على وجه حزين يكاد يبكي مع خشوع وخضوع . اه المراد منه .

وهذا الاخير اذا كان خشوعا وخضوعا خالصا لله فهو حسن ولكن القبيح اذا كان تكلفا يقصد به الرياء والسمعة . وقد قال الله تعالى في العلماء الذين يتلى عليهم القرآن (ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وكان النبي والصحابة وغيرهم من السلف يبكون لقراءة القرآن وسماعه وما زال المؤمنون الخاشعون كذلك . وفي حديث سعد بن مالك مرفوعا «ان هذا القرآن نزل بحزن وكآبة فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » رواه البيهقي في الشعب ، والمراد بالتباكي تكلف البكاء على سبيل تربية النفس وتعويدها، من باب «والحلم بالتحلم» لا تكلف المرائين

(١) ابن روق هو محمد بن الحسن بن عبدالله بن روق الراسي الروقي المحدث مات سنة ١٦٨ وقطرب لقب النحوي المشهور صاحب المعلقات وهو أبو علي محمد ابن المستنير مات سنة ٢٠٦ وقد أشار الى هذا ابن جرير ولم يعزه الى معين

وله وجه آخر باعتبار تبليغه إياه فانه (ص) كلف به هداية الثقلين، وإصلاح اهل الخافقين، ومن المتوقع المعلوم بالبداهة ان المتصدي لذلك لا بد ان يلقى اشد الايذاء والمقاومة، والطعن في كتاب الله، والاعراض عن آيات الله ، وهي أسباب لضيق الصدر ، كما قال تعالى في آخر سورة الحجر (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) وفي آخر سورة النحل بعدها (واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) ومثله في سورة النمل. وقال تعالى في اوائل سورة هود (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك ؟ انما انت نذير والله على كل شيء وكيل) والمراد من النهي عن أمر طبعي كهذا الاجتهاد في مقاومته والتسلي عنه بوعد الله والتأسي من سبق من رسله عليهم السلام

فهذان الوجهان الوجيهان ، من تفسير القرآن بالقرآن ، ينافيان ماروي من تفسير الحرج بالشك ، ويغنيان عما تمحله المفسرون في توجيهه بالتأويل الشبيه بالمحك ، وما اكثر كل ما روي في التفسير بصحيح حتى بالغ الامام أحمد فقال لا يصح فيه شيء، وما كل ماصح منه مقبول، الا اذا صح رفعه الى المعصوم، صلى الله عليه وآله وسلم . وأما قوله تعالى في سورة يونس (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فهو على سبيل فرض المحال ، المألوف في أمثال هذه المواضع والمحال، وشرط «إن» لا يقتضي الوقوع بحال من الاحوال ، ومثله في هذه السورة قوله تعالى بعد نهيه «ص» عن دعاء غير الله (فان فعلت فانك اذا من الظالمين) وقوله (قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) وفي ابن جرير وغيره انه «ص» قال في آية يونس «لا أشك ولا أسأل»

وقوله تعالى ﴿لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ تعليل لانزال الكتاب والجملة قبله معترضة بين العلة والمعلول لافادة ان الانذار به إنما يكون مطلقا أو على وجه الكمال مع انتفاء الحرج من الصدر، وانشراحه للنهوض باعباء هذا الامر، وقيل تعليل للنهي عن الحرج على أن اللام مصدرية كقوله (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أي فلا يكن في صدرك حرج منه لاجل الانذار به لئلا يكذبك الناس. والانذار التعليم المقترن بالتخويف من سوء عاقبة المخالفة ، وهو يتعدى الى مفعولين — المنذَر والعقاب الذي ينذره أي يخوف من وقوعه به ، ومنه

﴿ كتاب أنزل اليك ﴾ اذا قيل ان (المص) اسم للسورة فهو مبتدأ خبر كتاب ، والا فهذا خبر لمبتدأ محذوف تقديره ذلك كتاب ، كقوله : ألم، ذلك الكتاب : وتنكير كتاب للتعظيم والتفخيم ، والمراد به على القول الثاني جملة القرآن المشار الى بعضه المنزل بالفعل، وجملة «أنزل اليك » صفة له دالة على كمال تعظيم قدره وقدر من أنزل اليه ولذلك سميت الليلة التي كان بدء نزوله فيها بليلة القدر . وانما قيل «أنزل» ولم يقل أنزله الله أو أنزلناه إيجازاً مؤذنا بان المنزل مستغنى عن التعريف، وعن اسناده الى الضمير أو الاسم الصريح ، فان انزال هذا الكتاب البديع ،لا يمكن أن يكون الا من فوق ذلك العرش الرفيع ﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ حرج الصدر ضيقه وغمه، وهو من الحرجة التي هي مجتمع الشجر المشتبك الملتف الذي لا يجد السالك فيه سبيلا واضحاً ينفذ منه،أو الذي لا يقبل الزيادة كما قال الراغب، وقد فسر الحرج هنا بمعناه اللغوي وروي عن الضحاك وروي عن ابن عباس ومجاهد والسدي تفسيره بالشك، ووجهوه بان الشك ضرب من ضروب حرج الصدر وضيق القلب . وتقدم تفسير مثله في الانعام (الآية ١٢٤) وقال الراغب في هذه الجملة قيل هي نهي وقيل دعاء، وقيل حكم منه ، نحو (ألم نشرح لك صدرك) اه والنهي أو الدعاء عن أمر يتعلق بالمستقبل دليل على انه مظنة الوقوع في نفسه ، وبحسب سنن الله ونظام الاسباب في خلقه . والامر هنا كذلك، الا ان يحول دون وقوعه مانع كعناية الله وتأييده، فان هذا القرآن أمر عظيم بل هو أعظم شأن بين الله تعالى وبين عباده، وقد كان في أول ما نزل منه قوله عز وجل (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) ثم نزل في تفسيره (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله، وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وكان ينزل على النبي (ص) في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه الوحي وهو يتفصد عرقا ، وكان يكاد يهيم بشدة وقعه وعظم تأثيره حتى كاد يأتي بنفسه من شاهق الجبل ، وأي قلب يحتمل وصدر يتسع لكلام الله العظيم، ينزل به عليه الروح الامين ، اذا لم يتول سبحانه بفضله شرحه ، واعانته على حمله ، وهو ما امتن به على رسوله بقوله (الم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك) ؟ فهذا وجه مظنة وقوع الحرج بمعناه اللغوي الاصلي بالنسبة الى الرسول نفسه، وكونه تعالى صرفه عنه بشرحه لصدره . ويصح فيه ان يكون النهي تكوينيا

﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ هـذا بيان للانذار العام ، الذي أمر الرسول بتبليغه الى جميع الانام ، وهو على تقـدير القول الذي يكثر حذفه في مثل هـذا المقام ، لما يدل عليه من الاسلوب وسياق الـكلام ، أي قل يا أيها الناس اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم، الذي هو خالقكم ومربيكم ومدبر أموركم، فانه الذي له وحده الحق فى شرع الدين لـكم، وفرض العبادات عليكم، والتحليل لما ينفعكم، والتحريم لما يضركم ، لانه أعلم بمصالحكم منكم ، ﴿ ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ تتخذونهم من أنفسكم، ولا من الشياطين الذين يوسوسون لكم، بما يزين لكم ضلال تقاليدكم، فتولونهم أموركم، وتطيعونهم فيما يرومون منكم ، من وضع أحكام ، وحلال وحرام ، زاعمين أنه يجب عليكم تقليدهم لانهم أعلم منكم ، أو الاقتداء بما كان عليه آباؤكم، فانما على العالم بدين الله إبلاغه وبيانه للمتعلم لا بيان آرائه وظنونه فيه ، ولا أولياء تتخذونهم لاجل انجائكم من الجزاء على ذنوبكم ، وجلب النفع لـكم أو رفع الضرر عنكم، زاعمين أنهم بصلاحكم يقربونكم اليه زلفى ، أو يشفعون لـكم عنده في الآخرة أو الدنيا ، فان الله ربكم هو الولي أي الذي يتولى أمر العباد بالتدبير والتشريع والخلق والتقدير، فله وحده الخلق والامر ، وبيده النفع والضر ، ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ أي تذكرا قليلا تتذكرون ، أو زمنا قليلا تتذكرون ، ما يجب ان يعلم فلا يجهل ويحفظ فلا ينسى ، مما يجب للرب تعالى ويحظر ان يشرك معه غيره فيه . او قليلا ما تتعظون بما توعظون به ، فترجعون عن تقاليدكم واهوائكم الى ما قام البرهان على صحته . قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم « تذكرون » بحذف احدى التاءين على ان اصلها (تتذكرون) وتخفيف الذال وتشديد الـكاف ، وقرأها ابن عامر « يتذكرون » بالياء على ان الخطاب للنبي (ص) على طريق الالتفات . وقرأها الباقون بالتاء وتشديد الذال بادغام التاء الاخرى فيها .

قد حققنا معنى الولاية لغـة وأنواع استعمالها في القرآن مراراً أقربها في سورة الانعام كقوله تعالى (٦ : ١٢٨ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) [1] وبينا وجه الحصر في كون الله تعالى هو ولي المؤمنين في تفسير (٦ : ١٤ قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والارض) [2] وزدنا هذا بياناً في تفسير (٦ : ٥١

(١) راجع ص ١٠٠ - ١٠٥ من جزء التفسير الثامن (٢) راجع ٣٣٠ ج ٧

قوله (انا انذرناكم عذاباقريبا) وقوله (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) والمفعولان يذكران كلاهما تارة ويذكر احدهما تارة بعد اخرى بحسب المناسبات، وقد حذف كل منهما هنا لافادة العموم حسب القاعدة — أي لتنذر به جميع الناس اذ تبلغهم دين الله كل مايتلى عليك في الكتاب من عقابه تعالى لمن يعصى رسله في الدنيا والآخرة — فهو ايجاز بليغ يدل على عموم بعثته (ص) كقوله في سورة الانعام (٦:٩٣ ولتنذر أم القرى ومن حولها) وقد صرح بجعل الانذار عاما لامة البعثة كافة بقوله (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وكثيراً ما يوجه الى الكفار والظالمين لانهم هم الذين يعاقبون حتما ، وقد يخص به المؤمنون المتقون بأنهم هم المنتفعون به قطعاً ، كقوله تعالى (١٨ انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) وقوله (:١١ انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) وقوله (٦:٥ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) الآية

وأما الذكرى فهي مصدر لذكر الشيء بقلبه وبلسانه والاسم الذكر بالضم وبالكسر قال في المصباح: نص عليه جماعة منهم أبو عبيدة وابن قتيبة، وأنكر الفراء الكسر في القلب وقال: اجعلني على ذكر منك، بالضم — لاغير — ولهذا اقتصر جماعة عليه اه وقال الراغب: والذكرى كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر. اه ولعله أخذ هذا المعنى من كثرة استعمالها في القرآن بمعنى التذكر النافع والموعظة المؤثرة — ولا أذكر انها استعملت فيه بمعنى ذكر اللسان الا في قوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ فيما أنت من ذكراها) وبمعنى مطلق التذكر الا في قوله (فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) لانه في مقابل الانساء . وقد خصها هنا بالمؤمنين لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ كما قال في الذاريات (٥١:٥٥ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) ومثله في سورة العنكبوت (٥١:٥٩ وذكرى لقوم يؤمنون) وفي سورة الانبياء (:٨٤ وذكرى للعابدين) وفي سورة ص(٣٨:٤٣ وذكرى لاولي الالباب) وفي سورة ق (٥٠:٨ تبصرة وذكرى لكل قلب منيب)

والمراد بالمؤمنين هنا من كتب الله لهم الايمان سواء كانوا آمنوا عند نزول السورة أم لا. وتقدير الكلام مع ماقبله : أنزل اليك الكتاب لتنذر به قومك وسائر الناس وتذكر به أهل الايمان وتعظهم ذكرى نافعة مؤثرة لانهم هم المستعدون للاهتداء به ، او أنزل اليك للانذار العام والذكرى الخاصة ، او وهو ذكرى لمن آمنوا ولمن علم الله انهم يؤمنون

وأقضيتها التي تختلف المصالح فيها، باختلاف الزمان والمكان. والآية نص في بطلان القياس ونبذ الرأي في الامور الدينية المحضة . وقد فصلنا القول في ذلك وما يتعلق به من الاصول والفروع في تفسير (٤ : ٥٨ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم)الآية (١) وتفسير قوله تعالى (٥ : ١٠٤ ياايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم) الآية (٢)

ولا شك في أن اتباع الرسول « ص » فيما صح عنه من بيان الدين داخل في عموم ما أنزل الينا على لسانه ، وكذا اتباعه في أحكامه الاجتهادية فانه تعالى أمرنا باتباعه وبطاعته ، واخبرنا بانه مبلغ عنه وقال له (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) والجمهور على أن الاحكام الشرعية الواردة في السنة موحى بها وان الوحي ليس محصورا في القرآن ، والامام الشافعي يقول: انها مستنبطة من القرآن . وقد قال (ص) « إنما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » رواه مسلم من حديث رافع بن خديج في مسألة تأبير النخل ، وروى من حديث موسى بن طلحة عن ابيه أنه «ص» قال « ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فاني انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن ان حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فاني لن اكذب على الله عز وجل» واذا كان عليه أفضل الصلاة والسلام قد اذن لنا ان لا نأخذ بظنه في امور الدنيا وقال «أنتم أعلم بأمر دنياكم» كما في حديث عائشة وثابت ابن انس فما القول بظن غيره ؟

قال الرازي : هذه الآية تدل على ان تخصيص عموم القرآن بالقياس لا يجوز لان عموم القرآن منزل من عند الله تعالى والله تعالى أوجب متابعته فوجب العمل بعموم القرآن ، ولما وجب العمل به امتنع العمل بالقياس والا لزم التناقض . فان قالوا لما ورد الامر بالقياس في القرآن وهو قوله (فاعتبروا) كان العمل بالقياس عملا بما انزل الله . — قلنا هب أنه كذلك الا انا نقول: الآية الدالة على وجوب العمل بالقياس انما تدل على الحكم المثبت بالقياس لا ابتداء بل بواسطة ذلك القياس ، وأما عموم القرآن فانه يدل على ثبوت ذلك الحكم ابتداء لا بواسطة ، ولما وقع التعارض كان الذي دل عليه ما انزله الله ابتداء اولى بالرعاية من الحكم الذي دل عليه ما انزله الله بواسطة شيء آخر ، فكان

(١) راجع ص ١٨٠-٢٢٢ ج ٥ (٢) راجع ص ١٢٥-- ٢٠١ ج ٧

وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون) [١] وكذا تفسير (٦:٧٠ وذكر ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) [٢] كما بيناه في تفسير آيات أخرى مما قبل سورة الانعام ومن أوسعها وأعمها بياناً تفسير قوله تعالى (٢:٢٥٧ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) الآية [٣] وفيه تفصيل لولاية الله للمؤمنين وولاية المؤمنين بعضهم لبعض وولاية الطاغوت للكافرين. ونكتفي هنا بان نقول: ان الولاية التي هي عبارة عن تولي الامر - منها ما هو خاص برب العباد والههم الحق وهي قسمان — أحدهما — شرع الدين عقائده وعباداته وحلاله وحرامه — وثانيهما — الخلق والتدبير الذي هو فوق استطاعة الناس في أمور الاسباب العامة التي مكن الله منها جميع الناس في الدنيا كالهداية بالفعل وتسخير القلوب والنصر على الاعداء وغير ذلك — وكل ما يتعلق بأمر الآخرة من المغفرة والرحمة والثواب والعقاب. فكل ما ورد من حصر الولاية في الله تعالى فالمراد به تولي أمور العباد فيما لا يصل اليه كسبهم وشرع الدين لهم، كما فصلناه في تفسير آية البقرة وغيرها

والمتبادر هنا في النهي عن اتباع الاولياء من دونه تعالى هو النهي عن طاعة كل أحد من الخلق في أمر الدين غير ما انزله الله من وحيه كما فعل اهل الكتاب في طاعة أحبارهم ورهبانهم فيما أحلوا لهم وحرموا عليهم كما ورد في الحديث المرفوع في تفسير قوله تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وكل من أطاع احدا طاعة دينية في حكم شرعي لم ينزله ربه اليه فقد اتخذه رباً، والآية نص في عدم جواز طاعة أحد من العلماء ولا الامراء في اجتهاده في أمور العقائد والعبادات والحلال والحرام، وما على العلماء الا بيان ما انزله الله وتبليغه وارشاد الناس الى فهمه وما عسى ان يخفى عليهم من تطبيق العمل على النص وحكمة الدين في الاحكام ، كبيان معرفة سمت القبلة في البلاد المختلفة ، فهم يتبعون في ذلك من حيث انه بيان لما انزله الله بنصه والاعانة على فهمه . وانما يطاع أولو الامر من الامراء وأهل الحل والعقد في تنفيذ ما أنزله الله تعالى وفيما ناطه بهم من استنباط الاحكام في سياسة الامة

(١) راجع ص ٤٣٠ ج ٧ أيضاً (٢) راجع ص ٥٢٠ منهم أيضاً
(٣) راجع تفسيرها في ص ٤٠-٤٥ ج ٣

بالصواب ومعليا شأن الاسلام والمسلمين : ونص الاسئلة هو

(١) ما سبب التعارض الواقع في كتب المذاهب الاربعة عند الكلام على تعدد الجمعة من حيث جوازه ومنعه؟ فمثلا روي في كتب الشافعية ان مذهب الامام الذي نصّ عليه هو منع التعدد مطلقا ، وقول بجوازه بشرط الحاجة ، وقول بالجواز مطلقا . ولم أر الاخير الا في كتاب صغير اسمه مرقاة الصعود للشيخ (نووي) مع خلوّ الكتب الواسعة منه . وهي أقوال ظاهرة التناقض . وقد ورد في كتب المالكية ان للامام مالك قولا واحداً وهو المنع ، ثم اذا قرأت في كتبهم تجد ما يقتضي قولهم بجواز التعدد بشرط الحاجة ، ثم بالجواز المطلق . ومثل ذلك في كتب الحنبلية . وفي كتب الحنفية ان للامام ثلاثة أقوال ويذكرون القول بالمنع وروايتين في الجواز انما يفيدان الجواز بشرط الحاجة ، ثم يذكرون القول بالجواز المطلق ، وأن عليه الامام السرخسي الحنفي وأتباعه .... هل ذلك التضارب وقع من نفس أئمة المذاهب؟ وعليه فما تأويله ؟ أو وقع من المقلدين وعليه فما سببه؟ وفي أي عصر وقع . وما عين الصواب في المسألة وما وجهه وما دليله ؟

(٢) هل صلاة الظهر بعد الجمعة واجبة أو سنة أو بدعة ؟ واذا قلتم بالثاني أو بالاول فما دليله الصريح من الكتاب أو السنة ، وهل يقبل في العبادات ما يحتمل أن يكون دليلا ، وهل عمل السلف الصالح — أهل القرون الثلاثة الاولى المشهود لهم بالخيرية ، والمأمورون نحن باتباع سنة الرسول وسنتهم — بهذه الصلاة أو ثبت أن أحداً منهم أو من الائمة المجتهدين كان يصليها بعد صلاته الجمعة وهل صلاها الامام الشافعي ولو مرة ؟ واذا قلتم بالثالث فمن اخترعها ولاي سبب وفي أي عصر وهل يعمل بقوله ويحمل الناس خصوصا العوام على فعلها واعتقاد وجوبها أو سنيتها وهل اذا رد حنفي على شافعي بأن هذه الصلاة بدعة اخترعها بعض المتأخرين عند ما اعتورهم الشك في صحة الجمعة وأن في فعلها والقول بها افساداً لعقيدة العوام اذ هم يعتقدون فرضيتها وتعدد الفرض في اليوم ؟ وهل يصح من الشافعي أن يقول ان مذهبنا غير مذهبكم ولا يُردّ بمذهب على مذهب ، وهل لقوله هذا دليل من القواعد الاصولية المتفق عليها أو من الكتاب أو السنة ؟

الترجيح من جانبنا والله اعلم اه وقد نقلنا في بحث القياس أن الرازي قد رد في محصوله كون قوله تعالى (فاعتبروا ياأولي الابصار) دليلا على القياس الاصولي وهو مصيب في ذلك . ثم اورد استدلالا آخر بالآية لنفاة القياس واورد عليه مناقشة القياسيين فيه ، ونحن في غنى عن ذلك بتحقيق الحق في المسألة في تفسير آية المائدة التي اشرنا اليها آنفا

ثم ذكر ان الحشوية الذين ينكرون النظر العقلي والبراهين العقلية تمسكوا بهذه الآية . قال وهو بعيد لان العلم بكون القرآن حجة موقوفة على صحة التمسك بالدلائل العقلية فلو جعلنا القرآن طاعنا في صحة الدلائل العقلية لزم التناقض وهو باطل اه وكان ينبغي أن يرد عليهم بأن القرآن قد هدى الى الدلائل العقلية باستدلاله بالمعقول ومخاطبته لاولي الالباب وأصحاب العقول ، على أننا لا نعرف طائفة من الناس تنكر النظر العقلي والبراهين العقلية مطلقا ، وانما انكر بعض العقلاء واهل البصيرة على امثاله من المتكلمين جعل العقائد والصفات الالهية واخبار عالم الغيب محلا لنظريات فلسفية وموقوفا اثباتها على اصطلاحات جدلية ما انزل الله بها من سلطان ، ولم يستفد اصحابها منها غير تفريق الدين ، واختلاف المسلمين ، والبعد عن حق اليقين ، ويرى هؤلاء ان كون القرآن من عند الله تعالى قد ثبت ثبوتا عقليا من وجوه كثيرة فوجب اتباعه بتلقي العقائد والاحكام منه مع اجتناب التأويل بالنظريات الكلامية كما كان عليه السلف الصالح . وقد بينا هذا في مواضع اخرى

فتاوى المنار

(س ١٢ — ١٧) أسئلة من الاستاذ صاحب الامضاء في سمادون (المنوفية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه باحسان الى يوم الدين : من طالب الارشاد صاحب الامضاء الى حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا محرر المنار ، سلام عليكم (أما بعد) فأرجو الافادة التامة الموضحة بالادلة القطعية على الاسئلة الآتية لازلتم محط رحال السائلين وناطقا

(٩و١٠) هل في قوله تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها) نص صريح على حل أنواع التحية من نهارك سعيد وليلتك سعيدة وغير ذلك أو هناك حديث صحيح يبين المراد من الآية ويمنع غير (السلام عليكم) وعليه فما هو . وهل يرد السلام على من ابتدأ به من غير المسلمين — والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طالب الارشاد

محمد مقبول حلاوه

﴿ الجواب عن المسألتين المتعلقتين بتعدد الجمعة وصلاة الظهر معها ﴾

الخلاف بين المذاهب في هذه المسألة كغيره من الخلاف والتعارض في المسائل الاجتهادية، وأسبابه معروفة وقد ألف بعضهم فيها رسائل خاصة ، ولا نرى من حاجة الى ذكر جميع مسائل الخلاف في الجمعة ودلائل المختلفين أو تعليلاتهم وشبهاتهم وأشخاصهم لانها اضاعة للوقت فيما لا يتعلق به عمل ، وليس فيها أدلة قطعية اذ لاخلاف في القطعي وانما بنى الخلاف على أمر متفق عليه وهو أن عدم التعدد مطلوب شرعا اذا تيسر وانما المفيد هو الجواب عن المسألة الثانية وهي: هل صلاة الظهر بعد الجمعة واجبة أم سنة أم بدعة. والجواب عنها انها بدعة لانها مما حدث بعد الصدر الاول ، ولم يرد بها نص من كتاب ولا سنة ولا اجماع من الصحابة وهو الاجماع الذي يعتد به في المسائل الدينية دون سواه ، ولا هي مما يثبت بالقياس لانها من المسائل التعبدية الموقوفة على النص اذ لو جاز ان تثبت العبادات بظنون المجتهدين وأقيستهم لما صح ان يكون قد أكمل الله الدين على لسان رسوله ، ولكنّ اكمال الدين ثابت في محكم القرآن وبالاجماع — ولجاز أن تتجدد في الدين عبادات كثيرة يكون المتعبدون بها أكمل دينا من الرسول وأصحابه وذلك مما يعلم بطلانه بضرورة الدين ، ولكن القائل بوجوب صلاة الظهر أو سنيتها بالشرط الذي أداه اليه اجتهاده معذور في اجتهاده اذا لم يدع أحدا الى تقليده فيه ، ومثل هذا التقليد لم يدع اليه ولم يقل به أحد من الائمة المجتهدين ولم ينقل الينا ان أحداً من الصحابة أو علماء السلف المجتهدين صلى الظهر بعد الجمعة وقد جاء الشافعي بغداد وفيها عدة مساجد ولم ينقل انه كان يصلي الظهر بعد الجمعة ولو فعل لم يكن فعله شرعا يتبع

(٣و٤) هل المصلحة اليوم في العمل باعتبار الطلاق الثلاث بلفظ واحد واحداً كما هو طريقة رسول الله وأبي بكر وعمر في أول خلافته أو العمل باعتباره ثلاثا كما أمضاه عمر — للتخلص من المحلل والحيل التي يعملها فقهاء البلاد من اعتبار العقد الاول باطلا بالنسبة لمذهب الشافعي وتجديد العقد عليه أو من اعتبار مجرد العقد على غير الزوج كافيا في التحليل بدون ذوق عسيلته أو من اعتبار مجرد الخلوة بزوج صغير لم يبلغ الحلم و بيات المرأة عنده ليلة أو أكثر تحليلا . وما قيمة تلك الحيل من الصحة والفساد . وما جزاء فاعلها شرعا وقانونا ؟

(٥و٦) هل شرع الطلاق لغير حل عقدة النكاح عند اليأس من التوفيق بين الزوجين بعد التحكيم حتى أصبح الرجل في حل من أن يطلق امرأته بأقل سبب و بدونه من غير تحكيم ؟ وهل ينعقد اليمين بغير الله تعالى أو اسم من أسمائه أو صفة من صفات ذاته؟ حتى أصبح الطلاق، وأيمان المسلمين ، ورسول الله ، والنبي، وديني وذمتي وغير ذلك أيمانا مغلظة يحنث الحالف بها اذا لم يبر بالمحلوف عليه وهل كان ذلك معروفا عند أهل القرون الثلاثة الاولى . وما معنى حديث (من حلف بغير الله فقد عظمه ومن عظم غير الله فقد كفر) وما مقتضاه

(٧) ما معنى «لافضل لعربي على عجمي ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى» و « المسلمون متكافئون في الحقوق » وغير ذلك من أحاديث الرسول مع اعتبار الفقهاء الكفاءة في النكاح في الحسب والنسب والحرفة والثروة أمراً ضروريا يطلبه الدين مع ظهور التضاد اذ أحد الطرفين يقول بالمساواة وعدم الامتياز الا بالتقوى والطرف الآخر يقول بالتفريق بين بعض الناس و بعض في غير التقوى

(٨) وماهو المقياس الذي قيست به الحرف حتى حكم على بعضها بالخسة و بعضها بالشرف مع كونها لابد منها جميعا بل ربما كانت الحرفة التي نقول بخستها ألزم من حرفة نقول بشرفها . وما سبب الحديث القائل « كسب الحجام خبيث » مع كونه ينفر الناس من تعاطي صناعة الحجامة، وهذا ربما يستلزم ابطالها مع شدة الحاجة اليها ، مع أن في حديث آخر ما يقتضي تعاطيها وهو « لو كان في شيء مما يتداوى به الناس خير لكان في شرطة محجم » الخ

من أفتى بها فقد قلب الاسلام ظهرا لبطن، ونقض دين الله عروة عروة ، بل صرحوا بان الذي يقول بذلك أو يرضى به يكون كافراً خارجا من هذه الملة

وقد صح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس على منبر رسول الله (ص) وقال : لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما . وقد أقره سائر الصحابة على ذلك فلم يخالفه فيه أحد كما خالفه ابن عباس وغيره في امضاء الطلاق الثلاث باللفظ الواحد . والروايات عن الصحابة والتابعين وعلماء الامصار في بطلان هذه الحيل كثيرة . وقد استقصى المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) دلائل بطلان الحيل وما احتج به المجوزون لها مع الرد عليهم وابطال شبهاتهم .

وأظهر أسباب هذا الفساد في الامة التقليد الذي مقتضاه اتباع العلماء في كل آرائهم وظنونهم الاجتهادية — والاجتهاد كله ظنون و بعض الظن إثم — وليس أحد منهم معصوما في اجتهاده بل لكل عالم زلات . حتى ان اجماع المجتهدين بعد الصحابة لم يقم دليل قطعي على انه حجة فهو غير مجمع عليه وقد خالف جمهور أئمة الفقه كثيراً من علماء الصحابة والتابعين ، فقاعدة التقليد التي عليها المنتمون الى المذاهب — وهو انه يجب على كل منتم الى مذهب ان يعمل بكل ما اعتمده المؤلفون فيه — بدعة لم يقل بها إمام مجتهد قط بل حرّمها جميع الائمة أي أثبتوا تحريم الله لها ولكن المقلدين يخالفونهم في أصول مذاهبهم وهم لا يشعرون

هذا وان من الاحكام التي تدخل في عموم الحيل ما هو صحيح وهو ما لا يخل بمدلول نصوص الشرع ولا ينقض حكمته فيه ومراده من درء المفاسد وحفظ المصالح، وقد جعل ابن القيم الحيل قسمين محرمة وجائزة، فالاولى أن تكون الحيلة نفسها محرّمة والمقصود بها محرم، أو تكون مباحة ويقصد بها المحرم ، والثانية ان تكون الوسيلة مشروعة والمقصود بها مشروعا، وقد سرد أمثلة كثيرة لكل قسم منهما ولعلنا نعود الى تلخيص ذلك في مقالة أو مقالات فانه مما يحتاج اليه كل من يحب أن يكون على بصيرة من دينه

وما ذكره السائل من الحيل المألوفة في تحليل المطلقة كله باطل — فاما اعتبار العقد الاول باطلا على قول بعض الفقهاء الذين يشترطون في صحة العقد ما لا

وقد فصلنا القول في المسألة في المجلدين السابع والثامن فليراجعها الاستاذ السائل وان وجد بعد مراجعتها حاجة الى سؤال آخر مفيد في المسألة فله ذلك

﴿ الجواب عن مسألة الطلاق الثلاث باللفظ الواحد ﴾

لا يمتري أحد من المختبرين لحالة المسلمين في هذا العصر ولا سيما في مثل هذه البلاد في أن مفاسد امضاء وقوع الطلاق الثلاث باللفظ الواحد قد كثرت وأن عدم امضائه والعمل فيه بما كان على عهد النبي (ص) ومدة خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر هو أصلح مما جروا عليه في آخر خلافة عمر، وان ما كان يقصد اليه عمر من منع الناس به من طلاق البدعة ومخالفة السنة إن كان قد أفاد في عصره فامتنع الناس كلهم أوجلهم من ذلك الطلاق - فالامر في هذا الزمان على خلاف ذلك، اذ عمت البدع، وجهلت السنن، وكثر خراب البيوت وفسادها بكثرة الطلاق، وتحليل المطلقات، واستغلال المرتزقين بالفتوى والتحليل ووكالة الدعاوى والقضاء لجهل الناس بتحليل ما يعتقدون تحريمه بالحيل الباطلة

﴿ الجواب عن مسألة الحيل وتحليل المطلقات وأمثاله ﴾

وأما هذه الحيل التي يسمونها شرعية فلو كانت مشروعة في دين الله باطلاق لكان الشرع هادما لنفسه، وجميع الحقوق والحدود فيه أموراً صورية يمكن لكل أحد التفصي منها، والتمتع بالمفاسد التي وردت النصوص القطعية بحظرها. والاغراء بالفسق والفجور وأكل أموال الناس بالباطل وبالكفر أيضا — فان من هذه الحيل ان ترتد المرأة عن الاسلام ليفسخ نكاحها، وأن تمكن المرأة ابن زوجها من نفسها لينفسخ نكاحها وتحرم عليه أبداً — وان يسكر مريد الزنا ثم يزني ليسلم من الحد بناء على قول من يقول ان السكران لا يؤاخذ ان كان متعديا بسكره، وأن يهب المكلف بالزكاة أو الحج ماله الذي ثبت به ذلك عليه لامرأته أو ولده قبيل انتهاء حول الزكاة أو خروج ركب الحج ثم يسترده بعد ذلك — وأمثال هذه المفاسد كثير. ولما ظهرت في بلاد الاسلام، وعلم بها بعض الائمة الاعلام، قالوا: ان

هذه البلاد المصرية من الاسراف في الطلاق ، و بنائه على أوهى الاسباب ، فهو مما يبغضه الله ويكرهه شرعه وينبغي لحكام المسلمين اتخاذ الوسائل لتلافيه ، سدا لذرائع الفساد فيه

﴿ الجواب عن مسألة الحلف بغير الله ﴾

لا يجوز في الاسلام الحلف بغير الله وأسمائه وصفاته ، وقد نقل الحافظ ابن عبد البر الاجماع على ذلك ، وقال بعض العلماء ان عدم الجواز فيه يشمل التحريم والكراهة ، وقد فصلنا القول في هذه المسألة من قبل فراجعه في تفسير آية الايمان من أواخر سورة المائدة (ص ٣٣ — ٤٨ ج ٧ تفسير) وفي المنار

وأما الحديث الذي ذكره السائل فقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث ابن عمر بلفظ « من حلف بغير الله فقد كفر » وفي رواية أحمد فقد أشرك . ولا أذكر له رواية باللفظ الذي أورده . فان لم تكن الزيادة التي ذكرها مروية فهي تفسير . اذ المراد على وجه ان من يحلف بغير الله لانه يعظمه كما يعظم الله ويتدين بالحلف به ويلتزم البر تعظيما له كما كانوا يحلفون بالاصنام و بالكعبة فقد كفر ، وأوله بعض العلماء تأويلا آخر

﴿ الجواب عن مسألة التفاضل بالتقوى ومعارضته بكفاءة النكاح ﴾

لا شك في ان الاسلام قد أبطل ماجرى عليه كثير من الامم من تفضيل بعض الناس على بعض بأنسابهم أو حصر بعض المناصب الدينية أو المدنية فيهم ، أو بقوتهم وثروتهم ، وقرر ان الناس انما يتفاضلون بالعمل الصالح المعبر عنه بتقوى الله تعالى كما قال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) و بالايمان والعلم كما قال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ولا يتعارض هذا مع الكفاءة في الزواج لان مسألة الكفاءة من المسائل التي يراعي فيها عرف الناس طرق عيشتهم وعلائق التواد والتحاب بالمصاهرة بينهم ، فاذا حكم بأن الرجل الفقير ليس كفؤا للمرأة الغنية فليس معنى ذلك انها أفضل عند الله منه أو أحق

يشترطه غيرهم — كاشتراط الشافعي الولي العدل والشهود العدول — وجعل الطلاق غير واقع لانتهاء الزوجية فهو مفسدة ظاهرة ، فان الزوجين يلزمهما ما التزمامن العقدوما يترتب عليه بعد العمل بمقتضاه مع اعتقاد صحته وهو المعاشرة الزوجية واستحلال البضع ، حتى اذا فرض انهما كانا قد تعاقدا على مذهب قام الدليل عندهما على صحته ثم تغير اعتقادهما فان هذا التغيير لا يؤثر بعد انتهاء العمل ، فلا يجب على من كان يمسح بعض رأسه في الوضوء أن يعيد كل صلاة صلاها اذا صار يعتقد أن مسح جميع الرأس واجب ، بل يجب أن يعمل بهذا الاعتقاد بعد ظهور ترجيحه له ، والمسائل المدنية أولى بالنفاذ والمضيّ على الصحة بالتزامها والعمل بها لما يترتب على عدم الالتزام من المفاسد المتعلقة بالنسب والارث وغير ذلك ، وقد صرح بعض العلماء المحققين بان العمل ببعض المسائل المختلف فيها وحكم الحاكم بها يرفعان الخلاف حتى كأنه لم يكن ، ولا يتسع هذا الموضع للتطويل بالاستدلال ونقل الشواهد على ما ذكر

وأما التحليل بمجرد العقد أو الخلوة بزوج صغير لم يبلغ الحلم فهو مخالف لنصوص الكتاب والسنة المثبتة بان التي طلقت ثلاث مرات لا تحل للاول حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا عن رغبة وهو لا يتحقق الا بذوق العسيلة ، وقد أطال شيخا الاسلام ابن تيمية في كتاب ابطال التحليل وابن القيم في اعلام الموقعين في بيان ذلك ودفع شبهات المشتبهين وتأويلات المحتالين . ويستحق أولئك المحللون التعزير ولكن أين من يفعله ؟

﴿ الجواب عن مسألة الطلاق قبل التحكيم ﴾

انما شرع الطلاق مع عده مكروها شرعا ومبغضا من الله عز وجل لاجل حل عقدة الزوجية اذا تعذر أو تعسر على الزوجين إقامة حدود الله تعالى في الزوجية بأن يقع بينهما من التباغض والشقاق مالا يستطيعان عليه صبرا . وارادة الاصلاح والاستعانة عليها بتحكيم حكم من أهله وحكم من أهلها مما شرعه الله تعالى بنص كتابه ، ولكن ليس في هذا النص ولا في غيره دليل على توقف صحة الطلاق على تقديم التحكيم عليه واليأس من الاصلاح به ، وأما ماجرى عليه الناس في مثل

من السلف والخلف على ان كسب الحجّام حلال، وأجابوا عن حديث مسلم المذكور آنفا وما في معناه بأجوبة (منها) ان الحجامة مكروهة كراهة تنزيه لدناءتها في العرف وخص الكراهة بعضهم — ومنهم الامام احمد — بالاحرار دون العبيد (ومنها) ان النهي عن احترافها وكسبها منسوخ ورجحه الطحاوي الحنفي (ومنها) انها مما يجب من اعانة المرء لاخيه فيكره أخذ أجر عليها لانه ينافي المروءة قاله ابن الجوزي الحنبلي (ومنها) ان محل الجواز اذا كانت الاجرة على عمل معلوم ومحل الزجر اذا كان مجهولا قاله ابن العربي المالكي

﴿ الجواب عن مسائل التحية والسلام بدءا وردا ﴾

بينا في تفسير الآية ان لفظ التحية فيها على اطلاقه يصدق بكل ما يحيي الناس به بعضهم بعضا . وان ما ورد في التحية بلفظ السلام وكونه تحية الاسلام ليس في شيء منه مايدل على تقييد الاطلاق في الآية ولا سيما الرد وانما غايته أنه يستحب تفضيله على غيره من التحيات ولا سيما تحيات غيرنا اذ الاسلام يرفعنا عن دركة الامم التابعة الى درجة الائمة المتبوعين وان السلام على غير المسلمين بدءاً وردا مشروع أيضا وقد اختلف فيه الفقهاء اختلافا بينا تحقيق الحق فيه من قبل في فتوى نشرت في مجلد المنار الخامس وذكرناها في تفسير آية التحية المشار اليها آنفا . ومما أوردناه فيها دليلا لذلك حديث أبي أمامة عند الطبراني والبيهقي « ان الله تعالى جعل السلام تحية لامتنا وأمانا لاهل ذمتنا » ولكن سنده ضعيف، وحديث الصحيحين «وان تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» فراجع التفصيل في جزء التفسير الرابع أو في المجلد الرابع عشر من المنار (ص٤٩٥ — ٥٠٠)

﴿ منع الحج هل يجوز لاحد ﴾

(س ١٨) من صاحب الامضاء « المكي » بمصر

أيها السيد الرشيد

ما قولكم دام فضلكم في السؤال الآتي : هل يجوز لاي مسلم منع مسلم من أداء فريضة من فرائض الاسلام في أي مكان كان وفي أي ظرف كان ؟ أفيدونا بالجواب في مجلتكم المنار الاغر أنار الله بها المسلمين وهداهم وأثابكم بأحسن الاعمال خيرا عظيما

« المكي »

بالتكريم من الناس بل معناه أنه لا يستطيع أن يقوم بنفقتها بما تعودت من أساليب المعيشة في طعامها ولباسها، وان هذا قد يعود بالضرر والعار على أهلها، فكان لهم أن يعارضوا في تزوجها به يقال مثل ذلك في انتفاء الكفاءة بين الطبقات الدنيا من الصناع والعمال و بين بيوت الشرف والامارة، فان كان في هذا شيء منتقد فالذنب فيه على الرأي العام والعرف المحكم بينهم، وقد فصلنا القول في ذلك بمقال كتبناه بمناسبة تزوج الشيخ علي يوسف (رحمه الله) ببنت السيد عبد الخالق السادات وفسخ القاضي العقد بدعوى عدم الكفاءة. وقد نشرت تلك المقالة في الجزء العاشر من مجلد المنار السابع. ومما بيناه فيها ان المسألة اجتهادية، وليست من أصول الشريعة المنصوصة في الكتاب والسنة، وان العبرة فيها بالتعيير الذي يخشى أن يكون سببا للشقاق في الاسرة. فاذا رضيت المرأة وأولياؤها أن تتزوج بمن لا يعد كفؤا لها في العرف صح ذلك. فكيف تعد هذه المسألة الاجتهادية العرفية معارضة لاصل ثابت بنصوص الكتاب والسنة ؟

﴿الجواب عن مسألة الحرف الخسيسة والشريفة وكسب الحجَّام﴾

ان حاجة الناس الى جميع الحرف لم يمنع اتفاقهم في كل زمان ومكان على أن بعضها شريف و بعضها دنيء أو خسيس فلا يوجد أحد من البشر يسوّي بين ربان السفينة ووقاد النار فيها ، ولا يجعل الكناسة والكساحة ، بمنزلة الطبابة أو الصحافة، وان من حكم الله في خلق البشر متفاوتين في الاستعداد العقلي والنفسي أن يقوم كل فريق منهم بما يحتاج اليه المجموع من العلوم والاعمال، ولذلك اختلف العلماء في الجمع بين حديث « كسب الحجّام خبيث » وقرنه بمهر البغي وثمن الكلب وهو في صحيح مسلم والسنن الثلاث و بين مدحه (ص) للحجامة وحثه عليها و إعطائه الحجام أجرة حجمه له . ففي حديث أنس المتفق عليه انه (ص) احتجم حجمه أبو طيبة فأعطاه صاعين من طعام وكلم مواليه فخففوا عنه . وكذلك حديث ابن عباس المتفق عليه قال : احتجم النبي (ص) وأعطى الحجّام أجره — ولو كان سحتا لم يعطه. وفي لفظ للبخاري في البيوع : ولو كان حراما لم يعطه ، وفي لفظ له في الاجارة : ولو علم كراهية لم يعطه . وجمهور المسلمين

على

الاسلام والنصرانية

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

كتب الينا من بيروت ان مجلة المشرق الجزويتية قد صارت تصرح بالطعن في الاسلام إذ زالت الحكومة العثمانية التي كانت تمنعها من التصريح ، فتتوارى أحيانا وراء مايحتمل التأويل من تعريض وتلويح ، ورغبوا الينا في الرد عليها لان الدفاع عن الاسلام من أهم مقاصد المنار، ويرون أن السكوت عنها ربما يفضي الى التمادي الضار ، ولما كانت أعمالنا الكثيرة لاتترك انا وقتا لمطالعة هذه المجلة كلها للاطلاع على كل ماتنشره نطلب منهم أن يبينوا لنا ذلك الطعن بنقله أو تعيين مواضعه من أجزائها .

هذا وان دعاة البروتستانية في مصر وغيرها لايزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والتنفير عنه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها لتشابهها في الضعف والسخف والتكرار ، وهذا هو سبب سكوتنا عنهم في هذه الآونة مع رفع المراقبة عن الصحف لا إيذاؤهم لنا بما نجحوا به من منع المنار من دخول السودان ، الذي قام حجة على رياء الانكليز المتبجحين بدعوى حرية الاديان .

وقد صرحنا من قبل بأننا لانرى في هذه المطاعن ضررا على المسلمين في نفس دينهم ولا في استمالتهم الى النصرانية بل هي أشد ماينفرهم من النصرانية ويزيد العارفين بدينهم اعتصاما به ومحافظة عليه، وإنما نخشى منها احدى مفسدتين (الاولى) فساد عقيدة بعض المسلمين وصيرورتهم منافقين أو اباحيين (والثانية) أن تكون سببا للتعادي والتباغض الضارّ بين أبناء الوطن الواحد ، فلهذا نذكر إخواننا في سورية بأنه ينبغي لهم أن يوطنوا أنفسهم على حرية البحث والنقد، واحتمال أذى الطعن والرد، وأن لا يجعلوا المناظرات الكلامية ، مؤثرة في العلاقات الوطنية ، وأن يعلموا أن حرية البحث اذا كانت عامة فان الفلج والظفر فيها انما يكون لصاحب الحق ، ولا سيما اذا التزم الادب في القول والفعل ، وأن الاسلام هو دين الفطرة

(ج) قد علمنا من السائل أنه يريد بسؤاله منع ملك الحجاز حسين بن علي للترك واهل نجد من آداء فريضة الحج لما بينه و بين الفريقين من العداوة السياسية. والجواب عن هذا من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة وهو انه لايجوز لاحد منهم احد من إقامة دينه وأداء فرائضه ومن استحل ذلك فحكمه معلوم بالضرورة لاخلاف فيه بين المسلمين في كفره . ونحن لا نعتقد أن ملك الحجاز يستحل هذا العمل مطلقاً ، ولكنه يعذر نفسه ، بأن في دخول أعدائه الحجاز خطراً على ملكه، ويقال انه يأذن للنجديين في دخول الحجاز لاجل الحج عزلا وهم لا يأمنون على انفسهم من انتقامه اذ لم يكونوا مستعدين للدفاع عن انفسهم في بلاده ، ولم يبلغنا من غير السائل أنه يمنع افراد الترك من الحج . أولا يظن انه يخاف منهم ضررا اذ ليس في استطاعتهم أن يؤذوه الا بالكلام وازالة هذا الاذى في إبانه واخذه بربانه هنالك من أيسر الامور عليه لكثرة جواسيسه في البلاد على ان السياسة لاتقف عند حدود الدين ولذلك بينا في المنار ان الحجاز يجب ان يكون على الحياد لايحارب احداً ولا يحاربه احد ، ولا يصح ان يكون دار ملك يعادي ويعادى ويقاتل ويقاتل ، لان ذلك يفضي الى منع كثير من المسلمين من إقامة ركن من اهم اركان دينهم ، واذا لم يسع المسلمون الى تأمين حرم الله تعالى وتمكين كل مسلم من أداء فريضة الحج اذا أرادها يكونون آثمين كلهم . نعم ان الذي يجب عليه هذا قبل كل أحد هو إمام المسلمين وخليفتهم ، ولكن ليس لهم في هذا الزمن إمام مطاع ، والذي يعترف له أكثر المسلمين بالخلافة واقع تحت سيطرة بعض الدول غير المسلمة ، ولذلك أفتى بعض علماء الهند والقوقاس بسقوط فريضة الحج في هذه الايام ، معللين ذلك بخروج الحرمين من سلطة الاسلام، ووقوعها تحت سيطرة غير المسلمين ، وسنبين ما في فتواهم من الخطأ في جزء آخر. وقد أذاع بعض الاجانب الذين اتخذوا ملك الحجاز عدوا لهم أن بلاد الحجاز غير آمنة، وان حكومتها تصادر الحجاج ، والحق ان الحجاز في أمن تام وأن الملك حسينا يعنى بأمر الامن كل العناية ، وما تأخذه حكومة الحجاز من الرسوم لنفسها وما سمحت به من زيادة اجور الجمال التي تنقل الحجاج كل ذلك مما يسهل احتماله ، وهي لا تصادر فيما نعلم الا النقود الفضية العثمانية فمن كان لا يملك غيرها ويلحقه غبن ببيعها بأقل من ثمنها فربما يعد غير مستطيع للحج في هذه الحال

« فيا أيها الأخ الحكيم اذا صرفت نظرك برهة عن مرسح السياسة العالمية الذي أخذ بلبك ، وتوجهت اليه بكل قواك وحواسك ، وتأملت مليا فيما يدور ويجري في الخفاء بين الجماعات البشرية في الغرب — يظهر لك ان الشرق المغلوب المقهور الذي يئن تحت نير الظلم والاستبداد الغربي هو مع ذلك يهاجم في هذه الآونة العالم المسيحي من جميع الانحاء بجيوش جرارة تفوق جيوش صدر الاسلام قوة وفيالق آل عثمان عند مادوخوا أوربة بأسا ، ولكنها في هذه المرة ليست مسلحة بالسيف البتار ، بل بأسلحة معنوية ، مثل الفلسفة الهندية ، والمبادئ الصوفية ، والتعاليم البهائية ، والمذاهب التيوسوفية والانتروبوسوفية ، وغير ذلك من الافكار والمبادئ الروحانية ، التي تتسرب كل يوم بطريقة غير محسوسة الى أذهان الغرب وقلوب أبنائه من حيث لا يشعرون

« ولا بد أن يأتي يوم ـ إخاله قريبا ـ يفتح فيه الشرقُ الغربَ فتحا معنويا مبينا فيقوم أهله قومة صادقة يكسرون بأيديهم تماثيلهم و... ويهدمون كنائسهم و.. ليقيموا مكانها المعابد الحقيقية التي لا يعبد فيها الا الواحد القهار ، طبقا لشريعة سيد الانام ، محمد عليه الصلاة والسلام ، فطوبى لمن يعيش ويرى يوما يتعانق فيه الشرق والغرب ويصبح عباد الله إخوانا في التوحيد والاسلام »

وهذه ترجمة مااقتطفه الكاتب من جريدة الديلي تلغراف

علاقة المسيح بالله

كمبريدج لمراسلنا الخاص بتاريخ ١٣ ـ ٨ ـ ١٩٢١

ان درجة ابتعاد اللاهوتيين العصريين عن العقائد التقليدية الموروثة قد ظهرت اليوم ظهورا واضحا في مؤتمر رجال الكنيسة فقد تكلم ذو الاحترام الكلي (هاستنس راشدول) مطران كارليل في مسألة « المسيح كلمة الله وابنه » فقال ان الطلب يزداد على اللاهوتيين الاحرار[1] ليوضحوا بعبارات صريحة مايقصدونه

---

(١) المنار : يقابل هؤلاء الاحرار المقلدون الذين لا يعيرون الادلة التفاتا ، وقوله بعده بعبارات صريحة يشير الى ان بعض الاحرار لا يتجرءون على التصريح بما يثبت عندهم من بطلان تقاليد دينهم فيعبرون عنه بالكناية والتعريض المحتمل للتاويل

والعلم والعقل ، وان النصرانيـة الحاضرة مبنية على وجوب التقليد للكنيسة بلا معارضة ولا بحث ، وان من يتركون التقليد من أهلها ، و يناقشون الكنيسة في تعليمها ، و يطالبونها أو يطالبون أنفسهم بالدليل ، واستقلال العقل في فهم الدين، فانهم لامحالة ينتهون الى ماجاء به الاسلام ، سواء علموا أولم يعلموا تلك الحقائق التي قررها القرآن ، وهذا واقع في بعض البلاد الاوربية الآن ، كما يعلم ذلك من الشاهد الذي ننقله هنا عن جريدة (الديلي تلغراف) وسينتهي التمادي في أمثال هذه المباحث الى عقيدة التوحيد ، والرجوع عن التثليث وتأليه المسيح ، والاخذ فيه بما قرره القرآن ، وتعميم الاهتداء به في كل مكان، والنجاة به من مساوئ المادية ، ومفاسد الشيوعية ، و ينجز الله وعده الحق ، بقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ، وان المقـدمات والاسباب لذلك قد صارت كثيرة ، وان منها ماهي صحيحة وما هي غير صحيحة ، وسيمتاز الصريح بتكرار المخض ، فيذهب الزبد و يبقى المحض ، (فأما الزبد فيـذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

كتب رجـل مسلم بصـير مقيم في أوربة مراقب لتطورها الديني والادبي والاجتماعي كتابا الى صديق له قال فيه :

« أعرفك ان مسألة ألوهية المسيح أصبحت في بلاد الانكليز موضوعا لاهم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ولاسيما رجال الاكليروس الانجليكاني كما يتضح ذلك مما ينشر في هذه الايام الاخيرة على صفحات الجرائد الانكليزية واني أرسل اليك طيّ هذا نموذجا لهذه المناقشات اقتطفناه من جريدة الديلي تلغراف . واني على تمام اليقين من ان الانكليز والامريكان سيرجعون في القريب العاجل عن (عقيدتي) التثليث وألوهية المسيح كما رجعوا من قبل عن كثير من مثلهما من . . . . و . . . . [1] التي كان ينهى عن مثلهما الاسلام هم بهـا متمسكون .

(١) المنار : حذفنا من هذا الموضع ومن موضع آخر بعده كلمات لا نستحسن نشر مثلها في الصحف العامة اذ ليست كالكتب الخاصة .

لا المسيح البشري . ان ألوهية المسيح لاتتضمن بالضرورة الولادة من عذراء أو أي معجزة أخرى . فالولادة من عذراء اذا أمكن اثباتها تاريخيا لاتكون مظهرا لالوهية المسيح ولا يوقع عدم اثباتها ريبا في تلك العقيدة ، كما ان ألوهية المسيح لاتتضمن أن يحيط بكل شيء علما . ولم تبق حاجة للكلام في هذا الموضوع بعد ظهور الخطب التي ألقاها المطران (بخور) في (بامبتون) بالرغم من كون عقيدة تحديد علم المسيح لم ترسخ بعد في أذهان العامة .

ان النظريات الحديثة في اليوم الآخر قد زادت في ضرورة التسليم بأن ذلك التحديد يجب أن يكون أعظم مما ذكره المطران (غور) ومن على رأيه . وعلى فرض انهم جعلوا الاقوال الثابتة عن المسيح في اليوم الآخر أقل ما يمكن — وهذا ما كان المطران نفسه يميل الى فعله — فمن الصعب إنكار ان المسيح كان يتوقع حدوث أشياء في المستقبل لم يحققها التاريخ . فما حقيقة الرأي العصري اذن في العلاقة بين الله والانسان ؟ هو ان الانسان ليس خليقة لله يتسلى بها ، وان جميع العقول البشرية نسخة في شكل محدود عن العقل الالهي ، وان في جميع التفكرات البشرية الصحيحة نقلا عن الفكر الالهي ، وان في اسمى المقاصد التي يعترف بها الضمير البشري جلاء للمقصد السامي الخالد في الفكر الالهي — هذه هي الفروض التي يمكن ان يفسر بها وحدها معنى تلك العقيدة . واذا كنا نعتقد ان كل نفس بشرية تنقل عن الله وتجلوه وتجسده الى درجة معينة — واذا كنا نعتقد أن الله يتجلى لكبراء معلمي الآداب في البشر وزعماء الدين ومؤسسي الاديان ومصلحيها أكثر مما يتجلى لسواهم — فمن الممكن اذن أن نعتقد ان شخصا واحدا كالمسيح امتاز عن سواه في علاقته الشخصية بالله فكانت سامية فريدة رفيعة عن سواها . وان صفات المسيح وتعاليمه تحتوي خير ما يتجلى من صفات الله نفسه وارادته في البشر — هذا هو المعنى الحقيقي الذي نفهمه من ألوهية المسيح [1]

---

(١) المنار : ملخص هذه العقيدة بعبارة اسلامية صوفية ان هذه المخلوقات مظهر من مظاهر صفات الله تعالى كعلمه وحكمته وان خيار البشر كالانبياء والصديقين قد تجلى فيهم من آثار الكمال الالهي في البشر ما لم يتجل في غيرهم فظهر ذلك في صفاتهم

حقيقة عند مايستعملون العبارات التقليدية عن ألوهية المسيح . وبدأ الدكتور (راشدول) يبحث في السؤال من وجهته السلبية فقال: ان المسيح لم يدعّ الالوهية لنفسه. نعم انه ربما دعا نفسه أو تسامح على الارجح بأن يدعى «مسيّا»(١) أو ابن الله ولكن لم يرد في الاقوال الثابتة عنه شئ يدل على انه كان يرى علاقته بالله غير علاقة رجل بالله. وهي العلاقة التي كان يريد أن يستشعرها كل انسان . فيستخرج من هذا القول ان المسيح كان انسانا بكل معنى الكلمة ولم يكن انسانا بجسمه فقط بل كانت نفسه وعقله وارادته انسانية أيضا. ولم تكن تعترف الكنيسة بذلك دائما وان كان كثيرون من الآباء اليونانيين (كادانايوس واثناسيوس)(٢) قد تمثلوه كلمة الله مقيمة في جسم بشري ، وانكرت المجامع التي عقدت بعد ذلك هذا التعريف بزعامة أبوليناريوس ولا يمكن الغلو في ان يؤكد من نقطة النظر اللاهوتية بعد ذلك ان اثناسيوس كان من مذهب (ابوليناريوس) وأخشى أن يكون كثير من الناس الذين يظنون انهم مستقيمو الرأي ليسوا سوى أبوليناريين . وقد عرفت كثيرا من الكاثوليك المتنورين يجهلون ان الكنيسة تعلم ان للمسيح نفسا بشرية فكثير مما يسمى استقامة في الرأي « ليس سوى أبولينارية . وبعض المدافعين عن العقائد الكاثوليكية الواقفين عليها وقوفا يحول دون جعلهم أبوليناريين صريحين هم في الحقيقة تحت تأثير تلك المبادىء في شكلها الاخير المعدل الذي ينكر ان المسيح كان ذا ارادة بشرية

ثم قال: وليس من الاستقامة في الرأي البتة ان يفرض أن نفس المسيح البشرية كانت موجودة من قبل ، إذ لا أساس لعقيدة كهذه ، فمنذ قبلت الكنيسة مبدأ كون المسيح كلمة الله تعين ان الذي كان موجودا في ماسبق هو الكلمة الالهية

(١) مسيا بتشديد الياء المسيح وهو الملك الذي كان اليهود ولا يزالون ينتظرونه

(٢) اثناسيوس بطرك الاسكندرونة في القرن الرابع المسيحي كان اتهم بآراء آريوس الذي أنكر في القرن الثالث ألوهية المسيح . وأبو ليناريوس من أساقفة اللاذقية وقد تبع بعض آراء آديوس ولكن له فلسفة خاصة في المسيحية وقد حرم تعليمه في المجمع الاسكندري سنة ٣٦٢ والمجمع الروماني سنة ٣٧٣ وله أتباع ينسبون اليه .

رسالة

تطهير الاعتقاد ، عن أدران الالحاد

(تأليف) الامام المحدث الشهير محمد بن اسماعيل الامير اليمني الصنعاني

بسم الله الرحمن الرحيم وهو المستعان

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد . حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الافراد . من اتخاذ الانداد . فلا يتخذون له نداً . ولا يدعون معه أحداً : ولا يتكلون الا عليه . ولا يفزعون في كل حال الا اليه . ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى . ولا يتوصلون اليه بالشفعا . (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وأشهد أن لا إله إلا الله ربا معبودا . وأن محمداً عبده ورسوله الذي أمره أن يقول (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا الا ماشاء الله) — وكفى بالله شهيداً . صلى الله عليه وعلى آله والتابعين له في السلامة من العيوب . وتطهير القلوب عن اعتقاد كل شيء يشوب

﴿ وبعد ﴾ فهذا (تطهير الاعتقاد . عن ادران الالحاد) وجب عليّ تأليفه . وتعين عليّ ترصيفه . لما رأيته وعلمته من اتخاذ العباد الانداد . في الامصار والقرى وجميع البلاد . من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الاسلام . وهو الاعتقاد في القبور . وفي الاحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور . [1] لا يحضر المسلمين مسجداً . ولا يرى لله راكعا ولا ساجداً . ولا يعرف السنة ولا الكتاب . ولا يهاب البعث ولا الحساب . فوجب علي أن أنكر ماأوجب الله انكاره . ولا أكون من الذين يكتمون ماأوجب الله اظهاره . فاعلم أن ههنا أصولا هي من قواعد الدين . ومن أهم ماتجب معرفته على الموحدين

(١) المنار : هذه صفة كاشفة فان هؤلاء الادعياء كلهم أو جلهم كذلك لان التقي الصالح لا يدعي هذه الدعوى ولو ادعاها لخرج بها عن الصلاح فهي دعوى لا تقبل من أحد وان كان ما يسمونه المكاشفة يقع أحيانا وهو من فراسة المؤمن الثابتة في الحديث

شعور المسيح

وتلاه القس هـ . د . ا . ماجور رئيس ريبون هول (اكسفورد) وخص كلامه بنظرية «المسيح في البنوة الالهية» فقال ان من المشاكل العويصة في نقد الأنجيل معرفة ماهية رأي المسيح نفسه في بنوته لله . انه قد ذكر بصراحة تامة انه لا يعتبر مهمته سياسية ، وقد خدم الاستاذ (ليك) الانجيل خدمة حقيقية باظهاره ما في تعاليم المسيح من الصفات المعارضة للسياسة تجاه الدعوة السياسية التي كان بثها المتعصبون . كان المسيح يعتبر انه هو (مسيًّا) و يعتقد انه وكيل مملكة ولكن لم تكن له علاقة بالسياسة بالمعنى المفهوم من سياسة مملكة لانه كان معارضا لنظريتها الاقتصادية

ثم تناول الخطيب مسئلة ما اذا كان المسيح ادعى انه كان ذا شعور ومعرفة سابقين لوجوده كما هو مثبت في الانجيل الرابع فقال انه يرى انهم اليوم يستطيعون ان يصرحوا ان شعور المسيح كان شعوراً بشريًّا تامًّا — تاركا مسئلة الشعور السابق الوجود بدون حل — وانه ليس فيه من خوارق الطبيعة والمعجزات ما لا يمكن أن يعزى الى سواه من البشر . وأما كونه ابن الله فقد سوّغ لهم أن يدعوه «الهي» كما دعي في الانجيل الرابع ، فان القس ماجور يظن ان لغة المحبة والتعظيم تسمح بذلك ، ولكن مثل هذا التعبير لم يقرّه المسيح ولا يظن ان المسيح كان يهتم بما كان يلقب به . ولا شك في ان الذين لم يعرفوا المسيح بالاسم ولكن أظهروا للناس روح الخدمة والتضحية التى هي روح المسيح أقرب اليه من الذين لم يظهروا روحه في شؤون حياتهم اليومية وان كانوا متمسكين بأعظم الآراء غلوًّا في شخص المسيح اهـ ما جاء في رسالة الديلي تلغراف . ومن الظاهر البين منه أنهم يرجعون فيه الى التحقيق والاصلاح الذي يبينه الله لعباده على لسان روح الحق الذي بشر به المسيح وقال انه يعلمهم كل شيء . والحمد لله رب العالمين

وتعاليمهم وأعمالهم ، فلا غرو إذن أن يكون ما تجلى من ذلك في المسيح عليه الصلاة والسلام ، ممتازا عما كان قد تجلى فى سائر الصالحين من الناس .

من الارض ؟) استفهام تقرير لهم لانهم به مقرون ، وبهذا تعرف ان المشركين لم يتخذوا الاصنام والاوثان ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى لانهم أشركوهم في خلق السموات والارض بل اتخذوهم لانهم يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه فهم مقرون بالله في نفس كلمات كفرهم وأنهم شفعاء عند الله قال الله تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل لها ولا يغنون عنهم من الله شيئا

﴿ الاصل الرابع ﴾ ان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم مقرون ان الله خالقهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وانه الذي خلق السموات والارض (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وانه الرازق الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وانه الذي يدبر الامر من السماء الى الارض وانه الذي يملك السمع والابصار والافئدة (قل من يرزقكم من السماء والارض ؟ أمّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون — قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع وربّ العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه أقبح دعوى ونطقه بالكلمة الشنعاء يقول الله في حقه حاكيا عن موسى عليه السلام (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا ربّ السموات والارض بصائر) وقال إبليس (اني أخاف الله رب العالمين) وقال (رب بما أغويتني) وقال (رب أنظرني) وكل مشرك مقر بأن الله خالقه خالق السموات الارض وربهن ورب مافيهما ورازقهم ، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (أفمن يخلق كمن لا يخلق) و بقولهم (ان الذين تدعون من دون الله ان

﴿ الاصل الاول ﴾ انه قدعلم من ضرورة الدين ان كل مافي القرآن فهو حق لا باطل، وصدق لا كذب، وهدى لا ضلالة، وعلم لا جهالة، ويقين لا شك فيه. فهذا الاصل أصل لا يتم اسلام أحد ولا إيمانه إلا بالاقرار بهذا الاصل (١) وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه

﴿ الاصل الثاني ﴾ ان رسل الله وأنبياءه من أولهم الى آخرهم بعثوا لدعاء العباد الى توحيد الله بتوحيد العبادة، وكل رسول أول ماقرع به اسماع قومه قوله (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره — أن لاتعبدوا إلا الله — أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا الذي تضمنه قول لا إله إلا الله فانما دعت الرسل أممها الى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا لمجرد قولها باللسان، ومعناها هو إفراد الله بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه . وهذا الاصل لا مرية في ماتضمنه ولا شك فيه وانه لايتم إيمان أحد حتى يعلمه

﴿ الاصل الثالث ﴾ ان التوحيد قسمان القسم الاول توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ومعناها ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا بل هم مقرون به كما سيأتي في الاصل الرابع . والقسم الثاني توحيد العبادة ومعناها افراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ الشريك يشعر بالاقرار بالله تعالى. فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الاول ودعاء المشركين الى الثاني مثل قولهم في خطاب المشركين (أفي الله شك ؟ هل من خالق غير الله ؟) ونهيهم عن شرك العبادة ولذا قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله) أي قائلين لاممهم أن اعبدوا الله فافاد بقوله « في كل أمة » ان جميع الامم لم ترسل اليهم الرسل الا لطلب توحيد العبادة لا للتعريف بان الله هو الخالق للعالم وانه رب السموات والارض فانهم مقرون بهذا، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب الا بصيغة استفهام التقرير نحو (هل من خالق غير الله ؟ — أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ — أفي الله شك فاطر السموات والارض ؟ — أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض ؟ — أروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ — أروني ماذا خلقوا

(١) الظاهر هنا الاضمار وهو أن يقول الا به

قال تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) أي وأنتم تعلمون انه لاندله .
وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج : لبيك لاشريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك : وكان يسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم عند قولهم لاشريك لك ويقول : قد أفردوه جل جلاله لو تركوا قولهم الا شريكا هو لك . فنفس شركهم بالله تعالى اقرار به تعالى قال تعالى (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون * ادعوا شركاءكم من دون الله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) فنفس اتخاذ الشركاء اقرار بالله تعالى ولم يعبدوا الاصنام بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم الا لاعتقادهم انها تقربهم من الله زلفى وتشفع لهم لديه فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ماسواه وان هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الانداد باطل والتقرب اليهم باطل وان ذلك لايكون الا لله وحده وهذا هو توحيد العبادة وقد كانوا مقرين كما عرفت في الاصل الرابع بتوحيد الربوبية وهو ان الله هو الخالق وحده ، والرازق وحده ، ومن هذا نعرف ان التوحيد الذي دعتهم اليه الرسل من أولهم — وهو نوح عليه السلام — الى آخرهم — وهو محمد صلى الله عليه وسلم — هو توحيد العبادة ولذا تقول لهم الرسل (ألا تعبدوا الا الله — اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ، ومنهم من يعبد أحجاراً (١) ويهتف بها عند الشدائد ، فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية أي بربوبية السموات والارض ، وأن يفردوه بكلمة « لا إله إلا الله » معتقدين لمعناها عاملين بمقتضاها ، وأن لايدعوا مع الله أحداً . وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء) وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) أي من شرط الصدق بالله أن لايتوكلوا الا

(١) المنار : الاحجار لم تعبد لذاتها وانما كانت تماثيل لبعض الصالحين ومذكرات بهم أو منسوبة اليهم كأحد أعمدة الرخام في المسجد الحسيني بمصر يتمسح به للبركة والاستشفاء لانه منسوب الى السيد البدوي فهو يعرف بعمود السيد

يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) والمشركون مقرون بذلك لا ينكرون

﴿ الاصل الخامس ﴾ ان العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل ولم تستعمل إلا في الخضوع لله لانه مولي أعظم النعم وكان (١) حقيقا بأقصى غاية الخضوع كما في الكشاف . ثم ان رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل وهو قول لا إله الا الله والمراد اعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ، ومعناها افراد الله بالعبادة والالهية ، والنفي والبراءة من كل معبود دونه ، وقد علم الكفار هذا المعنى لانهم أهل اللسان العربي فقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا الشيء عجاب)

﴿ فصل ﴾ اذا عرفت هذه الاصول فاعلم ان الله تعالى له جعل العبادة له أنواعا (اعتقادية) وهي أساسها وذلك أن يعتقد انه الرب الواحد الاحد الذي له الخلق والامر ، وبيده النفع والضر ، وانه الذي لا شريك له ولا يشفع عنده أحد لا باذنه ، وانه لا معبود بحق غيره ، وغير ذلك مما يجب من لوازم الالهية (ومنها اللفظية) وهي النطق بكلمة التوحيد فمن اعتقد ماذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله وكان كابليس فانه يعتقد التوحيد بل ويقر به كما أسلفناه عنه إلا انه لم يمتثل أمر الله فكفر ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه الى الله وحكمه حكم المنافقين (و بدنية) كالقيام والركوع والسجود في الصلاة (ومنها) الصوم وأفعال الحج والطواف (ومالية) كاخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله تعالى به . وأنواع الواجبات والمندوبات في الاموال والابدان والافعال والاقوال كثيرة لكن هذه أماتها

واذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بعث الانبياء عليهم السلام من أولهم الى آخرهم يدعون العباد الى إفراد الله تعالى بالعبادة لا الى إثبات أنه خلقهم ونحوه (٢) اذهم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه ولذا قالوا (أجئتنا لنعبد الله وحده؟) أي لنفرده بالعبادة ونختص بها من دون الاوثان ، فلم ينكروا الا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله ولم ينكروا الله تعالى ولا انه لا يعبد بل أقروا بأنه يعبد وأنكروا

(١) المنار : الظاهر أن يقال فكان (٢) أي فقط فانه تحصيل حاصل

لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ولكنهم كما أشركوا في عبادته جعلهم مشركين ولم يعتد باقرارهم هذا لانه نافاه فعلهم فلم ينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية، فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة فاذا لم يفعل ذلك فالاقرار الاول باطل، وقد عرفوا وهم في طبقات النار وقالوا (تالله إن كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) مع انهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين لكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الاقرار بذرة من ذرات الاشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الاصنام، وبين رب الانام، قال الله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي مايقر أكثرهم في اقراره بالله وبأنه خالقه وخالق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الاوثان[1] بل سمى الله الرياء في الطاعات شركا مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها الا الله تعالى وانما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس فالمرائي عبد الله لا غيره لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس فلم تقبل له عبادة وسماها شركا كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا وأشرك فيه معي غيري تركته وشركه) بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركا كما قال تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) فانه أخرج الامام أحمد والترمذي من حديث سمرة أنه قال صلى الله عليه وسلم « لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد — طاف بها ابليس وقال : لا يعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره فأنزل الله الآيات وسمى هذه التسمية شركا وكان ابليس تسمى بالحارث » والقصة في الدر المنثور وغيره[2]

﴿ فصل ﴾ قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر

(١) المنار: أي بعبادة غيره تعالى معه اذ لا فرق بين الاوثان وغيرها في ذلك
(٢) الحديث معلول من وجوه كما بينه ابن كثير في تفسيره ولكن المعنى الذي قصده المؤلف صحيح

عليه وان يفردوه بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار، وأمر الله عباده أن يقولوا (اياك نعبد) ولا يصدق قائل هذا الا اذا أفرد العبادة لله تعالى والا كان كاذبا منهيا عن ان يقول هذه الكلمة اذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله (فاياي فاعبدون - وإياي فاتقون) كما عرف من علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر أي لاتعبدوا الا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا غيره (*) كما في الكشاف، فافراد الله تعالى بتوحيد العبادة لايتم الا بان يكون الدعاء كله له والنداء في الشدائد والرخاء لايكون الا لله وحده، والاستعانة بالله وحده واللجأ الى الله والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللا لله تعالى والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كله لايكون الا لله عز وجل، ومن فعل ذلك لمخلوق حي أو ميت أو جماد أو غيره فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الامور الها لعابديه سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجراً أو قبراً أو جنيا أو حيا أو ميتا وصار بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق وان أقر بالله وعبده، فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم قال[1] الله تعالى «أنا أغني الشركاء عن الشرك لايقبل الله عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره

﴿ فصل ﴾ إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الاقرار بالله مع اشراكهم في العبادة ولا يغني عنهم من الله شيئا وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون وانهم يقربونهم الى الله زلفى وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى فنحروا

(*) المنار: الحصر جامع بين الأثبات والنفي والمعنى اعبدوا الله ولاتعبدوا غيره واتقوه ولا تتقوا غيره فايراد صيغتي النفي إما تحريف من النساخ وهو الارجح وإما سبق قلم من المؤلف.

(١) قوله قال الله تعالى أى في الحديث القدسي ولفظه (قال رسول الله (ص) يقول الله تعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم كتبه محمد محمد فاضل

الكتاب والسنة ، وكل ذلك مأخوذ عن ابليس حيث سمي الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد

وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجه[1] عن اسم الصنم والوثن اذ هم معاملون لها[2] معاملة المشركين للاصنام ، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام ، ويستلمونهم استلامهم لاركان البيت ، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم على الله وعليك ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها ، وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلي وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون يازيلعي يا ابن العجيل ، وأهل مكة وأهل الطائف : يا ابن العباس وأهل مصر يا رفاعي — يابدوي — والسادة البكرية : وأهل الجبال يا أبا طير : وأهل اليمن يا ابن علوان . وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وهو[3] بعينه فعل المشركين في الاصنام كما قلنا في الابيات النجدية

أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من نحيرة ... أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا ... ويلتمس الاركان منهن بالايدي

فان قال انما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه فقل ان كان النحر لله فلأي شئ قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه ؟ هل أردت بذلك تعظيمه ؟ ان[4] قال نعم فقل له هذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله تعالى غيره ، وان لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين اليه ؟ أنت تعلم يقيناً انك ما أردت ذلك أصلا ولا أردت الا الاول ولا خرجت من بيتك الا لقصده ، ثم كذلك دعاؤهم له فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلاريب (لها بقية)

(١) وفي نسخة : وهذا لا يخرجه (٢) وفي نسخة : بها . هذا وان القرآن قد يخبر عن تلك المعبودات بالاولياء وينهى عن اتخاذ الاولياء من دونه (٣) وفي نسخة : وهذا بعينه (٣) بئس ذلك (٤) أم لا فان قال

أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل الى الرب تعالى — الا ماورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك[1] فانه قد أشرك مع الله غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الاوثان فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك مالا يطلب الا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لاي مطلب من المطالب فان هذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الاصنام. والنذور بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كان تفعله الجاهلية وانما يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما وفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبراً ومشهداً. والاسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني ضرورة لغوية وعقلية وشرعية، فان من شرب الخمر وسماها ماء ما شرب الا خمراً وعقابه عقاب شارب الخمر ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية: وقد ثبت في الاحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها وصدق صلى الله عليه وسلم فانه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذاً وأول من سمى مافيه غضب الله وعصيانه بالاسماء المحبوبة عند السامعين ابليس لعنه الله فانه قال لابي البشر آدم عليه السلام (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فسمى الشجرة التي نهى الله تعالى آدم عن قربانها شجرة الخلد جذبا لطبعه اليها، وهزًّا لنشاطه الى قربانها، وتدليا عليه بالاسم الذي اخترعه لها، كما يسمي اخوانه المقلدون الحشيشة بلقمة الراحة وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلما وعدوانا أدبا فيقولون أدب القتل: أدب السرقة: أدب التهمة، بتحريف اسم الظلم الى اسم الادب كما يحرفونه في بعض المقبوضات الى اسم النفاعة وفي بعضها الى اسم السياقة. وفي بعضها أدب المكاييل والموازين. وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان كما يعرفه من شم رائحة

---

(١) المراد حديث توسل الاعمى والرواية القوية ليس فيها ما يخل بالتوحيد كما بينه شيخ الاسلام في كتاب التوسل والوسيلة وهو كتاب لا يستغني عن قراءته أو سماعه مسلم في هذا العصر

وتمدها حياة جاهلية شيطانية ، اذ الاسلام لا يحسب الحياة الفردية حياة ، وإنما الحياة عنده « الحياة الاجتماعية »

ما « الجماعة » ؟ كتلة من الآحاد ، ترتبط بعضهم ببعض رابطة « الاتحاد » و « الائتلاف » ويكون فيهم « الامتزاج و « النظام »

هاتيكم الجماعة ولوازمها الاربعة : الاتحاد والائتلاف والامتزاج والنظام

أما « الاتحاد » فهو أن يكون الافراد متصلا بعضهم ببعض ، فلا عوامل التفرقة، تفرقهم ولا التشتت يبددهم ، بل يكونوا جميعا متقاربين ، وأن تكون أعمالهم كذلك متوافقة غير متخالفة ، وجهتها واحدة وغايتها واحدة

وأما « الائتلاف » فهو أخص من « الاتحاد » اذ الاتحاد مجرد الاتصال ، و « الائتلاف » هو الاجتماع والاتصال بتناسب صحيح وترتيب حسن ، فيقدم فيه ما حقه أن يقدم ، ويؤخر فيه ما حقه أن يؤخر ، ويوضع الفرد في الجماعة بالمكان الذي يؤهله له استمداده وقوته ، فلا يستخدم في الشرطة من هو أهل للسيادة والقيادة ، ولا يرفع — الى رياسة السياسة — من لا يصلح الا للشرطية

وأما « الامتزاج » فهو أخص منهما ، ويراعى فيه اتحاد الكيف أكثر من اتحاد الكم — أي ينظر في طبائع الافراد حيث استمدادهم الاجتماعي ، فيلحق كل واحد بالذي يكون أكثر موافقة لطبعه ليتحدا تمام الاتحاد ، اذ لو لم يراع ذلك لا يتأتى الاتحاد بين أفراد مختلفة الامزجة والطبائع ، كما لا يتحد الزيت والماء — وإن الله سبحانه كما خلق العناصر ليتكون باجتماعها المناسب مركب مخصوص، كذلك خلق الافراد ليكونوا باجتماعهم « جماعة » فالافراد « عناصر » والجماعة « مركب » وكما أن العناصر لا تكون « مركبا » الا اذا امتزجت امتزاجا تاما، كذلك الافراد لا تكون « جماعة » الا بهذا « الامتزاج » — فاذن يجب أن يتمازج الافراد بعضهم ببعض ويفنوا وجودهم في سبيل تكوين الجماعة بحيث يحسبهم من يراهم شيئا واحدا ، ولا يكون ذلك الا بعد الامتزاج التام

وأما « النظام » فهو ان يحل كل فرد في الجماعة محله، يدور في دائرته ويسعى بداخل حدوده ويعمل عمله الاجتماعي فيه

ولا تتحقق هذه الامور اذا لم تكن قوة مسيطرة على الاجتماع ، ومدبرة للجماعة ، فتوحد الآحاد المنتشرة ، وتؤلف بينهم وتمزج بعضهم ببعض

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا ابو الكلام
محيي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

٤

فصل

﴿ شرح حديث الحارث الاشعري ﴾

أما طاعة الخليفة في السنة ، فقد تضافرت الاحاديث الصحيحة في وجوبها واشتهرت اشتهارا عظيما حتى أنه لم يصل حكم بعد عقيدة التوحيد والرسالة الى هذه الشهرة والتواتر —

وها أنا ذا ذاكر ههنا أولا حديثا من مسند الامام أحمد وسنن الترمذي يوضح نظام الاسلام الاجتماعي توضيحا حسنا ، — فأقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا آمركم بخمس ، الله أمرني بهن : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله — فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا أن يراجع — ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جثى جهنم — قالوا يارسول الله ! وان صام وصلى ؟ قال وان صلى وصام وزعم أنه مسلم » أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم من حديث الحارث الاشعري على شرط الصحيحين ، قال ابن كثير هذا حديث حسن وله شواهد

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بخمس :

أولهن « الجماعة » أي يجب على الامة أن تجتمع على الامام وتعيش مرتبطة بمركزها الاجتماعي ، وسترى كثيرا من الاحاديث التي تحذر من الوحدة والفرقة

(٢) ثانيهن «السمع» وهو أن تستمع الامة أوامر الامام وتستهدي به، فكلمة «السمع» توضح أن مقام الامام في الامة مقام المعلم والمرشد — فعليها أن تتلقى أوامره بالقبول وتسترشد به في مهماتها —

(٣) ثالثهن «الطاعة» وهي أن يطاع الامام طاعة تامة، ويفوض اليه جميع القوى العاملة تفويضا كليا[1] ويعمل كل فرد من الامة بأمره بدون أدنى عذر ولا ضجر، ومعلوم أن الطاعة في المعروف لا في المنكر

(٤) رابعهن «الهجرة» وهي من «الهجر» ومعناه «الترك» ففي المفردات «الهجر والهجران مفارقة الانسان غيره، اما بالبدن أو باللسان أو بالقلب — والمهاجرة مصارمة الغير ومتاركته» (صفحة ٥٥٨) وأما في الشريعة فهي أن يترك رجل أو جماعة الملاذ الدنيوية والرغائب النفسية في سبيل الحق والسعادة[2] فمثلا اذا ترك أحد لغرض سام وقصد عال ماله وراحته وأهله وأقاربه وعشيرته وبيته ووطنه، يسمى عمله هذا في الشريعة «الهجرة الى الله والذهاب الى الله» وقد غلب استعمال «الهجرة» في ترك الوطن، لان تركه يستلزم ترك المال والاهل والاصدقاء وكل ما يحب ويؤلف في الوطن — ولذا اذا أطلقت يكون معناها ترك الوطن، واذا أضيفت الى شيء يفهم معناها حسب الاضافة، قال النبي صلعم «وإنما لكل امريء مانوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله، فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه (البخاري عن عمر. رض) فالهجرة أنواع وأقسام نجدها مبينة في الكتاب والسنة وليس هنا محل تفصيلها

(٥) خامسهن «الجهاد في سبيل الله» وهو من «الجهد» ومعناه «استفراغ الوسع في مدافعة العدو ظاهرا أو باطنا» (مفردات) فالجهاد هو السعي البليغ

---

(١) المنار: الحق ان الخليفة مقيد في الاسلام بمشاورة أهل الحل والعقد كما انه مقيد بالشرع، فتفويضه ليس مطلقا

(٢) الهجرة الشرعية هي ترك دار الكفر الى دار الاسلام وكذا كل مكان لا تستطيع فيه ان يقيم دينه بحرية وليس هو المعنى الشرعي الاصلي ويحتجون له بحديث «والمهاجر من هجر السوء» وهو وصف للمهاجر الكامل كحديث «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» فان لم يهجر السوء لا يكون صادقا في هجره وطنه لاجل الحق الذي يرضي الله تعالى كما يؤخذ من حديث النية

وتخرطهم في نظام الجماعة — فلا بد إذاً من «امام وخليفة» ولا مفر للافراد من طاعته والخضوع ، اذا كانوا يريدون ان يحيوا حياة اجتماعية طيبة — فمقام الامام أو الخليفة في الهيئة الاجتماعية مقام النقطة من الدائرة ، وعماله بمنزلة الدائرة نفسها ، فآحاد الامة يدورون حول هذه الدائرة ، وهي تدور حول تلك النقطة — وبهذه الصورة تتكون من اجتماع الافراد ، « الجماعة » ويصيرون كتلة واحدة وجسما واحدا حيا ، اذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد — وبهذا أمر المسلمون ومنعوا من الوحدة والفرقة وأوجب عليهم أن لا يعيشوا بدون إمام ، سواء كثروا أم قلوا ، حتى لو كانوا ثلاثة وجب عليهم أن يؤمروا أحدهم لقوله صلعم «اذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»

وقد جعل الله سبحانه صلاة الجماعة — التي هي عماد الدين ومثال كامل للعقائد والاعمال — نموذجا ليهتدي بها المسلمون الى تنظيم حياتهم الاجتماعية فانظر كيف يجتمع مئات وألوف أوطانهم متنائية ، وجهاتهم متباعدة ، وألوانهم متغايرة ، وألسنتهم متخالفة ، فبينما هم في هذه الحالة ، اذ تقرع سمعهم التكبيرة فيتحول الانتشار الى الاجتماع والتفرق الى الائتلاف ، فهم وقوف في صف واحد ، أجسامهم متلامسة ، أكتافهم متلاصقة ، أقدامهم متقاربة ، ووجوههم متوجهة الى جهة واحدة ، اذا كانوا قياما ، فكلهم قيام . كأنهم بنيان مرصوص، واذا كانوا قعودا فكلهم قعود ، باطنهم كظاهرهم متحد ومؤتلف ، قلوبهم بذكر واحد مشغولة ، وألسنتهم للفظ واحد مرددة . ثم انظر أمامهم فلا ترى هنالك الا رجلا واحدا يؤمهم ويقودهم ، متى شاء أقامهم ، ومتى شاء قعدهم ، كلهم طوع أمره وسامعون لكلمته ، لا يخالفونه ولا ينازعونه ، بل يتبعونه ويقتدون به ويطيعون له (١)

هذه هي « الجماعة » التي يطالب بها الاسلام ، ويأمر المسلمين أن يجعلوا هيئتهم الاجتماعية على أسلوبها لا كما يزدحم الهمج في الاسواق —

هذا وكل ما ذكرناه من أوصاف الجماعة وخصائصها مأخوذه من الكتاب والسنة ، وقد أغفلنا ذكر الشواهد عمداً لضيق المقام وعدم الحاجة اليها

(١) المنار : وظاهر ان هذا الاتباع يتقيد به الامام كالمأموم بنصوص الشرع فمشيئته فيه لاقامة المأمومين واقعادهم ليست مطلقة، فاذا خرج عن الشرع فارقوه وأدبوه، وكذلك الامام الاعظم وهو الخليفة وقد أشار الكاتب الى ذلك في الكلام على الطاعة

ويعملون بها بغير هذه الاسماء. والذي يرد هذه الحقائق نفسها يحرم من الحياة، ولا يرى في دنياه الا الخيبة والخسران

وها أنا ذا أسوقها اليك واحدة واحدة مع بيان وجيز لتفهم مامرحق الفهم، فانظر الى أولهن، وهي «الجماعة» التي علمت معناها وخصائصها، فقل أي شيء يتم بدون الجماعة والاجتماع ؟ دع ما قالت فيها الفلاسفة والحكماء فانه دقيق يخفى على كثير من الناس، وألق عليها نظرة عامة ترى أن الغرض من البيئات والاحزاب والجمعيات والمنتديات والمجالس والمحافل والبرلمان، بل من الامة والوطن والجيش «الجماعة، والتزام الجماعة» أيمكن لاحد أن يستغني عن الجماعة ؟ حتى ان أولئك الذين يعيشون في الغابات عراة متوحشين يضطرون الى الاجتماع اذا أهمهم أمر، أو وقع فيهم شقاق؟ يجتمعون للبحث في شؤونهم واصلاح ذات بينهم، ولو تحت شجرة على التراب — فتلك « الجماعة »

ولكن ماذا تغني الجماعة اذا لم يوجد من يرأسها ويرشدها؟ ولذا اذا اجتمع بضع رجال لامر جامع بينهم، تبادروا الى انتخاب الرئيس وقالوا اذا لم يرأس الجلسة أحد لا تكون قانونية ونظامية، وكذلك اذا أرادوا تنظيم جيش قسموه فرقا من ألف ومائة وعشرة، وجعلوا على كل منها رؤساء (اي تابعين لرئيس واحد وهو القائد العام) وقالوا بدون هذا لا يكون الجيش جيشا، ولا يستطيع أن يعمل عملا، فاذا كان قولهم هذا عن جماعة من عشرة او خمسة، فماذا يقال عن أمة مكونة من ألوف وملايين من الرجال والنساء أفلا تحتاج الى قائد يقودها ورئيس يرأسها؟ وهل تقدر على عمل اجتماعي بدون الامير؟ ثم أي فائدة من الامير اذا لم يطع ؟ خذ لك أقرب مثال اليك وهو بيتك الذي تسكنه مع زوجتك وولدك — فان عصت الزوجة أمرك وتنمر عليك أولادك. أفلا تغضب عليهم وتقول والناس معك هذا بيت لا يفلح أهله أبدا، لانه لا نظام فيه ولا راحة، بل هو مبتلى بحرب أهلية ! وهل هذا الذي تقول غير «الجماعة، والسمع والطاعة » ـ؟ فكما أن هذا البيت لا يفلح، كذلك لا تفلح الامة التي لا جماعة فيها ولا سمع ولا طاعة »ـ

وأما « الهجرة » فينفر منها كثير من الناس، لانهم يحسبونها من بقايا ذلك العهد الذي كان فيه الانسان في جهل ووحشية وهمجية ومصابا بالجنون الديني — فكان يهلك نفسه ويقتل عواطفه ويترك راحته لاجل الدين — ولكنهم ينسون أن ما يفرون منه، تدعو اليه البشر مدنيتهم أيضا، وانك

لدفع الاعداء والذود عن الامة ، ويكون باللسان والمال والنفس ، فكل ما يبذله الرجل في سبيل الله حسب الحاجة والضرورة فهو جهاد في سبيل الله كما قال النبي صلى الله عليه «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان عن أنس رضي الله عنه)

ولسنا في حاجة الى أن نثبت أن على هذه الخمسة تتوقف حياة الامم وقيامها وبقاؤها ، اذ كل من له ذرة من العقل يعلم حق العلم أنه لا تستطيع امة أن تفوز في معترك الحياة بدونها، أو تنجح في أعمالها صغيرة كانت أو كبيرة بغيرها، فسواء عليها أن تسعى لحصول خبز من البر ، أو تذهب لكشف القطب الشمالي، فهي على كل حال تحتاج الى هذه الاصول الخمسة، والتي تعرض عنها تخسر ثم تسقط حتما ، وان كل ما نراه الآن في هذه المعمورة العظيمة من الحضارة والرقي والصناعة ، نتيجة لهذه الخمسة: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد

ان النزاع والخلاف الذي ملأ الخافقين ، انما هو ناتج عن شيء واحد ، وهو تعدد الاسماء لمسمى واحد ، وكثرة المصطلحات لحقيقة واحدة ، فانك ان دققت النظر في جدال الناس ، ترى معظمهم متشاجرين في الاسماء والالفاظ والمصطلحات ، مع أنهم لو جردوا الحقيقة عن الظواهر لعلموا أنها واحدة ، وعند الجميع سواء ، لكنهم لسوء الحظ لا يفعلون ذلك فيتخبطون طول عمرهم في تيهاء الالفاظ والمصطلحات ويتناطحون عليها

وقد كثر مثل هذا النزاع في العلوم والمعارف ، والموفق من لا تخدعه الظواهر ، فلا يرى الحقيقة بمنظاره الخاص المصنوع من الالفاظ والمصطلحات، بل يراها مجردة كما هي — وهذا المقام مقام الرسوخ في العلم ويسميه الشيخ احمد ولي الله صاحب « حجة الله البالغة » « بعلم الجمع بين المختلفات » وعامة أصحاب السلوك والاشارات يسمونه « بمشهد الوحدة » ويقصدون به نفس هذا المقام الذي يصله السالك بعد زوال الحجب والاستار عن عينيه

فاذا بحثت بعد هذا ، تعلم أن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد - من تلك الحقائق العامة المسلمة التي لا ينكرها أحد من البشر - والامم بأجمعها سائرة عليها من أول خلقها ومتمسكة بها أشد التمسك - وانما النزاع فيها والانكار عليها جاء من تلك البلية التي ذكرناها آنفا ، أي التشبث بالاسماء والمصطلحات، فلاجل هذا أنكرها كثير من الناس لاسمائها الاسلامية ، ولكنهم يقبلونها

وتتصادم وتتناطح ويهلك بعضها بعضا لاجل المستعمرات — ولكن ما الاستعمار ؟ أليس الغرض منه ترك الوطن والهجرة من أرض الى أخرى، وتعميرها واستحصال الثروة منها ، وتكثير غنى الامة بها ؟ فما رأيك بعد هذا ؟ أليست الدنيا كلها متمسكة بنظام « الجماعة والسمع والطاعة والهجرة » نعم هي متمسكة بها الا أنها لا تسميها بأسمائها الاسلامية !

وأما « الجهاد » فما أكثر استفظاع بعض الناس له ، وما أشد انكارهم عليه! اذا سمعوه جعلوا أصابعهم في آذانهم واضطربوا منه اضطرابا شديدا ، وقالوا الاسلام يستحل الدماء البريئة، ويدعو البشر الى القساوة والبربرية، والمجزرة الانسانية ، فهو دين وحشية وهمجية — ولكن ما أشد استماعهم لقول داروين ورسل ووياس « ان من الحقائق الثابتة « ناموس تنازع البقاء » « وناموس انتخاب الطبيعة » « وناموس بقاء الاصلح » فاذا سمعوا هذه الكلمات اصغوا اليها هادئين ، ساكنين ، وآمنوا بها مصدقين ، موقنين ، ولم ينزعجوا من هذه النواميس القتالة والداعية الى سفك الدماء ، بل قالوا انها كلها حق ، ومؤيدة بالبراهين القوية، والمشاهد العينية ، لانا نرى الحياة كلها عراكا ومزاحمة ، الانسان وما دونه من الاحياء كله يزاحم معارضه في الحياة ويدافع غيره ويهلكه ويحل محله، وهذا طبيعي، ولا بقاء لحي بدونه! ثم اذا أخبرهم بأن النواميس التي يخضع لها سائر الموجودات يخضع لها الجنس البشري ، وأن الامة التي تثبت أنها أصلح للقيام بالحق والهداية ، تعيش وتحيا ، والامة الفاسدة وغير الصالحة تهلك وتفنى! وتحل محلها الاولى « ليظهره على الدين كله » لم يقبلوا هذا وتولوا عنه مدبرين ، ولو رجعوا الى رشدهم لضحكوا على أنفسهم اذ الذي يردونه باسم « الجهاد »[1] يقبلونه بأسماء أخرى ناقصة الدلالة على مسماها! والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل!

(1) المنار: أوجز الكاتب واختصر في بيان هذه المسألة وأسهب فيما عداها وأطنب. صواب القول في الجهاد الاسلامي أنه بذل الجهد في حفظ الحق ودفع الباطل، لتقرير المصالح وازالة المفاسد ، وأما الجهاد العام، غير المقيد بهداية الاسلام فهو بذل الجهد من كل حي لحفظ حياته ومنافعه شخصا كان أو جماعة بالحق أو بالباطل ، ولكن قصروا في بيان حقيقة الاسلام حتى لاهله ، وأعداؤهم جدوا وشمروا في تصويره بضد حقيقته فنفروا منه حتى الكثير من اللابسين للباسه

قد علمت معنى « الهجرة » وهو أن يؤثر الانسان المقاصد العليا على الدنيا، وأن اضطر في هذه السبيل الى هجران أهله وماله ووطنه وأمته وملاذه هجرها فرحا مطمئناً ، فقل أي نجاح يصادفه الانسان في العلم والعمل إن لم يكن صدره مملوءاً بهذه العاطفة العالية ؟ وما هذا التقدم المدني والعلمي ، وما هذه الاختراعات العجيبة والاكتشافات المدهشة ، والاموال الكثيرة ، والتجارة الواسعة ، والمستعمرات العظيمة ، ووسائل المعيشة المتنوعة ، ورقي البلاد ، وعلو الامم ، وسعة المدنية ؟ أليست نتائج « الهجرة » وثمراتها ؟ وذلك لان الانسان — أفراده وجماعاته — لو لم يؤثر المقاصد العالية والعزائم الكبيرة على راحته وأهله ووطنه ولم يهجر كل شيء في سبيلها لما رأينا اليوم مانراه في الدنيا ، بل لرأينا الجهل مقام العلم ، والوحشية مقام المدنية ، والخراب مقام العمران — وما قولك في علم الطب وتقويم البلدان وعلم الحياة الانساني ؟ أكان يمكن أن تصل هذه العلوم الى ماوصلت اليه ، لولم يهاجر كثير من البشر في سبيلها ، لاجل معرفة تفاصيلها واستقراء جزئياتها ؟ لولم يهاجر كولمبوس لما علمنا عن نصف الدنيا شيئاً ، ولولم يهاجر الغربيون لما شاهدنا في واشنطون ونيويورك المباني الفخمة والقصور العالية ، ولولم تهاجر الامم الاوربية لما أصبحت أغنى الامم — عجباً ! اذا رأوا المهاجرين زرافات ووحدانا يقصدون الى منطقة القطب الشمالي قالوا هؤلاء عظماء الرجال حقاً كل العلم فيهم ، وحلت الوطنية الصادقة في قلوبهم - ثم اذا علموا أنهم هلكوا على بكرة أبيهم دون أن ينالوا بغيتهم ، أقاموا عليهم المآتم ورثوهم وبكوا عليهم وقالوا مات النجباء ! ولكن اذا سمعوا الشريعة الالهية تسمى مثل هذا العمل « بالهجرة » وتدعو الناس اليه — نفروا منه وأنكروا واسودت وجوههم — تراهم يمجدون أولئك الرجال الذين هجروا أوطانهم لكشف منبع النيل وهلكوا في مجاهيل أفريقية ، ولكن اذا علموا برجال هاجروا في سبيل الحق واعلاء كلمة الله ، ذموهم أشد الذم وسموهم « مجانين وهمجاً » ثم اذا رأوا نيوتن يهجر نومه ويسهر الليالي الطويلة ليحقق « ناموس الثقل » أعظموه وسموه بأسماء كريمة ، ولكن إن رأوا رجلا يجهد نفسه مثل نيوتن لا لناموس الثقل بل لناموس نجاة العالم وسعادته وهدايته أنكروا عليه عمله وعدوه من الوحوش ! فما هذا الجنون ؟ وما هذا التناقض ياترى ؟ نرى اليوم الامم الغربية تعتقد أن فلاحها وحياتها في الاستعمار (كالونيل سستم)

ودائرة اختصاصه تضيق الى أن طلب هو الرجوع الى الاستانة وذلك قبل دخول الانكليز بقليل ولما جاء الى الاستانة ووجد النكير عليه عاماً كان كمن استيقظ من منام ، وتبدل مرارة الحقائق بحلاوة الاحلام ، وربما تذكر ما كنت أنحله إياه من النصيحة وأنهاه به عن الشدة والبطش ولاسيما عن القتل لانه غير قابل التلافي وما شعرت يوماً الا وأحد أصحابي وأصحابه يتكلم معي في الذهاب الى نظارة البحرية للسلام على جمال باشا ويلح جداً بذلك فقلت ليس بيننا أدنى شيء يوجب النفور شخصياً وانما كان النفور منبعثاً عن اختلاف في الرأي وانه كان يرى الشدة ضرورية لحفظ سلامة المملكة وأنا كنت أرى الذي أتاه معجلا في تجزئتها . وذهبت وسلمت عليه وتصالحت معه وعاتبني على حملاتي عليه وقال لي ان رفقاءه كانوا يقولون له إن شكيب أرسلان بك هو أيضاً في مقدمة الناقدين الناقمين وهو ممن لا شك في صدقهم وانه هو كان يجاوبهم نعم انه مخلص ولكنه رقيق القلب ويريد أخذ الامور كلها بالعفو. فدار بيني وبينه جدال طويل أتذكر منه انني قلت له يامولانا عند ما أتيتم بالزهراوي من باريز وجعلتموه في مجلس الاعيان كنت أنا منتقداً هذا العمل ولكن بعد ان عفوتم عنه ومضى على ذلك ثلاث سنين تأخذونه من مجلس الاعيان وتشنقونه ! هذا انتقدته أكثر ، لانه خطأ أعظم من الاول ، ثم لا يكفي شنق الزهراوي بتلك الصورة حتى ينفى الى الاناضول والده البالغ من العمر نحو ٩٠ سنة فكيف تريد أن لا أنتقد هذه الاعمال ؟ وقد دافع عن نفسه ببعض أجوبة لا تخرج عن التدابير العسكرية التي يعملها كل قائد في أثناء الحرب . وأنا لا أنكر ان جمالا تصرف تصرف أيّ قائد أوربي أودع اليه أمر مستعمرة آسيوية أو أفريقية وليس في قواد فرنسا ولا انكلترة كثير يقدرون أن يرموا جمالا بحجر كما يقال او ان يعيبوا مظالمه لانهم جميعاً تقريباً يسلكون هذا المسلك وأفظع منه وهذا تاريخ استعمارهم في الهند وفي مصر وفي الجزائر وفي تونس وفي الكونغو الخ أصدق شاهد على ما نقول وفي الحرب العامة قد جرت من فريقي الدول المتحاربة كلما علت يد فريق على آخر من المناكير والموبقات وغرائب القسوة والوحشية ما يزيد على أعمال جمال ولكن جمالا تركي عيبه ظاهر ، ولا يوجد له ساتر ، وأما القائد الانكليزي أو الفرنساوي فهذا مسموح له عند بعض أبناء وطننا بأن يفعل ما يشاء فلا يتعرض بذلك

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصايب ومخمصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شكيب أرسلان



تشنيع الكاتب على جمال باشا بالاستانة

وما وصلت الى الاستانة حتى بدأت بشرح ماجرى في سورية من أفعال الشدة والقسوة وارهاف الحد وذكرت ذلك في جميع المراكز بدون استثناء ولا يوجد تقريباً واحد من كبار رجال الدولة القدماء أو الجدد إلا وهو يعلم انني كنت منتقداً ادارة جمال في سورية مشدداً النكير على الدولة في ارخائها العنان لهذا الرجل الى هذا الحد . ويصعب عليّ الآن استقصاء شهودي على ذلك سواء من الفئة المعارضة للاتحاديين أو الفئة الموافقة لهم فان ذلك يطول جداً وانما اجتزىء بالاستشهاد بجلالة السلطان وحيد الدين نفسه الذي بقيت بين يديه أكثر من ساعتين أبسط له ماحدث في سورية من الامور وأبين له وجه الظلم والخطأ فيها وكذلك بولي عهد السلطنة الامير عبد المجيد افندي الذي تكلمت معه في هذا الشأن مراراً وكان كل منهما يتنفس الصعداء ويتأوّه ويعد ببذل جهده باصلاح الامور وإيتاء العرب حقوقهم وانصافهم من ظالميهم وذلك عند ماتضع الحرب أوزارها وينتصب الميزان ويبدأ بالحساب . وبقيت في الاستانة من أوائل سنة ١٩١٧ الى نهاية الحرب واستحضرت عائلتي اليها وتحملت نفقات الغربة حتى لا أعود الى سورية وجمال باشا فيها مع انني كنت أصرح امام الجميع انني من جهتي الشخصية لا أقدر أن أشتكي منه بشيء بل يجب عليّ الشكر له لمزيد الرعاية وبالغ العناية اللتين كنت أراهما منه نحوي وانما أشكو بطشه وعنفه وسفكه للدماء وشدة استبداده ومايعود بذلك من الضرر بالدولة وبالجامعة العثمانية

ولما حضرت الى المانيا أول مرة سنة ١٩١٧ سعيت باقناع الالمان في طلب صرفه عن سورية وكان لهم بذلك يد وأرسلوا الجنرال (فالتكنهاين) قائداً لفلسطين وقطعوا علاقة جمال بالجيش المرابط فيها وما زال نعرة جمال يقل

فجاءني سعدالله بك الملا مبعوث طرابلس وأخبرني أن القانون عند حامد بك مبعوث حلب وقد روجع في تأخيره الى أن اكون شفيت من وعكتي وذهبت الى المجلس فأبى وانه ان طرح القانون في المجلس خيف تصديقه بالاكثرية فاضطررت أن أقوم من فراش مرضي وأذهب الى الباب العالي وكان طلعت تولى الصدارة جديداً فلما حكيت له القصة أجابني فوراً : هذا قانون لن يذهب الى المجلس أبداً كن مستريحاً. ثم سحبوه وانطوت هذه المسألة التي كنت أنا السبب الوحيد في دفعها كما يعلم كثير من الزملاء وما كنت لاتعرض لذكر هذه الخدمة ونشر مكنونات لم يكن في البال اظهارها خوف نسبة التبجح لولا تشدق بعض الاعداء بما يتشدقون به من الافتراء والافتئات، واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها السنة أمثالهم

اعادة السوريين المنفيين

كذلك القرار الاول باعادة منفيي سورية الى أوطانهم حصلت عليه بواسطة طلعت وخليل ونسيمي وجاويد ولم يكن لي فيه شريك مطلقا وقدمت تقريراً بواسطة جاويد — أقول فيه أنه لايوجد أدنى محذور من اعادة هؤلاء المنفيين الى سورية واني اكفلهم بنفسي كفالة عامة وأقدم عن كل شخص منهم بمفرده كفالة خاصة من رجل مأمون . فرد جمال هذا القرار وكان يومئذ لم يزل في سورية وكان انكسار الانكليز عن فلسطين في واقعتي غزة الاوليين قد كسب جمالا جمالا ورونقا فلم يريدوا أن يكسروا كلمته وقد انذرهم بالاستعفاء اذا أصر مجلس النظار على هذا القرار ، وذهب انور بنفسه ثاني نوبة الي سورية ومدحت شكري ناموس جمعية الاتحاد والترقي ولم يقدرا على اقناعه فعادا بخفي حنين ،وبلغني الخبر فذهبت الى طلعت وقلت له صح ان جمالا لم يقبل قراركم فرجاني ان اصبر عليه شهرين فقط وانه بعد ذلك ينفذه . ثم اخذ يأذن لاناس من المنفيين بالتنقل من مكان الى آخر كلما راجعناه في قضية واحد اجاب الطلب . وكذلك انور صار يتعاهد المنفيين بالاحسان والعطاء وكانت سنين عسيرة اثناء الحرب كما لا يخفى فاضفت زيادات كثيرة على مرتبات قسم من المنفيين من جبل لبنان كانوا باسكيشهر وآخرين من المدينة المنورة كانوا بكوتاهية وعشاق وازمير وغيرها وكانت هذه العلاوات كلها من دائرة التشكيلات التي كانت تابعة نظارة الحربية وكنت في آخر كل شهر اطالب بها وارسلها كما اني كنت اتردد دائما الى لجنة المهاجرين في الباب العالي استنجز دفع شهريات المنفيين بأجمعهم فكانت

لانتقاد أحد منهم ولو فات الوحوش في أعماله لانه كما ورد في المثل العامي :
« من بيت الفرفور ، ذنبه مغفور »

على أن وجه انتقادنا على جمال هو كون سورية ليست مستعمرة ولا الدولة العثمانية هي دولة أوربية فان الدول المعهودة اذا قدم عملا بين يدى العار كان لهن من القوة المادية ومن الثروة ومن البسطة ما يغطيه[1] وأما الدولة فليس عندها من القوة مايغطي عيوبها ولو فازت المانيا وتركيا بهذه الحرب لما وجدت أحداً انتقد جمالا من هؤلاء الذين يملأون الدنيا صخبا عليه اليوم بل يقحمون في زمرته اناسا أيديهم طاهرة من جميع ما عمله ولكانوا اليوم ينوهون بمتانة جمال واقدامه وحزمه

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل

مسألة محاولة جعل سورية تركية

قال لي بديع بك المؤيد مبعوث الشام عقب عودتي الى الاستانة انه يوجد قانون مراد الحكومة إلقاؤه الى المجلس للمناقشة فيه وتصديقه وهو يتضمن جواز تبديل أملاك المبعدين بدون تعيين وانه بعد تصديق هذا القانون يمكن الحكومة نزع أملاك المبعدين من سورية واعطاؤهم عوضاً عنها في الاناضول وكان شاع أن جمالا ينوي هذه النية وانه أسس (قومسيون التهجير) لهذه الغاية ، وأخذوا باحصاء أملاك المبعدين . فذهبت الى نجم الدين بك ملا رئيس الشعبة الخامسة في مجلس الامة وحكيت له القصة فلم يعتقد أن المراد بهذا القانون منفيو سورية ولكنه أشار علي بمذاكرة طلعت ، ثم ذهبت الى الحاج عادل بك رئيس مجلس الامة فاشار علي بمراجعة الحكومة وصرفها عن هذا المشروع قبل طرحه في المجلس ، فصادف أني مرضت بعد امة[2] ولزمت محلي

(١) المنار : نسي الكاتب هنا الافك وقلب الحقائق فيما تذيعه البرقيات والجرائد فهذا لا يغطي مظالمهم فقط بل يحيل السيئات حسنات يمنون بها على المظلومين المقهورين

(٢) كذا في الاصل فهل هو محرف عن الآونة أم استعمل الكاتب الامة بمعنى الحين كما قال بعضهم في تفسير قوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) وقوله (وادكر بعد أمة) والصواب عندنا في تفسيره ماجرى عليه البيضاوي من انه بمعنى الطائفة من الزمن فهو استعمال للامة في غير الاحياء فتفسيرها بالحين تفسير بالمعنى في الجملة لا لغوي، قال الراغب: وحقيقة ذلك أي في الآية الاولى: بعد انقضاء أهل عصر أو أهل دين اه . ولكن هذا الوجه لا يظهر في الآية الاخرى

على هذه الدولة لان الناس متى حلت بهم المصائب ينهالون بالقذف والطعن قبل كل شيء على حكومتهم الحاضرة . ولان سحر الانكليز والفرنسيس وغيرهم من الحلفاء كان لايزال ماشياً الى ذلك الوقت على السوريين . وكان لهم في البلاد سعاة يستثمرون جهالة العامة وأغراض الخاصة في تحويل تبعة هذه الفادحة على الدولة العثمانية خاصة دون سواها . . ولما كان المصاب كما يقال يغيب عن الصواب كان السواد الاعظم من المصابين ميالين الى تصديق ذلك الحديث المفترى . ثم لما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء وصار الناس في سورية يتزاحمون بالمناكب في مواكب إجلالهم ويتسابقون على جياد القرائح في ميدان التزلف اليهم ، كانت في مقدمة أسباب الزلفى قضية هذه المجاعة يذكرون أهوالها للحلفاء بكرة وأصيلا ، ليفضوا منها الى التنظير بينهم وبين الاتراك بأن هؤلاء أماتوهم جوعاً قصداً وعمداً ، وقطعوا عنهم الميرة لاتلاف خضرائهم تصوراً وتصميما ، وان الحلفاء جاؤا بعد الفتح والظفر فأغنوهم من فقر ، وأسمنوهم من جوع ، وآمنوهم من خوف ، واندفعت جرائد سورية الاماندر ، تضرب على هذا الوتر ، وانبرى كل من أراد اظهار المودة للحلفاء يسرد قصص المصائب التي صبها الاتراك على نصارى لبنان نظراً لتعلقهم بفرنسا وكيف انهم جوّعوهم وأزهقوا من أرواحهم نحواً من ٢٠٠ الف نسمة كلها ذهبت في حب فرنسا ولا عجب — فأوله سقم وآخره قتل — وانه لولا حب هذه الفئة لفرنسا لكان الاتراك أشبعوها ولم يهملوها إذ كان الخير والميرة فائضين لديهم وانما قتروا على اللبنانيين ليستأصلوهم أو لينقصوا عددهم نقصاً عظيما يستريحون بعده من وجودهم . وبالاختصار فائتا الف شهيد هذه كلها تكللت بالشهادة في حب فرنسا لاغير . . . وقد سرت هذه الاوهام الى أناس من أنفس الاوربيين ولاسيما من الفرنسيس حتى قرأت لهم في هذا الموضوع كلاماً كثيراً ورددت صداه مجلس البرلمان الفرنساوي . فاللبناني من هذه الفئة كلما اراد ان يعتد بخدمة لقومه في هذه الحرب قال : ولقد امات منا الاتراك ٢٠٠ الف نسمة أثناء الحرب من اجل استمساكنا بعروة الحلفاء ولاسيما فرنسا ولعدم انحرافنا عن سبيلها . والفرنساوي كلما اراد ادعاء حق في سورية وحاول تسويغ احتلاله اياها نادى : ولنا نحن الفرنسيس هناك اصدقاء مرتبطون بنا منذ احقاب متطاولة وطالما سيموا الخسف والهوان من اجلنا وتحملوا الانتقام

الدولة تتقدم كل شهر ١٥٠ الف ليرة . وكنت اقول لرجال الدولة : ما سمعت ان دولة في الدنيا تشتري عداوة قسم من تبعتها بمائة وخمسين الف ليرة شهريا اصرفوا هؤلاء الناس الى اوطانهم يصيروا شاكرين داعين لكم وتوفروا على خزانة الدولة اكثر من مليون ونصف مليون ليرة في السنة . ولم يكن احديهتم بأمر المنفيين ويخاطبهم سواي لان الآخرين يخافون مغبة العلاقة معهم فكنت اقضي ليلي ونهاري في تحرير الاجوبة والبرقيات بقضاء حاجاتهم وكانت تردعلي منهم مئات من الرسائل ممن بأزمير ومغنيسية وبروسة وباليكسر وقره شهر واسكيشهر وكوتاهية وعشاق وسيواس وتوقات وكنغري وادرنه . وما زلنا نكافح بلاءهم ، ونخفف من مضض غربتهم ، الى أن تحول جمال من سورية الى الاستانة فأخذ طلعت بتسريح المنفيين تدريجاً . وحدث أن الحكومة احتاجت الى أصواتنا (أي مبعوثي العرب) في مسئلة تتعلق بتجديد مدة الامتياز لشركة حصر الدخان فاشترطت أنا والمرحوم فقيد الشام محمد باشا العظم أن يطلقوا لنا سراح المنفيين لنعطيهم أصواتنا وصرنا نعقد بعد ذلك اجتماعات يحضرها جميع مبعوثي سورية وفي احدى الجلسات قرر المبعوثون تفويض ثلاثة بمفاوضة الحكومة في شأن المنفيين وهم المرحوم محمد باشا العظم مبعوث الشام وابو علي سلام مبعوث بيروت وهذا العاجز

— ٤ —

المجاعة في سورية اثناء الحرب

ومن هم المسؤولون الحقيقيون عنها

لاجرم أن من أعظم حوادث هذه الحرب ونتائجها على الانسانية هي المجاعة التي عضت بأنيابها كثيراً من الامم ، وأتلفت مئات ألوف بل ملايين من النسم ، وكان لسورية منها نصيب واف لم يحدث التاريخ منذ قرون عديدة بأن سورية أصيبت بمثله . فقد وصل الامر الى أن بعض الناس أكلوا الميتة وبعضهم فتكوا بالاطفال وطعموا من لحمهم وبعضهم اختلط عقله فذبح ابنته وأكلها كما حصل لرجل من معلقة الدامور . ولما كان وقوع هذه المسغبة في أواخر دور الدولة العثمانية بسورية كان بديهياً أن ينقم الناس أمر هذه المصيبة

بأجمعها شرقيها وغربيها ، وشماليها وجنوبيها ، فلم ينج من مخالبها مكان، ولا سلم سكان ، الا انه مما لامرية فيه ان السهول والبقاع التي تكثر فيها البسائط لزرع الحبوب كانت اوفر تحملا واقل بلاء من الجبال والبقاع القاحلة التي هي عيال على البحر من جهة وعلى السهل من جهة اخرى لاجل ميرتها ، لذلك لا يمكن ان يتصور العقل ان بلدة من الشام اوحلب مثلا تجوع بقدر جبل لبنان الذي كل ما ينبت من الحبوب يكفي اهله شهرين من السنة فقط ويضطر لمؤونة العشرة الاشهر الباقية الى الجلب من البحر او من داخل البلاد . اما البحر فان دول الحلفاء قد سدت ابوابه على الاهالي سداً محكما فلم تسمح حتى للاعانات الخيرية ان تدخل الى سورية ، لا يقدر ان يكابر في ذلك احد . واما الداخل فان الحبوب التي عاش منها اهل بيروت ولبنان وسكان السواحل عموما اثناء الحرب كانت ترد منه وحده ، وان قيل انه لم يرد من الداخل الا القليل ولذلك مات الوف من اهل السواحل جوعا فالجواب: من قال لكم ان الداخل لم يشتد به الغلاء ولم يخف اهله من الموت جوعا ! واي عقل يصدق ان اهل الداخل يسمحون بحبوبهم ان ترسل الى السواحل وبغلالهم ان تؤخذ من بين ايديهم ويكونون هم انفسهم تحت خطر المجاعة . فقد عالجنا هذه المسئلة جيدا وتماركنا مع اهل الشام وحماه وحلب مراراً اثناء الحرب لاجل المقدار الذي نحتاجه من الحبوب من بلادهم وكانوا دائما يعارضون اشد المعارضة في فتح الباب على مصراعيه ، وبعد اللتيا والتي يسمحون بشاحنتين من الحبوب يوميا ويرون ذلك كثيرا ، وكم مرة اصدرت الحكومة التركية الاوامر المشددة المؤكدة بشحن كذا وكذا من الحنطة الى بيروت ولبنان وكان مجلس ادارة الشام ومجلس ادارة حلب يملآن الدنيا صراخا بكون بلادهما لا تتحملان اخراج هذه الكميات منها وانهم لا يرضون ان يجوعوا هم لاجل ان يشبع اهل لبنان وبيروت والمثل يقول: ابدأ بنفسك ثم بأخيك . وكانوا يحتجون بأن البلاد الداخلية قد تلقت قسما عظيما من سكان الجبل والسواحل وآوتهم واطعمتهم ولم تقصر في رفدهم.

فنقول ان مجالس الشام وحلب وحماه وحمص الادارية التي هي مركبة من اعيان البلاد من مسلمين ومسيحيين ويهود هل كانوا يقصدون « التجويع » وينوون به استئصال نصارى لبنان؟ وهل سكان السواحل كلهم نصارى ؟ لا، إذ الاحصاء يثبت ان المسلمين في السواحل اذا اعتبرت كلها منضمة مع لبنان يزيدون على

والاضطهاد وناهيك انه في اثناء هذه الحرب قد اهلك منهم الاتراك مائتي الف جوعاً من اجل محبتهم لفرنسا .

وهكذا تتواتر هذه الكلمات وتتكرر وتماد وتصقل وتخمس وتشطر وكلما جرى ذكر الحرب العامة وما اصاب السوريين فيها كانت هذه الدعوى ويسمونها « التجويع » اول مايستفتح به الخطاب ويعتد به من المن على الحلفاء. حتى ان كثيرين ممن لايحبون فرنسا ولا انكلترا اذا طالبوها بتحرير سورية وتركها لاهلها وذكروا سابقة السوريين في خدمتهما ومناصحتهم للحلفاء في الحرب العامة جعلوا من جملة هذه الخدمات الجلى والمناصحات المثلى هذا « التجويع » الذي اجراه الاتراك على سورية انتقاماً من أهلها

ولقد آن لكل انسان يحترم نفسه ويحاسب وجدانه، ولا يرضى ان يكون ذليلا للباطل وهو يعلمه، ولا أن يقارّ على البهتان وهو يشهده، ان يثور في وجه هذه الاكذوبة التي طال امرها وتمادى اجلها ، ويعصي سلطة هذه الاغراض مهما كان وراءها من دول وملل ، وسيف وقلم ، فان القليل بالحق كثير ، وان العزيز مع الباطل ذليل ، وان الحق أولى ان يتبع ولو انهزم اتباعه ، وان الضلال لاجدر بأن يتنكب ولو انتصر اشياعه، ولاسيما وان صولة الباطل ساعة ، وجولة الحق الى قيام الساعة ، فالى متى نداهن الحلفاء بأن الأتراك هم الذين اماتونا ، وانهم هم الذين احيونا ، ونتبصبص اليهم بقولنا ان الاتراك كان بوسعهم ان يبيرونا ، لولا تعمدهم تنقيص اعدادنا ، وتقليل سوادنا ، وانهم انما أماتونا على بينة واهلكونا وهم قادرون على استحيائنا ، كل ذلك من اجل محبتنا لفرنسا وانكلترا . والله لقد اصبحنا أمثولة في العالمين ،واضحوكة في الاولين والآخرين ، وجعلنا لسورية في التذلل والتماق تاريخاً تضرب به امثال المتمثلين، فكفانا ياقوم حرباً لضمائرنا ، ومكابرة لحواسنا . انه ليس المقصود هنا الدفاع عن الترك الذين خسروا من الامور ماهو اهم من عطفنا ومودتنا واصبح لا يهمهم حبنا لهم او كرهنا اياهم . وانما المقصود هو تقرير حقيقة وتحرير واقع، وابطال نغمة ملتها الاسماع، وعافتها الطباع ، لا سيما مع شدة اعراقها في الباطل ومحض صدورها عن الهوى ، فان المجاعة اثناء الحرب كانت عامة شاملة طامة غير خاصة محلا دون آخر وانما كانت شدتها على درجات متفاوتة وذلك على مقدار تحمل البلدان وقابليتها وقد عمت السلطنة العثمانية

واصحاب الايدي العاملة فيها، واكثر الباقي كان من الشيوخ والنساء والاطفال وقد يقال ان قسما كبيراً من هؤلاء الخمسمائة الف فرّوا من خدمة الاتراك.

والجواب ان الفارين كانوا يختبئون فلا يقدرون أن يظهروا ولا أن يتعاطوا الاشغال الزراعية فلا فائدة منهم. على أن الحرث والزرع لا يقومان بالايدي العاملة فقط. فلا يقال هاقد حضر الزارع فحسب فان البلاد اعوزها البذر والبقر وكل ما به قوام الغلة لكون الحرب جرفت اكثر المواشي بماساقت منها العسكرية لاجل جر المدافع وحمل الاثقال ولاجل اكل الجنود على مدة اربع سنوات واستأصلت حرب ترعة السويس وحدها ٣٠ الف جمل كنت اراها بنفسي تموت بالعشرات على الطريق وأنا عائد من قلعة النخل الى معان مع المتطوعين الذين سرت بهم الى تلك الحملة. ولماذا نعني انفسنا بسرد هذه الاسباب التي كل اهل سورية يعرفونها ويعرفون انها هي السبب الاصلي في المجاعة وان الجوع عم البلاد كلها فالسهول التي مثل حوران وحمص وحماه وحلب والبقاع والغور ومرج ابن عامر كان الخطب فيها ايسر من الجبال التي كلبنان وجبل القدس ومن المدن التي كبيروت وصيدا الخ ولا ننس أنه في سنة ١٩١٥ جاء جراد سد الآفاق وعم البلاد كلها واهلك الزرع والضرع ولم يبق من بعد بذر كاف للمستقبل فكان من اقوى عوامل الجوع في السنين التي بعدها.

اذاً فالجوع الذى اصيبت به سورية لم يكن سببه سوء نية الاتراك كما يقولون بل سببه حالة الحرب العامة والحصر البحري وذلك الجراد الذي لم يسبق له مثيل فامتص خير البلاد من اول سنة، وأعثرها عثرة صعبت من بعدها اقالتها. ولقد اشتد الغلاء في جميع القطر الشامي حتى في دمشق الشام التي كانت منذ وجدت أرهى بلاد الله عيشا وأرخصها اسعاراً ومات فيها وفي توابعها الوف من الجوع ومن الامراض التي قواها سوء الغذاء ولكن ليس كما حصل في الساحل لان درجات الشدة كانت بحسب درجات قابلية الاراضي لزرع الحبوب كما قلنا وقد بلغ ثمن رطل الحنطة في حوران وهي ام الحنطة نحو ١٨ و ٢٠ غرشا ذهبا وذلك على البيادر فماذا تقول في البلاد التي ليست تقاس بحوران في قليل ولا كثير؟

(للكلام بقية)

النصارى في المدد[1] أفنقول ان مسلمي الداخل ارادوا اهلاك مسلمي السواحل جوعا ؟ وقد يرد بأن اهالي حلب والشام وحماه وحمص لم يكونوا بمانعين اخراج الحبوب وانما هم الاتراك الذين كانوا يضعون العوائق. والحقيقة التي لا مرية فيها ان الاتراك كانوا يأمرون باصدار الحبوب المرة تلو المرة وكانت المعارضة تقع من اهل تلك الولايات بحجة ان مواسمها لا تكفيها وان اهلها اولى بها فلا يموتون هم جوعا لاجل شبع غيرهم . وهو كلام معقول لاغبار عليه. و كم من مرة ذهب علي منيف بك متصرف لبنان بنفسه وعزمي بك والي بيروت بذاته وغيرهما الى الشام والى حماه والى حلب واقاموا الايام الطوال يتنازعون مع المجالس الادارية في تلك الجهات فأحيانا يظفرون بشيء واحيانا يعودون بخفي حنين . وبلغ الامر في الآخر ان صاروا يطوفون بانفسهم على القرى في تلك البلاد ومعهم القوة العسكرية لاخذ ما يجدونه من الحنطة قسراً فكان الفلاحون يطمرونها في الارض ويخفونها بكل وسيلة وينكرون وجودها. وهذا جمال باشا نفسه على ما كان عليه من القسوة والغلظة اصدر اوامر لا تعد ولا تحصى بارسال المقادير اللازمة الى لبنان وتولى هو بنفسه ارسال كميات عظيمة عدة مرار ولكن تشديد الاوامر وصدورها ولو ممن اشتهر بقطّ الرقاب لا يكفيان في ايجاد القمح من العدم حينما المجاعة تكشر للجميع عن انيابها والموت الابيض واقف على الابواب

ومن جملة اعتراضات بعضهم قولهم : يا للعجب كيف أن سورية التي كانت تمير أهلها وتصدر منها حبوب الى الخارج تعجز فيما بعد عن ميرة أهلها ويموت منهم الالوف المؤلفة جوعا ! وهذا الاعتراض يكاد يكون من السخف بحيث لا يستحق الجواب . فان الذين يقولون مثل هذا القول ينسون الحرب الكبرى ويغفلون أو يتغافلون عما كان من نتائجها في كل الدنيا لا في سورية فقط . ولقد اعطت سورية وحدها خمسمائة الف جندي الى الدولة هم لباب الامة وقوتها

(١) المنار: ان قرية القلمون في ساحل لبنان بقرب طرابلس الشام وأهلها كلهم مسلمون وأكثرهم شرفاء من ذرية الرسول (ص) وروى لنا الثقات عمن رأى اسمها في دركنار الدولة بالباب العالي انها سميت فيه بسيدة القرى والمزارع – ولقد مات ثلثا أهلها جوعا ووجد فيهامن أكل الجيف وامرأة أكلت من لحم أولادها، على إنهم كانوا قبل شدة المجاعة يفيضون على جيران قريتهم النصارى فضل قوتهم

(١٨) كانت النميمة بين الناس من أشنع المنكرات . لان سيد الخلق قال « إياكم والعضه النميمة القالة بين الناس »[١]

(١٩) الظن السيء في الناس الذين لم تثبت تهمتهم كان من أسوأ الاخلاق والتجسس على الناس كان معدوداً من المفاسد المنافية للتأليف مع الاسلام . لحديث « إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا »[٢] وأما نحن فأقل اشارة تبدو من أخينا المسلم تكون سببا لاغراقنا إياه في أمواج الظنون المختلفة . فهل صار دينننا البعد عن هدي نبينا ونبذ آداب ديننا ؟

كلا ان حسن الظن بالناس قد عد من حسن العبادة في ديننا اذ قال نبينا عليه صلوات الله وسلامه « حسن الظن من حسن العبادة »[٣] وكان الناس يعدون الانقياد لهذا الهدي النبوي من أقدس الواجبات ، فليتدبره العقلاء وليحكموا على أنفسهم أو لها

(٢٠) كانوا يكرهون التفرق في المجلس الواحد ويستحبون الاجتماع والمشاركة فيه . لان النبي (ص) كان يحب مرأى أمته وهم مجتمعون . وقد دخل المسجد مرة فرأى المسلمين جالسين خمسة خمسة أو ستة ستة . فلم يرقه هذا المنظر فقال « مالي أراكم عزين »[٤] . لان هذا المنظر يوهم الاعداء وقوع التفرقة ظل المسلمون مهتدين بهذا الهدى محافظين على وصية الاجتماع والاعتصام الى زمان ذي النورين . وهنالك بدأت التفرقة . ومنذ ذلك التاريخ تمطر التفرقة على رأس المسلمين وابل النكبات والمصائب . أين العقلاء ؟

(٢١) أهم ما كان يرمي اليه النبي (ص) أن يؤلف المسلمون جسما معنويا واحداً يتحابون ويتراحمون فيكونون كأعضاء الجسد الواحد . لذلك قال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه

(١) رواه أبو الشيخ في التوبيخ عن عبد الله بن مسعود بسند حسن . وفي النهي عن النميمة أحاديث صحيحة معروفة والعضة كعزة وسيأتي . (٢) رواه مالك واحمد والشيخان وابو داود والترمذي من حديث أبي هريرة قالوا ان التحسس بالمهملة هو التجسس بالواسطة وهو في أصل اللغة طلب الحس والاحساس بالشيء (٣) رواه أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة (٤) رواه احمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن جابر بن كرة . وعزين جمع عزة بوزن عدة وجمعه هذا سماعي

من الخرافات الى الحقيقة

٥

تابع لمقالة الطور الاول للاسلام (*)

(١٦) شعور الاخاء كان بالغا أعلى الدرجات بين المسلمين . ألم الواحد كان يؤلم المجموع . لانهم اتخذوا لحالتهم الاجتماعية منهاجا رسمه لهم النبي (ص) اذ قال «ان حقا على المؤمنين ان يتوجع بعضهم لبعض كما يؤلم الجسد الرأس» (١) كان الناس يمشون على هذا المنهاج الاجتماعي بكل إخلاص . أما نحن (وا أسفاه) فهل يتذكر أحدنا ان جاء المسلمين ضربة الا وكانت عن يد مسلم ؟ هذا تاريخنا الماضي لنقرأه باكين (٢)

(١٧) القاء بذور الشقاق والتفريق بين المسلمين كان ممقوتا أشد المقت حتى ان الهادي الاكرم أخرج المفرقين من بين أفراد العائلة الاسلامية . اذ قال « من فرق فليس منا » (٣) وأما في زماننا فواحسرتاه قد أصبح التفريق بين المسلمين يعد من حسن الحزم ودهاء السياسة فينا !

﴿وقلبوا الحقيقة فخصوا المفرق باسم (المنقذ) . كان الخروج من التابعية الاسلامية والدخول في حماية غير المسلمين (انقاذ !!!) ـ لا حول ولا ـ (المترجم)﴾

---

*) المنار : لا ندري لماذا تصرف المترجم في الاصل بالتقديم والتأخير ومنه الفصل بين ماهنا وماسبقه من آداب الاسلام بالكلام في تأثير الفرس والترك في السياسة الاسلامية ؟

(١) رواه أبو الشيخ عن محمد بن كعب مرسلا باسناد حسن ، وفي معناه أحاديث موصولة في الصحاح هي أولى منه بالتمثيل كحديث النعمان بن بشير في مسند احمد وصحيح مسلم الذي يأتي قريباً في عدد (٢١) (٢) ان حالنا الحاضرة ليست أمثل من تاريخ تعادينا الماضي وإيقاعنا بأمتنا فكل ما أصابنا من استيلاء الاعداء على بلادنا قد وقع بتخاذلنا وتخريب بيوتنا بأيدينا وأيدي أعدائنا الذين والينام وساعدناهم على أنفسنا كما أشار اليه المترجم في جملته التي ذيل بها حديث التفريق الذي بعد هذا (٣) الحديث رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار بسند صحيح وهو مأخوذ من قول الله تعالى لرسوله (ص) (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) والاحاديث في الحث على الاعتصام والنهي عن التفرق كثيرة والآيات في ذلك معروفة

الناس يفتشون على سعادتهم بين سعادة المجموع

(٢٤) كان المراء والجدال لتأييد أهواء الانفس من أقبح الخصال المذمومة لانه يثير الاحقاد، ويعمي البصائر والابصار عن رؤية الحقائق، ومما ورد من الاحاديث الصحيحة في ذمه والتنفير عنه قوله صلى الله عليه وسلم «ابغض الرجال الى الله الالدالخصم» (١)

(٢٥) معاملة الجار بالحسنى وعمل المعروف كان من أهم الآداب التي يحافظ عليها المسلمون لوصايا القرآن والسنة به ومنها حديث «احسن الى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلماً» (٢)

(٢٦) كان افراد الامة صريحين في أقوالهم أحرار في أطوارهم. وأظهر سجايا الاسلام في طوره الاول هذه السجية. كان كل فرد مسلم يقول الحق بصراحة. ولو كان تخاطبه نفس الخليفة. وكانوا يتنزهون عن الكذب لانه أقوى دعائم النفاق وقد قال (ص). «آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا ائتمن خان» (٣)

(٢٧) اغماض العين على الباطل محاباة والتملق للظلمة مداراة والغش والخداع للناس — كل ذلك كان يعد من صفات المجرمين والمنافقين، المنافية لآداب الاسلام وصفات المؤمنين، وقد أخرج النبي (ص) كل من يغش مسلماً أو يخدعه أو يحتال عليه من الجمعية الاسلامية اذ قال «ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره» (٤)

(٢٨) أخذ الموظفين الهدية وقبول الحكام الرشوة كان من أكبر الجرائم

---

(١) رواه احمد والشيخان وغيرهما (٢) هذا بعض حديث أوله «اتق المحارم» الخ رواه الترمذي وغيره من رواية حسن البصري عن أبي هريرة وهو لم يسمع منه وفي الباب أحاديث صحيحة كثيرة

(٣): رواه الشيخان البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة. وفي معناه أحاديث أخرى كثيرة صرح فيها بكون اكرام الجار من آيات الايمان وكون ايذائه ينافي الايمان (٤) رواه الرافعي من حديث علي بسند حسن وفي معناه أحاديث أخرى منها «من غش أمتي فليس منا» رواه الترمذي عن أبي هريرة بسند صحيح وهو عام في غش المسلمين وغيرهم

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وأما نحن فلم نفقد التحابّ والتراحم فقط بل صرنا نجهل أحوال اخواننا المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وكيف نتراحم قبل أن نتعارف ؟ من منا يعرف أحوال مسلمي جاوه وما جاورها من دينية وادارية واقتصادية ؟ من منا يطلب من الجرائد أن تبحث له عنها أو عن غيرها من بلاد المسلمين كما تبحث عن أمم أوربة وأميركا ؟ أين الكتب التي تبحث عن جغرافيـة تلك البلاد وتاريخها ؟ وكيف طوّق عنقها بقيود الحماية الغربية ؟ كيف ولماذا أصيبت بهذه المصيبة ؟ من منا — الا قليل — تشعر نفسه بالحاجة الى ما ذكر ؟ وبعد هذا الاهمال أنحن مسلمون؟(*)

رب قائل يقول ان الجرائد غير الاسلامية تهمل البحث عن المسلمين وأحوالهم وأحداث بلادهم لعدم العلاقة بينها وبينهم وتملأ أدمغتنا بما يتعلق باروبا وأميركا ، فامتلأ الخلاء . ولكن ما قولنا في الجرائد الاسلامية ؟ هل فات أصحابها النابغين ان ما حث عليه النبي (ص) من التراحم والتعاطف يتوقف على التعارف قبل كل شيء ؟ كيف أعطف على قوم لا أعرفهم ؛ لذلك أرى التبعة تقع على عاتق مؤلفي الجغرافية والتاريخ وكتاب الصحف قبل كل الناس

(٢٢) الاتحاد من أقصى مقاصد الدين لان التعالي السياسي لايكون بدونه أبداً . لذلك (١) أمر الله تعالى به بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

(٢٣) الاجتماع كان محبوبا جداً عنده صلى الله عليه وسلم . جاء في الحديث « اثنان خير من واحـد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة » . (٢) لذلك لم يكن أحد من السلف يفكر في شخصه وحده. بل كان

(*) المنار : لو اطلع المؤلف أو المترجم على حديث « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » لا ورده هنا وهو عند الطبراني وأبي نعيم في الحلية بل رواه البيهقي في الشعب عن أنس مرفوعا بمعناه

(١) المنار : هذا التعليل من لوازم حكمة الدين ومقصده من الامر بالاعتصام والاتفاق والنهي عن التفرق والشقاق أو أحد المقاصد ، وليس هو العلة الاولى للامر والنهي بل علتهما الاولى ان الدين نفسه لايحفظ ولا يقوم ولا تترتب عليه آثاره من سعادة الدارين الا بذلك (٢) رواه احمد عن أبي ذر بسند صحيح والاحاديث في وجوب التزام الجماعة وحظر الفرقة كثيرة

مادحاً نبيه (وانك لعلى خلق عظيم) وقال (ص) « أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً » (١)

(٣٢) التعدي والتجاوز على الناس كان منهياً (ومنفيا)عنه لان النبي قال (ص) « أفضل المؤمنين إسلاما من سلم المسلمون من يده ولسانه وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً » (٢). وهذا تأميناً لحرية الافراد من أي تعد خارجي

(٣٣) حسن الخلق كان يوصل صاحبه الى أعلى درجات التقوى التي لا تنال الا بقيام الليل وصيام النهار لان النبي (ص) قال « ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم » (٣)

(٣٤) علو الهمة والسماحة من مكارم الاخلاق العالية عند المسلمين فقد جاء في الحديث « اسمحوا يسمح لكم » (٤) لكي تقابل المكارم بمثلها .

(٣٥) كان المسلمون يسلم بعضهم على بعض عند التلاقي بكل لطف وبشاشة واخلاص ، لاجل استمالة القلوب ودوام التحاب ، ومما ورد من الحديث في ذلك « افشوا السلام بينكم تحابوا » (٥)

(٣٦) الرفق واللين كان الاساس لجميع المعاملات ، لان النبي (ص) قال « ان الله يحب الرفق في الامر كله (٦)

(٣٧) إن البشاشة في الوجوه عند اللقاء كانت من الآداب العامة المطلوبة للتحاب وكان التعبيس والتقطيب من الخصال الممقوتة قال (ص) «ان الله تعالى يبغض المعبس في وجوه اخوانه (٧)

(للكلام بقية)

(١) رواه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر بسند صحيح
(٢) رواه الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بسند صحيح وله تتمة
(٣) رواه أبو داود وابن حبان من حديث عائشة (٤) رواه عبد الرزاق في جامعه مرسلا بسند صحيح (٥) رواه الحاكم من حديث أبي موسى وصححه (٦) رواه البخاري من حديث عائشة (٧) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي

المذمومة. قال (ص): «أخذ الامير الهدية سحت وقبول القاضي الرشوة كفر» (١) وما قول أمراء هـذا الزمان الذين يعدون قبول الهدايا أمراً غير منهي عنه ؟ رب ارحم أمة يدير أمورها أناس لا يفقهون أحكام الشرع ! !

(٢٩) الاستقامة على الحق كانت من أس الواجبات وركن المعاملات . حتى ان النبي (ص) قال في آية (فاستقم كما أمرت) إنها شيبته تعظيما لشأن الاستقامة . وعلى من يريد أن يقف على روح الاسلام ويتأمل في صعوبة الاستقامة ، ويدرك درجة عظمة المستقيمين فما عليه إلا أن يتأمل معاملة الفاروق للمرأة التي رآها جائعة وكيف حمل لها كيس الطحين على ظهره وكيف طبخ لها بيديه الشريفتين . من يتأمل فيما أودعته هذه الواقعة من المعاني يدرك عظمة الاستقامة وكيفية تلقيها عند المسلمين وعندئذ تتضح له أسباب تعاليمهم بكل سهولة (٢)

(٣٠) العدل كان غاية من كل مسلم ، لان الله قال في كتابه العزيز (اعدلوا هو أقرب للتقوى) (٣)

(٣١) روح الاسلام حسن الخلق ، لذلك أمرنا (ص) بقوله « استقم وليحسن خلقك للناس » (٤) وقوله « الاسلام حسن الخلق» (٥) وقال تعالى

---

(١) رواه أحمد في الزهد من حديث علي كرم الله وجهه بسند حسن. والمراد أنه من أعمال الكفار التي يتجنبها المسلمون لا انه خروج من الملة

(٢) قد يخفى جمل هذه المنقبة من مناقب الفاروق مثلا الاستقامة التي هي عبارة عن الثبات على الحق والفضيلة ولعله أراد بذلك أن هذا العمل وان كان حدثا زائلا بعد أدل الدلائل على استقامة الفاروق على منتهى آداب الشرع وكمال فضائله من حيث إن الخلافة التي هي أعلى المناصب لم تكن صارفة لامير المؤمنين عن منتهى النجدة والتواضع وخدمة أضعف أفراد الامة

(٣) ينبغي أن تجمل هذه المسألة هكذا : كان العدل مع البعيد والقريب والعدو والصديق، والبغيض والحبيب، فرضا لازبا على كل مسلم في هذا الدين لان الله قال في كتابه العزيز (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي لا يحملنكم بغض قوم لكم أو بغضهم لكم على ترك العدل فيهم بل اعدلوا مع كل أحد لان العدل وهو ميزان صلاح العالم أقرب للتقوى فيتقى به من شر الشانئ مالا يتقى بتركه أو بضده

(٤) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وحسنوه (٥) رواه الديلمي عن أبي سعيد الخدري

للزينة، ورأيتهم يختلون خلاها (أي يقطعون حشيشها) بآلات تستأصله من وجه الارض ويجففونه ويجملونه اكداسا كاكداس حصيد القمح والشعير ، ولا يلبث أن ينمي مكانه ويطول لان المكان مجاج الثرى ريان بالماء

ولم أر في تلك الحقول الخضراء زرعا غير الذرة وهي غضة حسنة النماء فيما قبل ميلان من الارض واكثرها ضئيل فيما بعدها، وبالقرب من المدن والقرى حقول وبساتين مزروعة بقولا كالفاصوليا والكرنب والطماطم وأما شجرها فمنه التفاح والكمثرى وقد أينع ثمره وطابت فاكهته

وأجمل مناظر هذه البلاد على الاطلاق البحيرات فقد مررنا ببعضها عن بعد وببعضها عن كثب ، ولم أنس لا أنسى أصيل ذلك اليوم اذ بلغنا بحيرة ماجور أو (ميجارو) فراعني ذلك المنظر البهيج، الذي لم أر له فيما سبق من عمري من شبيه ولا نظير، وانما رأيت نظيره بعد ذلك في سويسرة ، فأقول: إن مثل هذه البحيرة وبحيرة (لوسرن) من البحيرات التي بين الجبال هو أجمل ماخلقه الله في هذه الارض

البحيرة واسعة ، بين جبال شاهقة ، مزدانة بالجنات الالفاف ، والاجم الغبياء ، من أدنى الغور المساوي للماء ، الى الشماريخ التي تناطح السماء ، وترى فيما يدنو منك من هذه الجنات ، المعروشات منها وغير المعروشات ، أصناف الاعناب وأنواع الثمرات ، وهي ذات تعاريج كثيرة ، وفيها جزائر صغيرة، بنيت فيها قصور نضيرة ، يصلون اليها بزوارق جميلة ، ومياهها زرقاء صافية ، وهي تتسع في مكان وتضيق في آخر، وأخياف الجبال المحيطة بها تمتد على بعض الضفاف وتتقلص عن بعض ، ولبعضها ألسنة مستطيلة فيها ، ورءوس مقنعة في بعض نواحيها، والقطار يسايرها في جوانبها، ويلتف على معاطفها، فيدنو ويبعد، ويغير وينجد ، ويصوب ويصعد ، ونحن فيه متلمو الرؤس شاخصو الابصار ، نقلب الطرف ذات اليمين وذات اليسار ، فنظر البحيرة العجيب عن أيماننا ، ومنظر الجبال الغريب عن شمائلنا ، وفي كل منهما آيات للناظرين ، ومعاني للمتفكرين ، تثير في الخيال هواجس الشعر ، وتنفث في الوهم رقي السحر ، وتلقي في العقول معاني الفنون ، وتوحي الى القلوب حقائق الايمان بمن يقول للشيء كن فيكون،

تذكرت برؤية تلك الجنات الغناء، والغابات الغبياء ، والرياض الفيحاء ،

الرحلة الاوربية

٢

السفر من تريستة

سافرنا من تريستة يوم الخميس في الربع الاخير من الساعة السابعة صباحا (٦ س و ٤٥ د) في قطار أوربة الا كبر وكان موعده قبل ساعة ولكنه تأخر لتأخر مجيئه من الآستانة

سار بنا القطار في خيف شجير ، من ذلك الجبل النضير ، فكانت شجراؤه عن يميننا في الجبل وعن يسارنا فوق البحر ، ومازال يتسلق بنا متلويا كالارقم في الاجم ، حتى استوى على تلك السهول الفيحاء ، والسهوب الشجراء ، ذات المروج الخضراء ، والرياض الغناء ، الكثيرة النوار ، والمفتحة الازهار ، حتى كان الزمان قد استدار ، فتحول الشطر الثاني من آب الى مثله من نيسان وأوائل أيار — وهي السهول المعروفة بسهول لومباردية — ، وبعد أربع ساعات وصل الى مدينة البندقية (فينيسية) وهو يدخل اليها على طريق يبس في رقراق من الماء يسير فيه خمس دقائق يقطع فيها زهاء أربعة أميال (أو ٥ كيلو) ثم عاد بنا القهقرى في ذلك الماء بعد وقوف دقائق في المحطة ثم وصلنا الى مدينة (ميلان) وقت العصر (الساعة ٣ و ٤٥ دقيقة) ومكث في محطتها نصف ساعة تزود فيها ما يحتاج اليه من الفحم والماء ، وبين البندقية وميلان بلاد وقرى كثيرة عامرة لا يقف عليها القطار العام السريع وإنما المواصلات بينها بالقطر الوطنية .

وأما هاتان المدينتان فهما من أعظم المدن ذات الصناعات الجميلة والآثار التاريخية التي يقصدها السياح من الاقطار ولو شئنا لنقلنا من كتب التاريخ شيئا من وصفها كما يفعل كثير من الناس فيما يكتبون في رحلاتهم ، ولسنا من مستحسني هذه الطريقة باطلاق ، وإنما يحسن فيها تقييد بعض الشوارد المبعثرة ، والنوادر التي لا تنال باليسير من المراجعة ، والنوادر التي تزدان بها المحاضرة ، وما يستنبطه السائح من العبرة والفائدة ، حتى فيما صورته الفكاهة والتسلية

ومما لاحظته في نبات هذه الارض ان اكثر شجرها صغير ومتوسط العمر لعل اكبره لا يتجاوز عشر سنين وذلك أنهم يتناولونه بالقطع للاستفادة من خشبه ولكن بالقرب من ميلان أدواحا عظيمة باسقة ، كأنهم يستبقونها

تأتي على الروض نثير عسجد فتحسب الروض عروساً تجتلى (٨)

وأين هذا الوصف القاصر ، من هذا المنظر الناضر ، والجمال الساحر ، وأنى لي بتخيل مثله في طرابلس والقلمون ، وان كانت كثيرة الجنات جارية العيون.

كل هذا الجمال والجلال ، الذي تجلى علينا بمناظر البحيرة وما يحيط بها من الجبال ، وما يزين ضفافها وجزائرها من القصور والفنادق ، والجنات والحدائق ، والفلك والزوارق ، وما تولده من المعاني الشعرية ، والخواطر الاجتماعية والروحية ، لم تكن لتنسيني أن ولدي مريض ما أدري مافعل الله به ، ولا لتصرفني عن الخوف عليه والدعاء له ، ولاسيما في أعقاب الصلوات ، وما وفقت له من تلاوة القرآن . والوضوء والصلاة في هذه القطر من أسهل الامور ، ومعرفة سمت القبلة فيها ميسور ،

وانتهينا عند الساعة السابعة مساء الى محطة وقف فيها القطار نصف ساعة لانكسار مركبة الطعام هنالك وقد ظننا انها اصلحت في تلك المدة ولكن خاب الظن وبقينا بغير عشاء، على اننا مكثنا زمنا طويلا في المحطة التي بعدها وهي آخر محطة طليانية وفيها مطعم عام، الا اننا شغلنا عن الطعام فيها بعرض جوازات السفر وتفتيش الصناديق وبما اتخذ من المعاملات الجركية بشأن لفائف التبغ التي يحملها الرفاق

ثم سار القطار بنا ولم يلبث أن دخل في النفق الكبير الفاصل بين ايطالية وسويسرة ومكث في بطن الارض ٢٥ دقيقة ثم تجاوزه ووقف بنا بعد نصف ساعة في أول محطة سويسرية فكثنا فيها مدة لاجل معاملات الاجوزة وقد أخذوها منا واعدين باعادتها الي في جنيف. ثم سرنا فوصلنا الى مدينة (لوزان) في منتصف الليل فلم ندرك القطار الذي يسافر ليلا الى جنيف لتأخرنا عن الموعد فبيتنا بقية ليلتنا في فندق (فيكتوريا) بقرب المحطة وقد طلبنا فيه طعاماً فقيل لنا أن المطعم قد أقفل ولا طعام الا الخبز والجبن والزبد والمربى والفاكهة فجاؤنا من ذلك

تنصب على الابواب والنوافذ مؤلفاً كل منها من ستربن بينهما فرجة وقيل السجف الشق بين السترين المقرونين . والكوى بالضم جمع كوة وهي النافذة الصغيرة. والخلل بالتحريك ما بين الاشياء من فرجة . ورنا اليه وله رنا ورنوا نظر ، بل هو اطالة النظر مع سكون الطرف كنظر العاشق (٨) العسجد الذهب . والنثار والنثير ما ينثر أي يلقي متفرقا وكانوا ينثرون الدنانير حول العروس

وصفي لروضة من روضات الوطن في مقصورتي وهو:

وروضة تجلى بثوب سندس رصعها النور بأصناف الحلى (١)

ماصوح البارح غض نجمها وناضر الافنان منها ماذوى (٢)

والباسقات رفعت أكفها تستنزل الغيث وتطلب الندى (٣)

تمتاح (الكربون) من ضرع الهوا تؤثرنا بالاكسجين المنتقى (٤)

مدت على الصعيد ظلاً وارفا فلا ذأي العود ولا الظل أزى (٥)

والشمس تبدو من خلال دوحها آونة تخفى وتارة ترى (٦)

كغادة وضاحة قد أتلعت من خلل السجوف ترنو الكوى (٧)

---

(١) الروضة الموضع المعجب بالزهور قاله في المصباح وأصله مجتمع الماء ثم أطلق على ما يحدثه الماء من النبات والزهر وهو الترويض . والنور بالفتح زهر النبات والشجر واحده نورة فهو كتمر وتمرة وجمعه أنوار ونوار بوزن تفاح . والحلى بالكسر وبالضم جمع حلية بالكسر وهي ما يتزين به النساء من الجواهر. والترصيع تزيين الحلي والحلل بالجواهر التي شبه بها هنا أصناف النوار (٢) البارح الريح الحارة وتصويحها للنبات تجفيفه والنجم النبات الذي لا ساق له ويقابله الشجر وأشير اليه بالافنان وهي الاغصان وذوى يذوي ذبل (٣) الباسقات جمع باسق وباسقة وهو ما ارتفع وذهب في الافق طولاً وارتفاعا وأكثر ما استعمل في وصف النخل والسحاب والمراد هنا كل ما ارتفع من الشجر كالحور والسرو، وأكفها أغصانها المورقة، وارتفاع الشجر سبب من اسباب المطر، والندى المطر أو مادون الغيث من ماء السماء أي ما يتكاثف من بخار الماء بالتدريج فيحدث بللا . ومنه الندى بمعنى الجود والسخاء. وفي اللفظ هنا تورية لطيفة، على ما فيه وفيما قبله من استعارات طريفة ،

(٤) تمتاح ترتضع والكربون عنصر كيماوي يكثر في الفحم والاكسجين عنصر آخر يدخل في تركيب الهواء والماء وهو علة أو سبب من أسباب حياة الحيوان والنبات ، وباستنشاقه في الهواء يطهر الدم من المواد السامة والشجر ينتشق حمض الكربون السام من الهواء ويفرز الاكسجين النافع المطهر للدم منه ومن غيره

(٥) الصعيد وجه الارض والظل الوارف المتسع الممتد . وذأى ذأيا وذأوا ذبل كزوى ، وأزى يأزي وأزيا يأزوا تقبض وتقلص (٦) الدوح جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة (٧) الغادة الحسناء الناعمة اللينة العنق والقوام واتلعت مدت عنقها متطاولة لتنظر . والسجوف جمع سجف بفتح السين وكسرها وهي الستور التي

وجلّل الأفق فكل جانب منها كأن من قطره المُزْنُ حبا (٣)
وطبّق الارضَ فكل بقعة منها تقولُ الغيث في هاتا ثوى (٤)
اذا خبَتْ بروقه عنّت له ريحُ الصبا تشُبُّ منه ما خبا (٥)
وان ونَت رعوده حدا بها حادي الجنوب فحدَت كما حدا (٦)
كأن في أحضانه وبَرْكه بَرْكاً تداعى بين سَجْرٍ ووَحى (٧)

عاما كما صرح به في البيتين التاليين لهذا (٣) جلل الافق غطاه وعمه بستره اياه ، والمزن السحاب الممطر . وحبا زحف ودنا يقال حبا الصبي اذا زحف ، والمعنى انه بعد ان عم الافق وجلله صار كل قطر من أقطاره كان المزن قد زحف بصيبه منه اذ لم يعد خاصا بالجنوب حيث نهض ولا بالشرق حيث امتد (٤) طبق الارض غطاها وجللها بقطره كما طبق هو الافق بنفسه - وعده في الاساس مجازاً - فكل بقعة منها تقول ان الغيث قد ثوى في هذه دون غيرها كما يؤخذ من تقديم الظرف والمعنى يقتضيه . وهاتا اسم اشارة للمؤنث معروف كهذه وهذي وتستعمل كلها بدون هاء التنبيه أيضا (٥) خبا البرق سكن كالسراج اذا طفيء يقول اذا خبت بروق هذا الجون عنت وعرضت له ريح الصبا فاعادت وميضه ولمعانه كما تشب النار السراج بعد انطفائه (٦) ونت ضعفت او فترت ، وحدا الابل وحدا بها غنى لها ينشطها على السير : وحادي الجنوب وفي رواية راعي الجنوب معناه الجنوب الذي هو كالحادي أو الراعي للابل لانه هو الذي يسوق السحاب. يقول: وان ضعفت أو فترت رعوده انبرى له من ريح الجنوب عاصفة مايصيح به كما يصيح حادي الابل بها اذا ونت وضعف سيرها فعادت تجاجل بصوتها كأنها تجيبه عن حدائه عثله. وليس المراد ان البرق ومض بتأثير ريح الصبا وحدها في السحاب والرعد بقصف بتأثير ريح الجنوب وحدها، بل المراد ان هذا السحاب الذي تعاونت الجنوب والصبا على اثارته ولقحته ببردها فحمل القطر ثم ألقى حمله على الارض تتعاون الريحان في شب بروقه وقصف رعوده بجمعهما بين زوجي الكهربائية الايجابي والسلبي الذي يشب البرق فيحدث بشبوبه تفريغ الهواء الذي هو سبب الرعد. وفي الكلام من ظريف الاستعارات ما ترى وتسمع. وقد فسر الاستعارات من مكنية وتمثيلية بالتشبيه الصريح في البيت التالي وبما بعده (٧) البرك الاول الصدر والثاني جماعة الابل الباركة وانما يقال برك البعير لانه يلقي بصدره الى الارض ، وتداعى أصله تتداعى أي يدعو بعضها بعضاً

بأفضل أنواعه مع الماء المثلوج والثلج لتبريد الفاكهة وهي موز وتفاح وكمثرى فكان هـذا العشاء أشهى وألذ من كل طعام أكلناه في أوربة اذ كان عقب جوع صحيح وتعب طويل

أكلنا طعاماً لطيفاً لذيذاً ، ونمنا نوماً هادئاً مريحاً ، على سرر مرفوعـة وفرش وثيرة نظيفـة ، ولكل حجرة من حجرات النوم حمام خاص ، تمتعنا بها في ليلنا وفي صبيحته

كان الجوّ في ذلك اليوم الذي قطعنا به أرض ايطالية يوم صيف معتدل ، وان كانت أوضها أرض ربيع مدبراً ومقبل، ولولا غمام رقيق كان يكفكف بعض أشعة الشمس ، لعد هنالك من أيام الحر ، وقد تغير الجو علينا في سويسرة بعد نصف الليل فهب الهواء البليل ، ولما أصبحنا رأينا السحاب يتكاثف في الافق ، ثم طفق يجود برذاذ لطيف ، ثم تكاثف السحاب قبل الظهر ، واشتد المطر بعد العصر ، فكان كما وصفه ابن دريد بقوله :

جَوْنٌ أعارته الجنوبُ جانبـاً منها وواصتْ صوبه يَدُ الصَّبا (١)

نَاءَ يمـانيا فلما انتشرت أحضانُه وامتـدّ كِسراه غَطا (٢)

(١) قوله جون صفة لمحـذوف تقديره سحاب جون وهو فاعل لقوله سقى العقيق الخ في بيت سـابق. والجون الاسود ويطلق على الابيض فهو من أسماء الاضداد التي يتعين المراد منها بالقرينـة والمراد بالجنوب الريح التي تهب من جهة الجنوب فتجيء بالمطر ، والصبا الريح الشرقيـة ، وهي تتحد مع الجنوبية كثيراً وتشبهها كما أن الريح الغربية تتحد مع الشمالية وتشبهها ويكثر مجيء المطر بعدهما في نصف الارض الشمالي كما يكثر مجيء المطر بعـد الاوليين في النصف الجنوبي . وواصاه وواصله والمعنى ان هذا السحاب بدأت الجنوب باثارته بحركتها، وبتلقيحه ببردها ثم واصلت الصبا بهبوبها ما بدأت به أختها (٢) ناء نهض بثقل وجهد وبالامر نهض به بتعب ومشقة وأحضان الشيء نواحيه وأصله ما دون الابط الى الكشح من الانسان، والكسر بكسر الكاف وفتحها ما تكسر وتدلى من الخباء الى جهة الارض ، وهو استعارة جميلة. وغطا يغطو ارتفع وقيل انبسط ، والمعنى ان هـذا السحاب الجون ناء بحمل الماء حال كونه يمانيا اذ اليمن من بلاد العرب في الجنوب وقد بدأ ظهوره منها فلما انتشرت جوانبه بمواصاة الصبا ومواصلتها لعمل الجنوب فيه وامتد كسراه الجنوبي والشرقي في سائر الافق ارتفع اذ خف حمله بما أفرغ من ثقله أو انتشر وصار

كأنما البيداء غِبَّ صَوْبه بحرٌ طما تياره ثم سجا (٤)

هذا واننا كنا نريد أن نسافر الى جنيف قبل الظهر ولكن جاء منها لاستقبالنا من كان فيها من إخواننا السوريين ـ نجيب بك شقير وصلاح الدين افندي قاسم وتوفيق افندي اليازجي الذي كان سبق من قبل حزبنا للاستعداد للمؤتمر فتأخرنا الى المساء، ولم نتمكن من التجوال في لوزان لشدة المطر ، ثم سافرنا عند انتهاء الساعة الخامسة مساء والمطر يهطل والريح تمنعنا من فتح نوافذ القطار، ومناظر سويسرة تأخذ بأبصارنا ذات اليمين وذات اليسار، فوصلنا الى جنيف في خمسين دقيقة (للكلام بقية)

﴿ الرحلة السورية الثانية ﴾

(١٠)

حكومة دمشق العربية

كنت قبل سفري الى سورية سألت عن حكومتها بعض من جاء منها الى مصر من السوريين والاجانب الذين يوثق بعلمهم ورأيهم — ومنهم الجنرال كليتون الشهير والدكتور بشير القصار منا — فقالوا انها ليست رديئة وليست كما يجب من كل وجه، وهي شهادة حسنة لحكومة جديدة ، هذه حقيقة حالها في ذاتها ، ففيها ضعف بالنسبة الى ما يجب ان تكون عليه كل حكومة في هذا العصر . ولكنها كانت على ما فيها من ضعف وقصور خيراً من حكومتي الاحتلال في المنطقتين الاخريين : الجنوبية (فلسطين) الانكليزية ، والغربية (لبنان وساحل سورية) الفرنسية

كانت هذه الحكومة العربية الطفلة أقرب الى العدل والحرية والمساواة والاصلاح ، وأبعد عن التعصب والمحاباة والافساد الادبي والاقتصادي من حكومتي

الكافي الذي يحمل المعطى على أن يقول حسبي حسبي . والماء الروى بكسر الراء المشددة والقصر — الغزير المروي كروي ورواء بالفتح ، والمعنى أنه أروى ظاهر الارض وباطنها وأحدابها وأيفاعها التي ينحدر عنها الماء فلا ترتوي الا بالغزير المتصل

(٤) البيداء الصحراء ، وصوب المطر نزوله وانحداره ، وطما ارتفع ، وتياره موجه ، وسجا سكن . والمعنى ان البيداء كانت غب نزوله اي بعده كبحر ارتفع موجه واضطرب ، وسكن بعد ذلك ثم ذهب ، وبذلك كان رحمة لا نقمة

لم تر كالمزن سواماً بُهلاً تحسبها مرعية وهي سُدى (١)
يقول للأجراز لما استوسقت بسوقه ثقي بري وحيا (٢)
فأوسع الأحداب سيباً مُحسباً وطبّق البُطنان بالماء الروى (٣)

والسجر والسجور حنين الناقة وجعله الراغب استعارة من سجر النار لالتهابها في العدو . وفي مجاز الاساس : سجرت الناقة سجراً وسجرت تسجيراً امدت حنينها في أثر ولدها وملأت به فاها . قال :

حنت الى برق فقلت لها قري بعض الحنين فان سجرك شائقي

وانما قيد الحنين هنا بالممتد الذي يملأ الفم لان حقيقة السجر الملء يقال سجر التنور اذا ملاها لهباً وسجر المطر الوادي اذا ملاه والبحر المسجور الممتلىء . وقوله « قري » في الشاهد أمر من الوقار والسكون يقول للناقة لاتجعلي حنينك ممتداً دائماً بل اكتفي ببعضه والتزمي أقله فان سجرك يشوقني الى وطني ومن أحب فيه فأحن اليه كما تحنين الى فصيلك . والوحى كفتى الصوت الذي ينقضي بسرعة، والعجلة والسرعة، ويقال الوحى الوحى والوحاء الوحاء في طلب النجدة والاغاثة السريعة. والمعنى كان مافي جوانب ذلك الجون وفي صدره وهو وسطه من قطع السحاب التي تجتمع وتفترق وتتحول من جانب من جوانب الافق الى آخر بين وميض البروق وقمقمة الرعود التي تمتد وتقوى أحياناً وتنقضي أحياناً بسرعة — كأن في ذلك — ابلا باركة يدعو بعضها بعضاً الى التحول والانتقال فتنتقل بين حنين خفي قصير وحنين ممتد طويل

(١) السوام الابل السائمة أي الراعية وأسامها رعاها فهو مسيم، والبهل التي لم تحلب فهي ملاى الضروع بالالبان وناقة باهل غير محلوبة ولا مصرورة أي ولا مربوطة الضرع، يحلبها من شاء، وقيل المتروكة الرعي، والسدي المهملة التي لاراعي لها. والمعنى أن هذه السحب المطرة في كل مكان، التي تشبه السوام البهل المبذول لبنها لكل انسان، تحسبها في انتقالها وحركاتها بتأثير الرياح كالمرعية التي يسوقها الراعي الى حيث يشاء وهي في نفس الامر سدى مهملة لاراعي لها لان الرياح ليس لها ارادة في تحريكها وسوقها. (٢) الاجراز جمع جرز (بضمتين) وهو الارض اليابسة التي لانبات فيها لجفافها، واستوسقت حملت من أوساق الماء ماجمعت ، والتوسق جمع المتفرق ومنه الوسق بالضم للكيل المعلوم . والري بالكسر الشبع من الشرب، والحيا بالقصر يطلق على المطر وعلى ماينشأ عنه من النبات والخصب والمعنى ظاهر (٣) الاحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الارض والبطنان بالضم جمع بطن ، والسيب العطاء والمحسب

هذه السبيل، وانما يمكن جمع حملة متطوعة برجال الحجاز ، وكان هذا أفضل موقف للوزارة الاتاسية مع الملك فيصل لشدة اهتمامه بهذا الامر وتصريحه للاتاسي وغيره بأنه اذا وقع القتال بين والده و بين ابن سعود فانه يغادر سورية و يذهب بنفسه للقتال سواء ساعدته حكومة الشام أم لا، ولكن لم يقع ما كان يتوقع ولو وقع فأصر فواتته الوزارة لعجزت عن التنفيذ وكان هذا رأيي اذ شاورتني في الامر

لو وجدت في الشام وزارة حازمة بصيرة لامكنها أن تعمل في البلاد عملا عظيما في فرصة الاستقلال وارتفاع السيطرة العسكرية البريطانية عن المنطقة الشرقية ، وقد كان لي أمل كبير في وزارة علي رضا باشا الركابي - لا أدري أ كان للصلة الودية بيننا تأثير فيه أم لا — ولا أدري كنه السبب لخيبة هذا الامل . كان بعض الناس يبالغ لي في الطعن فيه و بعضهم يدافع عنه ، ولم أستطع الوقوف على حقيقة رأيه في موقف البلاد السياسي ، ولا فيما يجب أن تكون عليه الحكومة على ما كان من احترامه إياي وحسن اعتقاده الذي هو فوق ما أشرت اليه في الفصل الذي قبل هذا ، وانما كنت أعجب لكلمة سمعتها منه مرة أو مرتين وهي إن استقلالنا مضمون وانكلترة وفرنسة متفقتان عليه ! ! وقد اقترحت عليه شيئا واحداً من الاصلاح ، وهو وضع ادارة منظمة للعشائر والقبائل بينت له بعض مسائلها ومايرجى منها، فأظهر لي منتهى الاستحسان لها، وطفق يماطل و يسوف فيها مع إقناعي للملك فيصل بوجوب العناية بها، وأمره إياه بتنفيذها، ولم يفعل. وقد كثر بعد الاستقلال المنتقدون له حتى صار أكثر أعضاء المؤتمر وافراد حزب الجمعية التي ينتمي هو اليها وهو حزب الاستقلال العربي عليه، وانتهى ذلك بانحراف الملك عنه، وعقدت اجتماعات سرية للبحث في اسقاط وزارته حضر بعضها الملك فيصل وتقرر فيها استبدال وزارة قوية بها، فتألفت وزارة هاشم بك الاتاسي ودخل فيها الدكتور عبد الرحمن شهبندر والمرحوم يوسف بك العظمه وكان الكاتب هو المقترح الاول لادخالهما في هذه الوزارة . وأما الرئيس فاختاره الملك فيصل، وقد كان أحد أعضاء لجنة الشورى السرية

قد استطاع هاشم بك بدماثته ولطفه إرضاء الملك، ولكنه لم يكن بالرئيس الذي يرضاه في هذا الوقت المؤتمر ولا الاحزاب وفي مقدمتها حزب الاستقلال العربي الذي

الدولتين اللتين ابتدعتا لنا بدعة الانتداب لاصلاح بلادنا بحجة أننا عاجزون عن النهوض بأمر أنفسنا ، ولقد كانت هذه الحكومة بعد زوال السيطرة البريطانية ولا سيما بعد اعلان الاستقلال خيرا منها قبل ذلك: كانت متوجهة الى الاصلاح الاداري والعلمي ، وكانت الحرية بجميع أنواعها ولا سيما حرية الاجتماع والخطابة والنشر مما تحسدها عليه سائر البلاد السورية ومصر ، وزال من دمشق ما كانت مشهورة به من المبالغة في الحفاوة والتعظيم للحكام والوجهاء ، وشعر الشعب بحرمته وكرامته ، وقد كان لتواضع فيصل وآدابه الشخصية العالية تأثير عظيم في ذلك

كان اليهودي الصهيوني يحابى في فلسطين فيقدم على المسلم والمسيحي بغير حق ، وكان الكاثوليكي يحابى في الساحل كذلك ، ولم يكن المسلم يحابى في حكومة الشام ، ولا شكا مسيحي ولا يهودي من الحكومة ولا من الاهالي تعصبا عليه ، ولا ظلما له من المسلمين ، ولم يكن المسلمون يرجون من الوزراء ورؤساء الحكومة المسلمين مالا يرجون من الوزراء والرؤساء من النصارى . وما أبرّئ هذه الحكومة من عيب محاباة الكبراء وقبول شفاعتهم في طلاب وظائفها بدءا وترقية ، وكان أكبر هذا الضعف في الوزراء والرؤساء بازاء الملك فيصل وعشيرته والمقربين منه فان هؤلاء قد اعتادوا على عهد سلطتهم العسكرية المطلقة أن يتصرفوا في الاعمال والأموال بما شاؤا وكيف شاؤا ، فصعب عليهم بعد اعلان الاستقلال أن يتقيدوا بقانون ونظام ، ولم يكن للوزراء من الشجاعة الادبية والتكافل ما يؤهلهم لتقييدهم وتعويدهم الوقوف عند حدود سلطتهم الرسمية ، اذ كانوا هم قد اعتادوا في عهد الترك أن يميلوا مع أهواء الرؤساء والكبراء ، ومع هذا أمكن لحكومة الاستقلال أن تقيد الملك براتب محدود لم يكن راضيا به على كثرته ، وكان يستهلك راتب كل شهر في أوله أو قبل بدو هلاله ، ويطلب من وزارة المالية سلفة بعد سالفة فلا ينال كل ما يطلب ولا أكثره بسهولة . وقد كان نفوذه في بعض الوزارات أقوى منه في غيرها ، واختلف مع الوزارة في عدة مسائل من أهمها انه كان يريد ارسال حملة من الجيش السوري الجديد لقتال ابن سعود إنجادا لوالده — اذ ثبت ما كان أشيع من عزم الاخوان النجديين على الاستيلاء على المدينة المنورة — فلما كاشف الوزراء بذلك حاروا في أمرهم ، وبعد تشاور وتدبر قرروا الرد عليه بأنه لا سبيل الى ارسال حملة من جند الحكومة ، ولا انفاق شيء من مالها في

أنه عدو له حتى إنه قال لي يوما: إنني لما عرفت شهبندر احتقرت جميع أهل الشام، ولكن رضاه في ذلك الوقت، كان سببا لسخط جمهور الشعب.

وقد أفضى ضعف الحكومة ولينها وطمع الطامعين فيها الى ان تجرأ الساخطون عليها من الطامعين في المناصب والمواهب الملكية على الطعن فيها؛ وتأليف الاحزاب لمقاومتها، وكان بعض العلماء والعامة، يكثرون الطعن في وزير المعارف خاصة، ويزعمون إنه يريد اضعاف الدين في المدارس وتعويد البنات فيها على التهتك، وطالما راجعوني في هذا قبل اعلان الاستقلال وبعده متوسلين بي الى السعي معهم لدى الامير ثم الملك بعزله، فكنت أنصح لهم بالتأني وأحسب حسابا لتعود الشعب الافتيات على الحكومة ولاسيما الطامعين منه في أعمالها ومناصبها، وأرى أن السعي لتلافي الخلل واقناع الحكومة باصلاح ماينتقد عليها بحق أحسن عاقبة من إطماعهم فيها. وقد ذكرت رأيي هذا لمدير المعارف ثم وزيرها ليكون على بصيرة من أمره. ولم يقف تأثير ضعف الحكومة في الشعب عند هذا الحد بل أفضى أخيراً بالساخطين والطامعين أن تجرءوا على السعي لهدم الاستقلال والتزلف الى الاجانب فقوي الحزب الوطني المتهم بموالاة فرنسة وهو الذي كان يرأسه عبد الرحمن باشا اليوسف. حتى إنه بلغ الحكومة أنهم عزموا على تأليف وفد فيه سبعة من حملة العمائم، وسكنة الاثواب العباعب، يرسلونه الى باريس لطلب الانتداب الفرنسي على جميع البلاد السورية، ولم تفعل الحكومة شيئاً — وأغرب من هذا ان بعض الموظفين في بلاط الملك سرق دفتر الخزينة الخاصة مرتين ولم يشك أحد علم بذلك في سببه ... ولم يعاقب بل لم يحاكم بل لم يجر في البلاط تحقيق بشأنه

وكان بعض الوزراء كيوسف بك العظمة (رحمه الله) يخص وزير الداخلية بالتقصير في ايقاف الاحزاب المعارضة عند حدها فقلت لهم كلا ان هذا يطالب من الوزارة كلها لا من الداخلية وحدها

أكتفي بهذه الخلاصة من بيان ضعفنا وتعليل عدم نجاحنا، عسى أن نعتبر به في مستقبل أمرنا، وأعيد القول بأن حكومتنا كانت مع هذا خيراً من حكومتي المنطقتين الاخريين من بلادنا أمناً وعدلا ومساواة وتقدما في العلم والاقتصاد، وسأتكلم في الفصل الآتي على المؤتمر

هو منه، لان الجميع كانوا يطلبون وزارة دفاعية تصرف جل جهدها في الاستعداد للدفاع عن الاستقلال اذا اعتدي عليه ، أو يكون الاستعداد سببا لعدم الاعتداء . فلم يلبث أن ضايقه المؤتمر والحزب، وتوجه رأي الاكثرين الى وجوب تبديل وزارته وكثر الانتقاد في المؤتمر عليها، والاقتراحات في أمر استيضاحها عن موقف البلاد ، والاستعداد للدفاع، وكنت أجتهد في حمل المؤتمر على الاناة والتروي والحزب الغالب يظاهرني ولما علم حزب الاستقلال بانذار الجنرال غورو للملك فيصل اجتمعت الجمعية العامة له في الليلة الـ ٢٧ من شوال (١٣ يوليو) وانتخبت وفدا مؤلفا من أعضاء اللجنة المركزية وسبعة من غيرهم لابلاغ الملك فيصل وجوب تبديل الوزارة فان لم يجب يكلف هاشم بك أن يستقيل ويقنع الملك بأن يكلف ياسين باشا الهاشمي تأليف وزارة دفاعية. وكان كاتب هذا رئيسا لتلك الجلسة ثم الوفد ، فلما بلغنا الملك ذلك أجاب جوابا جافا خلاصته أنه لا يعمل برأي جمعية ولا حزب ولا المؤتمر ، وأجبته جوابا أشد من جوابه وأجف أو اجفى ، ولا حاجة الآن الى تفصيل ذلك ، ثم كلفت رئيس الوزارة الاستقالة باسم الوطن واسم الاخوان فأجاب بالقبول — قال ولكن أليس يجب الاتفاق قبل ذلك على من يخلفنا لئلا يكونوا ممن تنكرون منهم ما لا تنكرون منا ؟ فأنتم تثقون بوطنيتي ولا تشكون مني الا الضعف عن النهوض باعباء الحال الحاضرة، وربما كان الخلف الذي يرضاه الملك أضعف وغير موثوق بوطنيته ، وقال ان الملك لن يولي الهاشمي الوزارة بل اجتهدنا في اقناعه بأن يوليه وزارة الداخلية فأبى

إنما موضوع كلامي هنا بيان ضعف الوزارة لا ترجمة الملك فيصل ، ولا تاريخ تلك الايام المفصل . وقد كنت كلمت الامير زيدا في ذلك اذ خلوت به مرتين في أيام فرصة عيد الفطر — احداهما في داري والاخرى في البلاط — وكان يشكو من ذلك مثلنا . فقلت له : إن الاصلاح لن يكون الا بترك الملك التدخل في أعمال الوزارة بنفوذه الشخصي — فاعتذر عن تدخل الملك بأن سببه ضعف الوزارة وعجزها ، فقلت له: إنما يجب عليه إصلاحها لا التصرف الشخصي في جزئيات أعمالها الذي يزيدها خللا. وقد كان الملك فيصل راضيا كل الرضى عن وزارة الاتاسي، ولا سيما وزير الخارجية الدكتور عبد الرحمن شهبندر الذي كان من قبل يكرهه ويظن

الترك

أما الترك فهم على كونهم قد استفادوا من العبر بهذه الحرب اكثر من غيرهم ، وعلى كونهم لايزالون أعظم استعدادا من غيرهم لحماية حقيقتهم، والدفاع عن بيضتهم، وعلى انتفاعهم بعطف العالم الاسلامي كله — ولا سيما مسلمي الهند — عليهم، وعلى تسخير الله الدولة الروسية عدوتهم التاريخية الكبرى في عهد القياصرة الى مساعدتهم، وعلى استفادتهم من الخلاف السياسي بين فرنسة وانكلترة ـ هم على هذا كله ـ لايزالون على خطر من اصرار الدولة البريطانية على ثل عرشهم (رفعه الله) وتقويض دعائم ملكهم (حماه الله) ولا تزال اليونان محتلة لجزء عظيم من بلادهم. وذلك يوجب عليهم من الحذق والدهاء في السياسة مع الاستعداد الحربي ومن التفاني في الاصرار على الاستقلال المطلق، والحرص على استدامة صداقة الشعوب التي عطفت عليهم والسعي لاكتساب مودة غيرها ما نرجو أن يكون فيهم من الرجال من يقوم به كله

مصر

وأما مصر فقد استفادت من جهادها رفع الانكليز للحماية الباطلة عنها ، واعترافهم بالاستقلال والسيادة القومية لها ، وتلا ذلك اعتراف الدول بذلك واحدة بعد أخرى، فصارت أقدر على الجهاد في سبيل ازالة الاحتلال الاجنبي عنها وعن سودانها الذي هو مصدر حياتها، اذا هي وحدت أحزابها وعرفت كنه قوتها ، وانما هي قوة سلبية اقتصادية، لاحربية ولا عدوانية

العرب

وأما سائر العرب فلا يزالون على ما شكونا منه من تفرقهم الا أن اخواننا العراقيين قد أقروا أعيننا بما علمنا من اتفاق السواد الاعظم منهم على الاستقلال المطلق من قيود الحماية والوصاية والانتداب ، وعجز الدسائس الاجنبية عن تفريق كلمتهم وعن خداعهم بجعل السيطرة عليهم مموهة في شكل معاهدة ، ولكن ساءنا غفلة الكثيرين منهم عما تبغيه من ايقاع العداوة والبغضاء بينهم وبين جيرانهم النجديين ، وما يجب من تحامي ذلك والحذر من إلباسه لباس الدين ، ونرجو أن يفطن لذلك سلطان نجد الحكيم ، ويعلم أن الاجانب يخوفون العراقيين من عدوانه عليهم ليرضوهم ببقائهم تحت سيطرتهم العسكرية . واننا نعتقد أن دينه وعقله يأبيان عليه أن يجعل نفوذه آلة حربية للاجنبي يخضع بها أخصب بلاد العرب وأوسعها لسلطته

احوال العالم الاسلامى

لم يبق ريب ما في أن الشعوب الاسلامية قد استيقظت من رقادها السياسي الذي كاد يكون موتا زؤاما ، وذلك بعد أن بلغ الضيم فيها غايته بهذه الحرب الاخيرة ، وأحيط بها أوكاد ، ولا يزال الطامعون يحاولون الاجهاز عليها ، والقضاء على ما بقي من ملكها ، لئلا تحيا بهذه اليقظة حياة جديدة تنال بها حريتها ، وتحفظ حقيقتها ، ولكنهم غير متفقين على قسمة الغنيمة ، وشعوبهم تناقشهم الحساب على ما ينفقون في سبيل التوسع في الاستعمار ، وسياسة الشعوب بقوة الحديد والنار ، لان هذه الحرب قد أكلت ثروتها ، وضاعفت الضرائب عليها ، فهذه فرصة يجب على الشعوب الاسلامية اغتنامها بتقوية أنفسها ، وتعاونها فيما بينها وبين سائر الشعوب الشرقية المجاورة لها ، والظاهر أن كلا منها يبذل جهده بقدر ما يصل اليه علمه وقدرته

الافغان

واننا نرى الشعب الافغاني خيراً من غيره فهو لا يهاجم الآن ولا يقاوم من الخارج ، ولا شقاق يعرقل عمله في الداخل ، وقد سلك طريقة الحياة المثلى اذ جعل همه الاول في تنظيم القوة العسكرية عالما أن خصمه لا يحترم غير القوة ، ثم في التعليم وتنمية الثروة لان القوة وسائر شؤون العمران متوقفة عليها ، وهو مع هذا يعتصم بولاء اخوانه من الشعوب القريبة منه كالفرس والترك . ومن توفيق الله تعالى ان كان أميره في هذا الطور من أفضل أمراء الشرق علما وعقلا وأخلاقا وهمة وحزما وعزما ودينا

الفرس

ويسوءنا أن جاره الشعب الايراني لا يزال مصابا بالشقاق الداخلي الذي كان سببه الباطن تأثير التعاليم الافرنجية ، والدسائس الانكليزية والروسية جميعا ، فعسى أن يوفق في هذه الفرصة السانحة الى جمع كلمته ، واتفاق زعمائه على خطة واحدة ينحون فيها نحو جيرانهم الافغانيين . ونذكر الزعماء المختلفين أن دوام الخلاف باصرار كل فريق منهم على تنفيذ رأيه دون غيره أشد خطرا على البلاد من الاتفاق على خطة يرى بعضهم أن فيها شيئا من الخطأ فان الشقاق الداخلي اكبر المهالك . ولا سيما في مثل هذه الايام والاحوال التي هم فيها

بعض وكلاء المنار

الولايات المتحدة	الشيخ حسين حسن خروب
	H. H. Karoub. 29 1/2 la Belle Ave. H. P. Detroit Mich. u. s. a
الارجنتين	عبد الكريم افندي عكرة
طنطا — مصر	الشيخ محمد الابياري السروي
الوجه القبلي	الشيخ محمد محمد السمان
دمياط	الشيخ عبد الرزاق حمزة

وهو لا يجهل ان استتباب السلطة الاجنبية في العراق والشام خطر على استقلال نجد وسائر جزيرة العرب ، وقاض على كل سلطة للاسلام فيها، ولا سيما اذا امتدت فيها السكك الحديدية العسكرية ، وقواعد الطيارات الحربية ، التي تؤسسها السلطة البريطانية في العراق وشرق الاردن من سورية، ولكن الحجازيين يجتهدون في بث الدعوة (البوربغندة) لتشويه سمعته ، والطعن فيه وفي أهل بلاده ، ويوهمون الناس انهم وحوش ضارية يستحلون سفك الدماء بغير حق، فيعاقبون بالقتل على أقل ذنب ،أو مالا يعد عندغيرهم بذنب ، وغير ذلك من الزور والبهتان والكذب ، وقد راجت هذه الدسائس حتى في سورية وفلسطين ومصر

والحق انه لايوجد فيما نعلم من أمر بلاد الاسلام قطر يقام فيه الاسلام مثل نجد، سواء في ذلك الاعمال الشخصية والقضائية أو بث الدعوة ومقاومة البداوة، والزام البدو بالعمران والحضارة ، ومنعهم من الغزو والعدوان بغير حق، لاجل الارتزاق والكسب، وإنما يقاتل النجديين البدو لاجل هذا، ولم يتعدوا على حكومة منظمة لاجل فتح بلادها ، وإنما أزالوا امارة ابن الرشيد لانه لايجوز أن يكون في قطر واحد حكومتان مختلفتان، وآل سعود هم الامراء الشرعيون لهذه البلاد، وقد اختاروا في ازالتها أخف الضررين وهو الحصار

وأما اليمن فلا يزال العداء والشقاق بين اماميها يحيى والادريسي مستمرا، والقتال آونة بعد أخرى مستحرا ، وقد اتفق الثاني مع صاحب نجد وتحالفا فاشتد ازره ، وكان صاحب الحجاز يطمع في جعلهما تابعين له ولو في السياسة على كونهما أقوى منه وأعز ، ثم حاول الارتباط معهما بمحالفة هجومية دفاعية وانتهى الامر بوفاق اقتصادي وهو لايبلغه غرضه من تدويخ نجد ، ولا يؤمنه تغلبها على الحجاز ، ولا يرتاح مع ذلك الى الصلح والاتفاق مع صاحبها ،لانه يخاف ان يبث دعوة التدين في سائر بدو الحجاز وحضره آمنا والبلاد مستعدة لذلك ولا سيما الاعراب فيها . ولعله لولا رجاؤه في جمع قوته الى قوة ولديه في العراق وشرق الاردن للاحاطة بنجد وازالة سلطانها لجنح الى السلم ورضي بالاتفاق، وهم يبثون الدعوة في هذه الاقطار الثلاث وما جاورها من سورية ومصر تمهيدا لذلك ، ويعتقد انهم اذا استولوا على نجد يتم له تأسيس الامبراطورية العربية ،في ظل الدولة البريطانية ،تنفيذا لمقررات نهضته الرسمية

فيادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

﴿الجزء الخامس﴾ ١٣٤٠ ﴿المجلد الثالث والعشرون﴾

تنبيه

يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم

ويجب الدفع سلفاً



١٣١٥

قيمة الاشتراك

عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهباً في مصر و ٢٥ شلناً في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة أو عن نصف سنة

سنة المجلة عشرة اجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي «المنار بمصر»

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ الناس في عماية عن النافع، وفي ارتكاب على الضار، فلا تعجب اذا ﴾

﴿ لم يسرعوا بالاشتراك في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى ﴾

﴿ تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر العار، ﴾

﴿ ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا، والفقراء لا يستطيعون الى البذل ﴾

﴿ سبيلا، ولكن ذلك لا يضعف الامل، في نجاح العمل ﴾

مستحضرات محمد علي نصوحي

التي حازت الشهرة التامة لحسن تأثيرها السريع في جميع أنحاء العالم المتنور ونالت النياشين والمداليات الذهبية والفضية من الدولة العلية ومن معارض دول أوربا

غرش صاغ أسماء وبيان استعمال هذه الادوية الموضحة أدناه

١٥ اكسير نصوحي لتقوية المعدة وفقر الدم ومزيل الانتفاخ والآلام ومنظم الحيض

١٢ حبوب نصوحي لتقوية المعدة والاعصاب والدم ويقوي الجسم عموما

١٢ ماء الحياة للشعر يمنع سقوطه تاكيدا ويقوي البصيلات الشعرية بمسافة قليلة

١٢ روماتيزمول دهان شافي لجميع الامراض الروماتيزمية الحديثة والمزمنة

١٢ شراب يودوتنيك فوسفاتية لتقوية الاطفال اللنفاويين ولين العظام ومنقي للدم ومزيل العقد الخنازيرية ويقوم مقام زيت الحوت

١٢ ماء الشباب يزيل الكلف والتشقف ويكسب الجسم نعومة ولطافة

١٥ زيت الحياة للشعر يطول ويطري الشعر ويمنع سقوطه وتقصيفه

١٢ اكسير العشبة المركب المنقي للدم والشافي للامراض الزهرية وأنواع الربوا

٨ حقنة نصوحي خاصة لمنع السيلان الحديث والمزمن بدون ألم

٨ البرشام المعدي لتصليح المعدة وازالة الحموضة ومرارة الفم الناشئة من سوء الهضم

١٠ خلاصة الكينا المركبة لتقوية المعدة والامعاء وتمنع الآلام التي تحصل في الظهر أو في فم المعدة خصوصا عند القيام من النوم

٨ نقط نصوحي الوقاية من الكوليرا ومكروباتها وتصليح المعدة ولمنع البواسير

٥ حبوب ملينة ضد الامساك الذي يتولد من سوء الهضم وانتفاخ البطن

١٠ أودنتين دواء للاسنان يمنع التسوس ويسكن الآلام حالا بسرعة عجيبة ومطهراً للأسنان والفم

٨ حبوب صدرية لازالة السعال وخروج البلغم بسهولة من الصدر بغير تعب

٥ مسحوق للشعر يزيله في مسافة أربع دقائق بغاية السهولة ويظهر محله ناعما

١٠ القطرة الهندية خاصة لازالة الحبيبات واللحمية الحديثة والمزمنة

٥ مسحوق الصفا لاجل جلاء الاسنان وتقوية اللثة وحفظها ويشفي داء الحفر ومعطرا للفم

٥ قطرة نصوحي لازالة الالتهابات المزمنة والحديثة والرمد الحبيبي والصديدي ويجلو البصر ويعيد قوتها الحقيقية

٥ نشوق صحي ضد الزكام ويشفي للنوازل ومنعش للجسم

مستودعه العمومي بمعمله الكيماوي باجزخانة نصوحي بميدان العتبة الخضراء بمصر



— قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق —

٣٠ رمضان ١٣٤٠ ـ ٥ الجوزاء (ر٣) سنة ١٣٠٠ هش ٢٧ مايو سنة ١٩٢٢

تفسير القرآن الحكيم

(٣) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ
(٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

كانت الآية الاولى من السورة في بيان انزال الكتاب الى الرسول (ص) لينذر به كل الناس، وذكرى وموعظة لاهل الايمان، والآية الثانية استئناف بياني لما يبدأ به من التبليغ وهو أن يأمر الناس باتباع ما انزل اليهم من ربهم وأن لايتبعوا من دونه احدا يتولونه في أمر التشريع الخاص بالرب تعالى . ولما كان الانذار تعليما مقرونا بالتخويف من عاقبة المخالفة قفى على هذه القاعدة الاولى التي هي أم القواعد لاصول الدين والدعوة اليه بالتخويف من عاقبة المخالفة لها ولما يتلوها من سائر أصول الدين وفروعه فبدأ في هاتين الآيتين بالتخويف من عذاب الدنيا بالتذكير بما حل بمن كذبوا الرسل فيها ، فقال :

﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ﴾ «كم» خبرية تفيد الكثرة ، والقرية تطلق على الامة قال الراغب : القرية اسم للموضع الذي يجتمع

فهرس الجزء الخامس من المجلد ا ٢٣ من المنار

وفي الآية من مباحث اللغة والبلاغة أن قوله تعالى (أو هم قائلون) جملة حالية حذفت منها واو الحال لاستثقال الجمع بينها وبين واو العطف والاصل: أو وهم قائلون. ولم أر أحداً تعرض لنكتة الجمع بين الحال المفردة وجملة الحال هنا والظاهر أن المقام مقام الافراد، لا كقوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا) حيث انفردنا ببيان فرق وجيه بين الحالين هنالك يقتضيه المعنى وينطبق على ما حققه الامام عبد القاهر في الفرق بينهما. لا يأتي مثله هنا لان الفرق بين الحالين خاص بما كانت الحال فيه وصفا لفاعل العامل فيها كآية النساء ومثل قولك: نذرت أن أعتكف صائما أو وأنا صائم. فتأمل. وقد بحث المفسرون الذين يعنون بالاعراب في مسألة الواو في الجملة الفعلية هل هي لام العطف أو غيرها ومتى تجب في الجملة الحالية هي والضمير معا ومتى يجب أحدهما، وهي مباحث لفظية نعدوها لانها قلما تفيد في المعاني ونكت البلاغة فائدة تذكر

﴿ فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا إنا كنا ظالمين ﴾ الدعوى في اللغة اسم لما يدعيه الانسان، والادعاء نفسه، والدعاء بمعانيه، والقول مطلقا، في المصباح: ودعوى فلان كذا — أي قوله اه. ومعنى الآية على هذا: فما كان قولهم — وعلى ما قبله: فما كانت غاية ما يدعونه من الدين وزعمهم فيه أنهم على الحق — أو ما كانوا يدعونه على الرسل من التكذيب وارادة التفضل عليهم — الا الاعتراف بأنهم كانوا ظالمين لانفسهم فيما كانوا عليه والشهادة ببطلانه. وفي التقدير الاول الاخبار بنوع من القول عن جنسه، وهو غير الاخبار بالشيء عن نفسه، وان اتحدت المادة كقوله تعالى (وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فكيف اذا اختلفت كما هنا

والعبرة في الآية أن كل مذنب يقع عليه عقاب ذنبه في الدنيا يندم ويتحسر ويعترف بظلمه وجرمه اذا علم أنه هو سبب العقاب، وما كل معاقب يعلم ذلك لان من الذنوب ما يجهل الاكثر أنه سبب للعقاب، وأما الذنوب التي مضت سنة الله تعالى بجعل عقابها أثراً طبيعيا لها في الدنيا فلا تطرد في الافراد كاطرادها في الامم، ولا تكون دائما متصلة باقتراف الذنب بل كثيراً ما تقع على التراخي فلا يشعر فاعلها بأنها أثر له مثال ذلك أن ما يتولد من شرب الخمر من الامراض والآلام لا يعرف اكثر السكارى منه غير ما يعقب الشرب من

فيه الناس وللناس جيعا (أي معا) ويستعمل لكل منهما ، قال تعالى (واسأل القرية) قال كثير من المفسرين معناه أهل القرية ، وقال بعضهم بل القرية ههنا القوم انفسهم اه اي من غير تقدير مضاف . والذين يقولون بالتقدير يرون انه لا حاجة اليه هنا لان القرية تهلك كما يهلك اهلها ولكنهم يقدرون المضاف في قوله (فجاءها بأسنا) فيقولون: جاء أهلها بأسنا — بدليل وصفهم بالبيات والقيلولة والمدينة لا تبيت ولا تقيل . والبيات الاغارة على العدو ليلا والايقاع به فيه على غفلة منه فهو اسم للتبييت ، وهو يشمل كل ما يدبره المرء أو ينويه ليلا ومنه تبييت نية الصيام . وقيل يأتي مصدرا لبات يبيت اذا ادركه الليل . والبأس الشدة والقوة والعذاب الشديد [1] وهو المراد هنا، والقائلون الذين يقيلون أي ينامون للاستراحة وسط النهار ، وقيل يستريحون وان لم يناموا، يقال قال يقيل قيلا وقيلولة .

والمعنى وكثيرا من القرى اهلكناها لعصيان رسلها فجاءها بأسنا حال كونهم بائتين أو مبيتين ليلا كقوم فكان هلاكها على ضربين بأن جاء بعضهم بأسنا حال كونهم بائتين أو مبيتين ليلا كقوم لوط، وجاء بعضهم وهم قائلون آمنون نهارا كقوم شعيب. والوقتان وقتا دعة واستراحة ففيه ايذان بأنه لا ينبغي للعاقل ان يأمن صفو الليالي ولا مواتاة الايام، ولا يغتر بالرخاء فيعده آية على الاستحقاق الذي هو مظنة الدوام ، وقد يعذر بالغفلة قبل مجيء النذير ، واما بعده فلا عذر ولا عذير ، وفيه تعريض بغرور كفار قريش بقوتهم وثروتهم وعزة عصبيتهم ، وبما كانوا يزعمون انها آية رضى الله عنهم ، (وقالوا نحن اكثر أموالا واولادا وما نحن بمعذبين) وليس امرهم بأعجب من الاقوام التي عرفت هداية القرآن، أو سنن الله في نوع الانسان، ثم هي تغتر بما هي عليه وان كان دليلا على الهلاك ، ولا ترجع عن غيها حتى يأتيها العذاب

وقد استشكل بعض المفسرين من الآية مالا اشكال فيه اذظنوا ان عطف جاءهم على «أهلكنا» بالفاء يفيد أن مجيء البأس وقع عقب الاهلاك وهو محال لانه سببه ، غافلين عن كونه بيانا تفصيليا لنوعين منه أحدهما ليلي والآخر نهاري كما بيناه آنفا، وتفصى بعضهم كالزمخشري منه بأنه المراد بالاهلاك إرادته كما أن المراد من قوله (اذا قتم الى الصلاة) اذا أردتم القيام اليها

(١) راجع تحقيق الباس والبؤس والبأساء في ص ٤١٢ ج ٧ تفسير

من ساسه الظلم بسوط بأسه هان عليه الذل من حيث أتى
ومن يهن هان عليه قومه وعرضه ودينه الذي ارتضى

وقد تتوالى عليها العقوبات حتى تضيق بها ذرعا فتبحث عن أسبابها ، فلا تجدها بعد طول البحث الا في أنفسها ، وتعلم صدق قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ثم تبحث عن العلاج فتجده في قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وإنما يكون التغيير بالتوبة النصوح ، والعمل الذي تصلح به القلوب فتصلح الامور ، كما قال العباس عم الرسول (ص) اذ توسل به عمر والصحابة بتقديمه لصلاة الاستسقاء بهم : اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ، ولم يرفع الا بتوبة . خلافا للحشوية الذين يستدلون به على ان البلاء إنما يرتفع كرامة للصالحين الذين يتوسل بهم المذنبون المفسدون.

فلينظر القاريء أين مكان الشعوب الاسلامية من هذه العبرة ، والشعور بعقوبة الجناية والحاجة الى علاج التوبة ، وقد ثلت عروشها ، وخوت صروح عظمتها على عروشها ، وكانت أجدر الشعوب بمعرفة سنن الله في هلاك الامم واتقائها ، وأسباب حفظ الدول وبقائها ، فقد أرشدها اليه القرآن ، ولكن أين هي من هداية القرآن ، وقد ترك تذكيرها به العلماء ، فهجره الدهماء ، وجهل أحكامه وحكمه الملوك والامراء. ثم نبتت فيها نابتة لا تدري ما الكتاب ولا الايمان ، أقنعهم أساتذتهم أعداء الاسلام ، بأن لا سبب لهبوطها وسقوطها الا اتباع القرآن ، فأضلوهم السبيل ، ولفتوهم عن الدليل ، فذنب هؤلاء أنهم يجهلونه ، وذنب أولئك أنهم لا يقيمونه ، هؤلاء مقلدة للاجانب الطامعين الخادعين ، واولئك مقلدة لشيوخ الحشوية الجامدين ، فمتى تنتشر دعوة المصلحين أولي الاستقلال ، فتجمع الكلمة بما أوتيت من الحكمة والاعتدال ، على قول الكبير المتعال (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)

---

(٥) فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ

صداع وغثيان وهو مما يسهل عليهم احتماله وترجيح لذة النشوة عليه ، وأما ما يولده السكر من أمراض القلب والكبد والجهاز التناسلي وما يترتب عليه من ضعف النسل واستعداده للامراض وانقطاعه أحيانا وغير ذلك من الامراض الجسدية والعصبية (العقلية) فهي تحصل ببطء ، ولا يعلم غير الاطباء أنها من تأثير السكر ، وقلما يفيد العلم بها بعد بلوغ تأثيرها هـذه الدرجة أن تحمل السكور على التوبة ، لان داء الخمار يزمن وحب السكر يضعف الارادة ،[1] ومضار الزنا الجسدية أخفى من مضار الخمر والميسر ، ومفاسده الاجتماعية ، أخفى من مضاره الجسدية ، فما كل أحد يفطن لها . ويا ليت كل من علم بضرر ذنبه بعد وقوعه يرجع عنه ويتركه ويتوب الى الله تعالى منه ، ولا يكتفي بالاعتراف بظلمه ، ولا بالاقرار بذنبه ، فان هذا لا فائدة له فيه لا في دنياه ولا في دينه ، واذا كان الراسخ في الفسق لا يتوب من ذنب وقع عليه ضرره وعلم به ، فكيف يتوب من ذنب لم يصبه منه ضرر او أصابه من حيث لا يدري به ؟ إنما تسهل التوبة على المؤمنين الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب والا فهي لاولي العزائم القوية الذين تقهر شهواتهم اراداتهم وهم الاقلون .[2]

واما ذنوب الامم فعقابها في الدنيا مطرد ولكن لها آجالا ومواقيت أطول من مثلها في ذنوب الافراد وتختلف باختلاف أحوالها في القوة والضعف ، كما تختلف في الافراد بل أشد. فاذا ظهر الظلم واختلال النظام وفشا الترف وما يلزمه من الفسق والفجور في أمة من الامم تنحل قواها ، ويفسد أمرها ، وتضعف منعتها ، ويتمزق نسيج وحدتها ، حتى تحسب جميعا وهي شتى — فيغري ذلك بعض الامم القوية بها ، فتستولي عليها ، وتستأثر بخيرات بلادها ، وتجعل أعزة أهلها أذلة . فهذه سنة مطردة في الامم على تفاوت أمزجتها وقواها ، وقلما تشعر أمة بعاقبة ذنوبها قبل وقوع عقوبتها ، ولا ينفعها بعده ان يقول العارفون : يا ويلنا انا كنا ظالمين . على انه قد يعمها الجهل حتى لا تشعر بأن ما حل بها ، إنما كان بما كسبت أيديها ، فترضى باستذلال الاجنبي ، كما رضيت من قبل بما كان سببا له من الظلم الوطني ، فينطبق عليها قولنا في المقصورة

(١) يراجع تفصيل هذا البحث في تفسير آية البقرة في الخمر والميسر (ص ٤١ ٣ ج ٢ تفسير) أو آية المائدة فيهما (ص ٧٨ ج ٧)

(٢) يراجع تفسير (٤ : ١٦ انما التوبة على الله ...) ص ٤٤٠ ج ٤ تفسير

يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم)وتقدم تفسيره في الجزء السابع .

قال ابن عباس في تفسير الآية : نسأل الناس عما اجابوا المرسلين و نسأل المرسلين عما بلغوا . ونحوه عن سفيان الثوري . وقيل ان الذين ارسل اليهم هم الانبياء المرسلون، والمرسلين الملائكة هم الذين نزلوا عليهم بالوحي، وفي رواية جبريل خاصة . وهو خلاف الظاهر، فان الرسل يسئلون ليكونوا شهداء على أقوامهم كما قال تعالى (٤:٥١ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) ولا حاجة الى شهادة الملائكة على الرسل لئلا ينكروا الرسالة فما هي ذنبٌ يتوقع انكاره لو لم يكونوا معصومين من ذلك . وفي السؤال العام وما يسئل عنه الناس احاديث سيأتي بعضها

فان قيل هذه الآيات تثبت السؤال العام يوم القيامة وهو يشمل العقائد والاعمال وهي حسنات وسيئات. فما معنى قوله تعالى في سورة القصص (٢٨: ٧٨ ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وفي سورة الرحمن (٥٥ : ٣٩ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) قلنا قد أجاب المفسرون عن ذلك بأجوبة أشرنا في تفسير آية الانعام (٦ : ١٢٩) الى بعضها وهو أن للقيامة مواقف متعددة يعبر عنها باليوم ، والسؤال والجواب والاعتذار يكون في بعضها دون بعض. والصواب أن نفي السؤال عن الذنب في آية الرحمن لا اشكال فيه لان ما بعد الآية يفسرها بأن المراد لا يسئل أحد عن ذنبه، لاجل ان يعرف الجرم ويمتاز من غيره، اذ قال بعدها (يعرف المجرمون بسيماهم) وهو استئناف بياني كأنه قيل لم لا يسئلون؟ وبم يعرف المجرمون منهم ويمتازون من المسلمين؟ فقال(يعرف المجرمون بسيماهم) ولا مندوحة عن حمل آية القصص على هذا المعنى وهو مروي عن ابن عباس كالاول ، وروي عنه أيضا أن المذنب لا يسئل عن ذنبه هل اذنبت أو هل فعلت كذا من الذنوب؟ أي لان الله تعالى أعلم منه بذنوبه وقد أحصاها عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وهو يجد ما عمل حاضرا في كتابه، متمثلا في نفسه، معروضا لهافيما يسهل عليه من أعضائه وجوارحه،[1] — وإنما يسأله لم عمل كذا — أي بعد أن يعرّف به ، وهو يتفق مع تفسيره هنا لقوله عز وجل :

﴿ فلنقصن عليهم بعلم ﴾ قال : يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما

(١) راجع تفسير (٦:٢٨ بل بدا لهم ما كانوا يخفون) الآية ص ٣٥٣ ج ٧ تفسير

فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ

بينا في تفسير الآيتين اللتين قبل هذه الآيات : انهما بدء للانذار بعد بيان أصل الدعوة الى الاسلام — بالتذكير بعذاب الامم التي عاندت الرسل في الدنيا ، وهذه الآيات تذكير بعذابهم في الاخرة — فقفى على تخويف قوم الرسول من مثل ذلك العذاب العاجل ، بتخويفهم مما يعقبه من العذاب الآجل ، وهو الحساب والجزاء في الآخرة فقال

﴿ فلنسألن الذي ارسل اليهم ولنسألن المرسلين ﴾ عطف هذا على ماقبله بالفاء لانه يعقبه ويجيء بعده اذ كان ذلك العذاب المعبر عنه بالبأس آخر امرهم في الدنيا. وقيل إن الفاء هنا هي التي يسمونها الفصيحة .وقد اكد الخبر بلام القسم ونون التوكيد لان المخاطبين من العرب في أول الدعوة كانوا ينكرون البعث والجزاء ، ولتأكيد الخبر تأثير في الانفس ولاسيما خبر المشهور بالامانة والصدق كالنبي (ص) فقد كانوا يلقبونه قبل البعثة بالامين. والمراد بالذين ارسل اليهم جميع الامم التي بلغتها دعوة الرسل يسأل تعالى كل فرد منهم في الآخرة عن رسوله اليه وعن تبليغه لآياته وبما اذا اجابوهم وماعملوا من خير وشر، ويسأل المرسلين عن التبليغ منهم ، والاجابة من أقوامهم .

بين هذا الاجمال في آيات منها قوله تعالى في سورة الانعام (٦:١٣٠ يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وفي سورة القصص (٢٨ : ٦٥ ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) وفي سورة العنكبوت (٢٩:١٣ وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) ومثله في سورة النحل(١٦: ٥٦ ويجعلون لما لايعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) وهو ما ابتدعوه في الدين كجعلهم لمعبوداتهم نصيبا مما رزقوا من الحرث والانعام ويتقربون اليهم بها وبهم الى الله بنذر أوغيره كما تقدم في سورة الانعام ومنه ما ينذره القبوريون لاوليائهم. واعم منه قوله تعالى في النحل ايضا(ولتسألن عما كنتم تعملون) وهو خطاب لجميع الناس. ومثله في التأكيد والعموم قوله في سورة الحجر (١٥: ٩٢ فوربك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) ومنه في السؤال عن المشاعر الظاهرة والباطنة (١٧ : ٣٦ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) وقال تعالى في سؤال الرسل (٥: ١١٢ يوم

يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت في سبيلك حتى استشهدت . قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال جريء فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار — ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا انفقت فيها لك. قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي في النار» وروى مسلم من حديث أبي هريرة أيضا مرفوعا « ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »

وروى الترمذي من حديث أبي برزة الأسلمي مرفوعا وقال حسن صحيح « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» وروى نحوه عن ابن مسعود بلفظ « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من اين اكتسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم» وسنده ضعيف وروى نحوه البزار والطبراني عن معاذ بسند صحيح وروى أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن أوس مرفوعا « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني » علم عليه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة . وقال الترمذي بعد ذكره — وآخره عنده « وتمنى على الله » هذا حديث حسن، ومعنى من دان نفسه يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة ويروى عن عمر بن الخطاب قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الاكبر. وانما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا اه

ولما كان الجزاء على حسب الاعمال ، وهي متفاوتة تنضبط وتقدر

كانوا يعملون . وأصل القص تتبع الاثر فيكون بالعمل كقوله تعالى حكاية عن أم موسى (وقالت لاخته قصيه) وبالقول ومنه (نحن نقص عليك أحسن القصص) وهي الاخبار المتتبعة كما حققه الراغب فليس كل خبر قصصا . أي فلنقصن على من الرسل وعلى أقوامهم الذين ارسلوا اليهم كل ما وقع من الفريقين قصصا بعلم محيط لا يعزب عنه مثقال ذرة أو عالمين بكل ما كان منهم، وما كتبه الكرام الكاتبون عنهم ﴿ وما كنا غائبين ﴾ عنهم في حال من الاحوال ولا وقت من الاوقات ، بل كنا معهم نسمع ما يقولون ، ونبصر ما يعملون ، ونحيط علما بما يسرون ويعلنون ، كما قال (٤ : ١٠٧ وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا) فالسؤال لاجل البيان والاعلام ، لا لاجل الاستبانة والاستعلام ، وهذا القصص هو الذي يكون به الحساب ويتلوه الجزاء ، والآيات والاحاديث في بيانه كثيرة .

أما الآيات فتأتي في مواضعها وأما الاحاديث فمنها حديث ابن عمر المتفق عليه قال قال النبي (ص) « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : فالامام يسئل عن الناس والرجل يسئل عن اهله والمراة تسئل عن بيت زوجها والعبد يسئل عن مال سيده » وورد بألفاظ اخرى وفي معناه ما رواه الطبراني في الاوسط بسند صحيح عن أنس قال قال رسول الله (ص) « كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فأعدوا للمسائل جوابا » قالوا وما جوابها ؟ قال (أعمال البر) وفي معناه ما رواه من حديث عبد الله ابن مسعود « ان الله سائل كل ذي رعية عما استرعاه أقام أمر الله فيهم أم ضيعه حتى ان الرجل ليسئل عن أهل بيته » وما رواه في الكبير عن المقدام: سمعت رسول الله (ص) يقول « لا يكون رجل على قوم الا جاء يقدمهم يوم القيامة بين يديه راية يحملها وهم يتبعونه، فيسئل عنهم ويسئلون عنه » ومنها ما رواه في الاوسط من حديث أنس « أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته فان صلحت فقد أفلح وان فسدت فقد خاب وخسر »

وما رواه هو والبزار والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعا « ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته — قالوا وما هي قال — تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك » وروي احمد ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة مرفوعا « ان اول الناس يقضي

الى نهاية أعمارهم كما يدل عليه التعبير بالمضارع . وعدي الظلم بالباء لتضمنه معنى الكفر وسيأتي مثله في هذه السورة (آية ١٠٢) وفي غيرها

وظاهر هذا التقسيم أنه لفريقي المؤمنين على تفاوت درجاتهم في الفلاح، والكافرين على تفاوت دركاتهم في الخسران ، فان من مات مؤمنا فهو مفلح وان عذب على بعض ذنوبه بقدرها ، فهذا الوزن الاجمالي الذي يمتاز به فريق الجنة وفريق السعير ، وهنالك قسم ثالث استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم اصحاب الاعراف وسيأتي ذكرهم في هذه السورة . ويتبع الوزن الاجمالي الوزن التفصيلي للفريقين ولكن بعض العلماء يقولون إن الوزن للمؤمنين خاصة لانه تعالى قال في الكافرين (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وأجاب الآخرون بأن معناه ما تقدم آنفا في بحث الوزن في اللغة من أنه لا يكون لهم قيمة ولا قدر ، وهو لا ينفي وزن اعمالهم وظهور خفتها وخسرانهم . واستدلوا على ذلك بقوله تعالى من سورة المؤمنين (٢٣ : ١٠٣ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ١٠٤ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ١٠٥ تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ١٠٦ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) ومن المستغرب أن شيخ الاسلام ابن تيمية قال بعد ذكر آيتي الموازين في الثقل والخفة من سورة المؤمنين : ان الكفار لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته اذ لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها . وهو سهو سببه والله أعلم ما كان علق بذهنه من هذا القول ، وما من كافر الا وله حسنات ولكن الكفر يحبطها فتكون هباء منثورا وهي تحصى مع السيئات وتضبط بالوزن الذي به يظهر مقدار الجزاء وتفاوتهم فيه واستدلوا على تخفيف العذاب عن الكافر بسبب عمله الصالح بما ورد في الصحيح من التخفيف عن أبي طالب بما كان من حمايته للنبي (ص) وحبه له . وزعم بعضهم ان ذلك خاص به ويصح ان تكون الخصوصية في نوع التخفيف ومقداره ، اذ من المتفق عليه والمجمع عليه ان عذاب الكفار متفاوت ولا يعقل أن يكون عذاب ابي جهل كعذاب أبي طالب لولا الخصوصية والله تعالى يقول (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) ومن المشاهد في كل زمان ان من الكفار من يحب الله ويعبده ولا يشرك به والمشركون انما أشركوا معه غيره في الحب والعبادة كما

بالوزن وإقامة الميزان ، قال عز وجل

﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾ قال الراغب : الوزن معرفة قدر الشيء يقال وزنته وزنا وزنة والمتعارف في الوزن عند العامة مايقدر بالقسط والقبان اه وتفسيره الوزن بالمعرفة تساهل وإنما هو عمل يراد به تعرّف مقدار الشيء بالآلة التي تسمى الميزان وهو مشتق منه ، وبالقسطاس وهو من القسط ومعناه النصيب العادل أو بالعدل كما قال الراغب ، وأطلق على العدل مجازا ، وكذا الميزان . ومنه قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب بالحق والميزان) وقوله في الرسل كافة (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) ومن كلام العرب استقام ميزان النهار — اذا انتصف ، وليس لفلان وزن — أي قدر لخسته . ومنه قوله تعالى (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قال الراغب وقوله (والوزن يومئذ الحق) فاشارة الي العدل في محاسبة الناس كما قال (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) أي ولذلك قال عقبه (فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) والتجوز بالوزن والميزان في الشعر كثير

ومعنى الجملة: والوزن في ذلك اليوم الذي يسأل الله فيه الرسل والامم ويقص عليهم كل ما كان منهم هو الحق الذي تحق به الامور و تعرف به حقيقة كل أحد وما يستحقه من الثواب والعقاب . وذهب اكثر علماء الاعراب الى أن المعنى أن الوزن الحق كائن يومئذ ، لا أن الوزن يومئذ حق ، فالحق صفة الوزن ويومئذ هو الخبر عنه . أو المعنى والوزن كائن يومئذ وهو الحق . والاول أظهر

﴿ فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ﴾ قيل إن الموازين جمع ميزان فهي متعددة لكل امرئ ميزان وقيل لكل عمل والجمهور على أن الميزان واحد وانه يجمع باعتبار المحاسبين وهم الناس ، أو على حد قول العرب : سافر فلان على البغال ، وان ركب بغلا واحدا ، وقيل إن الموازين جمع موزون . والمعنى فمن رجحت موازين حسناته فاولئك هم الفائزون بالنجاة من العذاب ، والنعيم في دار الثواب ، ﴿ ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ أي ومن خفت موازين حسناته فاولئك الذين خسروا أنفسهم اذ حرموا السعادة التي كانت مستعدة لها لو لم يفسدوا فطرتها بالكفر والمعاصي بسبب ما كانوا يظلمونها بكفرهم بآيات الله مستمرين على ذلك مصرين عليه

ومن فيهن لوسعته — ومن طريق عبد الملك بن أبي سليمان : ذكر الميزان عند الحسن فقال له لسان وكفتان . وقال الطيبي قيل إنما توزن الصحف وأما الاعمال فانها اعراض فلا توصف بثقل ولا خفة . والحق عند أهل السنة ان الاعمال حينئذ تجسد او تجعل في اجسام فتصير اعمال الطائعين في صورة حسنة واعمال المسيئين في صورة قبيحة ثم توزن . ورجح القرطبي ان الذي يوزن الصحائف التي تكتب فيها الاعمال، ونقل عن ابن عمر قال توزن صحائف الاعمال . قال فاذا ثبت هذا فالصحف اجسام فيرتفع الاشكال . ويقويه حديث البطاقة الذي اخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وفيه «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة انتهى» . والصحيح ان الاعمال هي التي توزن . وقد اخرج ابوداود والترمذي وصححه وابن حبان عن ابي الدرداء عن النبي (ص) قال « ما يوضع في الميزان يوم القيامة اثقل من خلق حسن » وفي حديث جابر رفعه «توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار — قيل ومن استوت حسناته وسيئاته ؟ قال ـ اولئك اصحاب الاعراف » . اخرجه خيثمة في فوائده، وعند ابن المبارك في الزهد عن ابن مسعود نحوه موقوفا . واخرج ابو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن حذيفة موقوفا ان صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام . اه ما لخصه الحافظ ابن حجر من اقوال اهل السنة

اقول وقد استقصى السيوطي في تفسير الآية من الدر المنثور ما ورد في الميزان او الوزن من الروايات الصحيحة والسقيمة أوجله وليس في الصحيحين منها الا ماختم به البخاري صحيحه وهو حديث ابي هريره المرفوع «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» واذا لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنن المعتمدة حديث مرفوع في صفة الميزان ولا في ان له كفتين ولسانا ، فلا تغتر بقول الزجاج ان هذا مما اجمع عليه اهل السنة فان كثيرا من المصنفين يتساهلون باطلاق كلمة الاجماع ولا سيما غير الحفاظ المتقنين والزجاج ليس منهم . ويتساهلون في عزو كل مايوجد في كتب أهل السنة الى جماعتهم، وان لم يعرف له أصل عن السلف ، ولا اتفق عليه الخلف منهم ، وهذه المسألة مما اختلف فيه السلف والخلف كما علمت .

قال في أندادهم (يحبونهم كحب الله) ويتصدقون ويصلون الارحام ويفعلون غير ذلك من أعمال البر ويمتنعون عن الفواحش خوفاً من الله — فهل يسوّى الحكم العدل بينهم وبين مرتكبي الفواحش والمنكرات والجنايات من الكفار . نعم صح الحديث عند مسلم بأنهم يجاوزون على ذلك في الدنيا وهو لا يمنع وزنها في الآخرة حتى لا يكون لها مع الكفر والسيئات دخل في رجحان موازينهم

وجملة القول ان المسلمين اختلفوا في هذا الوزن والموازين هل هي عبارة عن العدل التام في تقدير ما يكون الجزاء من الاعمال وتأثيرها في اصلاح الانفس وتزكيتها ، وفي افسادها وتدسيتها ؛ ام هنالك وزن حقيقي حكمته اظهار علم الله تعالى باعمال العباد وعدله في جزائهم عليها ؟ ذهب الى الاول مجاهد من مفسري السلف — وكذا الاعمش والضحاك حكاه الرازي عنهما — والجهمية والمعتزلة. قال مجاهد في الآية كما في الدر المنثور — « والوزن يومئذ الحق » قال العدل « فمن ثقلت موازينه » قال حسناته « ومن خفت موازينه » قال سيئاته اهـ وروى ابن جرير نحوه عنه وسيأتي فيما لخصه الحافظ ابن حجر.

والجمهور على الثاني بل قال ابو اسحاق الزجاج اجمع اهل السنة على الايمان بالميزان وان اعمال العباد توزن يوم القيامة وان الميزان له لسان وكفتان ويميل بالاعمال، وانكرت المعتزلة الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة لان الله اخبر انه يضع الموازين لوزن الاعمال ليري العباد اعمالهم ممثلة ليكونوا على انفسهم شاهدين . وقال ابن فورك أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الاعراض يستحيل وزنها اذ لا تقوم بأنفسها. قال وقد روى بعض المتكلمين عن ابن عباس ان الله تعالى يقلب الاعراض اجساما فيزنها انتهى

نقل الحافظ ابن حجر ما ذكر في شرح آخر باب من أبواب البخاري وهو ﴿ باب قول الله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) وان اعمال بني آدم وقولهم توزن ﴾ وقفى عليه بقوله: وقد ذهب بعض السلف الى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء فأسند الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) قال إنما هو مثل ؛ كما يجوز وزن الاعمال كذلك يجوز الحط — ومن طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال الموازين العدل . والراجح ما ذهب اليه الجمهور. وأخرج ابو القاسم اللالكائي في السنة عن سلمان قال يوضع الميزان وله كفتان لو وضع في احداهما السموات والارض

وقد حققنا هذا البحث في مواضع من التفسير آخرها تفسير خاتمة سورة الانعام [1]

واما حكمة وزن الاعمال بعد الحساب فهي انه يكون أعظم مظهر لعدل الرب تبارك وتعالى ولعلمه وحكمته ولعظمته في ذلك اليوم العظيم - يرى فيه عباده افراداً وشعوباً وأمماً ذلك باعينهم ، ويعرفونه معرفة ادراك ووجدان في انفسهم، فان اعمالهم تتجلى لهم فيها أولا ، ثم تتجلى لهم ولسائر الخلق في خارجها ثانيا فياله من منظر مهيب، وياله من مظهر رهيب، وما اشد غفلة من قال انه لاحاجة اليه للاستغناء بعلم الله عنه . ولولا تحكيم الرأي والخيال فيما لا مجال لهما فيه من أمور الغيب والاهتمام بكل ماروي فيه عن المتقدمين لكنا في غنى عن اطالة الكلام في حكاية تلك الاختلافات بالاختصار في بيان العقائد على ماثبت في آيات الكتاب العزيز ثم الاحاديث الصحيحة المخرجة في دواوين السنة المشهورة ، دون الشاذة والغريبة .

ومن هذه الاحاديث الغريبة في هذا الباب «حديث البطاقة» الذي سبقت الاشارة اليه فقد رواه الترمذي في (باب من يموت وهو يشهد ان لا إله الا الله) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا ولفظه « ان الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول لا يا رب ، فيقول ألك عذر ؟ فيقول لا يارب . فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها : أشهد لا إله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله . فيقول احضر وزنك — فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : فانك لا تظلم (قال) فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء » قال الترمذي هذا حديث حسن غريب . ورواه الحاكم وصححه وتصحيح الحاكم لا يعول عليه وان لم يكن في سند هذا الحديث عنده ممن تكلم فيهم غير عبدالله بن شريك الذي بالغ الجوزجاني فوصفه بالكذب . ورواه ابن حبان وفي سنده عبدالله بن عمر الخراساني قالوا ان له مناكير . وطريق الجميع واحدة . وجعله دليلا على كون الميزان ذا كفتين ولسان غير متعين لامكان جعل الكلام استعارة مكنية وجعل الكفة ترشيحا لها فان باب المجاز

(١) راجع ص ٦٤٢ ولاستدراك في ص ٤٥٢ ج ٨

فاختلف علماء أهل السنة القائلون بأن الوزن بميزان هل هو ميزان واحد أم لكل شخص أو لكل عمل ميزان ؟ وفي الموزون به حتى قيل انه الاشخاص لا الاعمال ، وفي صفة الموزون والوزن ، وفيمن يوزن لهم ألالمؤمنين خاصة أم لهم وللكفار ، وفي صفة الخفة والثقل وفيها ثلاثة أقوال :

ولهذا الخلاف ثلاثة أسباب (أحدها) اختلاف الاخبار والآثار عن السلف وأكثرها لا يصح ولا يحتج بمثله في الاحكام العملية فضلا عن المسائل الاعتقادية (ثانيها) الاختلاف في فهمها (ثالثها) الرأي والتخيل والقياس مع الفارق فان الخلف من المنتمين الى مذاهب السنة خاضوا فيما خاض فيهم غيرهم من تحكيم الرأي في أمور الغيب فالمعتزلة أخطأوا في قياس عالم الغيب على عالم الشهادة وانكار وزن الاعمال بحجة انها أعراض لا توزن وان علم الله بها يغني عن وزنها ، ورد عليهم بعض المنتمين الى السنة ردا مبنيا على اساس مذهبهم في قياس عالم الغيب على عالم الشهادة وتطبيق اخبار الآخرة على المعهود المألوف في الدنيا فزعموا ان الاعمال تتجسد وتوزن أو توضع في صور مجسمة اوان الصحائف التي تكتب فيها الاعمال هي التي توزن بناء على انها كصحائف الدنيا إما رَق (جلد) وإما ورَق ...

والاصل الذي عليه سلف الامة في الايمان بعالم الغيب ان كل ما ثبت من اخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه نؤمن به ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته. فنؤمن اذاً بأن في الآخرة وزنا للاعمال قطعا ، ونرجح أنه بميزان يليق بذلك العالم يوزن به الايمان والاخلاق والاعمال لا نبحث عن صورته وكيفيته ، ويؤخذ من آيات كثيرة ان ذلك يكون باعتبار تأثيرها في النفس من تزكية او تدسية اي ما يترتب عليه الجزاء. واذا كان البشر قد اخترعوا موازين للاعراض كالحر والبرد افيعجز الخالق الباريء القادر على كل شيء عن وضع ميزان للاعمال النفسية والبدنية المعبر عنها بالحسنات والسيئات ، بما احدثته في الانفس من الاخلاق والصفات؟ والنقل والعقل متفقان على ان الجزاء إنما يكون بصفات النفس الثابتة ، لا بمجرد ماكان سببا لها من الحركات والاعراض الزائلة ، قال تعالى (٦. ١٣٩ سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم)[1] وقال في سورة الشمس (٩١ : ٧ ونفس وما سواها ٨ فألهمها فجورها وتقواها ٩ قد افلح من زكاها ١٠ وقد خاب من دساها) وفي سورة الاعلى (٨٧: ١٤ قد افلح من تزكى ١٥ وذكر اسم ربه فصلى)

(١) راجع تفسيره في سورة الانعام (ص ٧٢١ ج ٨ تفسير)

التعريف، واما ادعاء أن الواضعين لم يراعوها، وإما كونهم محقين في ذلك. على كل أزيلوا الاشكال كما جعلكم الله تعالى كهفا ومنارا

(ج) اننا نجزم بأن ما ذكروه في تعريف المنطق لا يصح باطراد، وأن حكماء اليونان وغيرهم ممن كانوا يحاولون إثبات العلوم العقلية بأنواعها حتى الالهيات بتطبيقها على قواعد المنطق لم يستطيعوا مراعاة أحكامه لا في التصورات ولا في التصديقات، فتحديد الكليات التي يؤلف منها الحد والرسم في التصورات، ومقدمات القياس ولاسيما البرهان الذي عليه مدار صحة النتيجة في التصديقات، كلاهما من أعسر الامور وأبعدها عن المنال. وليس خطأهم محصورا في قولهم بقدم العالم بل هو غير محصور، على انهم لم يكونوا يدعون ان كل مسألة من مسائل فلسفتهم وقضية من قضايا علومهم من اليقينيات الثابتة بالبرهان وأكثر ما كان يفيدهم المنطق في المناظرات، التي تقوم فيها المسلمات مقام اليقينيات.

وبيان هذا بالتفصيل وتوضيحه بالامثلة لا يتم الا في مقال طويل، وحسبك ان تتأمل اليقينيات الست لتعلم مايقع فيها من الغلط والتلبيس

ومثل علم المنطق في هذا علم الشرع فانك ترى الخطأ في تطبيق الاحكام الشرعية على الوقائع العملية كثيرا جدا وترى فهم الناس للاحكام يختلف باختلاف معارفهم وأخلاقهم وعاداتهم والعرف العام عندهم حتى إنهم ليستدلون بالحكم على ضد ما يدل عليه أحيانا كما هو شأنهم في البدع فما من بدعة فشت الا وأهلها يستدلون عليها بأدلة تشبه الشرعية وما هي بشرعية. هذا شأنهم في نصوص الشرع الواضحة ولم تصرفهم عنها قواعد أئمة العلماء الذين يدعون تقليدهم كما بيناه في الفتوى الثانية من فتاوى المجلد الثاني والعشرين

﴿ اطلاق أسماء الله تعالى على بعض خلقه ﴾

(س٢٠) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

سلام الله عليكم وتحياته وبركاته وبعد أرفع لفضيلتكم ما يأتي راجياً التكرم بالاجابة عليه وهو:

في رجحان العقول والآراء والاقوال والاشخاص بعضها على بعض واسع جداء والتعبير عنها بالوزن والميزان كثيراً كما قلنا . والمراد ان الحديث لا ينهض بسنده ولا بدلالته حجة على عقيدة قطعية ولا راجحة وقد رأيت كيف ان الحافظ بعد ان نقل عن القرطبي ترجيح وزن الصحف والاستدلال عليه بالحديث تقوية لاثر ابن عمر به - قال والصحيح ان الاعمال هي التي توزن واستدل بحديث وزن الاخلاق وهو صحيح وقد عده معارضا لحديث البطاقة الذي لا يبلغ درجته في الصحة

وقد استشكل العلماء متن هذا الحديث بأنه يدل على كلمة من ذكر الله ترجح على ما لا يحصى من الذنوب وذلك يفضي الى اباحتها والاغراء بها وهو مخالف لكثير من النصوص القطعية واستدل به المرجئة على قولهم انه لا يضر مع الايمان ذنب ، واجاب الجمهور باجوبة لعل اقواها ما أشار اليه الترمذي من ان وجه تخليص صاحب البطاقة بالشهادتين انه مات على الايمان والظاهر انه كان كافرا فآمن فمات قبل ان يتمكن من الاعمال الصالحة ولا خلاف في نجاة مثله

فتاوى المنار

﴿ تعريف المنطق وعدم اطراد ماذكروه من غايته ﴾

(س١٩) من صاحب الامضاء في لنجة (الخليج الفارسي)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المصلح الوحيد الامام، والاستاذ العلامة الهمام، السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاعظم لازال كهفا للانام ومؤيدا للاسلام

وبعد فقد اطلعنا على جوابكم عن اشكال بيت جرير وكان الجواب كجواب حضرة الوالد حرفا بحرف فحصل به اطمئنان الخاطر، ثم إنه عرض لي اشكال ولم أر من تنبه له ولا من أجاب عنه فعرضناه على خليصكم وشاكر احسانكم الوالد فأمرني باستجداء الجواب عن حضرتكم، فالمرجو كشف الغمة لازلتم كما أملتم.

الاشكال هو أن مؤلفي فن المنطق اتفقوا في تعريفه بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر واتفقوا فيما اعلم أن واضع هذا الفن الحكماء اليونانيون وكونهم قائلين بقدم العالم على قدم، فلا يخلو من امور اما عدم صحة

الاكثر وتارة بغير قلنسوة وانه كان يلبس القلنسوة تارة بغير عمامة وأنه دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وورد انه كان يرخي طرفها وهو الذؤابة بين كتفيه . وانه كان يلتحي بها تحت الحنك كما يفعل المغاربة . ولم يرد الامر بلبسها على سبيل التدين والتشريع ، فمن اعتم كما كان يعتم بنية التشبه به (ص) في لباسه حبا فيه عليه صلوات الله وسلامه كانت هذا النية مما يثاب عليه وهكذا التشبه به (ص) في سائر عاداته التي لم يقم الدليل على شرعها دينا لنا بشرط أن لا يتخذه دينا لانه يكون حينئذ تشريعا وكل مباح يفعل بنية صالحة يثاب عليه المؤمن . وقد سبق هذا البحث في المنار من قبل فلا نطيل به

﴿ مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ﴾

(س٢٢) ومنه: وهل مؤلفات الشيخ أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي والشيخ محمد بن أبي بكر الحنبلي المعروف بابن القيم الجوزية صحيحة معتمدة يجوز العمل بها أم لا ؟ أفتونا ماجورين

(ج) : اننا لم نطلع على جميع مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ونشهد على ما اطلعنا عليه منها انها من أفضل ما كتب علماء الاسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والسنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين في مجموع مزاياها ، فانها ألفت بعد فشوّ البدع في الامة وتعدد العلوم وكثرة التآليف في المعقول والمنقول وكان أكثر علماء المعقول مقصرين في علم السنة وآثار السلف الصالح ، وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرين في العلوم العقلية ، فبعدت الهوّة بين الفريقين وكثر الخلط والخبط في علوم الشرع حتى جاء أول هذين الشيخين فكان ممن جمع الله لهم بين سعة العلم والتحقيق في جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولغوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظيرا في هذا الجمع ، وقد خرّج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم ابن القيم ولا سيما في العلوم الشرعية . فكانت كتبهما كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقول وأقوى رد على جميع ما خالف السنة وسيرة السلف الصالح ، لا نعرف لها نظيرا في ذلك فلو اهتدى بها المسلمون علما وعملا لأماتوا البدع وأحيوا السنن وحسنت حالهم في دينهم ودنياهم . ولدخل الناس في

ألفاظ تستعملها الناس عند مخاطبة العلماء والرؤساء وأصحاب الرتب العالية كالسلاطين والوزراء وغيرهم مثل: العليم . الحكيم . الرحيم . مولانا . صاحب العظمة صاحب السعادة . صاحب العزة . ولي النعم . رب الفضل وغير ذلك فهل يجوز مخاطبة العبيد ومدحهم بهذه الصفات مع انها من صفات الله سبحانه وتعالى أم لا

م . ط . ل

(ج) اسماء الله تعالى منها ماهو خاص به عز وجل كاسم الجلالة (الله) و (الرحمن) و (الرب) بالتعريف وغيرها فلا يجوز وصف غيره بها ، ومنها ما هو غير خاص به كالرحيم والعليم والحليم والحكيم وقد وصف الله تعالى رسوله بقوله (بالمؤمنين رؤف رحيم) وابراهيم بالحليم وكذا ولده اسماعيل اذ قال فيه (فبشرناه بغلام حليم) وولده اسحق بقوله (وبشرناه بغلام عليم) وآتى داود الحكمة وقال (يؤتي الحكمة من يشاء) ومن اوتيها كان حكيما ومن هذه الالفاظ المشتركة في الاستعمال «المولى» قال تعالى في رسوله (ص) (فان الله هو مولاه وجبريل وصالحو المؤمنين) وأما صاحب العظمة وصاحب السعادة وصاحب العزة وولي النعم ورب الفضل فلم يرد في الكتاب ولا في السنة إطلاقها على الله تعالى ولكن ورد (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وورد (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) وثم آيتان أخريان كهذه ، وفي اسناده لله ولغيره قوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ووصف عرش بلقيس بانه عرش عظيم . وكتب النبي (ص) الى هرقل فوصفه بقوله «عظيم الروم» والى المقوقس «عظيم القبط» والى غيرهما من الملوك والرؤساء بمثل ذلك ويظهر انه لا يجوز وصف غيره تعالى بعدة صفات من الصفات المشتركة اذا كان باجتماعها يعلم من سمعها لا تجتمع لمخلوق بحيث يظن اذا لم يعرف الموصوف بها انها لله تعالى

﴿ لبس العمامة سنة أم لا ؟ ﴾

(س٢١) ومنه: هل لبس العمامة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أحاديث صحيحة معتمدة أم لا ؟ وهل من يلبس العمامة يثاب على لبسها؟ وهل العمامة البيضاء والخضراء والسوداء والحمراء كلها سواء أم أيها أفضل

(ج) ثبت في السنة أن النبي (ص) كان يلبس العمامة تارة فوق القلنسوة وهو

مات وعليه حقوق للناس أو يحمله من سيئاتهم يوم القيامة الا ان يحلوه منها وتقدم في تفسير هذا الجزء حديث صحيح في ذلك. واذا عفا أصحاب الحقوق عنه فعفو الله تعالى عن حقه بمخالفة شرعه أرجى فهو مرجو غير مقطوع به . ويجوز أن يعذبه عليها في الآخرة ولم يرَ انها سبب لعذاب القبر

هذا الجواب إجمالي بالمشهور عند العلماء في المسألتين، والاولى تحتمل بحثا طويلا في مسألة المال الحرام المختلط بالحلال نذكر منه على سبيل المثال مااشتدت الحاجة الى معرفته فنقول

إن من علم ان بعض مال زيد حلال و بعضه حرام وتميز عنده أحدهما من الآخر وجب عليه اجتناب ما علم انه حرام كمن علم ان زيداً سرق شاة أو ديكا رومياً ودعاه الى العشاء معه منه فلا يجوز له أن يجيبه كما لايجوز له أن يشتري منه ذلك ويأكله. وأما اذا تعذر تمييز الحلال من الحرام كالذي يقرض ماله الحلال في الاصل بالربا فهل يغلب الحرام فيجتنب جميع ما له أو الحلال فيعد الحرام كأنه غير موجود ؟

لهذه المسألة صور كثيرة مختلفة الاحكام . فالحرام أنواع منه الظلم المحض كالغصب والسرقة ومنه المأخوذ بعقود فاسدة مع التراضي كالربا والقمار كما تقدم، والاختلاط اما يكون فيه كل من الحلال والحرام محصوراً أو غير محصور ، وتجد أحكام هذه الاقسام مفصلة في كتاب الحلال والحرام من الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي، وتجد أيضاً في رسالة الحلال والحرام لشيخ الاسلام ابن تيمية أصولا وقواعد تفيدك علما تفصيليا في المسألة . واننا ننقل هنا بعض ما قاله أبو حامد الغزالي في اختلاط الحرام بالحلال غير المحصورين بعد ان قسمه الى عدة أقسام ، وهو —

﴿ القسم الثالث ﴾ أن يختلط حرام لايحصر بحلال لايحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الاحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به. والذي نختاره خلاف ذلك وهو أنه لايحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال الا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من

دين الله أفواجا. ولكنهما غير معصومين من الخطأ فقد أنكرنا في تفسير هذا الجزء عبارة للاول تابع فيها غيره من غير أن يتنبه الى حاجته الى الاستقلال في الاستدلال عليها ، وخالفنا الثاني في مسألة اهداء ثواب الاعمال الى الموتى في آخر تفسير سورة الانعام . ولم يؤلف أحد كتابا وافقه كل الناس على كل ما فيه وخير الكتب ماقل فيه الخطأ . على ان كثيراً من المخطئين لغيرهم يكونون هم المخطئون وغيرهم المصيب ، وما كل من أصاب بتخطئة غيره في مسئلة أو أكثر يكون أعلم منه مطلقا ولا مثله وانما العصمة لمن عصم الله فيما عصم . ولو شئنا أن نؤلف كتابا حافلا في فضل مؤلفات الشيخين وشدة حاجة الامة اليها في هذا العصر لفعلنا

﴿ أكل الحرام كالربا والقمار وإرثه والعقاب عليه ﴾

(س٢٣ و٢٤) — ومنه

رجل جمع مالا من طرق غير مشروعة كربا وقمار ولعب بالبورصة (مايسمونها بالكونتراتات) وغير ذلك هل يجوز الاكل عنده واذا مات وترك أولاداً يعلمون بحال أشغاله فهل يكون المال حلالا للاولاد بالميراث أم لا ؟ واذا مات رجل وعليه ديون ومظالم لاناس ولم تسامحه أربابها في الحياة الدنيا فما حكمه يوم القيامة ؟ وهل يعذب في قبره بسبب ذلك أم عذابه في الآخرة ؟ و إذا سامحه أرباب الديون والمظالم في الدنيا فهل يرفع عنه العذاب ؟ وهل يجوز مسامحته في ذلك يوم القيامة أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ، ولكم من الله عظيم الاجر والثواب

(ج) — من علم أن مال زيد من الناس حرام كله لم يجز له أن يأكل من طعامه ولا أن يعامله بهذا المال . ولكن قلما يوجد أحد جميع ماله حرام . ومن ترك لأولاده مالاً يعلمون انه مغصوب أو مسروق مثلاو يعرفون أصحابه فالواجب عليهم رده اليهم . وأما ما لا يعرف له مالك والمأخوذ بالعقود الفاسدة شرعا كالربا والمضاربات فيملكونه وان كان في الفقهاء من يقول بأنها لا تفيد الملك للمتعاقدين بها فهذا لا يسري الى من تنتقل اليه منهم بسبب شرعي صحيح كالارث ولا سيما اذا كان مختلطا بغيره غير متميز فعلى هذا لا يأثم ورثة هذا الميت بأخذ ماتركه لهم اذا لم يقتدوا به في أكل الحرام . والله تعالى يأخذ من حسنات من

وسلم امتنع من الضب وقال أخشى أن يكون مما مسخه الله(١) وهو في اختلاط غير المحصور (قلنا) يحمل ذلك على الشدة والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على انه من المسخ فهى دلالة في عين المتناول

(فان قيل) هذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر ما في أيدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة فمن أخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام أم لا

(فأقول) ليس ذلك حراما وانما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القائل أكثر الاموال حرام في زماننا غلط محض منشأه الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر (مثاله) ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا أضيف اليه المريض وجد كثيراً وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالاكثر أيضاً بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر. فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام أكثر باطل لان مستند هذا القائل اما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الاسلام الى زماننا هذا على أصول الاموال الموجودة اليوم

(١) حملت هذه الرواية على الشك منه (ص) قبل ان يعلم امتناع ان يكون الضب من سلالة ما مسخ وقد صح ان رجلا قال يارسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ الله؟ فقال « ان الله لم يهلك او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا » رواه مسلم

الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على انه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكله. ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس فأما الاثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدي أهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الاموال وكذا غلول الغنيمة(١) ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا اذ قال «أول ربا أضعه ربا العباس» ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي حتى روي ان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه: لعن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم «ان فلاناً يجر في النار عباءة قد غلها» وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلها وكذلك أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشاراً اليه في الورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في أيام الظلمة . ومن أوجب مالم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه تفطن من الشرع مالم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل، ولو جاز أن يزاد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير(٢) وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الاشياء الستة. وذلك محال فانهم أولى بفهم الشرع من غيرهم

وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذا الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببها في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لامحالة الى الاختلاط . (فان قيل) فقد نقلتم انه صلى الله عليه

(١) الغلول الخيانة فيها (٢) مسألة الشعر فيها خلاف وكذلك مسألة الربا في غير الستة المذكورة في الحديث

تطهير الاعتقـــاد

عن أدران الالحاد (*

وقد يعتقدون في بعض فسقة الاحياء ،ويُنادونهم في الشدة والرّخاء ، وهو عاكف على القبائح [1] لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ، ولا يحضر جمعة ولا جماعة ، ولا يعود مريضا ولا يشيع جنازة، ولا يكتسب حلالا ويَضُم الى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ويجاب اليه ابليس جماعة قد عشش في قلوبهم وباض فيها وفرّخ ، يصدقون بهتانه ، ويعظمون شأنه ، ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلا . فيا للعقول أين ذهبت ، ويا للشرائع كيف جهلت ، (ان الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم)

فان قلت : أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والاولياء والفسقة والخلفاء مشركين كالذين يعتقدون في الاصنام قلت : نعم قد حصل منهم [2] ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك بل زادوا في الاعتقاد والانقياد والاستعباد فلا فرق بينهم

فان قلت : هؤلاء القبوريون يقولون : نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له نداً والالتجاء الى الاولياء ليس شركا . قلت : نعم (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم لكنّ هذا جهل منهم بمعنى الشرك فان تعظيمهم الاولياء ونحرهم النحائر لهم شرك والله تعالى يقول (فصل لربك وانحر) أي لا لغيره كما يفيده تقديم الظرف ويقول تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) وقد عرفت بما قدمنا قريبا أنه سمى الرياء شركا فكيف بما ذكرناه ؟ فهذ الذي يفعلونه لاوليائهم هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ولا ينفعهم قولهم : نحن لا نشرك بالله شيئا لان فعلهم أكذب قولهم .

فان قلت : هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه. قلت : قد خرّج الفقهاء في كتب الفقه في باب الردة أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها وهذا دال [3] على أنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا حينئذ

*) تابع لما نشر في ص ٢٧٣ من الجزء الرابع (١) وفي نسخة الفضائح
٢) وفي نسخة فيهم ما حصل في (٣) وفي نسخه دل

أما المستند الاول فباطل فان الظلم[1] كثير وليس هو بالا كثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا أضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك أقليما يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم بالمعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السرّاق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل

وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضا كثيرة وليست بالا كثر اذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذي يعامل بالربا أو غيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا أن يطلب الانسان بوهمه في البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيرا فليس بالا كثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو أيضا عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها، وهذا مقطوع به لمن تأمله، وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادرا حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الا كثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة

(المنار) لكلام الغزالي هذا بقية نفيسة فيها مباحث في الحكومة والمصلحة العامة وعمران الكون ونظريات الاشتراكية وأهل الورع والزهد

(١) وفي بعض النسخ فان الظالم الخ والمراد جنسه ولذلك قال بعده فانه الجندية وعلى نسختنا يرجع الضمير الى أهل الظلم كما قدره الشارح

وقال (هذه لسيده فلان) يريد صاحب القبر — نصف مهر ابنتي لأني زوجتها وكنت ملكت نصفها فلانا: يريد صاحب القبر: (١) وهذا شيء ما بلغ اليه عباد الاصنام وهو داخل تحت قول الله تعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) بلا شك ولا ريب — نعم استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الانبياء أن يدعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف، وهذا لا شك في جوازه (أعني) طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض بل قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمراً: «لا تنسنا يا أخي . من دعائك» وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفرهم: يعني قوله تعالى (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) وقد قالت أم سليم رضي الله عنها: يا رسول الله خادمك انس ادع الله له وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء منه صلى الله عليه وهو حي وهذا أمر متفق على جوازه والكلام في طلب القبوريين من الاموات أو من الاحياء الذين لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا على حبلاهم، وأن يسقوا زرعهم، ويدروا ضروع مواشيهم، ويحفظوها من العين، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى — هؤلاء الذين قال الله فيهم (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون — ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) فكيف يطلب من الجماد أو من حي الجماد خير منه لانه لا تكليف عليه. وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الآية وقال (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون) فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الاحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقد الا في الله، وجعلوا لهم جزءا من المال، وقصدوا قبورهم من ديارهم للزيارة وطافوا حول قبورهم، وقاموا خاضعين عند قبورهم، وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقربا اليهم — وهذه

(١) وهذه النذور بالاموال وجعل قسط منها للقبر كما يجعلون شيئا من الزرع يسمونه تلما في بعض الجهات اليمنية وهذا شيء الخ

كفاراً كفراً أصليا ، فالله تعالى فرض على عباده إفراده بالعبادة (أن لا تعبدوا الا الله)وإخلاصها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية ومن نادى الله ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفا وطمعا . ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فان الدعاء من العبادة وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) بعد قوله (ادعوني أستجب لكم)

فان قلت : فاذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ماسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين : قلت: الى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم فقالوا يجب أولا دعاؤهم الى التوحيد وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر لا يغني عنهم من الله شيئا، وأنهم أمثالهم ، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك لا يتم الايمان بما جاءت به الرسل الا بتركه والتوبة منه وافراد التوحيد اعتقاداً وعملا لله وحده . وهذا واجب على العلماء (أي) بيان ان ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم ، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لاصنامهم . فاذا أبانت العلماء (ذلك) للأئمة والملوك وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة الى إخلاص التوحيد فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين

(فان قلت) : الاستغاثة قد ثبتت في الاحاديث فانه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وينتهون الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد اعتذار كل واحد من الانبياء فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر : قلت: هذا تلبيس فان الاستغاثة بالمخلوقين الاحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الاسرائيلي والقبطي (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وانما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم أمورا لا يقدر عليها الا الله تعالى من عافية المريض وغيرها . بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من الاحياء ومن أتباع من يعتقدون فيه يجعلون له حصة من الولد ان عاش ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش ويأتون بمنكرات ما بلغ اليها المشركون : ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور أنه جاء انسان بدراهم وحلية نسائه

وقال الشاعر في عصره

لترم بي المنية حيث شاءت اذا لم ترم بي في الحفرتين
اذا ما أججوا فيهن نارا رأيت الموت نقدا غير دين

والقصة في فتح الباري وغيره من كتب الحديث والسير. وقد وقع اجماع الامة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لاإله الا الله فكيف من يجعل لله ندا . فان قلت : قد أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة قتله لمن قال لا إله الا الله كما هو معروف في كتب الحديث والسيرة قلت لاشك أن من قال : لاإله إلاالله من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبيّن منه مايخالف ماقاله ولذا أنزل الله في قصة (ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية فأمرهم الله تعالى بالتثبت في شأن من قال: كلمة التوحيد فان التزم لمعناها كان له ما المسلمين وعليه ماعليهم وإن تبين خلافه لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ. وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه الى أن يتبين منه مايخالف ذلك فاذا تبين لم تنفع هذه الكلمة بمجردها ولذلك لم تنفع اليهود ولا نفعت الخوارج مع ما انضم اليها من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم الى جنبها بل أمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم وقال «لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد» وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء كما ثبتت به الاحاديث، فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه مايخالفها من عبادة غير الله

(فان قلت) القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الاحياء يقولون نحن لا نعبد هؤلاء، ولا نعبد الا الله وحده، ولا نصلي لهم، ولا نصوم، ولا نحج (قلت) هذا جهل بمعنى العبادة فانها ليست منحصرة فيما ذكرت بل رأسها وأساسها الاعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه مُعتقدا ويصنعون له ماسمعته مما تفرَّع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك وقد ذكر العلماء أن من تزيّى بزي الكفار صار كافرا ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافرا فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقادا وقولا وفعلا (فان قلت) هذه النذور والنحائر ماحكمها : (قلت) قد علم كل عاقل أن

هي أنواع العبادات التي عرفناك — ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك، بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيما له وعبادة ويقسمون بأسمائهم. بل اذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه فاذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه وهكذا كانت عباد الاصنام (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذُكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وفي الحديث الصحيح (من حلف فليحلف بالله أو ليصمت) وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يحلف باللات فأمره أن يقول : لا إله الا الله — وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم فأمره أن يجدد اسلامه فانه قد كفر بذلك كما قررنا في سبُل السلام شرح بلوغ المرام . وفي منحة الغفار :

فان قلت : لا سواء لان هؤلاء قد قالوا : لا إله الا الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها» وقال لاسامة بن زيد « قتلته بعد ماقال لا إله الا الله » ؟ وهؤلاء يصلون و يصومون ويزكون ويحجون بخلاف المشركين (قلت) قد قال صلى الله عليه وسلم الا بحقها وحقها افراد الالوهية والعبودية لله تعالى والقبوريون لم يفردوا هذه العبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة فانها لا تنفع الا مع التزام معناها ولم ينفع اليهود قولها لانكارهم بعض الانبياء وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبيا لم تنفعه كلمة الشهادة — ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ولكنهم قالوا : ان مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوهم فكيف بمن يجعل للولي خاصة الالهية و يناديه للمهمات .وهذا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه حرّق أصحاب عبد الله بن سبأ وكانوا يقولون : لا إله الا الله محمد رسول الله ، ولكن غلوا في علي رضي الله عنه واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون وأشباههم بل عاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة فانه حفر لهم الحفائر وأجج لهم نارا والقاهم فيها وقال

انى اذا رأيت أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

القلب بخرطومه فكذلك يدخل أجواف الاصنام ويلقى الكلام اسماع الاقوام ومثله يصنعه في عقائد القبوريين فان الله تعالى قد اذن له أن يجلب بخيله ورجله على بني آدم وأن يشاركهم في الاموال والاولاد. وثبت في الاحاديث ان الشيطان يسترق السمع بالامر الذي يحدثه الله فيلقيه الى الكهان وهم الذين يخبرون بالمغيبات ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة ويقصد شياطين الجن شياطين الانس من سدنة القبور وغيرهم فيقولون ان الولي فعل وفعل يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه وترى العامة ملوك الاقطار وولاة الامصار معززين لذلك ويولون العمال لقبض النذور. وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن من عالم أو قاض أو مفت أو شيخ صوفي فيتم التدليس لابليس وتقر عينه بهذا لتلبيس

(فان قلت) هذا أمر عم البلاد، واجتمعت عليه سكان الاغوار والانجاد، وطبق الارض شرقا وغربا، ويمنا وشاما، وجنوبا وعدنا[1] بحيث لا بلدة من بلاد الاسلام الا وفيها قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها وينذرون لها ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها ويطوفون بفناء القبور ويسرجونها ويلقون عليها الاوراد والرياحين ويلبسونها الثياب ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها وما في معناها والتعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار اليها. بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة يصنعون فيه ما ذكر أو بعض ما ذكر، ولا يسع عقل عاقل ان هذا منكر يبلغ الى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الاسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا (قلت) ان أردت الانصاف، وتركت متابعة الاسلاف، وعرفت ان الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العوالم جيلا بعد جيل، وقبيلا بعد قبيل فاعلم ان هذه الامور التي ندندن حول انكارها، ونسعى في هدم منارها، صادرة عن العامة الذين اسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دني ومثيل. ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يلقنونه في الطفولية أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون عليه ويعظمونه ويرحلون به الى محل قبره ويلطخونه بترابه

(١) كان المناسب أن يقول: وجنوباً وشمالا

الاموال عزيزة عند أهلها يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل معصية ، و يقطعون الفيافي من أدنى الارض والاقاصي فلا يبذل أحد من ماله شيئا الا معتقدا لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر. فالناذر للقبر ماأخرج من ماله الا لذلك وهذا اعتقاد باطل، ولو عرف الناذر بطلان ماأراده ماأخرج درهما فان الاموال عزيزة عند أهلها قال تعالى (ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه اضاعة لماله وأنه لاينفعه مايخرجه ولا يدفع عنه ضررا وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن النذر لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل) ويجب رده اليه، وأما القابض للنذر فانه حرام عليه قبضه لانه أكل لمال الناذر بالباطل لافي مقابلة شيء وقدقال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ولانه تقرير للناذر على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك ولا يخفى حكم الراضي بالشرك (ان الله لايغفر أن يشرك به) الآية فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغي ولانه تدليس على الناذر وايهام له ان الوليّ ينفعه ويضره فأي تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت ؟ وأي تدليس أعظم وأي رضاء بالمعصية العظمى أبلغ من هذا ؟ وأي تصيير لمنكر معروفا أعجب من هذا وما كانت النذور للاصنام والاوثان الا على هذا الاسلوب يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم ودفع الضرر فينذر له جزورا من ماله و يقاسمه في غلات أطيانه و يأتي به الى سدنة الاصنام فيقبضونه منه و يوهمونه حقية عقيدته . وكذلك يأتي ببحيرته فينحرها بباب الصنم. وهذه الافعال هي التي بعث الله الرسل لازالتها وامحائها واتلافها والنهي عنها

فان قلت : ان الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب اخراجه للنذر و بذله — قلت كذلك الاصنام قد يدرك منها ماهو أبلغ من هذا وهو الخطاب من جوفها والاخبار ببعض ما يكتمه الانسان فان كان هذا دليلا على حقية القبور وصحة الاعتقاد فيها فليكن دليلا على حقيقة الاصنام وهذا هدم للاسلام ، وتشييد لاركان الاصنام . والتحقيق أن لابليس وجنوده من الجن والانس أعظم العناية في إضلال العباد وقد مكن الله ابليس من الدخول في الابدان والوسوسة في الصدور والتقام

الاجتهاد من بعد الاربعة وان كان هذا قولا باطلا، وكلاما لا يقوله الا من كان للحقائق جاهلا، فعلى زعمهم لااجماع أبدا من بعد الائمة الاربعة فلا يرد السؤال، فان هذا الابتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الاربعة وعلى ماتحققه فالاجماع وقوعه محال فان الامة المحمدية قد ملات الآفاق وصارت في كل أرض وتحت كل نجم فعلماؤها المحققون لا ينحصرون ولا يتم لاحد معرفة أحوالهم، فمن ادعى الاجماع بعد انتشار الدين، وكثرة علماء المسلمين، فانها دعوى كاذبة كما قاله أئمة التحقيق

ثم لو فرض انهم علموا بالمنكر وما أنكروه بل سكتوا عن انكاره لما دل سكوتهم على جوازه فانه قد علم من قواعد الشريعة ان وظائف الانكار ثلاثة (أولها) الانكار باليد وذلك بتغيير المنكر وازالته (ثانيها) الانكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير (ثالثها) الانكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان، فان انتفى أحدهما لم ينتف الآخر. ومثاله مرور فرد من افراد علماء الدين بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان، لانه انما يكون سخرة لاهل العصيان فانتفى شرط الانكار بالوظيفتين ولم يبق الا الانكار بالقلب الذي هو أضعف الايمان. فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتا على الانكار مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبار ان يعتقد أنه تعذر عليه الانكار باليد واللسان وانه قد أنكر بقلبه، فان حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن ضربة لازب فالداخلون الى الحرم الشريف والمشاهدون لتلك الابنية الشيطانية التي فرقت كلمة الدين، وشتتت صلوات المسلمين، معذورون عن الانكار الا بالقلب كالمارين على المكاسين وعلى القبوريين

ومن هنا يعلم اختلال ما استمر عند أئمة الاستدلال من قولهم في بعض مايستدلون عليه انه وقع ولم ينكر فكان اجماعا. ووجه اختلاله ان قولهم ولم ينكر رجم بالغيب فانه قد يكون أنكرته قلوب كثيرة تعذر عليها الانكار باليد واللسان وأنت تشاهد في زمانك انه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك وأنت منكر له بقلبك ويقول

ويجعلونه طائفا على قبره، فينشأ وقد قر في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الاشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير، بل ترى من يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس أو الولاية او المعرفة، او الامارة والحكومة معظما لما يعظمونه مكرما لما يكرمونه، قابضا للنذور، آكلا ما ينحر على القبور، فيظن ان هذا دين الاسلام وانه رأس الدين والسنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر، ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والاثر ان سكوت العالم أو العالم على وقوع منكر ليس دليلا على جواز ذلك المنكر

ولنضرب لك مثلا من ذلك وهي هذه المكوس المسماة بالمجابي المعلوم من ضرورة الدين تحريمها قد ملأت الديار والبقاع، وصارت أمراً مأنوسا لا يلج انكارها الى سمع من الاسماع، وقد امتدت أيدي المكاسين في أشرف البقاع في مكة أم القرى يقبضون من القاصدين لاداء فريضة الاسلام، ويلقون في البلد الحرام كل فعل حرام، وسكانها من فضلاء الانام، والعلماء والحكام، ساكتون عن الانكار، معرضون عن ايراده والاصدار. أفيكون السكوت دليلا على أخذها واحرازها؟ هذا لا يقوله من له أدنى ادراك.

بل أضرب لك مثلا آخر هذا حرم الله الذي هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق واجماع العلماء أحدث فيه بعض ملوك الشراكسة الجهلة الضلال هذه المقامات الاربعة التي فرقت لعبادات العباد، واشتملت على ما لا يحصيه الا الله عز وجل من الفساد، وفرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة في الدين، بدعة قرت بها عين ابليس اللعين، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين، وقد سكت الناس عليها، ووفد علماء الآفاق والابدال والاقطاب اليها، وشاهدها كل ذي عينين، وسمع بها كل ذي أذنين، أفهذا السكوت دليل على جوازها؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف كذلك سكوتهم على هذه الاشياء الصادرة من القبوريين

(فان قلت) يلزم من هذا ان الامة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكتت عن انكارها لاعظم جهالة (قلت) الاجماع حقيقته اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر بعد عصره وفقهاء المذاهب الاربعة يحيلون

عظيمة أنفقت فيها الاموال (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الحال فان هذه القبة ليس بناؤها منه صلى الله عليه وسلم ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته بل هذه القبة المعمولة على قبره صلى الله عليه وسلم من ابنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ثمان وسبعين وستمائة ذكره في (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الاول

وهذا آخر ما أردناه بما أوردناه لما عمت البلوى واتبعت الاهواء وأعرض العلماء عن النكير الذي يجب عليهم، ومالوا الى مامالت العامة اليه وصار المنكر معروفا والمعروف منكراً، ولم نجد من الاعيان ناهيا عن ذلك ولا زاجراً

(فان قلت) قد يتفق للاحياء والاموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الافعال يتسمون بالمجاذيب فما حكم ما يأتون من تلك الامور فانها مما جبلت القلوب الى (١) الاعتقاد بها (قلت) أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم ويخرجونها عن لفظها العربي فهم من أجناد ابليس اللعين ومن أعظم حمر (٢) السكون الذين البستهم (٣) حلل التلبيس والتزيين، لما أن اطلاق الجلالة مفرداً عن إخبار عنها بقولهم الله الله ليس بكلام ولا توحيد وانما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف باخراجه عن لفظه العربي ثم اخلاؤها عن معنى من المعاني ولو أن رجلا عظيما صالحا يسمى زيد وصار جماعة يقولون زيد زيد لعد ذلك استهزاء واهانة وسخرية، ولاسيما اذا زادوا الى ذلك تحريف اللفظ ثم انظر هل أتى في لفظة من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها اذ الذي فيهما هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل وهذه أذكار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق والنهيق والنعيق الذي اعتاده من هو عن الله وعن هدي رسوله صلى الله عليه وسلم وسنته وديله في مكان سحيق، ثم قد يضيفون

(١) الحمر بوزن كتب جمع حمار (٢) اما ان يكون الاصل جلبت القلوب بتقديم اللام على الباء، واما يكون جلبت القلوب على الاعتقاد (٣) وفي نسخة ألبستهم ولعل الأصل البستهم السنتهم

الجاهل اذا رآك تشاهده سكت فلان عن الانكار بقوله اما لا ثما أو متأسيا بسكوته فالسكوت لا يستدل به عارف وكذا يعلم اختلال قولهم في الاستدلال: فعل فلان كذا وسكت الباقون فكان اجماعا — مختل من جهتين (الاولى) دعوى ان سكوت الباقين تقرير لفعل فلان لما عرفت من عدم دلالة السكوت على التقرير (الثانية) قولهم فكان اجماعا فان الاجماع اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والساكت لا ينسب اليه وفاق ولا خلاف حتى يعرب عنه لسانه. قال بعض الملوك وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت مالك لا تقول كما يقولون فقال ان تكلمت خالفتهم فما كل سكوت رضى فان هذه منكرات أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، واعراضهم تحت قوله وكلمه، فكيف يقوى فرد من الافراد، على دفعه عما أراد، فان هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة الى الشرك والالحاد وأكبر وسيلة الى هدم الاسلام وخراب بنيانه غالب[1] بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة اما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ أو كبير ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الاموات من دون توسل به ولا هتف باسمه بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء وسرجت عليه الشموع وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور، وألقيت عليه الاوراد والزهور، فيعتقدان ذلك لنفع أو لدفع ضرّ ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بانه فعل وفعل وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع حتى يغرسوا في جبلته كل باطل ولهذا الامر ثبت في الاحاديث النبوية اللعن على من سرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها وأحاديث ذلك واسعة معروفة فان ذلك في نفسه منهي عنه ثم هو ذريعة الى مفسدة عظيمة (فان قلت) هذ قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عمرت عليه قبة

---

(١) قوله غالب خبر قوله: فان هذه القباب اي ان اكثر من يعمر هذه القباب بل كل من يعمرها هم الملوك والامراء. والاضراب مبالغة وان الذين اقتدوا بهم كثروا ايضا ولعله كذلك في بلاد المؤلف

كنيف ونحوه، فلا يغتر من يشاهد ما يعظم في عينيه من أحوال المجاذيب من الامور التي يراها خوارق فان للسحر تأثيرا عظيما في الافعال، وهكذا الذين يقلبون الاعيان بالاسحار وغيرها وقد ملأ سحرة فرعون الوادي بالثعابين والحيات[1] حتى أوجس في نفسه خيفة موسى عليه السلام وقد[2] وصفه الله بأنه سحر عظيم، والسحر يفعل أعظم من هذا فانه قد ذكر ابن بطوطة وغيره أنه شاهد في بلاد الهند قوما توقد لهم النار العظيمة فيلبسون[3] الثياب الرقيقة[4] ويخوضون في تلك النار ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شيء بل ذكر أنه رأي انسانا عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه ثم قطعهما عضوا عضوا ثم رمى بكل عضو الى جهة فرقا حتى لم ير أحد شيئا من تلك الاعضاء ثم صاح و بكى فلم يشعر الحاضرون الا وقد نزل كل عضو على انفراده وانضم الى الاخر حتى قام كل واحد منهما على عادته حياسويا ذكر هذا في رحلته وهي رحلة بسيطة وقد اختصرت — طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة والف وأملاها علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن أسعد رحمه الله

وفي الاغاني لابي الفرج الاصفهاني بسنده أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج فرآه جندب رضي الله عنه فذهب الى بيته فاشتمل على سيفه فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب أتأتون السحر وأنتم تبصرون ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها فانذعر الناس فحبسه الوليد وكتب بذلك الى عثمان رضي الله عنه وكان على السجن رجل نصراني فلما رأي جندبا يقوم الليل ويصبح صائما قال النصراني والله ان قوما هذا شرهم لقوم صدق فوكل بالسجن رجلا ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهلها فقالوا الاشعث بن قيس فاستضافه فرأى أبا محمد يعني الاشعث ينام الليل ويصبح فيدعو بغدائه، فخرج من عنده وسأل أي أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا جرير بن عبد الله فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلة فقال ربي رب جندب وديني دين جندب وأسلم وأخرجها البيهقي في السنن الكبرى بمغايرة في القصة فذكر بسنده الى الاسود أن الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر فكان يضرب رأس الرجل

(١) والجنشان (٢) وحتى وصفه الخ (٣) في يلبسون (٤) الرفيعة

إلى الجلالة الشريفة أسماء جماعة من الموتى مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين وعبد القادر والعيدروس بل قد انتهى الحال الى أنهم يفرون الى أهل القبور من الظلم والجراءة كعلي رومان وعلي الاحمر وأشباههما وقد صان الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الكساء وأعيان الصحابة عن ادخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضلال فيجمعون أنواعا من الجهل والشرك والكفر (فان قلت) إنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة ويضيفون اليها أهل الخلاعة والبطالة خوارق عادات وأمور تظن كرامات كطعن أنفسهم وحملهم لمثل الحنش والحية والعقرب وأكلهم النار ومسهم اياها بالايدي وتقلبهم فيها بالاجسام (قلت) هذه أحوال شيطانية وانك لملبوس (١) عليك ان ظننتها كرامات للاموات أو حسنات للاحياء لما هتف هذا الضال بأسمائهم جعلهم أندادا وشركاء له في الخلق والامر، فهؤلاء الموتى أنت تفرض أنهم أولياء الله تعالى فهل يرضى ولي الله أن يجعله المجذوب أو السالك شريكا له تعالى ونِدّا ؟ ان زعمت ذلك فقد جئت شيئا إدًّا، وصيرت هؤلاء الاموات مشركين وأخرجتهم — وحاشاهم عن ذلك — عن دائرة الاسلام والدين حيث جعلتهم يجعلهم أنداد الله راضين فرحين وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين التابعين لكل باطل المنغمسين بين بحار الرذائل، الذين لا يسجدون لله سجدة، ولا يذكرون الله وحده، فان زعمت هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين المجانين وهدمت بذلك ضوابط الاسلام وقواعد الدين المبين والشرع المتين .

واذا عرفت بطلان هذين الامرين علمت أن هذه أحوال وأفعال طاغوتية، وأعمال إبليسية، يفعلها الشياطين لاخوانهم من هؤلاء الضالين معاونة من الفريقين، وقد ثبت في الاحاديث ان الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان وهذا أمر مقطوع بوقوعه فهم الثعابين التي يشاهدها في أيدي المجاذيب الانسان وقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع وتعلمه ليس بالعسير بل بابه الاعظم الكفر بالله واهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في

(١) لملبس

يمسها ، ومنه اقتحام النار كما بيناه في بعض فتاوى المجلد الثاني والعشرين، وأكثر هذه الشعوذة صناعية يدوية

ومن فنون السحر ما يستعان عليه بعلوم خواص الاشياء . ولو ذهب الآن بعض علماء الكيمياء وغيرها كخواص الكهرباء الى بعض تلك البلاد التي تجهل هذه العلوم جهلا مطلقاً لفتنوهم واستعبدوهم — ولاسيما اذا كان معهم من الآلات والادوات مايمكنهم من أعمالها المعروفة — المشهور منها كالتلغراف والتليفون اللاسلكي وغير المشهور . وقد صار جميع العارفين بأمور الكون يعلمون أن جميع هذه الاعمال الغريبة صناعة لها أسباب يعرفون بعضها و يقيسون مالم يعرفوا على ما عرفوا

هذا وإن الاسلام — ولله الحمد — مبني على الحقائق ورفض الخرافات والخزعبلات التي عبر عنها بالجبت و بالسحر ، وابطال كل مايطغي الناس بافساد اخلاقهم وآدابهم وحملهم على الاعمال المنكرة وهو ماعبر عنه بالطاغوت. فالمؤمن التقي هو السليم العقل والاخلاق القائم بالاعمال الصالحة التي يصلح به حاله وحال الناس الذين يعيشون معه على منهاج الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة الصالح، وكل مازاد على ذلك باسم الدين فهو بدعة ضلالة اما فسق واما كفر

وأما أمور الدنيا المحضة فقد قال لنا الرسول عليه الصلاة والسلام « أنتم أعلم بأمر دنياكم » فلا ينكر العارف بالاسلام على أحد من افراد المسلمين ولا من جماعاتهم مااستحدثوا فيها من طعام وشراب ولباس وآنية وماعون وأثاث ومراكب برية وبحرية وهوائيــة وآلات صناعة وأعمال زراعة وطرق تجارة وأسلحة حرب وغير ذلك مع المحافظة على حدود الشريعة في الحلال والحرام وحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال

وقــد ابتلي الاسلام بجهال لبسوه مقلوباً كالفرو، فاكثروا من الابتداع في الدين، وشوهوه بالخرافات، وزادوا فيه مالم يرد في سنة ولا كتاب ولا عرفه الرسول ولا أصحــابه ولا غيرهم من أئمة السلف حتى صار البله والسخف والخروج عن المعقول والوساخة والخرافات والبدع من علامات الصالحين التي لاتنكر ، وما أباحه الله وفوّض الامر فيه رسوله للناس فقد أنكروه وضللوا أهله باسم الدين

ثم يصيح به فيقوم صارخا فيرد اليه رأسه فقال الناس سبحان الله يحي (الموت) ورآه رجل من صالحي المهاجرين فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب[1] يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه وقال ان كان صادقا فليحي نفسه فأمر به الوليد دينارا[2] صاحب السجن فسجنه انتهى بل أعجب من هذا ما أخرجه الحافظ البيهقي باسناده في قصة طويلة وفيها أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت وأنها أخذت قمحا فقالت له بعد ان ألقته في الارض اطلع فطلع فقالت: أحقل فاحقل ثم تركته ثم قالت أيبس فيبس ثم قالت له اطحن فأطحن ثم قالت له اختبز فاختبز. وكانت لا تريد شيئا الا كان. والاحوال الشيطانية لا تنحصر وكفى عما يأتي به الدجال والميعاد. اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما انتهى ما أوردناه والحمد لله رب العالمين أولا وآخراً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تذييل للمنار وتقريظه للرسالة ﴾

إن هذه الاعمال الغريبة التي تسمى بالسحر حيل صناعية تتلقى بالتعليم والتمرين، وليست من خوارق العادات حقيقة بل صورة، فهي كما قال تعالى في سحرة فرعون (سحروا أعين الناس) بأن أروها أشياء على غير حقيقتها، لتخييل الحبال والعصي متحركة بارادتها (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) والخوارق لا تكون صناعة تعليمية . وانما يكثر هذا السحر في البلاد التي يغلب على أهلها الجهل بعلوم الكون وسنن الله في الخلق، كبلاد الزنوج في أفريقية والشعوب المشابهة لها في الغباوة والجهل، وتقل في غيرها أو تنعدم وما يبقى منها يكون حرفة لبعض المشعوذين يعرضون ما يتقنونه من أعمالها على الناس فيرضخون لهم بقليل من النقد، فمنهم من يلحس حديدة محماة بالنار حتى تبرد وذلك أنه يتمرن على إدنائها من لسانه واصابتها بلعابه من غير أن تمسّ اللسان ولكنهم يفعلون ذلك بسرعة تخيل للرائي أن اللسان

(١) وفي نسخة فذهب الساحر يلعب الخ (٢) دمار السجن

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا ابو الكلام
محيي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

٥

فصل

(الجماعة والتزام الجماعة)

وفي هذا الحديث الذي نحن بصدده أمر مهم يستحق أن نتأمل فيه ، وهو أن الشريعة نصت على أن الحياة الاسلامية إنما هي في التزام الجماعة وطاعة الخليفة ، والحياة الجاهلية في الانحراف عنها — ولقد اوضح القرآن أن الجاهلية هي التفرق والتشتت وانتشار الكلمة وعدم الاجتماع على مركز واحد ، وأن الحياة الاسلامية هي الحياة الاجتماعية والاتحاد والائتلاف بين الامة واجتماع الآحاد المنتشرة — قال الله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الخ

فالجاهلية الفرقة ، والاسلام الجماعة ، ولذا أكد النبي عليه الصلاة والسلام مرة بعد مرة أن من يحيد عن الجماعة وينزع يده عن طاعة الخليفة ، يكاد يخرج من الاسلام ، وتكون ميتته على الجاهلية لا على الاسلام وان صلى وصام وزعم أنه مسلم

وها هي ذي بعض الاحاديث الصحيحة المشهورة في هذا الباب :

ولله در مؤلف هذه الرسالة الامام المحقق فقد أتى فيها بما لم يأت به من ألفوا المختصرات والمطولات في موضوعها وهو كشف شبهة الذين يزعمون ان علماء المسلمين قد أجازوا ضلالات القبوريين منذ قرون فصار ذلك اجماعا عليها ، فبين انه لا يمكن الحكم بأنهم سكتوا جميعاً فكم منهم من أنكر ذلك قولا وكتابة، ولئن سكتوا فلا حجة في سكوتهم ولا سيما مع العلم بأن هنالك منكرات أخرى لا يقول هؤلاء القبوريون ولا غيرهم بجوازها وهي مسكوت عنها، اما للعجز عن انكارها ، واما للجهل والتهاون في أمر الدين لان المعروف صار منكرا، والمنكر صار معروفا كما ورد في اعلام النبوة. وهذه الحجة أظهر في زماننا و بلادنا منها في غيرهما من زمان ومكان، فان العلماء الذين لا ينكرون ما وردت الاحاديث الصحيحة بحظره من تشييد القبور وكسوتها، وايقاد السرج والشموع عليها وعبادتها بدعاء أصحابها والطواف بها والنذر لهم — لا ينكرون أيضاً ما فشا في البلاد من البدع والفواحش والمنكرات التي لا خلاف في شيء منها، بل لا ينكرون ما يرون، و يسمعون من الكفر البواح، والالحاد الصراح ، بل يعظمون من يعتقدون كفرهم و إلحادهم ، و يعلمون أولادهم القوانين التي يعتقدون أنها مشتملة على ماهو محرم بالاجماع ، وان استحلاله ردّة ، وخروج من الملة ، لاجل أن يحكموا بها وهو حكم بغير ما أنزل الله ، وهم يتلون في ذلك آيات الله ، فهل يحتج بسكوت أمثال هؤلاء قلوا أو كثروا ولا حجة في سكوت المجتهدين وهم ليسوا منهم ، ولا في أقوالهم على القول المشهور في الاصول الا اذا أمكن حصرهم و إجماعهم على حكم من الاحكام لا يشذ منهم عن القول به أحد ، على ما في حجيته اذا أمكن وقوعه والعلم به من النظر ؟ ؟

اللهم انا نبرأ اليك من كل قول وعمل واقرار في أمر ما من أمور الدين لم يكن مما أنزلته على رسولك محمد خاتم النبيين والمرسلين، ومن كل فهم وعمل فيه مخالف لسلف الامة الصالحين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

ومطلوب ، والثاني اضطراري

وبيان هذا ان الشكل الاصلي المطلوب هو انتخاب الامة خليفتها بحيث تجتمع آحادها واهل الحل والعقد والرأي والبصيرة منها، فيتباحثون ويتشاورون طبقاً للآية (وامرهم شورى بينهم) ثم ينتخبون الخليفة مراعين فيه شروط الخلافة الشرعية ، ومقاصدها الاساسية ، غير ناظرين الى الوجاهة الذاتية والجنسية النسبية [1] اذ الشريعة تعتبر في الانتخاب شورى الامة ، لاجنسية الخليفة وعشيرته ونسبه — وقد تأسست الخلافة الراشدة على هذا الاساس الجمهوري ، فالخليفة الاول انتخبته الامة مباشرة ، والخليفة الثاني انتخبه الخليفة الاول [2] ورضي به اهل الحل والعقد من الامة ، والخليفة الثالث انتخبته جماعة الشورى ، والرابع بايعته الجماعة بأسرها — فانتخاب هؤلاء الخلفاء الاربعة كان انتخابا شرعيا وجمهوريا ، ولم تراع فيه الجنسية والقبيلة والعهد البتة ولو روعي فيه شيء من هذا القبيل لبقيت الخلافة في بيت الخليفة الاول ولم تخرج منه الى آخر الدهر . ولكن لم يكن شيء من ذلك ، بل لم يدع الخليفة الثاني مجالا للامة في ان تنتخب ابنه خليفة لانه منع وأوصى بذلك وصية حين احتضاره — رضى الله عنه وعنهم اجمعين

فاذا كان الامر على هذا النهج الجمهوري واستطاعت الامة انتخاب خليفتها فقد شرطت الشريعة فيه شروطا تراعى عند الانتخاب

واما الشكل الثاني وهو اذا تغلب متغلب بقوته وعصبيته على الخلافة ولم يترك مجالا للانتخاب فحينئذ ما ذا يجب على الامة اذا كان المتغلب غير أهل لها وظالما وفاقدا لشروطها ؟ فهل يجب عليها ان تخرج عليه وتقاتله ؟ ام يجب عليها ان تطيعه وتنقاد له وتؤدي اليه الزكاة وتقيم وراءه الجمعة والجماعة وتعمل تحت سيطرته سائر الاعمال التي لا تتم الا بوجود الخليفة والامام ؟

لما كانت هذه المسئلة اهم المسائل الحيوية ، وأساس حياة الامة الاجتماعي

---

(١) أي لم يراع فيه الاشرف نسبا من بيوت قريش التي حصر الرسول الخلافة في جملتها بل يرجحون كفاءته من أي بيت منهم كان ،وسيعلله بعد بأنها لو جعلت وراثية في بيت معين لبقيت في بيت الخليفة الاول كما هو الشان في بيوت الملوك الى عهدنا هذا وضرب له المثل بالخلفاء الراشدين (٢) يعني أنه رشحه والامة رضيته فبايعته

قال (ص) «من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع اميري فقد أطاعني ، ومن عصى اميري فقد عصاني » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وفي رواية أخرى لمسلم « من أطاع الامير » أي اطاع امام المسلمين

وقال« اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة » (البخاري ومسلم عن أنس)

يظهر أن هذه الجملة كثيرا ماكان يكررها صلى الله عليه وسلم ولا سيما في خطبه ولذا تجدها مروية بألفاظ مختلفة ونسبت الى مواقع مختلفة، وقد قال يوم الحج الاكبر في حجة الوداع التي كانت مشهدا عظيما للمسلمين ، والتي لم يعش (ص) بعدها الا بضعة أشهر « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله ، اسمعوا وأطيعوا » (مسلم)

وقال « من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية » وفي لفظ « فانه ليس احد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه الا مات ميتة جاهلية» (متفق عليه) ومعلوم ان الجاهلية كانت قبل الاسلام ، فمعنى الحديث انه مات على ضلالة عرب الجاهلية — والعياذ بالله ! وفي رواية عبد الله بن عمر (رض) « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولاحجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »

وقال « من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع ربقة الاسلام من عنقه » (الترمذي) وفي رواية «دخل النار» (اخرجها الحاكم على شرط الصحيحين)

وقال « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لانبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون — قالوا فما تأمرنا؟ قال — فوا ببيعة الاول فالاول ، ثم اعطوهم حقهم ، فان الله يسألهم عما استرعاهم »(متفق عليه

وغير هذا كثير من الاحاديث التي لاتحصى ، وشواهد الاجماع ونصوص كتب العقائد والفقه لسنا في حاجة اليها بعد الحديث

فصل

(في شروط الامامة والخلافة)

اذا استقصيت نصوص الكتاب والسنة واجماع الامة ، تعلم ان الشريعة الاسلامية اعتبرت الامامة والخلافة على شكلين متضادين ، واحد منهما اصلي

والفقهاء الى زمن الدولة العباسية وبعدها بيسير (سنة ٦٤٠ هـ سنة ١٢٤٣ م) لقوله (ص) « ان هـذا الامر في قريش » ولذا ذهبت الامامية الى ان الخليفة يجب أن يكون من أهل بيت النبي (ص) ونقول على هذه القاعدة ان الخلافة

= ولما ذكروا أن الخوارج وبعض المعتزلة خالفوا سائر المسلمين في اشتراط القرشية ردوا عليهم بأن الاجماع كان قد انعقد على ذلك من عهد الصحابة مستندا الى النص فلا عبرة بخلافه

قال السعد التفتازاني في شرح المقاصد : ويشترط أن يكون مكلفا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية سميعا بصيرا ناطقا قرشيا فان لم يوجد من قريش من يستجمع الصفات المعتبرة ولي كناني فان لم يوجد فرجل من بني اسماعيل فان لم يوجد فرجل من العجم الخ (ص ٢٧١ ج ٢ طبع الاستانة)

وقال الحافظ في شرح البخاري بعد ايراد الاحاديث في حصر الامامة في قريش المؤيدة لما رواه البخاري منها ما نصه :

« ويؤخذ منه أن الصحابة اتفقوا على افادة المفهوم للحصر خلافا لمن أنكر ذلك والى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الامام أن يكون قرشيا » — ثم ذكر من قيده ببعض قريش، كالشيعة ورأي الخوارج وبعض المعتزلة بعدم اشتراط القرشية وتعقبه بقوله « قال أبو بكر بن الطيب لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت حديث « الائمة من قريش » وعمل المسلمين به قرنا بعد قرن وانعقد الاجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف (ص ٥٨١ ج ٢٩ طبعة الهند)

ثم ذكر الحافظ ما رواه أحمد عن عمر من ميله الى استخلاف أبي عبيدة وهو غير قرشي أو معاذ بن جبل وهو أنصاري وجمع بينه وبين نقلهم للاجماع باحتمال أن يكون رجع عن ذلك أو يكون الاجماع قد انعقد بعده. والصواب أن ابا بكر قد احتج على الانصار — وعمر يظاهره — بحديث حصر الائمة في قريش فأذعنوا ولم يعارض فيه أحد منهم ولا من غيرهم فانعقد الاجماع من ذلك اليوم ويكفي هذا اعلالا لرواية قول عمر إنه كان يحب أن يستخلف أحد الرجلين . وهل يوجد شيء يرد به أثر آحادي أقوى من هذا الاجماع وهذه النصوص المتفق عليها؟

وذكر الحافظ قبل ذلك ما أورد على حديث « لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان » على القول بأنه خبر محض من أنه تولى أمر المسلمين كثير من غير قريش وأجاب عنه أولا بأن تولي هؤلاء لم يمنع وجود أئمة من قريش في اليمن والمغرب وغيرها وأن بعض أولئك كان يدعي القرشية كبني عبيد ثم قال « وأما سائر من ذكر ومن لم يذكر فهم من المتغلبين وحكمهم حكم البغاة فلا عبرة بهم (قال)

لم تكن الشريعة لتغفل عنها وتترك الامة بلا هداية ولا بصيرة فيها ولذا تجدها قد اهتمت بها أشد الاهتمام وبينتها بيانا وافيا بعبارات واضحة ونصوص صريحة ومن أجل ذا لم يتردد الصحابة رضوان الله عليهم في تعيين خطتهم لما قامت الخلافة الاموية الاستبدادية بعد انقراض الخلافة الراشدة ، فعاملوها معاملة واحدة كأنهم كانوا عينوها من قبل ، وصارت تلك المعاملة سنة لمن بعدهم ، وأجمعت الامة على استحسانها ، واتخذتها خطة اجتماعية لها . نعم قد اختلف بعض الفرق الاسلامية في الشكل الاول للخلافة، ولكن لم يختلف أحد منهم في الشكل الثاني لا قولا ولا عملا (١)

وقد شرطت الشريعة في الشكل الاول الجمهوري شروطا بالغة في الكمال منتهاه ، وأوجبت على الامة أن تنظر في الخليفة كل الامور التي تلزم لهذا المنصب الرفيع، ولهذه المسئولية العظيمة. وقد اشتهرت شروط الخلافة هذه اشتهاراً عظيما حتى انك تجدها في عامة كتب العقائد والفقه التي يتداولها طلبة العلم في المدارس الدينية — فترى فيها «ويشترط أن يكون (الخليفة) من أهل الولاية المطلقة الكاملة بأن يكون مسلماً ، حراً ، ذ كراً ، عاقلا ، بالغاً ، سائساً بقوة رأيه ورويته ومعونة بأسه وشوكته ، قادراً بعلمه وعدالته وكفايته وشجاعته على تنفيذ الاحكام ، وحفظ حدود الاسلام ، وانصاف المظلوم من الظالم، عند حدوث المظالم » الخ — راجع شرح المواقف والنسفي والتمهيد وشرح الفقه الاكبر للقارئ وشرح المقاصد— ومن كتب المحدثين شرح عقيدة ابن عقيل وفتح الباري وشرح منظومة الآداب وخلاصة ابن مفلح ونيل الاوطار ووبل المرام للشوكاني والاقناع وشرحه وغيرها من الكتب ،

وأما شرط القرشية ففيه اختلاف (٢) وقد كان يقول به أكثر العلماء

---

(١) اطلاق النفي خطا فالخلاف وقع قولا وعملا ذهب كثيرون الى مقاومة السلطة الجائرة وغير الشرعية، وكثيرون الى طاعتها، وسيأتي تحقيقه. وما زالوا يستعدون لاسقاط خلافة الامويين حتى أسقطوها وهي في ريق شبابها

(٢) يظهر ان للكاتب - عفا الله عنه - ميلا الى اضعاف هذا الشرط الذي أجمع عليه أهل الصدر الاول قبل ظهور الشقاق في الامة وهم أهل الاجماع الصحيح دون غيرهم والاحاديث الصحيحة فيه كثيرة متفق عليها وقد ذكر حديثا واحداً منها لم يقرنه بذكر من خرجه من رواة الصحيح ، وقد صرحت الكتب التي ذكرها كلها بشرط القرشية

الناس من أن يتصدوا لها ، ويرشحوا أنفسهم لاجلها ، وينافسوا فيها ويتطلعوا اليها ، فيقاتلوا ويحاربوا عليها ، ويسفكوا الدماء في سبيلها — وقد كان رسول الله (ص) يبايع الناس على هـذا فيقول « لا ينازع الامر أهله » [1] هذه كلمة صغيرة في ظاهرها ، كبيرة في ذاتها ، وكافية لابطال الحروب والمنازعات بأسرها. وقد بوب البخاري في صحيحه عليها بابا فقال «باب مايكره من الحرص على الامارة» وروى فيه حديث أبي موسى الاشعري قال : قال النبي (ص) «انا لانولي هذا الامر من سأله ولا من حرص عليه » وكان الغرض من هذا التحذير والمنع لان الناس اذا لم يحرصوا عليها ، سهل للامة انتخاب الاصلح والاهل لها

هذا هو النظام الحقيقي الذي جعلته الشريعة للخلافة الاسلامية ولو بقي معمولا به لصلحت الدنيا كلها، ولكن النبي (ص) كان يعلم أنه لا يدوم اكثر من ثلاثين سنة فبين للامة مايجب عليها عندما ينهدم ذلك ويحل محله الاستبداد والقهر

لنفحص المسئلة فحصا جيدا ، لنرى أية خطة أحسن عند تغلب المتغلبين على الخلافة ، فان هنا خطتين (احداهما) أن يقبل الاستبداد ويخضع له صيانة للجماعة وحفظا لنفوس الامة وذودا عن البلاد الاسلامية من الاعداء وصونا لاوامر الشريعة من التعطيل وغيرها كثير من المصالح العامة ولا تنس أن هذه الحكومة وان كانت مستبدة قاهرة الا انها اسلامية تغار على الدين وترفع شأن الامة في نظر الاعداء، نعم تنتقل الحكومة الاسلامية في هذه الصورة الى مستبـد تغلب عليها ولم يبال بالنظام الشرعي لها ولاريب في أنه تنشأ عن هذا مفاسد كثيرة [2]

وأما الخطة الثانية فهي أن يقاتل المتغلب ويخرج عليه وترد الخلافة الى من هو أصلح لها منه . ولكن اذا فعل ذلك جرت الدماء انهارا في حروب تشيب من هولها الولدان، واختلت المصالح العامة، وتزلزلت الهيئة الاجتماعية، وبطل الامن، وعمت الفوضى، وتعطلت أوامر الشريعة ، وهدمت الجوامع،

(١) يتامل كلمة أهله وما يراد بها شرعا هل يمكن أن يكون منها الظالمون المستبدون ؟

(٢) اكثر هذه المفاسد على جرثومتها ان الامر يجري على القوة لا على الشريعة، واي حاكم تخضع له الامة خضوعا اعمى لم يقف عند حدود الحق والعدل، فلا يتعداها على علم ولا عن جهل

لعلي عليه السلام ثم لائمة العترة، رضوان الله عليهم أجمعين — وذهبت الزيدية إلى أن الخلافة في بني فاطمة كلهم ولا خصوصية فيها لائمة أهل البيت فالامامية تشترط في الخليفة مع سائر الشروط المذكورة آنفاً ، ان يكون من أهل البيت النبوي، والزيدية توسع فيها وتقول كل بني فاطمة أهل للخلافة وهم يستحقونها دون غيرهم

ولا تنسين ان هذا الاختلاف في الشكل الاول. اما في الشكل الثاني — أي اذا لم تقدر الامة على انتخاب الخليفة لتغلب المتغلبين — فلا خلاف فيه بين المسلمين لكثرة الاحاديث الصحيحة واجماع الصحابة وأئمة أهل البيت في هذا الباب ولذا ترى الامة قد اتفقت كلمتها على أنه اذا استولى مسلم بقوته وشوكته وعصبيته على الخلافة وتمكن فيها وقامت حكومته وقوي أمره وجب على الامة ان تطيعه وتسمع له وتخضع لخلافته مثل مالو كان أصابها بحق ، ولا يجوز لاحد الخروج عليه والقيام على وجهه ، ومن يفعل ذلك يقاتله المسلمون ويعينون الخليفة عليه ، مهما كان الخارج ذا فضل وصلاح وأهلية، لانه مفارق للجماعة وخارج على السلطان[1]

هذا هو حكم الشريعة في هذه الصورة ، وحكمته واضحة جلية ، وهي ان قيام الشريعة وبقاء الامة يتوقف على الحكومة القوية . اذ هي أساس للحياة الاجتماعية ، وقد جعلت لها الشريعة نظاما في غاية من الكمال والجودة، فخولت للامة حق انتخاب الامير ، وجعلت الشورى أساسا للانتخاب ، وشرطت شروطا في الامير ، ولم تعتمد في الامارة على امتيازات الجنس والعصبية والملوكية — بل جعلتها حرة وجمهورية محضة لا يشوبها الاستبداد والضغط أبداً، ثم حذرت

= وقال القرطبي هذا الحديث خبر عن المشروعية أي لا تنعقد الامامة الكبرى الا لقرشي مهما وجد منهم أحد . وكأنه جنح الى انه خبر بمعنى الامر وقد ورد الامر بذلك في حديث «قدموا قريشا ولا تقدموها» أخرجه البيهقي . وذكر له شواهد من الصحاح وغيرها (ص ٥٨١ ج ٢٩ ايضا)

(١) حكاية الاجماع باطلة كما أشرنا اليه في حاشية سابقة، وان الحافظ ابن حجر قال انهم يعدون المتغلبين على الخلافة من البغاة لخارجين على السلطة الاسلامية وسيأتي مزيد بيان لذلك

ويأخذ الزكاة ويقيم الجمعة والعيدين ويدافع عن الثغور ويرابط على الحدود؟
وأيم الله لو كان كذلك لتداعت الامم الاكالة على المسلمين ولاحتلت بلادهم وخضدت شوكتهم واستعبدتهم وأذلتهم وفعلت بهم ما فعلت! فقبول خلافة المتغلب أحسن وأهون ، أم هذا الخراب والدمار الذى ليس فوقه خراب ولا دمار؟ ولذا امرت الشريعة بطاعة الخليفة المسلم مهما كان ظالما ومستبدا وكيفما كانت سيرته وسريرته ما لم يأمر بمعصية الله ، وما أقام الصلاة — والله تعالى أعلم بما يأمر وهو بصير بمصالح العباد ! (*

(* الكاتب فرض صورة للتعارض بين الحق والتغلب لا تطرد بل قلما تقع وجملها قاعدة للترجيح ، : ان مجموع الاحاديث الواردة في الامامة والامارة تدل على أمور يعز أن تجدها مجموعة في مكان واحد فتجمع بها بين ما يتراءى لك فيها من التعارض(١) ان الامام الاعظم (الخليفة) يجب أن يكون من قريش (٢)ان طاعة الامام واجبة شرعا مادام مسلما يقيم الصلاة بالناس ويقودهم بكتاب الله وانما الطاعة بالمعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (٣) ان طاعة الامراء والولاة والعمال الذين يوليهم الامام قيادة الجيوش والادارة والقضاة والجباية يطاعون وتؤدى اليهم الحقوق بالشرط الذي يطاع فيه الامام بالاولى. وفي حديث يحيي بن حصين عن جدته أم الحصين بنت اسحق الاحمسية أنها سمعت النبي (ص) يخطب في حجة الوداع وهو يقول « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » رواه مسلم وفي أحاديث أخرى ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف ومنه حديث علي عند الحاكم مرفوعا باسناد جيد ورجح الدارقطني وقفه قال في آخره « وان أمرت قريش فيكم عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا له وأطيعوا » (٤) ان ظلم الائمة والأمراء وفسقهم وأثرتهم لا تبيح لافراد الامة عصيانهم فيما يامرون به من المعروف لان ذلك يستلزم ما هو شر منه وهو الفوضى وفساد جميع الامور العامة . فكل ما ورد في كتب الكلام والفقه وشروح الاحاديث من وجوب الطاعة فالمراد به ما ذكرنا لما عللناه به (٥) إن ذلك كله لايدل على وجوب رضى الامة بالظلم والبغي والأثرة ولو من قريش ، ولا على الخضوع لكل قوي مستبد ، ويستحيل أن يكون هذا حكم الدين وهو يهدم الحق والعدل والفضيلة ويفسد على الامة دينها ودنياها ، ولا يمكن ترجيح احاديث الطاعة المطلقة على الاحاديث المقيدة لها بالمعروف والشرع وعلى سائر النصوص المعلومة من الدين بالضرورة . وانما يظهر الجمع بينها بان على الافراد السمع والطاعة وعلى أهل الحل والعقد من زعماء الامة التي

ونهبت البيوت ، وخربت البلاد ، وانصبت على رأس الامة المصائب ، وأصابها كل ما يصيب الامم في مثل هذه الحروب التي تثيرها الاهواء والشهوات . ومع هذا لا يعرف متى يستتب الامن وتعود الراحة ؟ اذ كل صاحب عصبية وذي مطامع كبيرة ينهض قائلا : أنا أحق بالخلافة من صاحبها ، فعلى الناس أن يبايعوني ويقاتلوا في صفي وينصروني على عدوي ! » [1] فماذا تكون حال الامة اذ ذاك ؟ ألا تكون كالريشة في مهب العواصف تقلبها الرياح كيف ماشاءت ؟ أولا تصبح كسفينة في بحر محيط لا ربان عليها ، تتقاذفها الامواج يمنة ويسرة فتعلو تارة وتسفل اخرى ويخشى عليها الغرق كل آن ؟ ولا ينكر أن مع هذه المخاوف والاهوال يحتمل أن ترد الخلافة الى الاصلح لها ، فأي صورة أحق أن ترجحها الشريعة الغراء ؟ أتلك التي مصالح الامة فيها مصونة مضمونة ، والمفاسد محتملة ؟ أم هذه التي الخراب والدمار فيها محقق ، ورد الحق الى اهله محتمل ؟

كل من له أدنى حظ من العقل الصحيح لا يتردد في الجواب بأن الصورة الاولى أحق أن تقبل وتعول عليها في مثل هذه الحالات ، وقد فعلت الشريعة ذلك جريا على قاعدة « المنافع تجلب والمضار تدفع » واذا اختلطت المصالح والمفاسد ، تختار الشريعة طريقا أقل مضرة واكثر مصلحة وترجح أهون الشرين ، اذ لو لم تفعل ذلك وفرضت على الامة عدم الخضوع لاحد سوى جامع شروط الخلافة والمنتخب على الطريقة الجمهورية الصحيحة لقام كما قلنا كل من اتخذ الهه هواه لنيل الخلافة وقال هذا الخليفة ليس بأهل وأنا أحق منه وأجمع للشروط — ثم ماذا كان بعد ذلك ؟ القتل والسلب واهراق الدماء وزهق النفوس وانهدام الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان الامة . فمن كان يحافظ على البلاد ويحكم بين العباد ويعاقب المجرمين ويحد السراق وقطاع الطريق

---

(١) الصواب أن هذا من لوازم الخضوع لكل قوي يتغلب إذ لو كان أصحاب هذه المطامع يعلمون أن الامة انما تخضع للحق لا للقوة وأنها لا تزال تقاتل المستبد الخارج حتى يهلك او تهلك لما خرج عليها خارج ، ولا تغلب مستبد ظالم ، وكلام الاستاذ أبي الكلام هنا متعارض متدافع ، وبعض ما فرضه من صور المسألة غير متعين الوقوع بل نادر ، ومقاومة الظلم والاستبداد وتغيير المنكر فرض لازم ، ولكن يراعى في تنفيذه ارتكاب أخف الضررين عند التعارض

فأهل علم وإيمان » الخ (رواه البغوي عن انس) وحديث عبد الله بن مسعود « ما من نبي بعثه الله في امته قبلي الا وكان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » الخ (مسلم) وغيرها كثير

ففي هذا الدور أمرت الامة بأمرين : الطاعة والاقتداء بالخلفاء — ثم تأتي بعده أحاديث الدور الثاني ، فيبقى حكم الطاعة على حاله فتطيع الامة خلفاء هذا الدور أيضا مثل طاعتها لخلفاء الدور الاول ، ولكن يتغير الحكم الثاني ، أي حكم الاقتداء ، فلا يقتدى بهم ولا تتخذ أعمالهم سنة متبعة ، لانه كان معلوما من قبل أنهم لا ينالون الخلافة على النظام الشرعي ،ولا يكون سيرهم طبقاً للكتاب والسنة ، فيكون فيهم الصالح والطالح والقبيح والحسن ، فلذا أمرت بطاعتهم، ونهيت عن اتباعهم والاقتداء بهم — بل اذا قاموا لنشر بدعتهم، وترويج فسادهم وجب على كل أحد السعي لسد فسادهم ومنع منكرهم بيده ولسانه ، وان لم يستطع فبقلبه يبغض أعمالهم «وذلك أضعف الايمان وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل فعن عبادة بن الصامت (رض) قال « بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الامر أهله،الا أن تروا كفرا بواحا،عندكم فيه من الله برهان» (متفق عليه) أي يطاع الامام في كل حال الا أن يظهر منه كفر صريح

وقال خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » قال قلنا فلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال:«لا ما أقاموا فيكم الصلاة، الا من ولي عليه وال رآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يدا من طاعة » (رواه أحمد ومسلم)

وعن حذيفة قال قال (صلعم) « يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس ، قال : قلت : كيف يارسول الله ان أدركت ذلك ؟ قال «تسمع وتطيع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » (أحمد ومسلم)

وقال (صلعم) « ستكون بعدي اثرة وأمور تنكرونها — قالوا فما تأمرنا؟ قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم »(متفق عليه عن ابن مسعود وأخرجه أيضا الحارث بن وهب وأورده الحافظ في التلخيص)

فصل

(نصوص السنة واجماع الامة)

من يلقي نظرة سطحية على الاحاديث النبوية يرى أن رسول الله (ص) كان يخبر بما سيكون في المستقبل من انقلاب الحال وتغير الناس ، ويبين لكل حالة وكل دور علائم وآيات ، ويرسم للامة خطة تناسب كل وقت وزمان. وان هذا لمن اكبر الادلة على صدقه وصدق نبوته ، اذ كل ما اخبر جاء كفلق الصبح ، وان كان الناس لا يصدقون بذلك فبأي دليل يثبتون ما جرى في الزمان الغابر ، فكل احد يستطيع ان ينكر حينئذ وجود الاسكندر المقدوني والدولة الرومانية ، بل نابليون وحرب واترلو

والحاصل أن رسول الله (ص) كان يعلم بما يقع بعده ، ولذا جعل لكل حالة ووقت امرا وحكما ، وأمر الامة بامتثال أمره ، فيجب على الباحث أن لا يخلط بين الاوامر والاحوال خلطا ، بل يضع كلا منها في موضعه ، والذين لم يفعلوا ذلك أخطاؤا وغلطوا في فهم الاحاديث ولم يستطيعوا التوفيق والتطبيق بينها

يرى الناظر أولا الاحاديث التي ذكرت فيها الخلافة الراشدة ، ولكونها كانت معلومة لديه بأنها ستقوم على منهاج النبوة تماما ، اوصى الامة بطاعتها واتخاذ أعمالها قدوة وسنة كسنته نفسه (ص) ففيها — روى عرباض بن سارية حديثه المشهور قال «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فوعظنا موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقيل يارسول الله ! وعظتنا موعظة مودع فاعهد الينا بعهد ، فقال « عليكم بتقوى الله ؛ والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، وسترون بعدي اختلافا شديدا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » (ابن ماجه والترمذي) وحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم » الخ وحديث «أما طبقتي وطبقة أصحابي

= هي صاحبة السلطان وهم أهل الشورى والزعامة فيها أن يوقفوا الائمة والامراء عند ما أوجب الله من الحق والعدل والتزام الشرع بما دون الخلع لغير الكافر ان أمكن وأن يستعدوا لذلك بما تترجح به المصلحة على المفسدة . وكذلك فعلت كل الامم التي استقام امر حكومتها ولم توطن امة نفسها على الخضوع الا كانت من الهالكين واطلاق القول بالخضوع للمستبدين الجائرين لاجل قوتهم خطأ عظيم واية حكومة قامت بالقوة ثم قاومتها الامة براي زعمائها ولم تسقط ؟ وسيأتي ما يقرب من هذا الجمع من النووي

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصايب ومخمصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شكيب أرسلان

٦

ثم لا ينبغي ان ننسى ان لجبل لبنان علة ثانية زادته وبالا على وبال وهي ولوع أهله بتربية التوت وترفيههم هذه الشجرة ما استطاعوا اليه سبيلا. وهم معذورون في ذلك لان الجبل بضيق أراضيه ووعورتها لا يلائم أهله في اعتمادهم على التوت الذي

= وذكر في شرح قوله « الا أن تروا كفرا بواحا » روايات أخرى بلفظ المعصية والاثم بدل الكفر ثم قال : وفي رواية اسماعيل بن عبدالله عند أحمد والطبراني والحاكم من روايته عن أبيه عن أبي عن عبادة « سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون. فلا طاعة لمن عصى الله» وعند أبي بكر بن أبي شيبة من طريق أزهر بن عبد الله عن عبادة رفعه «سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا تعرفون و يفعلون ما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة »

وقال في شرح قوله « عندكم من الله فيه برهان » أي من نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التاويل . قال النووي : المراد بالكفر هنا المعصية ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الامور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم الا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الاسلام فاذا رأيتم ذلك فانكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم اه وقال غيره المراد بالاثم هنا المعصية والكفر فلا يعترض على السلطان الا اذا وقع في الكفر الظاهر . والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما اذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية الا اذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما اذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية فاذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل الى تثبيت الحق له بغير عنف ، ومحل ذلك اذا كان قادرا والله أعلم . ونقل ابن التين عن الداودي قال . الذي عليه العلماء في امراء الجور أنه اذا قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب والا فالواجب الصبر . وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء ، فان أحدث جورا بعد ان كان عدلا فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع الا أن يكفر فيجب الخروج عليه . اه (ص ٥٢٤ ج ٢٩ طبعة الهند)

وعن جابر بن عتيك مرفوعاً عند أبي داود بلفظ «سيأتيكم ركب مبغضون فاذا أتوكم فرحبوا بهم وخلوا بينهم وبين ما يبتغون ، فان عدلوا فلانفسهم وان ظلموا فعليهم »

وعن وائل بن حجر قال « سمعت رسول الله (صلعم) ورجل يسأله فقال أرأيت ان كان علينا أمراء يمنعونا حقنا ويسألونا حقهم؟ قال «اسمعوا وأطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » (مسلم والترمذي وصححه)

قال صلعم « على المرء المسلم ، السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر) - اذ لا يعصى الله خالق السموات والارض في شئ مهما صغر وقل ، لمخلوق مهما كبر وعظم وارتفع شأنه — وان هذا ما قاله الاسلام وجميع الاديان وكل العقلاء والحكماء

ولذا أمرت الشريعة بأداء الصدقات والزكاة الى العاملين عليها ، مهما كانوا ظلمة وفسقة وخونة ، ولا يجوز منعها عنهم لاجل ذلك — نعم يجوز السعي عند الامام في عزلهم ولكن ماداموا على عملهم لا يجوز منع الزكاة عنهم لئلا يختل نظام الامة - كما في رواية بشير بن خصاصة أنه قال قلنا « ان قوما من أصحاب الصدقة يعتدون علينا أفنكتم من أموالنا بقدر ما يعتدون علينا ؟ فقال « لا » (قال أبو داود رفعه عبد الرزاق عن معمر) وفي رواية سعد ابن أبي وقاص ، قال « أدفعوا اليهم ما صلوا » وروى ابن أبي شيبة انه قال رجل لابن عمر : الى من نؤدي الزكاة ؟ قال الى الامراء ، فقال الرجل «اذا يتخذون بها ثيابا وطيبا » قال وان فعلوا ذلك ادها اليهم الزكاة !

ولذا ترجم اصحاب الحديث « باب براءة رب المال بالدفع الى السلطان مع العدل والجور » (كما في المنتقى) وبه قال جمهور الفقهاء وائمة اهل البيت . كما نقل عن الامام الباقر عليه السلام في الاصول والى هذا ذهب المحققون من الامامية والزيدية [1]

(١) قال الحافظ في شرح حديث البخاري في المبايعة على السمع والطاعة الذي تقدم في الاصل عند قوله فيه من كتاب الفتن «وان لا ننازع الامر أهله» أي الملك والامرة ، ثم ذكر زيادات في الحديث من روايات أخرى منها «وان نقوم بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم »

والداني كيف كانت الالوف تفرّ من الجيش العثماني في فاسطين من قلة القوت . وكيف كانوا فيه يقتاتون الحشائش، ويموتون ألوفا من سوء التغذية ، وكيف كان الولاة بانفسهم يذهبون الى جبل الدروز بايديهم الذهب الرنان الاصفر يعرضونه على أهله ليأخذوا بدله ما يميرون به العسكر وكثيراً ما كانوا يخفقون في سعيهم . و بقيت الاقوات مدة مديدة ترد على جيش فاسطين من قونيه من قلب الاناضول وذلك لخلو سورية ثم حلب ثم أطنه نفسها مما يكفي الجيش والاهالي معا . فالذي يقصد «التجويع» لابد ان يكون هو شبعان لاجائعا . والافلا يكون قصد التجويع بل يكون أصيب هو بالجوع وعجز عن الميرة . ومن عجز عن كفاية نفسه فهو عن كفاية غيره أعجز . وربما قيل ما دامت الاناضول فيها ارزاق فلماذا بخلت بها الدولة على أهل سورية، والجواب لم يكن في الاناضول أرزاق تفيض عن حاجة أهلها بل اشتد الغلاء في كثير من ديار الاناضول ووقعت المجاعة في القسم الشرقي منه ومات مئات ألوف من أهله جوعا، وكثير من السوريين الذين كانوا منفيين في الاناضول ولا سيما في جهات سيواس وطوقات يشهدون بذلك . فان قلنا ان الاتراك أماتوا نصارى لبنان تجويعا لمحبتهم فرنسا فقد مات ألوف مؤلفة من مسلمي سورية من الجوع أو من الامراض الناشئة من فقد الغذاء والدواء (وأكثر الموت الذي وقع في لبنان هو أيضا بالامراض الناشئة عن ذلك ومات بعض بالجوع رأسا) فهل قتلت الدولة هؤلاء المسلمين أيضا لحبهم لفرنسا ؟ وان رد بأنها تعمدت قتل هؤلاء لكونهم عربا فهل تتعمد قتل اتراك الاناضول ومهاجري ارضروم ووان و بتليس الخ وهم اتراك واكراد وجميع ارتكانها هو عليهم ؟ وهل كان هؤلاء الاتراك والاكراد الى تلك الدرجة ذائبين في حب فرنسا !! حتى قتلتهم الدولة ؟ واذا كانت الموصل التي هي من أخصب بلاد الله وأوفرها زرعا وادرها ضرعا بلغ من شدتها أثناء الحرب ان أكل الناس فيها لحوم البشر فهل يعجب الانسان من ان تمس المجاعة أهل جبل لبنان الذي أكثره صخور صماء وأتربة جرداء ؟ كنا في لاستانة سنة ١٩١٧ و١٩١٨ وكان كثير من الفقراء فيها يموتون جوعا ، وهي عاصمة الملك وكان الاغنياء يوزع عليهم الخبز الاسود المجهول الماهية بمقادير قليلة ولولا فتح

منه الحرير. وهذا القليل منه يغنى عن الكثير من غيره . ولكن حال الحرب ليست كحال السلم . فلما نشبت الحرب العامة نسوا ان البحر سيصبح مسدوداً في وجههم وان البر من الداخل ستقل فيه المزروعات بسبب ذهاب الشبان كلهم الى العسكرية وأخذ الجيش للبقر والجمال . وربما لم ينتظروا أن يكون أمد الحرب سنوات متعددة بل ظنوه بضعة أشهر فلم يعملوا شيئاً من الحيطة لانفسهم وبقوا يعاملون التوت كالاول وكما لو لم تكن حرب ، ويأبون ان يزرعوا بين شجره قمحا أو شعيراً لئلا يلحق من ذلك ضعف بالشجر وكذلك بين شجر الزيتون وغيره من الاشجار . وظنوا في أنفسهم ان الدولة لابد ان تميرهم من حوران والشام وحلب وغيرها . وكانوا يقولون: ان السلطان بلاده واسعة فلا يعجز أن يبعث الينا بحاجتنا من الحبوب. وفاتهم ان أكثر بلاد السلطان بعيدة عنهم وانه لا يربطها بهم سوى خط حديدي واحد لا يقدر ان يقوم بنقل مئات الالوف من العساكر مع مدافعها وأثقالها وبشحن جميع لوازم الاهالي، وان رجال العسكرية في الحرب لا يقدمون شغلا على شغل الحرب. غفلوا عن هذه الامور وتوهموا أحوال الحرب كاحوال السلم فقتلهم الجهل. وعندي ألوف من الشهود من أهل الجبل انني من أول الحرب حتى من قبل خوض الدولة غمراتها كنت أطوف على اللبنانيين وأعظهم وأبصرهم العواقب قائلا لهم ازرعوا جميع أراضيكم ولا تعفوا ولا على ما يتخلل منها التوت أو الزيتون فان الاهم يتقدم على المهم ، واني أخشى بشدة ترفيهكم لاشجاركم ان تموتوا جوعا والشجر ليس بأغلى من البشر .فلم يستبينوا النصح الا ثالث سنة عند ماستهم اللأ ولاء ورأوا أنفسهم هالكين ان لم يفعلوا .ولكن كان الضعف يومئذ قد استولى على كل شيء ،ونضبت أكثر موارد الانفاق فلم يبق من قوة لزرع جميع تلك الاراضي التي لو زرعوها من أول سنة مع ماينالها من الريّ الوافي لجاءت بغلال تحجب عين الشمس، ولكانت قوة لهم للسنين الشديدة التي جاءت فيما بعد . فانت ترى ان الجهل باحوال الحروب وبعواقبها ، والاعتقاد بكون الدولة تقدر على كل شيء كانا من أسباب هذه المصيبة الكبرى . وكيف تقدر الدولة ان تطعمهم كفايتهم وقد عجزت في الآخر عن اطعام جيشها ، وكان الجوع من أفعل الاسباب في فشل الدولة بالحرب . ولقد علم القاصي

التي وردت من أميركا بأرزاق لاهل السواحل ووقفها الانكليز في الاسكندرية ولم يسمحوا بوصولها الى بيروت قد وصلت وأفرغت واستفاد منها المسلمون دون المسيحيين لا عجب أن يكون هو واضرابه مروّجين لحديث « التجويع » المقصود ولا غرو أن نكون نحن ممن يتوخى فضيحة تلك الاضاليل حتى يزول أثرها السيء من الاذهان .

انه سيظهر لك أيها القارئ مما سيأتي بالدليل القاطع والبرهان الساطع انه لو شاء الحلفاء لاوصلوا الاعانات الى سواحل سورية كما أوصلوها الى ممالك أخرى عضّها الجوع بنابه أثناء الحرب ولوقوا من الموت أولئك الالوف الذين ماتوا من مسلمين ونصارى . ان الحلفاء مع كونهم في حال حرب مع المانيا أمكنهم أن يتفقوا معها على اعاشة بلجيكا وتعينت لذلك لجنة مؤلفة من متحايدين اسبانيين وهولانديين كانت تأتي بالحبوب والارزاق من أميركا وتوزعها على المعوزين في بلجيكا وعلى كل من ينقصه شيء فلم يمنع وجودهم محاربين للالمان من أن يتفقوا معهم على اغاثة أمة أشفقوا أن يمسها الجوع . ولقد ثبت انهم أرسلوا الى البولونيين بامدادات وافرة والى الصربيين والى غيرهم . فلو كانوا يحبون أهل لبنان كما يدّعون لاتفقوا مع الدولة العثمانية وقتئذ وأغاثوهم ولو بسداد من عوز، ولانقذوا تلك الخلائق من الموت، أو لسمحوا على الاقل بتسريب الاعانة التي أرسلتها أميركا لاجل سورية والاعانة التي كان البابا ينوي ارسالها الى المسيحيين وهم كانوا الحائلين من دونها، أفتكون هذه هي الحقيقة وتكون التبعة العظمى في عدم دفع هذه المجاعة عليهم ونأتي نحن لاغراض في الانفس فنبرئهم من جناية هم أنفسهم أدرى بأنهم كانوا فاعليها لاسباب حربية وسياسية قامت في نفوسهم، ونقول لهم: كلا انما اجاعنا الاتراك وأنتم أولاء أحييتمونا ؟ ولكثرة مانردد امامهم هذه الكلمة يبلغ بهم الامر أن يظنوا كونهم صاروا أحق بالبلاد من أهلها وأن يصارحونا بقولهم : لولانا لكنتم جميعا هلكتم جوعا . كما رددوا ذلك مراراً، وآخر مرة أعلنها الجنرال غورو على مائدة غبطة البطريرك الماروني في الديمان بدون محاباة

هذا ولقد آن لنا أن نستشهد على أسباب هذه المجاعة بكلام عظيم هو بطريرك

المانيا وحلفائها بلاد رومانيا الغنية بالحنطة والذرة وجلب الاتراك منها ما نفّس قليلا من خناق الآستانة لم يكن أحد يعلم ماذا كانت تؤول اليه حالة الاعاشة في نفس العاصمة .

مع هذا كله يوجد كثيرون ممن يقرأون كلامي هذا سيتميَّزون من الغيظ لاجتهادي في اثبات كون المجاعة في سورية حصلت من حالة الحرب الطبيعية وبتواليها بضع سنين، وبالحصر البحري المحكم، وان مثلها وأشد منها قد أصاب بلاداً أخرى من ممالك الدولة العثمانية ومن غير الممالك العثمانية مثل مكدونية والصرب أو بولونية وروسية ولولا كثرة الخطوط الحديدية لقلنا النمسا والمانيا الخ ويقولون لماذا أحاول أن أنفي كون الاتراك جوَّعوا أهل لبنان عمداً وتصدياً لمجرد حبهم لفرنسا ولكون أكثرهم نصارى فهذه الاشاعة يحبون ان تبقى سارية ماشية رائجة وهذا الحجاب يودون لو يبقى دائما على حقيقة الحال مسدلا كرها بالدولة السابقة في سورية وتحببا وتقربا الى الدول المحتلة . . . .

والجواب ان الحق يجب أن يعلو ولا يعلى، واذا كانوا هم يبغضون الاتراك فليبغضوهم ماشاءوا ولكن ليحبوا الحق الذي لايجوز أن يجحد بغضا بزيد ولاحبا بعمرو . والاتراك لهم سيئات كثيرة وجمال باشا اتى أعمالا ذكرناها وقبحناها ولكن ذنب التجويع هذا هم أبرياء منه . فان كان لبعض الناس أغراض سياسية في ديمومة هذه الاشاعة إما تزلفا الى الحلفاء وامَّا تمهيدا للعذر من النفور من كل حكومة اسلامية . . . . . بدعواهم كون الحكومة العثمانية قتلت بالجوع ألوفا من مسيحيي لبنان . . . فهذه الاغراض السياسية ليست عندنا لا بل يجب علينا أن نبينها ونشرحها وننبه الى خطرها وما يترتب عليها من مضار التفرقة بين الامتين اللتين يجب أن تكونا متحدتين أن أرادتا عمران هذا الوطن . فقد طالعت مرة مجلة « مراسلات الشرق » المحررة بالفرنسوية التي ينشرها بباريز هذا المسمى بالسمنة فوجدت من جملة ترهاتها ان باخرة مشحونة أرزاقاجاءت الى سورية أثناء الحرب فأفرغت مشحونها ووزعه جمال باشا على المسلمين وحرم النصارى . . . . فالذي تبلغ به قحة الافتراء وهوس التفرقة بين المسلمين والنصارى أن يزعم كون الباخرة

ذلك . كذلك لم تحشد جنود في الجبل لاجل التضييق على أحد من الاهالي بل بالعكس قد كان هذا الجند المرابط لاجل الدفاع عن البلاد ذا فائدة عظيمة في توطيد الامن العام الذي لم يوجد قط في لبنان قبل الحرب كما وجد الآن ، وكانت سيرة هذا الجند التي هي مثال الادب فوق مدح كل مادح مما اقتضى عرفان الجميل »

« كذلك يعزون الى الحكومة كونها تصرفت بشدة بحق أشخاص اتهموا بالخيانة وقد ثبتت جريمتهم، وتوضحت بوثائق رسمية. والذي لا بد من الاعتراف به هو أن مثل هذه التدابير الشديدة التي لا مناص منها في هذه الاحوال هي مما يجريه جميع الممالك المتمدنة (هنا مثل لاتيني مذكور بنصه ومعناه): ان أسمى عدالة هي سلامة الوطن »

« كذلك نرد صريحاً هذه الاشاعة الغريبة، وهي اننا قد أشخصنا بذاتنا الى الديوان الحربي في حلب نحن الذين لانزال موضوع الكرامة العظيمة والبر من قبل حكومتنا العزيزة وممثلها قائدنا العظيم »

« و بالنهاية بجميع قوة عواطفنا ومن صميم فؤادنا نعلن انه ليس لنا الا أمنية واحدة ودعاء واحد وهي ان القادر على كل شيء يحرس السلطنة السنية، ويقودها من نصر الى نصر الى الظفر النهائي ، ونضم الى هذا الدعاء التأكيد باسمنا و باسم جميع الموارنة بالتخصيص انه ان كانت فرنسا يوما من الايام أو عدوة أخرى أية كانت تجسر ان تتعرض لهذه البلاد من اجزاء سلطنتنا فلتعلم اننا بأجمعنا مستعدون للقتال في صفوف حكومتنا العزيزة، ولبذل جميع مجاهيدنا، ولتحمل كل مناداة طوعا واختياراً، ولنسفك دماءنا ان مست الحاجة الى آخر نقطة»

الياس بطرس الحويك البطريرك الماروني

وربما قيل ان هذا التقرير فيه استطراد الى غير مسئلة المجاعة فما معنى نشره كله والجواب اننا لم ننشره كله لطوله بل نشرنا القسم الاخير منه لما فيه من جلاء الشبهات ولكون الكلام آخذاً بعضه برقاب بعض فلا يحسن اقتضابه ، وان شاء القرّاء ننشره من أوله الى آخره بالحرف لانه وثيقة تاريخية عظيمة القيمة كما انه

الطائفة المارونية من تقرير أرسل به الى جمال باشا سنة ١٩١٦ و بعث هذا بصورته مع صور الكتب التي وردته من سائر البطاركة الى الفاتيكان ليطلع حضرة البابا عليها، فالبطريرك الحويك يطري الدولة العثمانية اطراء اعظيما في مراحمها ومكارمها وشخص جمال باشا في ادارته ويدافع عن أعماله و يبررها ثم يقول ماتعريبه (لان أصل التقرير باللغة الفرنساوية) بالحرف

شهادة بطرك الموارنة للترك وجمال باشا

« أما ما يوجهونه من التهم بشأن وسائل الضغط والتضييق التي بزعمهم قد استعملتها الحكومة بحق السوريين ولاسيما الموارنة اللبنانيين كالاجاعة والنفي فاننا نجد من العبث الاجتهاد في ابطالها وانما نأسف من كون هذه الاراجيف المصطنعة هي عمل بعض ذوي المآرب، ولذلك نعلن عدم موافقتنا لهم ونتتدب من تلقاء أنفسنا و بكل حرية للدفاع عن الحقيقة المقدسة والعدالة السامية »

« انه كما حصل في جميع الممالك المحاربة قد وقعت عندنا أيضا نوازل هامة ومصائب بطبيعة الحال، وذلك مثل الجراد الذي أكل مواسم البلاد ، والحصر البحري، وحجز دول الائتلاف ما يرد باسم السوريين من الحوالات من أميركا، وغلاء الاسعار، وقلة مواد الرزق الوطنية، وتعذر اصدار محصول الحرير. فهذه المحن جاءت كلها دفعة واحدة و بدون اختيار الحكومة العثمانية ووضعت البلاد في مركز ضنك . ولكن لحسن الحظ قد تمهدت جميع هذه العقبات بعناية الدولة الابوية ومآتيها الخيرية، ولا سيما بالمساعي المتواصلة والتدابير المؤثرة التي كان يأتيها حضرة صاحب الدولة أحمد جمال باشا قائدنا الشهير ناظر البحرية وقائد قواد الفيلق الرابع الذي كرم سجيته منقوش على صفحات القلوب، وصدى أعماله الخيرية سيرن مدة أعصر طويلة من أعلى جبل لبنان الشهير . نعم انه بحق يعد أهل سورية ولا سيما المسيحيون منهم وجود دولته في بلادهم احسانًا عظيما ونعمة من الله »

« وأما الاسطورة التي معناها أن الموت جوعا قد فشا في الشعب اللبناني بسبب الحصر المقصود الذي تجريه الحكومة، فهذا افتراء فظيع، ولقد بينا أسباب

« فنحن على ثقة بأن فرنسا تحاول أن تقف عنا موقف دفاع لا فائدة له من أجل غرض في نفسها. وانّنا نحن معاشر العثمانيين العائشين متفرقون عديدة في هذه السلطنة أدرى بأمورنا وأولى بالدفاع عن حقوقنا »

« نسأل الله أن لا يجعل مصيرنا أبداً مرهوناً الى رأفتهم »

« فباسمنا نحن بطريرك الكنيسة الارثوذكسية في سورية وفي كل المشرق التي هي أقدم كنيسة في الشرق نحتج بكل قوتنا على ما قيل بغير حق عن حكومتنا العثمانية العادلة »

« لا يلزمنا أن نبحث في التاريخ وأن نسأل الاعصر الماضية لاجل ابطال هذا الحق التاريخي التي تدعيه فرنسا . فنصارى سورية لم يزالوا هم قرابين أولئك الذين يزعمون انهم حماتهم »

« أي فرنسا هل تقدرين أن تقولي لنا عما اذا كانت حرية الاديان محترمة تحت ظل شرائعك كما هي محترمة عندنا ؟ وهل الكنيسة والاكليروس متمتعان في أرضك بالحماية التي تحوطنا بها نحن الاكليروس والشعب المسيحي حكومتنا السنية؟ »

« نحن اذاً مفتخرون بان نعلن على الملأ انه في ظل مكارم حكومتنا العثمانيـة السلطانيـة وعنايتها الابوية لا مسيحيو سورية وفلسطين فقط بل الاكليروس المنسوب الى فرنسا الحرّة نفسها يتمتعون في ظل هـذه العناية بمـا هم محرومون منه في بلادهم »

« وبناء على ما تقدم كان لنا الحق أن نرى فرنسا تدفعنا الى تجديد شكرنا لدولتنا العلية بدلا من ان نعزو اليها تهماً باطلة ونضيف الى ذلك القول بأن مسيحيي سورية وفلسطين هم من عناية حكومتهم الابوية في غنى عن كل عضد آخر »

« أيصح أن يكون لنا ضلع الى حكومة أجنبية عند ما نكون عارفين يقيناً ان دولتنا هي أعدل وأفضل من الحكومة التي نريد أن نختارها ؟ اذاً يكون ذلك منا فداء السعادة

« ونسأل من صميم القلب الاله القـادر على كل شيء أن يحرس الى الابد حكومتنا المحبوبة وان يوفقها الى تحقيق جميع مقاصدها الشريفة »

بعد شهادة البطريرك الماروني هذه ننشر الآن تقريرغبطة بطريرك الروم الارثوذكس المتقدم الى جمال باشا أيضاً مع كتاب خاص وهذا نص الكتاب معرباً بالحرف

كتاب بطرك الارثوذكس لجمال باشا

« ياصاحب الدولة

« اننا باسمنا وباسم الشعب الارثوذكسيّ في سورية وفلسطين نتشرف بأن نرفع الى معارف معاليكم ما يأتي

« لقد أثرت بنا جداً العبارات الجارحة التي دارت بحق حكومتنا السنية في البرلمان الفرنساوي وردتها الصحافة الفرنسية ، والتي صداها يجرح كرامتنا نحن العثمانيين الصادقين فلذلك جئنا بالوثائق الملحقة محتجين علناً على هذه الاكاذيب الوقحة مفندين هذه المزاعم الباطلة »

« وهكذا فلاجل شرف الامة العثمانية وبمقتضى الحرارة الوطنية المقدسة جئنا نرجو من دولتكم أنتم حامي سورية وفلسطين وأعظم المحسنين عليهما أن تأذنوا بنشر هذه الوثائق لاجل نصرة الحقيقة »

« وفي جميع الاحوال نبتهل الى الله القادر على كل شيء بأن يحفظ شخص دولتكم ويرفعكم من مجد الى مجد لاجل سعادة وطننا العزيز »

« دمشق — الرابع عشر من اكتوبر السنة الالف والتسعمائة والسادسة عشرة

غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

أما التقرير التابع للكتاب فهو ما يأتي معربا بالحرف

« الى دولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الفيلق الرابع »

« في هذا اليوم لا يجهل أحد ماقيل في البرلمان الفرنساوي ومارددته الصحف الفرنسية بشأن المسيحيين عموماً في سورية وفلسطين »

زعموا أن لفرنسا نفوذاً سائداً في هذه البلاد الجميلة التاريخية التي هي جزء من السلطنة العثمانية وادعوا ان الحكومة العثمانية تستعمل وسائل القهر والتضييق على المسيحيين في هذه الديار قاصدة ملاشاتهم بطرق متنوعة كالتجويع والنفي الخ

الرحلة الاوربية

(٣)

الفنادق في سويسرة

كان الامير ميشيل بك لطف الله أوصى توفيق أفندي اليازجي بأن يحجر لنا حجرات في فندق من أرقى فنادق (جنيف) وأحسنها اذ كان بلغنا أن هذه الفنادق ستكتظ على كثرتها بالمسافرين عند اجتماع عصبة الامم ، وأن يستأجرها اذا توقف حجرها على استئجارها، وصح ماقيل من تسابق الناس الى مثل ذلك. فلما وصلنا الى جنيف ذهب بنا الى فندق انكلترة وهو من الفنادق الوسطى ، وموقعه أمام البحيرة جميل، فلم يعجب الامير ميشيل بك وعاتب توفيقا على انزالنا فيه، فاعتذر بأن الخديو كان ينزل فيه. فقلنا لعله كان يراه أعون له على التنكر، وقد نزل فيه في وقتنا الامير عزيز حسن. ثم عهد الامير ميشيل الى جورج افندي يوسف سالم بأن يبحث لنا عن ٤ حجرات في فندق من الدرجة الاولى يكثر فيه كبار أعضاء جمعية الامم ليسهل التعرف بهم، ويكون وجودنا معهم مذكرا لهم دائما بوجود وفد سوري يطالب باستقلال بلاده ، وبعد جهد في البحث والتجوال وجد لنا مطلوبنا في فندق (دي برك) وكان الامير ميشيل قد أوصاه بأن يساوم صاحب الفندق في اجرة الحجرات وثمن الطعام واجرة غسل الثياب فلم يعن بالتدقيق في ذلك بل رضي بأن نعاملهم بالتعريفة التي يطلبونها لظنه أن ذلك محدود كما يقولون . ثم تبين أن الامير ميشيل هو المصيب ، وأنه أعلم بشؤون البلاد من سالم الذي هو اكثر منه أسفارا وتجوالا في الممالك كما قلنا من قبل ، وانه كان يمكن أن يقتصد بالمساومة مبلغا من الجنيهات لا ينبغي التسامح في مثله

وقبل أن أبين الفائدة التي أقصد اليها من ذكر هذه المسألة أذكر دقيقة أخرى للامير ميشيل هي دونها في باب الاقتصاد ، ولكنها تدل على حذق وذكاء واختبار وهي أن أصحاب فندق فيكتوريا في مدينة لوزان لما قدموا لنا جريدة الطعام، وهي مطبوعة ألفينافيها الأثمان المطبوعة مرمجة وبجانبها أثمان مكتوبة بالحبر هي اكثر منها فلم ينتبه أحد منا الى سبب ذلك غيره فقد قال ان هذه الاثمان المطبوعة هي أثمان الطعام لاهل البلد، وانهم انما زادوا

«وأما الحالة الحاضرة وما أوجدته من الازمات فنعترف بأن مثل هذه الازمات هي من شأن آونة كهذه على انهـا تلطفت كثيراً بعناية حكومتنا وليس من حكومة يحق لها أن تفتخر بالاعتناء بمثل ذلك برعاياها»

«وبوصولنا الى هذه النقطة لا يسعنا أن نضرب صفحاً عن ذكر علة سعادتنا والمحسن العظيم على النصرانية في هذه البلاد صاحب الدولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الفيلق الرابع الذي صورته الساميـة تبقى مرسومة أبداً في قلوب المسيحيين ومآثره مكتوبة بأحرف من ذهب في تاريخ بلادنا»

غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

وهناك تقرير ثالث مصحوب بكتاب أيضاً الى أحمـد جمال باشا من (نيافة) المطران ديمتريوس القاضي قائم المقام البطريركي للروم الكاثوليك لاحاجة الى تعريبه ونشره لانه طويل وأشـبه بأخويه السابقين، ويزيد بكونه لا يعرف للكاثوليك الشرقيين علاقة لابفرنسا، ولا بدولة أخرى أجنبية بل بالبابا فقط . وهذه العلاقة مع الكرسي البابوي هي دينية محضة . وربما قيل ان تقارير البطاركة هذه لا عبرة بها لانها استكتبت تحت الضغط والاكراه في زمان كان السيف فيه ينطف دما . والجواب ان أمثال هؤلاء الرؤساء المبجلين يجلون عن ان يكتبوا خلاف اعتقادهم ولم نسمع قط يومئذ ان أحـداً أجبرهم على هذه الكتابة أو أنذرهم بشر إن تأبوا ان يعطوا هذه الشهادات ، وكانت كرامتهم دائماً محفوظة أيام الحرب وتوقيرهم تاما. ومرة تكلم أمامي انا جمال باشا مع بطريرك الارثوذكس في ان يحرر شيئاً في جريدة الشرق فلم يجاوبه البطريرك أصلا، وكنت أراه معـه في غاية المتانة، فرجل كهذا لا يصرح بهذه الشهادة الطويلة العريضة ان خالفت وجدانه . وقصارى مافي الامر ان يكون جمال باشا أرسل اليهم بأنه في مجلس البرلمان الفرنساوي قيل كذا وكذا فماذا يقولون هم ؟ ثم ان قيل ان هـذه الكتابة من غبطة البطاركة وقعت يومئـذ بالاكراه والاجبار — وهو مالم يقع — فلماذا لا يقال ان انكار بطريركي الارثوذكس والموارنة للمؤتمر السوري الفلسطيني المنعقد في جنيف هو واقع أيضاً تحت مثل هذا الضغط من الجنرال غورو، ولماذا تتبجح بذلك فرنسا وأذنابها ويعدونه حجة علينا؟..

والحكمة ، والشكر الذي تدوم به النعمة ، واني قبل التثريب على أولئك السفهاء المسرفين ، أذكر لهم مثلا من قصد الاجواد المتقدمين والمتأخرين ،

روي في مناقب الامام الحسن السبط عليه السلام أنه جاء المدينة المنورة تاجر من العراق بأحمال من أجود الثياب ، فاشتراها منه الحسن بعد أن بالغ في المساومة معه ولم يترك له من الربح الا القليل ، ثم أخذ منها ثوبا أو ثوبين ووزع الباقي على الحاضرين ، فقال له التاجر يا ابن رسول الله لقد بالغت في مساومتي حتى لم يكن لي من الربح على تعبي الا القليل وقد كنت أحق من هؤلاء الناس بمثل ما أعطيتهم — أو ما هذا معناه — فقال له الحسن: « المغبون لا محمود ولا مأجور » أي لا هو مهدي هدية فيحمد ولا متصدق فيؤجر . وهذا حديث مرفوع رواه الخطيب عن أبيه والطبراني عنه وأبو يعلى عن أخيه الحسين عليهم السلام

وما رأيت أحدا من الاغنياء العقلاء أشبه بالامير ميشيل في إنفاقه وتوفيره، من الشيخ قاسم آل ابراهيم التاجر العربي الشهير في بومبي (الهند) فقد عهدناه ينفق من سعته في الاعمال العامة كالمدارس والاعانات للدولة العثمانية فيهب المئات والالوف من الجنيهات، ولا يطمع أهل الكدية والاستجداء منه بدينار ولا درهم وان وقف على بابه طول النهار، وأطراه بالبليغ من الاشعار، على أن ميشيل لطف الله كثيرا ما يعطي الشعراء والادباء، ولكن دون ما يهب للمدارس والجمعيات الخيرية، والاعمال السياسية ،

فأمثال هؤلاء الاغنياء هم الذين يعرفون كيف يحفظون نعمة الله عليهم بالثروة ، ويكونون أهلا للمزيد والزكاء فيها على كثرة النفقة

هذا وان ما يمكن توفيره من نفقات السفر في أوربة من غير إزراء بصاحبه، ولا نقص في تمتعه، ليس بالشيء التافه الذي لا يعتد به ، وناهيك باختيار المواقع، ومساومة أصحاب المنازل والفنادق. وقد علمنا ان أهم سبب غلاء المواد الغذائية في سويسرة وغيرها وارتفاع اجور الفنادق هو جعل ورقها النقدي (بنك نوت) بسعر الذهب لا ينقص شيئا — وقد كان هذا سببا لقلة قصد السائحين اليها بعد الحرب كما كان يعهد قبلها حتى سائحي الانكليز والاميركيين الذين هم اكثر الشعوب سياحة وأوسعهم فيها نفقة فقد تجولنا بعد

فيها لاجانا ، فان لاهل سويسرة حذقا في اجتلاب الاموال من السياح لا يضارعهم فيه غيرهم، وسبب ذلك أن ما يربحوبه من الاجانب معظمه من الذين يقصدن بلادهم من جميع أقطار العالم المدني للتمتع بمناظر جبالها ومروجها الخضراء ، وبحيراتها الزرقاء ، واستنشاق نسيمها العليل ، وتفيؤ ظل حدائقها الظليل ، فما ينفقه فيها السائحون والسائحات ، هو عند أهلها من قبيل دخل الصادرات ، وأما الصادرات التي تخرج منها الى غيرها فهي قليلة أهمها الساعات من المصنوعات المعدنية فهي أشهر بلاد أوربة اتقانا لها ، والزبدة والجبن والفاكهة من نتائج الزراعة ،

هذا وان جميع الاسعار في بلاد سويسرة محدودة لجميع أنواع البضائع واهلها يغلب عليهم الصدق والامانة، وقدقيل لنا ان اكثر بلاد اوربة ولا سيما العواصم والثغور العظيمة كباريس ومارسيلية يبيعون الغرباء بأسعار اعلى من الاسعار التي يبيعون بها الوطنيين ، واما سويسرة فقلما تجد هذه المعاملة فيها للغرباء في غير الفنادق، ومن اسباب ذلك ان اكثر اصحابها من اليهود

اما بعد فان غرضنا من الالمام بهذا البحث تنبيه القراء الى ما يجب على المسافر من بلاده الى اوربة وغيرها من الدقة والاقتصاد في النفقة ، وحفظ ماله ان يضيع فيما لا يفيد صاحبه حمدا في الدنيا ولا ثوابا في الآخرة ، بل هو من اسراف الغباوة الذي يحتقر فاعله كل عاقل وقف على حاله

ان من لا يعرف ميشيل لطف الله اذا سمع أنه يساوم في اثمان طعام الفنادق، وينبه من يوليه امر نفقته الى امثال هذه الدقائق، يظن انه ممن يصح ان تكتب اخبارهم في نوادر البخلاء ، أوان الدافع له الى مثل هذا التوفير الفقر والاملاق ، اما وكل من يعرف الرجل يعلم انه من اكبر اهل النعمة والثراء ، ومن اشهر الاجواد والاسخياء، وانه مقري الضيوف ، ووهاب الالوف ، فكيف يفهمون بعد هذا منه ، ما روينا من هذه الدقة في التوفير عنه ؟

لا شك ان سفهاء الوارثين المعروفين في هذه البلاد ، وهم لا يعقلون معنى لكلمتي التوفير والاقتصاد ، الذي عليه مدار ثروة الامم والافراد ، يعدون ذلك من الهنات المستهجنات، ويكثرون التنادر بها، واختراع النكات لها واما اهل العلم والبصيرة ، فهم الذين يقدرونه قدره ، ويعلمون انه من العقل

وكنت دائما اطلب بدلا من الالوان التي يدخل فيها لحم الخنزير ، والجبن من متممات الطعام يجوزان يستبدل به بعض الفاكهة — وهي كثيرة وجيدة الا التين فانه قليل ورديء ، وقيل لنا انه يأتي من اسبانية واكثر العنب غير جيد ايضا

(استطراد في اغبياء الاغنياء المسرفين)

هؤلاء الاغنياء المسرفون هم الذين يبذرون الاموال في سبيل الشهوات المحرمة ، والفخفخة الجديرين بأن يسلبوا ما وهبوا من النعمة ، يتوهم الجاهل المغرور منهم أن الشرف والفخار ، في استمالة الفواجر والفجار ، وتملق سماسرة الفسق من قواد وخمار ، وشخوص الابصار على موائد القمار ، واطراء المخادعين من الطامعين والشطار ، وتغرير السماسرة الاشرار ، فتراه بينهم يعطي باليمين واليسار ، ويشتري ساعة الدرهم بالدينار

الا ان هؤلاء الاغنياء الاغبياء ، والمبذرون السفهاء ، هم أعداء الله تعالى وأعداء دينه ، وأعداء أوليائه من فضلاء الناس وخيارهم ، وأولياء أعدائه من أشرارهم ، وأعداء امتهم ووطنهم ، واعداء ذوي قرباهم ، ولا سيما ازواجهم واولادهم ، فهم اذا اعدى اعداء انفسهم .

أما كونهم اعداء الله واعداء دينه فهو انهم يكفرون نعمه عليهم بالمال وبالجوارح والمشاعر والحواس باستعمالها فيما يخالف شرعه الحكيم ، ويضل عن صراطه المستقيم ، وقد وصفهم في كتابه بقوله (ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) ويدخلون في عموم قوله (وأن المسرفين هم اصحاب النار) ولا نطيل في تذكيرهم بآيات ربهم فهم عن ذكره معرضون

واما كونهم اعداء اولياء الله اهل الفضائل ، فهو ان الاسراف قد هبط بهم الى اسفل دركات الرذائل ، وانما يحب الانسان شبيهه ، ويكره بمقتضى الطبع مخالفه وضده ، ولهذا وصفهم الله بأنهم اخوان الشياطين ، وهو يصدق بشياطين الانس والجن ولذلك جمع ، فأما شياطين الجن فهي ما يجدون اثره في خواطرهم ، ووساوس انفسهم ، التي تزين لهم الفسق وتلبس عليهم الحقائق ، بتسمية الرذائل بأسماء الفضائل ، كتسمية الاسراف جوداً وكرما ، وتملق المنافقين (النصابين) جاها ومجدا ، وتهافت العواهر وخدمة الحانات والمواخير عزا وشرفا ، واما شياطين الانس فهم قرناء السوء المنافقون المتملقون الذين يتهافتون على الاغنياء المسرفين ، ولا سيما الشبان الوارثين ، فيزينون لهم في

فض مؤتمرنا في أشهر بلادها ، ورأينا أشهر فنادقها فلم نجد الا القليل من السائحين فيها، ولما ذهبنا الى ألمانية وجدنا الفنادق غاصة بالناس من أهل سويسرة وغيرهم، حتى انك لتطوف على الكثير منها فلا تجد لك حجرة فيها كما سيأتي في محله . وانما كثر الغرباء في مدينة جنيف وحدها لما ذكرنا من اجتماع جمعية الامم فيها، وكثرة قصد المشتغلين بالسياسة اليها .

الفرنك السويسري كالفرنك الفرنسي والليرة الايطالية وغيرها من نقد دول الاتحاد اللاتيني، كلها متساوية في وزنها الفضي وسعرها الذهبي، ولكن التعامل العام قد انحصر منذ اشتعلت نار الحرب في الورق وهو مختلف السعر الآن حتى في البلاد التي يطبع فيها بحسب الثقة المالية قوة وضعفا، والمعيار العام في أوربة لهذا الورق (البون) الانكليزي لان مالية انكلترة اثبت من غيرها من الدول الاوربية التي اشتركت في الحرب ولا يعلوها في ذلك الا الولايات المتحدة وسويسرة فانها كالولايات المتحدة في سعر القطع ففرنكها لا يقل عن اربعة قروش مصرية صحيحة

وان شئت مثالا من امثلة غلاء الفنادق الغريب في سويسرة فاعلم ان ثمن البيضة في السوق قرشان مصريان كما اخبرنا توفيق افندي اليازجي وهي في الفندق أغلى ، وأن اجرة غسل بعض الثياب في شهر واحد قد يزيد على ثمنها ضعفا اوضعفين او اكثر، فان اجرة غسل كل من المنديل والجورب وكيه لا يقل عن فرنكين سويسريين كاجرة القميص واللباس وقد يكون في بعضها أكثر، افليس شراء جديد بدلا من المتسخ هنالك خيرا من غسله كلما استعمل كما هي العادة؟ وقد هال رياض بك صلح انه دفع جنيهين أجرة لغسل ثيابه في الفندق الذي نقيم فيه (أوتيل دي برج) ومتوسط نفقة الطعام في سويسرة جنيه انكليزي او مصري في اليوم وفي فندقنا وما ماثله أكثر، وفي بعض مطاعم السوق أقل .

وهذا الفندق من اغلى الفنادق اجرة وطعاما ان لم يكن اغلاها ، والطعام فيه اجود واكثر منه في فندق فيكتوريا الذي نزلنا فيه اولا (وكتب اولا فندق انكلترة سهوا وطبع) فالالوان هنالك قليلة وهنا كثيرة جدا، ولكن لكل يوم بل كل وجبة الوانا معدودة لها ثمن معين ومن طلب غيرها مما يوجد دائما رهن الطلب كالفراخ والسمك والطير وسائر اللحوم بأنواعها فعليه ان يدفع ثمنه . ومن عاف شيئا من طعام الوجبة فله ان يطلب بدلا منه بغير ثمن جديد،

في اسابيع او ايام ، بل يقترض بعد ذلك بالربا الفاحش ويرهن املاكه لعدم قدرته على كبح جماح نفسه ، والوقوف بها عند حد من شهواته ، ولو ان الجرائد تنشر اخبار هؤلاء السفهاء وما يخسرون في القمار وسائر طرق الفسق والفجور لكان لها تأثير عظيم في ردعهم ، واعتبار الناس بسوء حالهم .

ان آخر ما سمعت من اخبار هؤلاء المسرفين خبر شاب من الوارثين كان قد انفق مبلغا عظيما في سبيل العلم فظننت انه سيكون كالشيخ قاسم ابراهيم في جده وعقله في بذله ، وبعده عن اللهو الباطل واهله، او كالامير لطف الله في جمعه بين منتهى ابهة التمتع بزينة الدنيا وطيباتها ، وبين اعمال البر والمعروف مع النظام والتدبير فيها ، ولكن خاب الامل فيه اذ علمت أنه غلا في الاسراف والتبذير غلوا كبيرا، لعله لايدع له فتيلاولا نقيرا ولا قطميرا ، فهو ينفق أضعاف ماترك له والده الحريص من الدخل الكبير، وطفق يقترض بالربا الفاحش ويرهن ويبيع، فحزنت وأنا لاأعرفه عليه ، وتمنيت لوتخلص مثل هذه النصيحة اليه،وأن لا يكون إن نصح ممن قال الله فيهم (أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون — ومن قال فيهم — ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)

وكذلك ماينفقه هؤلاء في وطنهم يتسرب أكثره الى جيوب الاجانب أيضا فانه انما يذهب في الفجور .واكثر الفواجر منهم ، والخمور وجميعها من صادرات بلادهم ، والقمار وهم أصحاب القدح المعلى فيه ، أو ربا الديون وهم أصحاب المصارف ورءوس الاموال له،

أي عداوة للوطن وجناية عليه اكبر من نزح ثروته منه وإعطائها للاجانب ؟ ولوأن هؤلاء السفهاء يجعلون ماينفقون في غير الضار لهم من شهواتهم وفيما ينفع الوطن من المشروعات العلمية والعملية لامكن لمصر أن تضارع أوربة وتباريها في زمن قصير، سواء كان هذا البذل تبرعاً في سبيل المصالح العامة أواستغلالا للمال فيما يرقي الزراعة والصناعة والتجارة ويحفظ ثروة البلاد من الضياع، ولو أنهم يشترون به سندات دين الحكومة وسهام الشركات والمصارف العقارية وغيرها لامكنهم إعتاق حكومتهم وأمتهم من استرقاق الافرنج الاقتصادي لها وجعلها حرة مستقلة في ادارة ثروتها،والاستقلال الاقتصادي أنجح ذرائع الاستقلال السياسي اذا كان مفقوداً ، وأقوى دعائمه اذا كان موجودا ،

الظاهر، مايوسوس به الشيطان في الباطن، فهم شر منه واقدر على الاغواء، لان التناسب بين شيطان الجن والشرير من الناس نفساني فقط، واما التناسب بينه وبين شيطان الانس فهو نفساني وجسداني، ذاك يشغل قلبه وخاطره، وهذا يملك باطنه وظاهره، فيشغل سمعه وبصره، وذوقه ولمسه، ويكون قدوة سيئة له في جميع الرذائل، وشاغلا بل منفراً له عن معاشرة الافاضل،

واما كونهم اعداء وطنهم وامتهم فله مظاهر كثيرة ادبية، كسوء القدوة في إفساد الاخلاق وشرحه يطول — واقتصادية كتحويل ثروة البلاد الى الاجانب انبأني نخلة باشا المطران في القسطنطينية سنة ١٣٢٩ قال انبأني رجل من كبار الماليين في باريس ان متوسط ما تربحه باريس وحدها من المصريين في كل صيف ثلاثون مليون فرنك (وهو مليون ونصف مليون دينار (بنتو) افرنسي من الذهب) ومثل هذا الاحصاء خاص بما يمكن العلم به ويتناوله الاحصاء عادة كأجور الفنادق والملاهي والملاعب والحانات، وربما كان منه مواخير البغاء الرسمية دون ما يعطى للاخدان، ويقال انه قلما يوجد رجل من الذين اعتادوا الاصطياف في اوربة من المصريين لاجل التمتع بالشهوات ليس له خدن يكثر الاختلاف اليها في بيتها او تختلف اليه في البيت الذي يقيم فيه من الفنادق العامة او الدور الخاصة التي يعرف واحدها (بالبنسيون)

وللقمار مقامر عامة يمكن إحصاء ربحها وخسائر الشعوب فيها ولكن المبتلين به لا يحصرون مقامرتهم فيها بل يقامرون اصدقاءهم واخدانهم من النساء والرجال في البيوت والملاهي والمتنزهات، وقد بلغنا ان عمر باشا سلطان قد خسر بالمقامرة في صيف سنة واحدة (لعلها السنة التي مات فيها او السنة التي قبلها) ثلاثين الف جنيه مصري

ان اكثر الاغنياء الاغبياء ولا سيما الشبان الوارثين منهم يخوضون بحار هذه الموبقات بغير عقل ولا حساب ولا تقدير، فهم ليسوا كالافرنج الذين لهم من العلم والتربية ما يقف بهم عند حدود من الاقتصاد فيها كغيرها من النفقات المشروعة: بلغني ان المقامرين منهم يضعون في ميزانية نفقاتهم السنوية مبلغا معينا من الدخل يوزعونه على الاشهر لا يتجاوزون قسط الشهر ربحوا ام خسروا. والمقامرون ولاسيما المسلمين الجغرافيين او الرسميين من أهل بلادنا قلما يقف احد منهم عند حد او يتقيد بنظام، وان خسر دخل السنة كلها

مرة في دمشق عند مجيء اللجنة الامريكانية من أوربة في تلك السنة لاستفتاء الشعب السوري في ذلك . وخبر هذه اللجنة في تأليفها وامتناع دولتي فرنسة وانكلترة من الاشتراك فيها بعد أن كان قد تقرر جعلها مشتركة وطوافها مناطق البلاد واطلاعها على رأي جميع الطبقات والجماعات فيها بالمشافهة وقرار المؤتمر العام الذي قدمه لها في دمشق واجماع الرأي العام في هذه المناطق كلها على طلب الاستقلال التام للبلاد كلها واتحادها ورفض كل مساعدة تنافي هذا الاستقلال — كل ذلك معروف مشهور قد نشر في جميع الجرائد السورية في ذلك الوقت ونقلته عنها الجرائد العربية بمصر وأمريكة وغيرها ونوه به كثير من الجرائد الافرنجية في البلاد المختلفة وسبق له ذكر في المنار وليس هو مما يعنينا هنا وإنما الذي نريد أن نقوله هو أن الجماعات والافراد أولي الشأن الذين قابلوا اللجنة الامركية في جميع المناطق قد أيدوا المؤتمر السوري العام فكان ذلك من الشهادات المتواترة على ثقة الشعب كله بالمؤتمر وكونه ينطق باسمه ويعبر عن رأيه

لاجل هذا قرر حزب الاستقلال العربي عند البحث في طريقة إعلان استقلال البلاد أن يكون المؤتمر السوري العام هو الذي يقوم به في العاصمة (دمشق) مستظهرا بعلمائها ورؤسائها الروحيين وكبار رجالها من جميع الطبقات والأحزاب — وأنه لاحاجة الى انتخاب جديد — كما اقترح بعضهم — وكذلك كان ، وقد نشرنا خبره مفصلا في وقته

ولما اجتمع المؤتمر وأعلن الاستقلال أيده الشعب في جميع المناطق السورية وصارت له بمظاهرة الشعب له صفة الجمعية الوطنية التأسيسية، وقد كان من رأي الامير فيصل أن ينفض بعد إعلان الاستقلال وكاشف الذين كانوا يتولون مراجعته ومذاكرته في الامر من كبار أعضاء الحزب بذلك فلم يوافقه أحد وكاد يصر لولا أن قيل له ان هذا الامر لا يمكن البت فيه الا بعد اجتماع المؤتمر والاتفاق مع الاكثر من أعضائه وهم من حزبنا على ما يحسن في ذلك، ثم كثر البحث في ذلك بعد اجتماعه وقبل الاتفاق على وضع صيغة اعلان الاستقلال حتى تم الاتفاق على الصيغة التي وضعت في قرار المؤتمر التاريخي الذي أعلن به الاستقلال — وقد نشرناه في المجلد الحادي والعشرين من المنار ص ٤٤١) — وهذا نصها بعد ذكر اختيار فيصل ملكا

وأما عداوة هؤلاء الاغنياء الاغبياء لاهلهم واولادهم فهي انهم اسوأ الناس قدوة لهم في الفساد الذي اشرنا اليه واقلهم عناية بتربيتهم الصالحة ، فكثيرا مايفنون ثروتهم كلها في حياتهم فلا يتركون لاولادهم مايعيشون به كما اعتادوا فيكونون اشقى الناس. ونتيجة ماذكر انهم أعدى أعداء انفسهم والجناة عليها في دنياها وآخرتها

اننا بالتجوال في أوربة ورؤية مناظرها الجميلة والتمتع بهوائها المعتدل في فصل الصيف ووجدان جميع أسباب الراحة عرفنا بتجربة ذوق واختبار عذر أغنيائنا في اقبالهم على الاصطياف فيها هربا من حر قطرهم وغباره ولكننا لا نرى لاحد منهم عذرا ما في انفاق شيء من ثروة الوطن في غير اثمان ما يتمتعون به من طيبات الرزق وأجور السكن والتنقل في البر والبحر ، الا أن يكون فيما فيه منفعة معنوية لهم أولامتهم ووطنهم في علم أو ثروة أو سياسة ، فان في أوربة من ينابيع العلم ومصادر المعارف ومجال الاعمال السياسية ما ليس في مصر ولا في غيرها من البلاد ولكن لا يكاد يوجد فيها شيء من اللذات الجسدية لا يوجد مثله في مصر ، وسيأتي بيان ماتمتاز به في مكان آخر

الرحلة السورية الثانية

١٠

المؤتمر السوري العام

انتخب أعضاء هذا المؤتمر في أوائل سنة ١٩١٩ من جميع الولايات والمتصرفيات السورية في المناطق الثلاث التي قسمها الحلفاء اليها . وكان انتخابهم فيما عدا متصرفية جبل لبنان التي كانت مستقلة في ادارتها الداخلية على طريقة انتخاب مجلس المبعوثين العثماني بل انتخبهم المنتخبون الاولون الذين انتخبوا المبعوثين في الدورة الاخيرة . وأما جبل لبنان الذي لم يكن ينتخب منه أعضاء لمجلس المبعوثين فقد انتخب من بعض بلاده — لا كلها — أعضاء للمؤتمر انتخبهم الوجهاء وشيوخ الصلح الذين ينتخبون أعضاء مجلس ادارة لبنان

وكان الغرض من تأليف هذا المؤتمر المنتخب بطريقة نيابية عن الشعب السوري كله أن يبين رأي الشعب السوري في مصير البلاد وشكل حكومتها وما يفرضه عليها دول الاحلاف من المساعدة . . . وقد اجتمع المؤتمر لاول

الاستقلال ، وبرنامج الوزارة السياسي يتعلق بأساس الاستقلال مباشرة ... منها الاداري يتعلق بحفظ الاستقلال بالتبع أيضاً. فأرحوا أن لا تحدث لنا ... في أول طريقنا . وما تخشاه من عرقلة الحكومة بتدخل المؤتمر وسيطرته ... أمره سهل، فان اكثرية المجلس من حزبنا وأعضاء الوزارة من حزبنا ... ونحن نضمن التوفيق بينهما وعدم فتح هذا الباب الآن . وبعد التأمل ... هذا الكلام الذي يعتقد اخلاص قائله وصدقه وعده بأن المؤتمر لا يسكت ... تنفيذ قراره رضي . ثم قدمت الوزارة بيانها على الوجه الذي يتفق مع رأي ... ب وبالت الاعتماد المطلوب ثم كان من أمرها بعد ذلك ما ذكرناه من قبل

والغرض من ذكر هذه الحادثة بيان صفة المؤتمر لا التعريض بميل الملك ... الى الاستبداد، بل أقول إني كنت أخاف ما يخاف هو من تحكم المؤتمر ... الحكومة وعرقلته لأعمالها وهي في طور التكون . فان استبداد الجماعة ... تكون أشد ضرراً من استبداد الافراد، والشواهد على هذا معروفة في التاريخ ... والحديث، وحسبنا من الحديث استبداد الاتحاديين بالحكومة العثمانية ... أدى الى هدم سلطنتها (أمبراطوريتها) العظمى وحب الاستبداد ... في نفوس البشر حبلة ثم وشرارتهم . وربما كان بعض الاخيار أمضى فيه ... قدما من غيرهم، لعذرهم أنفسهم فيه بما يجدون فيها من حسن النية ، ... قد يلوم نفسه عليه اذا كان فيه بقية من الخير ، ولا يصرف الناس ... الاستبداد الا المقيد بشرع أو قانون ووراءه قوة تحافظ على تنفيذه وتراقب ... العاملين له، وهذا معروف لا يحتاج الى شرح ، ولما كانت مراقبة الملوك وايقافهم ... حدود الشرائع والقوانين مع الاعتراف لهم بالسلطة العليا من أشق الامور ... تكاد تكون متعذرة — سلبت الامم الراقية السلطتين منهم وجعلتهما ... المجالس النيابية وجماعة الوزراء . قالت مرة لمستر متشل إنس وكيل المالية في عهد كرومر انكم قد ظلمتم الخديو وقيدتم سلطته حتى لم تتركوا له من ... المعلي في الحكومة شيئاً . فقال لكننا تركنا له جميع مظاهر الملك ... وهل تريد أن نعطيه ما ليس لملكنا مثله فيستبد في الاعمال ، فوالله ... ملكنا استطاع أن يستبد في أمر من الامور في يومه لما أخره الى الغد .

... معقول ان يكون الملك فيصل أحذر من غيره بحب الاستبداد وقد صرح ... عندم أنه لم يكن استبد في سورية ولكن من غرائزه وأخلاقه ما يصده عنه اذا ... طريقه غير معبد له، وآية لي على ذلك أنه سمع مني ما ذكرت من معارضته فرجع

« وأعلنا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناط الثلاث على أن يقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤلة تجاه هذا المجل (أي المؤتمر) في كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام الى أن تتمك الحكومة من جمع مجلسها النيابي على أن تدار هذه البلاد على طريقة اللامركزية

فان جعل الحكومة مسؤلة تجاه المجلس كان يراد وضعه مطلقا فلم يقب الامير فيصل بذلك وبعد المراجعة والاصغاء رضي بأن يكون ذلك مقيدا يتعلق بأساس استقلال البلاد التام ورضي اكثر الاعضاء بذلك

وبعد أن تألفت الحكومة وانتظمت جلسات المؤتمر اقترح بعض أعضا وضع قرار بطلب تقديم الوزارة بيان خطتها للمؤتمر طلبا لاعتماده اياها من حي هي حكومة نيابية بمقتضى قراره فقبل الاقتراح وتقرر بأغلبية كادت تكون اتف

ولما بلغ رئيس الوزارة قرار المؤتمر عرضه على الملك فأنكره وأبى ا تجيب الوزارة الطلب حتى أقنعته بذلك بعد مناظرة حادة حضرها احسان ب الجابري رئيس أمنائه — وكان فيها ميالا لرأيي — وسمع بعضها الامير زيد

ذلك أني زرته صباحا كالعادة فذكر لي قرار المؤتمر وقال انه ليس له ه الحق لانه ليس مجلسا نيابيا وانني أمرت الوزارة بعدم إجابة طلبه . فقلت يا مولاي ان هذا الاقتراح عرض فجأة في المؤتمر ولم يبحث حزبنا فيه ولا ب به قبل عرضه، وانني لم اكن من المفرين له ولا المعارضين فيه لانني لا أزال مترد في الترجيح بين كفاءة الوزارة وكفاءة المؤتمر وناظر اليهما بعين النقد والتجربة ولكن يجب أن ينفذ قرار المؤتمر بعد أن قرره وبلغه ولا يجوز رده البتة

قال انه لا حق في هذ الطلب لانه ليس مجلسا نيابيا — قلت بل له ه الحق لانه أعظم سلطة من المجلس النيابي ، إنه جمعية وطنية تأسيسية،

قال انني أنا الذي أوجدته فلا أعطيه هذا الحق الذي يعرقل عمل الحكو

قلت بل هو الذي أوجدك ، فقد كنت قائدا من قواد الحلفاء تحت قياد الجنرال اللنبي فجعلك ملكا لسورية . نعم ان لك فضلا بالسماح بجمعه اذ كـ تحكم هذه البلاد حكومة عسكرية باسم الحلفاء — أما وقد اجتمع باسم الا وهي صاحبة السلطان الاعلى بمقتضى اصول الشرع الاسلامي الذي تدين الله وبمقتضى جميع أصول القوانين العصرية الراقية ، وقد اشترط في تأسيسه له الحكومة التي اختارك ملكا لها أن تكون مسؤلة تجاهه في كل مايتعلق بأسا

استقلال ، وبرنامج الوزارة السياسي يتعلق بأساس الاستقلال مباشرة وبرنامجها الاداري يتعلق بحفظ الاستقلال بالتبع أيضا ، وأرجو أن لاتحدث لنا عقبة في أول طريقنا . وما تخشاه من عرقلة الحكومة بتدخل المؤتمر وسيطرته عليها فأمره سهل ، فان أكثرية المجلس من حزبنا وأعضاء الوزارة من حزبنا أيضا ونحن نضمن التوفيق بينهما وعدم فتح هذا الباب الآن . وبعد التأمل في هذا الكلام الذي يعتقد اخلاص قائله وصدقه وعلمه بأن المؤتمر لا يسكت عن تنفيذ قراره رضي ، ثم قدمت الوزارة بيانها على الوجه الذي يتفق مع رأي الحزب ونالت الاعتماد المطلوب ثم كان من أمرها بعد ذلك ما ذكرناه من قبل

والغرض من ذكر هذه الحادثة بيان صفة المؤتمر لا التعريض بميل الملك فيصل الى الاستبداد . بل أقول انني كنت أخاف ما يخاف هو من تحكم المؤتمر في الحكومة وعرقلته لأعمالها وهي في طور التكون . فان استبداد الجماعة قد يكون أشد ضررا من استبداد الافراد ، والشواهد على هذا معروفة في التاريخ القديم والحديث ، وحسبنا من الحديث استبداد الاتحاديين بالحكومة العثمانية الذي أدى الى هدم سلطنتها (امبراطوريتها) العظيمة . وحب الاستبداد غريزة ثابتة في نفوس البشر خيارهم وشرارهم ، وربما كان بعض الأخيار أمضى فيه وأشد تحكما من غيره لاعتذارهم لأنفسهم فيه بما يجدون فيها من حسن النية ، والشرير قد يلوم نفسه عليه اذا كان فيه بقية من الخير ، ولا يصرف الناس عن الاستبداد الا المقيد بشرع أو قانون وراءه قوة تحافظ على تنفيذه وتراقب المستبدين له ، وهذا معروف لا يحتاج الى شرح . ولما كانت مراقبة الملوك وايقافهم عند حدود الشرائع والقوانين مع الاعتراف لهم بالسلطة العليا من أشق الامور التي تكاد تكون متعذرة — سلبت الأمم الراقية السلطتين منهم وجعلتهما للمجالس النيابية وجماعة الوزراء ... قالت مرة لمستر متشل إنس وكيل المالية في عهد كرومر انكم قد ظلمتم الخديو وقيدتم سلطته حتى لم تتركوا له من الوجود الفعلي في الحكومة شيئا فقال لكننا تركنا له جميع مظاهر الملك وعظمته وهل تريد أن نعطيه ما ليس لملكنا مثله ويستبد في الاعمال ، فوالله ما ان ملكنا استطاع أن يستبد في أمر من الامور في يومه لما أخره الى الغد .

ومعقول ان يكون الملك فيصل أجدر من غيره بحب الاستبداد وقد صرح لي مرة قدم أن لم يكن استبد في سورية ولكن من غرائزه وأخلاقه ما يصده عنه اذا كان طريقه غير معبد له ، وآية لي على ذلك أنه سمع مني ما ذكرت من معارضته فرجع

« وأعلنا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث على أن يقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤلة تجاه هذا المجلس (أي المؤتمر) في كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام الى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابي على أن تدار هذه البلاد على طريقة اللامركزية »

فان جعل الحكومة مسؤلة تجاه المجلس كان يراد وضعه مطلقا فلم يقبل الامير فيصل بذلك وبعد المراجعة والاصغاء رضي بأن يكون ذلك مقيدا بما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام ورضي اكثر الاعضاء بذلك

وبعد أن تألفت الحكومة وانتظمت جلسات المؤتمر اقترح بعض أعضائه وضع قرار بطلب تقديم الوزارة بيان خطتها المؤتمر طلبا لاعتماده اياها من حيث هي حكومة نيابية بمقتضى قراره فقبل الاقتراح وتقرر بأغلبية كادت تكون اتفاقا

ولما بلغ رئيس الوزارة قرار المؤتمر عرضه على الملك فأنكره وأبى أن تجيب الوزارة الطلب حتى أقنعته بذلك بعد مناظرة حادة حضرها احسان بك الجابري رئيس أمنائه — وكان فيها ميالا لرأيي — وسمع بعضها الامير زيد

ذلك أنني زرته صباحا كالعادة فذكر لي قرار المؤتمر وقال انه ليس له هذا الحق لانه ليس مجلسا نيابيا وانني أمرت الوزارة بعدم إجابة طلبه. فقلت له يا مولاي ان هذا الاقتراح عرض فجأة في المؤتمر ولم يبحث حزبنا فيه ولا علم به قبل عرضه، وانني لم اكن من المقرين له ولا المعارضين فيه لانني لا أزال مترددا في الترجيح بين كفاءة الوزارة وكفاءة المؤتمر وناظر اليهما بعين النقد والتجربة، ولكن يجب أن ينفذ قرار المؤتمر بعد أن قرره وبلغه ولا يجوز رده البتة

قال انه لا حق في هذا الطلب لانه ليس مجلسا نيابيا — قلت بل له هذا الحق لانه أعظم سلطة من المجلس النيابي، إنه جمعية وطنية تأسيسية،

قال انني أنا الذي أوجدته فلا أعطيه هذا الحق الذي يعرقل عمل الحكومة

قلت بل هو الذي أوجدك، وقد كنت قائدا من قواد الحلفاء تحت قيادة الجنرال أللنبي وجعلك ملكا لسورية. نعم ان لك فضلا بالسماح بجمعه اذ كنت تحكم هذه البلاد حكومة عسكرية باسم الحلفاء — أما وقد اجتمع باسم الامة وهي صاحبة السلطان الاعلى بمقتضى اصول الشرع الاسلامي الذي تدين الله به وبمقتضى جميع أصول القوانين العصرية الراقية، وقد اشترط في تأسيسه لهذه الحكومة التي اختارك ملكا لها أن تكون مسؤلة تجاهه في كل مايتعلق بأساس

العثمانية أو بعض المدارس الاجنبية فكان بذلك كفؤا لوضع القانون الاساسي للبلاد وأهلا لوضع غيرها من القوانين أو تنقيح القوانين العثمانية .

وكان فيه طائفة من المحافظين على القديم من أمور الامة وتقاليدها وطائفة من المولعين بالجديد الاوروبي وطائفة من المعتدلين بين جمود اولئك وخفة هؤلاء ، ومن المولعين بالجديد من يودون السير من وراء حدود الدين وان يستظهروا في ذاك بالقانون بل قاوم كثيرون منهم تقييد الحرية الشخصية بشرط المحافظة على الآداب العامة وكان رأي بعضهم أنه شرط لاحاجة اليه لئلا يتوسل به الى منع السكر في المقاهي والملاهي واختلاط النساء بالرجال فيها، ورأي آخرين أنه شرط حسن ولكن لاينبغي ذكره في القانون الاساسي فكان رأي الفريقين أفلج فرجح على رأي المخالفين لهم لان أكثر هؤلاء كان ضعيف الفهم قليل الحزم

أشرت آنفا الى انه كان في المؤتمر حزبان ، وهما حزب التقدم الذي يمثل حزب الاستقلال العربي وجمعيته وحزب الاعتدال، ثم انفرد أفراد سموا أنفسهم حزب الاستقلال — أي الاستقلال في الرأي — ولكن الذين لا يتقيدون ببرنامج حزب يؤيدون رأي الاكثر من أفراده اذا قرروه لايمكن أن يؤلفوا حزبا من أنفسهم . ولو أمكن أن يكون هؤلاء حزبا لكنت منهم قبل أن أكون رئيس المؤتمر فانني من أشد الناس استمساكا باستقلالي فيما أراه هو الصواب ، ولكن لم يكن لي مندوحة عن الاشتراك في تأليف حزب التقدم الذي يمثل الجماعة التي أنا مرتبط بمذهبها السياسي وهو استقلال البلاد العربية وقد انتخبت رئيساً لهذا الحزب عند تأسيسه ، وكنت أستعين به على تنفيذ رأيي في المسائل الخلافية في اجتماعاته الخاصة فان لم يتيسر لي اقناع الاكثرين في بعض المسائل ولم يتيسر لهم اقناعي فانني أنفذ قرارهم عملا بالنظام ولكنني لا أنصره بالاحتجاج له والدفاع عنه على منبر المؤتمر ولا في مناقشة الافراد ، بل كنت أصرح لهم بما أعتقد انه الصواب ، وأقول هذا رأيي وذاك قرار الحزب . وقد استطعت بما لي من المكانة الشخصية عند الاخوان أن أقنعهم بارجاء البت في بعض المسائل الخلافية الى أجل ساعدتنا فيه الايام على الاتفاق فيها

ولقد دعيت الى المساعدة على تأليف الحزب الآخر عند الشروع فيه على أن أكون رئيسا له فلم أقبل ، وقد كان الداعي الاول الى تأليفه كتب أسماء

الى قولي ، ولم ينقص ذلك شيئاً من مودته واحترامه لي ، ولو كان الاستبداد راسخا فيه كرسوخه في كثير ممن نعرف من الامراء وكان قوي الشكيمة فيسه لما استطعت معاشرته والعمل معه بعد ذلك ، ولكان حقد علي بهذه المعارضة وكاد لي كيدا ، اذا لم يستطع ايذائي جهرا ، على أنه رآني بعد ذلك معارضة اشد وأخشن ولم يكن ذلك بصارف له عن مكاشفتي عند توديعه ليلة خروجه من دمشق بأعمق اسراره التي اكد لي انه لم يذكرها لاخيه كما ذكرت ذلك من قبل ولعله لولا يقينه الصحيح باخلاصي للامة وله وانني ليس لي ادنى هوى نفسي في ذلك — لما بقيت لي عنده هذه المودة ، وقلما تجد هذا عند غيره من الملوك والامراء ، بل عند الافراد والنظراء ، بل عند من دونهم ؟ ونعود بعد هذا الاستطراد الى الكلام عن المؤتمر

المؤتمر والحكومة في سورية

قلت إنني كنت أخاف ما يخاف الملك فيصل من تحكم المؤتمر في الحكومة وعرقلته لاعمالها ، وانني كنت اراقب كلا منهما مراقبة المختبر الشاك في كفاءة الفريقين وفي الترجيح بينهما ، وقد تكون وجهة النظر عندي في ذلك مخالفة لوجهة النظر عند الملك فيصل ، وقد بينت بالاجمال ماظهر لي من كفاءة الحكومة والانتقاد عليها بالاعتدال البريء من التحامل والمحاباة

وأما المؤتمر فقد ظهر أنه ليس أدنى من المستوى الذي فيه الشعب بل هو مثال مطابق له . فقد كان الرأي العام فيه في مسألة الاستقلال التام الناجز ورفض كل سيطرة أجنبية هو رأي الشعب بعينه ، بل لم يكن فيه أدنى مظهر للفئة القليلة في الامة التي تميل الى قبول الوصاية الاجنبية الموقتة - وهل لدى الدول الطامحة الى ذلك سيطرة موقتة الا عند العجز عن الدائمة؟ - وقد يلطفونها بتسميتها مساعدة ، نعم قد اتهم أفراد من الاعضاء بأنهم من الحزب الوطني الذي ألفه بعض الاغنياء . ولكن بعض وزراء الحكومة على قلتهم كانوا يصرحون لبعض الناس بأن رأيهم قبول الوصاية ومنهم ساطع بك الحصري وزير المعارف الذي كان أحد رسل الملك فيصل الى الجنرال غورو وعلاء الدين الدروبي قتيل خربة الغزالة وتقدم ذكر ذلك . بل كانت وطأة المؤتمر شديدة في مقاومة الانتداب في كل من سورية الجنوبية والشمالية ولم يكن هذا محل خلاف بين حزبيه ولا بين أحد من أفرادهما

وكان فيه العدد الكافي من دارسي علم الحقوق واصول القوانين ومن ذوي الالمام بالشريعة الاسلامية ومن الاذكياء المتعلمين في مدارس الدولة

يراه محتاجاً اليه ويؤثره على نفسه وان لم تكن حاجته فوق حاجته ، شديد الرحمة لمن يراه محلا لها وشديد القسوة اذا غضب، وقد يعود فيسترضي من يعاقبه اذا اعتقد انه ظلم، راقب مرة لصاً كان يسرق الليمون من بستان لنا حتى اذا ظفر به وهو يسرق ضربه ضربا مبرحا وأخذ منه مقدار ثمن ماسرق من قبل كما قدره، ولكنه خاف أن يكون مخطئاً في التقدير أو يكون قد سبقه لص آخر فباع من اللص ماوجده بيده بالثمن الذي تقاضاه منه، وحمله على إحلاله والسماح عنه، وله نوادر من مثل هذه الفتوى او الحيلة الشرعية فيما يرضي به اعتقاده وهواه معاً كنت أخطئه في بعضه

وكان فخورا بنسبه وبمناقب آل البيت الطاهرين من أجداده ويتشيع لهم ويبغض بني أمية الذين ظلموهم وآذوهم وهضموا حقوقهم ، وهو على هذا يجل الشيخين ويبرئهما من كل ما رماهما به الرافضة وما رموا به جمهور الصحابة رضوان الله عليهم ويعلم أن هذا قد كان بتأثير دعوة المجوس أعداء الاسلام والعرب ، وقد كان في هذا الفخر والتشيع كالمرحوم الوالد بل يفوقه فيهما ، وليس في أسرتنا من يضارعهما في ذلك

ولاهتمامه بأمر النسب والتاريخ عني بالبحث عن الدخلاء في بلدنا القلمون وهم من غير السلالة الطاهرة فعرفهم بيتاً بيتاً وفرداً وفرداً فكان يميز بين أهلها الاصليين وكلهم من السادة الشرفاء وبين الدخلاء فيهم . وليس هذه العناية لاجل ضبط أفراد أسرتنا فانهم معروفون لايجهل أحد من الاهالي أحداً منهم لقلتهم وامتيازهم على سائر البيوت بالعلم والارشاد ، وان ترك أكثرهم ذلك في هذه السنين الاخيرة . وكان يعرف من تاريخ لبنان الحديث مالا يعرف الا القليل من أهله تلقى ذلك من أفواه الشيوخ الذين كان يلقاهم في دارنا أو في قرى الكورة وغيرها

وأما ماكان بيني وبينه من الصلة والمحبة والعشرة فهو ما يقل نظيره بين اخوين ، ولقد كان أقدر على بيانه مني لو كتبه ، كنا نعيش معاً ،وكنت أكثر منه اشتغالا بالعلم والعبادة وكان لذلك يجلني كاجلاله لوالده واساتذته بل أشد لانه إجلال اعتقاد روحي ومحبة أخوية ، وعشرة لازقة كنا في سن المراهقة نقضي بعض أيام رمضان في كرم لنا على مسافة ميلين عن القرية فكنت أصرف كل النهار في قراءة القرآن والصلاة ، وكان لايصلي معي الا الرواتب بل يلح

الهجاء وتركيب الكلم حتى صار يقرأ كل ما أقرأه بسرعة عجيبة فمهما يطل الدرس الذي يلقنه اياه الاستاذ يعيده بعد اقرائه اياه مرة واحدة فلو شاء أن يقرئه كل يوم جزءا كاملا من القرآن لفعل ، فكان يفوقنا كلنا في ذلك . ثم طلب العلم في طرابلس فكان محل إعجاب شيوخه بذكائه وفهمه فتلقى من الفنون العربية والعلوم الشرعية ماكان يظهر قليله من فضله، لا يظهر اضعافه في تحصيل غيره، وقرأ كثيراً من كتب التربية والتعليم فكان ذا رأي وذوق في هذا الفن، وطالع كثيرا من كتب الادب والتاريخ وكتب الديانة المسيحية فحفظ من ذلك كله ماكان به خير نديم وسمير ، وكان معاشروه في سورية ثم في مصر يعجبون من سعة حفظه وحسن اختياره فيه وسرعة استحضاره له وحسن القائه اياه، ويستغرب النصارى منهم كثرة مايحفظه من كتبهم ويعرفه من تقاليدهم الدينية على اختلاف مذاهبهم ، وكان يجيد الكتابة نثرا ونظما ولكنه كان كسولا قلما يمسك القلم بيده وله مقالات قليلة وتقاريظ لبعض المطبوعات في المنار استتبع بعضها ترجمة صديقه الشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله تعالى ترجمة انتقادية دقيقة غير مألوفة في هذا العصر فانتقدها بعض أدباء دمشق على اعترافه بأنها حق ، شرع في وضع تفسير لمفردات القرآن الكريم ولكنه لم يكتب منه الا وريقات قليلة . وفى ضبط ديوان من الشعر وشرح لغريبه لاجل طبعه ولم يتم منه شيئا يذكر وقد كان عين مديرا لبعض المدارس الابتدائية التي أنشئت بأمر السلطان عبد الحميد ونفقته لمسلمي لبنان — وهي مدرسة الكورة — فسلك في تربية تلاميذها وتعليمهم مسلكا حسناً نافعاً . وقد أوذي من اضطهاد حكومة طرابلس لاهل بيتنا في العهد الحميدي أشد مما أوذي غيره فكان ذلك مبغضا له في تلك البلاد ومرغباً له في الهجرة الى مصر، فلما سنحت الفرصة لحق بي فيها

آراؤه وأخلاقه :

وكان مستقل الفكر في الدين والآداب وكل ماللرأي فيه مجال، قليل المبالاة بكل شؤون الحياة، يأكل ماوجد متى جاع لاينتظر ماهو أطيب منه ، وينام حيث نعس من ليل او نهار ، سواء كان في الحقول والبساتين او الاندية والسمار ، ويتأنق في اللباس تارة ويتبذل أخرى غير حريص على ان يلقي الناس متزينا، ولا خجل من أن يروه متبذلا، ولا مبال ان يرتاض في عذق الارض او قطع الشجر متأنقاً، سخي النفس ربما يجود بكل ما في يده على من

مستحضرات محمد علي نصوحي

التي حازت الشهرة التامة لحسن تاثيرها السريع في جميع أنحاء العالم المتنور ونالت النياشين والمداليات الذهبية والفضية من الدولة العلية ومن معارض دول أوربا

غرش صاغ أسماء وبيان استعمال هذه الادوية الموضحة أدناه

١٥ اكسير نصوحي لتقوية المعدة وفقر الدم ومزيل الانتفاخ والآلام ومنظم الحيض
١٢ حبوب نصوحي لتقوية المعدة والاعصاب والدم ويقوي الجسم عموما
١٢ ماء الحياة للشعر يمنع سقوطه تاكيدا ويقوي البصيلات الشعرية بمسافة قليلة
١٢ روماتيزمول دهان شافي لجميع الامراض الروماتيزمية الحديثة والمزمنة
١٢ شراب يودونتيك فوسفاتية لتقوية الاطفال اللنفاويين ولين العظام ومنقي للدم ومزيل العقد الخنازيرية ويقوم مقام زيت الحوت
١٢ ماء الشباب يزيل الكلف والتمشف ويكسب الجسم نعومة ولطافة
١٥ زيت الحياة للشعر يطول ويطري الشعر ويمنع سقوطه وتقصيفه
١٢ اكسير العشبة المركب المنقي للدم والشافي للامراض الزهرية وأنواع الربوا
٨ حقنة نصوحي خاصة لمنع السيلان الحديث والمزمن بدون ألم
٧ البرشام المعدي لتصليح المعدة وازالة الحموضة ومرارة الفم الناشئة من سوء الهضم
١٠ خلاصة الكينا المركبة لتقوية المعدة والامعاء وتمنع الآلام التي تحصل في الظهر أو في فم المعدة خصوصا عند القيام من النوم
٨ نقط نصوحي الوقاية من الكوليرا ومكروباتها وتصليح المعدة ولمنع البواسير
٥ حبوب ملينة ضد الامساك الذي يتولد من سوء الهضم وانتفاخ البطن
١٠ أودنتين دواء للاسنان يمنع التسوس ويسكن الآلام حالا بسرعة عجيبة ومطهراً للأسنان والفم
٨ حبوب صدرية لازالة السعال وخروج البلغم بسهولة من الصدر بغير تعب
٥ مسحوق للشعر يزيله في مسافة أربع دقائق بغاية السهولة ويظهر محله ناعما
١٠ القطرة الهندية خاصة لازالة الحبيبات واللحمية الحديثة والمزمنة
٥ مسحوق الصفا لاجل جلاء الاسنان وتقوية اللثة وحفظهما ويشفي الحفر معطرا للفم
٥ قطرة نصوحي لازالة الالتهابات المزمنة والحديثة والرمد الحبيبي والصديدي ويجلو البصر ويعيد قوتها الحقيقية
نشوق صحي ضد الزكام ويشفي للنوازل ومنعش للجسم

مستودعه العمومي بمعمله الكيماوي باجزخانة نصوحي بميدان العتبة الخضراء بمصر

علي بأن ألعب معه فلا أفعل، فاذا أطلت الصلاة قام أمامي فيها يبني لي محراباً .
وكنت في بعض الايام أقرأ القرآن كله فان قرأت نصفه عاتبت نفسي على التقصير . كان يذكرني بهذا ويذكره لغيري يقول : كنت اعتقد ان أخي نبي من الانبياء ، فلما كبرت وعلمت ان النبوة قد ختمت بنبينا (ص) صرت أعتقد انه ولي من أعظم الاولياء . ولما فقته في التحصيل حضر علي بعض الكتب في الفنون وكان يحضر دروسي الدينية في المسجد متعلما ويعدني أخا وأستاذا ، وما زال يكرهني في الاعياد وعند التلاقي بعد سفر على السماح له بتقبيل يدي على علمه بكراهتي لذلك فان تعودنا على تقبيل أيدينا من الصغر لم تجعله محببا عندي في الصغر ولا في الكبر

وكنت أقول انني لا أعرف أحداً يحبني كحب أخي السيد صالح الا أن تكون الوالدة . واما انا فطالما إنني لم أشعر قط بأنني كنت أملك في الدنيا شيئا من دونه ، ولعله بذلك كان يتصرف بكل ماهو لي تصرف المالك حتى انه يهب ويهدي ويتصدق ولا يرى انه في حاجة الى إعلام ولا استشارة . ولم أحفظ شيئاً مما علمته من ذلك الا أن صديقا لي كان قد أهدى الي شيئاً مما يحفظ للذكرى فتفقدته مرة فلم أجده فسألت عنه فعلمت انه أهداه الى صاحب له

نعم اننا كنا شقيقين صديقين بلغت عواطف الاخوة والصداقة والاخلاص بيننا الغاية التي لا نعرفها عن غيرنا ، وكان أشد مني عاطفة لانه عصبي المزاج وأنا معتدل ، لا اخلاصا ولا قياما بالحقوق . ولولا المزاج لكان الاصل في عاطفة الاخوة وأنسها المساواة اذا كانت التربية واحدة. وقد قلت في بيان حكمة محرمات النكاح من التفسير ان أنس أحد الاخوين بالآخر أنس مساواة لا يضاهيه انس آخر اذ لا يوجد بين البشر صلة اخرى فيها هذا النوع من المساواة الكاملة ، وعواطف الود والثقة المتبادلة الخ

وقد تزوج رحمه الله وغفر له في أول سن الشباب ولم يكن مغتبطاً بالزواج وقد توفيت زوجته وهي من شرائف القلمون بعد أن ولدت له غلاما وجارية وكان شديد الحب لهما والحدب عليهما حتى كاد يخرج بذلك عن سنن أشد الوالدات عطفا وعاطفة، وقد زوج ابنته بمصر من رجل فاضل كريم ولها أولاد جعلهم قرة عين لها ولوالدهم . وولده السيد محيي الدين تربى في دار الدعوة والارشاد وهو كاتب أديب مقيم معنا ويراسل بعض الجرائد في أقطار أخرى وفقه الله تعالى ورحم والده فقيدنا الكريم رحمة واسعة وجعلنا جميعا مع السيدة الوالدة من الصابرين المأجورين .

﴿ الجزء السادس ﴾ ١٣٤٠ ﴿ المجلد الثالث والعشرون ﴾

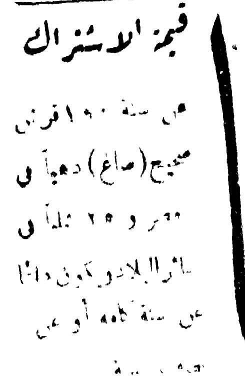
المنار

١٣١٥

تنبيه

... أن يكون وصل
... ذلك ... وما بعدهم
... الخامس وموقتا
... فيه ... في
... والسلام

الدفعة ... مقدمة



قيمة الاشتراك

عن سنة ... ١٠٠ قرش
صحيح (صاغ) دعما في
مصر و ١٢٥ ... في
سائر البلاد ... ولا
عن سنة كاملة أو عن
...
سنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي «المنار بمصر»

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ ... في غواية عن النافع ، وفي انكباب على الضار ، فلا تعجب اذا ﴾
﴿ ... عوا الاشتراك في المنار ، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى ﴾
﴿ ... الحاضر ، بجاه وأصلح الآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ﴾
﴿ لا ... ذلك الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل ﴾
﴿ ... ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل ﴾

بعض وكلاء المنار

الولايات المتحدة	الشيخ حسين حسن خروب H. H. Karoub. 29 1/2 la Belle Ave. H. P. Detroit Mich. u. s. a
الارجنتين	عبد الكريم افندي عكرة
طنطا — مصر	الشيخ محمد الابياري السرو
الوجه القبلي	الشيخ عبد الرزاق حمزه
دمياط	الشيخ محمد محمد السمان



شوال ١٣٤٠ — ٣ السرطان سنة ١٣٠٠ هش ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٢

تفسير القرآن الحكيم

(١٠) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ

تقدم ان الله تعالى بدأ هذه السورة بذكر إنزال القرآن على خاتم الرسل ليبلغ به جميع البشر فيما يدعوهم اليه من دينه ، وبيان ان أساس الدين الالهي وان واضع الدين هو الله تعالى رب العباد فالواجب فيه اتباع ما أنزله اليهم وان لا يتبعوا من دونه اولياء يتولونهم ويعملون بما يأمرونهم به من عبادة وحلال [ح]رام وأنه قفى على ذلك ببيان نوعي العذاب الذي انذر به من يتبعون [هؤلاء] الاولياء اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . فهذا موضوع الآيات السابقة ولما كان الدين الذي امر تعالى باتباع التنزيل فيه دون غيره — الا ما بينه [ل]ه الرسول المنزل عليه بأمره — هو دين الفطرة المبين لكل ما يوصلها [إلى ك]مالها والناهي لها عن كل ما يحول بينها وبين هذا الكمال ، وكان افتتان [الناس ب]أمر المعيشة من اسباب إفساد الفطرة بالاسراف في الشهوات ، من [ش]أنه يجب ان تكون نعم الله عليهم بما يحتاجون اليه منها سببا لاصلاحها

فهرس الجزء السادس من المجلد الـ ٢٣

يعيش فيه المرء ، وكون المرء مالكا لها ومتصرفا فيها ، ولا مشاحة في ان الاهم عند كل انسان ان يكون مالكا لما يعيش به ويتلوه ان يكون ذلك في وطنه ويتلوه انواعه وان تكون كثيرة وهو ما أفاده ترتيب الكلمات في الآية . ولا تجد هذه الدقة في تقديم ما ينبغي وتأخير ما ينبغي مطردة الا في كتاب الله تعالى

ولما كانت هذه المعايش انواعا كثيرة من نبات شتى وانعام وطير وسمك ومياه صافية واشربة مختلفة الطعوم والروائح وغير ذلك — وكانت بذلك — تقتضي شكرا كثيرا — وكان الشكور من العباد قليلا (وقليل من عبادي الشكور) قال تعالى عقب الامتنان بها ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ أي شكراً قليلا تشكرون هذه النعم لا كثيرا يناسب كثرتها وحسنها وكثرة الانتفاع بها . وشكر النعمة للمنعم يكون أولا بمعرفتها له والاعتراف بأنه هو مسديها والمنعم بها — وثانيا بالحمد له والثناء عليه بها — وثالثا بالتصرف بها فيما يحبه ويرضيه وهو ما أسداها لاجله من حكمة ورحمة . وهو هنا حفظ حياتنا البدنية أفرادا وجماعات خاصة وعامة والاستعانة بذلك على حفظ حياتنا الروحية التي تكمل بها الفطرة بتزكية الانفس وتأهيلها لحياة الآخرة الابدية ، وسيأتي في هذا السياق بيان لاصول ذلك في قوله تعالى (٢٩ يابني آدم خذوا زينتكم . .) الخ

وفي الآية من المباحث اللفظية قراءة نافع في رواية عنه معائش بالهمز ، وغلطه سيبويه ومن تبعه لان القاعدة عندهم انه لا يهمز بعد ألف الجمع الا الياء الزائدة في المفرد كصحيفة وصحائف ، وياء معيشة أصلية فيجب عندهم أن تثبت في الجمع كما اتفقت عليه القراءات السبع المتواترة ، وهذه الرواية عن نافع غير متواترة ولذلك عدوها خطأ منه . والصواب انه رواها وهو أجل من ان يفتجرها افتجاراً . وفي المصباح قول انها من معش لا من عاش فالياء زائدة وجمعها معائش قال: وبه قرأ أبو جعفر المدني والاعرج ، أي في الشواذ وألحقها المفسرون وبعض اللغويين بما سمع عن العرب من أمثالها كمصائب ومعائب ، وقالوا إنه من تشبيه مفاعل بفعائل . ونقول ان العرب لا حجر عليهم بما وضعه غيرهم لكلامهم من القواعد المبنية على الاستقراء الناقص . والقرآن أعلى من كل كلام فأولى أن لا ينكر منه شيء صحت الرواية به لغة عند من رواها وان لم يثبت كونها قرآنا الا بالتواتر

بشكر الله عليها الموجب للمزيد منها — لما كان الامر كذلك ذكر سبحانه الناس في هذه الآية بنعمه عليهم بالتمكين في الارض وخلق انواع المعايش فيها وتقصيرهم في شكرها . وهو بدء سياق طويل فيه بيان خلق نوعهم الانساني مستعدا للكمال وما يعرض له من وسوسة الشيطان التي تصده عنه، وما ينبغي لافراده من اتقاء فتنة هذه الوسوسة وعدم اتخاذ شياطينها الملقين لها اولياء يتبعونهم دون ما انزل اليهم من ربهم، فانهم هم الذين يحملونهم بذلك على كفر النعم عوضا عن الشكر ، وعلى تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه . ويتلوه ما شرعه لهم من إباحة الزينة والطيبات وما حرمه عليهم فيها

فهذا السياق الاستطرادي او المشبه للاستطراد يبتدىء من الآية التاسعة الى الآية الثانية والثلاثين ، ثم يعود الكلام الى ذكر دعوة الرسل للامم وجزاء من آمن بهم واتبعهم ومن كفر بهم وعصاهم، وفيه تفصيل لما اجمل في الآيتين اللتين قبل هذه الآية من جزاء الآخرة — فتأمل دقة بلاغة التناسب بين آيات القرآن فانها نوع خاص من انواع إعجازه الكثيرة . قال تعالى

﴿ ولقد مكناكم في الارض ﴾ مكناكم في الارض — جعلنا لكم فيها مكانا ووطنا تتبوءونه وتتمكنون من الراحة في الاقامة فيه [1] وتأكيد الخبر باللام و«قد» تذكير للغافلين عن كونه من نعم الله عليهم وعن شكره حتى كأنهم منكرون له ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ جمع معيشة وهي ماتكون به العيشة وهي الحياة الجسمانية من المطاعم والمشارب وغيرها، أو مكسب الانسان منها قاله في المصباح . اي وانشأنا لكم فيها ضروبا شتى مما تعيشون به عيشة راضية، والنكتة في تقديم « لكم فيها » على « معايش » مع ان الاصل ان يقدم المفعول به على غيره من متعلقات الفعل هو ان المقصود من ذكر خلق المعايش كونها نعما منه سبحانه على الناس جعلهم مالكين لها، متمكنين من الانتفاع بها، لا كونها مجعولة ومخلوقة . والقاعدة في تقديم بعض الكلام على بعض هي ان يقدم المقصود بالذات والاهم فالاهم منه كما حققه الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ، ولا شك ان وجود المعايش لهم اهم من كونها في الارض التي مكنهم فيها — فههنا ثلاثة اشياء المعايش وكونها في الوطن الذي

---

(١) راجع تحقيق معنى التمكين والتمكن في ٣٠٦ و ٣٠٧ ج ٧ تفسير

صار حقيقة شرعية . وهذا التفسير اظهر من حيث اللغة وهو يصدق بخلق آدم وبخلق مجموع الناس فان كل فرد من الافراد يقدر الله خلقه ثم يصور المادة التي يخلقه منها في بطن امه .

وقد اختلفت الروايات عن مفسري السلف في الجملتين فعن ابن عباس ثلاث روايات (احداها) ورواتها كثيرون وصححها بعضهم على شرط الشيخين قال فيها : خلقوا في اصلاب الرجال وصوروا في ارحام النساء (والثانية) خلقوا في ظهر آدم ثم صوروا في الارحام اخرجها الفريابي (والثالثة) قال : اما خلقناكم فآدم واما ثم صورناكم فذريته . اخرجها ابن جرير وابن ابي حاتم . وروي عن قتادة نحوها قال : خلق الله آدم من طين ثم صوركم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسى العظام لحما . وعن مجاهد خلقناكم يعني آدم ، ثم صورناكم يعني في ظهر آدم . وعن الكلبي قال خلق الانسان في الرحم ثم صوره فشق سمعه وبصره واصابعه اه ملخصا من الدر المنثور . والتقدير الذي ذكرناه اولا هو الموافق لما عليه الجمهور . والانسان الاول آدم ولذلك قال :

﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ اي بعد ان نفخنا فيه من روحنا ، ما جعلناه به خليفة في الارض وعلمناه الاسماء كلها ، كما تقدم تفصيله في سورة البقرة .

﴿ فسجدوا إلا ابليس لم يكن من الساجدين ﴾ اي لم يكن من جملتهم لانه ابى واستكبر وفسق عن امر ربه . وهو من الجن لا منهم . وان كانت الجن نوعا من جنسهم، أو الجنة (بالكسر) جنسا للملائكة وللشياطين الذين هم مردة الجن وأشقياؤهم. وهذا السجود تكريم من الله لآدم لا سجود عبادة اذ نص القرآن القطعي قد تكرر بأنه لا يعبد الا الله وحده ، أو هو بيان لاستعداد آدم وذريته وما صرفهم الله تعالى به من قوى الارض التي تدبرها الملائكة بأسلوب التمثيل القصصي ، والامر فيه وفيما بعده تكويني قدري ، لا تكليفي شرعي ، فهو كقوله في خلق السموات والارض (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وسيأتي توضيحه في أثناء القصة وفي نهايتها ان شاء الله تعالى —

وقد روي عن ابن عباس ان هذا السجود كرامة كرم الله بها آدم وقال كانت السجدة لآدم والطاعة لله ومثله عن قتادة ، وزاد أن ابليس حسد آدم على هذا التكريم . والدليل على انه تكريم امتحن الله تعالى به طاعة الملائكة له فظهرت عصمة

(١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ
مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
(١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ
لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ
(١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ

هذا شروع في بيان ما أشرنا اليه من خلق أصل هذه النشأة الآدمية ، واستعداد الفطرة البشرية ، وعلاقتها بالارواح الملكية والشيطانية ، وما يعرض لها من موانع الكمال، باغواء عدو البشر الشيطان ، ويليهما يترتب عليه من الهداية والارشاد ، الى مايتقى به ذلك الاغواء والفساد ، قال تعالى

﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ الخطاب لبني آدم والمعنى خلقنا جنسكم أي مادته من الصلصال والحمأ المسنون وهو الماء والطين اللازب المتغير الذي خلق منه الانسان الاول، ثم صوّرناكم بأن جعلنا من تلك المادة صورة بشر سوي قابل للحياة ، أو قدرنا إيجادكم تقديراً، ثم صورنا مادتكم تصويراً ، ومعنى الخلق في أصل اللغة التقدير ثم أطلق على إيجاد الشيء المقدر على صفة مخصوصة . قال في حقيقة المادة من أساس البلاغة : خلق الخراز الاديم (أي الجلد) والخياط الثوب — قدره قبل القطع ، واخلق لي هذا الثواب . (قال) ومن المجاز خلق الله الخلق أوجده على تقدير أوجبته الحكمة اه ولكن هذا المجاز اللغوي

على طاعة الرئيس وهو ليس ربا تجب طاعته لذاته ولا لنعمه، ولا معصوما من الخطا فيما يأمر به، فما القول في وجوب طاعة رب العالمين على عبيده؟ ويشارك إبليس في هذا الجهل وماقبله كثيرون ممن يسمون انفسهم مؤمنين، يتركون طاعة الله تعالى فيما امر به مما يخالف اهواءهم، ويحتجون على ترك الصيام مثلا بأن لا فائدة في الجوع والعطش، او بان الله غني عن صيامهم!! على ان حكم الصيام كثيرة جلية كما بيناه مرارا

روى ابو نعيم في الحلية والديلمي عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده ان رسول الله (ص) قال: «اول من قاس امر الدين برايه إبليس: قال الله تعالى له: اسجد لآدم، فقال انا خير منه» الخ قال جعفر فمن قاس امر الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بابليس. وروى ابن جرير عن الحسن: اول من قاس إبليس

(الرابع) الاستدلال على الخيرية بالمادة التي كان منها التكوين، وهذا جهل ظاهر من وجوه (احدها) ان خيرية المواد بعضها على بعض ليس من الحقائق التي يمكن اثباتها بالبرهان وانما هي امور اعتبارية تختلف فيها الآراء والاهواء. واصول المخلوقات المختلفة التركيب عناصر بسيطة قليلة يرجح انها متحولة عن اصل واحد كما يعلم من فن الكيمياء. (ثانيها) ان بعض الاشياء النفيسة اصلها خسيس، فالمسك من الدم، وجوهر الالماس من الكربون الذي هو أصل الفحم، والاقذار التي تعاف من مادة الطعام الذي يشتهى ويحب. (ثالثها) ان الملائكة خلقوا من النور وهو قد خلق من مارج من نار وهو اللهب المختلط بالدخان فما فوقه دخان وما تحته لهب صاف فان مادة المرج معناها الخلط والاضطراب. ولا شك في ان النور خير من النار والنار الصافية خير من اللهب المختلط بالدخان. وقد سجد الملائكة المخلوقون من النار امتثالا لامر الله تعالى فكان هو اولى، بل أولى بأن يقال له: اولى لك فأولى.[1]

(الخامس) اذا سلمنا جدلا أن خيرية الشيء ليست في ذاته وصفاته الخاصة التي تفصلها عن غيرها من مقومات نوعه ومشخصات نفسه وصفاته التي يمتاز بها عن غيره، وانما هي تابعة للمادة التي هي أصل جنسه — فلا نسلم ان النار خير من الطين فان جميع الاحياء النباتية والحيوانية في هذه الارض مخلوقة من الطين بالذات او بالواسطة وهي خير مافيها بكل نوع من انواع الاعتبارات التي تعرفها العقول، وليس للنار أو لمارجها مثل هذه المزايا ولا ما يقرب منها،

(١) هي كلمة تهديد ودعاء

الذين لا يعصون الله ماامرهم ويفعلون ما يؤمرون وفسق ابليس قوله تعالى حكاية عن ابليس في سورة الاسراء (١٧ : ٦٢ قال أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ لئن أخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا) حسده على هذا التكريم فحمله الحسد على الاستكبار والفسوق عن أمر الله كما صرحت به الآيات المختلفة في البقرة والكهف وغيرهما ويدل عليه جواب السؤال التالي :

﴿ قال مامنعك ان لاتسجد إذ امرتك ؟ ﴾ اي قال تعالى له مامنعك من امتثال الامر فحملك على ان لاتسجد لآدم مع الساجدين في الوقت الذي امرتك فيه بالسجود؟ واستدل علماء الاصول بهذا على ان الامر يقتضي الوجوب على الفور ﴿ قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ اي منعني من ذلك اني أنا خير منه لانك خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين واشرف، ولا ينبغي للاشرف ان يكرم من دونه ويعظمه، اي وان امره بذلك ربه. وهذا الجواب يتضمن ضروبا من الجهل الفاضح ماأوقع اللعين فيها الا حسده وكبره فانهما يعميان البصائر

(الاول) : الاعتراض على ربه وخالقه كما تضمنه جوابه ومثله في هذا كل من يعترض على كلام الله تعالى فيما لا يوافق هواه، وهذا كفر لايقع مثله من مؤمن بالله وبكتابه فان المؤمن اذا خفيت عليه حكمة الله في شيء من كلامه بحث عنها بالتفكر والبحث وسؤال العلماء وصبر الى ان يهتدي الى مايطمئن به قلبه مكتفيا قبل ذلك بان الله تعالى يعلم مالا يعلم من حكم شرعه، وفوائد أمره ونهيه.

(الثاني) : الاحتجاج عليه بما يؤيد به اعتراضه والمؤمن المزعن لا يحتج على ربه بل يعلم ان لله الحجة البالغة

(الثالث) : جعل امتثال امر الرب تعالى مشروطاً باستحسان العبد له وموافقته لرأيه وهواه، وهو رفض لطاعة الرب، وترفع عن مرتبة العبد، وتعال منه الى وضع نفسه موضع الند، وهو في حكم الدين كفر، وفي العقل حماقة وجهل. فان الرئيس لاي حكومة او جيش او جمعية او شركة اذا كان لايطيعه المرءوسون له الا فيما يوافق اهواءهم وآراءهم لايلبث امرهم ان يفسد بأن تختل الحكومة وتسقط، وينكسر الجيش ويهلك، وتنحل الشركة وتفلس، وهكذا يقال في كل مصلحة يقوم بادارتها كثرة، يرجع نظامها الى جهة واحدة، كبوارج الحرب وسفن التجارة ومعامل الصناعة، فاذا كان الصلاح والنظام في كل امر يتوقف

غير النفي . وذلك على انواع منها هذه الآية وفي معناها قوله تعالى في تحاور موسى وهارون من سورة طه (قال يا هرون ما منعك إذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري) وعدوا من هذا القبيل قوله تعالى (٦: ١٠٨ وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون) وقوله عز وجل (٦: ١٥١ قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا) وفي كل منهما معنى النفي وتقدم تفسيرهما

ومنهم من خرج هذه الآيات وامثالها من الشواهد على جعل لا غير زائدة وتقدم ما اخترناه في آيتي الانعام واشرنا آنفا في هذه الآية الى ان منع هنا تتضمن معنى الحمل . والتضمين كثير في التنزيل وكلام العرب ولكن لم يجعله النحويون قياسيا . ويستدل عليه كثيرا بالتعدية كما بيناه في تفسير (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) اذ ضمن الا كل معنى الضم فعدي بالى . ويقرب منه تعبير سورة الحجر (مالك أن لا تكون مع الساجدين) والتقدير أي شيء عرض لك فحملك على أن لا تكون معهم واختار ابن جرير تضمين المنع هنا معنى الالزام والاضطرار فيكون التقدير ما الزمك او اضطرك الى ان لا تسجد

ومن مباحث البلاغة أن الفصل في حكاية السؤال والجواب جميعا « بقال قال » وارد على طريقة الاستئناف البياني فان من يسمع السؤال يتشوف لمعرفة الجواب ، وينزل منزلة من يسأل عنه فيجاب ،

﴿ قال فاهبط منها ﴾ الهبوط الانحدار والسقوط من مكان الى مادونه أو من مكانة ومنزلة الى مادونها ، فهو حسي ومعنوي . والفاء لترتيب هـذا الجزاء على ماذكر من الذنب قبله ، والضمير عائد الى الجنة التي خلق الله فيها آدم وكانت على نشز مرتفع من الارض ، وقد كانت اليابسة قريبة العهد بالظهور في خضم الماء فخير مايصلح منها لسكنى الانسان يفاعها وانشازها ، أو التي أسكنه إياها بعد خلقه في الارض وهي جنة الجزاء على القول بها — يدل على ذلك ماورد من الامر بالهبوط له ولآدم وزوجه بعد ذكر سكنى الجنة من سورتي البقرة وطه، وقيل انه يعود الى المنزلة التي كان عليها ملحقاً بملائكة الارض الاخيار قبل ان يميز الله الخبيث من الطيب من جنس الجنة بالسجود لآدم فيكون نوعين ملائكة وشياطين، كما قيل في جنة آدم انها عبارة عن حياة النعيم الاولى للنوع التي تشبه نعيم الطفولية لافراده. وتقدم شرح ذلك في تفسير آيات سورة البقرة. ﴿ فما يكون لك أن تتكبر فيها ﴾ أي فما ينبغي لك وليس مما تعطاه من التصرف أن

(السادس) ان اللعين غفل عما خص الله به آدم من خلقه بيده، والنفخ فيه من روحه وجعل استعداده العلمي والعملي فوق استعداد غيره من خلقه، ومن تشريفه بأمر الملائكة بالسجود له،وجعله بتلك المزايا أفضل من اولئك الملائكة وهم أفضل من إبليس بعنصر الخلقة و بالطاعة

فهذه اصول الجهل والغباوة التي اوقع ابليس فيها حسده لآدم واستكباره عن طاعة الله بالسجود له. وانت ترى ان اولياءه ونظراءه من شياطين الانس مرتكسون فيها كلها والعياذ بالله تعالى.

قال قتادة : حسد عدو الله ابليس آدم على ما اعطاه الله من الكرامة وقال انا ناري وهذا طيني فكان بدء الذنوب الكبر ، واستكبر عدو الله ان يسجد لآدم فاهلكه الله بكبره وحسده . وسيأتي تفسير الكبر والتكبر

وهذا التفصيل مبني على كون الامر بالسجود للتكليف ، وانه وقع حوار فيه بين الرب سبحانه وبين ابليس، واما على القول بأن الامر للتكوين وان القصة بيان لغرائز البشر والملائكة والشيطان فالمعنى انه تعالى جعل ملائكة الارض المدبرة بأمر الله واذنه لامورها كما قال (والمدبرات امراً) مسخرة لآدم وذريته اذ خلق الله هذا النوع مستعدا للانتفاع بها كلها بعلمه بسنن الله تعالى فيها وبعمله بمقتضى هذه السنن كخواص الماء والهواء والكهرباء والنور والارض معادنها ونباتها وحيوانها ، واظهاره لحكم الله تعالى وآياته منها ، ومستعدا لاصطفاء الله بعض أفراد واختصاصهم بوحيه ورسالته، واقامة من اهتدى بهم لدينه وميزان شرعه . وقد اشير الى ذلك في سورة البقرة بقوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) الا انه جعل الشيطان عاتيا متمرداً على الانسان بل عدواً له من حيث ان الانسان بروحه وسط بين روح الملائكة المفطورين على طاعة الله واقامة سننه في صلاح الخلق وبين روح الجن الذين يغلب على شرارهم — وهم الشياطين التمرد — والعصيان،وقد اعطي الانسان ارادة واختيارا من ربه في ترجيح ما به يصعد الى افق الملائكة وما به يهبط الى افق الشياطين وسيأتي تفصيل ذلك في هذا السياق

وفي الآية من المباحث اللغوية زيادة « لا » في جملة « ما منعك ان لا تسجد » اذ قال في سورة (ص) (ما منعك ان تسجد) وقد عهد في الكلام العربي الفصيح ان تجيء لا في سياق النفي الصريح وغير الصريح لتقويته وتوكيده وكذا في

وذريته فأكون أنا وذريتي احياء ماداموا أحياء ﴿ قال انك من المنظرين ﴾ أي قال تعالى له مخبرا أو قال مريدا ومنشئا كما يقول للشيء كن فيكون : انك من المنظرين ، قال ابن كثير أجابه تعالى ما سأل لماله في ذلك من الحكمة والارادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمانع ولا معقب لحكمه اه فهو يؤكد بهذا ما اختاره في مدلول هذا الحوار وهو أنه بيان لمقتضى التكوين الذي هو متعلق المشيئة ، لا مراجعة أقوال من متعلق صفة الكلام

وظاهر الكلام أنه جعل من المنظرين الى يوم يبعثون وان لم يصرح به للعلم به من السؤال ايجازاً قال ابن كثير : اجابه الى ماسأل . ولكن هذا السؤال ورد في سورة الحجر فكان جوابه بلفظ آخر وهو : (١٥ : ٣٦ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون (٣٧) قال فانك من المنظرين ٣٨ الى يوم الوقت المعلوم) أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس (رض) أنه قال في تفسير هذه الآيات: أراد ابليس أن لا يذوق الموت فقيل له « انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » قال النفخة الاولى وبين النفخة والنفخة أربعون سنة. واخرج الاول عن السدي قال: فلم ينظره الى يوم يبعثون ولكن أنظره الى يوم الوقت المعلوم . والنفخة الاولى في الصور هي التي يموت فيها جميع أهل الارض دفعة واحدة والثانية هي التي بها يبعثون وليس بعدها موت، ولذلك قال ابن عباس انه أراد أن لا يذوق الموت وهذه النفخة تسمى نفخة الفزع لقوله تعالى في سورة النمل (٢٧: ٨٩ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات والارض الا من شاء الله) ونفخة الصعق لقوله في سورة الزمر (٣٩ : ٦٥ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله (قال) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) ولاختلاف الوصفين قال أبو بكر بن العربي وغيره ان النفخات ثلاث وقال غيره أربع ، ولكن ظاهر القرآن أنهما ثنتان وهما المراد بقوله (٦٩ : ٦ يوم ترجف الراجفة ٧ تتبعها الرادفة) فهم يفزعون فيصعقون . أي يموتون بالاولى وهي الراجفة، ويبعثون بالثانية التي تردفها وتتبعها . وأصل الصعق تأثير الصاعقة فيمن تصيبه من إغماء وغشيان أو موت وهو الغالب ثم صار يطلق على الغشيان من كل صوت شديد والموت منه كما فسره الفيومي في المصباح .

وفيمن استثنى الله تعالى من الفزع والصعق عشرة أقوال على ما استقصاه الحافظ في الفتح ليس في شيء منها ذكر ابليس لعنه الله وما من قول من تلك الاقوال الا

تتكبر في هذا المكان المعد للكرامة ، أو في هذه المكانة التي هي منزلة الملائكة لانها مكانة الامتثال والطاعة ، والكبر اسم للتكبر وهو مصدر تكبر أي تكلف أي يجعل نفسه أكبر مما هي عليه أو أكبر ممن هي في ذاتها أصغر منه ، وقد ورد في الحديث الصحيح تفسير الكبر بأنه غمط الحق أو بطر الحق واحتقار الناس ، أو ازدراؤهم . وهو تفسير له بمظهره العملي الذي يترتب عليه الجزاء ، وهو أن لايذعن للحق اذا ظهر له ، وان يحتقر غيره بقول أو عمل يدل على عدم الاعتراف له بمزيته وفضله ، أو بتنقيص تلك المزية بادعاء أن مادونها هو فوقها ، سواء ادعى ذلك لنفسه فرفعها على غيرها بالباطل ، أو ادعاه لغيره ، بأن يفضل بعض الناس على بعض بقصد احتقار المفضل عليه وتنقيص قدره ﴿ فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ هذا تأكيد للامر بالهبوط متفرع عليه ، أي فاخرج من هذا المكان أو المكانة ، وعلل ذلك بقوله على طريق الاستئناف البياني : « انك من الصاغرين » أي أولي الذلة والصغار ، أظهر حقيقتك الامتحان والاختبار ، الذي يميز بين الاخيار والاشرار ، باظهاره لما كان كامناً في نفسك من عصيان الاستكبار ، (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) وقال بعضهم انه تعالى جازاه بضد مراده اذ أراد أن يرفع نفسه عن منزلتها التي كانت فيها ، فجوزي بهبوطها منها الى مادونها ، كما ورد في بعض الاخبار من ان الله تعالى يحشر المتكبرين يوم القيامة بصور حقيرة يطؤهم فيها الناس بأرجلهم ، كما أنه يبغضهم الى الناس في الدنيا فيحتقرونهم ولو في أنفسهم — وهذا التوجيه أليق بقول من جعل الامر للتكليف ، ولكن الحافظ ابن كثير جرى عليه بعد جزمه بالقول بأنه للتكوين واقتصاره عليه قال : « يقول تعالى لابليس بأمر قدري كوني فاهبط منها بسبب عصيانك لامري وخروجك عن طاعتي فما يكون لك أن تتكبر فيها ، قال كثير من المفسرين الضمير عائد الى الجنة ، ويحتمل ان يكون عائداً الى المنزلة التي هو فيها من الملكوت الاعلى ، فاخرج انك من الصاغرين ، أي الذليلين الحقيرين ، معاملة له بنقيض قصده ، ومكافأة لمراده بضده ، فعند ذلك استدرك اللعين ، وسأل النظرة الى يوم الدين »

﴿ قال انظرني الى يوم يبعثون ﴾ أي قال بلسان قاله على التفسير الاول أو لسان حاله واستعداده على الآخر : رب أخرني وأمهلني الى يوم يبعث آدم

موسى آخذا بقائمة من قوائم العرش قال « فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله عز وجل » وظاهره أن ذلك غشيان يقع بعد البعث في موقفه ويحتمل ان يعم صعق النفخة الاولى الاحياء والاموات الا من استثنى والا كان مشكلا يحتاج الى الجمع بينه وبين مايعارضه مما علمت بعضه وليس هذا المقام بالذي يتسع لتحقيق هذه المسألة

وقد استشكل المفسرون ولاسيما علماء الكلام منهم هذا الانظار بالنسبة الى مايترتب عليه من الشر والاغواء وسيأتي بيان حكمته بعد انتهاء تفسير هذه الآيات

﴿ قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ الاغواء الايقاع في الغواية وهي ضد الرشاد، لانها في أصل اللغة بمعنى الفساد المردي من قولهم غوى الفصيل كهوى ورمى ، وغوي كهوي ورضي — اذا فسد جوفه من كثرة اللبن فهزل وكاد يهلك . وصراط الله المستقيم هو الطريق الذي يصل سالكه الى السعادة التي أعدها سبحانه لمن تتزكى نفسه بهداية الدين الحق وتكميل الفطرة. والفاء لترتيب مضمون الجملة التي تليها على مضمون ماقبلها . والباء للسببية أو القسم والمعنى فبسبب اغوائك إياي من أجل آدم وذريته أقسم لاقعدن لهم على صراطك المستقيم فأصدهم عنه واقطعه عليهم بان أزين لهم سلوك طرق أخرى أشرعها لهم من جميع جوانبه ، وهو مافسر بقوله

﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ أي فلا أدع جهة من جهاتهم الاربع الا وأهاجمهم منها . وهذه جهات معنوية كما ان الصراط الذي يريد اضلالهم عنه معنوي ، وقد تقدم في تفسير قوله تعالى (٦ : ١٥٣) وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل)الآية مايوضح ماهنا ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ لنعمك عليهم في عقولهم ومشاعرهم وجوارحهم ومعايشهم ، ومايهديهم الى تكميل فطرتهم من تعاليم رسلك اليهم ، أي لايكون الشكر التام الممكن صفة لازمة لا كثرهم بل للاقلين منهم . قيل انه قال هذا عن ظن فاصاب لقوله تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) وقيل عن علم بالدلائل لابالغيب

روي عن ابن عباس (رض) في تفسير الاربع قال : « ثم لآتينهم من بين أيديهم » قال : أشككهم في آخرتهم ، « ومن خلفهم » فأرغبهم في دنياهم ، « وعن ايمانهم » أشبه عليهم أمر دينهم « وعن شمائلهم » استنّ لهم

وفيه نظر من بعض الوجوه وهذا أمر غيبي لا يعلم الا بتوقيف ولم يصح في قول منها حديث مرفوع متصل الاسناد فيما يظهر من كلامهم، ولكن ورد في حديث لابي هريرة ان النبي (ص) سأل جبريل عن هذه الآية : من الذين لم يشأ الله أن يصعقوا؟ قال: « هم شهداء الله عز وجل » قال الحافظ صححه الحاكم ورجاله ثقات ورجحه الطبري اه ولكن الحافظ لم يذكر هذا قولا مستقلا بل ادمجه في قول من قال انهم الانبياء . أي بناء على ان المراد بشهداء الله حججه على خلقه بحسن سيرتهم واستقامتهم في الدنيا إذ يشهدون في الآخرة بضلال كل من كان مخالفا لهديهم وسنتهم في اتباع دين الله عز وجل . والانبياء منهم قطعا فكل نبي يشهد على قومه كما قال (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) وهؤلاء الشهداء لا تخلو الارض منهم ، يقلون تارة ويكثرون اخرى . ولكن يجب أن يجعل هذا قولا مستقلا فان الشهداء اعم من الانبياء ومن الصديقين فكل نبي شهيد وكل صديق شهيد ومن الشهداء من ليس بنبي ولا صديق ولكن كل شهيد صالح وما كل صالح بشهيد ، فبين طبقات (الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) العموم والخصوص المطلق . واذا كان الصعق المراد هو الموت فلا يظهر للقول بأن المستثنى هم الانبياء وجه ، وكذا اذا كان المراد به الغشيان المعبر عنه في آية النمل بالفزع وكانت النفخة المحدثة له قبل موت الخلق وخراب الدنيا كما هو الظاهر المتبادر. وظاهر بعض الاحاديث ان ذلك يكون يوم البعث أي بعده وهو خلاف المتبادر من الآيات كلها . فعلم مما ذكرنا ان إبليس لا ينتهي إنظاره الى يوم البعث بل يموت عقب النفخة الاولى التي يتلوها خراب هذه الارض كما قال تعالى في سورة الحاقة(٦٩: ١٢ فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ١٣ وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة) الا اذا قيل ان يوم القيامة ويوم البعث يطلق تارة على مايشتمل مقدماته فيسمى كل ذلك يوما كما يطلق تارة على زمن المقدمات وحدها وتارة على زمن الغاية وحدها . اذ معناه في اللغة الزمن الذي يتميز بعمل معين فيه كأيام العرب المعروفة . وقد يستدل على هذا بقوله تعالى بعد الآيتين المذكورتين آنفا من سورة الحاقة (١٤ فيومئذ وقعت الواقعة — الآيات . وفي هذا الباب حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما الناطق بأن الناس يصعقون يوم القيامة وان النبي (ص) يكون أول من يرفع رأسه فيجد

فان جزاءهم أن يكونوا معه هم أهل دار العذاب يملأها منهم اجمعين وغلبه في الخطاب . وفي آخر سورة ص (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) ويدخل في خطابه أعوانه في الاغواء من ذريته والنصوص فيهم كثيرة وقوله « منهم » يدل على ان الاملاء يكون من بعضهم والا قيل: لأملأن جهنم بكم . وذلك ان بعض من يتبعه من المؤمنين الموحدين في بعض المعاصي يغفر الله لهم ويعفو عنهم

وفي سورتي الحجر وص استثناء عباد الله المخلصين من إغوائه لمنه الله حكاية عنه وهو مقابل الاكثر هنا . وأكد سبحانه ذلك في سورة الحجر بقوله (١٥: ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) ونحوه في سورة الاسراء (١٧: ٦٥) وفي سورة ابراهيم عليه السلام مايفيد انه ليس له سلطان على أحد ، وانما هو داعية شر وما تبعه من تبعه الا مختارا مرجحا للباطل على الحق وللشر على الخير ، فقد قال في سياق تخاصم أهل النار يوم القيامة من المستكبرين المضلين والضعفاء الذين اتبعوهم في ضلالهم (١٤ : ٢٥ وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي) وسيأتي فائدة التذكير بهذا عند تفسير الآيات الآتية في نصح بني آدم وتحذيرهم من طاعة الشيطان

وقد استشكل بعض المفسرين ولا سيما المتكلمين منهم خطاب الرب سبحانه للشيطان في هذا التحاور الطويل واختلفوا فيه هل هو خطاب بواسطة الملائكة كالوحي لرسل البشر أم بغير واسطة وكيف وهو يقتضي التكريم ، وتحكموا في الجواب حتى قال بعضهم إن الشيطان كان يطلع على اللوح المحفوظ فيعلم مراد الله في جواب أسئلته . واستشكلوا أمر الله تعالى إياه باغواء البشر وإضلالهم المبين في سورة الاسراء بقوله سبحانه (١٧ : ٦٤ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) الآية . مع قوله تعالى (ان الله لا يأمر بالفحشاء) وانما يشكل هذا كله على ماجروا عليه من جعل الخطاب للتكليف . واذا جعل الخطاب للتكوين كما صرح به ابن كثير فلا اشكال لانه عبارة عن بيان الواقع في صفة طبيعة البشر وطبيعة الشيطان . وللاشعرية والمعتزلة فيها جدل طويل ، فالاولون يثبتون الاغواء والاضلال لله تعالى وينفون رعاية الرب لمصالح العباد في كل من دينهم ودنياهم ، والآخرون

المعاصي ، « ولا تجد أكثرهم شاكرين » قال موحدين * فسر الشكر بأصل أصوله ومنبت جميع فروعه وهو توحيد الربوبية والالوهية الذي هو منتهى الكمال في معرفته تعالى ، وفي رواية أخرى عنه : من بين أيديهم — من قبل الدنيا ، ومن خلفهم — من قبل الآخرة ، وعن ايمانهم — من قبل حسناتهم ، وعن شمائلهم — من جهة سيئاتهم . وهي انما تخالف الاولى في تفسير بين الايدي والخلف خلاف تناقض في اللفظ والمراد واحد . وهو هل المراد فيما بين الايدي ما هو حاضر أم ما هو مستقبل ، وهل المراد بالخلف مايتركه المرء ويتخلف عنه وهو الدنيا أم ماهو وراء حياته الحاضرة وهو الآخرة ؟ اللفظ يحتمل التأويلين . وعنه : لم يستطع أن يقول من فوقهم . علم ان الله فوقهم ، وفي لفظ لان الرحمة تنزل من فوقهم . وعن مجاهد وقتادة ماهو بمعنى ماذكر مع تفصيل مّا كما في الدر المنثور وهما من تلاميذه (رض) والفوقية معنوية كغيرها . واثبات العلو والفوقية لله تعالى تنطق به الآيات والاحاديث الصحيحة فنؤمن بها و بتنزيهه تعالى عما لايليق به من صفات خلقه جميعا . وفي رواية عن مجاهد : من بين ايديهم وعن ايمانهم من حيث يبصرون ، ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لايبصرون . وحاصل المعنى كما قال ابن جرير جميع طرق الخير والشر فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم . وروى احمد وابو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث ابن عمر قال : لم يكن رسول الله (ص) يدع هؤلاء الدعوات « اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك ان اغتال من تحتي »

﴿ قال اخرج منها مذؤما مدحورا ﴾ يقال ذأم المتاع (من باب فتح) وذامه بالتخفيف يذيمه ذيما وذاما (بالقلب) اذا عابه وذمّه . و يقال دحر الجند العدو اذا طرده وأبعده — فهو بمعنى اللعن . و بذلك ورد التفسير المأثور للفظين . والامر الاول بالخروج قد ذكر لبيان سببه ، وهذا لبيان صفته ، والمعنى اخرج من الجنة أو المنزلة التي أنت فيها حال كونك معيبا مذموما من الله وملائكته مطرودا من جنته فهو بمعنى لعنه في آيات أخرى

﴿ لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ جهنم اسم من أسماء دار الجزاء على الكفر والفسوق والعصيان . اخبر تعالى خبرا مؤكدا بالقسم بأن من يتبع إبليس من ذرية آدم فيما يزينه لهم من الكفر والشرك والفجور والفسق ،

المفطور على ذلك ، وقد يعصي فيفيده العصيان خوفا ورهبة ، ويحمله على التوبة ، فيكون له أوفر حظ من اسمي العفو الغفور ، وقد يستكبر عن الطاعة والايمان، ويصرّ على الفسوق والعصيان ، فيكون موضعا لعقاب الحكم العدل، وآية فيه على تنزهه تعالى عن الجور والظلم ،

ولا نعرف نوعاً من أنواع الخلق مفطورا على الباطل والشر ، مجبورا على الفسق والكفر ، فهو غير موجود ، على أنه لو وجد لما صح أن يعترض به العبد المربوب، على الرب المعبود ، وهذه الآيات المبينة لمعصية إبليس — وهو شر أفراد هذا النوع المسمى بالجن — تدل على انه كان مختارا في عصيانه بانيا إياه على شبهة احتج بها عليه ، وكذلك خلق الله نوعه فكانوا كالبشر منهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، كما يعلم من السورة التي سميت باسمهم (الجن) قال تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) الفسق الخروج من الشيء فهو يدل على أنه كان قبل ذلك يطيعه ويعبده كما يدل عليه وجوده مع الملائكة، وعقوبته باخراجه منهم بعد المعصية. وقد عصى آدم ربه بعد عصيان ابليس ، وكان الفرق بينهما ان آدم تاب الى ربه فتاب عليه وهداه واجتباه ، وجعله موضع مغفرته ورحمته ، وان ابليس أصر على عصيانه واحتج على ربه فلعنه وأخزاه ، وجعله موضع عدله في عقابه، وقص قصصهما على المكلفين من ذريتهما، وأظهر حقيقة النوعين، ومآل العملين، عبرة للمعتبرين، وموعظة للمتقين ، وابتلاء (اختبارا) للعالمين ، يميز الله به المحسنين والمسيئين، ويزيل بين الطيبين والخبيثين ، اذ كان من سننه فيهما ان الحياة جهاد ، يظهر به ما اودع في النفوس من الاستعداد، وان من حكم تفاوت البشر فيه ان يكون منهم العالم والجاهل، والحكيم والحاكم، والمسوس والسائس، والجندي القائد ، والمخدوم والخادم، والزارع والصانع ، والتاجر والعامل، فلولا العمال — مثلا — لما اتسعت مسائل العلوم بالاعمال ، ولما أمكن الانتفاع مما اكتشف العلماء من أسرار الطبيعة وخواص المخلوقات ، ولولا ذلك لما عرفت نعم الخالق وسننه ودقائق علمه وحكمته في الاشياء ، وغير ذلك من معاني الصفات ومظاهر الاسماء ، وموجبات الحمد والشكر والثناء ،

وجملة القول ان كل ماخلقه الله تعالى فهو حسن في نفسه ، متقن في صنعه ، مظهر لنوع أو أنواع من حكمه في خلقه ، ومن كماله في ذاته وصفاته ، ولا

يمكسون ، فندع أمثال هذه المباحث الجدلية لا بني بجدتها الرازي والزمخشري ، ونختم تفسير هذه الآيات ببيان حكمة الله تعالى في خلق إبليس وذريته الشياطين ، وكشف شبهة المستشكلين له وبخلق الانسان مستعدا لقبول إغوائه فانها مما يحتاج اليه حتى على القول بأن السياق كله لبيان حقيقة التكوين .

حكمة خلق الله الخلق واستعداد الشيطان والبشر للشر

اعلم ان الحكمة العليا لخلق جميع المخلوقات هي ان يعرف بها الرب الخالق لها بما هو متصف به من صفات الكمال ويعرف ويعبد ، ويشكر ويحمد ، فهي مظهر أسمائه وصفاته ، ومجلى سننه وآياته ، وترجمان حمده وشكره ، (وان من شيء الا يسبح بحمده) لذلك كانت في غاية الاحكام والنظام ، الدالين على العلم والحكمة والمشيئة والاختيار ، (صنع الله الذي أتقن كل شيء * الذي أحسن كل شيء خلقه) كما نطق القرآن . الخير كله بيديه ، والشر ليس اليه ، كما ورد في الحديث. بل ليس في خلقه ماهو شر محض في نفسه ، وانما الشر أمر اعتباري مداره على مايؤلم الاحياء أو تفوت به مصلحة أو منفعة على أحد منهم فيكون شراً له ان لم يترتب على ذلك منفعة أعظم ، أو دفع مفسدة أكبر ، فان الانسان قد يتألم من الدواء الذي يزيل مرضه الذي هو أشد أو أطول إيلاماً منه ، وقد تفوته منفعة صغيرة يكون فوتها سبباً لمنفعة أكبر منها ، كالذي يبذل ماله في المصلحة العامة لملته ووطنه فيكرم فيها ويكون قدوة في الخير وحظه من كرامة الامة وعمران الوطن أعظم ، وفوق ذلك من يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله وهي سبيل الحق والخير وسعادة الدارين ابتغاء مرضاته والزلفى عنده

وقد كان من مقتضى تحقق معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى أن يخلق ماعلمنا ومالم نعلم من أنواع المخلوقات ، وأن تكون المقابلات والنسب بين بعضها مختلفة من توافق وتباين وتضاد ، ويترتب على ذلك في نظام الخلق ، ان الضد يظهر حسنه الضد ، وان تكون مصائب قوم عند قوم فوائد ، وان يسيء بعضهم الى نفسه أو الى غيره ، وان يكون بعضهم مفطوراً على طاعة ربه ، دائباً على عبادته وحمده وشكره ، وان يكون بعضهم مختاراً في عمله ، مستعدا للاضداد في ميله وطبعه ، يتنازعه عاملا الكفر والشكر ، وتشتبه عليه حقيقتا التوحيد والشرك ، و تتجاذبه داعيتا الفجور والبر ، فيكون لشكره وبره ، وطاعته لربه ، من عظم الشأن مع معارضة الموانع ما ليس

فانه غلب على قسمين منه اسمان مميزان لهما لتضادهما. وقد فسرت الجنة (بالكسر) في قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) بالملائكة كما يدل عليه قوله قبل الآية عن كفار قريش (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) الآيات . قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وابو مالك وقتادة ان الجنة في الآية الملائكة وان المراد بالنسب قولهم: الملائكة بنات الله . (ولقد علمت الجنة) أي الملائكة (انهم لمحضرن) في النار مقدمون على عذاب الكفر . اه ملخصا بالمعنى

ونكتفي هنا بهذا ونحيل في زيادة بسطه وايضاحه على ما تكرر في هذا التفسير من بيان حكمة الله في خلق البشر متفاوتي الاستعداد ومختارين في الاعمال [١] وكذا ما بيناه في خلق الجن والشياطين ووسوستهم ودرجة تأثيرها في آيات البقرة وغيرها [٢] وما حققناه في مسألة الخير والشر

ومن المباحث اللفظيـة في القصة انه اذا قوبل ماهنا بما في سورة الحجر يرى خلاف في الفصل والوصل في مقول القول من بعض الاسئلة والاجوبة مع الاتفاق على الفصل في بدء كل منها (بقال) على الاستئناف كما تقدم . فههنا عطف أمر الرب سبحانه لابليس بالهبوط وأمره الاول بالخروج بالفاء وكذا قول إبليس « فبما أغويتني » على انه مرتب على ماقبـله متفرع عنه كما أشرنا اليه في مواضعه . وفصل طلب إبليس للانظار وجواب الرب له وأمره الثاني له بالخروج. وأما في سورة الحجر فقد وصل كل من طلب الانظار وجوابه بالفاء وكذا في سورة ص وفصل تعليل إغوائه للناس باغواء الرب له اذ قال « رب بما أغويتني » نخالف ذلك مافي سورة الاعراف ولكن اتفقت السورتان في عطف الامر بالخروج بالفاء

فههنا يقال اننا علمنا من سنة القرآن في قصصه المكررة انها لما كانت منزلة لاجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقـلوب اختلفت أساليبها بين إيجاز واطناب، وذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في البعض الآخر حتى لاتمل للفظها ولا لمعانيها ، وعلمنا ان الاقوال المحكية فيها انما هي معبرة

(١) راجع قصة آدم في تفسير أوائل البقرة و كلمة إنسان والبشر وكلمة حكمة في فهارس التفسير ومنها ص ٣٤٠ ج ٦ و٣١٦ و٣٨٢ ج ٧ (٢) راجع كلمة الشيطان فيها ولاسيما ص ٤٢٦ ج٥ و٤١٣ و٥٠٨ — ٥١٦ و٦٢٤ ج ٧

شيء منه بباطل ولا بشر محض (١٥ : ٧٥ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ٣٨ : ٢٦ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا . ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا النار)

واذا كان من حكمته تعالى فيما ذكر من معصيتي أبوي الانس والجن ظهور استعدادهما، وإظهار حكمه تعالى في الجزاء على الذنوب في حالي التوبة منها والاصرار عليها، والعبرة والموعظة، وحسن الاسوة، وسوء القدوة، والابتلاء والجهاد وغيره مما بينا — واذا كانت معصية الاول بسبب وسوسة الآخر — فلا خفاء في استمرار ذلك في ذريتهما، لانه من مقتضى فطرة نوعيهما، التي هي مظهر أسماء الله وصفاته فيهما، فجنس الجن أو الجنة الغيبي الروحاني نوعان أو صنفان صنف ملكي يلابس أرواح البشر الميالة الى الحق والخير فتقوى داعيتهما فيها، وصنف شيطاني يلابس أرواح البشر الميالة الى الباطل والشر فتقوى داعيتهما فيها، كما بينه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « إن للشيطان لمَّة » بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك، ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان » ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) الآية - رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والبيهقي في الشعب ورواة التفسير المأثور من حديث ابن مسعود - ومثل اتصال نوعي الجنة الروحية بروح الانسان كل بما يناسب طبعه - كمثل اتصال نوعي الجنة المادية بجسده وتأثيرها فيه بحسب استعداده، وهي ما يسميه الاطباء بالميكروبات وسماها بعض الادباء النقاعيات، فان منها جنة الامراض والاوبئة التي تؤثر في الجسم القابل لها بضعفه والميكروبات التي تقوى بها الصحة كما بيناه من قبل .

قال الراغب في مفرداته : والجن يقال على وجهين (احدهما) للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازاء الانس فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة، وعلى هذا قال ابو صالح الملائكة كلها جن وقيل بل الجن بعض الروحانيين، وذلك ان الروحانيين ثلاثة : اخيار وهم الملائكة، واشرار وهم الشياطين واوساط فيهم اخيار واشرار وهم الجن . ويدل على ذلك قوله تعالى (قل اوحي الي) الى قوله عز وجل (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) والجنة جماعة الجن اه وأقول ان هذا لا يخالف ما ذكر قبله من وحدة الجنس

فتاوى المنار

﴿ تتمة كلام الغزالي في مسألة الحلال والحرام ﴾

من جواب الفتوى ٢٣ و٢٤

وأما المستند الثالث وهو أخيلها (١) أن يقال الاموال انما تحصل من
المعادن والنبات . والحيوان والنبات والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة
مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قريباً من خمسمائة ولا يخلو هذا أن يتطرق الى أصل من تلك الاصول غصب
أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن يسلم أصولها عن تصرّف باطل الى زماننا هذا
وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا الى أول
الشرع ، ولا يكون هذا حلالا مالم يكن أصله وأصل أصله كذلك الى أول زمان
النبوّة حلالا . وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الاموال
وأكثر مايستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج الا من دار الضرب وهي في
أيدي الظلمة بل المعادن في أيدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء
استخراجها بالاعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا (٢) فاذا نظر الى هذا علم أن بقاء
دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل (٣) ولا وقت الضرب في
دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى
اذا حلال الا الصيد والحشيش في الصحارى الموات والمفاوز والحطب المباح ثم من
يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر الى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل
الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخييلا
(والجواب) ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن

---

(١) قال شارح الاحياء أي أكثرها خيالا في النفوس (٢) زاد الشارح: ويقاصصون
في الاجر . وهذا مبني على إن هذه المعادن مباحة للناس وان مستخرجيها يملكونها
ولهم حرية التصرف في بيعها فأخذ الحكام اياها منهم والزامهم قبول ما يأخذونه
من الاجور وان قلت ظلم مخالف للشرع كما سيأتي وما أقرب هذا الى الاشتراكية
(٣) المراد بالنيل الحيازة له باخراجه من معدنه

عن المعاني وشارحة للحقائق وليست نقلا لالفاظ المحكي عنهم بأعيانها فان بعض أولئك المحكي عنهم أعاجم ولم تكن لغة العربي منهم كلغة القرآن في فصاحتها وبلاغتها — دع ماقيل فيه هنا من ان القصة مبينة لحقائق ثابتة في نفسها بأسلوب التمثيل وما ثم أقوال قيلت بالعربية ولا غيرها — علمنا هذا وذاك . ولكن الذي نجزم به أنه لايمكن ان يكون في كتاب الله اختلاف في المعاني وإن لم يكن تناقضا، وان اختلاف الاساليب وطرق التعبير فيه عن المعنى الواحد لاتختلف الا لنكت تفيد من فهمها فائدة لفظية أو معنوية ، فما فائدة ماذكر من اختلاف الفصل والوصل في سورتي الاعراف والحجر

والجواب ان الوصل بالعطف بالفاء في موضعه أفاد معنى زائدا على ماورد في مثله بالفصل استئنافا ولا يحتاج في زيادة الفائدة الى نكتة غيرها، على انك اذا تأملت السياق في كل من الموضعين وجدت ان طلب ابليس الانظار في سورة الحجر قد ذكر بعد أمره بالخروج معطوفا بالفاء لترتبه على ما قبله ووصفه بأنه رجيم مقرونا بفاء السببية ولعنه الى يوم الدين — فلا غرو اذا جعل طلبه للانظار فيها متصلا بما قبله متفرعا عنه كأنه يقول يارب إذ طردتني من رحمتك فأطل حياتي في هذه الدنيا الى يوم البعث إتماماً لحكمتك ، فأجابه تعالى جوابا معطوفا على طلبه الى ما تتم به الحكمة لاالى ماتتحقق به أمنيته في النجاة من الموت ، ولعل من حكم إنظار إبليس أن يتمتع في الدنيا جزاء على ما كان من عبادته لله تعالى لانه لاحظ له في الآخرة ويحتمل أن يكون قد قصد هذا من طلبه الانظار

وأما نكتة حذف الفاء من قوله في سورة الحجر « رب بما أغويتني » مع اثباتها في سورة الاعراف لارتباطها بما قبلها فهي كما قال الخطيب الاسكافي ان الدعاء في الصدر يستأنف بعده الكلام والقصة غير مقتضية لما قبلها كما اقتضاها قوله رب فانظرني . والفاء توجب اتصال مابعدها بما قبلها والنداء أولا يوجب القطع واستئناف الكلام ولا سيما في قصة لايقتضيها ماقبلها فلم تحسن الفاء مع قوله « رب بما أغويتني . » والموضعان الآخران لم يدخل فيهما نداء يوجب استئناف مابعده فلذلك وصل القسم فيهما بالاول بدخول الفاء اهـ

الحمامات ويتوضؤن من الحياض وفيها المياه القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض. ومهما ثبت جواز التوضيء من جرّة نصرانيـة ثبت جواز حكم شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة

فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه (قلنا) ان أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن نعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح . وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك مالا بأس به مخافة ما به بأس لان أمر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفـة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه وقد حكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي أجمعنا فيه على أنا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين

ولا نسلم ما ذكروه من أن الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في اصوله حرام. بل الاموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم الى أصول بعضها دون بعض وكما أن الذي يبتدأ غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول في كل زمان بالفساد بالاضافة الى غيره أقل ولسنا ندري أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريمه فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب ان الحبوب المغصوبة تغصب للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام أكثر ولم تزل اصول الحلال أكثر من أصول الحرام . وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم. واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام ؟

النمط الذي نحن فيه والتحق بما عددناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرّفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القوابين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع اذا لم يجد نجاسة فان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من أواني المشركين جائز وان الصلاة في المقابر المنبوشة جائزة[1] فنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة وتوضؤ عمر رضي الله عنه من جرّة نصرانية مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم؟ بل نقول نعلم قطعا أنهم كانو يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال أو نادر بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع أنه يداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقل ما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات ، بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الامطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها ، وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليهما ويستنزهون منه، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها، ولا ينبغي أن نظن أن الاعصار أو الامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم أو كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين ، فأما الظن الغالب الذي يستبان من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه. وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى ان الماء القليل ينجس من غير تغير واقع اذ لم يزل الصحابة يدخلون

(١) أي صحيحة لا مباحة

هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة

أحدها — أن يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم

الثاني — أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها أياما الى الموت

الثالث — أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة

الرابع — أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة

الخامس — أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة

أما الاول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فباطل قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين

وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيف ما اتفق فهو رفع لحكم الشرع وفتح لباب سده الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد، فتمتد الأيدي بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا أيضاً محتاجون وان كان الذي أخذته في حقي زائداً على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه، واذا لم نراع حاجة اليوم والسنة فما الذي نراعي؟ وكيف يضبط؟ وهذا يؤدي الى بطلان سياسة الشرع واغراء أهل الفساد بالفساد.

فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده ويقال هو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه، والتراضي هو طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي فللتراضي أيضاً منهاج في الشرع تتعلق به المصالح فان لم يعتبر فلم يتعين أصل التراضي وتعطل تفصيله

هذا في المتولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فانها مخلاة مسبلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الاقل لامحالة لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة. والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها فالمستأجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقى له واستحق الاجرة فكذا النيل [1] فاذا فرعنا على هذا لم تحرم عين الذهب الا أن يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة . ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء لاجرة في ذمته

وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسلموه اليهم الا شيئاً قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان فهو بالاضافة الى مال التجار أقل لامحالة . نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبته لانه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة الى مايخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة مايخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشير فيكون هو الاكثر

فهذه أغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال ، وذلك عين البدعة والضلال ، فان قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة (فنقول) الذي نراه ان تركه ورع وان أخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها بل أزيد وأقول لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق في الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده، فمهما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه انه اذا وقعت

(١) أي استخراج المعدن وحيازته

الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة(١) والاموال كانت في أيدي المكذبين له والمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما المصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق بنبوته كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب ، فكانت الاموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الايدي بالاموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه ثمن خمر أو مال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم .

فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق ، وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق لا يقدر على سلوكه الا الآحاد ، ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم ، فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ، ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك أيضا ، فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك للملوك ، وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين

(١) هذه المسألة خلافية بين الفقهاء والمشهور أن الشافعية ومنهم الغزالي يثبتونها والحنفية ينفونها . والتحقيق أنهم مخاطبون بطلب العبادات بالتبع للايمان فمن لم يؤمن لا يطالب بالعبادات ولا تصح منه اذا فعلها ولكن صرح بعضهم بأنه اذا صلى يصير مسلما بالصلاة . . . وهو في الآخرة يعذب على ترك الايمان وترك الاعمال التي تفرض على المؤمن بنص القرآن . وكلام الغزالي هنا صريح في أنهم مخاطبون بأحكام المعاملات بالفعل لان الايمان ليس شرطا فيها ، وصرح فخر الاسلام الحنفي في آخر أصوله بأن الكفر أهل لاحكام لا يراد بها وجه الله لانه أهل لأدائها فكان أهلا للوجوب له وعليه . وهذا هو الحق الذي لا معدل عنه والا كانت الحقوق والمعاملات بين المسلمين وأهل الذمة ومن في حكمهم معطلة في دار الاسلام

وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الايدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريقة الآخرة، ولكن لا وجه لايجابه على الكافة، ولا دخاله في فتوى العامة ، لان أيدي الظلم تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق، وكل من غلب سلب، وكل من وجد فرصة سرق، ويقول لا حق له الا في قدر الحاجة، وأنا محتاج . ولا يبقى الا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الاموال يوماً فيوماً أوسنة فسنة وفيه تكاليف شطط وتضييع أموال

أما تكاليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصوّر ذلك أصلا ، وأما التضييع فهو أن مافضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فان الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم؟ ثم يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس اذا أصبح الناس لا يملكون الا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح .

بل أقول لو وردنبيّ في هذا الزمان — ضربا المثل — لوجب عليه أن يستأنف الامر ويمهد تفصيل أسباب الاملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق. وأعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم اذ لا يتم الصلاح برد الكافة الى قدر الضرورة والحاجة اليه فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا، ونحن نجوز أن يقدّر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم، فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء، ولكننا نقدّر الامر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الانبياء اصلاح الدين والدنيا

ومالي أقدّر هذا وقد كان ما أقدره؟ فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون الى مكذبين له من اليهود وعبدة الاوثان والى مصدقين له قد شاع

[illegible]
الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ، ولا شك في أن رد كافة الناس الى قدر الضرورة أو الحاجة أو الى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا ، فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد على الخيالات المظنونة المعلقة بآحاد الاشخاص

(البرهان الثاني) أن يعلل بقياس محرر مردود الى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالاقيسة الجزئية عليه وان كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الامر الكليّ الذي هو ضرورة النبيّ لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم . والقياس المحرر الجزئيّ هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرّة النصرانية وأواني المشركين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة . وقولنا انقطعت العلامات المعينة احتراز عن الاواني التي يتطرق الاجتهاد اليها ، وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والاجنبية

(فان قيل) كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم أن الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم (فنقول) الاموال التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعدّ لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدّا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الامرين

والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب أقوى منه ، بدليل أن الشرع ألحقه به اذ من ادعي عليه دين فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعي عليه ملك في يده فالقول ايضاً قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة

لذوي الدين وهو ملاك الآخرة ، ولولاه لما سلم لذوي الدين أيضاً دينهم ، فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الاكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الازلية واليه الاشارة بقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)

(فان قيل) لاحاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الاقل أو الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه من انه الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لابد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلابد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة (١)

(فأقول) ان سلم أن الحرام هو الاقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول أيضاً فبرهانه ثلاثة أمور

(الاول) التقسيم الذي حصرناه وأبطلنا منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا أجري فيما اذا كان الكل حراما كان أحرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر أو الاقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما تخيله من

(١) قد سبق للمنار ذكر المصالح المرسلة والمصالح مطلقا في عدة مجلدات منه ، منها جعل الطوفي الحنبلي المصلحة من أدلة الشرع بل مقدمة في المعاملات على النص (ص ٧٤٥-٧٧٠ م ٩) ومنها تحقيق صاحب الاعتصام المالكي لمعنى المصالح المرسلة التي هي مذهب مالك (ص ٨٣٣ — ٨٥٢ و ٩١٩ م ١٧) ومنها ما حققناه في تفسير (لا تسألوا عن أشياء ..) من سورة المائدة (ص ١٩١ ج ٧ تفسير و ص ٤٨١ م ١٨ منار)

والذي حققه الغزالي في الاصول واشار اليه هنا هو أن المصلحة تعتبر في حجج الشرع وأصوله اذا كانت ضرورية قطعية كلية . فالضرورية أن تكون احدى الكليات الخمس التي عليها مدار الشرع وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسب (أي النسل الشرعي ويدخل فيه تحريم الزنا واللواط) والقطعية هي الجزم بحصول المصلحة فيها دون ما كانت مظنونة — والكلية ما كانت فائدتها عامة للامة لا لشخص معين

﴿ اسلام الاعاجم عامة والترك خاصة ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء (في كندا)

ياصاحب الفضيلة : لي الشرف اني أعرض على مسامعكم، ونأخذ لنا قاعدة من فضيلتكم، وأنتم أهل لها لكي يستقيم الحق، ويزهق الباطل، وتنشرح الصدور ولكم الاجر والثواب ، رفعكم العزيز الوهاب

ياصاحب الفضيلة : سؤالي لمقامكم العالي عن الاتراك والاعاجم : ماهم ؟ هل هم اسلام كما يزعمون ؟ وهل هم صادقون سراً وجهراً ؟ أم هم كما يزعم البعض في هذه الايام ان الاتراك خصوصاً غير اسلام — لاسمح الله بذلك ؟ وهذا خلاف مانعهد بهم وكيف نسمع في هذه الايام عنهم مثل هذا من رجال كنا نعدهم قواماً للامة ومنهم الفاضل . . . قال في كتاب مخصوص لي بهذا الامر : ان القوم هم أعداء الاسلام وأنه يجب أن لا يهتم بهم ولا مصطفى باشا وقوله عنه : هذا التتاري . وانهم أي الاتراك هم سبب انحطاط الاسلام الى هذه الحالة وأن السلطان الفاتح عقد محالفة مع فرديناند على قتل عرب الاندلس وانه ربط البحور وسد المنافذ بوجه من ينجدهم من اخوانهم حتى قتلوا جميعاً الخ : وقوله عن السلطان عبد المجيد ومحمود أطلقوا يد الاباحة فيما يخالف الدين بدل أن يمنعوا وتغييرهم الزي الى الافرنجي الذي يعيق المسلم عن الوضوء من ضيق اللباس — الله أكبر لذلك — وقوله عن السلطان سليم السلطان الاحمر الاول واغتيابه للخلافة من العباسي الفاطمي بمصر و بقره بطون الامهات لقتل الجنين لاجل أن لايعود يطالبه بالخلافة الوهمية نعوذبالله من هذه الفعال التي كانت عنا بطي الغيب ان كانت صدقا. وكيف يدعوه المسلمون أمير المؤمنين وخليفة الله في أرضه ؟

ويزعم في الطورانيين ان باكورة أعمالهم قتل العرب وتبديل القرآن وانهم نزلوا في الحرب لاجل هذا ويحلف اليمين على ذلك ، وان علماء الاسلام يعرفون هذا كله كما يعرفون دينهم الشريف وسكتوا عن المرض حتى وصلنا لما نحن عليه ومثل هذا كثير من أعمالهم. وحيث اني على غير علم بشيء من هذا كله قبل الآن أتيت لكي

(البرهان الثالث) هو ان كل مادل على جنس لايحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وان كان قطعافبأن لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى . وبيانه ان ماعلم أنه ملك زيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير اذنه، ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة، ولو دل على أن له مالكا محصوراً في عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة، فالذي يشك في أن له مالكا سوى صاحب اليد أم لا، لايزيد على الذي يتيقن قطعا أن له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ماذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهداً له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم، فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه، فلو سرقه منه سارق قطع يده، فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير ؟ ليس ذلك الالحكمنا بأن المصلحة تقتضي أن ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة ؟

(فان قيل) ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان (فنقول) والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه ؟ لا سبب له الا المصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه الى مهم، والصرف الى مهم أصلح من التضييع فرجح عليه، والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الايدي، اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه . وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى ان المصلحة أن يبني بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف مادارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذين في أعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في ملك الاعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه، ولافرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى . فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المائعات والدراهم والعروض في يد مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من المظالم اه

فيما رأوه خطأ أو صوابا معززا لملكهم فقد سبقهم العرب الى مثل ذلك في حصار الامويين لمكة وهدمهم للكعبة المشرفة، واستباحتهم للمدينة المنورة، وفي ظلمهم وظلم العباسيين من بعدهم لآل بيت الرسول (ص) وسفك دماء الكثير منهم ومن غيرهم بالشبهة وتهم السياسة.

وأما البدع في الدين والفسق عنه فقد فشيا في جميع الشعوب الاسلامية في القديم والحديث حتى صار المتشدد في تركها وانكارها على أصحابها يرمى بالابتداع كما يفعل أهل مكة وأهل الشام وغيرهم إذ يسمون أهل نجد مبتدعة ويسمون أنفسهم سنية

ثم اعلم أيها السائل الخاص أن سبب طعن بعض العرب في الترك في هذه السنين الاخيرة هو السياسة، وأن الذي أثار هذه الفتنة جمعية الاتحاد والترقي التي فتنت بالعصبية الجنسية الطورانية أشد فتنة، ولاشك عندي في أن بعض زعمائها من الملاحدة، ولا في أنهم حاربوا الاسلام وأرادوا إضعاف سلطانه الروحي، تمهيداً لازالة سلطانه السياسي، ولا في أنهم هم الذين نشروا تلك الكتب الكثيرة المشتملة على الطعن فيه، وصد الترك عنه، وان في متفرنجي الترك كثيرا من المرتدين الذين راجت هذه الدعوة فيهم، وقد بينا هذا من قبل لانكار المنكر والامر بالمعروف والتحذير من عواقب هذه الفتنة، لئلا تكون هي القاضية على الدولة، التي هي على ضعفها أقوى سياج لهذه الملة (الاسلامية)، وقد وقع ما توقعناه من شرها، وحذرنا الترك منه مشافهة لكبرائهم في الآستانة وكتابة في جرائدها وفي المنار. ولولا هذه الفتنة التي اصطلى بنارها ألوف من شبان العرب وكهولهم في الآستانة ثم في غيرها، وما كان من فظائع جمال باشا في سورية بسببها لماوقعت الثورة الحجازية، وكانت أحد أسباب ما وقع من المصائب على الامة الاسلامية، التي كان ضررها على العرب أشد من ضررها على الترك

ثم أخبرك مع هذا بأن في شبان العرب الذين ناهضوا الترك وعادوهم ملاحدة كمن ذكرنا من الترك لانهم تعلموا وتربوا في مدارس واحدة، ولما نصحنا لمن جاء منهم الى الحجاز في أثناء الثورة بأن يحترموا بيت الله ولا يظهروا شيئا من

أستنير من مناركم الشريف لكي يهدأ روعي من وخز الضمير لهذه الاخبار عسى أن تلبوا تلميذكم من كرمكم الذي وهبكم إياه رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد النبي الكريم وآله وصحبه الطاهرين

نرجوكم أن تفتونا عن سؤالنا إما خصوصيا ، وإما بنشرها بالمنار لكي يكون واضحا ونكسب ايمانا بأ عمانكم ان شاء الله وتكونوا قدمتم خدمة يرضى بها عنكم الله ورسوله والمؤمنون مع الثواب، و بأفتا كم نحصل على الحكمة وفصل الخطاب

حسين عبد الرحمن دسوقي

(المنار) — اعلم أيها المسلم المخلص الغيور ان اسلام شعوب الاعاجم من الترك والفرس والافغان والتتار والهند والصين والملاو وغيرهم كاسلام الشعب العربي ، وان العرب في هذا العصر لا يستطيعون أن يفضلوا أنفسهم على الترك ولا على غيرهم من العجم في علم من علوم الاسلام ولا عمل يعتز به المسلمون بل يعتقد أكثر المسلمين من العرب والعجم ان الامر بالعكس حتى انني سمعت أحد امراء الفرس وفي أوربة يقول : لولا مصطفى كمال باشا لكان كل مسلم في الارض ذليلا . ولكن العرب يفضلون جميع الاعاجم بما يعترف لهم به كل مسلم منهم وهو كون خاتم رسل الله (ص) والسواد الاعظم من أصحابه (رض) من صميم العرب وهم الذين أقاموا دين الله كما أنزله وهدى الله بهم و بتابعيهم وتابعي تابعيهم من هدى من الاعاجم الذين شاركوا العرب بعد ذلك في تدوين علوم الاسلام وفنون لغته ، ثم في اقامة ملكه واعلاء كلمته ،

واما فتنة التنازع على الملك والخلافة وما تبعها من سفك الدماء فقد كان العرب هم الذين أوقدوا نارها أولا ، وزلوا بالامامة الكبرى عن صراطها الذي وضعها فيه كتاب الله تعالى وهدي رسوله (ص) وهو اختيار أهل الحل والعقد لمن يرون فيه الكفاءة والكفاية بالعلم والعمل من زعماء قريش ، وجعلوها ملكا عضوضا مداره على قوة العصبية ، ثم أهملوا وقصروا في إحكام قوة العصبية واتكل بعض الخلفاء من العباسيين على عصبية الفرس ، ثم تحولوا عنهم الى عصبية الترك حتى آل أمرهم الى اضاعة الخلافة والملك ، فاذا كان لبعض سلاطين الترك سيئات

يعوق عنها ما أحدث بعد ذلك من السراويلات الحازقة (الضاغطة) كالتي يلبسها ضباط الشرطة (البوليس) بمصر ، وقد فصلنا القول في اللباس والتشبه من قبل
وأما ادعاء ان السلطان محمود والسلطان عبد المجيد أباحا مخالفة الدين فلا ندري من أين جاء بها ذلك الذي كتبها اليكم وكان ينبغي لكم أن تسألوه عن حجته عليها فالمشهور عنهما خلاف ذلك حتى ان الترك يضربون المثل بشدة تدين عبد المجيد بكل ما يفهم به الدين جماهير المسلمين من الترك والعرب. على ان هذا الوقت لا يفيدنا فيه ان نبعثر القبور، ونحصل ما في الصدور، ولا لاجل تمحيص التاريخ في هذا الموضوع، فكيف اذا كان الغرض من البحث اثارة العداوة بين أكبر شعوب المسلمين وهو أقرب الطرق لاستذلال الاجنبي لهما جميعا . فهذا ما نراه من الجواب موافقا لمقتضى الحال والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح الحق على الهوى

مدنية القوانين

﴿ أو سعي المتفرنجين ، الى نبذ بقية الشريعة الاسلامية ﴾

(١)

(مقدمة تمهيدية)

قررت الدولة البريطانية إلغاء الحماية التي كانت ضربتها على مصر واعترفت لها بأنها دولة دستورية ذات سيادة ، واعترف لها بذلك الدول الكبرى وغيرها . وألفت الحكومة المصرية لجنة لوضع قانون أساسي للدولة المصرية . وكان مما وضعته هذه اللجنة من مواد الدستور الاساسية ان دين الدولة المصرية الرسمي هو دين الاسلام وانه يشترط في ملكها أن يكون مسلما ثابت النسب في بيت الملك العلوي بزواج شرعي، فساءت هذه المواد بعض ملاحدة المتفرنجين المقلدين لاعداء الاديان من الافرنج في الدعوة الى التفصي من روابط الدين ولاسيما السياسية والاجتماعية منها، وهي التي يبدؤن بها لعلمهم بأن الروابط الروحية لا سبيل الى ابطالها ومحوها من الامة ولكنها تضعف ويتركها أهلها بالتدريج اذا لم يكن لهم ولا

إلحادهم فيه غضب عليا ملك الحجاز ومنع المنار من الحجاز كما بينا ذلك من قبل ،

ثم اخبرك أن الاتحاديين قد عرفوا بعد الانكسار في الحرب العامة خطأهم واعترف لي من لقيت في أوربة منهم بذلك ، وهم يجتهدون الآن في إحياء الجامعة الاسلامية لا يختلف في ذلك المتدين منهم بالفعل مع غيره حتى ان جمال باشا وهو أشدهم اجراما وعصبية طورانية قدخدم الدولة الافغانية الاسلامية الفتاة أجل خدمة . كما أخبرك أن جمهور الترك كانوا قد سخطوا عليهم في أثناء الحرب وأظهروا الطعن فيهم وعزموا على الثورة عليهم والتنكيل بهم . وأكد لي بعض المؤمنين منهم في أوربة أن الدولة لو انتصرت لقامت فيها ثورة داخلية بسبب حنق السواد الاعظم من الترك عليهم

وجملة القول إن الترك كالعرب السواد الاعظم منهما مسلمون مقلدون ، وفي كل منهما علماء مستقلون ومتمذهبون، وفي كل منهما ملاحدة ومبتدعون، وصالحون وفاسقون، وأن الترك خير من العرب استمساكا بما يجب من المحافظة على الاستقلال والسلطان القومي والعمل للجامعة الاسلامية . وأنه لا فائدة لاحد من الفريقين في الطعن بالآخر والبحث عن عيوبه القديمة والجديدة الآن بل ذلك ضار بهما ومفيد لاعدائهما، فلاحاجة اذا الى البحث فيما كان من تقصير السلطان محمد الفاتح في إغاثة مسلمي الاندلس والدفاع عنهم أو مساعدته على القضاء عليهم ، ولا في قسوة حجاج الترك السلطان سليم واسرافه في سفك الدماء على انه أعز دولة الاسلام وأذل أعداءها فكان خيرا من حجاجنا — وأما الطعن في دين السلطان محمود بتغييره للزي العثماني الرسمي واستبداله الزي الافرنجي به فهو ظلم مبين ، فان الزي العثماني السابق لم يكن زيا دينيا والدين لم يأمر بالتزام زي خاص ، وما صح من نهينا عن التشبه بغيرنا يراد به ان الاسلام قد جعلنا أئمة متبوعين لا تابعين لغيرنا ولو في المباح كالزي . ولكن التشبه لا يتحقق الا بالقصد والمحاكاة التي يشتبه فيها المتشبه بالمتشبه به فيما فيه التشبه ولا يسهل تطبيق ذلك على عمل السلطان محمود الذي أدخل به الاصلاح العسكري الجديد في الدولة فأنقذها من فوضى الانكشارية التي كادت تقضي عليها . ولم يكن الزي الذي اختاره عائقا عن الصلاة وانما

مسألة التزوج بالكتابية وعدم تزويج الكتابي

إن أهون مافي مطالبة الحكومة المصرية بجعل قانون الاحوال الشخصية مدنيا لادينيا ذلك الاستدلال الضعيف على الحاجة الى ذلك بدعوى عدم عدل الشريعة في مسألة أو مسألتين من النكاح فلو لم تعرف حكمة للشريعة في الفرق بين المسألتين تقتضي عدم تساوي الحكم فيهما لما جاز للعاقل أن يعترض عليها و يعدها غير عادلة ولا مساوية بين المسلم وغيره لان المساواة انما تطلب في الاحكام المفروضة على متبعي الشريعة والمتقاضين الى حكامها ، وهذه المسألة خاصة بما يباح المسلم وما يحرم عليه في النكاح ديناء وغير المسلم لايخاطب بالعمل بفروع الشريعة فيما يباح له ويحظر عليه مما هو خاص به ، لتساوي بينه و بين المسلم فيه ، وهي لا توجب على المسلم أن يتزوج كتابية ولا تلزم الكتابي ان يزوجه ابنته اذا طلبها ، ففي استطاعة الكتابي أن يكون مساويا للمسلم اذا رأى ذلك خيراً له ، بأن لا يزوجه

على ان النص القطعي في القرآن انما ورد بالنهي عن نكاح المشركات وانكاح المشركين و بحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم إنكاحهم ولكن ذهب بعض الفقهاء ان المشركين والمشركات في آية البقرة يشمل أهل الكتاب ثم جاءت آية المائدة بحل نكاح الكتابيات فكانت ناسخة أو مخصصة لآية البقرة والشيعة يحرمون نكاح الكتابية ، والتحقيق أن المراد بالمشركين والمشركات في الآية خاص بالعرب منهم كما روي عن قتادة وغيره واختاره ابن جرير — وان أهل الكتاب وان أسند اليهم الشرك فعنوان المشركين عند اطلاقه لا يعمهم . ومن الفقهاء من يقول ان العمدة في تحريم إنكاح غير المسلمين ان الاصل في النكاح التحريم حتى يرد النص ولم يرد الا بالمؤمنة والكتابية . ويمكن النزاع في هذا الاصل وان يقال ان الاصل في جميع عقود الناس الصحة والحل حتى يرد شرع بخلاف ذلك وان يستدل على ذلك باقرار من يدخل في الاسلام على نكاحه قبله و باقرار أهل الذمة على أنكحتهم والحكم بمقتضى ذلك عند تحاكمهم الينا و بقوله تعالى بعد بيان محرمات النكاح من سورة النساء . (وأحل لكم ماوراء ذلكم) . وغرضنا من هذا انه لو لم يكن لدينا من الدلائل والحكم ماتؤيد به المسألة المعترض عليها

لها شأن في الحكومة ولا في الروابط الاجتماعية العامة

قام كاتب منهم في هذه الايام يقترح من الاصلاح لمصر في عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها فتجعل كلها مدنية بوضع قانون مدني للاحوال الشخصية من زواج وطلاق وغير ذلك . ويعنون بالمدني مايقابل الديني، واحتج هذا المقترح على رأيه بأن الشريعة الاسلامية غير عادلة لانها تبيح المسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية ، ولا تبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة

ساء المسلمين هذا الاقتراح وانه صادر عن كاتب يعد منهم، ورد عليه كثيرون في جريدة الاهرام التي نشر فيها وفي غيرها من الجرائد ، ونزل بعض علماء الازهر هذه المرة في الميدان فكتب أفراد منهم مقالات في الردّ منها اللطيف اللين في القول الذي لم يسوء المردود عليه ومنها الشديد الوطأة الذي ساءه وعدّه ذما وطعنا ، لاتخطئة ونقداً ، وقد تبارت الاقلام في بيان حكمة الشرع الاسلامي في إباحة التزوج بالكتابية دون تزويج الكتابي مسلمة فأجادت ، على ان كل واحد مما اطلعنا عليه منها ترك لغير صاحبه في ذلك مقالا

وقد ذاكرني بعض علماء الدين وطلبة الازهر وغيرهم في ذلك ورغبوا اليّ أن أكتب في الرد ما يرجون ان يكون حزا في المفصل ، وضربا على الاكحل ، وأنا أعلم ان جميع قراء المنار ينتظرون ذلك مني ولا يرون أنهم في حاجة الى الطلب والاقتراح لما تعودوه من تتبع المنار لامثال هذه المطاعن في دين الاسلام الحق وشرعه العدل، والرد عليها بما كانوا يعدونه القول الفصل. ولكنني لم أبادر الى الرد لعلمي بأنه من فروض الكفاية التي تسقط بقيام بعض المسلمين بها ، وكنت أنتظر لارى هل يتناول ما يكتبون جميع ما أرى أنه ينبغي أن يكتب، فأكون في حلّ من ترك الكتابة ، فرأيت كل ما اطلعت عليه ، خلوا من أهم ماأرى وجوب البحث فيه ، ورأى مثل هذا أفضل من كلمني في المسألة من أهل العلم والرأي ولاسيما بعد ان ذكرت له بعضه ، فأعاد عليّ مابدأ من الاقتراح والرغبة ، فوعدته كما وعدت غيره

يعاملوهن بما يرضيهن ، فان أحكام الدين موضوعة لمن يتبعون الدين عن إيمان وإذعان نفسي ، والا فان من الدعاة الى هدم شريعة الاسلام من يسمون بأسماء المسلمين ويشاركونهم في جميع حقوق المسلم على المسلم من ارث ووقف وزواج وغير ذلك

لا نطيل القول في هذه المسألة لما علم القارىء من انها فرعية وثانوية في موضوع البحث ولما سبق لنا من القول فيها في التفسير والفتاوي ولان العلماء الكرام الذين ردوا على مقترح مدنية القوانين أحسنوا فيما كتبوا فيها، بل نكتفي بهذه الكلمة ونطيل بعض الاطالة في الامر الاهم، والبلاء الاعظم، وهو الدعوة الى ترك الشريعة الاسلامية ونبذها وراء الظهور حتى في الاحكام الشخصية، التي تتعلق بما يدين المسلمون ربهم به فيما يحل لهم ويحرم عليهم في أمر النساء والنسل والارث بحيث تكون حكومتهم مكرهة لهم، على ما يعتقدون انه محرم عليهم، وانهم يعاقبون عليه في الآخرة ، وان استحلاله كفر بالله وبكتبه ورسله — وما في ذلك من الضرر على الامة في دنياها التي هي أكبر همّ هؤلاء المتفرنجين

غرض المتفرنجين والافرنج من ابطال الشريعة

هذا الفريق من المتفرنجين ربيب بعض ساسة الافرنج الذين سعوا لتحويل حكومة مصر وغيرها عن أحكام الشريعة الاسلامية في المعاملات المالية والعقوبات وغيرهما واستبدال قوانينهم بها فكان لنجاحهم تأثير عظيم في إضعاف مقوماتنا الملية باعراضنا عن أصول التشريع الذي قامت به مدنيتنا العربية الزاهرة وعن تاريخ هذه المدنية، وعظماء رجال الشرع من أئمة مجتهدين وحكام عادلين، فأصبحت الامة بذلك مهينة في نفسها لانها لا تعرف لها سلفا صالحا تفخر به وتهتدي بهديه في أشرف مقومات الامم المدنية وهو الشرع العادل والحكومات المعمرة، وحل محل احتقارها لنفسها تعظيم الاجانب الطامعين فيها الساعين لتقطيع جميع روابطها ليسهل عليهم استعبادها

وان هؤلاء التلاميذ ليعملون لاساتذتهم ما لا يستطيع أولئك الاساتذة ان يعملوه بأنفسهم ، وهم لا يشعرون أنهم يخدمون الاجانب بل يحسبون انهم يخدمون بلادهم وأمتهم بالصعود الى مستوى أولئك الاجانب في الحضارة، فانهم لا يتهمون كما يتهم الاجنبي لان المسلمين يعدونهم منهم، وقلما يدعو أجنبي دعوة

لكان لنا أن نقول: إن الاعتراض لا يرد على أصل الشرع القطعي بل على مسألة فرعية من مسائله اتفقت فيها المذاهب لسد ذريعة الفساد الذي سنبينه وهو ما علل به النهي عن مناكحة المشركين في النص ، على ما بينهم وبين غيرهم من الفرق ،

بل نقول إن هؤلاء المتفرنجين ولا سيما علماء القانون منهم لو عرفوا جميع ما يتعلق بهذه المسألة من الاحكام والحكم لعدوها مما يفاخر به المسلمون جميع أهل الملل والاديان بحرية الدين ، وترغيبه في مودة غير المسلمين ، فان الاسلام قد جاء لاصلاح ما أفسد البشر من دين الرسل ولتكميله واتمامه ، وقد كانت جميع الامم عند بعثة خاتم الرسل (ص) تحقر النساء وتهضم حقوقهن فجاء الاسلام بالقاعدة العليا التي لا تعلوها ولن تعلوها قاعدة وهي قوله (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) أي درجة الولاية و رياسة الاسرة . وكانت حرية الدين مفقودة عند جميع الملل فجاء بالقاعدة العليا فيها وهي قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) فالشريعة تفرض على المسلم الذي يتزوج امرأة غير مسلمة أن يسمح لها بأداء عبادات دينها في الدار وفي المعبد كما تشاء ، ولا تخشى أن تسمع منه تكذيبا لاصل كتابها ولا للرسل الذين تؤمن بهم وتحبهم ، لانه يؤمن بذلك فهو اذا تزوجها واقام أحكام الشريعة وحكمها فيها يكون ذلك الزواج من أكبر أسباب التآلف والمودة بين الزوجين لان روح الزواج وسره الادبي هو ما بينه تعالى بقوله (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقد يسري التآلف من الزوجين الى عشائرهما والى أقوامهما

ولو تزوج غير المسلم بالمسلمة – وهو لا يدين الله كالمسلم بحرية الدين التي توجب عليه أن يسمح لها بأداء واجبات دينها واقامة شعائره ، ولا يدين الله كالمسلم بمساواة النساء للرجال بالمعروف فيما عدا تلك الدرجة فقط ، ولا يؤمن أن يفتنها و ينطق امامها بتكذيب كتابها ورسولها ، لكان ذلك ظلما لها في دينها ودنياها ، وسببا للضغائن والعداوة بين العشيرتين ، واذا تعدد يكون سببا لانتشار العداوة في أهل الملتين

ولا يعترض على هذا باختلاف أحوال الامم وكون الكثيرين من مسلمي زماننا يظلمون النساء في دينهن ودنياهن وكثير من غيرهم لا يظلمنهن ظلمهم بل

الرحلة الاوربية

(٤)

احمد عزت باشا العابد

لما وصلنا الى جنيف كان قد جاءها من باريس احمد عزت باشا العابد من كبار وجهاء وأغنياء سورية والذي كان الكاتب الثاني عند السلطان عبد الحميد . فاجتمعنا به زائرين ودعوناه الى حضور المؤتمر فاعتذر بأنه مضطر الى السفر الى باريس لاعمال مالية يضره تأخيرها وقال انه يشرح لنا رأيه فيما ينبغي أن نطلبه من تخفيف وطأة الوصاية على سورية وهو ما كان طلبه بنفسه من وزراء فرنسة . فرددت عليه بأننا نحن طلاب استقلال مطلق من قيود الوصاية لا طلاب وصاية خفيفة ، وا كبر عار على السوريين أن يقبلوا الوصاية أو يسكتوا عن رفضها ويقعدوا عن السعي لدرء نائبتها ،

ثم قلت له سرا إنني أعلم أنك تخاف الفرنسيس أن يضروك اذا اتحدت معنا وانتظمت في مؤتمرنا ويمكنك أن تتلافى هذا الضرر بأن تمن عليهم بأنك حاولت أن تخدمهم بالتوسط بيننا وبينهم وجعل دخول المؤتمر وسيلة الى ذلك ، ويمكنك أن تذكر ذلك لمن تلقاه منهم في باريس حتى الرئيس موسيو بريان فلعلهم يأذنون لك بالعودة الى هنا ومساعدتنا على هذه الخدمة الوطنية وأنت بمأمن من الضرر والاعتداء على أملاكك في الشام

قال : وفي الباطن اكون مع من ؟ قلت أنت بالطبع منا ومعنا في خدمة وطنك وكل يسلك طريقا والغاية واحدة . فأعجبه هذا الرأي فيما ظهر لي من وجهه وقوله اذ قال إنه يجتهد أن يعود من باريس اذا تمكن من اتمام عمله قبل انفضاض المؤتمر

كان هذا الحديث في يوم السبت (٢٠ أغسطس) وفي اليوم التالي زارنا قبل ذهابه الى المحطة للسفر الى باريس فأعدت الحديث معه في وجوب مساعدة المؤتمر بنفسه وماله ، وأتيته بدلائل وآيات ، دينيات وعقليات وأدبيات ، حتى حلف لي بالطلاق بأنه سيجتهد في العودة الينا ، وان أدري أيجتهد في اقناع الحكومة الفرنسية وارضائها بذلك أم في غير ذلك . وأما المساعدة المالية فقال انه مستعد لها ولكن مثل هذا العمل يجب أن يشترك فيه جميع أغنياء

صريحة في بلاد اسلامية الى ترك أحكام الشريعة ، بل هم يسيرون في حل الرابطة الاسلامية في شعوب المسلمين من طريقين (أحدهما) تعليم المدارس الخاصة بهم كمدارس دعاة النصرانية (المبشرين) في بلاد الاسلام ومدارس بلادهم التي يرحل اليها الطلاب المسلمون - ومدارس الحكومة التي يسيطرون عليها ، ولهم في كل نوع منها أسلوب خاص (والطريق الثاني) إقناع المتفرنجين من الامراء والحكام والكتاب بوجوب الفصل بين الدين والحكومة و بأن الشرع المبني على أصول الدين لا يصلح لترقي البشر الدنيوي . و بأن الشرع الاسلامي قد وضع لامة بدوية أو قريبة من البداوة فلا ينطبق على مصالح الناس في هذا العصر ، و بوجوب توحيد قوانين الامة وجعلها موافقة لجميع أهل الاديان في الوطن الواحد ومساوية بينهم

وطالما كشفنا هذه الشبهات في المنار و بينا الحق فيها ، وانه لا يرد على الشريعة الاسلامية شيء منها ، وانها شريعة مدنية عادلة مرنة تنطبق على مصالح البشر في كل زمان ومكان ، وان ذنب إضاعتها على أهلها ولا سيما علماء أصولها وفروعها ، وانهم اذا ظلوا على جمودهم التقليدي فلا بد ان يضيعوا البقية المعمول بها منها ،

ونبدأ كلامنا هنا فيما كان من السعي لهذا الامر من عهد السير سكوت المستشار القضائي الانجليزي المشهور الذي اقترح إلغاء المحاكم الشرعية من مصر الى هذا العهد الذي اقترح فيه بعض المصريين « مدنية القوانين » وقد كان فيما بينهما صيحة منكرة لاحد وكلاء النيابة من المصريين هي شر من هذا الاقتراح ، للتصريح فيها بهدم جميع أصول الاسلام - وعمل هادىء قبله الرأي العام ، ولم ينكره غير المنار ، وهو ما تشتغل به الحكومة بمساعدة العلماء من وضع قانون للاحكام الشخصية مستمد من الكتب الفقهية . ثم نعود الى تلك النظريات فنبين الحق فيها وما يجب على المسلمين ولا سيما علماء الدين من السعي له ومن مقاومة تيار الالحاد بالوسائل التي يرجى نفعها ، والاجتهاد في إقناع الملاحدة بحقية الدين من أقرب طريق الى تربيتهم وأفكارهم ، والا فباقناعهم بأن الشريعة الاسلامية عادلة وأن من أصولها الثابتة دفع المفاسد وحفظ المصالح العامة في كل زمن بحسبه ، وأنها تعين على الحضارة وعزة الامة ولا تعارضها ، و بما في المحافظة عليها من المنافع والمصالح السياسية والاجتماعية والادبية ، و بما في اهمالها من المفاسد المقابلة لهذه المصالح

له خلاصة تصرف الدولتين في سورية وفلسطين وانه من قبيل تصرف المالك في ملكه على أن وجودهما هنالك بحسب القانون الدولي احتلال مؤقت في بلاد الاعداء لاجل حفظ النظام الى ان يتم الصلح بينهما وبين الدولة صاحبة البلاد (ولا حاجة الى ذكر ماقيل هنا لانه مما أودع بعد في النداء الذي وضعه المؤتمر وقدم للعصبة)

ومما سألني عنه موسيو رابار في أثناء الحديث : ارأيت اذا خرج الجيش المحتل من بلادكم وترك امرها اليكم اتقدرون على حفظ الامن فيها والقيام بشؤون الادارة ؟ قلت نعم وأستدل على قولي بالحق الواقع لا بدعاوي تحتمل المناقشة . ذلك بأن الترك قد جلوا عن سورية وتركوها لاهلها قبل وصول الحلفاء اليها ولم يبق فيها احد من ضباطهم ولا من رجال الادارة والقضاء منهم وقد قام الاهالي السوريون بحفظ الامن وسائر اعمال الحكومة عدة ايام الى ان احتلها الجيش العربي المؤلف من السوريين وغيرهم وكانت جل الاعمال الادارية في أيديهم الى ان شاركهم الجيشان البريطاني والفرنسي في احتلال البلاد . و لم يقع في هذين العهدين خلل ولا تعد على احد كما صار يقع كثيرا بعد احتلال الحلفاء. وذلك ان الحكومة كانت في عهد الترك بيد الاهالي ولم يكن فيها الا عدد قليل من موظفيهم يوجد فيها من اهلها من هم مثلهم وارقى منهم كما يوجد في ولاياتهم من موظفينا مثلهم ، فقال ان هذا شيء لم نكن نعرفه ... وبعد انتهاء الحديث شكرنا له عنايته بسماع حديثنا وحسن لقائه لنا وودعنا كما ودعناه ببشاشة الاخلاص ، وكنا كلما تلاقينا بعد ذلك يسلم بعضنا على بعض سلام الاصدقاء .

المؤتمر السوري الفلسطيني

لم نكد نلقي عصا التسيار في جنيف حتى بحثنا عن مكان لائق لنعقد فيه المؤتمر الذي دعونا اليه وجئنا هذا البلد لاجله فاهتدينا الى بهو عظيم في دار كبيرة لبلدية المدينة معدة للاحتفالات والمراقص والمقاصف وغير ذلك من الاجتماعات العامة فطلبناه فأجيب طلبنا ، وبادرنا الى عقد الجلسة الاولى في الموعد الذي ضربناه لعقده في الدعوة العامة اليه (٢٧ أغسطس) ولكن لم نلبث ان تلقينا برقية من تريستة بامضاء (رياض الصلح) ينبيء فيها بأنه سيصل الينا غدا حاملا وثائق التوكيل من بعض الاحزاب السورية لنفسه

البلاد ومن هو أكبر منهم كالملك حسين . قلت نعم ان ذلك واجب على الجميع وعلى الملك حسين وأولاده الذين كانوا من أسباب وقوع البلاء في هذه البلاد ولكن تقصير بعض الناس فيما يجب عليهم لا يكون عذرا لغيرهم ، وعلى كل أحد أن يطالب نفسه بالواجب قبل أن ينظر الى غيره...وما أشبه هذا الكلام، الذي قابله بالتسليم والاستحسان ، ثم سافر الى باريس ومنها الى الآستانة لاجل تعاهد أملاكه فيها ومطالبة الدولة بصرف ما يستحقه من المعاش (التقاعد) على ماهي عليه من الفقر وما منيت به من المصائب والنوائب ومنها فقد البلاد العربية كلها ، على أن معظم ثروته العظيمة من خيرها وفضلها .

زيارة رئيس لجنة الوصايات في جمعية الامم

وفي أصيل يوم الاربعاء (٢٤ أغسطس) زرنا رئيس لجنة الوصايات لجمعية الامم (موسيو رابار) وهو من علماء سويسرة وأغنيائها مستقل الفكر مهذب الاخلاق وكان توفيق أفندي اليازجي أخذ لنا موعدا منه بهذه الزيارة لانه عرفه من قبل، وذهب معنا رفيقانا وهبي أفندي العيسي ويوسف أفندي سالم وأما الامير ميشيل فكان قد خرج من جنيف لزيارة شقيقته في مصطافها . وبعد التعارف دار الحديث بيني وبينه في مسألتنا وكان المترجم بيننا زميلنا وهبي أفندي العيسي وشاركه في ذلك الرفيقان الآخران

بدأت الكلام ببيان نظرية الرئيس ويلسون في مشروع جمعية الامم التي اقترحها ومكيدة الدولتين الاستعماريتين وخداعهما له بادخال مسألة الوصاية (الانتداب) في عهدها ليكون منفذا لهما الى ما تعاهدتا عليه من استعمار البلاد واقتسامها بينهما ، وان هذا مناف للغرض الاول منها وهو السلم الدائم بحرية الاقوام . ثم انتقلت من ذلك الى سعي هاتين الدولتين الى ابطال ثقة الشعوب المعتدى عليها وغيرها بجمعية الامم واقناعهم بأنها آلة في أيدي رجالهما ؛ واننا مع ذلك لم نيأس من فائدتها ونفعها ولا نجزم بأنه يسهل عليهما تسخير هذا العدد العظيم من مندوبي الدول الكثيرة لتحقيق مطامع دولتين لولا مطامعهما لما وقعت اكثر الحروب في أوربة بجعلهم استعبادهما للاقوام قانونيا مؤيدا من العالم المدني كله

ثم انتقلت من هذه المقدمات الى ان آمالنا في جمعية الامم هي التي حملتنا على المجيء الى جنيف لاجل بيان حقيقة الحال في سورية وفلسطين لها . ثم شرحت

وبكيدهم وقعت الثورة الاشتراكية في الاسطول الالماني الذي كان مستعدا لتدمير الاسطول البريطاني ، ثم في العمال الذين ألجؤا الحكومة الالمانية الى طلب الصلح ، على حين كانت ظافرة في الحرب - وهي مع ذلك متصلة بمصر وبالبحر الاحمر — فاذا كان لهذه البلاد كل هذه المزايا وترى بريطانية العظمى أنها قد فتحتها فتحا أخذت به ثأر قلب الاسد والصليب واستخدمت في فتحها من المسلمين المحاربين الهنود - ومن العمال المصريين - في مد السكك الحديدية وأنابيب المياه وسائر الاعمال الحربية أضعاف من استخدمت من البريطانيين المسيحيين كما أنها استعانت على هذا الفتح بنفوذ شريف مكة وأولاده وأنصارهم من الحجازيين والعراقيين والسوريين ، — واذا كانت جميع الكنائس البريطانية قد احتفلت بهذا الفتح الديني وافتخرت به — واذا كان وزير بريطانية الاكبر قد صرح في مجلس أمتهم الاعظم بأن هذا الفتح خاتمة الحروب الصليبية - أي لا يرجى أن يكون بعده للمسلمين دولة قوية عزيزة تحارب في هذه البلاد بل ولا في غيرها — أرأيت مع هذا كله تسمح بريطانية العظمى مختارة بأن تكون هذه البلاد مستقلة تابعة لدولة عربية ذات اكثرية اسلامية ساحقة فتترك هذه المزايا راغبة عنها ، وتغضب النصرانية في بلادها وسائر أوربة وأمريكة ، وتنفر اليهود وهي في أشد الحاجة اليهم في تعزيز ماليتها والثقة بها ؟ ؟ ولماذا تفعل هذا ؟ ألاجل فضيلة الوفاء للعرب ؟ أم لاجل ما يعتمد عليه ملك الحجاز من « الحسيات النجيبة البريطانية » ؟ ؟

الانكليز أقدر من خلق الله من الانس والجن على الخداع فكيف وقد عززهم فيه خداع اليهود وكيدهم ، ومن العجيب ان قد فضحت عواقب هذه الحرب كيدهم وخداعهم ومع هذا نرى أجدر الناس بالحذر من هذا الخداع لا يزال الكثير منهم مخدوعين

ومن أساليب الخداع الانكليزي الخفية ما سبق موقظ الشرق وحكيمه السيد جمال الدين الى بيانه منذ عشرات من السنين : اذ قال لا يظلم الانكليز قوما الا ويقوم افراد منهم يرفعون اصواتهم في الصحف وعلى مقاعد مجلسي النواب والاعيان باستنكار ذلك الظلم وعذل حكومتهم عليه ومطالبتهم إياها برفعه، لاجل ان تظل آمال المظلوم معلقة بهم ، لا يطلب العدل والرحمة الا من قبلهم، ومن آفات هذه الخدعة انها تصرف المظلومين عن مقاومة الظلم بما آتاهم الله من

والمندوبين آخرين ، وبرقية أخرى من الوفد العربي الفلسطيني المقيم بلندن ينبيء فيها بأن شطر الوفد قد سافر الى جنيف لمشاركتنا في المؤتمر وبقي الشطر الآخر في لندن لمتابعة السعي في المسألة الفلسطينية من الوجهة البريطانية — وكنت قد كتبت الى الامير شكيب أرسلان عقب وصولي الى جنيف كتابا الى برلين انبئه فيه بوصولنا واسأله عن موعد مجيئه وكان على علم بالمشروع وبأنه من المختارين لحضوره فجاءني منه كتاب باستعداده للسفر وموافاتنا على جناح الطائر — (وبعد ذلك بأيام جاءت برقية من طعان بك العماد مندوب حزب الاستقلال العربي في الارجنتين تنبيء بأنه قادم لحضور المؤتمر وكان قد وصل الى إيطالية)

لاجل ذلك جعلنا الجلسة الاولى بالفعل جلسة تحضيرية بحثنا فيها في النظام الاداري التمهيدي للعمل وقررنا انتظار الوفود الجائية والنظر فيما تحمله من أوراق اعتمادها وانتدابها لحضور المؤتمر من قبل أحزابها ثم تأليف المؤتمر من جميع المندوبين المعتمدين وجعل الجلسة الاولى للتعارف فانتخاب الرئيس ونائب الرئيس والكاتب العام (السكرتير) ومساعديه

ثم لم تلبث الوفود أن حضرت في المواعيد التي انبأت بها وكان وفد فلسطين مؤلفا من الحاج توفيق حماد وأمين بك التميمي وشبلي افندي الجمل ولما أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا علمنا أن وفدهم يرجح التفاءل على التشاؤم في قضيتهم ، وأنه يرجو رجاء قويا أن تكون فلسطين أسبق البلاد العربية الى نيل الاستقلال ، وهذا خلاف ما أعتقد أو نقيضه وقد كثر بعد ذلك البحث فيه

استطراد في مكانة فلسطين عند الانكليز

ولما صرح لي بعضهم بذلك قلت انني أتمنى ذلك الا أنه لا يعقل أن يقع الا بعد وقوع الانكليز في هوة العجز فان الدولة البريطانية الطامعة في البلاد العربية من مصر الى منتهى ساحل خليج فارس تهتم بأرض البلاد المقدسة (فلسطين) ما لا تهتم ببقعة أخرى من البلاد العربية لاسباب دينية وأدبية وتاريخية ومالية وجغرافية وحربية — فانها مهد المسيحية ، وميدان الحروب الصليبية الاسلامية ، وحيث قهر ملكها (ريكارد) قلب الاسد في حربه مع السلطان صلاح الدين ، وبها استمالت اليها اليهود وتمتعت بالملايين من أموالهم ، واجتذبوا بسعيهم الولايات المتحدة الى انقاذها من ألمانية

في هذا المقام مسألة لبنان ، وان من أهله من سبقوا الفلسطينيين في رفض الاتحاد مع سائر سورية ، وكنت أنا حريصا على ارضاء كل من السوريين واللبنانيين وجعل المقصد الاهم جمع كلمة الجميع على الحرية والاستقلال التام الناجز وتفويض أمر الوحدة الى الرأي العام في الشعب بعد أن يصير أمره بيده ، وأرى أن هذا ليس ناقضا لاساس حزب الاتحاد السوري لان له أن يظل يسعى الى اقناع الشعب برأيه في وجوب الوحدة والشعب هو صاحب الرأي الاخير في شكل حكومته ووحدة البلاد وعدمها ، وأن مطالب الاحزاب والمؤتمرات لا تقيده بما لا يقتنع به

وبعد طول البحث والمناقشة اتفقنا على الاساس الذي بنينا عليه أركان مطالب المؤتمر التي وضعناها بعد ذلك في النداء الذي وجهناه الى جمعية الامم ومنها رفض الانتداب على كل من سورية وفلسطين ولبنان وما يلزمه من اخراج الجيوش المحتلة لها منها . وكنا نخشى أن يعارض الفلسطينيون في هذا، لا لانهم يقبلون الانتداب ويرضونه — حاشاهم الله من ذلك بصدق وطنيتهم واخلاص عقيدتهم — وانما قيل ان من سياسة وفدهم في أوربة السكوت عن الانتداب والحملة على وعد بلفور بالوطن القومي لليهود عسى أن يستميلوا اليهم كثيرا من البريطانيين الذين يكرهون أن يكون لليهود نفوذ ممتاز في مهد النصرانية — ولكن موضع هذه السياسة لندن لا جنيف وقد رضي أعضاء الوفد كلهم برفض الانتداب ولله الحمد

أقول « كلهم » تسجيلا لهذه الفضيلة لكل فرد منهم اذ من المعلوم المعهود أن ما تقرره الجماعات بالبحث والتشاور لا يكون كله باجماع منهم بل بعضه يكون باتفاق الرأي وبعضه بترجيح رأي الاكثرين على الاقلين وان كان ينسب الى الجميع لانهم بتضامنهم يعدون كالشخص الواحد ، وههنا أقول إن المطالب المدونة في نداء المؤتمر الآتي كلها متفق عليها بين الاحزاب وافرادها وانما كان الخلاف الذي هو ضروري في أمثال هذه المجامع محصورا في بعض المسائل الجزئية ، أو في العبارة التي تؤدي بها في لغتنا العربية أو تنقل بها الى اللغة الفرنسية . مثال ذلك في الجزئيات القول بأن لبنانا كان مستقلا منذ أربعة عشر قرنا ، هو قول أخذ من مذكرة زميلنا سليمان بك كنعان عضو مجلس ادارة لبنان والموكل من قبل ألوف من أهله ، وأنا أول منكر لهذه الدعوى على التاريخ ولكن الاكثرين رأوا العضو اللبناني الذي نعده ركنا

القوى الذاتية وبسائر الوسائل التي تهديهم اليها سنن الله في الاجتماع البشري وتدعهم متكلين على خصمهم متوهمين انهم يجدون من قومه عونا لهم عليه ، ويحذرون ان يغضبوا ذلك العون الموهوم لئلا يخسروا عطفه ، وكل مقاومة لحكومته لا بد أن تغضبه .

هذا ما كان من رأي السيد الحكيم في انتصار بعض رجال الانكليز لمن تظلمهم حكومتهم ، وهو واقع ولكنه غير مطرد ، وغرضه منه التحذير من الانخداع ، ولم يبق ذو بصيرة ينخدع بعهودهم ووعودهم الرسمية بعد ما أظهرت عاقبة هذه الحرب من نكثهم واخلافهم فيها ، فكيف تنخدع بقول بعض الافراد وكتاب الصحف غير المسؤلين وان قالوا ما قالوا لمخالفتهم للحكومة في الرأي، أو انتصارا لبعض الاحزاب على بعض؟ ولكن من الناس من تنفتح عين بصيرته إلا بعد طول التجربة بنفسه . وقد أطلنا في هذا الاستطراد لشدة الحاجة اليه في هذا الوقت ، ولا نحسب الا أن الوفد العربي الفلسطيني قد انتهى أو ينتهي في جهاده في لندن الى معرفة كنه هذا الامر ، وأنه أفاد في إطلاع كثير من خواص الشعب البريطاني على خطأ حكومته في المسألة الصهيونية

اختلاف نظريتي الاتحاد السوري والوفد الفلسطيني

دارت المذاكرة بيننا وبين أعضاء الوفد الفلسطيني على مقاصد المؤتمر وغايته واسمه فذكرناهم بأن دعوة حزب الاتحاد السوري الى عقد المؤتمر مبنيـة على قواعده الاساسية في استقلال البلاد السورية ووحدتها وشكل حكومتها وأن لا مندوحة عن تسميته بالمؤتمر السوري الاول ، فقالوا ان الدول قد فصلت بعض مناطق البلاد من بعض ووضعت لكل منها اسما فاذا أطلق اسم سورية الآن لا تدخل فلسطين في مسماه فنقترح أن يسمى المؤتمر السوري الفلسطيني بل نشترط ذلك ، فقبلنا بعد جدال طويل. وقالوا أن الوحدة السورية قد تتعارض مع الوحدة العربية التي يطلبها أهل فلسطين ، واذا استقلت فلسطين دون سورية أو قبلها كما ينتظر — فان ارتباطها بالوحدة السورية يكون ارتباطا ببلاد غير مستقلة فينا في استقلالها، فلا بد اذا من طلب الوحدة العربية أو طلب الاستقلال لكل من سورية وفلسطين على حدتها ، فعز هذا الطلب على الامير ميشيل لطف الله لانه رآه هادما لاساس حزب الاتحاد السوري فلم يقبله ، فوقع الخلاف ، وطال فيه الجدال ، وكان الامير شكيب في مقام التوفيق والجمع بين الرأيين ، وذكر

(نص النداء الذي قدمه المؤتمر الى المجمع الثاني العام لجمعية الأمم)

جنيف في ٢١ سبتمبر ١٩٢١

الى سعادة ه . ا . فان كارنبك رئيس المجمع الثاني العام لجمعية الامم
والى حضرات مندوبي الدول في هذا المجمع
ياحضرة الرئيس ويا حضرات الاعضاء

اننا نحن الموقعين أدناه ممثلي الاحزاب والفرق السياسية في سورية ولبنان ومعتمدي أهالي فلسطين من المسلمين والمسيحيين الناطقين بلسان أهالي هذه البلاد نتشرف بان نلجأ الى سلطة جمعيتكم العليا باسم المؤتمر السوري الفلسطيني المنعقد الآن في جنيف في بسط الحالة السيئة التي آلت اليها امتنا واستمداد معونتكم لها بجعل حقوقها محترمة ومعترفا بها

نقرع باب جمعيتكم واثقين بالمبادئ التي كانت أساساً لبناء جمعية الامم، والتي أنعشت في جميع الاقطار آمالا مشروعة، ألا وهي احترام القوميات وحق الامم في تقرير مصيرها، واقامة العدل ومراعاة الشرف في العلاقات الدولية، ونبذ سياسة الفتح، والدقة في رعاية العهود في الصلات المتبادلة بين الشعوب المنظمة

نلجأ الى جمعيتكم عالمين أنها بموجب الخصائص التي خولها إياها عهد جمعية الامم الموقع عليه في فرسايل في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ مرجع لقضيتنا هذه ولها فيها حق النظر والحكم وفقاً لروح هذا العهد

ان سورية وفلسطين ولبنان تسألكم بادئ بدء الالتفات اليها والاعتراف بحقها في طلب الاستقلال التام المطلق بمقتضى القواعد العامة لحقوق الشعوب والعهود الخاصة المقطوعة لها في السنوات الاخيرة

ان الحرب الطويلة التي وضعت أوزارها وأنجبت جمعية الامم كانت صراعا بين فكرتين — فكرة القوة والغصب وفكرة الحق والحرية — فالامم التي كانت تقاتل تحت لواء الحق وضعت مبدأ استقلال الشعوب في طليعة مقاصدها من الحرب وكان كبراء رجال الامم المتحالفة يعلنون واحدا بعد آخر على منابر مجالسهم النيابية أن الحرب لن تؤدي الى فتوحات جديدة أو الى ضم أقطار

من الاركان متمسكا بهذه الدعوى فوافقوه عليها لانها لا تنقض شيئا من مقاصدنا

الجلسة الاولى للمؤتمر وانتخاب الرئيس

بعد الاتفاق على أساس مقاصد المؤتمر واسمه عقدنا الجلسة الرسمية الاولى (في ٢٧ اغسطس) وكان في أول ماوضع من برنامجها في الجلسة التمهيدية أو التحضيرية انتخاب الرئيس ونائبين له الخ وكنا قد تحدثنا قبل الجلسة في مسألة الرياسة واتفق المسلمون منا على انتخاب الامير ميشيل لطف الله لعدة أسباب (أهمها) اثبات التكافل والتضامن الوطني بيننا في المسائل الوطنية العامة بحيث يتفق على ذلك جماعة منهم يكبرونه في السن منهم الامير العريق في مجد الامارة التليد، المزين بمجد البراعة في السياسة والادب الطريف — كالامير شكيب ارسلان — والوجيه الزعيم في وطنه بصفاته الذاتية ومجد أسرته — كالحاج توفيق بك حماد — وكذلك احسان بك الجابري ومكانته في اسرته من وجهاء حلب وفي شخصه ومناصبه معروفة — والعالم الديني ذو النسب النبوي كصاحب المنار

ومنها اننا كلنا نعترف بأن الامير ميشيل ليس له من المنافع في استقلال سورية مثل ما لنا ولامثالنا ممن لهم في البلاد أهل وأملاك وأوقاف — ولا عليه من المضار في عدم استقلالها مثل الذي علينا وعلى أمثالنا — فكان فضله في اجهاد النفس وبذل الوقت والمال في سبيل استقلالها أكبر من فضل غيره من الساعين الى ذلك ، وناهيك بأكثر أغنياء البلاد الاشحة البخلاء الانذال ، الذين لا يعملون ولا يساعدون العاملين ببذل قليل من المال ،

هذا الاتفاق على الرياسة منعنا أن نجعل الانتخاب سريا بورق يكتب ولما صرح بعضنا به وافق الآخرون بالاجماع ثم اقترح بعضهم ان يكون كل من صاحب المنار والحاج توفيق بك حماد نائبي رئيس والامير شكيب الكاتب العام (السكرتير) فوافق الاعضاء على ذلك بالاجماع واختير توفيق افندي اليازجي مساعدا، للسكرتير ؛ ثم وقف الرئيس فشكر للاعضاء ثقتهم به وانتخابهم اياه بعبارة يزينها ما عهد فيه من الادب والتواضع ، ثم انفضت الجلسة وانتخبت اللجان للعمل ، وتوالت بعدها الجلسات

ولما كان المؤتمر قد قرر ان تدون اعماله في كتاب خاص يطبع نكتفي بهذه الخلاصة من خبر تكوينه ونقفي عليها بنشر النداء الذي وضعه في عدة جلسات ووزعه على رئيس جميع الامة واعضائها وارسله الى وزارات دولها والدول غير الممثلة فيها والى جرائد سويسرة واشهر جرائد العالم — ليحفظ اثرا تاريخيا في مجلتنا وهذا نصه :

والأمن العام الى أن احتلت جنود الحلفاء البلاد . ولما ألقيت بعد ذلك مقاليد الادارة في المنطقة الداخلية الى حكومة وطنية كان الأمن والنظام فيها أثبت وأتم منه في المناطق المحتلة كما شهد بذلك الاجانب الذين زاروا البلاد في تلك الاثناء

ان تراث مجد السوريين المشترك لغني عن الاشارة اليه . أية مدنية كانت أبهى وأبهر من حضارة عصر عبد الملك بن مروان وهارون الرشيد وصلاح الدين الايوبي وخلفائهم . ومن ذا الذي لا يتذكر تألق أنوارها على سواحل بحر الروم ولا يشهد تأثيرها العالق بناصية الحمراء وبقباب كنائس بلرم (صقليه) الى اليوم. ولايمكن انكار ما في شعبنا من الكفاءة السياسية والادراك السياسي حتى ان حياتنا الاقليمية وتقاليدنا المحلية ظلت باقية لنا في عهد الحكم التركي نفسه

وفي سنة ١٩٠٨ اعلن الانتخاب العام (في السلطنة العثمانية) فتمتع السوريون بجميع حقوقه فكان عدد نواب العرب في الندوة العثمانية يتجاوز ثلث اعضائها وكان لهم دور مهم في جلساتها وفي لجانها. وكانت سورية قبل الحرب تقوم بنفقات ادارتها بل كانت الضرائب التي تدفعها تزيد عنها فتفيض على ميزانية السلطنة العامة

ان شعور سورية القومي لم يزل ينمو منذ اوائل هذا العصر ، وكانت الدعوة اليه تبث بنشاط من قبل الصحف والجمعيات الوطنية، وقد جاد فريق كبير من كبراء البلاد بأرواحهم على مشانق الترك تكفيراً عن جرم التفكر في استقلال وطنهم

وان القومية السورية متجلية فيما وراء الحدود والبحار أيضاً فهناك جاليات سورية عديدة منتشرة في جميع القارات ولا سيما في العالم الجديد ولها صحفها وجمعياتها وأنديتها

وعند نشوب الحرب أعلن جلالة الملك حسين الاول استقلال العرب بالاتفاق مع معظم الجمعيات السياسية في سورية ، ومنذ سنة ١٩١٦ قامت القوات العربية بمساعدة الانكليز على هدم السلطنة التركية

وكان المقاتلة من العرب واثقين بأنهم يسعون لاستقلالهم لأن الحلفاء كانوا يعلنون انهم يكافحون دفاعاً عن حقوق الشعوب ولم تكن آمال هؤلاء

جديدة، وانما يجب أن تسفر عن ظفر الحضارة واستقلال الشعوب

ولقد سمع الشعب السوري هذه التصريحات فتقبلها بثقة تامة، وخاصة ما يضمن منها للشعوب الخاضعة للسلطة التركية السلامة التامة لحياتها وحرية الارتقاء بدون عائق (مواد الرئيس ولسون الاربع عشرة)

فالشعب السوري المؤيد بهذه التصريحات يمتّ الى الامم بتاريخ ومقوّمات تؤهله أن يطالب بالاستفادة من تلك التصريحات وبالاعتراف بسيادته وفقاً للمبادئ التي كان لها الفوز

واذا كان تعريف الامة — هو كما قرر كثير من كبار المشترعين — مجموع أفراد من عنصر واحد ولغة واحدة وحضارة واحدة أولي إرث تاريخي شامل عام وشعور بارادة تأليف جماعة سياسية واحدة فان سورية اذاً أمة واذا كان تحديد القومية هو الشعور بأخوة متينة واشجة العروق وحب متوارد لمسقط الرأس فالامة السورية هي ذات شعور قومي

ان وحدتي السلالة واللغة مؤكدتان بكون السحنة واحدة في جميع البلاد وبكون اللسان العربيّ لسان الجميع. والغرباء الذين في البلاد لا يتجاوزون واحداً في المائة، كما ان الحضارة العربية هي السائدة في البلاد وهي احد فروع شجرة المدنية الذي كان مع الفرعين اليوناني والروماني أصل الهيئة الاجتماعية الحاضرة وسبب ازدهارها. ثم انها لم تقف في سيرها: فالتعليم العربي منتشر في جميع البلاد بعشرات من المدارس العليا ومئات من المدارس الثانوية وألوف من المدارس الابتدائية، وهناك مدرستان جامعتان و٦٢٠ مدرسة مختلفة الدرجة من مؤسسات الاجانب تضم مجهوداتها الى عمل المدارس الوطنية. وكان نحو من مائة جريدة تصدر في أنحاء سورية الى حين انفجار الحرب العامة. ويقدر عدد القارئين والكاتبين في أكثر المقاطعات بستين في المئة. وأما الطبقة المستنيرة من أدباء وشعراء ومؤلفين وحقوقيين وأطباء ومهندسين فعدد رجالها عظيم، وكثيرون منهم نالوا شهاداتهم من أوروبا، ولهم في البلاد مركز رفيع. كما ان في البلاد جما غفيراً من الضباط المتخرجين من مدارس الحربية في الاستانة وفي أوروبا قد أثبتوا كفاءتهم في تنظيم مصالح الأمن العام. ولما جلا الترك فجأة عن البلاد قام أهالي سورية بمهمة تنظيم بلادهم المحررة وتشكلت في الحال لجان ادارية في كل ناحية فوطدت أركان النظام

ان المادة الثامنة والعشرين من عهد جمعية الامم تنص على « ان بعض الجماعات التي كانت من السلطنة العثمانية في ماسبق قد بلغت درجة من الارتقاء يمكن أن يعترف معها موقتاً بكونها أمة مستقلة على شرط أن تسترشد ادارتها بنصائح ومساعدة تستمدها من دولة منتـدبة الى أن تصير أهلا للسير وحدها »

فبهذا النص قد وضع بعض الجماعات تحت الانتداب وأما الجماعات الاخرى — كالحجاز وأرمينية مثلا — فقد اعتبرت بالغة درجة كافية من الارتقاء تغنيها عن دولة منتدبة

الا ان سورية أيها السادة تقيم لكم الدليل على رشدها السياسي وحقها في السيادة تجنباً للانتداب كارمينية والحجاز، فهي بما أهرقته من دماء خيرة ابنائها وبمظاهر مدنيتها الموروثة خلفاً عن سلف وبارتقاء تنظيماتها السياسية الداخلية والايالية وبانتشار تجارتها وصناعتها - قد أثبتت انها أمة رشيدة قد بلغت أشـدّها وأهليتها للحرية فنطلب منكم أن تعلنوا في جمعيتكم بمقتضى الحق الذي لا يمكن أن يماريكم فيه أحد تحرير أمة حقيقية من انتـداب لا فائدة منه

— ٢ —

نوجه اليكم هذه العريضة بأصدق عزيمة وأرسخ ايمان بأنكم سترون من الوقائع التي نبسطها لكم ما يجعلكم تعرفون الى أيّ حد قضى الانتداب الذى ينفذون حكمه فينا على استقلالنا وكيف أصبح يهوي بنا الى دركة مستعمرة من مستعمرات المنتدبين علينا

جاء في الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين التي تعين حدود الانتداب المختص بالجماعات العثمانية ما يأتي :

(١) ان هذه الجماعات قد بلغت درجة من الارتقاء يصح معها الاعتراف بكونها أمة مستقلة

(٢) ان مهمة المنتدب قاصرة على المساعدة والنصح

(٣) ان رغائب الجماعات يجب أن توضع أولا موضع الاعتبار عند اختيار الدولة المنتدبة

ستترون كما نرى ان هذه القيود المعينة في الانتداب لم يحترم شيء منها

المقاتلة مبنية على تصريحات رجال السياسة فقط بل على الوعود الصريحة التى قطعها للملك حسين السر هنرى مكماهون العميد البريطاني في مصر باسم انكلترة احدى دول الحلفاء سنة ١٩١٥ وقد ضمنت هذه الوعود الاعتراف باستقلال بلادنا . فكل تلك الوعود والدماء التي أهرقت في سبيل الغاية المشتركة كانت تعزز الامال بانشاء دولة سورية قائمة على النظام والحرية والسلام

ولكن لم يتم لسوء الحظ شيء مما كنا نؤمله حتى ان لبنانا الذي كان يتمتع باستقلال ذاتي تام تضمنه الدول العظام قد سلب منه استقلاله — فطفق الشعب السوري ينظر الى ماضيه والخيبة ملء فؤاده .

ولم تمر بضعة شهور على اليوم الذي ضمن فيه السر هنري مكماهون للعرب استقلالهم السياسي حتى عقد اتفاق سري بين مسيو جورج بيكو المندوب الفرنسي والسر مارك سايكس ممثل الحكومة البريطانية ظل اصحابه ينكرونه على ما كان من تثبيته في ٩ مايو سنة ١٩١٦ برسائل تبودلت بين مسيو بول كامبون والسير ادوارد غراي — هذا الاتفاق قضى على وحدة سورية وشطرها الى منطقتي نفوذ احداهما فرنسية والاخرى انكليزية . وهو يسلب الحكومة العربية حريتها الاقتصادية بما أعطى للدولتين المتعاقدتين من حق الاولوية في المشروعات والقروض والسكك الحديدية . وشرع لأهم مناطق الساحل ادارات فرنسية وانكليزية تتولى الامور مباشرة أو بشكل حماية حقيقية على الاقل

وفي ٢ نوفمبر سنه ١٩١٧ صدر تصريح من الحكومة البريطانية بوعد اليهود في فلسطين بامتيازات لا تتفق مع حقوق اصحاب البلاد

ثم إنه بعد التوقيع على معاهدة فرسايل وعهد جمعية الامم في شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ وقع التواطؤ بين المستر لويد جورج والمسيو كليمانصو على ما يؤيد اتفاق سايكس — بيكو، وعلى قسمة سورية نهائيا الى مناطق غريب بعضها عن بعض (انظر الملحق رقم ٢)

وان الامور التى جرت على أثر هذا الاتفاق والتي سنأتي على ذكرها فيما بعد قد حققت ويا للأسف كل المخاوف التى أحدثها هذا الاتفاق

على اننا نريد أن نوجه نظركم قبل كل شيء الى كون سورية التي هي أمة حقيقية وقد وعدت بالاستقلال تستحق بأن تطالبكم بالاعتراف بسلطانها القومي واستقلالها

وقد زال كل ماكان يتمتع به الاهلون من الحرية في الولايات والالوية في زمن الترك

منع العلم السوري ورفع على الابنية الرسمية علم وضعته السلطة الفرنسية لكل من الدول التي أحدثتها ونقشت فيه العلم المثلث الالوان . ورفع العلم البريطاني في فلسطين ، واشتدت وطأة القسوة والارهاب عقابا على أبسط الأحداث ، وترون في الملحقات المربوطة بهذا مثالا من المعاملات الجائرة التي يعامل بها أهالي بلادنا

يخيل الى الانسان انه في حلم عند ما يسمع الجنرال غورو يصرح بأنه يوطد الوصاية بالدم ، وعند ماير ى ست قرى و١٧ مزرعة تدمر بسبب اعتداء شخصي (انظر الملحق الاول)

وأما ماكان في الامور التجارية والمالية فخيرات البلاد تستنزف بدون وازع . وثمة جيش من الموظفين يغلب في رجاله أنهم أقل كفاءة ودراية من سكان البلاد يسومون الاهالي أنواع الخسف (أنظر الملحق الثالث) والمندوب السامي كحاكم بأمره بيده أوسع سلطة ، والذين أرادوا القدوم الى أوروبا من أهل وطننا طلباً للعدل حرموا حرية السفر

نذكر لكم بمنتهى الحزن هذه الوقائع التي أنتجها إرخاء العنان لادارة عسكرية مطلقة اليد ونغتنم هذه الفرصة لتوجيه نظر مندوبي الدولتين المحتلتين اليها

ان لنا من عظيم الثقة بالشعبين الفرنسي والانكليزي اللذين دافعا عن حرية الشعوب في اليونان وايطاليا وبلجيكا والبلقان ما لا يجعل لنا سبيلا الى الظن بأن الرأي العام فيها لا يعطف علينا نفس ذلك العطف عندما يقف على الحقيقة

نبسط هذه الوقائع لعصبة الامم فهي تقترف باسمها ولا شك أنكم تأبون أيها السادة المندوبون أن يستعبد شعب بأسره باسم مقاصدكم السامية وباسم أوطانكم وباسم انتدابكم . العهد ناطق بأن مهمة المنتدب قاصرة على المساعدة والمشورة ، ولم يكن في التصور أن يدخل في معناه اكراه أمة مستقلة على الخضوع لمثل نظام المفوضية السامية المطلقة في التصرف بسلطة مماثلة لسلطة حاكم في مستعمرة

ان أحد المؤلفين المرتابين في عاقبة عملكم قد عرف الانتداب في كتاب حديث وضعه في حقوق الدول (مارسل موان = سراي — باريز ١٩٢١

وان استقلالنا ليس سوى لغو من القول

لقد قسمت بلادنا الى مناطق كما ذكر آنفاً عملا بمعاهدة سايكس — بيكو المؤيدة باتفاق لويد جورج وكليمانسو في سنة ١٩١٩ فأخذ الانكليز فلسطين والساحل الفلسطيني وأخذ الفرنسيس ساحل سورية الشمالية واحتفظ الامير فيصل بالمنطقة الداخلية — فاسفرت هذه الوقائع عن إحراج صدور الاهلين والتأم في دمشق مؤتمر سوري عام في شكل مجلس مؤسس يتألف من مندوبين انتخبوا من المناطق الثلاث — وقد عقد هذا المؤتمر برغبة الرأي العام الشديدة جلسة عامة وأعلن بالاتفاق مع الزعماء السياسيين والرؤساء الروحيين من جميع الملل والنحل في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ استقلال سورية التام بحدودها الطبيعية اي مع فلسطين ولبنان ونادى بالامير فيصل ملكا دستوريا على البلاد وانصرف الى سن القوانين وتنظيم الحكومة الوطنية التي كان لديها ممثلون للحكومات الاجنبية . على أن هذه السيادة على المنطقة الداخلية ما لبثت أن انتزعت في صيف سنة ١٩٢٠ كما تعلمون

بعث الجنرال غورو بانذار نهائي الى الملك فيصل في ١٤ يوليه سنة ١٩٢٠ طلب منه فيه حل جيشه وقبول سلطته بلا قيد ولا شرط فلرغبة الملك في اجتناب سفك الدماء قبل شروط الانذار على شدة المعارضة من المؤتمر والشعب ولكن الجنرال غورو انتحل لنفسه حجة نافهة للزحف بجيوشه على دمشق واحتلالها ففعل ولم يلبث أن عقد محاكم عسكرية حكمت حكما غيابياً بالاعدام على ستة وثلاثين شخصاً من الوطنيين بدعوى التواطؤ مع العدو ، وفرض على البلد غرامة حربية تدفع ذهبا وطفق يتصرف في البلاد بعد ذلك تصرف الفاتح

وفي ١٠ يوليه سنة ١٩٢٠ اعتقلت السلطة العسكرية الفرنسية أعضاء مجلس لبنان الاداري المنتخب من الشعب اللبناني ودفعتهم الى مجلس حربي فرنساوي حكم عليهم بالنفي بسبب قرار أصدره ذلك المجلس اللبناني في ٩ يوليه سنة ١٩٢٠ طلب فيه المحافظة على استقلال لبنان وحياده العسكري وضمان الدول له . وعلاوة على ذلك أصدرت السلطة الفرنسية أمرها بالغاء هذا المجلس فقضت بذلك على نظام التمثيل النيابي في جبل لبنان

وقد قسم الشعب السوري الآن الى قسمين تحت سلطة سيدين مختلفين تتولاه ادارة عسكرية أشد وطأة من أية ادارة في أي بلاد مغلوبة في الحرب

وهذان الخرقان من الاعمال القاضية على نظم لبنان الاساسية المحترمة من جميع الدول الى هذا العهد

— ٣ —

ثم اننا نوجه نظركم الى اعطاء الحكومة البريطانية عهداً لليهود في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ بمنحهم وطنا قوميا في فلسطين وهذا العهد قد تكرر في المادة ٩٥ من معاهدة سيفر المعقودة في ١٠ أغسطس سنة ١٩٢١

ان هذا العهد مخالف لحقوق الامم ولا يتفق مع الوعود التي نالها الشعب العربي من السير هنري مكماهون المندوب البريطاني باسم الحلفاء

كان الشعب السوري مستعداً دائما لمقابلة الاجانب بحسن الوفادة ولكن لا يجوز اكراه العرب أصحاب البلاد منذ أجيال على اعطاء اليهود وطناً قومياً في فلسطين (أنظر الملحق الثالث)

كان اليهود قبل عشرين قرنا قد ملكوا بين غيرهم من الشعوب قسما من فلسطين فمهما يكن قدر ما نالته الحضارة من اليهود فليس ثمت مشترع ضليع يجرأ على الادعاء أن تملكا زال منذ عهد الامبراطور تيطس يخول سلائل أصحابه الاقدمين حقوقا ضد الوطنيين أصحاب البلاد الشرعيين الآن ؟ فاذا فتح الباب لمثل هذه الدعوى فالى أين المنتهي ؟ ألا يجب عندئذ أن يسمح للعرب باسترجاع الاندلس ولليونان باستعادة سيراقوسه المدينة اليونانية في عهد أرخميدس ؟

— ٤ —

فالمؤتمر السوري الفلسطيني يطلب اذاً منكم أيها الرئيس والاعضاء الكرام ما يأتي =

(١) الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسورية وللبنان ولفلسطين

(٢) الاعتراف بحق هذه البلاد في أن تتحد معا بحكومة مدنية مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب وأن تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في شكل ولايات متحدة (فيدراسيون)

صفحة ٧٢) فقال «هو مظهر من أخاديع السياسة الدولية يقصد به التلبيس في الاستيلاء على مستعمرة مشتهاة »

ولكن في نفوسنا من الاحترام لسمو الغاية التي تتوخاها جمعية الامم ما لا يفسح لنا مجالا للاعتقاد بأنكم لا تفندون هذا التعريف المعيب الذي طالما تشدق به شر خصوم جمعية الامم

ان السلطة التي تستمدونها من المواد ٣و١١ و٢٢ من عصبة الامم تخولكم أن تأخذوا قضية بلادنا هذه في أيديكم وتسيروا بها في سبيل الحق

نتشرف بأن نلجأ الى سلطتكم العليا لنطلب منكم أن تجعلوا الدفاع عن حقوق لبنان واستقلاله تحت حمايتكم فهو مهدد بنظام الوصايات المذكور في المادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الامم ومهدد أيضا بالاسلوب الجائر الذي تفسر به الدولة المنتدبة نصوص الانتداب

لقد كان لبنان منذ ١٤ قرنا ذا وحدة سياسية مستقلة متمتعاً بسيادته التامة وكانت الحكومة العثمانية كلما حاولت تحديد حقوقه تبوء بالفشل المبين

ففي سنة ١٨٤٢ جربت تركيا وضع عمر باشا مندوبا سامياً فاضطر الى الرجوع بعد قدومه ببضعة اشهر وهو الموظف الوحيد الذي رآه لبنان حتى سنة ١٨٦١

وتجنباً لانفراد احدى الدول العظمى في التحكم في لبنان وضع المجمع الاوربي الدولي سنة ١٨٦١ نظاماً اساسيا له تقرر فيه مبدأ سيادته وحكمه الذاتي وهذا النظام مؤسس على النقط الآتية

ا — الاستقلال الاداري والاقتصادي

ب — الحياد السياسي

ج — ضمان الدول له

د — سيادة تركيا الاسمية

ثم أن سيادة تركيا زالت بعد الحرب فلم يبق بد من أن تكون للبنان سيادته التامة مؤسسة على المبادىء الثلاثة الاولى المذكورة آنفا ، ولكن لم يكن شيء من هذا القبيل ويا للاسف: ان استقلال لبنان قد خرق باحتلال الجنود الفرنسية البلاد احتلالا عسكريا وخرق بتحكم الادارة الفرنسية في جميع شؤون البلاد

صلاح عز الدين عضو مندوب الجمعية السورية الوطنية في بوسطن
طعان العماد « « الحزب الوطني العربي في الارجنتين
جورج يوسف سالم « « حزب تحرير سورية في نيويرك
توفيق اليازجي « « « استقلال سورية ووحدتها في سانتياغو (شيلي)

(المنار) صرفنا النظر عن نشر ملحقات هذا النداء في الرحلة وقد طبعت معه على حدة ووزعت مجانا

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب ومخمصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شكيب أرسلان

٧

ولنعد الآن الى اكمال حديث المجاعة : لا يسعني ان أحصي المساعي التي سعيناها لاجل جلب الاقوات اللازمة من الداخل الى لبنان والساحل ، وفي هذا المعنى لابد ان تكون برقياتي أيضا مسجلة في دفاتر التلغراف ، ثم لما جاء بطريرك الموارنة الى صوفر للسلام على جمال باشا ، وهذا أبدى له مزيد الحفاوة ، وكان معه المطران بولس عواد ورهط من أعوانه — تكلمت مع جمال أمامهم بما يتهدد البلاد من الجوع — وكان الشيء على أوله ـ وكان كلامي بصراحة تامة ، فشكر لي البطريرك فيما بعد هذه الهمة كثيراً . ثم انني لما رأيت علي منيف بك متصرف لبنان قد أسس في الجبل عدة ملاجيء لاطعام الاولاد وهيأ لها لوازمها وكانت كلها في كسروان والمتن طلبت منه المساعدة في تأسيس مثلها في الشوف ، وأسست ملجأ في عين عنوب وآخر في مغواية بقرب شرتون وآخر في بريح ، وجمعت لها جميع الثياب والاغطية والاكسية اللازمة من بيوت أرباب الحمية من ذوي اليسار ، وأجرى عليها المتصرف الارزاق الكافية من ادارة الاعاشة ، وعاش بها مئات من الاحداث ممن

(٣) اعلان إلغاء الانتداب حالا

(٤) جلاء الجنود الفرنسية والانجليزية عن سورية ولبنان وفلسطين

(٥) إلغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين.

فاذا لم يكن لدى عصبة الامم الاستنارة الكافية وأرادت أن توقن أن ما بسطناه هو رغائب الشعب الحقيقية فنحن نرجوها أن ترسل الى سورية ولبنان وفلسطين لجنة تحقيق ذات سلطة كافية لتتمكن من اجراء تحقيق نزيه . وأن يعطى أهالي سورية من جمعية الامم ضمانا بأن يكونوا آمنين من انتقام المحتلين واضطهادهم اذا أبدوا آراءهم بحرية ، وذلك بأن تأمر بجلاء الجنود التي تضغط على الاهالي . وتفضلوا أيها السادة الرئيس والاعضاء بقبول فائق احترامنا ؟

الامير ميشيل لطف الله	رئيس	رئيس اللجنة المركزية لحزب الاتحاد السوري ومندوبها
السيد رشيد رضا	نائب رئيس	رئيس المؤتمر السوري العام في دمشق . ونائب رئيس الاتحاد السوري ومندوبه
الحاج توفيق حماد	نائب رئيس	مبعوث سابق — رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس (فلسطين) مندوب المؤتمر الفلسطيني الممثل للاهالي المسلمين والمسيحيين
الامير شكيب أرسلان	سكرتير عام	مبعوث سورية سابقا — مندوب حزب الاستقلال العربي
سليمان كنعان	عضو	عضو مجلس لبنان الاداري
احسان الجابري	عضو	سكرتير سابق لسلطان تركية — رئيس سابق لبلدية حلب ولتشريفات البلاط السوري — مندوب حزب الاستقلال العربي
أمين التميمي	«	عضو في الوفد العربي الفلسطيني ومندوبه — مستشار رئيس الوزارة في دمشق سابقا — مفتش ملكي في السلطنة العثمانية سابقا
وهبه العيسي	«	رئيس اللجنة الفلسطينية بمصر ومندوبها
شبلي الجمل	«	مندوب الوفد العربي الفلسطيني وسكرتيره وأحد أعضائه
رياض الصلح	«	مندوب حزب الاستقلال العربي
نجيب شقير	«	« « « «

نظارة الخارجية ، فذهبت الى احمد نسيمي بك ناظر الخارجيـة وهو أخ حميم لي ، فاستكتبته الذي أراده السفير ، ثم عدت الى السفير وقلت له : هل بقي شيء الآن ؟ فقد أجبناك الى طلبك فلم يبق الا أن تأمر بارسال البواخر الى بيروت ، فقال لكن أمامنا عقبة ثانية قلت : ماهي ؟ قال : نخاف من أن غواصات الالمان المنتشرة في البحر المتوسط تغرق السفن المذكورة . قلت : أني بأمر من المانيا الى الغواصات فذهبت الى سفير المانيا فون كولمان ، وحكيت له القصة فأخذني بنفسه الى الملحق البحري بالسـفارة فون هومان (وهو الان المحرر السـياسي الاول في جريدة دوتش الغماين تسايتونغ) وقال له : اكتب لهمايشاء ، فأخبرته بطلب سفير أميركا واستكتبته الانهاء المعجل بعدم تعرض الغواصات للبواخر المحمـّلة أرزاقا لسورية ، وبعد أيام ذهبت أسأل عن الجواب فتأخر الجواب نحو ٢٠ يوما لان البرقيات اللاسلكية اذا أرسلت الى الغواصات وهي في البحر جائلة قد يقع فيها غلط فلابد من انتظـارها حتى ترفأ الى مراسيهـا . فلما ورد الجواب أبلغته السفارة الالمانية الى السفارة الاميركية ، وجئت أنا أستنجز سفير أميركا وعده ، فبدلا من أن يفرح بانحلال العقدة رأيته ضجر وتبرّم ، وقال لكن بقيت الغواصات النمسوية فقلت له لايوجد للنمسا غواصات الا في بحر الادرياتيك لحماية أسطولها ولم يبق ثمة من خطر ، فقال لابد من الامر لها أيضا فحصلنا على الامر من النمسا بواسطة سفارة المانيا ورجعنا اليه . ولكن كنت بدأت أصدق ما كان قاله لي طلعت من كون المانع الحقيقي ليس من الدولة العثمانية بل من الانكليز . فلما أخبرناه بأن العقدة الاخيرة هذه قد انحلت قال لكننا أصبحنا لانقـدر على ارسال هذه البواخر لان الولايات المتحدة قررت اعلان الحرب على المانيا فقلنا له هذه مسئلة سبقت اعلان الحرب بأشهر ، على ان الحرب لما تعلن فيمكنك أن تأمر بارسال البواخر من الاسكندرية الي بيروت ، وكل ذلك يتم في يومين قبل شهر الحرب منكم على الالمان ، فلم يقتنع ، فقلنا له أنتم ستعلنون الحرب على المانيا لا على تركيا فلا معنى لحبس هذه الارزاق عنا بهذه العلة ونحن من المملكة العثمانية لا من المانيا فبقي يراوغ ، فقلت له حولوا هذه المسئلة الي دولة متحايدة كاسبانيا أو هولاندا

لاملجأ لهم ، وكان نحو ٩٠ في المائة من الاولاد الذين عاشوا في هذه الملاجئ مسيحيين مع ان الالبسة والمفروشات جئ با كثرها من بيوت الدروز ، ولكن لم نكن نشعر بهذا الفرق أصلا ولا سيما أيام الحرب . ثم لما وجدنا الامر اشتد عن ذي قبل ، وانه لا مناص من شر هذه المسغبة الا بالاتفاق مع الحلفاء على الاذن بتسريب الاعانات من طريق البحر، راجعنا متصرف لبنان ووالى بيروت وهما راجعا الباب العالي وجرت مساع من الباب العالي لكي يغاث أهل سورية كما أغيث أهل بلجيكا وغيرها بواسطة الحلفاء فذهبت جميع مساعي الباب العالي سدى . واذا بأميركا قد أرسلت باخرة وقيل باخرتين مشحونتين أقواتا وألبسة بناء على إلحاح السوريين في أميركا ، ووصلت هاتان الى ميناء الاسكندرية ، وذلك في أواخر سنة ١٩١٦ وانعقدت الآمال بهما لا بل نزلت أسعار الدقيق قليلا في بيروت بمجرد اشاعة وصولها الى ثغر الاسكندرية . وتألفت في بيروت لجنة من مسلمين ومسيحيين لاجل استقبال هذه الارزاق وتوزيعها على المعوزين من جميع الطوائف ، وبات الناس يرقبون وصولها والاعناق مشرئبة والعيون محدقة نحو البحر وهذه الارزاق لا تصل . وكان مجلس النواب العثماني قد افتتح ، وتأخرت عن ميعاد الافتتاح نحو شهر بسبب اشتغالي بتأسيس الملاجئ . ثم ذهبت الى الاستانة فأول شيء عملته وقبل ان أرى أحداً من رجال الدولة هو انني قابلت سفير الولايات المتحدة ، وسألته عن سبب تأخر هذه الارزاق في الاسكندرية ، فأجابني بكون حكومته تأبى تسليم هذه الارزاق الا على شريطة توزيعها بمعرفة قنصل أميركا في بيروت ، والحكومة العثمانية تستنكف من ذلك فصدقت كلامه ولكنني قلت له : ان كان مرادكم عمل الخير واجابة طلب السوريين الذين في أميركا فلا يجوز أن تتوقفوا بعلل كهذه . ثم ذهبت الى طلعت باشا أعاتبه على مثل هذه التصعيبات والعلات التي لا طائل تحتها عند ما يكون الناس يموتون جوعاً . فأجابني هذا طلب كنا طلبناه في الاول ثم بناء على إلحاح سفارة أميركا رجعنا عنه وها أنا ذا افوض اليك ان تتفق مع سفير امريكا على الشرط الذي يريده وأنا أنفذه . فذهبت الى السفير وأخبرته بما جرى فقال انه يريد مكاتبة بذلك من

بنا كما يعملون للضيوف الاعزاء ، ولما وصلنا الى مونيخ أدبت لنا البلدية مأدبة عظيمة حضرها نحو ٣٠ رجلا من وزراء الحكومة البافارية ورجال السيف والقلم ، ثم طلب منا المسيو كمريخ قنصل تركيا وهو من أعيان مونيخ أن نلقي محاضرة بحضور ملك البافيار وجمع من أعيانها وذلك في الليلة الثانية فألقينا محاضرة في فندق (باير يشر هوف) حضرها الملك وكثير من رجال تلك الدولة ومن الوجوه وأرباب الاقلام وكان موضوعها (سورية في أثناء الحرب) وقد اخترت أنا هذا الموضوع قصداً لاذكر ماجرى فيها من أهوال المجاعة بحيث ذكرت الجرائد ثاني يوم ان الملك رق جدا لسماع هذه المحاضرة، ثم جاءني المسيو كمريخ فيما بعد وقال لي: انه قد حادث قاصد البابا في مونيخ وهو من مشهوري الكرادلة وقصّ عليه ماذكرته من كون الحكومة العثمانيـة سعت بواسطة بعض الدول المتحايدة لدى الحلفاء في جلب أقوات من طريق البحر الى سواحل سورية ، وكون أنور باشا استدعى القاصـد البابوي في الاستانة وكلفه ان يعرض الامر الى حضرة البابا ، وانه الى هذه الساعة لم تحصل أدنى نتيجة . فطلب قاصد مونيخ من المسيو كمريخ تقريراً بذلك فجاءني وأعطيته التقرير اللازم مفصلا بامضائي وذكرت فيـه انني أتعهـد بالنيابة عن الحكومة العثمانية انه مهما ورد من الارزاق بواسطة الحضرة البابوية الى سورية فلا تتعرض له الدولة لافي قليل ولا في كثير ولا يتناول منه أحد من المسلمين حبة واحدة

نعم لنا من ذلك فائدتان الاولى وقاية اخواننا وأبناء وطننا المسيحيين من المجاعة ، والثانية كون القليل الوارد الينا من الداخل والذي نتقاسمه وإياهم الآن ولا يسد حاجتنا ولا حاجتهم يصير فيه كفاية نوعا . ثم ذكرت في هذا التقرير جملة مؤثرة ، وهي ان الحضرة البابوية ان لم تغث نصارى الشرق في أزمة كهذه الازمة فمتى يرجون اذاً مساعدتها ؟

و بعـد نحو ١٥ يوما من كتابة هذا التقرير بينما انا في فندق آدلون الشهير في برلين اذ جاءني تلغراف من المسيو كمريخ ينبئ فيه بورود جواب الفاتيكان ، وان مآله سيرد عليّ في كتاب مضمون. ثم لم يلبث ان ورد الكتاب وهو من المسيو كمريخ نفسه يذكر فيه ملخص ماورد من الفاتيكان على قاصد مونيخ من الجواب

فانها مسئلة انسانية لامدخل لها في السياسة فلم يجاوب بالايجاب، وعندها صرحت له بقولي : قد تحققت كون طلعت باشا هو الذي قال الحقيقة وان تركيا ليست هي المانعة لوصول الارزاق بل أنتم لاتريدون ايصالها وتحبون أن تعتذروا للسوريين الذين في أميركا بكونكم عملتم الذي عليكم وانما تركيا وقفت سداً في وجه هذا الخير . ولكن الحقيقة لن تخفى وكنت في جميع هذه المساعي وحدي من المبعوثين السوريين لم يشاركني أحد من زملائي لا لنقص في حميتهم ومروءتهم بل لاعتمادهم عليّ واعتقادهم بنفوذ كلامي . ثم لما قطعنا الامل من جهة أميركا حولناه نحو اسبانيا وأشرنا على ناظر الخارجية بمفاتحة سفير هذه الدولة فلم يمكن عمل شيء ثم دفعت أنور باشا أن يراجع البابا بواسطة القاصد البابوي في الاستانة فاستدعاه وقال له : ان قلة الاقوات في البلاد بسبب تطاول الحرب قد أعجزتنا عن ميرة جيشنا والاهالي معا ، وقد بدأ الجوع في سورية لاسيما في لبنان وغداً اذا مات جماعات من المسيحيين تجعلون اللائمة علينا، فها نحن أولاء نخبركم بالواقع ولا يصعب على الحضرة البابوية أن تنال من الحلفاء الاذن بارسال باخرة مشحونة أرزاقا كل شهر مرة لاجل نصارى سورية ولاسيما لبنان . وان احتج الحلفاء بكون المقصود هو توزيع أكثرها على المسلمين فنحن نتعهد بترك التوزيع الى قاصد البابا في بيروت والى البطاركة ولا ندخل في هذه المسئلة أصلا ، وان ظهر من أول بعثة تأتي اننا مددنا يدنا الى شيء منها فعليكم أن لا تعيدوا التجربة ثم ان كان البابا لا يريد أو لا يقدر أن يؤدي ثمن هذه الارزاق فانا أؤديها اليك أيها القاصد من صندوق الحربية . فشكره القاصد كثيراً وذهب وكتب الى الفاتيكان فلم يرد شيء فراجعت أنور فقال لي انه فاوض القاصد ولا يزال منتظراً الجواب ، ثم استدعاه ثانية فقال له القاصد قد بلغت مرجعي كل ماذكرتم ولكن الى اليوم ماجاءني جواب . وسترون فيما يأتي السبب في عدم الجواب

عند ماذهبت الى المانيا سنة ١٩١٧ دعتني الحكومة الالمانية ان أعمل سياحة في عواصمها الشهيرة مثل هامبورغ وفرانكفورت وكولونيه ولايبسيغ ومونيخ وغيرها وأرسلت معي رفيقا خاصا من نظارة الخارجية وأبرقوا الى كل الاماكن بالاحتفاء

كان يعوزهم هو القوت بعينه لا الدرهم، فان الدولة كانت تتعهد بدفع أثمان جميع الاقوات بشرط وجودها ، فكان على الفرنسيس ان يفرغوا باخرة مشحونة طعاما ذلك خير من ارسال حجارة رنانة لا تؤكل

هذا ماعندنا من الادلة والبراهين على كون المجاعة هي ناشئة عن الحالة الحربية وعلى كون استمرارها نشأ عن الحصر البحري ورفض بعض الدول ايصال شيء من القوت الى الجياع . فان كان عند غيرنا أدلة على العكس فليأتوا بها بدلا من أن يتشدقوا بالاقوال الفارغة ان كانوا يقدرون أن يثبتوا ان الدولة كان عندها في الحرب الارزاق الكافية وان المجاعة لم تشتد الا في لبنان فقط وانه لم يمت مسلمون من الجوع كامات من النصارى بل أكثر وان مئات ألوف من أتراك الاناضول لم يموتوا — فليدلوا على ذلك بحجتهم

ان كانوا يقدرون أن ينكروا كون العسكر العثماني نفسه قل في الآخر غذاؤه وصار الجنود يفرون بالالوف من قلة الطعام مع الجهد والقتال مما لا يبقى معه محل للشك بكون المجاعة مجاعة لا تجويعا — فليأتوا ببرهانهم

ان كانوا يقدرون أن يجحدوا كون الارزاق التي أرسلت من أميركا لاجل سورية وقفت في الاسكندرية ولم يكن السبب في وقفها هناك الترك بل غيرهم وكذلك النقود التي جمعت بمصر لاجل الفقراء من السوريين لم يرخص في ارسالها الى سورية — فليعطونا على ذلك بينة واحدة

ان كانوا في شك مما ذكرناه من مساعي أنور باشا مع قاصد البابا في الاستانة ومساعينا مع قاصده في مونيخ لاجل اغاثة مسيحيي لبنان خاصة ، وكيف فشلت وبسبب من فشلت تلك المساعي؟ فليسألوا الفاتيكان نفسه

نحن عملنا الذي عملناه أثناء الحرب من خدمة وطننا ومعاونة أبناء وطننا قياماً بواجب الانسانية والوطنية لا نريد من أحد جزاء ولا شكورا . ولم نكن نتصور ان نساق في يوم من الايام الى التلويح أو الالماع بخدماتنا هذه لانه لا يوجد شيء أسمج من عمل الخير والمنّ به . ولكن أبى حسد الحساد و بغض الذين في قلوبهم مرض الا أن يحملونا بافترائهم ومباهتاتهم على نشر حقائق كنا نود لو بقيت مطوية

على تقريري حتى انه يضع بعض العبارات بين قوسين اشارة الى انها هي الواردة بعينها من الكرسيّ البابوي . ومآل الكتاب ان البابا سعى من قبل مراراً وكرر السعي هذه المرة ولكن دولة . . . (وأشار الى احدى دول الحلفاء) لا تزال تعارض في ارسال هذه الاقوات الى سورية لذلك « فؤاد الاب الاقدس مجروح من خطة هذه الدولة » ثم يقول : وسيعلم مسيحيو الشرق فيما بعد ان الحبر الاعظم لم يهملهم في أزمتهم هذه ولكن ... الخ

واقد اطلع بعض صحافي الالمان على هذا الكتاب فاحبوا ان ينشروه فلم أجبهم الى ذلك خشية ان أثير مسئلة ، واحمل قيلا وقالا بين البابا وتلك الدولة . ولكن هذا الكتاب لا يزال عندي والمسيو كمريخ لا يزال حيا . وبعد ايابي الى الاستانة حررت الخبر الى لبنان ، وأتذكر انني كتبته الى الشيخ بان الخازن من وجوه الموارنة . وكلفته أن يطلع عليه غبطة البطريرك

وبالاختصار إن المسؤولية الحقيقية تقع في مجاعة سورية على أولئك الذين أبوا ادخال الاعانات الى سورية وهم معروفون ..... وكان جل مقصدهم بذلك ان يبغضوا الدولة العثمانية الى الاهالي ويجعلوهم منتظرين زوالها ومجيئهم هم ، وان يقتلوا الناس جوعاً ليقولوا ان الاتراك هم الذين قتلوهم . وأغرب من عملهم هذا ان اناسا يعتذرون عنهم باعذار واهية[1] ، ويزعمون أنهم لم يكونوا يقدرون على اغاثة جياع سورية ، وقد لقيت منذ سنتين في برن رجلا سوريا مقيما بالقطر المصري يقول ان سبب عدم ارسال الارزاق الى سورية هو كون البواخر لا تقدر ان ترفأ الى سواحل سورية من الالغام ... فليسمع الانسان هذه الاضاحيك وليتأمل . وأغرب من هذا الاغرب ان اناسا يعرفون الحقيقة ويكتمونها ويستمرّون على نغمة ان الاتراك هم سبب المجاعة وان الحلفاء أرادوا رفد سورية ولا تراك رفضوا . وقد بلغ الامر من تضييق الحصر البحري على سورية ان بعض السوريين بمصر جمعوا إعانات نقدية لارسالها الى سورية وحيل بينهم وبين مشروعهم وهذا أيضا معروف بمصر . . . . مع انها نقود لا حبوب . ويقال ان الفرنسيس كانوا يرسلون دراهم خفية الى الموارنة من جزيرة ارواد ولكن الذي

(١) اني له عن ذمي المسفوك معتذر أقول حملته في سفكه تعبا

وعن عرفجة الاشجعي قال: سمعت رسول الله (ص) يقول «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه» (احمد ومسلم)

ولذا اتفقت كلمة المسلمين [1] ان الخليفة سواء كان أهلا أو غير أهل اذا قامت خلافته، لا يخرج عليه، ومن يخرج يقتل بعد اتمام الحجة عليه والدعوة الى الصلح (فقاتلوا التي تبغي) (٤٩ : ٩)

وفي نيل الاوطار: قد حكى في البحر عن العترة جميعاً ان جهادهم أفضل من جهاد الكفار في ديارهم، اذ فعلهم في دار الاسلام كفعل الفاحشة في المسجد (ج ٧ ص ٨٠)

وحكمة هذا الحكم ظاهرة، لانه لو لم يسد باب الخروج بتاتاً لا تسلم الحكومة الاسلامية من الخارجين والثائرين مهما كانت صالحة وحسنة، ومهما كان صاحبها أهلا وجامعاً للشروط، اذ كل ذي عصبية يدعي لنفسه الحق والفضيلة أكثر منه والناس لا يستطيعون التفاضل بينهما فيتفرقون حزبين حزب مع هذا وحزب مع ذاك، ثم يخوضون غمار حروب لا تنتهي أبداً فوجب أن يمنع الخروج منعاً تاماً، ويعاقب الخارج عقاباً شديداً ليكون عبرة لغيره، فقتل نفس واحدة خير من قتل الالوف، وقد أشير الى هذه الحكمة في الحديث «يريد أن يشق عصاكم» —

وقد وردت في هذا الباب أحاديث كثيرة من يرد الاطلاع عليها فليراجع كتب الصحاح —

﴿ فصل ﴾

(اجماع الامة وجمهور الفقهاء)

قد قامت حكومة أمراء بني أمية على القهر والاستبداد في زمن كان أصحاب النبي (ص) وأئمة أهل بيته موجودين فيه بكثرة زائدة، ثم تلتها الخلافة العباسية وظلت خمسة قرون. وفي عصرها دونت العلوم الشرعية، وألفت الكتب الدينية، ووجدت أئمة المذاهب، بيد أنه لم يختلف طول هذا الزمن أحد من الصحابة والعترة، والائمة والفقهاء في هذه المسئلة بل كلهم

(١) المسألة خلافية فيما ذكره وهو أعم مما ورد في الحديث

ولقد حررنا منها مااقتضاه المقام الآن وسنستوفي الباقي في كتاب عن ذكريات الحرب. واننا نراهن ونخاطر كل أحد يقصد الانكار أن يأتي بدليل واحد على كوننا اشتركنا أثناء الحرب بأذى أقل مخلوق من أبناء وطننا أيا كان في أي موضوع كان، بل نراهن ونخاطر كل من شاء أن يأتي بحجة تبطل دعوانا بما بذلناه من المساعدات وقدمنا من الخدمات (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

شكيب أرسلان

برلين في ٤ يناير سنة ١٩٢٢

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا ابو الكلام
محيي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

﴿ فصل ﴾

(اذا بويع الخليفتان فاقتلوا آخرهما)

أي اذا قامت خلافة خليفة وتمكنت حكومته في الارض فلا يجوز لاحد الخروج عليه، ومن يخرج يجب قتله ، لانه غادر وفتنة ومهلكة للهيئة الاجتماعية ، يريد أن يفرق بين المسلمين ويهدم النظام القائم (والفتنة أشد من القتل)[1]

(١) المنار : الفتنة المرادة من الآية هي ما كان من اكراه المشركين للمسلمين على الرجوع عن الاسلام بالتعذيب والنفي من الوطن فاللام فيها للعهد لا الجنس

وكان سيد التابعين سعيد بن المسيب يقول في بني مروان « يجيعون الناس ويشبعون الكلاب (تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٤٧) ويعاقب بأنواع من العذاب ولكن يطيعهم ولا ينكر خلافتهم (؟)

وقد قامت فتنة القول بخلق القرآن في عهد المامون والمعتصم ، وابتلي بها علماء السنة ابتلاء شديدا ، فجلد الامام احمد بن جنبل رضي الله عنه ثمانين جلدة وحبس في السجن سنين عديدة ، ولكن لا داهن المامون والمعتصم في بدعتهما ولا خرج عن طاعتهما بل كتب في وصيته « والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، ولا تخرج عليهم بالسيف ، ولا تقاتلهم في الفتنة » كذا نقل عنه ابن الجوزي في سيرته ـ

وقد نقل ابن حجر العسقلاني قولا لابن التين يخالف ماقلناه من الاجماع فقال وقد أجمعوا أنه (أي الخليفة) اذا دعا الى كفر أو بدعة أنه يقام عليه ثم رد عليه قائلا : ماأدعاه من الاجماع على القيام فيما اذا دعا الى البدعة مردود الا اذا حمل على بدعة تؤدي الى صريح الكفر والا فقد دعا المأمون والمعتصم والواثق الى بدعة القول بخلق القرآن ، وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الاهانة ، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك ، ودام الامر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة فابطل المحنة » (فتح ج ١٣ : ١٠٣)

والحقيقة التي لامراء فيها أن كل ماكان النبي (صلعم) أمر به من طاعة الخلفاء وما ينبغي أن يعاملوا به ، فسره السلف الصالح بعملهم الحق ، وقد علمت في الفصول الماضية الاحاديث التي تبين أدوار الخلافة الاسلامية وما لكل دور من الاحكام ، فدور الخلافة الراشدة كان دور رحمة واسعة للامة ، وأما دور الملك العضوض فكانت خصائصه المتضادة ، وأحواله المتناقضة ، ابتلاء عظيما لها ، فكان ذا وجهين مختلفين اجتمع فيه البياض والسواد ، والنور والظلمة ، والحق والباطل ، ويستلزم الحب والبغض ، والترك والطلب والقطع والوصل والطاعة والخلاف ـ وطولبت الامة بالقيام بكل منهما في وقته ومحله فتطيع هؤلاء الملوك وتسمع لهم لانهم أولياء الامور والقائمون بالحكومة الاسلامية ، فلا تخرج عليهم ولا تقوم في وجههم ، ونهيت من جهة اخرى أن تتبعهم وتقتدي بهم لان أعمالهم لاتكون مرضية ، فتطيعهم ولكن لاتستن بسنتهم ، وإن دعوا

أجمعوا على قول واحد ، وعمل واحد ، ولعله لايوجد بعد العقائد الاساسية وأركان الاسلام الاربعة إجماع على شيء غير هذا —

فعمل الصحابة معلوم ومشهور كان مروان بن الحكم والياً على المدينة وأبو هريرة صحابي رسول الله (ص) مؤذناً في المسجد النبوي وكان مروان يستعجل في الصلاة الى درجة لايقول «التأمين» استثقالا ، ولا يقف بعد الفاتحة وقفة ليقوله المأمومون بل يسرع ويبدأ بعد أم الكتاب بسورة أخرى ، مع أن فضل التأمين ثابت في السنة كما في حديث « فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه » (بخاري) ولكن مع هذا لم يتخلف أبو هريرة عن الصلاة ورائه ولم يخرج من طاعته — الا أنه كان يأخذ عليه العهد فيقول « لاتفتني بآمين »(١)

وكذلك كان الناس في عهد بني أمية يكرهون سماع خطبهم الخرافية ، فكانوا يتفرقون بعد صلاة العيد ولا ينتظرون الخطبة فأراد مروان أن يخطب قبل الصلاة ليضطر الناس الى سماعها — فقام رجل في وجهه وأنكر عليه عمله فروى اذ ذاك ابو سعيد الخدري رضي الله عنه حديثه « من رأى منكم منكراً فليغيره الخ(٢)

وهكذا كان أمراء بني أمية يخالفون صريح السنة كل يوم ، وينكر عليهم الصحابة بكل جرأة وشجاعة ، ولا يتركون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن مع كل هذا لا ينزعون اليد عن طاعتهم ولا يخرجون عليهم ، ولا ينكرون خلافتهم لاجل أن خالفوا النظام الشرعي وتسلطوا على الخلافة بغير حق وحادوا عن الصراط السوي

---

(١) استدل على دعوى الاجماع بسكوت الافراد وسكوتهم ومن الضروري أن الفرد لا يقاوم الدولة لعجزه وقد روى البخاري وغيره أن أبا هريرة كان يكني و يعرض بما سمع من النبي (ص) في افساد أغيلمة من قريش لأمر هذه الامة — وهم هم — و يقول انه لو صرح لقطع بلعومه ولا شك في أنه لو كان له قوة من الامة لاسقط بها امارتهم كما فعل المسلمون بعد ذلك عندما أسسوا العصبية والمراد أن المسلمين لم يجمعوا على الخضوع لاهل الجور والباطل وتقدم نقل الخلاف في حاشية سابقة

و (٢) المنار : تتمة الحديث — « بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ذلك أضعف الايمان »

تحملوا كل ذلك ولم يخرجوا عن الطاعة قيد شبر، بل اذا حرضهم أحد على العصيان قالوا « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة ونحن بايعناهم »

هكذا كانت حالهم في الطاعة ، أما التمسك بالحق والامر بالمعروف والعمل بالسنة فكانوا فيه كالجبال راسخين ، فلم يهابوا سيف عبدالملك ولا قهر الحجاج ولا تنمر المأمون والمعتصم ، فاذا نطقوا نطقوا بالحق ، واذا عملوا عملوا بالحق ، ولم يكن في قلبهم سعة لشيء الا لكتاب الله وسنة رسول الله ، فهم عملوا بكل دقة على أمر « تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » (مسلم) وعلى أمر « فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وأمر «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (مسلم)

وحسبنا محنة الامام احمد بن حنبل عبرة ، فقد كان يجلد ظهره تسعة رجال والمعتصم واقف على رأسه ينظر الى دمه الطاهر الذي يفور من جسمه فوراً ويأمره بأن يقول كلمة في القرآن ماقالها الله ولا رسوله ولا أمر بها ، فكان يتحمل كل هذا العقاب الشديد ولكن لايفوه بشيء الا قوله « أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله حتى أقول ! » (١)

---

(١) المنار : قد سدد الكاتب في آخر هذا الفصل وقارب ، ولا شك في أن عمل علماء الصدر الاول من الصحابة والتابعين وعلماء الامصار كالامام أحمد خير قدوة في كل محنة ـ ولا شك في أن أفراد الامة لا يجوز لهم الخروج على أمرائهم وان ظلموا ، ولا يجوز لهم طاعتهم في معصية الله الا من أكره بالتعذيب أو القتل على الشيء وحكمه وشروطه معروفة وأما جماعة أهل الحل والعقد من زعماء الامة الذين لا تنعقد الخلافة الا ببيعتهم ويتقيد الخليفة بمشورتهم فحكمهم غير حكم الأفراد ـ هؤلاء هم الجماعة يمثلون الامة صاحبة السلطة في الاجماع الواجب الاتباع الذين عناهم الخليفة الاول بقوله في خطبته الاولى بعد البيعة : فاذا استقمت فاعينوني واذا زغت فقوموني . فعليهم أن يقوموا الخليفة فان لم يستقم بتقويمهم خلعوه وولوا غيره . فاذا غلبهم المستبد المتغلب على أمرهم أو فقدوا من الامة شدة الجور والقهر فقد زالت الجماعة وصار أمر الافراد أمر ضرورة والضرورة تقدر بقدرها ، ويجب السعي الدائم لازالتها

الى المنكر ردت دعوتهم، وخالفتهم في ذلك باليد واللسان والقلب ولا تزيغ عن الحق ابتغاء لمرضاتهم -

فما أصعب هذا المقام! ولعمري إن الانسان ليزل قدمه دون أن يبلغ هذا ، فكيف السبيل الى القيام فيه ؟ لان الانسان طوع عواطفه فلا يستطيع أن يجمع بين عاطفتين متناقضتين، فانه إما أن يحب ويطيع واما أن يبغض ويعصي ، فمن يحسبه أهلا لحبه وطاعته يحلو منه كل شيء في عينه فيطيعه بكل قلبه ولا يعصى له أمرا، ومن يبغضه يبغضه بكل قلبه فلا يطيعه البتة. نعم لا سبيل الى النجاح الا أن يدركه الله بتوفيقه ، فيجعل كل عاطفة في محلها ، ولا يدع بعضها يغلب بعضها الآخر فيهلك ويضل ضلالا بعيداً - لانه لو تجاوز الحد في الطاعة دخل في الاقتداء والتأسي الذي يجر الى الغلو في الباطل والانحراف عن الحق، ثم انه لو تصلب في المخالفة وغلا في الامر بالمعروف خشي عليه الخروج من الطاعة ومن ثم الولوج في الحروب وقتل النفوس والفوضى ، وهذه هي علة تلك الفتن التي لا تزال تنزل بهذه الامة من ثلاثة عشر قرنا، لان الناس لا يستطيعون التوازن بين العواطف، فكم من أناس غلوا في التمسك بالحق والامر بالمعروف فخرجوا على السلاطين والخلفاء ، وأضعفوا بعملهم هذا الخلافة والامة معا، وكم مثلهم من غلوا في الطاعة فجعلوا الحق باطلا ، والباطل حقا ، مداراة للامراء والملوك فافسدوا بذلك نظام الامة

ولقد ابيضت عين الدهر ولم تر أمة سارت على مثل هذا الطريق الاجتماعي المحفوف بالمصائب والمصاعب سالمة آمنة الا الامة الاسلامية ، فانها ولا شك سارت عليه بكل فوز ونجاح وسلامة، مراعية كل جوانبه، متجنبة جميع مزالقه، فعملت في آن واحد عملين متناقضين فأطاعت الخليفة وخالفته ، أطاعت فيما تجب فيه طاعته، وخالفت فيما تجب فيه مخالفته، وقد شرحت بعملها مسئلة «الاقتداء والطاعة» والفرق بينهما بكل وضاحة تحير منها علماء الاخلاق اذ لم يكونوا وفقوا الى حلها من قبل -

وأي طاعة للحكومة القومية تكون أكمل من طاعة الصحابة والتابعين للامراء الجائرين المستبدين من بني امية، ثم من بعدهم من طاعة علماء السلف لدعاة البدعة من الخلفاء العباسين ؟ فقد عذبوا بأنواع من الظلم والعسف ، وحبسوا في السجون ، وقتلوا واذوا بكل ما كان يمكن أن يؤذوا به ولكنهم

ابتداء منه طولا ورحمة لا بسابق عمل ولا سعي وهذا غير التضعيف الذي نواته صالح الاعمال، كما أنه ليس فيها ما يمنع أن يفوز المؤمن بشفاعة من يأذن له بالشفاعة ثوابا ودرجات وأن ينال بسبب دعاء من يقبل الله دعاءه مالم يسع فيه أو يخطر له ببال، وكذلك ليس فيها أنه لا يصل اليه من الثواب ما يهديه اليه اخوانه من عمل صالح مقبول

والشبهة الثانية ان اعمال المكلف ليست من ممتلكاته كعروض التجارة الخ

والجواب عليها اننا نعلم أن ثواب الاعمال الصالحة لا يجري مجرى عروض التجارة ولكنه مع ذلك قابل للانتقال من شخص الى آخر فينتفع به غير عامله أي ماخلا ما استثنيناه آنفا — كما ورد من أخذ حسنات الظالم واعطائها للمظلوم وأخذ سيئات المظلوم ووضعها على الظالم وهل هذا الا من التصرف. وأما دليلنا فيما استثنيناه فهو أننا لم نطلع على نص يفيد سلب ايمان أحد ليعطى لآخر فيدخل هذا في النار وذاك في الجنة بخلاف ثواب الاعمال وعقابها. وأما مطلق المنع فعليه فيما أفهم شمة من قول الوعيدية

ويوضح ما رجحناه من جواز الهبة وانتفاع المكلف بعمل غيره آية الالحاق (ألحقنا بهم ذرياتهم) والاحاديث الواردة في ذلك المعنى وفي بعضها «كنت أعمل لي ولهم» واذا صح أن ينتفع الشخص بعمل قريبه من أصل أو فرع صح أن ينتفع بما وهب له فذاك كالميراث وهذا هو الهدية أو الهبة أو الصدقة أو الصلة أو ما شئت. جعلنا الله ممن غمره جود جوده في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه. وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله اه

[المنار] إننا بسطنا أدلة ماقررناه في هذه المسألة وبينا بالبراهين الصريحة من القرآن أن من أصول دين الله تعالى على ألسنة جميع رسله (أن لاتزر وازرة وزر اخرى وأن ليس للانسان الا ماسعى) وأن أصل الاديان الوثنية التي سرت عدواها الى كثير من أهل الكتب السماوية هي أن المجرمين انما ينجون بعمل الصالحين أو بجاههم لا بأعمال أنفسهم. وبينا ان الله تعالى ألحق بالمؤمنين ذريتهم، وأنه شرع للمؤمنين أن يدعو بعضهم لبعض، وان النبي (ص) اذن لبعض الاولاد بناء على الحاق الله اياهم بوالديهم ان يقضوا عنهم بعض حقوقه تعالى عليهم الخ فما قررناه مبني على الاخذ بصريح النصوص الثابتة في الكتاب والسنة مع مراعاة

باب الانتقاد على المنار

﴿ مسألة ثواب القراءة للموتى ﴾

أرسل الينا صديقنا الرحالة الجليل السيد محمد بن عقيل من (المكلا) ما يأتي بغير امضاء :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب في المنار في الصحيفة ٨١ وما بعدها من ج ٢ م ٢٣ لسنة ١٤٣٠ مقالة مطولة في عدم وصول ثواب قراءة أحد من الناس الى شخص آخر مطلقا وكثير مما نقله غير صحيح فيما نرى

وقد عن لنا أن نرقم شيئا خطر بالبال عند قراءة ما جاء في المنار فنقول

أولا ان الاعمال ما لم تكن خالصة لله تعالى لا تقبل وما لا يقبل فلا ثواب فيه فقراءة المستأجر أو صاحب الوقف انما هي من باب طلب الدنيا بعمل الآخرة وهو مذموم فأي ثواب يهبه هذا المغرور

ثانيا بعض أعمال المكلف لا يمكن أن ينفك عنه ثوابها ولا يمكنه أن ينتفع بأمر آخر بدونها وذلك الايمان وأعني به المقدار الذي لا يخلد في النار من اتصف به وقريب من هذا ما تنصبغ به النفوس من آثار الاعمال

ثالثا يدور كلام المنار في منع الاهداء للثواب على شبهتين (أولاهما) ما فهموه غلطا من الحصر في نحو قوله تعالى : (وأن ليس للانسان الا ما سعى : لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ومن الاحاديث الواردة في هذا المعنى وهذا الحصر انما معناه قصر الاستحقاق على سبيل الوجوب فيما ذكر طبق العدل الالهي والامر في الدنيا هكذا أيضا لكل مكلف ربح عمله وعليه تبعته ولكن ليس في شيء من الادلة ما يمنع أن يتكرم الله سبحانه وتعالى بجود منه وفضل على عبد من عبيده

شيئاً والامر يومئذ لله) كما قاس عمل كل عامل على عمل الوالدين للاولاد الذين ألحقهم الله بهم وعد النبي (ص) عملهم من عملهم ، لانهم سبب وجودهم وما تبعه من أعمالهم. وكلاهما من القياس مع الفارق والفرق مثل الصبح ظاهر ، ولو صح ان القصاص يوم القيامة معارض الآية لم يكن حجة علينا لانه خارج عن محل النزاع ولاننا نحن نستثنى من عموم النصوص ما خصصها من كتاب أو سنة صحيحة بالشروط الثابتة في تخصيص العام من الاصول لا بالرأي وهوى النفس ، ولولا الشرع لكننا نهوى ان نقدر على نفع امواتنا وأن يقدر أحياؤنا على نفعنا بعد موتنا ، وهل عم هذه البدعة الا كونها موافقة للاهواء ؟ والصواب أنه لا تعارض وأن المقاصة في الآخرة كحكم الشرع في الغرامات في الدنيا فهو لا ينافي أن لكل إنسان ملكه ولا حق له في ملك غيره ، وانه لا يملك الا ما جعله الشرع مالكا له ولا يؤخذ منه باختياره و بغير اختياره الا ما أذن به الشرع . قال الامام المازري في حديث مسلم في المقاصة بالحسنات والسيئات الذي نقلناه في تفسير هذا الجزء : وزعم بعض المبتدعة ان هذا الحديث معارض لقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) وهذا الاعتراض غلط منه وجهالة بينة لانه انما عوقب بفعله ووزره وظلمه فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت اليهم من حسناته فلما فرغت و بقيت بقية قو بلت على حسب ما اقتضته حكمة الله تعالى في خلقه وعدله في عباده فأخذ قدرها من سيئات خصومه فعوقب به في النار فحقيقة العقوبة انما هي بسبب ظلمه ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه. وهذا كله مذهب اهل السنة والله اعلم . اه من شرح النووي على صحيح مسلم

﴿ انتقاد آخر في الموضوع ﴾

من صاحب الامضاء الرمزي في بيتن زورغ (جاوه) في ٢٣ شوال ١٣٤٠

حضرة الفاضل المحترم السيد محمد رشيد رضا حفظه الله

بعد السلام والتحية والاكرام اني اطلعت على ما ذكرتم في عدد ٨١ من المنار في مسئلة انتفاع اموات المسلمين بما يهدى لهم من ثواب قراءة او ذكر وذكرتم أن جواب ابن القيم عن هذه الحجة ضعيف جدا وأطلتم الكلام في

القاعدة المعروفة وهي ان أمور الآخرة لاتعلم الا من كلام الله وكلام رسوله وانه ليس للآراء العقلية حكم فيها ولا هي مما يعلم بالاقيسة الاجتهادية كمسائل البيع والاجارة ، فظنون المجتهدين لا مجال لها في عالم الغيب ولا في شيء من مسائل العقائد

وصاحب هذه الرسالة قد زعم ان كثيراً مما قلناه وما نقلناه غير صحيح . فاما النقل فلم يستطع اثبات زعمه في شيء منه البتة . وأما غيره فقد وافقنا فيه في أمور وانفرد بمسائل ليست من موضوع البحث كقوله ليس في النصوص ما يمنع أن يتكرم الله على عبد من عبيده الخ وهل يمكن لعبد أن يحجر على ربه أن يتكرم ؟ لا وليس لعبد أن يفتات على ربه بمحض رأيه أيضا فيخبر عنه بما لم يخبر سبحانه به عن نفسه في كتابه ولا على لسان رسوله أو يقيد ما أطلقه وهو يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم) ويقول في بيان أصول الجرائم والكفر (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)

وهو قد حصر ما زعمه من تخطئة المنار في شبهتين (احداهما) الاخذ بما فهمه المحققون من العلماء ــ كالامام الشافعي رحمه الله تعالى ــ من الحصر في آية النجم وما في معناها من الآيات والاحاديث ، وزعم ان هذا الفهم غلط قال وانما معناه قصر الاستحقاق على سبيل الوجوب الخ وهو تقييد لحصر مطلق لا دليل له عليه ، ولا سلف له فيه ، وهو في آيات كثيرة وردت في بيان الجزاء الذي يجب الايمان به كقوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) لا في بيان ما يجب عليه تعالى منه وما لا يجب ، والحق انه تعالى لا يجب عليه شيء الا ما أوجبه على نفسه ، أي اثبته وأكده في وحيه بمشيئته التي تتعارض مع حكمته . ومسألة الوجوب على الله تعالى عقلا يقول بها المعتزلة وينكرها أهل السنة

(والشبهة الثانية) التي زعمها مسألة جعل عبادات المؤمن كعروض التجارة يتصرف فيها وفي ثوابها المجهول في الآخرة فهو قد ادعى ان ثوابها قابل للانتقال وللعامل أن يتصرف فيه قبل أن يملكه بأن يهبه وهو في الدنيا أو يتصدق به . واستدل عليه بأخذ الله تعالى من حسنات الظالم للمظلوم دون أخذ إيمانه وجعله لغيره ، وهو استدلال باطل لانه قاس فيه تصرف العبد في الدنيا بما لم يملكه ولا يعلمه من أمر الغيب على تصرف الرب في الآخرة (يوم لا تملك نفس لنفس

الاحكام الخمسة ، والبدعة اللغوية لا تكون الا ضلالة — ابن حجر المكي الهيتمي في ص ٢٠٦ من الفتاوى الحديثية المطبوعة بمصر. ولو ابيح للناس ان يزيدوا في العبادات لضاع الاسلام كما ضاعت اديان الرسل السابقين بتصرف اتباعهم فيها. وكل هذه المسائل مبينة في مواضع كثيرة من المنار بدلائلها التفصيلية ويمكنكم مراجعتها مستدلين عليها بالفهارس

ثم اعلم ايها الاخ ان عمل الناس بغير المشروع وسكوتهم على انكار المنكر لا يغير حكم الله في ذلك ولعلكم رأيتم ما حققه في هذه المسألة السيد محمد اسماعيل الامير في رسالته (تطهير الاعتقاد) التي نشرناها في الاجزاء الاخيرة وهو أن الناس يعملون منكرات كثيرة مجمع على تحريمها وقد صارت فاشية في جميع بلاد الاسلام . ولكن الامة لا تجمع على السكوت على المنكر ولهذا تجدون في كل عصر من ينكر كل بدعة تحدث . وقد نقلنا عن العلماء انكار هذه البدعة ومن لم ينكرها اجتهادا فهو معذور

تعزيتان

جاءتنا كتب و برقيات كثيرة في التعزية عن شقيقنا السيد صالح من هذا القطر ومن أقطار أخرى ـ فرأينا أن ننشر كتابين منها لكاتبين في الذروة من خواص أدبائنا، والصفوة من أصدقائنا، لما فيهما من رثاء فقيدنا، و بيان بعض مكانته عندهم وعندنا؛ الاول من ملك دولة البيان، الامير شكيب أرسلان، والثاني من أبي حنيفة العصر؛ ورب النظم والنثر، الاستاذ الشيخ اسماعيل الحافظ الطرابلسي وهو أعز أخلاء الفقيد

﴿ الكتاب الاول ﴾

رومة ١١ يونيو ١٩٢٢

سيدي الاخ الاستاذ

أنت تعلم أن أقل حادث يسؤك ويكدر صفو خاطرك يسؤني جدا، ويحملني ادًّا، فكيف اذا كان رزءا عظيما كالذي رزئته، وخطباً فادحاً كالذي تحملت وقره، وكانت الفجيعة بالاخ الخطير، والصنو الجليل ، والركن الذى كان يعتمد عليه البيت الرضوى الاصيل، لا جرم اني اشاطرك بأوفر سهم من وقع ذلك السهم الاليم ، واكرع معك مرارة تلك الكاس وما يكرع معك الحميم الا الحميم ، لقد كنت منذ مدة أعجب لا نقطاع كتبك عني ولا أقدر لذلك سبباً سوى

ذلك وهذا الشيء معمول به في سائر الاقطار الاسلامية بل يؤجرون على ذلك لمن يقرأ القرآن على الختمة شيء معلوم (كذا) وعلى التهليل من جاب ٧٠ الف مرة فله كذا وكذا ويهدي ذلك الى أرواح الاموات ولا أحد يعترض عليهم في ذلك لان وصول ثوابه الى الاموات وعدم وصوله وقبوله عند الله تعالى من الامور الغيبية التي لا يعلمها الا الله وأنتم تقولون إنه لا يصل اليهم ثواب القراءة والذكر فمن أطلعكم على ذلك وفضل الله واسع والظن بالله جميل ومع ذلك انكم خطأتم ابن القيم واكثرتم الادلة والتأويلات في هذه المسئلة ولو فرضنا انها بدعة كما ذكرتم فهي من البدع الحسنة وليس يأثم من قرأ القرآن والذكر واهدى ثوابه للاموات بل يثاب وليس هي من البدع المضرة في الدين وقد ورد في الخبر «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» أو ما هذا معناه . وقال الامام الشافعي رحمه الله البدع بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة وتنقسم البدع الى خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة وهذه المسألة ترجع الى أي قسم من هذه الاقسام أفيدوني وأجركم على الله وأرجو أن تنشروا جوابكم في المنار على ما ذكر ا . ح . ب . ر

(المنار) اعلم أيها الاخ المستفهم أن أصول دين الله تعالى وفروعه مبنية على أساسين (أحدهما) ان لا يعبد الا الله تعالى (ثانيهما) ان لا يعبد الا بما شرعه . ونحن قد بنينا على هذا الاصل ولم نتجرأ على عالم الغيب ، وانما وقفنا عند النصوص فعبادات الدين لا تثبت الا بنص من كتاب الله تعالى او سنة رسوله (ص) وليس لاحد ان يزيد فيها برأيه شيئا فان الله تعالى قد اكمل دينه على لسان رسوله بنص الآية المشهورة . وكل بدعة في الدين فهي ضلالة بنص الحديث الصحيح ، واجماع علماء الامة ، واما البدعة التي قالوا انها تكون حسنة وسيئة المشار اليها بحديث «من سن سنة حسنة» فهي في المستحدثات الدنيوية فالحسن منها هو النافع كبناء القناطر والمدارس والمستشفيات وتدوين العلوم والصناعات والحرف ، والقبيح منها هو الضار في الدين أو الدنيا ، والحسن يكون واجبا أو مستحبا ، والقبيح يكون حراماً اومكروهاً ، وما ليس من هذا ولا ذاك فهو المباح كمستحدثات الزينة غير المحرمة والطيبات من الرزق . وهذه انما تسمي بدعا في اللغة لا في عرف الشرع وممن صرح بأن البدعة اللغوية هي التي تعتريها

غير مرة، وسألته عن ورود كتاب من قبلكم، ولم أستطع أن أخرج في السؤال عن هذا الحد خشية أن أسمع من الجواب ما ينقلني من أعراف الشك الى جحيم ذلك اليقين ، وهو حرسه الله لم يشأ أن يزيدني مما عنده اشفاقا علي، وتفاديا من مبادهتي بوقوع ذلك الخطب الجليل ، ولكن لم يلبث ذلك الشك والهف نفسي أن صار يقيناً محرقاً، أو سهماً مصمياً

الشك أبرد للحشى من مثله يا ليت شكي فيه دام وطالا

وهنالك عالجت من الاحزان الفادحة مالو كان بالروض الاريض لاذواه، أو بالصخر الاصم، لابلاه وعلمت كيف يسطو الكمد على الاكباد فيذيبها، وكيف يحيط الجزع بالانفس فيحول بينها و بين الصبر حتى لاتهتدي اليه سبيلا، ولا تجد عليه دليلا، ولعمري إن الرزء بالفقيد العزيز فقيد الفضيلة والادب ،فقيد الشرف والحسب ، فقيد الصدق والوفاء ، فقيد الشمم والاباء، ليس مما يستطاع الصبر عليه، أو يتسرب السلوان اليه، وليس مما تخفف الايام آلامه عندي، أو تكاد تعفى آثاره من نفسي ، بل هو ألم الدهر ، وحزن الابد ، وكيف أجد سلوا عمن لا أجد الفضائل اجتمعت في شخص اجتماعها فيه ، بل كيف أجد سلوا عمن لو نعيت له لقضى عمره حسرات ، وأفاض من شؤونه عبرات وأي عبرات، فوالهف نفس ولهف الوفاء والمروءة عليه، وياطول حزني وحزن الكرم، ومحاسن الشيم ،ويا ما أحوجني عند هذه الملمة الفادحة أن تعيرني أيها السيد الكريم جانبا من ثباتك،وذروا من صبرك وأناتك، وأن ترفدني بحكمتك العالية أحسن الله اليك العزاء ، وأحسن ذلك لسيدتي والدتكم المحترمة ولنجل الفقيد النجيب السيد محيي الدين حرسه الله تعالى وأورثه فضائل والده، وأحسن ذلك لشقيقه السيد حسن ولشقيقته الفاضلة السيدة حفصة ولكافة الاسرة الكريمة وألهمنا جميعا الصبر على فراقه وأسكنه فراديس الجنان ، بين روح وريحان ، وجنات ذات أفنان ، وأطال الله تعالى بقاءكم والسلام عليكم وعلى من اليكم ورحمة الله وبركاته؟

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

العراق ومصر

ان بين مصر والعراق شبهاً في مطالب أهلهما وفيما تبغيه السياسة البريطانية

عدواء الاشغال ، فاذا به عدوان الدهر ، ومصائب الايام، واذا بي أقرأ خبراً عرفت منه سبب انقطاع اخبارك ، واحتباس آثارك ، الا وهو انتقال المرحوم السيد صالح الى جوار ربه ، فنزل علي ذلك النعي الفجائي نزول الصواعق ، وان كنت اعلم ان الدنيا كلها ان هي الا مجال لغراب البين الناعق، وتخيلت لهذا حزنك وارتماضك لهذا المصاب، بما انت عليه من رقة الشعور وفرط الحنان، وشفوف شغاف الجنان ، وبمكان الاخ الراحل بذاته من الفضل والنبل ، وانه الذي يؤسف على مثله لذاته وصفاته ، قبل علاقاته ومضافاته، فلا حول ولا قوة الا بالله، انا لله وانا اليه راجعون، ليس لنا الا التأمل فى زوال الدنيا وانها دار قلعة، وان هذا اليوم لابد منه ان لم يكن اليوم فغداً، فالخلائق كلها موتى منذ الآن من ليس بميت فعلا فهو ميت حكما، وقافلة واحدة منها واصل ومنها من هو على أهبة الوصول، وكلاهما بالغ امده جزما، اذاً ليس للمتخلف منا أن تذهب نفسه حسرات على أمر كلنا بالغه ، وفراق كلنا وارده، بل قد يكون السابق منا أسعد حالا بمغادرة حياة هي اشبه بالممات، وبغمض عين هو عين اليقظة وان كان يظن انه سبات، فضلا عما هنالك من فضيلة الصبر التي مثل الاستاذ السيد من تحلى بحليتها ، واشتمل بحلتها ، لا بل من حث تلاميذه الكثيرين ومريديه العديدين على التمسك بسنتها ، نسأل الله ان يحسن مثوى العزيز الراحل ويكرم نزله ، ويبلغه من سعادة المنقلب امله، وان يجعل في السيد الرشيد العزاء، ويطيل عمره لهذه الامة ويجزل ثوابه، ومني واجب التعزية لحضرة السيدة الوالدة أجزل الله أجرها ، وجبر قلبها والى حضرة السيد عاصم والسيد محيي الدين واطال المولى بقاءكم جميعاً

الكتاب الثاني

سيدى الاخ الرشيد اعظم له ولي الاجر، والهمني واياه الصبر، على فواجع الدهر بلغني الخبر الذي صدع القلب وقعه، واصم الآذان سمعه، وضاعف الاحزان، التي ما زالت تلدها احداث هذا الزمان ، ولو وصل الي يقينه دفعة لاصماني الكمد، ولما بقي لي هذا الذماء القليل من الجلد، ولكنني سمعته لاول الامر ممن لا يتثبت في حديثه فرجحت أنه غلط عن المرض الحنجري الذي كان ألم بالفقيد العزيز عوضه الله الجنة — أو طاب لنفس أن ترجح ذلك ضنا منها بتلك الحياة الثمينة ، وبقيت في حالة الشك مدة لقيت فيها السيد ابراهيم أدهم

التاجر والقومسيونجي بمصر بأول شارع محمد علي بشارع الترجمان منزل نمرة ١٠ صندوق بوسته نمرة ١٥٢٦

وكيل فابريكات ألمانية وفرنساوية

مصدر ومورد جميع أصناف البضايع على اختلاف أنواعها والآلات الميكانيكية الكبيرة لغاية الدبوس والابرة الصغيرة والحدايد ولوازم الورش جميعها ولوازم الجزمجية والحدايد والنجارين وأدوات منزلية ومكتبية وموسيقة ولعب وفونوغرافات وأتوموبيلات وموتوسيكلات وبسيكلتات وساعات وجميع أصناف الخردوات وأقمشة وروايح عطرية ولوازم الزينة للسيدات ويوجد بمحله بضايع حاضرة بأرخص الاسعار وبأثمان الفابريكات وهو مستعد لتلبية الطلبات لجميع جهات القطر المصري والشام والسودان والخارج بكل سرعة واعتناء ومشترى ومبيع جميع الاصناف المحلية والخارجية لحساب أربابها بالعمولة

بعض وكلاء المنار

الولايات المتحدة — الشيخ حسين حسن خروب

H . H . Karoub.
29 1/2 la Belle Ave .
H . P . Detroit Mich . u . s . a

الارجنتين	عبد الكريم افندي عكرة
طنطا — مصر	الشيخ محمد الابياري السروي
الوجه القبلي	الشيخ عبد الرزاق حمزة
دمياط	الشيخ محمد محمد السمان
بغداد —	محمود أفندي حلمي

منهما ، فأما الاهالي في القطرين فيطلبون لانفسهما الحرية القومية والاستقلال السياسي والاقتصادي والاداري ولا يأبون في حال مواتاة الدولة البريطانية لهم على ذلك أن يتخذوها صديقة ويفضلونها وشعبها على سائر الدول والشعوب بمنافع عظيمة مضمونة ، وكل منهما قد ثار على السلطة البريطانية بحسب حاله — فثورة مصر كانت سياسية اجتماعية، وثورة العراق كانت حربية ، وقد قاومت السلطة البريطانية العسكرية كلا منهما بغاية القسوة والشدة فكانت الخاسرة

ثم اضطرت بعد ذلك الى سلوك سبيل اللين بأن تسمح لكل من القطرين بأن يكون ذا دولة مستقلة في المظهر لها ملك ووزارة مسؤولة ومجلس شورى منتخب ودستور بشرط أن تقرر هذه الهيئات كلها وتضمن للدولة البريطانية كل ما تطلبه من الحقوق والمنافع في البلاد وتكون تحت رحمة جيش بريطاني محتل في قلب البلاد أو بعض أطرافها يمكنه في كل وقت تنفيذ ما عسى أن تأمر به دولته من التغيير والتبديل ومن سلب السلطة الوطنية ماترى سلبه منها بالحجج التي تقيمها هي على أن لها الحق في ذلك . وهذه الحجج قد صارت معروفة الانواع كدعوى ظهور عجز الاهالي عن القيام بشؤون بلادهم بغير مساعدة أجنبي ، ودعوى ظلمهم للاقليات الدينية والجنسية ،

وهذه التجربة لم تنجح في العراق فقد علم أن الرأي العام فيها كاره للانتداب رافض له وكثر الحديث في عقد معاهدة بين الحكومتين لا يذكر فيها الانتداب يضمن فيها للدولة البريطانية كل ماتبغيه باسمه من سلطة ومنفعة، وقد قيل مراراً ان المعاهدة قد وضعت وان الحكومة العراقية المؤقتة لم تقبلها، فلم تتفق مع المندوب البريطاني السامي على انتخاب الجمعية الوطنية التي يشترط أن تقررها وهو لا يسمح بانتخابها الا بعد الاتفاق مع الملك فيصل ووزرائه على المعاهدة وعلى كفالة ايجاد جمعية وطنية ترضاها وتقررها ، ولم تضمن له الحكومة ذلك

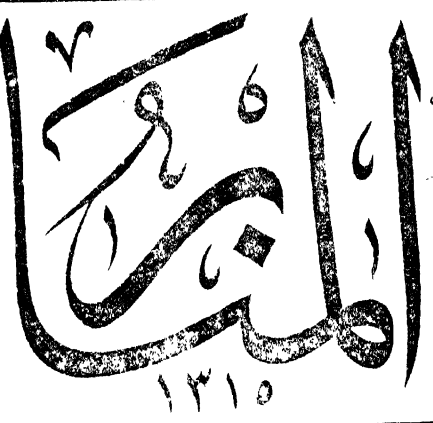
وقد ظهر بهذا أن الرأي العراقي العام — وكذا الخاص — لا يهتم بالالفاظ والمظاهر دون الحقائق كما يزعم الانجليز في الشرقيين اذ قالوا في المصريين انهم ينفرون من كلمة الحماية لا من معناها، والامر المهم الذي نريد أن نذكر اخواننا العراقيين به هو أن الحقوق التي تعطيها العراق للانكليز اذا كانت مخلة بالاستقلال التام المطلق فتقييدها بالانتداب أقل خطراً عليها من جعلها مطلقة لا يحاسب الانكليز عليها محاسب ، ولا ينازعهم فيها منازع .

﴿ الجزء الثامن ﴾ ١٣٤٠ ﴿ المجلد الثالث والعشرون ﴾

تنبيه

يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم

ويجب الدفع سلفاً



قيمة الاشتراك

عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهباً في مصر و ٢٥ شلناً في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة أو عن نصف سنة

سنة المجلة عشرة اجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

﴿ عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر » ﴾

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ الناس في عماية عن النافع، وفي انكباب على الضار، فلا تعجب اذا ﴾
﴿ لم يسرعوا بالاشتراك في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى ﴾
﴿ تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر، ﴾
﴿ ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا، والفقراء لا يستطيعون الى البذل ﴾
﴿ سبيلا، ولكن ذلك لا يضعف الامل، في نجاح العمل ﴾

مستحضرات محمد علي نصوحي

التي حازت الشهرة التامة لحسن تاثيرها السريع في جميع أنحاء العالم المتنور ونالت النياشين والمداليات الذهبية والفضية من الدولة العلية ومن معارض دول أوربا

غرش صاغ — أسماء و بيان استعمال هذه الادوية الموضحة أدناه

١٥ اكسير نصوحي لتقوية المعدة وفقر الدم ومزيل الانتفاخ والآلام ومنظم الحيض

١٢ حبوب نصوحي لتقوية المعدة والاعصاب والدم ويقوي الجسم عموما

١٢ ماء الحياة للشعر يمنع سقوطه تاكيدا ويقوي البصيلات الشعرية بمسافة قليلة

١٢ روماتيزمول دهان شافي لجميع الامراض الروماتيزمية الحديثة والمزمنة

١٢ شراب يودونتيك فوسفاتية لتقوية الاطفال اللنفاويين ولين العظام ومنقي للدم ومزيل العقد الخنازيرية ويقوم مقام زيت الحوت

١٢ ماء الشباب يزيل الكلف والتشقف ويكسب الجسم نعومة ولطافة

١٥ زيت الحياة للشعر يطول ويطري الشعر ويمنع سقوطه وتقصيفه

١٢ اكسير العشبة المركب المنقي للدم والشافي للامراض الزهرية وأنواع الربوا

٨ حقنة نصوحي خاصة لمنع السيلان الحديث والمزمن بدون ألم

٧ البرشام المعدي لتصليح المعدة وازالة الحموضة ومرارة الفم الناشئة من سوء الهضم

١٠ خلاصة الكينا المركبة لتقوية المعدة والامعاء وتمنع الآلام التي تحصل في الظهر أو في فم المعدة خصوصا عند القيام من النوم

٨ نقط نصوحي للوقاية من الكوليرا ومكروباتها وتصليح المعدة ولمنع البواسير

٥ حبوب ملينة ضد الامساك الذي يتولد من سوء الهضم وانتفاخ البطن

١٠ أودنتين دواء للاسنان يمنع التسوس ويسكن الآلام حالا بسرعة عجيبة ومطهراً للأسنان والفم

٨ حبوب صدرية لازالة السعال وخروج البلغم بسهولة من الصدر بغير تعب

٥ مسحوق للشعر يزيله في مسافة أربع دقائق بغاية السهولة ويظهر محله ناعما

١٠ القطرة الهندية خاصة لازالة الحبيبات واللحمية الحديثة والمزمنة

٥ مسحوق الصفا لاجل جلاء الاسنان وتقوية اللثة وحفظهما ويشفي الحفر معطرا للفم

٥ قطرة نصوحي لازالة الالتهابات المزمنة والحديثة والرمد الحبيبي والصديدي ويجلو البصر ويعيد قوتها الحقيقية

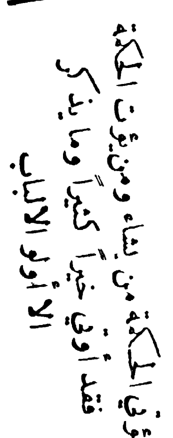
نشوق صحي ضد الزكام ويشفي للنوازل ومنعش للجسم :

مستودعه العمومي بمعمله الكيماوي باجزخانة نصوحي بميدان العتبة الخضراء بمصر

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥



— قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق —

٢٩ صفر سنة ١٣٤١ ـ ٢٦ الميزان (خ ١) سنة ١٣٠١ هش ٢٠ أكتوبر سنة ٩٢٢

«تنبيه» تأخر هذا الجزء ثلاثة أشهر

تفسير القرآن الحكيم

(٢٥) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ

(٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا . إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ . إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بعد أن قص الله تعالى على بني آدم قصة نشأتهم الاولى وماخلقوا مستعدين له من السعادة ونعيم الجنة، ومايصدهم عن ذلك من وسوسة الشيطان واغوائه

﴿ فهرس الجزء الثامن من المجلد الـ ٢٣ ﴾

وما في ذلك من أنواع الزينة والجمال اللائقة بجميع ذكران البشر واناثهم ، على اختلاف اسنانهم واحوالهم ، فهو يقول يابني آدم انا بما لنا من القدرة والنعمة والرحمة قد أنزلنا عليكم من علو سمائنا ، بتدبيرنا لاموركم من فوق عرشنا ، لباسا يواري سوآتكم وهو أدنى اللباس وأقله الذي يعد فاقده ذليلا مهينا — وريشا تتزينون به في مساجدكم ومجالسكم ومجامعكم ، وهو أعلاه وأكمله ، وبينهما لباس الحاجة وهو ما يقي الحر والبرد ، والامتنان به يؤخذ من الامتنان بما فوقه بطريق المفهوم من الاسلوب ، أو هو داخل فيه بطريق المنطوق على ما اخترنا آنفا

والمراد بانزال ماذكر أن الله تعالى خلق لبني آدم مادته من القطن والصوف والحرير وغيرها ، وعلمهم بما خلق لهم من الغرائز والقوى والاعضاء وسائل صنع اللباس منها كالزراعة والغزل والنسج والخياطة

وإن مننه تعالى بهذه الصناعات على أهل هذا العصر أضعاف مننه على المتقدمين من شعوب بني آدم فيجب أن يكون شكرهم له أعظم، فقد بلغ من اتقان صناعات اللباس أن عاهل المانية الاخير دخل مرة أحد معامل الثياب ليشاهد ماوصلت اليه من الاتقان فجزوا أمامه عند دخوله صوف بعض اكباش الغنم — ولما انتهى من التجوال في المعمل ومشاهدة أنواع العمل فيه وأراد الخروج قدموا له معطفا ليلبسه تذكارا لهذه الزيارة وأخبروه أنه صنع من الصوف الذي جزوه أمامه عند دخوله — فهم قد نظفوه في الآلات المنظفة فغزلوه بآلات الغزل فنسجوه بآلات النسج ففصلوه فخاطوه في تلك الفترة القصيرة ، فانتقل في ساعة أو ساعتين من ظهر الخروف الى ظهر الامبراطور

وامتنانه تعالى على بني آدم بلباس الزينة يدل على استحبابها ، ولا يعارضه قوله تعالى في أوائل سورة الكهف (١٧ : ٨ انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) وان فسر الحسن البصري احسان العمل بترك الدنيا وسفيان الثوري بالزهد فيها . ذلك بأن دين الاسلام هو دين الفطرة فليس فيه ما يخالف مقتضاها ويناقض غرائزها، بل هو مهذب ومكمل لها . وحب الزينة من أقوى غرائز البشر الدافعة لهم الى اظهار سنن الله في الخليقة وأنواع نعمه على عباده كما سنفصله في تفسير (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده)

رتب عليها هذه النصائح الهادية لهم الى أقوم طرق تربيتهم لانفسهم كما قلنا في بيان تناسب الآيات في أول ذلك السياق — فقال

﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ﴾ الريش لباس الحاجة والزينة مستعار من ريش الطائر وليس في اجناس الحيوان كالطير في كثرة انواع ريشها وجمال مناظرها، وتعدد ألوانها. فهي جامعة لجميع المنافع والزينة، ومنها ماهو اجمل من جميع مافي الطبيعة ، وقرأ ابو زيد عن المفضل (ورياشا) وهو مروي عن زر بن حبيش والحسن البصري ، وفيه حديث مرفوع قال ابن جرير في اسناده نظر ، قيل: الرياش جمع ريش، فهو كشعب وشعاب وذئب وذئاب ، وقال الجوهري الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس ، وهو اللباس الفاخر . وقال ابن السكيت : الرياش مختص بالثياب والاثاث ، والريش قد يطلق على سائر الاموال . وقال ابن جرير : ويحتمل ان يكون اراد به مصدرا من قول القائل راشه الله يريشه رياشا وريشا كما يقال لبسه يلبسه لباسا ولبسا بكسر اللام) (ثم قال) والرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يحشى من فراش او دثار ، والريش انما هو المتاع والاموال عندهم، وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال ، يقولون اعطاه رحلا بريشه — أي بكسوته وجهازه. ويقولون انه لحسن ريش الثياب. وقد يستعمل الرياش في الخصب ورفاهة العيش . ثم نقل عن بعض مفسري السلف مايؤيد هذه الاقوال ، فمن ابن عباس ومجاهد والسدي وعروة بن الزبير ان الريش المال، وعن آخرين أنه المعاش اوالجمال ، والمختار عندنا من هذه الاقوال انه لباس الحاجة والزينة معا بدليل اقترانه بلباس الستر الذي يواري العورات ولباس التقوى

خاطب الله تعالى بني آدم في هذه الآية وامثالها بالنداء الذي يخاطب به البعيد لما كان عليه عربهم وعجمهم عند نزول هذه السورة في مكة من البعد عن الفطرة السليمة، والشرعة القويمة، تنبيها للاذهان ، بما يقرع الآذان، فامتن عليهم — بعد ان أنبأهم بما كان من عري سلفهم الاول — بما انعم به عليهم من اللباس على اختلاف درجاته وانواعه من الادنى الذي يستر السوأة عن اعين الناس الى أنواع الحلل التي تشبه ريش الطير في وقاية البدن من الحر والبرد بستر جميع البدن

وفي الحقيقة والمجاز . والامر أوسع فيما يسمونه عموم المجاز . وأضعف الاقوال في لباس التقوى انه لباس النسك والتواضع كدروع الصوف ومرقعاته التى ابتدعها بعض العباد والمتصوفة، وانما هي شر لاخير لانها لباس شهوة مذمومة، وكذا القول بأنه الحسن من الثياب فان هذا هو الريش

﴿ ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ اي ذلك الذي ذكر من نعم الله بانزال انواع الملابس الصورية والمعنوية من آيات الله تعالى ودلائل احسانه الى بني آدم وكثرة نعمه عليهم ، التي من شأنها ان تمدهم لتذكر فضله ومننه والقيام بما يجب عليهم من شكرها ، واتقاء فتنة الشيطان لهم بابداء العورات تارة وبالاسراف في الزينة تارة اخرى . وسيأتي ما ذكر مفسروا السلف في هذا السياق من طواف العرب بالبيت الحرام عراة وما لهم من الشبهة في ذلك

ومن مباحث اللفظ ان اسم الاشارة في قوله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير)استعمل مكان الضمير في الربط . وجعل جملة (ذلك خير) خبراً لقوله (ولباس التقوى) يدل على تأكيد مضمونها بتكرار الاسناد . وذهب بعضهم الى جعل « ذلك » صفة لباس ومنهم الزجاج وجعله بعضهم بدلا او بيانا له

﴿ يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ يقال في هـذا النداء ماقيل فيما قبله ، وتكرار النـداء في مقام الوعظ والتذكير ، من أقوى أساليب التنبيه والتأثير ، يعرف ذلك الانسان من نفسه ، ويشعر به في قلبه ، ونظيره في التنزيل قصة الجن من سورة الاحقاف اذجاء فيها الوعظ والانذار بتكرار النداء : ياقومنا ... ياقومنا .... ووعظ مؤمن آل فرعون في سورة غافر : ياقوم ... ياقوم . وقد فاتنا أن نذكر في تفسير النداء في الآية الاولى أن الذي يفهم من أساليب العربية في نسبة الانسان الى أحد أجداده انه خاص بالجد الذي صار رئيس القبيلة أو العشيرة الكبيرة التي انحصر نسبها فيه كقريش وعبدالقادر الجيلاني وعثمان مؤسس السلطنة العثمانية ومحمدعلي الكبير مؤسس دولة مصر الجديدة. أو الذي له صفة ممتازة يقتضي المقام تذكير من ينسب اليه بها لمشاركته له فيها أو للتعريض بتجرده منها مثلا ، كأن تقول لبعض احفاد الخديوي توفيق يا ابن اسماعيل أو هذا ابن اسماعيل في مقـام السخاء وسعة العطاء إثباتا أو نفيا ، ولو قلت له في هذا المقام يا ابن توفيق كان خطأ فان

في هذا السياق ، وتحقيق معنى كونها ابتلاء ان الله تعالى يختبر بها طالبها مايقصدمنها ؟ وواجدها أيشكر المنعم عليه بها اذا استعملها ، ويقف عند الحد المشروع فيها ، وماذا يقصد وينوي بترك ما يتركه منها ، وفاقدها ايصبر على فقدها ، ام يكون ساخطا على ربه وحاسدا لاهلها ؟

واما قوله تعالى ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ فجمهور مفسري السلف على انه اللباس المعنوي المجازي ، فعن ابن زيد انه عين التقوى — اي اللباس الذي هو التقوى — وذكر من معناه ما يناسب المقام فقال : يتقي الله فيواري عورته . وعن زيد بن علي تفسيره بالاسلام ، وعن ابن عباس انه الايمان والعمل الصالح قال الايمان والعمل خير من الريش واللباس ، وعن معبد الجهني أنه الحياء . وفي رواية عن ابن عباس أنه السمت الحسن في الوجه ؛ ومراده مايدل على ماعليه النفس من طيب السريرة وبذلك يكون بمعنى ماسبقه ، ورووا من الحديث المرفوع مايؤيده فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال رأيت عثمان على المنبر قال : أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر فاني سمعت رسول الله (ص) يقول « والذي نفس محمد بيده ما عمل أحد قط عملا سرا الا البسه الله رداءه علانية ان خيرا فخير وان شرا فشر » ثم تلا هذه الآية . وفيه انه قال ورياشا ولم يقل وريشا . وفسره عكرمة وعطاء بما يلبس المتقون يوم القيامة قالا هو خير مما يلبس أهل الدنيا . ومعناه أن اللباس الذي يكون في الآخرة جزاء على التقوى ، ذلك خير من لباس أهل الدنيا . هذه أقوالهم ملخصة من الدر المنثور . وجعله بعضهم من اللباس الحسي الحقيقي ففي بعض كتب التفسير عن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام أنه لباس الحرب الدرع والمغفر والآلات التي يتقي بها العدو ، واختاره أبو مسلم الاصفهاني . وهو مأخوذ من قوله تعالى في سورة النحل (١٦ : ٨١ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم . كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) وقوله تعالى في داود من سورة الانبياء عليهم السلام (٢١ : ٧٩ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون) ولا مانع عندنا من استعمال التقوى فيما يعم هذا وذاك ، أي تقوى الله بالايمان والعمل وما له من الجزاء ، وتقوى فتك العدو بلبس الدرع والمغفر ونحوهما . على ماقررناه من قبل في مثل هذه المعاني التي لاتتعارض مدلولاتها في الاشتراك

وهنالك لم يقل انه كان عليهما لباس فنزع، وانما كان شيء موارى فظهر، فصار كل منهما يرى من نفسه ومن الآخر في عامة الاحوال،

وقد جعل بعضهم هذا اللباس حسيا، وجعله بعضهم معنويا ، فروي عن ابن عباس وعكرمة ان لباسهما كان الظفر وانه نزع عنهما بسبب الاكل من الشجرة وتركت الاظفار في رءوس الاصابع تذكرة وزينة ، وعن وهب بن منبه انه كان عليهما نور يمنع رؤية السوأتين وهو المراد بلباسهما . وقد بينا هنالك ان هذا وذاك من الاسرائيليات التي لادليل عليها . وعن مجاهد في قوله «ينزع عنهما لباسهما» قال التقوى . وقد نقل ابن جرير هذه الاقوال ولم يعتد بشيء منها ، بل جوز ان يكون ذلك اللباس غيرها ، وعلله بأنه ليس في المسألة خبر تثبت به الحجة ، واختار التفويض وترك تعيين ذلك اللباس . وهذا ما اعتمدنا عليه هنالك في رد الروايات ،فان التعيين في مثلها لايقبل الا بخبر صحيح من المعصوم ، واما مارجحناه من غير جزم فأخذناه من سنة الله تعالى في التكوين وبدء الخلق

وقد استدل بعض الناس بهذه القصة على كراهة رؤية كل من الزوجين سوأة الآخر حتى في خلوة المباعلة الزوجية ، وانما القصة مبينة لحال الفطرة وليس فيها حكم التكليف الشرعي في هذه المسألة ، هل هو الكراهة أم الاباحة ، ومن الناس من يرى أن القول بكراهة ماذكر حرج شديد وتحكم في الفطرة ، وحجر عليها في صفة التمتع الحلال المطلوب شرعا بما لا تظهر له حكمة ، والمختار ان هذا من المباح ولا حجر فيه ولا حرج ، ولكن لا نسلم ان جعله مكروها لايحسن التمادي فيه مما لاتظهر له حكمة تليق بدين الفطرة ، فان اطلاق العنان في المباحات كلها قد يفضي الى الاسراف الضار الذي يقصد به صاحبه زيادة اللذة فيصدق قول الامثال : من طلب الزيادة وقع في النقصان ، رب أكلة هاضت الاكل، وحرمته مآكل . وماجاوز حده ، جاور ضده . وما ورد في هذا الباب من السنة فآداب إرشادية يستفيد كل أحد منها بقدر سلامة الفطرة. وكمال الفضيلة،كحديث عائشة إنه (ص) ما رأى منها ولا رأت منه، وهنا حكمة عالية لا يفقهها الا حكيم خبير،وهي ان من أعطى نفسه منتهى ما يقدر عليه من اللذة — وان مباحة — فلم يقف عند حد ادب شرعي ولا فطري ولا طبي

توفيقاً لم يشتهر بصفة السخاء وكثرة الهبات . وتسمية الناس أبناء آدم من النوع الاول، وفي كل منهما تدل القرينة على أن المنسوب اليه أحد الاجداد وليس هو الاب . فمن استدل بالنداء في هذه الآيات على أن أولاد الاولاد يدخلون في الوقف على الاولاد بدلالة اللغة فقد أخطأ

والفتنة الابتلاء والاختبار واصله من قولهم فتن الذهب والفضة اذا عرضهما على النار ، ليعرف الزيف من النضار ، وحجر الصائغ التي يختبرهما به يسمى الفتانة . والفتنة تكون بالمحن والشدائد غالبا ، وقد تكون بالاستمالة بالشهوات فان الصبر عن الشهوات قد يكون أعسر من الصبر على الشدائد

ومعنى لا يفتننكم الشيطان — لا تغفلوا عن أنفسكم ووسوسته لكم فتمكنوه بذلك من خداعكم بها وايقاعكم في المعاصي كما وسوس لابويكم آدم وحواء فزين لهما معصية ربهما، ففتنهما حتى عصياه بالاكل من الشجرة التي نهاهما عنها .فكان لذلك سببا لخروجهما من الجنة التي كانا يتمتعان بنعيمها، ودخلا في طور آخر من الحياة يكابدان فيها شقاء المعيشة وهمومها ، وان الفتنة التي تحرم المفتون من دخول الجنة ، أسهل من الفتنة التي تخرج من الجنة

﴿ ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾ أي أخرجهما من الجنة حال كونه نازعا عنهما لباسهما — أي سببا لنزع ما اتخذاه لباسا لهما من ورق الجنة لاجل أن يريهما سوآتهما أو لتكون عاقبة ذلك اراءتهما سوآتهما دائماً . ويفهم من هذا ماهو المعقول من أنهما كانا يعيشان بعد الخروج منها عريانين اذ ليس في الارض ثياب تصنع ، وما ثم الا ورق الشجر حيث يوجد ، ولا نعلم أكان يوجد في الارض شجر ذو ورق عريض في غير الجنة التي أخرجا منها ؟ وجميع الباحثين في طبائع الاجتماع وعاديات البشر وآثارهم يجزمون بأنهم كانوا قبل الاهتداء الى الصناعات يعيشون عراة وان أول ما اكتسوا به ورق الشجر وجلود الحيوانات التي يصطادونها . وهذا الذي قلناه يدل عليه جعلهم (ينزع) حالا من فاعل يخرج ومثله جعلها من أبويكم الذي هو مفعول يخرج ولكن جميع ما اطلعنا عليه من أقوال المفسرين يجعل ماهنا عين ما تقدم من ظهور سوآتهما لهما عقب الاكل من الشجرة قبل الاخراج من الجنة الذي كان بعد سترهما سوآتهما بما خصفا عليهما من ورقها ، والمتبادر ان هذا غير ذلك

لأن يغلى ثم يحفظ في آنية نظيفة وغير ذلك. ولو كانوا يرون تلك الجنة بأعينهم كما يراها الاطباء بمجاهرهم ، لا تقوها من غير توصية بقدر طاقتهم . والوقاية نوعان احدهما اتخاذ الاسباب التي تمنع طروءها من الخارج كالذي تفعله الحكومات في المحاجر الصحية في ثغور البلاد ومداخلها أو في أمكنة بعيدة عنها كجزائر البحار للوقاية العامة للبلاد كلها . أو في بعض البلاد دون بعض، ومثله ما يتخذه أهل البيوت لوقاية بيوتهم ، والنوع الثاني تقوية الابدان بالاغذية الجيدة والنظافة التامة لتقوى على منع فتك هذه الجنة فيها اذا وصلت اليها ، كما يتقى تولد السوس في حب الحصيد بتجفيفه ووضع بعض المواد الواقية فيه، وكما يتقي وصول العث الى الثياب الصوفية بمنع وصول الغبار اليها ، أو بوضع الدواء المسمى بالنفتالين بينها، وهو يقتل العث برائحته

كذلك يجب الاخذ بارشاد طب الانفس والارواح في وقايتها من فتك جنة الشياطين فيها بالوسوسة التى تزين للناس الاباطيل والشرور المحرمة في هذا الطب لشدة ضررها ، ولم يحرم الدين شيئا على الناس الا لضرره وافساده ، فان مداخلها في أنفسهم، وتأثيرها في قلوبهم وخواطرهم، كدخول تلك في أجسادهم، وتأثيرها في أعضائهم من حيث لا ترى . واتقاؤها كاتقائها نوعان ، أحدهما تقوية الارواح بالايمان بالله تعالى وصفاته ومراقبته ومناجاته واخلاص العبادة له والتخلق بالاخلاق الكريمة والفضائل ، وترك الفواحش ماظهر منها ومابطن والاثم والبغي بغير حق، حتى ترسخ فيها ملكات الخير وحب الحق وكراهة الباطل والشرور — فحينئذ تبعد المناسبة بينها وبين تلك الارواح الشيطانية التي تدعو الى الباطل والشر فتبعد عنها ، ولا تطيق الدنو منها، كما هو شأن العث مع الثوب المشبع برائحة النفتالين ، بل الجعل مع عطر الورد أو الياسمين . وهؤلاء المتقون هم عباد الله المخلصون، الذين ليس له عليهم من سلطان كما بينه تعالى بقوله في بيان هذه الحقائق الفطرية الواردة بأسلوب الخطاب بين الشيطان وبين الرب تبارك وتعالى من سورة الحجر (١٥ : ٣٩ قال (أي الشيطان) رب بما أغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين ٤٠ الا عبادك منهم المخلصين ٤١ قال (أي الرب تعالى) هذا صراط علي مستقيم ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وقد تقدم في تفسير القصة هذا وأمثاله . وهذا

آل أمره في الاسراف الى اضعاف هذه اللذة، حتى يحتاج في إثارتها الى المعالجة والادوية ، ثم لا تكون الا ناقصة . ويتكرر ضعافها بعد إثارتها بسنة رد الفعل، حتى تكون مرضا ، ويكون صاحبها حرضاً له ويكون من الهالكين . ولهذا ترى اكثر المترفين سيئ الهضم شديدي الاقهاء والطسى (١) يكثرون حتى في سن السباب من الادوية والمحرضات على الطعام ، والمعاجين . والحبوب السامة التي تقوي الباه ، فتتتابعهم الامراض والاسقام ، ويسرع اليهم الهرم اذا لم يسرع الحمام

﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ الجملة تعليل للنهي عن تمكين الشيطان مما يبغي من الفتنة ، وتأكيد للتحذير منه ، والتذكير بعداوته وضرره، وذلك أنه يرانا هو وقبيله أي جنوده وذريته من شياطين الجن ولا نراهم (واصل القبيل الجماعة كالقبيلة وخص بعضهم القبيلة بمن كان لهم أب واحد والقبيل اعم) « وحيث » ظرف مكان ، أي يرونكم من حيث يكونون غير مرئيين منكم ، والضرر اذا جاء من حيث لا يرى كان خطره اكبر ، ووجوب العناية باتقائه أشد ، كاتقاء أسباب بعض الادواء والاوبئة التي ثبتت في هذا الزمان برؤية العينين بالمجهر — أي المرآة أو النظارة المكبرة للمرئيات — وهو أن لكل داء منها جنة من الديدان أو الهوام الخفية تنفذ الى البدن بنقل الذباب أو القمل أو البراغيث أو مع الطعام أو الشراب او الهواء فتتوالد وتنمي بسرعة عجيبة حتى تفسد على المرء رئته في داء السل ، وامعاءه في الهيضة الوبائية ، ودمه في بعض الحميات الخبيثة ، وقد أشير الى سبب الطاعون فيما ورد من أنه من وخز الجن ، ووالى داء السل فيما ورد من تحول الغبار في الصدر الى نسمة ،

وفعل جنة الشياطين في أنفس البشر كفعل هذه الجنة التي يسميها الاطباء الميكروبات في اجسادهم ، وفي غيرها من اجسام الاحياء : تؤثر فيها من حيث لا ترى فتتقي ، وانما ينبغي للعقلاء أن يأخذوا في اتقاء ضررها بنصائح أطباء الابدان ولا سيما في أوقات الاوبئة كاستعمال المطهرات الطبية والتوقي من شرب الماء الملوث بوصول شيء اليه مما يخرج من المصابين بالهيضة أو الحمى التيفوئيدية ،

«١» الاقهاء فقد شهوة الطعام والطسى التخمة من كثرة الدهن والدسم وفعله طسي كرضي وطسا كغزا

لعدوه مجنونا وجزموا باستحالة وجود أحياء لا ترى يوجد في نقطة الماء الصغيرة ألوف الالوف منها وأنها تدخل في الابدان من خرطوم البعوضة أو البرغوث الخ كما أن ما يجزم به علماء الكهرباء من تأثيرها في تكوين العالم وما تعرفه الشعوب الكثيرة الآن من تخاطب الناس بها من البلاد البعيدة بآلات التلغراف والتلفون اللاسلكية — كله مما لم يكن يتصوره عقل، وقد وقع بالفعل.

فان كانوا يقولون: إن مقتضى العقل أن لا يقبل أحد قول الاطباء في اتقاء ميكروبات الامراض والاوبئة وفي المعالجة والتداوي منها الا اذا رآها كما يرونها وثبت عنده ضررها كما ثبت عندهم — فاننا نعذرهم حينئذ في قولهم إن من مقتضى العقل أن لا يقبل أحد قول أطباء الارواح وهم الرسل عليهم السلام وورثتهم من العلماء الهادين المرشدين في اتقاء تأثير وسوسة الشياطين وفي التوبة من سوء تأثيرها بارتكاب المعاصي والشرور — وحينئذ يكون هذا العقل المادي المأفون قاضيا على أصحابه المساكين بفساد أبدانهم وأرواحهم جميعا. فان قيل ان الاطباء قد ثبتت فائدة طبهم وأدويتهم بالتجربة فوجبت طاعتهم والتسليم لهم بما يقولون — قلنا ان فائدة طب الانبياء وورثتهم في هداية الناس وتهذيب أخلاقهم، وصلاح أعمالهم، أشد ثبوتا، ولكن هؤلاء الماديين على ضعف عقولهم يؤمنون بكل ما يقوله الاطباء وإن لم يثبت عندهم بالرؤية، ولا بنظريات الفكر، فهم يجتهدون في حفظ أبدانهم من الجهة المادية ولكنهم يجهلون ما يجني عليهم كفرهم بالطب الروحي الديني في أرواحهم وأبدانهم جميعا، فان هذا الكفر يحصر همهم في التمتع باللذات الدنيوية فيسرفون فيها بما يضعف أبدانهم مهما تكن العناية بها عظيمة. دع افساد أخلاقهم وأرواحهم وما يجنيه عليهم وعلى أمتهم وعلى البشر جميعا. فلو كان الخونة الذين يتخذهم الاجانب أعوانا لهم على استعباد أمتهم مؤمنين معتصمين بتقوى الله وهدي كتبه ورسله من الطمع وحب الرئاسة بالباطل وغير ذلك مما حرمه الله تعالى لما خانوا الله وخانوا أمانة امتهم وأوطانهم اتباعا لشهواتهم، وطمعا في تأثل الاموال والادخار للاولاد؛ (٨: ٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون ٢٨ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم) بل قال أعظم فيلسوف يحترمون عقله وعلمه: ان هذه الافكار

الصراط المستقيم في الآية هو سنته تعالى في الخلقة الروحية بأن الروح الكامل المهذب بما ذكر لا تؤثر فيه الوسوسة الشيطانية ولا تتمكن منه ، وهذا هو معنى نفي السلطان عليه ، كما أن الميكروبات والهوام لا تجد لها مأوى في الاجساد النظيفة الطاهرة القوية

والنوع الثاني من هذه التقوى ما يعالج به الوسواس بعد طروئه كما يعالج المرض بعد حدوثه بتأثير تلك الهوام الخفية فيه بالادوية التي تقتلها وتمنع امتداد ضررها . وأول ما يجب في ذلك بعد التنبه والتذكر لما حصل بسبب الوسوسة من فعل معصية أو ترك واجب أن تترك المعصية ويتوب العاصي كما تاب أبونا آدم وزوجه عليهما السلام . وأن يستعان على ذلك بذكر الله تعالى بالقلب والتضرع اليه باللسان ، كما فعل أبوانا بقولهما (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية وفاقا لما ذكرنا في معالجة الامراض . وسيأتي تفصيل القول في تأثير ذكر الله تعالى في معالجة الخواطر الرديئة والافكار الباطلة التي تحدثها هذه الوسوسة في تفسير قوله تعالى في آخر السورة (١٩٩ واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ٢٠٠ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ومنه ما ورد من الحديث الصحيح في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فرار الشيطان منه ، وكونه ما سلك فجا الا سلك الشيطان فجا غيره

قد سبق لنا بيان مثل هذا التشابه بين تأثير الاحياء الخفية المجتنة في الاجساد وفي الانفس ، وقد أعدناه هنا مفصلا لقوة المناسبة ، ولتذكير المؤمنين بأقوى ما يردون به شبهات بعض الماديين ، الذين ينكرون وجود الجنة والشياطين ، لانهم لا يرونهم ؛ أولان وجودهم بعيد عن النظريات والمألوفات عندهم ، على أن أرواحهم الخبيثة التي ينكرون وجودها أيضا هي أوسع الاوطان لهم ، ولو كان الاستدلال بعدم رؤية الشيء على عدم وجوده صحيحا وأصلا ينبغي للعقلاء الاعتماد عليه لما بحث عاقل في الدنيا عما في الوجود من المواد والقوى المجهولة ، ولما اكتشفت هذه الميكروبات التي ارتقت بها علوم الطب والجراحة الى الدرجة التي وصلت اليها ، ولا تزال قابلة للارتقاء باكتشاف أمثالها ، ولما اكتشفت الكهرباء التي أحدث اكتشافها هذا التأثير العظيم في الحضارة ، ولو لم تكتشف هذه الميكروبات وأخبر أمثالهم بها مخبر في القرون الخالية

من الخوارق الخاصة بالانبياء فقد روى البيهقي في مناقبه عن صاحبه الربيع أنه سمعه يقول من زعم أنه يرى الجن رددنا شهادته الا أن يكون نبيا. وخصه بعضهم برؤيتهم على صورتهم التي خلقوا عليها . واختلفت فرق المسلمين في تشكلهم بالصور فالجمهور يثبتونه ولكن بعضهم يقول : إنه تخييل لا حقيقة. وهو مروي عن عمر (رض) فقد قال : ما معناه إن أحداً لا يستطيع تغيير الصورة التي خلقه الله عليها ولكن تخييل كتخييل سحرة الانس - وتقدم نص الرواية في بحث استهواء الشياطين من سورة الانعام وما فيها — وأخرج ابو الشيخ في العظمة عن ابن عباس قال « أي رجل منكم تخيل له الشيطان فلا يصدن عنه وليمض قدما فانهم منكم أشد فرقا منكم منهم » الخ وهو صحيح في كون الشياطين وسائر الجن العاقلة تخاف من البشر الذين خلقهم الله تعالى أرقى منهم كجن الحشرات الذين ورد في الحديث أن منها مايطير ومنها حيات وعقارب . وقد فصلنا القول فيما ورد في الجن وما قيل فيهم في مواضع من التفسير ومن المنار ولا حجة في شيء منها لهؤلاء الدجالين الذين يأكلون أموال جهلة العوام بالباطل ، بولايتهم للشياطين وولاية الشياطين لهم ، وقد خوفوا الناس منهم حتى أوقعوا الرعب في قلوبهم ، وأوقعوهم في ضلالات كثيرة

ان مفاسد (الزار) كثيرة مشهورة في هذه البلاد ، وقد وصفناها من قبل في المنار ، وسببها اعتقاد الكثيرات من النساء المرضى بأمراض عادية ولا سيما اذا كانت عصبية ، ان الشياطين قد دخلت في أجسادهن ، وأن صانعات الزار يخرجنهم منها بارضائهم والتقرب اليهم بالقرابين وغيرها ، وهذا نوع من عبادة الجن التي كانت في الجاهلية فأزالها الاسلام باصلاحه ، ولما جهل الاسلام في كثير من البلاد وقبائل البدو عادت الى أهلها ، وقد كان من حسنات تأثير الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد للاسلام في نجد نسخ عبادة الجن وغير الجن منها ، ولم يبق فيها الا أهل تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله ، ولكن علماء الازهر هنا لا يعنون أقل عناية بمقاومة هذه البدع والخرافات وامثالها ولا المعاصي الفاشية في هذه البلاد .

ونحن نذكر من ذلك واقعة وقفنا عليها من امرأة كانت تأتينا باللبن كل صباح من ريف الجيزة . وهي أن ولدها غرق في النيل فسألت عنه بعض

المادية التي تغلبت في أوربة على الفضائل قد محت الحق من عقول أهلها فلا يعقلون منه الا تحكيم القوة ، وستتخبط به الامم ويختبط بعضهم ببعض ليتبين من هو الاقوى فيكون سلطان العالم . هذا ما سمعه الاستاذ الامام من الفيلسوف هربرت سبنسر (في ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣) وكتبه عنه وقد زادنا في روايته اللفظية له أنه كان يتوقع هذه الحرب العامة الوحشية، ويعدها من سيئات الافكار المادية وضعف الفضيلة ، وقد روينا ذلك عنه بالمعنى مع فوائد أخرى من قبل

ومن المصائب على البشر أن اكثر المؤمنين بطب الدين الروحي في هذه القرون الاخيرة لا يقفون فيها عند حدود ما أنزل الله على رسوله وما فهمه منه رواته من السلف الصالح بل زادوا وما زالوا يزيدون فيه من الخرافات، والبدع والضلالات، ما جعلهم حجة على دينهم وفتنة للذين كفروا ينفرونهم منه — فتراهم لا يتقون الوسواس الضار الذين يجدونه في خراطرهم كما يجب وإنما يتبعون في الجن والشياطين تضليل الدجالين والدجالات كزعمهم أن الشياطين يمرضون الاجساد ويخطفون الاطفال ، وان لهؤلاء الدجالين صلة بهم وتأثيرا في حملهم على ترك الضرر والمساعدة على النفع بشفاء المرضى ورد المفقودين ، والحب والبغض بين الازواج والعشاق ، ومن ذلك الزار الذي يخرجون به الشياطين من الاجساد بزعمهم ؛ ولهذه الخرافات مضار ورزايا كثيرة في الابدان والارواح والاموال والاعراض ، فهي بذلك شبهة كبيرة للماديين على المتدينين ، المقلدين للجهال والدجالين ، والدين لم يثبت للشياطين مايزعمه الدجالون ، ولم يثبت لهم ولا لغيرهم مايدعونه من التصرف فيهم ، وانما يثبت كتاب الله تعالى للشياطين وسوسة هي من الاسباب العادية للتأثير في القلوب المستعدة لها كتأثير جنة الهوام في الاجساد المستعدة ، وان مقاومة ذلك في استطاعة الانسان ، وقد أرشده اليه القرآن. وصرح في هذه الآية بان الشياطين يرون الناس من حيث لا يراهم الناس ، وهؤلاء الدجالون ينفون ما أثبت كتاب الله ويثبتون مانفاه ؛ ويقولون بغير علم

روي عن ابن عباس (رض) أن النبي (ص) ما رأى الجن الذين استمعوا القرآن منه مستدلا بقوله تعالى (قل أوحي اليّ انه استمع نفر من الجن) ولكن روي عن ابن مسعود أنه رآهم . وكان الشافعي (رح) يرى أن رؤيتهم

وما لنا لا نذكر انه قد وقع لنا من ذلك مايعده كثير من الناس أمراً عظيما ويستبعدون أن يكون من فلتات الاتفاق ونوادر المصادفات : من ذلك انه كان في بلدنا (القلمون) في سورية رجل صياد اسمه (عمر كسن) رمى شبكته ليلة في البحر فسمع صوتاً غير مألوف فما لبث بعد ذلك ان صار يصرع ، ويخيل اليه هجوم فئة من الجن عليه يضربونه متهمين إياه باصابة فتاة منهم ، ورآني وهو غائب عن الحس بالهيئة التي كنت أخلو فيها للعبادة وذكر الله في حجرة خاصة وبيدي مخصرة قصيرة من الابنوس كنت أعتمد عليها — ولم يكن رأي ذلك قط — رآني أطرد الجن عنه بهذه المخصرة ، وكان أهله قد ذكروا لي أمره ، ثم دعوني الى رؤيته ورقيته والدعاء له ، فذهبت فألقيته مغمى عليه لا يرى ولا يسمع ممن حوله شيئاً ، ولكنه كان يقول : جاء سيدنا الشيخ رشيد .... ولما رأيته على هذه الحالة توجهت الى الله تعالى باخلاص وخشوع ووضعت يدي على رأسه وقلت: (بسم الله الرحمن الرحيم . فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ففتح عينيه وقام كأنما نشط من عقال ، ثم عاد اليه هذا بعد زمن طويل لا أذكره وشفاه الله تعالى وأذهب عنه الروع ثانية بنحو مما أذهبه عنه في المرة الاولى ، ولكنني لم أر أولئك الجن الذين كان يراني أجادلهم وأذودهم عنه ، والواقعة تحتمل التأويل عندي ، ولا اعدها دليلا قطعياً عن كون صرعه كان من الجن كما انه لا مانع عندي ان يكون منهم ، وقد ذكرت هذه الواقعة لشهرتها عندنا في البلد ،

وقد يكون من غريب الاتفاق انني كنت اعاشر بعض اصحاب هذا الصرع ولكن لم يكن يحدث لهم وانا معهم قط . ومنهم حموده بك اخو شيخنا الاستاذ الامام ، كنت اكثر الناس معاشرة لهم وما من احد كان يكثر زيارتهم الا ورأى حموده يصرع ولاسيما بعد اشتداد النوبات عليه في اثناء مرض الشيخ وبعده حتى كانت ربما تتعدد في اليوم الواحد ولكنني كنت امكث عندهم في الاسكندرية الايام والليالي ، ولم يقع له شيء من ذلك امامي ، ومثله في ذلك صديقنا محمد شريف الفاروقي — رحمهما الله تعالى — ولا استبعد أن يكون لبعض الارواح تأثير في بعض كما لا أنفي على سبيل القطع ان يكون ذلك من نوادر الاتفاق

وانني لم أذكر مثل هذا الا لامرين احدهما ان لا يظن ظان انني اميل في

الدجالين فأخبرها بأن أحد الاسياد (أي عفاريت الجن) أنقذه ووضعه عنده فهو يعيش في ضيق وشظف وانه هو يمكنه أن يوصل اليه ، ماتجود به والدته عليه، فكانت تعطيه ماتقدر عليه من الطعام والدجاج والحمام المقلي مع شيء من الدراهم اجرة لنقله، وتعتقد ان ذلك كله يصل الى ولدها عند العفريت الذي أخذه، ويكون سبباً لحسن معاملته له، وربما يطلقه بعد ، وما زال أهل بيتنا ينصحون لها بترك ذلك الدجال المفتري المحتال حتى أقنعنها بكذبه بعد ان خسرت كل ما كانت تربحه من بيع اللبن.

فان قيل ان الاناجيل أثبتت ان الشياطين تدخل في أجساد الناس وتصرعهم، وان المسيح عليه السلام كان يخرج هذه الشياطين باذن الله تعالى منهم، وفي القرآن المجيد مايشير الى ذلك في قوله تعالى(كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) وان قالوا انه تمثيل حكي به ماكان مألوفاً عند العرب، وقد حكي عن بعض العلماء المحققين دون الخرافيين وقائع فيه كوقائع الانجيل ، ومن ذلك ماحكاه العلامة ابن القيم عن أستاذه شيخ الاسلام ابن تيمية، فهل كل تنكر ذلك أم ماذا تقول فيه ؟

فالجواب اننا وان كنا لا نعرف لهذه الاناجيل أسانيد صحيحة متصلة وقد أمرنا أن لا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فيما لا حجة له او عليه في كتابنا — وان كان شيخا الاسلام من أجل الثقات عندنا فيما يرويان عن أنفسهما وعن غيرهما بالجزم — فاننا نقول ان وقائع الاحوال في هذا المقام فيها اجمال، هي به قابلة لانواع شتى من الاحتمال ، على ان ما يؤخذ منها على ظاهره لا حجة فيه على شيء من أعمال الدجالين التي ينكرها الشرع والعقل ، وأين دجل هؤلاء الفساق المحتالين من معجزة أو كرامة يكرم الله بها نبياً مرسلا أو ولياً صالحاً فيشفي على يديه مصروعا ألم به الشيطان أم لم يلمّ ، وما إلمام الشيطان ببعض الناس بالمحال عقلا حتى نحار في فهم أمثال هذه الروايات النادرة عند أهل الكتاب وعندنا بل عند جميع الامم ،وان بعض الامراض العصبية التي يصرع أصحابها لا يسهم الشيطان فيها أم لا لتشفى بتأثير الاعتقاد وبتأثير ارادة الارواح القوية اذا توجهت الى الله تعالى سائلة شفاءها ، وما نحن بالذين يدارون الماديين أو يبالون بانكارهم بكل ما لا يثبته الحس لهم، ونعتقد ان جملة ماورد عن الانبياء والعلماء وما اشتهر عند كل الامم يفيد في مجموعه التواتر المعنوي في اثبات اصل لهذه المسألة .

اليوم بالبخور والعزائم والاستغاثة، وكل ذلك عبادة تدخل في قوله تعالى (ألم أعهد اليكم يابني آدم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين* وان اعبدوني هذا صراط مستقيم) ! وقد اشتهر أن بعض الدجالين يتقربون الى الشياطين بكتابة شيء من القرآن على عوراتهم أو في شيء يشدونه عليها . وهذا من اقبح انواع الكفر واسفلها، فهل يليق بالمؤمن الذي يتولى الله ورسوله ان يلجأ الى احد من هؤلاء الدجالين في مصالحه يرجو منه نفعا او دفع ضر ؟

وجملة القول إن الله تعالى فضل الانس على الجن وجعلهم ارقى منهم ، ولو كانوا يرون المكلفين منهم كالشياطين لتصرفوا فيهم كما يتصرفون بجنة الهوام وميكروبات الامراض . وفاقا لقول الحبر ابن عباس (رض) ان خوفهم منا اشد من خوفنا منهم . والوسوسة منهم تكون على قدر استعدادنا لقبولها فذنبها علينا . وان ما يذكره الناس من ضررهم وصرعهم فاكثره كذب ودجل والنادر لا حكم له، ولا تأثير في دفعه للدجالين، وانما تأثيرهم في سلب أموال الجاهلين

---

(٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا . قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (٢٩) كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٣٠) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ . إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ

هذا بيان لبعض آثار ولاية الشياطين للذين لا يؤمنون ، أي انهم يطيعونهم في اغوائهم في أقبح الاشياء ولا يشعرون بقبحها، بل يعتقدون حسنها،

﴿ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ﴾ قال ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الجملة : واذا فعل الذين لا يؤمنون بالله الذين جعل الله لهم الشياطين اولياء — قبيحا من الفعل وهو الفاحشة وذلك تعريهم للطواف

تشددي في كشف غش الدجالين الى آراء الماديين، وثانيهما ان لا يجعل احد ما نقل عن مثل شيخ الاسلام من ارساله رسولا الى المصروع يخرج منه الشيطان حجة على من ينكر دجل هؤلاء الضالين من عباد الشياطين او الدعاة الى عبادتهم بتخويف الناس مما لا يخيف منهم ، ولا يتقرب اليهم بما يعد عبادة لهم ، كما يعبد اليزيدية ابليس جهرا بدعوى انهم بذلك يتقون شره والعياذ بالله تعالى فأمثال هؤلاء الدجالين واتباعهم هم الذين قال الله تعالى فيهم : —

﴿ انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ أي قد مضت سنتنا في التناسب بين انواع المخلوقات المتجانسة والمتشاكلة ان يكون الشياطين الذين هم شرار الجن ، أولياء لشرار الانس ، وهم الكفار الذين لا يؤمنون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ايمان اذعان بحيث يهتدون بوحيه ويزكون انفسهم بعبادته وآدابه حتى يبعد التناسب والتجانس بينهما ، فهذا الجعل لا يدل على مايدعيه الجبرية ، واسناده الى الله تعالى لا يقتضي أنه جعله خارجا عن نظام الاسباب والمسببات ونتائج الاعمال الاختيارية التي تسند الى مكتسبيها باعتبار صدورها عنهم والى الخالق تعالى باعتبار خلقه وتقديره لذلك في نظام الكون وسننه ، وقد أسند هذه الولاية الى مكتسبيها بمزاولة أسبابها في قوله الآتي قريبا (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) فاكتساب الكفار لولاية الشياطين باستعدادهم لقبول وسوستهم وإغوائهم وعدم احتراسهم من الخواطر الباطلة او الشريرة من لمتهم ، كاكتساب ضعفاء البنية للامراض باستعدادهم لها ، وعدم احتراسهم من أسبابها ، كالقذارة وتناول الاطعمة والاشربة القابلة للفساد ، بما فيها من جراثيم تلك الامراض — كما تقدم شرحه آنفا — فأولياء الشيطان هم اصحاب الوساوس والاوهام ، والخرافات والطغيان ، والمتولون لقرنائه من اهل الطاغوت والدجل والنفاق ، كما يؤخذ من عدة آيات ،

وقد كانوا في الجاهلية يعبدون الجن والشياطين لا بطاعتهم في وسوستهم فقط بل كان منهم من يستعيذ بهم كما قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وكانوا يتقربون اليهم بما يظنون أنه يعطفهم عليهم فيمنع ضررهم أو يحملهم على نفعهم كما يتقرب اليهم الدجالون

أمر ونهي لا يثبت بمجرد الدعوى بل يجب أن يعلم بوحي منه تعالى الى رسول من عنده ثبتت رسالته بتأييده تعالى له بالآيات البينات . ولا وحي لديهم في هذا ولا هم من المؤمنين به بل يحتجون على الامر والرضا بالمشيئة وعلى المشيئة بالوقوع كما تقدم فيما حكاه عنهم في سورة الانعام (٦: ١٤٨ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الآيات[1] وقد رده هنالك كما رده هنا، فالاستفهام في قوله تعالى « أتقولون على الله ما لا تعلمون » للانكار المتضمن للتوبيخ، وللرد على المقلدين فانهم باتباع آبائهم وأجدادهم وشيوخهم في آرائهم وأعمالهم الدينية غير المسندة الى الوحي الالهي يقولون على الله مالا يعلمون انه شرعه لعباده .

ومن أكبر العبر في الآية ان احتجاج مشركي الجاهلية بالتقليد و بمشيئة الله تعالى على ضلالهم المبين، قد عاد فانتشر في المسلمين، بغواية المتصوفة الجاهلين، وجدل المتكلمين النظريين، وآراء المتفقهة الجامدين، وتخيلات الشعراء الغاوين،

وبعد أن أنكر عليهم أن يكونوا على علم في هذا الطريق النقلي وهو من باب السلب والنفي، توجهت الانفس الى معرفة ما يأمر به تعالى من محاسن الاعمال، ومكارم الاخلاق والخصال، فبينه بطريق الاستئناف، قائلا لرسوله ﴿ قل أمر ربي بالقسط ﴾ أي العدل والاعتدال في الامور كلها، وهو الوسط بين الافراط والتفريط فيها، وقد تقدم تفسيره لفظا ومعنى في سورتي النساء والمائدة، والوسط في اللباس الذي يعبد الله تعالى فيه أن يكون حلالا نظيفاً لائقا بحال لابسه في الناس لا ثوب شهرة في تفريط التبذل، ولا في إفراط التطرس، وسيأتي الكلام في الامر بأخذ الزينة عند المساجد من هذا السياق، وقدم عليه هنا ما يتعلق بفقه العبادة ولبابها، الدال على جهلهم بها، وهو قوله ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ أي قل لهم أيها الرسول أمر ربي بالقسط فأقسطوا وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد — أو وقل لهم أقيموا الخ — اقامة الشيء إعطاؤه حقه وتوفيته شروطه كاقامة الصلاة واقامة الوزن بالقسط، والوجه حسي ومعنوي — فقوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) من الاول وقوله (فأقم وجهك للدين حنيفاً) من الثاني، والمراد به توجه القلب وصحة القصد، فان الوجه يطلق على الذات، وما هنا من الثاني وان ورد عن

(١) راجع ص ١٧٥ ج ٨ تفسير

بالبيت وتجردهم له فعذلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه قالوا: وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ونقتدي بهم ونستن بسنتهم، والله امرنا به فنحن نتبع أمره فيه. اه والفاحشة كل ما عظم قبحه وفسرها هو وغيره هنا بطواف اهل الجاهلية عراة لان المسلمين لما كانوا يعذلونهم ويقبحون فعلتهم هذه كانوا يجيبون بهذا الجواب. ومما رواه في ذلك هنا قول مجاهد: كانوا يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة (اي القطعة من سيور الجلد) أو الشيء فتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وقد تقدم ذكر هذه الفعلة الفاحشة وما روي من شبهتهم الشيطانية عليها وهي أنهم لا يطوفون ببيت ربهم في ثياب عصوه بها، وبينا فساد هذا القول

وقد بين هنا أنهم احتجوا عليها بالتقليد وبأن الله تعالى أمرهم بها. فأما الاولى قال مفسرو المتكلمين كالزمخشري والبيضاوي والرازي: انه تعالى لم يجب عن هذه الحجة - وهي محض التقليد - لما تقرر في العقول من أنه طريقة فاسدة لان التقليد حاصل في الاديان المتناقضة فلو كان حقا لزم القول بحقية الاديان المتناقضة، وهو محال. فلما كان فساد هذا الطريق ظاهرا لم يذكر الله تعالى الجواب عنه. هذا تقرير الرازي، وقوله بفساد التقليد وكونه حجة داحضة في نظر العقول السليمة صحيح، ولكن زعمه أن هذا سبب لعدم الرد غير صحيح، فقد رد تعالى عليهم بمثل قوله (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) والصواب أنه استغنى عن الرد الصريح هنا برد ما اقترن به المتضمن للرد عليه وبيان بطلانه

وأما الثانية فقد أمر الله تعالى رسوله (ص) بأن يدحضها بقوله لهم ﴿ قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ وهذا القول تكذيب لهم من طريقي العقل والنقل، أما الاول فتقريره أن هذا الفعل لا خلاف بينكم وبيننا في أنه من الفحشاء أي أقبح القبائح، والله تعالى منزه بكماله المطلق الذي لا شائبة للنقص فيه أن يأمر بالفحشاء، وانما الذي يأمر بها هو الشيطان الذي هو مجمع النقائص، كما قال تعالى في آية أخرى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وهذا حجة على من ينكرون الحسن والقبح العقليين في الاحكام الشرعية مطلقا لاجل مخالفة من أسرفوا في تحكيم العقل مطلقا. وأما طريق النقل فهو ان ما يسند الى الله تعالى من

ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه ، ومعنى حقت عليهم الضلالة ثبتت بثبوت أسبابها الكسبية ؛ لا أنها جعلت غريزة لهم فكانوا مجبورين عليها ، يدل على هذا تعليلها على طريق الاستئناف البياني بقوله تعالى

﴿ انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون ﴾
عاد هنا الى الكلام عن المشركين بضمير الغائبين بعد انتهاء ما أمر به الرسول من خطاب المحتجين منهم بما ذكر عنهم — ومعنى اتخاذهم الشياطين أولياء أنهم اطاعوهم في كل ما يزينونه لهم من الفواحش والمنكرات ، كأنهم ولوهم امورهم من دون الله الذي يأمر بالعدل والاحسان ، وينهى عن الفحش والمنكر والبغي والعدوان ، ويحسبون انهم مهتدون فيما تلقنهم الشياطين من الشبهات ، كجعل التوجه الى غير الله والتوسل به اليه في الدعاء وغيره مما يقربهم اليه تعالى زلفى ، وجعل الرب تعالى كالملوك الجاهلين الظالمين ، لا يقبل عبادة عبده المذنب الا بواسطة بعض المقربين عنده ، كالملك الجاهل مع وزرائه وحجابه وأعوانه ، وغير ذلك مما ذكرآنفا من شبهتهم على طوافهم عراة وماتقدم في سورة الانعام ، من تحريم ماحرموا من الحرث والانعام ،

واكثر من ضل من البشر في الاعتقاديات والعمليات يحسبون أنهم مهتدون وأقل الكفار الجاحدون للحق كبرا وعنادا كأعداء الرسل في عصورهم ، وحاسديهم على ما آتاهم الله من فضله فكرمهم به عليهم ، كما حسد ابليس آدم واستكبر عليه ، ومنهم فرعون والملأ من أشراف قومه الذين قال تعالى فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ومنهم كبراء طواغيت قريش كأبي جهل والوليد ابن المغيرة والاخنس بن شريق الذين قال تعالى فيهم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وأما سائر الناس فضالون بالتقليد واتباع الشبهات الشيطانية ، أو بالنظريات والآراء الباطلة ، وهم الذين قال تعالى فيهم (قل هل انبئكم بالاخسرين أعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) ولو كان التقليد عذرامقبولا لكان اكثر كفار الارض في جميع الازمنة والامكنة معذورين ناجين كالمؤمنين ،

ألم تر أن التقليد قد أضل الالوف التي لا تحصى من المسلمين الذين صدق عليهم الحديث الصحيح « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع »

بعضهم تفسيره بالاول أيضاً وجعله بعضهم بمعنى التوجه الى الكعبة في كل صلاة في كل مسجد أينما كان . والمعنى : أعطوا توجهكم الى الله تعالى عند كل مسجد تعبدونه فيه حقه من صحة النية وحضور القلب وصرف الشواغل سواء كانت العبادة طوافا أو صلاة أو ذكراً أو فكراً — وادعوه وحده مخلصين له الدين ، بأن لا تشوبوا دعاءكم ولا غيره من عبادتكم له بأدنى شائبة من الشرك الاكبر وهو التوجه الى غيره من عباده المكرمين، كالملائكة والرسل والصالحين، ولا الى ماوضع للتذكير بهم من الاصنام والقبور وغيرها — ولا من الشرك الاصغر وهو الرياء وحب اطلاع الناس على عبادتكم والثناء عليكم بها والتنويه بذكركم فيها. وكانوا يتوجهون الى غيره معه زاعمين أن المذنب لا يليق به أن يقبل على الله وحده ويقيم وجهه له حنيفا، بل لا بد له أن يتوسل اليه بأحد من عباده الطاهرين المكرمين ليشفع لهم عنده ويقربهم اليه زلفى . وهذا من وسواس الشيطان ، وشبهتهم فيه كشبهتهم في عدم الطواف في ثياب عصوه فيها ، وجعل هذا وذاك من الدين ونسبته الى الله تعالى افتراء عليه وقول عليه بغير علم مما أوحاه الى رسله ، وانما اوحى اليهم ما نطقت به هذه الآية وأمثالها من الآيات الناطقة بالامر بتجريد التوحيد من كل شائبة والاخلاص في العبادة — كما أمر بأخذ الزينة عند كل مسجد وجعل الظاهر عنواناً للباطن في طهارته وحسنه من غير رياء ولا تكلف كما هو مقتضى تحري القسط والعدل في كل امر

﴿ كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ﴾ هذا تذكير بالبعث والجزاء على الاعمال ودعوة الى الايمان به في إثر بيان اصل الدين ومناط الامر فيه والنهي، الوارد في سياق اصل تكوين البشر، واستعدادهم للايمان والكفر، والخير والشر، وما للشيطان في ذلك من اغواء الكافرين الذين يتولونه، وعدم سلطانه على المؤمنين الذين يتولون الله ورسوله . وهذه الجملة من أبلغ الكلام الموجز المعجز فانها دعوى متضمنة للدليل بتشبيه الاعادة بالبدء فهو يقول: كما بدأكم ربكم خلقاً وتكويناً بقدرته تعودون اليه يوم القيامة — حالة كونكم فريقين — فريقاً هداهم في الدنيا ببعثة الرسل فاهتدوا بايمانهم به وإقامة وجوههم له وحده في العبادة ودعائه مخلصين له الدين لا يشركون به أحداً ولا شيئا — وفريقا حق عليهم الضلالة لاتباعهم اغواء الشيطان، واعراضهم عن طاعة الرحمن، وكل فريق يموت على

ولا سيما اذا بلغه بصورة مشوهة تدعو الى الاعراض عنها ، واتقاء اضاعة الوقت في النظر فيها ، ويزعم كثير من المسلمين أن جميع أهل هذا العصر قد بلغتهم دعوة الاسلام على وجهها، وما أجهلهم بحال العصر وأهله .

قال السيد الالوسي في تفسير (ويحسبون أنهم مهتدون) عطف على ما قبله داخل معه في حيز التعليل أو التأكيد ، ولعل الكلام من قبيل * بنو فلان قتلوا فلانا * والاول في مقابلة من هداه الله تعالى شامل للمعاند والمخطيء ، والثاني مختص بالثاني ، وهو صادق على المقصر في النظر والباذل غاية الوسع فيه. واختلف في توجه الذم على الاخير وخلوده في النار، ومذهب البعض أنه معذور ، ولم يفرقوا بين من لا عقل له أصلا ومن له عقل لم يدرك به الحق بعد أن لم يدع في القوس منزعا في طلبه ، فحيث يعذر الاول بعدم قيام الحجة عليه يعذر الثاني لذلك . ولا يرون مجرد المالكية واطلاق التصرف حجة . ولله الحجة البالغة ، والتزام أن كل كافر معاند بعد البعثة وظهور أمر الحق كنار على علم — وأنه ليس في مشارق الارض ومغاربها اليوم كافر مستدل بما لا يقدم عليه الا مسلم معاند، أومستدل بما هو أو هي من بيت العنكبوت، وانه لاوهن البيوت ، وادعى بعضهم ان المراد من المعطوف عليه المعاند ومن المعطوف المخطيء ، والظاهر ما قلنا اه

هذا وان المعذور في الخطأ لا يكون عند الله كالمصيب ، وإن الذي يتحرى الحق المرضي عند الله تعالى المنجي في الآخرة لا بد أن يعرف باخلاصه في النظر واجتهاده في الطلب كثيرا من الحق والخير ، ومعرفته حجة عليه ، ومن كان هذا شأنه كان أجدر الناس بقبول دعوة الرسل اذا بلغته على وجهها ، لانه أحق بها وأهلها ، فان لم يقبلها كان في نظره على هوى . ويتفاوت هؤلاء المجتهدون المخطئون بتفاوت حظوظهم من معرفة الحق واتباعه ، ومعرفة الخير والعمل به واجتناب ضده، اذ بذلك تتزكى الانفس والمدار في الآخرة على تزكيتها . وقد بينا هذا في موضع آخر من التفسير بما هو أوسع مما هنا . والله أعلم بالصواب، واليه المرجع والمآب

فتركوا هداية الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، واتبعوا البدع المستحدثة فاذا دعوا الى الله ورسوله قالوا قال الشيخ فلان، وفعل الولي الصالح فلان، وهؤلاء أعلم وأهدى منا بالسنة والقرآن ، وانما أمرهم الله أن يتبعوا ما أنزله اليهم ونهاهم أن يتبعوا من دونه أولياء كما تقدم في صدر هذه السورة ، وما اضيع البرهان عند المقلد (*

وأما أهل النظر فمنهم من بلغته دعوة الرسول على وجهها أو على غير وجهها ومنهم من لم تبلغه ، وفي كل منهم من يبحث عن الحق ليتبعه ومن لم يبحث ذهب بعض المتكلمين الى أن من بذل جهده في النظر والبحث والاستدلال على الحق فاتبع ما ظهر له أنه الحق بحسب ما وصلت اليه طاقته وكان مخالفا في شيء منه لما جاءت به الرسل لا يدخل في مدلول هذه الآية وأمثالها بل يكون معذوراً عند الله تعالى لقوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) . وقد اشترطوا في حجية بلوغ الدعوة كونها على وجه من الصحة والحجة يحرك الى النظر فيها والا فليس من شأن أحد من البشر أن يبحث عن كل ما يبلغه من أمر الاديان

---

*) من لطائف الاتفاق أنه قد جاءني وأنا أفسر هذه الآية كتابان أحدهما من (بنكوك – سيام) في الشرق الاقصى والآخر من بعض بلاد اليمن يذكر في كل منهما عداوة بعض المقلدين للمنار ، بأنه يدعو الى ما يخالف بل يحقر ويضلل ما جرى عليه الآباء والاجداد ، فأما ما عليه أهل سيام فمنه أن نساءهم يخرجن الى الاسواق والمجامع عاريات الاجسام لا يسترن الا السوأتين ويشاركن البوذيين في لهوهم ولعب الميسر وفي حفلات عباداتهم في هيا كلهم ، ومنه غير ذلك مما سيذكر في باب الفتاوى – فهذا بعض ما جرى عليه الاباء والاجداد، ولا يجري عليه الذين اهتدوا بالمنار الى كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأما بلاد اليمن فان بعض العلويين من الحضارمة قد نشطوا في هذه السنين الى بث دعوة غلو في التشيع ودعوى وجوب اتباع الناس لكل من ينسب الى السلالة العلوية بناء على أن كل ما ورد في آل بيت النبي (ص) في عصره يشاركهم فيه ذراريهم الى يوم القيامة وان كانوا من أجهل الناس بدين الله وأبعدهم عن الاهتداء به. وهم لا يدعون الى مذهب مدون كمذهب الزيدية أو الامامية بل الى فوضى في الدين لا حد لها . وقد قامت قيامة الناس عليهم في جاوه وسنغافوره وغيرها من البلاد التي يبثون فيها هذه الدعاوي الجهلية كما بلغنا وكلهم يكرهون المنار طبعا ويصدون عنه . فهذه عواقب ضلالة التقليد

تبينوا لنا الحق في هذه مع الرد الصريح على من اهتدى بغير السنة النبوية

(٢) ما حكم شراء أوراق اليانصيب ؟ فان الحكومة السياسية الآن تريد جمع المال لشراء الاسلحة النارية والطيارات الهوائية من أرباح اليانصيب لاعراض الجمهور عن التبرع لها) وما الفرق بينهما وبين الميسر الجاهلي ؟ فان قيل بالمنع. فما يفعل بالجائزة لو ربحت النمرة التي اشتراها مسلم قبل تيقن الحرمة؟

(٣) فشا بيننا اليوم: (١) التداوي بالادوية المركبة من الكحول (٢) واستعمال الروائح العطرية والافرنجية (٣) تعاطي البيرة (٤) ووضع خلاصة الفواكه (Essence) في عمل الحلاويات والمربات (٥) والاستصباح بزيت البترول (٦) والانتفاع بالغازات. فكل هذه مستحدثة يصعب علينا معرفة أحكامها شرعا فنلتمس من فضيلتكم بيانا شافيا مفصلا عن حكم كل منهما وعن أصلها وعن الفرق بين كل واحدة منها ان وجد. ولا تحيلونا على ما لم يكن بيدنا من فتاوى سبقت لكم في المنار أو غيره أفيدونا أثابكم الله والسلام

بنكوك نوى تلميذكم ناظر مدرسة البداية

عبد الله بن محمد المسمودي

﴿ جواب المنار ﴾

إثبات هلال رمضان والعيدين

قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقد أجمع العلماء على أن الرد الى الله تحكيم كتابه والعمل به والرد الى الرسول بعد وفاته تحكيم سنته والعمل بها. وقد قال تعالى في كتابه (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وناط رسوله (ص) إثبات الشهر رؤية الهلال والا أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما. ولا حاجة الى سرد شيء في تفسير الآية ولا نصوص الاحاديث في ذلك فهي معلومة لديكم. ومن عجائب ضلالات التقليد أن يترك السنة الصحيحة الصريحة عارفها ويأخذ بقول زيد وعمرو من الناس الذين ليست أقوالهم دينا ولا حجة في الدين ولو لم تكن مخالفة للكتاب والسنة فكيف اذا خالفتها ولا هم من العلماء المجتهدين على ان المسألة ليست اجتهادية لوجود النص الصريح فيها. وقد قال الامام الشافعي في أول باب الاجماع من رسالته الشهيرة في أصول الفقه: « وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحل لمسلم علم

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من مدينة بنكوك (سيام) ﴾

(س٣٨ — ٤٥) من صاحب الامضاء

(١) يقع اختلاف وشقاق في كل عام بين أئمة المساجد في اثبات هلال رمضان فمنهم من يعتمد ويعمل بمثل جدول الشهور والايام للشيخ القزويني ومنهم من يعمل بما قال في عجائب المخلوقات بعد ذكر الجدول وهو ما نصه: قال جعفر الصادق رضي الله عنه : اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذي صمته في العام الماضي فانه أول يوم شهر رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك ٥٠ سنة فوجدوه صحيحا اه ومنهم من لا يعمل الا بما قال الشيخ البجيرمي في حاشيته على شرح فتح الوهاب : — قال سيدي علي وفا المصري في فتاويه لا يستتر القمر اكثر من ليلتين آخر الشهر أبداً ويستتر ليلتين ان كان كاملا وليلة ان كان ناقصا . والمراد بالاستتار في الليلتين أن لا يظهر القمر فيهما ويظهر بعد طلوع الفجر . وفي عبارة بعضهم : واذا استتر ليلتين والسماء مصحية فيهما فالليلة الثالثة أول الشهر بلا ريب والتفطن لذلك ينبغي لكل مسلم فان من تفطن له يغنيه عن التطلع من(؟) رؤية هلال رمضان ولم يفته يوم ان كان كاملا وحديث « صوموا لرؤيته « الخ في حق من لم يتفطن لذلك . ولو علم الناس عظم منزلة رمضان عند الله وعند الملائكة وعند الانبياء لاحتاطوا له بصوم أيام قبله حتى لا يفوته صوم يوم منه اه (قال) وهو كلام نفيس فاحفظه . والبقية يصومون بالرؤية ويفطرون بالرؤية عملا بالحديث الشريف فصار كل مسجد يصوم بما رأى أمامه .

وكذلك يختلفون في اثبات هلالي شوال والاضحى كاختلافهم في اثبات هلال رمضان بل العاملون بالرؤية يختلفون في قبول شهادة عدل واحد في هلالي شوال والاضحى (ولم تتوفر لاحد في سيام شروط العدالة المشروحة في كتب الامام الشافعي) فمنهم من يقبل ومنهم من يرفض فاعتماد الاول على ما ذكر البجيرمي في حاشيته على الاقناع في كتاب الصيام أنه هو المعتمد والثاني على ما قال الشافعي في الام والنووي في شرح مسلم . فالرجاء ملء صدورنا أن

من حيث يجعل أول الشهر الليلة التي يمكن أن يرى فيها الهلال اذا انتفت الموانع كالغيوم وما في معناها. وقد بينا غير مرة ان الحكمة في جعل مواقيت الصلاة والصيام منوطة بما تسهل معرفته على جميع المسلمين من بدو وحضر أميين ومتعلمين هي أن لا تكون أمورهم الدينية بأيدي أفراد من علماء فن مخصوص كالفلك لا يوجدون في كل مكان وقد يعبثون بأمور الامة في دينها كما فعل رؤساء الاديان الاخرى. ونجد أهل الامصار الاسلامية الآهلة بالعلماء من جميع المذاهب لا يعملون في اثبات هلال رمضان والاعياد وغيرها الا بالرؤية أو اكمال العدة على كثرة الحاسبين المدققين فيها، ثم انهم يثبتون الرؤية إثباتاً شرعياً بحكم في دعوى صورية لاجل اعلام الناس كافة به بصفة يرتفع فيها الخلاف ليسلم المسلمون من الفوضى والخلاف في عباداتهم في كل قطر. فما يفعله أهل (سيام) عندكم مخالف لهدي الشارع ولحكمة الشرع ولعمل المسلمين سلفاً وخلفاً في جميع الاقطار الاسلامية

وأما ما نقله البجيرمي من أن حديث «صوموا لرؤيته» خاص بمن لم يتفطن لتلك القاعدة الحسابية — ومن أنه ينبغي الاحتياط لرمضان بصوم قبله حتى لا يفوته صوم يوم منه — فهو باطل بشقيه ويستغرب قوله فيه: انه نفيس. ويترتب على قوله الاول أن نقبل قول كل من جاءنا بقاعدة أو طريقة يمكن أن يحصل بها مقصد الشرع في عمل من الاعمال من غير الطريقة أو القاعدة الثابتة بنص الكتاب والسنة — وحينئذ يكون كل واحد من هؤلاء شارعا لغير ما شرعه الله تعالى وناسخا لما شرعه ولو في الوسائل، وهو شرك بالله تعالى كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقد بينا هذا المعنى في مواضع من التفسير والفتاوى القريبة العهد، وسيرى القراء شيئاً منه في الجزء الآتي من المنار في باب الفتوى ان شاء الله تعالى. وبمثل هذه الآراء أضاع من قبلنا أصول دينهم وفروعه

وأما الرأي الثاني فيقال فيه: ان الصيام لا يعد من رمضان الا اذا ثبت الشهر وكان الصيام بنية رمضان والا فقد ورد في السنة النهي عن صوم يوم الشك وعن استقبال رمضان بيوم أو يومين ...

وجملة القول ان الواجب على أهل بلدكم أن يعملوا في اثبات رمضان والعيدين بما يعمل به سائر المسلمين من الاستهلال فان رؤي الهلال فذاك والا أكملوا

كتابا ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما » فما دامت رؤية الهلال ممكنة فلا يجوز العمل بالحساب ولا بمثل ما ذكر من الضوابط المبنية عليه ، ولكن قد يحتاج الى الضوابط اذا تعذر العمل بالسنة كأن تطبق الغيوم في قطر كبير عدة أشهر ويتعذر عليهم الوقوف على اثبات صحيح للشهر برؤية الهلال في مكان قريب منهم مثلا أو اذا كان الصيام في المنطقة القطبية وما يقرب منها حيث لا شهور — فههنا يجتهد في تقدير الاوقات للصلاة والصيام . وقد بينا هذه المسائل من قبل والغرض هنا بيان أن المصيب من المختلفين في المسألة في بلاد السائل هو الفريق الذي يثبت الشهر برؤية الهلال والا فبا كمال عدة شعبان ٣٠ يوماً اذا غم الهلال على الناس. وينبغي أن يكثر المستهلون لتثبت الرؤية بالتواتر فان لم يتفق ذلك وشهد برؤيته من لا يعد عدلا في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فلا بأس بأن يعد عدلا في مذهب غيره والعبرة بتصديق الناس له فاذا كنا نعلم أن زيداً يتحرى الصدق ويتنزه عن الكذب ولكنه لا يرى بأسا ببعض ما يعد في المذهب مسقطا للمروءة و لا سيما اذا كان لا يعد مسقطا لها في هذا العصر أو لا يسقط مروءة مثله لمجموع مزاياه الاخرى ، فلا مانع من قبول شهادته . والعمدة في ذلك أن يعتقد صدقه ، فان بعض ما اشترطوه في العدالة مبني على العرف لا النص : كخرم المروءة. والعرف يختلف باختلاف الزمان والمكان . ويكفي في اثبات رمضان شهادة واحد، ثبت ذلك في السنة وجرى عليه الجمهور

وأما العيدان فالادلة في إثباتهما بشهادة عدل أو عدلين متعارضة والمهم أن يتفقوا على أحد القولين تفاديا من الاختلاف الذي يبغضه الله ويبغض أهله

بعد هذا نقول كلمة في تلك الاقوال التي نقلها السائل عن بعض المصنفين: فاما ما نقلوه عن جدنا جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فهو صحيح في نفسه وانما يطرد بموافقة إثبات الشهر بالحساب الذي تقتضيه قواعد الفلك ولكنه قد يخطىء اذا جرى الاثبات على قاعدة الشرع بالرؤية، وما يظن ان الامام قال بترك الاثبات بما أمر به جده عليه الصلاة والسلام والعمل بالحساب ، وإلا فان العارف بالحساب لا يحتاج الى ذلك الضابط بل يعرف أول كل شهر معرفة قطعية لاشك فيها . وانما تختلف أقوال مؤلفي التقاويم أحياناً لان بعضهم يجري في ذلك على قاعدة تولد القمر وبعضهم يجري على قاعدة توافق الشرع

المجلد الرابع من المنار وفي غيره كالمناظرة فيه بيننا وبين بعض كبراء علماء الازهر
وقد جاءتنا في هذه الايام فتوى من الهند بتحريم تزيين المساجد بالطلاء الذي يدخله (الاسبيرتو) بناء على القول بأنه خمر نجس وقد سئلنا عن رأينا فيها فأجبنا جواباً طويلا ضاق عنه هذا الجزء وسترونه فيما بعده ان شاء الله تعالى وتعلمون منه ان هذه الادوية والاعطار لا يحرم منها شيء وانما يحرم الشراب المسكر فقط

(البيرة) البيرة شراب مسكر يسمى في اللغة العربية (الجعة) فهو محرم قطعاً، وان كان القليل منه لا يسكر فان القليل ذريعة الى الكثير

(خلاصة الفواكه) ان أنواع الحلوى والمربى التي توضع فيها خلاصة الفواكه كالموز والتفاح كثيرة في مصر وغيرها من بلاد الاسلام يأكلها المسلمون من العلماء وغيرهم ولم يبلغنا ان أحداً جعلها موضوع خلاف يحتاج فيه الى الاستفتاء، ولا نعلم أن منها خمر، على ان الخمر اذا دخلت في مواد وطبخت هذه المواد خرجت عن كونها خمراً مسكرة وطهرت على القول بأنها كانت نجسة — وهذا مذهب الحنفية الراجح المختار عند نافيها كما بيناه في الرد على الفتوى الهندية المشار اليها آنفاً

(الاستصباح بزيت البترول) قد استغرب بناسؤالكم عن الاستصباح بزيت البترول وقولكم انه من المستحدثات في بلاد سيام فنحن منذ عرفنا الدنيا رأيناه يستصبح به في الدور والمساجد ولا وجه لجعله مما يسئل عن حله وحرمته فان الاصل في جميع الاشياء النافعة الحل واذا وجد شيء جديد ضار أو فيه ضرر من جهة ونفع من أخرى فهو الذي يسئل عن حكمه

(الانتفاع بالغازات) ماقيل في زيت البترول يقال في الغازات والمستعمل عندنا في الاستصباح منها غاز الفحم الحجري وهو كثير في مساجدنا ومنها الجامع الازهر . والله تعالى أعلم

﴿ استفتاء آخر في اسلام أهل سيام ﴾

﴿ المشوب بالاعمال والشعائر الوثنية البوذية ﴾

(س٤٦) من صاحب الامضاء

ماقولكم، دام فضلكم :

في مسلمين نساؤهم متبرجات تبرجا دونه تبرج الجاهلية الاولى . لايرين في

عدة شعبان، وأن يجتمع أئمة المساجد والعلماء ليله الثلاثين من رمضان فان ثبت الشهر أعلموا به الناس وصاموا جميعا والا أفطروا جميعاً . (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

شراء أوراق اليانصيب وربحها

« اليانصيب » ضرب من ضروب الميسر التي كثرت في هذا الزمان كما كثرت أنواع أخته الخمر، فلا خلاف في تحريمه بين علماء المذاهب الاسلامية كلها ، وأما ربحه من حكومة غير اسلامية في دار الكفر التي لا تنفذ فيها شريعة الاسلام فمباح اذ لا يمكن التزام أحكامها واشتراط عقودها في تلك الدار بل يكفي في حل أموال أهلها وحكومتها رضاؤهم وعدم كونه سرقة أو خيانة لهم. ولا حاجة الى بيان الفرق بين هذا الميسر والميسر الجاهلي فان كل ميسر حرام كما أن كل خمر حرام، وان أكثر أنواع الخمر والميسر المستحدثة في هذا الزمان شر مما كان منهما في عصر نزول الشرع، وان كان بعض الفقهاء يقول ان حرمة الخمر المتخذة من عصير العنب أشد وأغلظ من سائر الخمور ، فهؤلاء بنوا قولهم على دعوى لفظيـة مرجوحة والحق الذي بيناه في التفسير ان كل شراب مسكر فهو خمر لغـة وشرعا ، وان شر الخمور أشدها ضرراً في العقل والبـدن كالتي يسمونها الاشربة الروحية ولاسيما المستحدثة بالطرق الاوربية ، وكذلك الميسر شر أنواعه مااستحدثه الاوربيون في هذا الزمان

الادوية والاعطار الكحولية

اذا كان في الادوية التي يدخلهـا الكحول أشربة مسكرة فلا شك في تحريم شربها وعدم اباحتها الا في حال الاضطرار التي تبيح المحظور لقوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) قيل ومادون الاضطرار من التداوي الذي يكون بتجربة صحيحة أو برأي طبيب عدل يصدقه المريض بأن هذا دواءله ولا يوجد غيره يقوم مقامه. وقد فصلنا هذا البحث بأدلته من قبل. ولكن يوجد كثير من الادوية الجامدة والمائعة التي يدخلها الكحول للتطهير واماتة جراثيم الفساد ولغـير ذلك من حفظ المواد أو تحليلها أو تركيبها وهي ليست أشربة مسكرة فهذه لاوجه للامتناع من التداوي بها. ومثلها الاعطار الافرنجية المعدة للتعطر وللتطهير الطبي فلاوجه لتحريمها الا عند من يعتقد أنها خمر نجسة ، وقد بينا بطلان هذا القول في

أو ينظف أسنانه أو يصلح زيه يعدّ عندهم مارقا . فمعاشهم يأتيهم رغداً من ثمار ترغيب القوم وترهيبهم في فدية الصلاة والصوم وصلاة الجنائز، ولا يحضر أحد لصلاة الجنازة الا بدعوة من المصاب ؛ فأموات الفقراء يعد المصلون عليهم بالاصابع وأما الاغنياء فلا تسل — ومن الولائم واهداء ثواب الذكر والقرآن بل بيعه لاموات الاغنياء والمثرين ، ومن استنزاف ما بأيدي الناس من الصدقات بالترغيب في وضعها في أيدي العلماء والصالحين، والترهيب من أن تقع صدقة في يد الجهلاء والطالحين ، فكم من مسلم فقير عضه الدهر بأنيابه لم ينظر اليه أخوه المسلم، وكم وكم!! لان هذا في عينهم ليس من المستحقين للبر لفقره، أو لانه غير محلوق الشعر

وكل فقيه من فقهائهم أو امام من أئمتهم (عدا أهل بنكوك نوى) يشحذ ، والشحاذة شعار علمائهم والمتدينين منهم ، فاذا خرج فقيه الى القرى يشحذ وحصل كثيراً صار كبيرا مقدماً يفوق أقرانه ! .. وكثير من أئمتهم وعلمائهم من يملك أموالا طائلة من الذهب والفضة والاطيان ولكن لا يزكونها اذهم عند قرب حلول الحول يهبونها لاولادهم ونسائهم فيصبحون فقراء يستحقون الصدقات فيجولون من بادية الى بادية ، ومن بيت الى بيت يشحذون، فبعد انصرام موسم الحصاد وانقضاء الحاجة يستردون الاموال من أولادهم ونسائهم، ويقرضون المعوزين ويأخذون منهم خمسة في المئة شهرياً ، ويستحلونها بطرق يستنبطونها من قواعد فقههم ، أو يعطونهم ورقة بنكنوت قيمتها ١٠٫٠٠ تيكاس مثلا بشرط أن يؤدوها بخمسة عشر تيكاسا فضة ، وهم لا يرون زكاة في أوراق البنكنوت فتفتح لهم الابواب يدخلون فيها زمرا فرحين مستبشرين بما أوحى اليهم كبار علمائهم

والخلاصة أنهم — في دينهم ودنياهم — على غير المألوف في المسلمين في أقطار العالم . وما من مسلم فاضل ينزل عندهم الا ولسان حاله يقول :

بليت بقوم لا أريد ودادهم فأكرههم جداً مع البعد والقرب
ولكنني أصطاد رزقي بأرضهم ولابد للصياد من صحبة الكلب

فالمرجو أن تبينوا لنا حكم هؤلاء هل هم فسقة تسقط عدالتهم امام الشرع الشريف أم لا؟ فهذا الذي ذكرت قليل من كثير مما هم عليه من الخزي والضلال، وليس راءٍ كمن سمع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أحمد وهاب

أنفسهن عورة سوى السوأتين ، يتعاطين أشغال الحياة خارج البيت أكثر من داخله ، ويختلطن مع الرجال الاجانب ، ويزاحمهم في الاسواق والحفلات والولائم وكل الاشغال ، يقلن: لا إله الا الله محمد رسول الله ، ويصلين الخمس ، ويصمن رمضان الخ ، ويحضرن أسواقا خيرية ، وحفلات بوذية ، يقيمها البوذيون في معابدهم ، ويشتركن معهم فيها في الملهى والميسر في مكان مزدحم ، ولا يوجد أدنى فرق بينهن وبين البوذيات في الزي والهيئة ، — هذه أوصاف بناتهم ونسائهم — فهم لم يعرفوا ولم يعترفوا ان للحياء معنى ، وللغيرة معزى ، يهينون من لم يتزي بزيهم ، ويعيرون من لم يتخلق بأخلاقهم ، ويقلدون البوذيين في آدابهم ، وفي الملبس والمسكن والوساخة ، وفي بعض الامور الدينية ، . وللوثنيين ملبس خاص قبيح المنظر جداً ، ما يستر غير السوأتين ، ومسكن عجيب فيه غرفة أو غرفتان هي قاعة الاستقبال وقاعة النوم والا كل معاً — أول ما يرى الزائر عند دخوله المطبخ ومافيه ، والمرقد وما حواليه . كما ان وساختهم ليس لها حد ، ولقد صدق القائل : لاعتاب بعد الكفر ، ولهم معابد كثيرة قلما يخلو شارع من معبد أو معبدين ، وأقل مساحة كل معبد في بنكوك ٦٠٠ متر مربع . كذلك تجد مساجد المسلمين في كل حارة نزلوا فيها من مسجد الى أربعة يكثرونها بدون أقل حاجة ، يقيمون في كل منها الجمعة ويتبعونها بالظهر ، وكل مسجد معارض ومعاد للآخر — وكل معجب بما عنده — فجمعتهم تفرق وحدتهم ، وتبعث التنافر والتقاطع والتنابذ بينهم ، وعلى ما ظهر تنزل غضب الله عليهم ، ومع كثرة هذه المساجد — وفي عاصمة بنكوك فقط فوق عشرين مسجداً جامعاً — تجد عدد مصلي الجمعة في كل مسجد لا يتجاوز العشرين رجلا الا في مسجدين أحدهما في (بنكوك نوى) والآخر في (وسكيت) وهذه المساجد معظمها مقفلة الابواب في كل يوم ، ولا تفتح الا في أيام الجمع وليالي رمضان ، وعند حضور الجنازات ، كما ان معابد الوثنيين لا يفتحونها الا في أيام معلومة . وصلاة الجماعة مفقودة في غير مسجدين أو ثلاثة كأن لم يكن لهم علم بأنها من شعائر الاسلام والمسلمين

والمتوظفون في هذه المساجد والمتدينون عندهم محلقو الرؤس شعث غبر متقشفون تاركو التجارة والصناعة والحياة الشريفة لاهل الدنيا . فمن يحلق رأسه

الاحتفال بذكرى الاستاذ الامام

٢

كلمة الاستاذ منصور فهمي

أيها السادة

منذ أكثر من عشرين عاما ونحن صبية في أيام الدراسة الاولى اذكر انني كنت مع رفيق لي في شارع الدواوين

قيد أبصارنا على مقربة من باب احدى تلك الدواوين مرأى شيخ معمم أشيب، ربع القامة، مهيب الطلعة، لطيف المشية

نظرنا الى الشيخ نظرة المتفرج المتعجب حتى دخل الديوان وتوارى عن أبصارنا قال صاحبي ذاك هو الشيخ عبده فقلت: كان ينبغي أن نحييه، وعاتبت رفيقي على أنه لم يبدأ بالتحية فأتبعه، وعاتبني اذ لم أكن البادئ فيتبعني. ثم حمل كل منا رفيقه اثم ذلك التقصير، وانتحل كل منا لنفسه ما استطاع أن يدفع به عن نفسه من المعاذير

سرنا في سبيلنا واستبقى خيالي صورة ذلك الشيخ الذي كنت رأيته للمرة الاولى، وأخذت تمر امام نفسي تلك الاقوال التي كانت تقذف حول اسم ذلك الرجل الجليل

أخذت أتصور معنى الاصلاح لاني كنت اسمع انه من المصلحين. ومعنى العلم لاني كنت اسمع انه من أكبر العلماء. ومعنى الخروج عن المألوف لاني كنت اسمع انه من الذين خرجوا عن المألوف الذي لا يعتمد على حق، ولا على عقل، ومعنى العظمة لاني كنت أسمع انه كان عظيما

أخذت المعاني المختلفة تتوالى على ذهني الضعيف الغض لان الاحاديث التي كانت تدور حول اسم الشيخ كانت مختلفة الالوان أيضاً

ما كنت أستطيع وقتئذ أن أدرك حق الادراك معنى العلم ولا معنى الخروج

﴿ المنار ﴾ ان اطلاق لقب الفسق وسقوط العدالة بالمعنى المعروف أقل ما يقال في هؤلاء الناس ، وكنت أود لو أعرف شيئاً من تاريخ دخولهم في الاسلام ، وكيف يتعلمه الذكور والاناث في هذه الايام ، وهل يعرف عوامهم العربية وماذا يوجد عندهم من كتب العقائد والفقه ، وما يحسن أن يرسل اليهم منها ولو بغير ثمن ان كانوا يقرأون .

ان ماذكر السائل عنهم وقال انه قليل من ضلالاتهم الكثيرة يشمل عشرات من المعاصي المجمع على تحريمها دع مافيه خلاف منها هل هو فسق أو كفر ، أو هل هو من الكبائر أو الصغائر ، ولعلنا نفصلها في مقال خاص ،

ان بعض هذه الفواحش والمنكرات مما يكفر جميع علماء المذاهب الاسلامية من يستحله لانه من المعلوم من الدين بالضرورة ولا سيما مشاركة الوثنيين في عباداتهم وأكل الربا ومنع الزكاة واظهار عورات النساء للرجال على الوجه المبين في السؤال . ولا يعذر مرتكبو أمثال هذه الكبائر الا اذا كانوا حديثي عهد بالاسلام بحيث لم تبلغهم أحكامه في هذه المسائل وظاهر ماذكرتم من أمرهم أن منهم فقهاء على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه، ولعل بلاءهم من فقهائهم كاكثر عوام المسلمين الذين لا يهتم فقهاؤهم بنشر الدين فيهم ويكرهون كل من يرشدهم اليه ويصدونهم عنه، أوليسوا هم الذين كتبتم الينا انهم يصدون عن المنار ويعادون قراءه « ويرمونهم بألسنة حداد ، ويجعلونهم من المفسدين لآثار الآباء والاجداد» فما الحيلة في هداية عامتهم، اذا كانت هذه حالة علمائهم؟

يا معشر القراء ياملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

والذي نراه أنه اذا أمكن إطلاع هؤلاء الناس على حكم الله فيما هم فيه وكانوا في جملتهم مذعنين لاصل الدين، فلا بد أن يهتدي كثير منهم واذا كانوا يعرفون العربية فيحسن اطلاعهم على كتاب الزواجر للفقيه ابن حجر المكي الشافعي، ونحن مستعدون لما نكلفه من السعي لهدايتهم . وأما اذا كانوا لا يذعنون لما يعلمون من دين الله قطعا فلا يعتد باسلامهم ولا يعبأ بصلاتهم ولا بصيامهم ، لان شرط صحة الاسلام أن يذعن المؤمن لكل ما علم أنه منه ، ولا يستحل مخالفة شيء منه، ولا يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض وإلا كان متبعا لهواه لا لما شرعه الله (أرأيت من اتخذ إلهه هواه فأنت تكون عليه وكيلا)

الحياة سائرة والكمال سائرا وهو يسير انما سارا . لا نكرن نفسيته حيث تكون نفسيات الناس لانها كبيرة تمتد في الوجود اللانهائي، ونفسيات عامة الناس صغيرة ضائلة لا تسد في الوجود الا فراغا يسيراً.

تلك هي بعض صفات العظيم فهل كان الرجل الذي نذكره اليوم على شيء من هذه الصفات ؟ .

ان من يطلع على حياة الشيخ يتبين القوة العظيمة التي كانت تقوم عليها نفسه الكبيرة وأدل دليل على ذلك ان الاعمال التي اتصلت بها جهوده وقع فيها حرب بين أسلوب القديم وأسلوب الجديد وكان هو حامل لواء الثاني وكان في جهاده ظافراً منصوراً .

أليس هو الذي عند اتصاله بصناعة الصحافة والتحرير أدخل في التحرير اسلوبا أصح ووجه الكتابة العربية وجهة الدقة والطلاوة .

أليس هو الذي أدخل الاساليب الحديثة في التعليم الديني عند اتصاله بادارته؟

أليس هو الذي أجهد نفسه ليربط العلوم الاسلامية بالينابيع الصحيحة الواسعة ويوجهها وجهة الطرق العلمية الصحيحة؟

أليس هو الذي كان صوته عاليا في محاربة روح الاستبداد والجمود أينما تكون ؟

أليس هو الذي أكبر شأن الافتاء عند اتصاله بذلك المنصب الكبير وأخذ يفتي في اقطار الاسلام المختلفة بمسائل دقيقة فتح بها للافتاء الشرعي مسلكا جديداً؟

أليس هو الذي كان يوفق بين روح المحافظة وروح التجديد وروح الدين وروح العلم حتى يستفاد من حسناتها جميعاً؟

أليس هو من أصحاب الفضل في المناداة بحرية الفكر واحترام استقلال الرأي؟

ان الجيل الناشيء مدين للشيخ عبده بتعود التسامح وتقدير فوائد الاستقلال الفكري، وقد جهر الشيخ بفضل ذلك في خطبة القاها بتونس اذ يقول : « أقول قولي هذا ولا أريد به الزام سامعه بقوله وإلا خالفت ما أدعو اليه من استقلال الفكر وحرية الرأي . . »

عن المألوف ولا معنى العظمة ولا معنى الاصلاح . كنت لا أدرك ذلك وكان زميلي مثلي لايدرك تلك المعاني أيضاً، ولكننا كنا نشعر بشيء واحد . هو رغبتنا الصادقة في أن نؤدي لذلك الرجل تحيتنا اكبار له واجلالا

كنا نرغب في ذلك أيها السادة كان في نفوس الصغار والسذج حسا يدركون به معنى العظمة وشعور خاصا يتميزون به ميزة الرجل العظيم، رغم مايسترها من أقوال المتقولين، وذم الحاسدين، وثائرة الجاهلين

قضى القضاء أيها السادة أن تكون تلك المرة التي رأيت فيها الشيخ هي الاولى والآخرة، ولكن الله يريد أن اقف اليوم لاحيي الشيخ تلك التحية التي كنت أريد أن أقدمها اليه منذ عشرين عاما

نعم أيها السادة كنت أريد أن احيي ذلك الرجل وأنا صبي في بداية العمر وبداية العلم، واليوم أتقدم لتحيته وأنا أخدم العلم الذي كان الشيخ يخدمه وأحصل ثمارا كان الشيخ يعمل على انضاجها وأعين على تغذية اذهان طالما أراد الشيخ أن تشبع علما

كنت أريد أن أحيي الشيخ من عشرين عاما لاني كنت أشعر انه عظيم ممتاز ، والآن أتقدم لتحيته وقد أصبحت أدرك شيئا من معاني العظمة والامتياز

***

العظمة أيها السادة واسعة، واسعة، تتضاءل أمام سعتها وهيبتها كل المعاني

العظمة من المعاني التي اذا مست الكون ينعدم عندئذ الحاسد ويتلاشى الحقير، ويظهر الصالح، ويعلو الكبير .

العظمة متحركة لاتعرف القرار والسكون وتمتد كاللهب المستعر في كل جهة وتعمل فيما يصيبه عملها النافع

لا تعرف القرار لانها تجري وراء الكمال وأمام الكمال . . . .

على ذلك يكون الرجل العظيم هو الذى يريد أن يعوض الناقص بالكامل ويعتمد على نفسه لمتهيبة الثائرة . لا يريد أن يقف حيثما يقف الناس، لانه يرى

العالية ولم يمض قليل من الزمن حتى أنشئت الجامعة المصرية صدى لامنيته الكبيرة العالية

لانزال الى اليوم نحتاج لى مثل هذه الصيحة تنبهنا الى اننا نريد علوما توجد فينا رجالا واسعي العقول .

نريد علوما تكون فينا اخلاقنا ومداركنا، وتحبب الينا الحياة او تبين لنا ما يمكن ان يكون في العيش من جمال وسمو .

نريد ذلك الآن، وقد اراده الشيخ من قبل وجهر به واوصى فلا غرابة وقد اخذت امانيه تسير في سبيل التحقيق ان يقوم في الجامعة المصرية أحد أساتذتها بذكر الشيخ بالحمد والتحية والاجلال .

أيها السادة . .

ان الوقت الذي قدر لي لاقف بينكم ذاكرا الشيخ لا يتسع لتعديد حسناته في حياتنا الاجتماعية ولكن حسبه من العظمة أنه كان من زعماء الدين ومن زعماء الدنيا معا .

توجه الى شؤون التصوف والتقى وفقه الدين، ولكنه لم يهمل شؤن الاصلاح والعمران فؤاد تولاه نور السماء . ولكنه وسع مسائل الارض .

ذهن وفق بين عالم الغيب وعالم الشهادة . .

رجل وصل بين الارض والسماء بسبب . .

« انه لرجل عظيم »

منصور فهمي

الاستاذ بالجامعة المصرية

ان الجيل الحاضر يقدر له بلاءه الحسن في احترام الرأي القائم على التفكير، ويجب أن يقدر له المشتغلون بالعلم صيحته الصارخة بوجوب تعديل التعليم بحيث يخرج العلماء المشتغلين بالابحاث العقلية المحضة

قال ذلك في وصيته السياسية التي كتبها بالفرنسية الى الكونت دي جريفيل (فنشرها) في مؤلفه مصر الحديثة في ٦ يونيو سنة ٩٠٥ أي قبل موته بنيف وثلاثين يوما وسينشر أخونا الدكتور طه حسين تعريب هذه الوصية قريبا

قال الشيخ في هذه الوصية :

«اذا نظرنا الى التعليم الذي تنشره الحكومة من حيث قيمته فنحن مضطرون الى أن نلاحظ أنه لا يكاد يقدر الا على تكوين رجل محترف بحرفة يكتسب بها الحياة، ومن المستحيل أن يستطيع هذا التعليم تكوين عالم أو كاتب أو فيلسوف فضلا عن تكوين نابغة، وكل ما لدينا من المدارس التي تمثل التعليم العالي في مصر انما هي مدرسة الحقوق والطب والهندسة، وأما بقية الفروع التي يتكون منها العلم الانساني فقد ينال منها المصري أحيانا صورا سطحية في المدارس الاعدادية ويكاد يكون من المستحيل أن يتقن منها شيئا، وهو في الغالب مكره على أن يجهلها جهلا تاما، وذلك شأن العلم الاجتماعي وفروعه التاريخية والخلقية والاقتصادية ذلك شأن الفلسفة القديمة والحديثة والآداب العربية والاوروبية والفنون الجميلة أيضا، كل ذلك مجهول لا يدرس في مدرسة مصرية . والنتيجة أن في مصر قضاة ومحامين وأطباء ومهندسين ، تختلف كفاءتهم قوة وضعفا في احتراف حرفهم، ولكنك لا ترى في الطبقة المتعلمة الرجل الباحث، ولا المفكر، ولا الفيلسوف، ولا العالم . لا ترى الرجل ذا العقل الواسع . والنفس العالية . والشعور الكريم، ذلك الذي يرى حياته كلها في مثل أعلى يطمع فيه ويسمو اليه » .

***

يتبين لكم مما تقدم أيها السادة أن الشيخ كان مبشرا بدار العلوم العقليـة

وردوا الحوض تباعاً فقضوا باتفاق في منايام عجيب
أنا مـذ بانوا وولى عهـدهم حاضرُ اللوعة موصول النحيب
هدأت نيران حزني هدأة وانطوى (حفني) فعادت للشبوب
فتذكرتُ به يوم انطوى صادق العزمة كشاف الكروب
يوم كفناه في آمالنـا وذكرنا عنده قول (حبيب
(عرفوا من غيبوه وكذا تعرف الاقمار من بعد المغيب)
وفجعنـا بامام مصلح عامر القلب وأواب منيب
كم له من باقيات في الهـدى والدى بين شروق وغروب
يبـذل المعروف في السر كما يرقب العاشق اغفاء الرقيب
يحسن الظن به أعـدؤه حين لايحسن ظنّ بقريب
تنزل الاضياف منـه والمنى والخلال الغرّ في مرعى خصيب
قد مضت عشر وسبع والنهى في ذبول والاماني في نضوب
نرقب الافق فلا يبـدو به لامع من نور هاد مستثيب
وننادي كل مأمول وما غير أصداء المنادي من مجيب
دويَ الجرح ولم يُقـدر له بعد ثاوي (عين شمس) من طبيب
أجدب العـلم وأمسى بعـده رائدُ العرفان في واد جـديب
رحمـة الدين عليـه كلما خرج التفسير عن طوق الاريب
رحمـة الرأي عليـه كلما طاش سهم الرأي في كف المصيب
رحمـة الفهـم عليـه كلما دقت الاشياء عن ذهن اللبيب
رحمـة الحلم عليـه كلما ضاق بالحدثان ذو الصدر الرحيب
ليس في ميـدان مصر فارس يركب الاخطار في يوم الركوب
كلما شارفـه منـا فتى غاله المقـدار من قبل الوثوب
ماترى كيف تولى «قاسم» وهو في الميعة والبرد القشيب
أنسي الاحياء ذكرى (عبده) وهي المستاف من مسك وطيب

قصيدة حافظ ابراهيم بك

آذنت شمس حياتي بمغيب ودنا المنهل يا نفس فطيبي
ان من سار اليه سيرنا ورد الراحة من بعد اللغوب
قد مضى « حفني » وهذا يومنا يتدانى فاستثيبي وأنيبي
وارقبيه كل يوم انما نحن في قبضة علام الغيوب
اذكري الموت لدى النوم ولا تغفلي ذكرته عند الهبوب
واذكري الوحشة في القبر فلا مؤنس فيها سوى تقوى القلوب
قدمي الخير احتسابا فكفى بعض ما قدمت من تلك الذنوب
راعني فقد شبابي وأنا لا أراع اليوم من فقد مشيبي
حن جنباي الى برد الثرى حيث أنسى من عدو وحبيب
مضجع لا يشتكي صاحبه شدة الدهر ولا شد الخطوب
لا ولا يسئمه ذاك الذي يسئم الاحياء من عيش رتيب (١)
قد وقفنا ستة (٢) نبكي على عالم المشرق في يوم عصيب
وقف الخمسة قبلي فمضوا هكذا قبلي واني عن قريب

---

(١) أي على وتيرة واحدة

(٢) يشير الى يوم تأبين المرحوم الاستاذ الامام فقد كان المؤبنون يومئذ ستة أولهم الاستاذ الشيخ احمد أبو خطوة والثاني حسن عاصم باشا . والثالث حسن عبد الرازق باشا . والرابع قاسم امين بك . والخامس حفني ناصف بك . والسادس حافظ ابراهيم بك . وقد مات المؤبنون على ترتيب وقوفهم في الخطابة واحدا بعد واحد ولم يبق غير حافظ — أطال الله بقاءه — وقد نظم ذلك المرحوم حفني بك ناصف بأبيات بعث بها الى الشاعر منها : —

أتذكر اذ كنا على القبر ستة نعدد آثار الامام ونندب
وقفنا بترتيب وقد دب بيننا ممات على وفق النظام مرتب
أبو خطوة ولى وقفاه عاصم وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى وغابت بعده شمس قاسم وعما قريب نجم حياي يغرب

والقلم في إكبار علمه وعقله : إنني أعتقد ان دماغ هذا الرجل أعظم دماغ عرف، وانه لو وزن لرجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الافرنج وزن أدمغتهم (كابرس بسمارك). ولما قرأت في الجرائد نبأ وفاته (وكان الغازي يومئذ في أوربة) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لان الخسارة به لاعوض لها

وأبنه الدكتور عبد الله جودت أحد كتاب الترك المشهورين وأحد مؤسسي جمعية الاجتهاد والترقي في مجلته (اجتهاد) التي كانت تصدر في مصر باللغتين التركية والفرنسية مرتين في العددين التاسع والحادي عشر من السنة الاولى لمجلة عنوان الترجمة (الاموات الذين لايموتون) فقال في الاول منهما ما ترجمته الحرفية

كان الشيخ محمد عبده بلا خلاف أحد النابغين الذين لا يدخلون في طبقات الرجال، وانما اللانهاية هي الحد الوحيد الذي ينتهي اليه علمهم .

ثم قال كان الشيخ محمد عبده مسلما حقيقيا على قدم النبي صلى الله عليه وسلم. وقال في العدد الآخر : كان الشيخ محمد عبده مسيحا ثانيا منح للعالم الاسلامي الذي كان دوي سقوطه فيه يصخ مسامع ذوي الوجدان، ويحرق أحشاء اصحاب الايمان .

وكتب الدكتور ادوارد براون العلامة الانكليزي المدرس في جامعة كمبردج كتاب تعزية قال فيه « مارأيت في الشرق ولا في الغرب مثله »

وقال ابراهيم باشا نجيب المصري : ان الناس لايعرفون قيمة الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة — أي بعد انتهاء جيلين في التربية الاجتماعية

وقال الدكتور يعقوب صروف صاحب المقتطف لما أكثر المؤبنون في حفلة الاربعين من وصف الاستاذ بكلمة فقيد الاسلام وفقيد مصر : اننا لانرضى بأن يكون فقيدكم وحدكم، بل نقول إنه أكبر من ذلك — انه فقيد الشرق كله

وأزيد هنا كلمة مما ضاق الوقت عن ذكره هنالك وهي ان السيد محمد توفيق البكري سمع نبأ وفاة الاستاذ الامام وهو في أوربة فلم يصدق الخبر فلما عاد الى مصر أخبرنا بأنه لم يصدق الخبر الا بعد عودته الى مصر وعلل ذلك بأنه كان يخال أن الموت لا يتجرأ على الشيخ محمد عبده وقال : لقد ترك الشيخ فراغا لايسده

انهم لو أنصفوها لبنوا معهداً تعتاده كف الوهوب
معهداً للدين يسقي غرسه من نمير فاض من ذاك القليب
ونسينا ذكر حفني بعده ودفنا فضله دفن الغريب
لم تسل منا عليه دمعة وهو أولى الناس بالدمع الصبيب
سكنت أنفاس حفني بعد ما طيبت في الشرق أنفاس الاديب
عاش خصب العمر موفور الحجى صادق العشرة مأمون المغيب

كلمة صاحب المنار (١)

أيها السادة

ان اخواني أعضاء لجنة هذا الاحتفال قد حددوا وقته وخصوني بالكلمة الختامية لانه مهما يقل من قبلي فانه يسهل علي أن آتي بشيء جديد ، لسعة وقوفي على تاريخ شيخنا الامام الذي نحتفل بذكراه ومعرفتي بشؤونه ، وأن أجمله على قدر ما بقي من الوقت إذ لا أكون ملتزماً لالقاء كلام معين مرتبط بعضه ببعض .

أيها السادة : ان أخص صفات استاذنا الذي اجتمعنا لاحياء ذكراه هو انه إمام مصلح ، فهو في كل طور من أطوار حياته العملية كان يعمل لخدمة الناس واصلاح شؤون الامة ، ولم يكن يعمل لنفسه ولا لبيته شيئا يذكر ، فلو أجملت تاريخ حياته في كلمة مفردة لكانت تلك الكلمة هي « المصلح »

طرق جميع أبواب الاصلاح بل دخل فيها عالما عاملا مجيداً متقنا ، حتى تعلقت به آمال وطنه وأمته ، بل آمال الشرق كله وأكبره العلماء والعقلاء والاذكياء من كل أمة وشعب على اختلاف أديانهم ومشاربهم

قال المشير أحمد مختار باشا الغازي علامة الترك الشهير ورب السيف

---

(١) كانت الكلمة ارتجالية وكتبت بعد القائها بزمن طويل في الجملة فلا بد أن ينقص المكتوب فيها جملا ويزيد اخرى ولو بسطا وايضاحا او يختلف ترتيبا

وبين العلم العصري والمدنية ورجالها ، ففقدته مصر وسائر بلاد الشرق في أشد أوقات حاجتها اليه ، ولكنها انما فقدت شخصه ، ولم تفقد رأيه وهديه ، ولقد كانت الى عهد وفاته لم يكمل استعدادها للنهوض معه ، ولذلك كان يقول : اوح الرجل الذي ليس له أمة ،

حقا إن اتفاق كلمة الاحزاب المختلفة من طلاب الاصلاح الديني والمدني على زعامة هذا الامام ، جدير بأن يعد من خوارق العادات ، فهو على ما كان معروفا به من قوة التدين والغيرة على الاسلام ، والاجتهاد في الاصلاح الذي يرتفع به شأنه — كان محل رجاء غير المسلمين من علماء الشرق ورجاء من لا يشغل الدين محلا من قلوبهم ، بأنه هو الرجل الذي يمكن أن يقود نهضة الشرق — كما قال الدكتور صروف ، وكذا غيره من أدباء النصارى — (كما يعلم من أقوال بعضهم في تأبينه ورثائه التي نشرناها في الجزء الثالث من تاريخه)

واني أبين هنا بالكتابة ماضاق الوقت عن بيانه في الحفلة من سبب ذلك - وهو أن أكثر أهل الشرق الادنى مسلمون معروفون بشدة الاستمساك بدينهم ، وقد حال سوء فهمهم للاسلام دون مجاراتهم للشعوب العزيزة القوية في مضمار العلوم والفنون والثروة والحضارة ، حتى ساء ظن بعض المفكرين فيه ، وظنوا انه هو المانع من الترقي من حيث هو باعث عليه ويتعذر إنهاض الشرق بدونهم . وانهاضهم بدون اصلاح ديني يتفق به الدين مع العلم والحضارة ، ويعلم به ان العقيدة الاسلامية ، لاتنافي الوحدة الوطنية ، لذلك شهد اورد كرومر بأن الحزب الاسلامي الذي كان زعيمه الشيخ محمد عبده هو الحزب الوسط بين الحزب المحافظ على التقاليد العتيقة الذي يحارب المدنية وينبذها وبين حزب المتفرنجين المارقين من الدين وانه هو الحزب الذي يرجى أن تنهض به البلاد

وقد سئل اللورد عن الشيخ هل كان متساهلا في الاسلام؟ فقال: بل هو متعصب له أو فيه ولكن بعقل

ذكر خطيبنا الاستاذ الشيخ مصطفى ماتوجهت اليه همة الاستاذ الامام

أحد ، فانه كان كما قال المتنبي : ملء السهل والجبل . ولو ترك مناصب الحكومة وعمل مستقلا لاحدث انقلابا عظيما

أشار بعض الخطباء الى ما كان من تحامل بعض الشيوخ عليه منذ أشرق نور عبقريته بعد اتصاله بالسيد جمال الدين حتى سعى بعضهم فيه الى شيخ الازهر الشيخ المهدي العباسي عند امتحانه لشهادة العالمية ليسقطوه فيه وكانوا تقاسموا بالله ليحرمنّه من هذه الشهادة ، ولكن الشيخ المهدي كان رجلا كبيرا لا يلتفت الى هذه السفاسف، فلما حضر امتحانه ورأى مارأى من نبوغه على ما كان من اعنات بعض مشيخة الامتحان له ، وكيدهم لايقاعه في الاغلوطات ، حلف إنه مارأى مثله وانه أحق من يأخذ الدرجة الاولى بها — فقنع حينئذ أبهم أشد على الرجل عتوا بأن يأخذ الدرجة الثانية ، حلف بالطلاق أن لا يعدوها الى الاولى، فبرّ شيخ الازهر قسمه — مع اعترافه بأنه ظلمُ الممتحن — إطفاء للفتنة

كان أكثر تحامل من تحامل عليه من الشيوخ بغيا منهم سببه في الاكثر الحسد ، وفي الاقل سوء الظن في رجل مستقل الفكر في العلم ، يستدل فيحكم بالنفي او الاثبات ، وقد قرأ الفلسفة ولازم السيد جمال الدين . واذا لم يكن العالم العاقل المدلي بالحجة فيما يأخذ و يترك ، ظنينا في دينه ، متهما في عقيدته ، مهما يكن من صلاحه واستقامته ، فأولى من توجه التهم ، من هؤلاء الجامدين الذين لا استقلال لعقولهم في علم ولا عمل ؟

لكن الرجل على ما أوذي في الله من أول ظهور فضله، الى يوم لقاء ربه — لم ينل أحد بعض ما نال من الاحترام عند أمم الشرق والغرب، وعند جميع الطبقات من قومه، في حياته و بعد مماته، فقد كان طلاب الاصلاح العلمي الديني ، وطلاب الاصلاح المدني ، وطلاب اصلاح الحكومة، على مذاهب فيها ، وكل منهم يعده اماما وزعيما للامة فيما يرجوه، يطلبه لها ، وقد صرح بهذا اصحاب المقتطف والمقطم في ترجمتهم له عند وفاته، فهو قد وصل باجماع الطبقات والفئات المفكرة على علمه وفضله الى مقام الزعامة الذي كان يرجى أن يزيل به الخلاف بين الدين وأهله ،

بمجرد مفارقته للحياة الاولى، ولكنها تبرز للوجود في إمداد خاص فينتفع بها الآخرون، كما انتفع بها الاولون،

أيها السادة: ان إحياء ذكرى الاستاذ الامام بعد مضي هذه المدة يعد فألا حسنا في حياة مصر، وبشرى يترقب من ورائها النصر والظفر، اذ الامة التي تستطلع آيات الماضي في أوقاتها العصيبة لتسترشد بها في حياتها المستقبلة، لهي الامة التي قويت عقليتها وعمت حياتها، واذاً لا ضير عليها ولا خوف مهما تلون فيها العذاب، واشتدت بها الخطوب

إن الاستاذ الامام لا بد أن يكشف المستقبلُ القريب للامة عن حقيقته الواقعة والواضحة في نفوس أصدقائه وطلابه

ان الاستاذ الامام قد أجمع اصدقاؤه وأعداؤه معا على أنه نابغة من نوابغ عصره، وان اختلفت أنظار الفريقين في مدرك جهة النبوغ، وعندي أنه مع نبوغه وتفوقه على أقرانه في كثير من مسائل الوجود المعروضة على البحث . هو عبقري من كبار العبقريين في نظرياته الدينية التي ليست لها صورة واضحة في دين الاسلام(١) وخصوصا فيما يتعلق بالعلم ونظام التعليم

أيها السادة : ان الذكرى آية تدل على عظمة الاستاذ في نفوس الامة ازدياد تعلق القلوب به بلا سبب عادي يحال عليه ذلك التعلق وراء الفضيلة المجردة والنبوغ والعبقرية، لانه وان كان رجلا سياسيا ومدنيا، الا أن السياسة لم تكن من مظاهره الواضحة، بل كان مظهره الحقيقي والرسمي أنه رجل ديني من كبار علماء الدين، وليس للدين في مصر عوامل قوية تحيل عليها تفكير الناس في احياء ذكره، بل الدين كما ترون ذابل في جو الفساد المنتشر الذي ينتزع الحق والفضيلة انتزاعا، ولو أن الاستاذ الامام كان مظهره سياسيا لما بلغ منا العجب مبلغه اذا فكرت الامة بعد هذا الزمن الطويل في احياء ذكره، لان الحياة السياسية فتية في العالم، ونامية ملتهبة، متمشية مع العواطف، ومتغلغلة في نفوس الخاصة، والجماهير ترتكز على أقل الاسباب

(١) هذه الكلمة مجملة مبهمة يجلي ما بعدها بعض ما فيها من الاجمال

أخيراً من بناء قواعد الاصلاح كلها على التعليم وتربية الامة ، وأزيد عليه أن أهم أركان التربية عنده تربية الارادة التي يتوقف عليها كل اصلاح وكل نهوض وأكتفي في هذا الوقت الضيق بكلمة واحدة له فيها

قال لي مرة : والله لو أن في مصر مئة رجل لما استطاع الانكليز أن يقيموا فيها أو لما استطاعوا أن يعملوا فيها عملا — ان عندنا مئين وألوفا كثيرة من المتعلمين الذين يستطيعون القيام بالاعمال المختلفة في جميع الوظائف ولكن أكثرهم ضعفاء الارادة لا يرجى منهم شيء

(وههنا ناشد الخطيب صديقه الشيخ علي سرور الزنكلوني بأن يختصر ويدع له وقتا يقول فيه كلمة، فختم كلامه بالتنبيه الى إحياء مبادىء الاستاذ الامام)

*

كلمة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني

أحد علماء الازهر

أيها السادة : إن اللجنة المحترمة لم تبح لي في ضمن قراراتها القول مع القائلين في هذه الحفلة المباركة لضيق الوقت وكثرة الخطباء ولكن أبى الله الا أن يتسع لي الوقت فأقول كلمتي في إمام لي شرف الانتساب اليه . وقد أرى من الغبن أن أحرم الحديث عنه في مثل هذا اليوم . وقد أذنت لي اللجنة الآن . وأنا على غير عدة فأشكرها على هذا التساهل العظيم

أيها السادة : ان الاستاذ الامام الشيخ محمدا عبده كان آية من آيات الله تعالى، فقد مضى على مفارقته لهذه الحياة سبعة عشر عاما تقريبا والامة لم تحتفل بإحياء ذكره . وليس من المعقول أن تبرز الفكرة في هذا اليوم واضحة جلية والامة منها في شوق ولها على استعداد تام كما ترون ولا يكون المحتفل به آية من آيات الله

إن آيات الله تعالى الثابتة في الكون مهما طال عليها العهد لا بد أن ترجع إليها العقول المتحيرة لتستنير بها في المستقبل، لانها لم تخلق خلقا عاديا يتناسى

بالترحم عليه كلما ذكروا الاستدلال بأقواله اذا أظلم عليهم الامر، والتمسك بمبادئه والنهوض في سبيل تعاليمه وارشاداته، حتى إن مذهبه ليزداد انتشارا في كل يوم، خصوصا بين الطلاب. وان المعاهد الدينية بفضل ارشاداته سائرة في طريق الرقي والاصلاح الذي كان ينشده رحمه الله تعالى. فالحمد لله على نعمة التوفيق والسلام

علي سرور الزنكلوني — من علماء الازهر

بهذه الكلمة انتهى ما قيل في الحفلة وانفض على أثرها الاجتماع

بعض ما أرسل الى اللجنة من منظوم ومنثور

قصيدة قديمة

﴿ لصاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية ﴾

لما ولي الاستاذ الامام إفتاء الديار المصرية نظم الاستاذ الفاضل الاديب الشيخ عبد الرحمن قراعه (مفتي الديار المصرية) لهذا العهد قصيدة بليغة هنأه بها. وهذا الاستاذ يفتخر بأن الامام قد أجاز قوله له مرة: إنه أصغر اخوانه. وأكبر أولاده. ذلك بأنه حضر معه دروس بعض شيوخه ومنهم السيد جمال الدين وحضر عليه بعض ما قرأه من الكتب. وقد نشرت تلك القصيدة في المجلد الثاني من المنار. وقد نسخها الاستاذ احمد زكي باشا لتقرأ في الحفلة لقوة المناسبة التي لا يغفل عنها الباشا. وهي أن هذا الاحتفال لاحياء ذكرى مفتي الديار المصرية. ويرأسها خلفه في افتاء الديار المصرية فناسب أن تتلى فيه قصيدة لخلفه في إفتاء الديار المصرية. ولكن الوقت لم يتسع لانشادها للابداع احمد زكي باشا في شرح هذه المناسبة لها فاقترح على اللجنة أن تنشرها فيما تطبعه من بيان احتفالها. وهي

بهديك في الفتوى الى الحق نهتدي ... ومن فيض هذا الفضل نجدى ونجتدي
سمت بك للعلياء نفس ابية ... وعزمة ماض كالحسام المجرد
ورأي رشيد في الخطب وحكمة ... وتجربة في مشهد بعد مشهد

أيها السادة : ان الاستاذ الامام قد كان محبوبا عند الخاصة وكانوا في زمنه قليلين ، وكان مصادرا من الجماهير تبعا لمصادرة رجال الدين له، وقد افترق العقلاء في كل فكرة تصادفها المعارضة على فرقتين : هل الحق مع الاقلية أو الاكثرية؟ وعندي أن المسألة واضحة لا تحتاج الى احتدام الجدل وتشعب الآراء

إن الحق يكون مع الاقلية دائما اذا كانت لامة سائرة في حياة تقليدية مضى على العمل بها زمان طويل فحكمت في النفوس، سواء أكانت الحياة دينية أم مدنية ، والامة في دور جهالتها ، ثم جاءها رجل من أبنائها أو من غير أبنائها وله عقلية راجحة ، وشخصية واضحة ، فدعاها الى الاصلاح بالحجة والبرهان ، ولفتها الى دلائل الحياة الصحيحة ونماذجها، فصادمته ولم تذعن له بادىء ذي بدء اللهم الا النزر القليل ، لان عقولها محصورة في دائرة حياتها الموروثة ، ومن الصعب أن تتخطى تلك الدائرة بسهولة، قبل أن يصادفها شيء من التهذيب بالتجربة والتعليم ، ففي هذه الحالة يكون الحق دائما مع الاقلية . وعلى هذا النحو كانت حياة الانبياء وكبار المصلحين ، وقد كانت معارضة الاستاذ الامام من هذا القبيل

وأما اذا نزل بالامة حادث ديني أو مدني فاصطدمت به العقول واحتدم فيه الجدل، وانقسم المفكرون الى قسمين، تبع الجمهور فيه أحد الفريقين ، فالحق في تلك الحالة بلا ريب مع الاكثرية ،خصوصا اذا كانت الاقلية يجانبها القوة المجردة، لان الجمهور لا يسير الا في طريق لامارات الظاهرة ، والدلائل الواضحة ، البعيدة عن المخاوف. والبريئة من الظنون والشكوك، وليس الجمهور في تلك الحالة سائراً بعقليته الساذجة، وانما هو تابع من جهة لطائفة من المفكرين قد أناروا له الطريق، ومنساق من جهة اخرى بما أودعه الله في فطرته السليمة من الاستعداد لقبول الحق بسرعة ، وهي الفطرة القوية التي نصر الله بها الانبياء والمرسلين

أيها السادة : ان تبعة إهمال ذكرى الاستاذ الامام في هذه المدة الطويلة لا يجوز أن تلقى على عاتق المعاهد الدينية فان هذا النوع من الحفاوة لم يكن معروفا لهم، ولا مألوفا عندهم ، وقد أدوا للاستاذ الامام أكبر ما يعرفون من الحفاوة والذكرى ،

محمد عبده

﴿ للشاب النجيب محمود افندي كامل [1] ﴾

﴿ نجل الاستاذ العالم العامل ، محمد علي بك كامل المحامي الشهير ﴾

في مثل هذا الشهر من سبعة عشر عاما مضت رشق الدهر قلب مصر بسهم أدماه . وهبت عواصفه على أهل الكنانة فأثارت لوعتهم . وتركت في كل دار مأتما ، لم يشفق — أجل لم يشفق ذلك الدهر الغلاب على أبناء مصر فأخذهم على غرة.

اختطف من بين أحضانهم أباهم الحنون — وهم فرحون بالنظر اليه ، جذلون لقربهم منه — فقلب أفراحهم أتراحا ، و بشرهم عبوسا . اختطف أمهم الرؤوم التي كانت ترضعهم من ثديها أفاويق رنقها الكمال ، وا كتنفها الجلال

اختطف قائدهم الذي كان يرفع — وهو في مقدمتهم — نبراس الحق لينيرلهم الصراط المستقيم فلا يضلوه

اختطف الحكيم الوقور ، الفيلسوف القدير ، الشهم الهمام ، الاستاذ الامام ، الشيخ (محمد عبده)

ان لموت العظيم — خصوصاً اذا كان كفقيدنا وفي ظروف فقيدنا — من الاثر في نفوس قومه مايقف قلم أقدر الكتاب عن أن يسطر وصفه ، ويعجز أفصح الخطباء عن ايفائه حقه . حزن شامل يعم الامة و يضع غشاوة كثيفة تحجب عن الابصار الافراح . وتنهدات تخرج من أعماق نفوس مكتومة ، وحسرات تختلج في قلوب دامية وأكباد حرّى ، وأفكار سوداء صامتة ، تتخيلها الافئدة المكلومة ، ونظر الى العالم كأنه ضاق على رحبه . وشعور بالوحدة ، وحاجة الى العزلة — هذا ما كان يشعر به أولئك الشجعان الذين حضروا موت عظيمنا —

« ١ » لهذا الشاب الفضل الاول في القيام بالاحتفال بذكرى الاستاذ الامام لانه اول من ذكر به ودعا اليه على صفحات الجرائد

وعلم كنور الشمس لم يك خافيا   على أحد الا على عين أرمد
فضائل شتى في الافاضل فرقت   ولكنها حلت بساحة مفرد
ولو جاز تعدادي لها لعددتها   ولكنها جازت مقام التعدد
ففيم أطيل القول والشعر قاصر؟   وماذا يفي قولي ويغني تزيدي؟
أمولاي يامولاي دعوة مخلص   تقول فيصغي أو تؤم فيقتدي
لكل زمان من بنيه مجدد   لما أبلت الاهواء من دين أحمد
وقد علم الاقوام أن محمدا   مجدد هذا الدين في اليوم والغد
يمينا بمن بالفضل خصص (عبده   محمدا) الداعي لهدي محمد
وقلده عقد الفتاوى فأصبحت   تتيه به الفتيا بخير مقلد
لتخترقن الحجب بالرشد والهدى   وتبني منار الحق بالفكر والـ
فتوضح من إشكاله كل غامض   وتفتح من أبوابه كل موصد
اليك أزف المدح شعرا مقصدا   على بعد عهدي بالقريض المقصد
لأبلغ نفسي بامتداحك سؤلها   وأقضي حقا لم يكن بمجدد
فجاء على قدري ولكن شافعي   لدى قدرك السامي نبالة مقصدي
وهنأت نفسي ثم هنأت معشري   وهنأت أوطاني بما نال سيدي
وقلت لمصر هنيه وأرخي   (بهديك في الفتوى الى الحق نهتدي)
سنة ١٣١٧   ٤١ ٩٠ ٥٢٧ ٤١ ١٣٩ ٥٦٩
لقد سبق التاريخ عشرا فلم أجد   من البدء بدًّا بعد طول تردد
فزدت كما أبغي ومن يلف مخلصا   من النقص يطلب للكمال ويزدد
فلا زلت يامولاي فينا محسدا   وحاسدك المغبون غير محسَّد

نشرت في مجلة «المنار» الاسلامية عدد ٢٤ سنة ١٨٩٩

سلام على تلك الهيبة والمكانة الرفيعة ، والمنزلة السامية ، التي لم تحدث في نفسه أيّ إعجاب أو كبرياء

سلام على ذلك الشعاع الوهاج الذي كان يؤثر في القلوب ويكبل الارادة فحجبت ظلمة القبر لمعانه ،

سلام على ذلك المجد الطريف . والسؤدد المنيف ، والعزة والوقار

سلام على ذلك الايمان الراسخ ، والعقيدة الثابتة والصلاح والورع .

سلام على ذلك الضمير الحيّ الذي عرف الواجب فأداه ، والجميل فأولاه .

سلام على ذلك الوجدان الراقي الذي كان ينبض لبؤس الناس ويفرح لفرحهم .

سلام على من كان للاسلام علما فانطوى ، وللوطنية نصيراً فانزوى .

سلام على سعادة زائلة ذاق حلوها بعضنا ثم ذهبت فأصبحت أثراً بعد عين .

سلام عليه مادام فينا عرق ينبض ونفس تشعر

﴿ التسمية باسم الاستاذ الامام ﴾

في المغرب الاقصى

جرت عادة البشر في جميع الامم بان يسموا أولادهم باسماء عظماء الرجال حبا بذكرهم ، وتفاؤلا باقتداء هؤلاء الاولاد بهم ، وقد قرأنا بجريدة السعادة في العدد الذي صدر منها في رباط الفتح من بلاد المغرب الاقصى بتاريخ ٢٧ دي الحجة الماضي تحت عنوان (محمد عبده الثاني) ما نصه :

« بشر صديقنا العضو الرئيسي بالمحكمة العليا الفقيه السيد عبد الحفيظ الفاسي بولد ذكر سماه على بركة الله (محمد عبده) تذكارا لاسم الشيخ محمد عبده المصري عظيم علماء الاسلام . فنعم الولد ونعم التذكار لذلك الرجل العظيم (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

أجل أسميهم شجعانا ولا أكون مغاليًا ، لانهم صبروا على تحمّل تلك الكارثة العظمى ، والمصيبة الكبرى — وهذا ما نشعر به نحن الآن وقد قمنا لاحياء ذكرى ذلك الراحل الكريم الذي خرج من صدفة مصر فصار درّة يتيمة في تاج الشرق تخطف الابصار وتلقي الهيبة في القلوب .

ليتني كنت في أيامه أقتفي آثاره ، وأترسم خطواته ، أرتشف من منهل علمه العذب ، وفضله الفياض ، أتخذ من أعماله عظة وعبرة تكون لي درسا في حالي واستقبالي . أنصت الى عظاته البليغة فتكون على نفسي برداً وسلاما . أقصده اذا التبس علي أمر فيستبدل شكي باليقين . أجتهد أن أشابهه فأسمو نفساً وعلماً وخلقاً .

إننا نجله ونجل فيه كل شيء — نجل أنفته ونفسه العالية — نجل اقدامه وصبره وجلده — نجل كماله وورعه وتقواه — نجل غيرته وهمته الشماء — نجل أمانته ونزاهته وشهامته — نجل قيامه بالواجب على الوجه الاكمل — نجل عبقريته التي تطأطئ لها هامات أكابر العلماء الافذاذ — نجل وطنيته الحرة — تلك الوطنية التي كانت تعمل وهي صامتة .

« ان فناء في الحق لهو عين البقاء » كلمة مأثورة خرجت من فم ذلك العظيم فكانت من جوامع الكلم ، كلمة انطبقت على نفسه الكريمة تمام الانطباق ، كلمة ياحبذا لو عرف معناها الدنيويون وتشربت بها نفوسهم .

نعم قمنا بعد سبعة عشر عام ننشر الملأ آية سافرة من اخلاص وولاء ذلك الرجل لوطنه ودينه ، ومثلا حيًا للعبقرية الشرقية والنبوغ المصري ، وخير مثال للعظمة يحتذي مثاله طلابها ، ويتخذه قدوة عشاقها .

فسلام على تلك الهمة الوثابة التي كتم القبر أنفاسها ، وكبح الثرى جماحها . سلام على تلك السجايا التي تأصلت جذورها في نفسه فلم يقدر على اقتلاعها إلا الموت .

سلام على تلك الروح الطاهرة التي ترفرف الآن في سماء الخلود .

سلام على تلك العبقرية التي ظهرت ظهور الشمس تبدد فلول الظلام .

سلام على تلك الهبة الكتابية ، والميزة الصحفية التي وقفها على تقويم اعوجاج أمته والاخذ بيدها

تفي بعهدها ، وتنجز وعدها لملك الحجاز بل ملك العرب كلها ، ومن العجائب أن يكون كثير من أهل فلسطين من هؤلاء الاولياء الذين يسمون ملك الحجاز « بالمنقذ » وانما أنقذهم من حكم الدولة العثمانية ، الاسلامية ، الرحيمة ، المساوية بينهم و بين الترك في كل الحقوق — ووضعهم بثورته تحت حكم سيطرة الدولة البريطانية ، والشيعة اليهودية الصهيونية ، ولا يزال يوجد فيهم من يظن أن وفاء الدولة البريطانية بوعدها ينيلهم الاستقلال ، كما يظن أولياؤه في سورية الشمالية أنه ينقذهم من فرنسة ، ولو بجعلهم تحت انتداب انكلترة أو حمايتها ، وان كانوا لا يجهلون ان انتدابها كان شراً على فلسطين من انتداب فرنسة على سائر سورية ، فان كان الضغط على العراقين دون الضغط عليهم ، فسببه ان حال العراقين كانت خيراً من حالهم ، وانما تنال الشعوب باستعدادها وأعمالها ، لا بأمانيها وأقوالها

ندع هؤلاء الاغرار يتخبطون في غرارتهم وغرورهم الى أن يعلم الزمان من كان قابلا للعلم ويربي من كان قابلا للتربية ، ونساعد الزمان على ذلك ببيان ما تمحص من الحقائق ، ونشر ما نعلم من البينات والوثائق ، لتكون عبرة المعتبرين ، وحجة على الجاهلين والمكابرين ،

كلما دخلت مسائل الشرق في طور جديد نرى المتكلين على صاحب الحجاز وأولاده من السوريين - ولاسيما الفلسطينيين منهم - عادوا الى نغمة المعاهدة بين الملك حسين والانكليز يطالبون بها ، ويزعمون ان الملك حسينا وضعها وأمضاها باسم الامة العربية لا باسمه وحده ، ونسأله تعالى أن يكفي هذه الامة العربية شر تلك المعاهدة التي يريدون استعباد الامة العربية بها

ألا أيها النائمون أفيقوا ، ويا أيها المخدوعون بأقوال العائشين من فضلات آكلي أثمان امتكم وبلادكم تنبهوا ، قد آن لكم أن تعلموا ان تلك القصاصة من الورق التي يسميها الملك حسين (مقررات النهضة) ويسميها النافخون ببوقه المعاهدة الانكليزية العربية ، هي وثيقة من الملك حسين بجعل البلاد العربية كلها حتى الحجاز تحت حماية الحكومة البريطانية في داخلها وخارجها ، وتنص على اعطائها الحق باحتلال ولاية

الوثائق الرسمية للمسألة العربية

﴿ عود على بدء ﴾

﴿ المكاتبات بين أمير مكة بالامس وملك الحجاز اليوم ﴾

﴿ وبين نائب ملك الانكليز بمصر ﴾

لا يزل جمهور المشتغلين بالسياسة من عرب الاقطار السورية والعراقية ومصر يجهلون أسباب الثورة التي قام بها أمير مكة بمساعدة بعض السوريين والعراقيين — لانه كان يكتم مادار بينه و بين معتمد الدولة البريطانية في مصر وما اتفقا عليه حتى عن أولاده قواد جيوشه ، وانما كان يمنيهم بأن الذي تقرر واتفق عليه الفريقان هو استقلال جميع البلاد العربية العثمانية وجعلها مملكة عربية حرة له ؛ وقد ظهر بعد ذلك ان ما عرضه على انكلترة فقبلت بعضه بقيود وشروط — يجعل البلاد تحت حمايتها في الداخل والخارج

وقد كان جميع أنصاره وأنصار أولاده الامراء موالين للدولة البريطانية الى ان انكشف الغطاء وظهر ما كان من اتفاقها مع فرنسة على قسمة الولايات العربية بينهما من حدود مصر والبحر الاحمر الى خليج فارس ، واحتل كل منهما حصته وتصرف فيها تصرف المالك فيما ورثه عن آبائه وأجداده من الارض — فعند هذا رجع بعضهم عن موالاتهما، وتعليق الآمال بها دون بعض .

ثم نشر الامير فيصل في دمشق نص المعاهدة التي أخذها من والده ليحتج بها على الحكومة البريطانية وظهر منها أنها تتضمن حمايتها لجميع البلاد العربية التي طلب استقلالها ليكون ملكها، فخابت آمال أناس آخرين وسكتوا عن التبجح أو الاحتجاج بذلك العهد أو الوعد — ولكن لا يزال لهم أنصار يتولونهم ويتولونها وأنصار يتولونها من دونهم وآخرون يتولونهم من دونها ، ولا يزال فيهم من يطالب الدولة البريطانية بما تطالبها به جريدة القبلة بالاقوال الرسمية وغير الرسمية بأن

دفع ذلك القيام لحين اندفاعه . وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية

(٣) — تكون البصرة تحت إشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكمها قاصرة في حضن بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشغال

(٤) — تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الاسلحة ومهماتها والذخائر والنقود مدة الحرب

(٥) — تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ماهو مناسب من النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها (انتهى)

*

(المنار) — هذا ما كتبه الملك حسين بن علي اذ كان أمير الحجاز من قبل الدولة العثمانية الى السر هنري مكماهون ليعرضه على دولته ويقنعها بأن ترضى بجعله الاساس الذي تبنى عليه ثورة أمير مكة على دولته ، وملخصها ان انكلترة هي التي تؤسس الحكومة العربية وهي التي تتولى حمايتها وحفظ حدودها وحفظ الامن فيها للاعتراف بأنها قاصرة في حجر انكلترة القيمة عليها !! . ولكن دولته لم ترض بجعل هذه القواعد معاهدة بينها وبين أمير مكة ، بل طفق مندوبها السامي بمصر يناقشه فيها ، ويلهيه عن المهم منها ، وكلما اعترف لهم بشيء اتخذوه حجة عليه يحفظونها الى وقت الحاجة ، وأعظم حججهم عليه جعل جميع البلاد العربية تحت حمايتهم

وقد نشر الملك فيصل بعض ما جاء في أحد كتب السر هنري مكماهون الى والده بشأن الحدود ، وقد آن لنا نحن أن ننشر النصوص التي يهمنا أمرها من تلك الكتب لان ما نشر لم يكف لازالة اللبس ، وكشف القناع عن الغش ، وما لنا لا ننشرها وقد تداولتها الايدي في الشرق والغرب ؟

أرسلت تلك (المقررات) من مكة الى مصر في ضمن كتاب للسر هنري

البصرة لتأمين السيطرة على العراق ، فيجب على كل عربي مخلص لامته و بلاده أن يرفضها ، و ينكر أن يكون لواضعها أدنى حق في وضعها ، والافتيات على حقوق مسلمي الارض في الحجاز، وحقوق زعماء الامة العربية في الجزيرة وسورية والعراق، بوضعه هذه الوثيقة الموجبة لاستعبادهم، وتصرف الانكليز في بلادهم

هذه المقررات هي التي نشرها الامير فيصل قائد الجيش الشرقي لدول الحلفاء -يوم نشرها -وملك العراق اليوم في جريدة المفيد ونشرناها في المنار نقلا عنها. واننا نعيد اليوم نشرها، مع الوثائق الاخرى المتعلقة بها، التي أشار الملك فيصل الى ان الانكليز اعترفوا بها ، ولم يعترفوا بوجود معاهدة وهذا نصها بالمعنى الصحيح الذي كتبه والده :

﴿ صورة ماتقرر مع بريطانيا العظمى ﴾

﴿ بشأن النهضة العربية ﴾

(١) — تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقا من بحر خليج فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالا حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجتمعة مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس ماعدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود. وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل في محلها في رعايته وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الافراد

(٢) — تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأيّ صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على

فعليا، وعلى الاخص ماعلمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقا من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها ، وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الالمان والاتراك

نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الالمان ، وذلك الظالم العسوف وهو الاتراك . ومع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل مالبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية ، وستصل بمجرد اشارة سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته الينا ، ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا ، مستنشقين رائحة مودتكم الذكية ، ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا . وفي الختام أرفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي ، وفائق احترامي م؟

المخلص

السير ارثر مكماهون

نائب جلالة الملك

وقد أجابه الشريف حسين على هذا الكتاب بكتاب مؤرخ في ٢٩ شوال يلح فيه بقبول تلك الحدود المعينة فيما سماه (مقررات النهضة) فأجابه بالكتاب التالي : —

كتاب ثان

من نائب الملك السر أرثر مكماهون الى الشريف حسين

في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فروع الدوحة المحمدية، وسلالة النسب النبوي ، الحسيب النسيب ، دولة صاحب المقام الرفيع ،الامير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا ، جعله الله حرزاً منيعاً للاسلام والمسلمين ، بعونه تعالى آمين وهو دولة الامير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه

مكماهون في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ . وهاك ما أجابه في أول كتاب بعدها

الكتاب الاول

﴿ من نائب ملك الانكليز بمصر الى أمير مكة في شأن الثورة الحجازية ﴾

﴿ في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ ﴾

كتاب من السر أرثر مكماهون نائب ملك الانكليز بمصر

في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الى السيد الحسيب النسيب سلالة الاشراف، وتاج الفخار، وفرع الشجرة المحمدية، والدوحة القرشية الاحمدية، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف بن الشريف السيد الجليل المبجل دولتلو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين، ومحط رحال المؤمنين الطائعين، عمت بركته الناس أجمعين

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة، والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة . نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لاظهاركم عاطفة الاخلاص وشريف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الانكليز. والعكس بالعكس. ولهذه النية فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت الى سيادتكم عن يد علي افندي وهي التي كان موضحاً بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها . واننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى رحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة

وأما من خصوص مسئلة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لاوانها، وتصرف الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رحاها ، ولان الاتراك لا يزالون محتلين لاغاب تلك الجهات احتلالا

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الاجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة

واني متيقن بأن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة(؟) دائمية ثابتة معهم ، ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الاتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال

ولقد اقتصرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الاهمية الكبرى وان كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فنعود الى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية قد أنزلت الى البر بلا تعب ولا ضرر رغما عن الاخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة . ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لاهل العالم

اني لمرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الامين الشيخ محمد بن عارف ابن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي في الدرجة الثانية من الاهمية ولم اذكرها في كتابي هذا . وفي الختام أبث دولة الشريف ، ذا الحسب المنيف ، والامير الجليل ، كامل تحيتي ، وخالص مودتي ، وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد اسرته الكريمة ، راجيا من ذي الجلال أن يوفقنا جميعا لما فيه خير العالم ، وصالح الشعوب . إن بيده مفاتيح الامر والغيب يحركها كيف شاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام م؟

نائب جلالة الملك

السير ارثر مكماهون

(المنار) رد الشريف على هذا الكتاب بجواب يعترف فيه بأن ولايتي مرسين وأدنه ليستا داخلتين في حدود البلاد العربية التي يطلبها ويقبل تأجيل البحث في ولايتي حلب وبيروت الى ما بعد الحرب ، ويقر المعاهدات المجهولة التي بين بريطانيا وبعض رؤساء العرب حتى من كانوا منهم في المملكة العربية التي هي موضوع المساومة بينه وبينها وقد اعترف لها بالانفراد بالنفوذ فيها. فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتي

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ وبه من عباراتكم الودية المحضة وإخلاصكم ما أورثني رضاء وحبورا. اني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق اني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك لم يكن القصد من كتابي قط — ولكني رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية . ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الاخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة فلذلك فاني قد أسرعت في ابلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم واني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا شك في أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول

ان ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود .

وأما من خصوص الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف (؟؟) بدون أن تمس مصلحة حليفتها فرنسا (؟) فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم المواثيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي

(١) إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة

(٢) إن بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها

(٣) وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة

(٤) هذا وان المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين الاوربا ويين لتشكيل هيئة ادارية قوية يكونون من الانكليز

الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم على أن لايمدوا يد المساعدة لاعدائنا بأي وجه كان . فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لاسعاف غرضنا عند مايجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته . وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لاتنوي ابرام أي صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والاتراك

هذا وعربونا على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم الامين مبلغ عشرين الف جنيه

وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية، وخالص التسليمات الودية، مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الالفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولافراد أسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

السير أرثر هنري مكماهون

(المنار) رد الشريف على هذا الكتاب حامدا شاكرا راضيا واعدا بالقيام بجمع كلمة العرب على قتال الترك طالبا بعض الاسلحة والذخائر والاقوات . فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتي :

كتاب رابع

﴿ من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة ﴾

(في جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ يوافق ١٠ مارس سنة ٩١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر قبلة الاسلام والمسلمين معدن الشرف وطيب المحتد سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف ابن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي أمير مكة المعظمة زاده الله رفعة وعلاء آمين

كتاب ثالث

﴿ من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة ﴾

(في ٨ صفر سنة ١٣٣٤)

الى صاحب الاصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر، والنسب الفاخر، دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبلة الاسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وسرني مارأيت فيه من قبولكم اخراج ولايتي مرسين وأضنه من حدود البلاد العربية . وقد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضى تأكيداتكم ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وغيره من السادة الخلفاء الاولين — التعاليم التي تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء . هذا وفي قولكم: ان العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً ان هذا يشمل البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لاتستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ماذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة . ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرانسا داخلة فيهما فالمسئلة تحتاج الى نظر دقيق، وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لان تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب ادارة ودية ثابتة وانا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبذلوا كل مجهوداتكم في جمع كلمة

وقد بلغنا اشاعات مؤداها أن أعداءنا الالداء باذلون جهدهم في اعمال السفن ليبثوا بها الالغام في البحر الاحمر ولالحاق الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر وانا نرجوكم سرعة إخبارنا اذا تحقق لديكم ذلك

وقد بلغنا ان ابن الرشيد قدباع للاتراك عدداً عظيما من الجمال وقدأرسلت الى دمشق الشام ونأمل أن تستعملوا كل مالكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك واذا هو صمم على ماهو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها ولاشك ان في ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة

وقديسرني أن أبلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد احمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الالمان والاتراك قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وهم يأتون الينا وحداناً وجماعات يطلبون العفوعنهم والتودد اليهم وقد والحمد لله هزمنا القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا وقد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم . وان لسقوط أرضروم من يد الاتراك وكثرة انهزاماتهم في بلاد القوقاس تأثير عظيم (؟) وهو في مصلحتنا المتبادلة وخطوة عظيمة في سبيل الامر الذي نعمل له وإياكم . ونسئل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح، وأن يمهد لكم في كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج . وفي الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والاخلاص مع المحبة التي لايزعزعها كر العصور ومرور الايام

كتبه المخلص

السير أرثر مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

(المنار) نلخص هذه الكتب ونرتب ما تقرر فيها بالمسائل الآتية :

(١) إن الحكومة البريطانية تستثني من بلاد العرب بالنص معظم سورية وهو سواحل ولايات كليكية وحلب والشام وبيروت، فتكون سورية العربية محصورة في المدن الاربع دمشق وحمص وحماه وحلب وملحقاتهن ولا منفذ لشيء منها الى البحر الا فلسطين المسكوت عنها

(٢) إنها تزعم أنها مطلقة التصرف في الاقاليم التي تضمها تلك الحدود من بلاد العرب بدون أن تمس مصلحة حليفتها فرنسة، أي فيما تقرر بينهما

بعد مايليق بمقام الامير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديم خالص التحية والسلام وشرح عوامل الالفة وحسن التفاهم والمودة الممزوجة بالمحبة القلبية أرفع الى دولة الامير المعظم اننا تلقينا رقيمكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر من يد رسولكم الامين وقد سررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوونها وانها لموافقة في الاحوال الحاضرة وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها وقد سرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم(١) وان كل شيء رغبتم الاسراع فيه وفي ارساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا والاشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بورت سودان تحت أمركم لحين ابتداء الحركة وابلاغنا اياها بصورة رسمية كما ذكرتم وبالمواقع التي يقتضي سوقها اليها والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها إياهم

ان كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بورت سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الاخير الى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكللها بالنجاح وحسن النتائج؟ وسيعود الى بورت سودان وبعدها يصلكم بحراسة الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ماربما لم يكن واضحا لديكم أو ماعساه أن ينتج سوء تفاهم ألا وهو يوجد في بعض المراكز أو النقط المعسكرة فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب(٢) يقال انهم يجاهرون بالعداء لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الاحمر وعليه نرى انه من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ولكننا قد أصدرنا الاوامر القطعية انه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الاتراك الذين يبدأون بالعداء وبين العرب الابرياء الذين يسكنون تلك الجهات لانا لانقدم للعرب أجمع الا كل عاطفة ودية. وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بينة من الامر اذا بلغتم خبراً مكذوباً عن الاسباب التي تضطرنا الى عمل من هذا القبيل

---

(١) المراد بهذه المطالب الاسلحة وعتاد الحرب (٢) لعله سقط من هنا ذكر من وصفوا بانهم يجاهرون بالعداء للانكليز

مدنية القوانين

وسعي المتفرنجين لنبذ بقية الشريعة وهدم الدين

(٣)

سبب حرب متفرنجة المسلمين للاسلام

ان خواص الامم وقادتها هم أهل العلم الذين يتبعهم السواد الاعظم من العوام في أمور دينهم ودنياهم كالتعليم والارشاد، وشؤون الحكومة من سياسة وادارة وقضاء وحفظ للامن ودفاع عن الوطن . وكل ماتحتاج اليه الامة في حفظ مصالحها الدينية والدنيوية من علم وعمل فحكم الاسلام فيه أنه واجب شرعاً ، ولم يكن للدول الاسلامية التي أسسها خلفاء الاسلام في جزيرة العرب والشام والعراق ومصر وغيرها من آسية وأفريقية وأوربة (كالاندلس) علم يستمدون منه أحكام الادارة والسياسة والقضاء والحرب الا الفقه الاسلامي المبني على قواعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين وهدي السلف الصالحين ، وكان كافياً لذلك في عصورهم، ولا يزال كذلك ولن يزال اذا سلك المسلمون فيه طريق الاجتهاد الذي سار عليه سلفهم

ثم ضعفت الحضارة الاسلامية بضعف دولها، بضعف هداية الاسلام فيها ، ثم قويت حضارة أوربة واعتزت دولها وارتقت علومها وفنونها ، ونظمها وقوانينها ، فمكنتها هذه القوى من السيادة على أكثر ممالك الاسلام ، وكانت هذه السيادة ضروباً لها أسماء ورسوم يمتاز بها بعضها عن بعض ، وانتشر بعض علومها وقوانينها في هذه الممالك تابعاً لتلك السيادة في بعض البلاد ومتبوعاً أو ممهداً لها في بعض، وكثرت المدارس الاجنبية فيها من قبل دعاة النصرانية الاوربيين والاميريكيين لنشر تلك العلوم والقوانين مع الدعوة الدينية ، وقلدتها بعض الحكومات الاسلامية المستقلة بالاسم أو بالفعل في مناهج التعليم ومواده ، وتلا ذلك اقتباس قوانينها والتشبه بها في عاداتها وأزيائها وغير ذلك، فعظمت سيطرة هؤلاء الاجانب على العقول والقلوب بتصرفهم

من حصتها في سورية . والمعنى انها بما لها من حق التصرف في غير حصة فرنسة من البلاد التى حددها الشريف تقرر ماذكرت من الحقوق لهاوله . ولا ندري من أين لها هذا التصرف المطلق في هذه البلاد ؟ وبأي حق اعترف لها الشريف به؟

(٣) تزعم أن العرب يعترفون بأن مركز بريطانية ومصالحها موطدة في ولايتي البصرة وبغداد ويستلزم ذلك أن تكون ادارتها بيد انكلترة وتحت حمايتها

(٤) تضمن حماية الاماكن المقدسة من كل اعتداء . وهي تفسر البلاد المقدسة بالحرمين والقدس وكربلاء والنجف وتفسر حمايتها لها بما تشاء من الوسائل ومنها ايجاد قوى عسكرية من سلاح الطيران وغيره

(٥) تزعم أن العرب قد قرروا أن يكون المستشارون والموظفون الذين يؤلفون الهيئة الادارية في بلادهم من الانكليز، لان الشريف رضي بذلك

(٦) تشترط عدم التعرض في هذا الاتفاق المطلوب للمعاهدات المعقودة بين الانكليز وبعض رؤساء العرب ، يعنون أكثر بلاد الجزيرة كالحج وحضرموت ونجد وعسير وبعض قبائل العراق

(٧) تقول إنها مستعدة مع مراعاة هذه التعديلات التي تسجلها على شريف مكة ومن يمثلهم من العرب بدعواهما لأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد هذا الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها شريف مكة . أي إنها بعد هذه التعديلات التي معناها أن جميع بلاد العرب في قبضة تصرفها مستعدة للاعتراف باستقلال مبهم في مكان مبهم، والاستعداد للاعتراف بالشيء لا يقتضي الاعتراف به بالفعل، والاستقلال المجمل لا ينافي الحماية ولا الوصاية ولا ما يسمونه الانتداب كما صرحوا به رسميا

(٨) تقول ان هذا التصريح يؤكد ميل بريطانية لرغائب أصحابها العرب (أي لاستعبادهم) وينتهي بعقد محالفة يكون أول نتائجها طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير العرب من نيرهم — أي لوضعهم تحت نير الانكليز الذي يفوقه في الثقل، كما يفوق الجبل الجمل

(٩) تعد بأنها عند ما تسمح لها الظروف تساعد العرب على ايجاد هيآت حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة من بلاد العرب وهي الحجاز وفلسطين ويتعهدون بحمايتها وطرد الترك منها وليس في شيء من كل هذه الوعود حجة عليهم للشريف الا في مسألة فلسطين اذ جعلت البلاد وطنا لليهود

الاجتهاد المتعذر على المتأخرين، واهمال التربية الملية التي تصحح النية في طلب العلوم والفنون وتوجهها الى مابه ترتقي الامة وتعتز.

ولكن الافرنج الذين اقتبسوا استقلال الفكر والعلم الاستدلالي من المسلمين فكانا سببي ارتقائهم، قد ردوهما الى المسلمين ليستعينوا بهما على اقناعهم بكل مايريدون من السوء بهم، من حيث لايشعرون بردهما اليهم، وبامكان استفادتهم منهما في دينهم ودنياهم، بعد أن حال دونها رجال الدين الاسلامي بما أقفلوا في وجوههم من باب الاستقلال بطلب علم الدين بالدليل، وقد تربوا على أن لايقبلوا شيئا بدون دليل — فكثر مروقهم من الدين، ثم اقتنع كثير منهم بأن الدين عقبة في طريق ترقيهم في الدنيا فصاروا يحاربونه بالعلم والعمل

رجال الدين ورجال الدنيا

بهذا دخل عوامّ المسلمين في باب التنازع بين عاملي زعماء الدين وزعماء الدنيا. كل منهما يجذب العوامّ اليه، واننا نرى أن زعماء الدنيا أقدر على جذبهم الى مدارسهم والى تقليدهم، فطلابها وطالباتها يزدادون سنة بعد سنة ويبذلون المال لها، وطلاب علوم الدين في نقصان، على كون تعليمها بالمجان، وقلما يقبل عليه الا الفقراء الذين يعتصمون به من الخدمة العسكرية أو بدلها المالي. وقد أصبحت مناصب الحكومة وأعمالها وهي تكاد تكون محصورة في خريجي مدارس الدنيا، وهم يكيدون لما بقي لرجال الدين منها. وهو القضاء الشرعي المحدود الذي هو موضوع بحثنا في هذه المقالات — إما بابطاله وجعل جميع الاحكام قانونية وضعية حتى الاحكام الشخصية، وإما بالتوسل الى إلغاء القضاء الشرعي بجعل الاحكام الشخصية الشرعية قانونا، وابطال كونها دينا.

يعمل هؤلاء المتفرنجون كثيرا، ورجال الدين لا يعلمون شيئا، المتفرنجين أحزاب وجمعيات كثيرة سياسية واجتماعية واشتراكية ... وليس لرجال الدين حزب ولا جمعية ذات نظام. المتفرنجون هم الاقلون، ولكنهم يزيدون ولا ينقصون، والدينيون لايزالون هم الا كثرين، ولكن كثرتهم الى قلة، وروابطهم الى انحلال،

في تربية النشء وتعليمه تصرفاً قصد به قطع جميع روابطه الملية والقومية وجعله عالة عليهم في كل شيء

اذا كان هؤلاء الافرنج قد عجزوا عن تنصير المسلمين بمدارس جمعياتهم الدينية فانهم لم يعجزوا عن ابطال ثقة الكثيرين منهم بدينهم الذي هو مستمد فضائلهم وآدابهم النفسية والاجتماعية لتصبح الامة المكونة منهم لا فضيلة لها في نفسها ولا آداب — وابطال ثقتهم بشرعهم العادل الذي هو أساس حضارتهم ومجدهم، والمكوّن لدولهم التي هي مناط شرفهم التاريخي لتكون الامة المكوّنة منهم لا مجد لها ولا تشريع ولا تاريخ — وابطال ثقتهم بلغتهم، الحافظة لشرعهم وآدابهم وتاريخهم وحضارتهم لعدم شعورهم بالحاجة اليها بفقد الشعور بالحاجة الى ما تحفظه من ذلك، وتوجه هممهم الى استبدال شرائع أساتذتهم وآدابهم وحضارتهم ولغتهم — بما كان لسلفهم من ذلك، أي ليخرجوا عن كونهم أمة ذات مقومات ومشخصات مستقلة فيفقدوا أعظم أركان الاستقلال القومي، ويكونوا كاللقيط الذي يجهل أهله ونسبه ولا يستطيع أن يتصل بأسرة يلتحق بها فيكون أبتر في الناس — فهذا سبب التفرنج الذي نشكو بعض آثاره في الملة ولو كان أمر التربية وتعليم العلوم والفنون الدنيوية في يد زعماء الملة وعلمائها لما ازدادت الامة بها الا قوة واتحادا كما سبق لسلفها،

كان خلفاء المسلمين وأمراؤهم وعلماؤهم في عصور حضارتهم يرون أنفسهم أولى من كل البشر بكل علم وكل فن ينفع الناس في معايشهم أو عقولهم أو أبدانهم حتى أحيوا العلوم الميتة والفنون الدارسة، وكانت هذه العلوم والفنون تقرأ مع علوم الدين في مساجد المسلمين ومدارسهم، وما وجدوا شيئاً منها مخالفاً لشيء من نصوص الدين الا وحكموا فيه بأحد أمرين إما كونه باطلا فلا يؤبه لمخالفته الدين، وإما كون مخالفته صورية لا حقيقية لامكان الجمع بين ماثبت منه و بين النص

ثم صرنا الى عصور ضعف فيها العلم بالدين و بلغة الدين وبسائر العلوم والفنون التي كان المسلمون منفردين بها في العالم، وكان لذلك أسباب أهمها ايجاب تقليد المصنفين الميتين، وتحريم العلم الاستقلالي على الاحياء أجمعين، بدعوى أنه من

..ثال لما يسمونه «الدمقراطية» وان ولي الامر فيها مسؤل غير مقدس، ومقيد بمشاورة أهل الحل والعقد، الممثلين لسلطة الشعب — وأن تسهل سبيل فهمه وتعلمه لكل طبقة من طبقات الامة بما يليق بها من المصنفات بالطرق المعروفة في فن التعليم والتربية ، بأن يوضع بعضها للاطفال، و بعضها للعوام، و بعضها لمن فوقهم من طلاب العلم ، و بعضها للقضاة والمتقاضين ،

وكان مما ينبغي للاخصائيين منهم بهذا النوع الاخير أن يطلعوا على كتب القوانين الوضيعة بأنواعها و يعرفوا مافيها من حسن وقبيح ، وعدل وظلم ، ليزدادوا بصيرة في محاسن شريعتهم وطرق خدمتها ، و ينظروا مافي كتبها الفقهية المتداولة من تقصير أو تعقيد أو نقص سببه ما حدث للناس من المعاملات التي لم تكن في عهد مصنفيها فيتداركوا ذلك كله و يثبتوا لكل ناظر فيما يضعونه من الكتب الحديثة أن هذه الشريعة كاملة لا يمكن لاهلها الاستغناء بها عن سواها، مع العمل بما ورد من أن الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها

كما ينبغي للاخصائيين في علم العقائد أن يكون لهم إلمام كاف بالعلوم العصرية والفلسفة الحديثة ، وأصول الاديان المشهورة ، وتواريخ الملل الكبيرة ، ليعرفوا نسبتها الى الاسلام ، وما بينها و بينه من المشاركات والمباينات ، وما في ذلك من الشبهات — وللاخصائيين في علم الارشاد العام والتربية أن يكون لهم إلمام بسيرة الجمعيات الدينية عند الافرنج ومقلديهم من نصارى الشرق في مدارسهم و مصنفاتهم ، وسيرة قسوسهم و رهبانهم و راهباتهم ، ليعلموا كيف يحوطون كل طبقة من طبقات أهل ملتهم بما يليق بها من تلقين الدين والترغيب فيه والدفاع عنه وغير ذلك

وكان مما يجب عليهم أن يكونوا خير قدوة للامة ، وحجة الملة ، بعلومهم وهديهم و.. تائهم وقضائهم، وأخلاقهم وآدابهم، و إحياء السنن ومحاربة للبدع، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتتبع شبهات الملاحدة والمبتدعة والرد عليها ، ووقاية العامة .. شرها الخ

كل ذلك لم يكن، بل جل حظهم من العلم أن طالب العلم — في مثل الازهر

كان طلاب المدارس المدنية هم الجند العامل في انقلاب سياسي، فلما شاركهم طلاب الازهر بمصر في ذلك اتحدت الحكومة مع السلطة الاجنبية على كبح جماحهم ، والحجر عليهم وحدهم ، ووافقتها مشيخة الازهر على ذلك لضعف ارادة رؤسائها وحرصهم على ما بيد الحكومة من رزقهم ، وهذا الحجر مبني على القاعدة الافرنجية ، المؤسسة لازالة السلطة والسيادة الاسلامية ، وهي فصل السياسة من الدين، والذي يقتضي أن لا يشترك علماء الدين ولا طلابه في شيء من أعمال السياسة ولا شؤون الحكومة

ما كل متعلم في المدارس المدنية متفرنجا . وما كل متفرنج ملحدا ، وما كل ملحد منهم خادما للافرنج أو مشايعا لهم، بل جل ما في البلاد الاسلامية من سعي لاستقلالها، ومقاومة سلطة الاجانب فيها فهؤلاء المتفرنجون هم جل القائمين به . وقد بينا في المقالة الثانية من هذه المقالات أن لهؤلاء المتفرنجين مقاصد ونيات مختلفة في محاربتهم لهذه الشريعة التي يجهلونها ، ويجهلون مكانها من تكوين أمتهم وحياتها، وأن منهم من يعتقد أنه يخدم أمته ووطنه باستبدال القضاء عليها بالقضاء بها ونقول الآن إن إثم هؤلاء وغيرهم ممن يظن بالشريعة ظنهم ، وان لم يكن له مثل نيتهم ، على عاتق الطائفة التي ليس لها رزق ولا مال ، ولا احترام ولا جاه، الا من وقف حياتهم على الاشتغال بعلوم هذه الشريعة ووسائلها تعلما وتصنيفا، وإفتاء وقضاء ، أعني طائفة علماء الدين ، الذين صاروا حجة على الدين ، وفتنة للمؤمنين والكافرين ، (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) .

من الواجب على هذه الطائفة — بما أخذ الله عليها من الميثاق أن تبين للناس ما نزل اليهم تبيينا يثبت لهم بالآيات البينات أن فيه سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وأنه كله حق وخير وعدل وصلاح ، وأنه خال من كل باطل وشر وظلم وفساد ، وأن أحكامه الدنيوية موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان، وان سلطته ليست شخصية، ولا مما يسمونه « الاتوقراطية » بل هي حكومة شورى شعبية ، وأكمل

لقد مات الاستاذ الامام فأنشأوا يعرفون من فضله بالتدريج أكثر مما كانوا يعرفون، ويقرون بما كانوا يجحدون ،وهم مع هذا لا يزالون لاصلاحه يقاومون ، فقد كان من طريقه الاصلاحي أن يذكر في التفسير بعض التأويل لما يشتبه على أهل العصر من الآيات ، التي يظنون انها لا تتفق مع بعض العلوم أو المكتشفات، مع تقريره لترجيح ما كان عليه السلف الصالح على كل ماخالفه، وكان مما ذكرمن دفع بعض الشبهات مسألة خلق البشر من نفس واحدة فذكر انه ليس في القرآن نص قطعي أصولي على ان هذه النفس هي آدم كما نعتقد نحن وأهل الكتاب ...... وقد تصدى بعض علماء الازهر أبهم يقال عنه أنهم أعرف بحاجة العصر من غيرهم الى تكفيرا من عهد قريب لاننا نشرنا رد هذه الشبهة في المنار، وكتب في ذلك مقالات في بعض الجرائد ومن العجيب أن يرشح صاحب هذا التكفير بعض تلاميذه لان يكون خليفة الاستاذ الامام !! وقد اطلعت في هذه الايام على كتاب طبع بمصر لشيخ مغربي يوزع بغير ثمن وموضوعه تجهيل الاستاذ الامام وصاحب المنار، وتكفيرهما بمقاومتهما للبدع وترغيبهما في علوم الكفار كالفلك وتقويم البلدان الخ

كل ذلك لم يكن ، وكل هذا قد كان ، فكان من جرائه أن بقيت حقائق الدين مجهولة ، ومحاسن الشريعة مدفونة ، وطرق العلم بها حالكة الظلام ، مشتبهة الاعلام ، والبدع في ازدياد ، تمهد السبيل لفشو الالحاد ، فان هؤلاء المتفرنجين الذين نشكو من محاربتهم للشريعة كالافرنج لا يعرف أكثرهم من الاسلام الا أنه ما عليه جمهور المسلمين من الشعائر والعقائد ، والاذكار والموالد ، الممزوجة بالبدع والخرافات، والتقاليد الباطلة والعادات، فانهم يرون كبراء العلماء يتصدرون تلك الاحتفالات، ويشاهدون طواف الالوف من النساء والرجال بالقبور المشيدة المنسوبة الى آل البيت والاولياء المجللة بالكشمير ، كطواف الحجاج ببيت الله خاشعين داعين مستغيثين بصاحب القبر . . .

بل كثيرا مايقف هؤلاء المتفرنجون على وقائع اضطهاد بعض هؤلاء العلماء الاعلام لكل عالم أو طالب علم ينكر هذه البدع ، ويجاهر بالدعوة الى أتباع السلف ،

وملحقاته بمصر، والفاتح والسليمانية بالآستانة، وجامع الزيتونة بتونس والنجف بالعراق وديو بند بالهند — يناطح كتبا معينة بضع عشرة سنة أو اكثر: مناقشة في مفرداتها وجملها وأساليبها الركيكة في الاكثر ليؤهل نفسه بذلك لامتحان يكون بفوزه فيه اماما أو خطيبا في مسجد أو مدرسا في هذه المعاهد الدينية ، أو قاضيا في المحاكم الشرعية ، فيكون له بذلك رزق مضمون ، ومقام معلوم ، وهو لا يستفيد من هذه الكتب التي يقتلها مناقشة وجدلا في الفاظها غيرة على الدين ، ولا اهتماما بأمر المسلمين ، ولا استعدادا لنشره في العوام ، ولا لرفع شأنه في الخواص ، وذلك بأنهم كما قال الاستاذ الامام يتعلمون كتبا لا علما .

نعم إن بين هذه المدارس وأهلها تفاوتا في العلم والعمل والاستفادة من علم الشرع ، فعلماء (ديو بند) أبعد علماء المسلمين عن الدنيا ومناصب الحكومة، ولعلماء النجف من الجاه فوق ما لغيرهم من أمثالهم ، وعلماء الترك لا يزال لهم مقام رفيع وتأثير في الحكومة والامة ، وانما علماء مصر هم أقل علماء الاسلام حظا من الدنيا على رغبتهم فيها اذ هم فيما نعلم أشدهم تقصيرا .

احتاجت الحكومة المصرية الى تعليم العربية في مدارسها فأنشأت مدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة لها اذ لم تجد في الازهر غناء . ثم لما ضجت الامة من فساد المحاكم الشرعية واضطرت الى اصلاحها لم تجد بدا من انشاء مدرسة خاصة للقضاء الشرعي لان الازهر قد عجز عن تخريج قضاة ترضاهم الحكومة والامة . وكل من له من هذه الطائفة مزية مما تجب لاهلها فانما سببها استعداد خاص فيه ، وتوفيق اتفاقي أتيح له لا طريقة التعليم المطردة ، كالاستاذ الامام الذي عرف قيمة علمه وعقله وفضله الغرب والشرق، والانس والجن، وجهله أكثر علماء الازهر الذين قضى أفضل سني عمره في الجهاد لاصلاح حالهم، وجعلهم أئمة لهذه الامة، التي اعترفت له كلها بالامامة ، وساعده المنار في جهاده هذا — فقاومه كبراء الشيوخ بكل ما أوتوه من حول وقوة، ومن بقية المكانة الرسمية لدى الامراء والحكام ، والوهمية أو الخيالية عند العوام

مصر والآستانة وكل قطر دخل فيه التعليم الاوربي ، واصر فيه جمهور علماء المسلمين على جعل الشرع محصورا فيما قال مصنفو كتب مخصوصة انه المعتمد أو المفتى به في المذهب وان خالف ظواهر القرآن والاحاديث الصحيحة ومصلحة الامة والدولة

ومن هذا الجمود التقليدي ان شيوخ الاسلام في الآستانة يحظرون الفتوى بما في مجلة الاحكام العدلية لان بعض موادها مخالف للمعتمد في مذهب الحنفية ، ولقد قلت لشيخ الاسلام موسى كاظم افندي بمناسبة حديث بيننا: إنني مستعد ان أستخرج لكم من الشريعة الغراء كل ما تمس اليه حاجة العصر في غير الربا القطعي اذا كنتم تنفذونه ، قال أنا أعلم ان هذا سهل وأعناه ولكن ما ذا نعمل في مشايخ الفتوى خانه ؟

يعلم الله تعالى اننا نود لو يكون علماء الشرع فينا هم قادة هذه الامة في دينها ودنياها ، اننا لم نلق ما لقيناه منذ إنشاء المنار من التبعة عليهم في تقصيرهم الا لاجل حفز هممهم لتلافي ذلك التقصير وأول ما يجب أن يعرفوه من حال العصر وأهله في هذه السبيل أن حرية العلم والرأي واستقلال الفكر مقدسان عند جميع المتعلمين في غير المدارس الدينية وكذا عند بعض المتعلمين فيها — والاولون هم أولو الامر والنهي في الحكومتين التركية والمصرية فاذا لم يقدر العلماء هذه الحرية والاستقلال قدرهما ، ويرجعوا عن اصرارهم على التقليد الاصم الابكم الاعمى ، فان هؤلاء يغلبونهم على عامة الامة ، ويتركون ما بقي من صلة الحكومة بالدين والشريعة ، عملا بقاعدة فصل الدين عن السياسة بالمعنى الذي يفهمونه ويدعو اليه بعضهم اليوم ، لا بالمعنى المعروف عند علماء الشرع في مثل قولهم يصح كذا قضاء لا ديانة أو ديانة لا قضاء .

ويعلم من قول شيخ الاسلام الذي ذكرناه آنفا أنه يوجد في علماء الترك أفراد من المستقلين في علم الدين العارفين بحال العصر وما ينبغي من الاصلاح فيه ويوجد مثلهم في مصر وتونس والهند ولكنهم مغلوبون على أمرهم حتى ان الذي يصل منهم الى مقام المشيخة الاسلامية في الآستانة والى مقام إفتاء الديار المصرية في القاهرة يبقى مغلوبا على ما يريد من الاصلاح بجمود السواد الاعظم من هؤلاء المقلدة

فاذا تيسر أن يكون لهؤلاء المستقلين من العلماء حزب قوي منظم وعرفوا الطريق المستقيم لحفظ الدين والشريعة وسلكوه فانهم يجدون من هؤلاء المتفرنجين أنصارا حتى يكون الشاذ منهم قليلا وضعيفا لا تخشى عاقبة شذوذه . وسنذكر في المقال الآتي ما ينبغي الأخذ به في هذا الطريق ، وبالله التوفيق

كاضطهادهم للشيخ محمد الرمال الدمياطي واخراجه من دمياط ، وللشيخ مصطفى الشريف في طنطا و نقله من المسجد الاحمدي الى معهد أسيوط ، و للشيخ محمد عبدالظاهر في الاسكندرية وقد حرضوا العامة عليه هذه الايام فضربوه ضربا مبرحا، ولكنهم اذا لقوا من يعتقدون فسوقهم ومروقهم من الدين من رجال الحكومة أو كبار الاغنياء يتملقون لهم بالتعظيم والمبالغة في الدعاء

هذا شأنهم في اضطهاد من تحت رئاستهم ولا يملكون أكثر منه ، وقد تجرأ أحد قضاتهم الشرعيين على الحكم بردة الشيخ محمد أبي زيد (أحد تلاميذ مدرسة دار الدعوة والارشاد) والتفريق بينه و بين زوجه اذ احتسب أحد علماء الازهر بابلاغ ذلك القاضي أنه قد ارتد عن الاسلام اذ قال ان الدليل على رسالة آدم غير قطعي وهو معارض بحديث الصحيحين وغيرهما الناطق بأن نوحا أول رسول أرسله الله الى أهل الارض ، ولكن قاضي الاستئناف كان أعلم وأحكم من هذا القاضي فنقض حكمه

وغاية دفاعهم عن الدين أن يطلبوا من الحكومة ابطال بعض الصحف عند ماتنشر شيئا مخالفا للدين أو للمذاهب المشهورة فيه. وقد بلغنا أنهم طلبوا منها أخيرا أن تأمر بمنع مجلة القضاء الشرعي التي أنشأها بعض أساتذة هذه المدرسة وطلابها النجباء لانه نشر فيها بحث في امضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه للطلاق الثلاث باللفظ الواحد خلافا لما جرى عليه العمل في عصر الرسول (ص) وعهد خلافة أبي بكر (رض) وسنتين من خلافته .

و يعتقد هؤلاء المتفرنجون أنه لو كان لهؤلاء العلماء نفوذ في الحكومة لمنعوا بقوتها حرية العلم والاعتقاد والعمل في كل ما يخالف معارفهم التقليدية في الدين، بل لتحكموا في حرمان من شاؤا من الدين وعقابه حتى بالقتل كما كان يفعل غيرهم من النصارى اذ كان رؤساؤهم في الدين مثلهم في معارفهم

ماذكرناه أولا وآخرا هو علة العلل لما فشا في المسلمين من الالحاد في الدين والاعراض عن الشريعة وتفضيل بعض المتفرنجين القوانين الوضعية عليها في

الرحلة الاوربية

(١)

السعي للتوفيق بين الشرق والغرب

كان مما أقصد اليه في رحلتي هذه أن التقي ببعض أحرار أوربة المستقلي الرأي فأستفيد من آرائهم وأفيدهم ما أحب أن يعرفوه عن بلاد الشرق عامة وبلادنا العربية خاصة ،وأن أقترح عليهم السعي لاصلاح ذات بين الشرق والغرب بالعدل والانصاف ومبادلة المنافع وعدول الدول المستعمرة عن مطامعها، وعن أصرارها على استعباد الشعوب الشرقيـة واغتصاب خيرات بلادها بالقوة العسكرية القاهرة ، وأبين لهم ما تجدد بهذه الحرب من يقظة هذه الشعوب وتعارفها ، وتوجهها الى التعاون على دفع عدوان العادين عليها ، وما يؤول اليه أمر هذه الاطماع الاستعمارية من الفتن والحروب بما تغرسه في قلوب المظلومين المقهورين من العداء ، وما تورثه من الاحقاد ، وأن خير الوسائل لتلافي هذه الشرور أن يعنى أحرار أوربة باقناع رجال الدول المستعمرة أو إكراههم بقوة شعوبهم الادبية ومجالسهم النيابية.على قاعدة حرية الشعوب وسيادتها القومية، ومساعدتها على ما تطلبه باختيارها من وسائل تعمير بلادها بالفنون العملية والآلات الصناعية ، في مقابلة الانتفاع منها بما في بلادها من فضل الاغذية ومواد الصناعة الاولية

آراء أحرار أوربة في تنازع الشرق والغرب

لقيت أفرادا من هؤلاء الاحرار في (جنيف) وغيرها وتحدثت معهـم في هذا المقصد ، فألفيتهم يعتقدون أن هذه الحرب لم تزد رجال السياسة في الدول الكبرى الا رسوخا في الطمع المردي والدسائس ، وتماديا في إثارة الفتن والشرور ، وضراوة بسفك الدماء ، ويعرفون كنه فساد ساسة هذه الدول ويتشاءمون بسوء عاقبتها ، ولا يصدقون ما يدعيه هؤلاء الافاكون من الطعن في الشرقيين ولا سيما المسلمين والرغبة في اصلاح حالهم ، ووقاية نصارى الشرق من تعصبهم ، بل وقاية أوربة نفسها من سوء تأثير حريتهم واستقلالهم

ذكرت في الفصل الذي قبل هذا أن آخر من لقينا من رجال جمعية الامم في جنيف رئيسها العام، في هذا العام (١٩٢١) أوفي هذا الاجتماع ، وذكرت

﴿ تتمة تلخيص مكتوبات نائب ملك الانكليز لأمير مكة تابع ص ٦٢٤ ﴾

(١٠) استصوابها (أي الحكومة البريطانية) انتحال الشريف حسين للخلافة الاسلامية واغراؤه باعلانها ، والتصريح بأن ملك الانكليز نفسه «رحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صمم من فروع الدوحة النبوية المباركة» (؟)

(١١) الوعد المتعلق بمسألة الصلح ونصه كما في ص ٦٢١ «فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام أي صلح كان الا اذا كان من شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والترك»

هذه جملة العهود والوعود والمقاولات الابتدائية بين الانكليز وأمير مكة وهي قسمان

(أحدهما) ما طلبه هو من الحكومة الانكليزية وسماه مقررات النهضة وهذا كله شر واستعباد للعرب وقضاء على حريتهم ولا يلزم أحدا من العرب به شيء لانه لم يكن موكلا من أحد منهم بأن يساوم الانكليز ويعطيهم حق الحماية للبلاد العربية وتأسيس حكومات فيها يتولون ادارتها وحفظها

(ثانيهما) وعود الانكليز المطلقة للعرب بما كتبوه له وقالوا مثله لنا ولغيرنا ونشروه على العرب في جريدة عربية سموها الكوكب كانوا ينشرونها بطرق النشر العسكرية في جميع الاقطار العربية، وهو أن العرب سيكونون بانتصار الدولة البريطانية أحرارا مستقلين في بلادهم. فهذه الوعود حجج يجب أن نعير بها الانكليز ونشهرهم بالكذب والخداع والغش الى أن يتركوا لنا استقلال بلادنا كلها.

نعم انهم يسمون الحجاز والعراق وشرق الاردن بلاداً مستقلة ويصدقهم في ذلك من وضعوهم ملوكا وأمراء فيها لانهم هم أعوانهم على استعباد الامة العربية . كأن الاستقلال عبارة عن تولية هؤلاء الثلاثة هذه المناصب ، فمصر اذا مستقلة من قبل تصريح ٢٨ نوفمبر الذي تقرر به الاستقلال الاسمي لها حتى في مجلس العموم الانكليزي ، وزنجبار مستقلة لان فيها سلطانا وطنيا ومسقط بالاولى، بل في الهند بلاد مستقلة كثيرة كحيدر آباد الدكن وبهوبال وكشمير و . و . . . ؟ فالى متى يسخر هؤلاء الساسة الاشرار بالامم والشعوب؟ والى متى يجدون من الخونة في هذه الامم من يساعدهم على ذلك ؟

وبعد ايام قليلة من تركها للدار جاء المكان الذي كانت فيه سيدة او سيدتان من حرم الباشا ومعهما عبد من الاغوات يحمل بقجا من الحرير المزركش فيها حلل من الثياب النفيسة وعلب فيها حلي من الذهب والجواهر وقدمها للبنت الارمنية ، وقالت سيدته للبنت ولمن حولها ان هـذه الحلي والحلل هي التي كانت هي وبناتها يتبرعن بها للفتاة في الاعياد والمواسم ويحفظنها لها ، لاجل تجهيزها بها عند زواجها، فهي قد صارت ملكها، ولا تطيب انفسهن لحرمانها منها!! بهذا مثال الاسترقاق والظلم الذي كان يسومه باشاوات الترك وحرمهم للارمنيات!! وأما الارمن الذي خدعهم الانكليز والروس بالخروج على دولتهم بالسلاح والكيد لها والتحيز الى أعدائها وقت الحرب فلا يعقل أن يغفر لهم الترك ذلك

وكان رئيس مؤتمرنا قد دعا مدير جريدة (تريبون دي جنيف) وسكرتيريه الى العشاء مع أعضاء المؤتمر في الفندق فأجابوا الدعوة ، وقد رغب الي سكرتير قلم التحرير (موسيو ماتيل) ان اجلس بجنبه على المائدة لاجل الحديث معه فأجبت مرتاحا ودار بيننا حديث طويل اتممناه في سمرنا بعد العشاء

بدأت الحديث بأن بينت له خلاصة علاقة الشرق بالغرب ، ومايود اقتباسه من علومه وفنونه ، وما يكره من أفكاره وشؤونه ، وما ينكر من مدنيته المادية ، ومطامعه الاستعمارية، التي كان التنازع عليها موقدا لنار الحرب الاخيرة وينتظر أن يوقد نار حرب أخرى شر منها ، الا أن يتلافى عقلاء أوربة الاحرار هذا الخطر بمقاومة هذه السياسة ، وارجاع الدول المستعمرة عن التمادي في هذه المطامع، وإقناعها بالاستفادة من بلادنا وافادتها، مع ترك أمر الحكم فيها لاهلها

قال : ان مدنيتكم مدنية آداب وفضائل فحافظوا عليها فهي خير لكم من مدنية الغرب المادية الفاسدة التي هي كما ترى مظاهر رياء وزينة وشهوات . .

قلت : إننا راضون بآدابنا وفضائلنا ولا نريد ان نستبدل بها غيرها ولا سيما هذه الآداب والتقاليد والعادات المبنية على الافكار المادية والشهوات الحسية، التي تبيح السكر والزنا والقمار، وسلب الاقوياء لحقوق الضعفاء ، وانما نريد أن نقتبس بعض الفنون والصناعات المساعدة على العمران

قال : انكم لا تستطيعون أن تكونوا أمما صناعية مثلنا فان الشرق غير مستعد لذلك كالغرب ، ثم إن هذه الصناعات من مفسدات الاخلاق أيضا ، فاذا أنشيء في الشرق معامل كمعامل أوربة فانه يدخل فيها النظام المالي الاوربي

بعض حديثنا معه ، وأذكر هنا أن سكرتيره الخاص (موسيو شولر) كان قد تعشى وسهر معنا في الليلة التي قابلنا الرئيس في نهارها (ليلة غرة صفر سنة ١٣٤٠) وقد دار السمر بيننا في الموضوع الذي بينه آنفا فأعجبنا انصاف هذا الشاب واطلاعه على كثير من حقائق السياسة الاوربية المتعلقة بالشرق ، ولا سيما الترك ، ونذكر مجملا من كلامه

قال : كنت أصدق ما كانت تذيعه السياسة في أوربة عن توحش الترك وظلمهم للمسيحيين عامة والارمن خاصة الى أن أتيح لي أن أذهب الى الآستانة وأختبر الحال بنفسي ، وحينئذ علمت أن أوربة على عدم تمسكها بالدين ، هي المتعصبة على المسلمين ، والكاذبة بما بثته من الدعوة بأنهم أعداء المسيحيين ، فقد مكثت في الآستانة زمناً طويلا عاشرت فيه المسلمين ورأيت من حسن أخلاقهم وآدابهم ، ما وقفت به على درجة التحامل عليهم ، وأعترف بأن الحلفاء جعلوا مسألة الانتداب على البلاد العربية ذريعة الى ما ذكرعوه من طمعهم في استعمارها، واستعباد أهلها ، وذكر لنا واقعة مما شاهده بنفسه في الآستانة من معاملة مسلمي الترك للارمن

قال : كان في الآستانة لجنة أميركية تسعى لتحرير الارمن من رق الترك بزعمها ، وقد بلغها أن أحد الباشوات قد اغتصب فتاة أرمنية واكرهها على الاسلام ، فسألوه عنها فاعترف بأن عنده بنتا فقيرة يتيمة آواها وربإها وأحسن معاملتها ، وهي تقيم في داره برضاها واختيارها ، فطلبوا منه بكل غلظة وفظاظة أن يأتيهم بها ففعل ، فسألوها عن قصتها فكان كلامها مصدقا لما قاله الباشا على كل وجه وعلموا منها انها في سعادة وغبطة في عيشتها الراضية عنده وانها غير مكرهة على شيء ولا كارهة لشيء ، ولا ممنوعة من الذهاب الى حيث تشاء . فسألوها عن إكراهه إياها على الاسلام ، فقالت انه لم يدعها احد الى الاسلام ، لا بالاكراه ولا بالاختيار ، ولكنها الفت الاسلام من تلقاء نفسها وصارت تذهب مع سيدات الدار (الهوانم) احيانا الى المسجد اذا ذهبن اليه فلا يمنعنها اذا ذهبت، ولا يسألنها الذهاب اذا قعدت. فطلبوا منها ان تترك بيت الباشا وتتبعهم لانه يجب ان تعود الى دينها، وتتزوج برجل من ابناء جنسها ، فامتنعت فأكرهوها واخذوها فوضعوها في مشغل كانوا يضعون فيه امثالها لاجل تحصيل رزقهن بعملهن، فكانت كارهة لنقلها عن نعيم مقيم، الى بؤس اليم،

تتعلق بالاحتلال ومالية مصر ومسألة السودان. قال: هل رأيت في هذه المرة تغيراً في الافكار؟ وما ترى من الفرق بين الانكليز اليوم والانكليز منذ عشرين سنة؟ قال: لم ألاق كثيراً من الناس هذه المرة لاني حديث عهد ومثل هذا التغير يؤخذ العلم به عنكم قال الفيلسوف: الحق عند أوربة للقوة

الامام: هكذا يعتقد الشرقيون ومظاهر القوة هي التي حملتهم على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منابعه

الفيلسوف: محي الحق من عقول أهل أوربة واستحوذت عليها الافكار المادية فذهبت بالفضيلة، وهذه الافكار المادية ظهرت في اللاتين أولا فأفسدت الاخلاق وأضعفت الفضيلة ثم سرت عدواها منهم الى الانكليز فهم الآن يرجعون القهقرى بذلك. وسترى هذه الامم يختبط بعضها ببعض وتنتهي الى حرب طامة ليتبين أيها الاقوى فيكون سلطان العالم

الامام: اني آمل أن يحول دون ذلك همم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير مبادىء الحق والعدل ونصر الفضيلة

الفيلسوف: وأما أنا فليس عندي مثل هذا الامل فان هذا التيار المادي لا بد أن يبلغ مده غاية حده

(موسيو راسيل) انني أنا أعتقد مثل هذا الاعتقاد ولست كالفيلسوف سبنسر وكثير من العقلاء يعتقدونه وهو لا يحتاج الى كل علم سبنسر وفلسفته، فان الترف واتباع الشهوات الذي هو أثر طبيعي للثروة وسعة الحضارة هو الذي أهلك الامم السابقة وازال حضارتها في الشرق والغرب كأممكم العربية والمصرية، وأممنا اليونانية والرومانية. وهو الذي لا بد ان يقضي على مدنيتنا الحاضرة، فان سنة الاجتماع في كل الامم واحدة لا تتغير

قلت: نحن نعتقد هذا من يعرف منا علم الاجتماع ومن لا يعرفه لانه منصوص في القرآن في آيات منها قوله تعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وفي آيات أخرى ان لله سنناً في الامم كقوله (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) وان هذه السنن لا تبديل لها ولا تحويل، ولكن الامم الاوربية تعلم من هذه السنن ما لم يكن يعلمه من قبلها، حتى المسلمون الذين ارشدهم كتابهم اليه، وشرع بعض حكمائهم في جعلها علما مدونا كابن خلدون الفيلسوف العربي

والاحوال الاجتماعية الغربية المبنية على الطمع والنهب والمزاحمة وسائر المفاسد أي كمسألة العمال ، واختلاط النساء والرجال ، ومفاسدها كثيرة معلومة

قلت — وقد ظننت أنه مخادع لانه سياسي : ان الشرق قد سبق الغرب الى الصناعات العظيمة الباقية آثارها من الوف السنين في مصر وغيرها .. بل جميع أصناف البشر مستعدون لكل علم وصناعة ، والشعوب التي سبقت لها مدنية صناعية يكون استعدادها أقوى بسبب تأثير الوراثة . وهذه أمة اليابان شرقية وهي من الجنس الاصفر الذي كان يظن أنه أقل استعدادا من الابيض الذي نحن منه مثلكم وقد ساوت أوربة في كل علم وصناعة

قال : اني أعني بأنكم لا تستطيعون أن تكونوا أمما صناعية لعدم الداعية لا الضعف في الاستعداد الفطري ، والداعية هي الحاجة التي تولدها كثرة السكان وعدم كفاية الارض لمعيشتهم — والشرقيون الاقدمون الذين ترقوا في الصناعة كالمصريين والاشوريين كانوا ممن ضاقت بهم بلادهم

قلت — وأنا أريد اختصار البحث الاجتماعي والانتقال الى البحث السياسي — : إننا لا نحاول الآن أن نشيد معامل تغنينا عن كل صناعات أوربة وأميريكة فان لهذه موانع اقتصادية عندنا تحول دون ربحنا منها ، وفوزنا على مصنوعات الغرب التي تزاحمنا فيها ، وإنما نحن محتاجون أشد الاحتياج الى بعض الفنون والصناعات الضرورية لترقية زراعتنا واستغلال أرضنا فيها يتضاعف ريعها ، ونحن أعرف بما نحتاجه وما نحن مضطرون اليه منها ، وانما نريد ان نستفيد من امثالكم الاحرار ما يجب السعي اليه منا ومنكم في علاقة بلادنا ببلادكم فان حكوماتكم الاستعمارية لا تتركنا احرارا في شؤون حياتنا حتى نختار لانفسنا ما نحافظ به على مدنيتنا ونقتبس ما نشاء من شعوبها وندع ما نشاء ، وقد كنا جاهلين بكنه مطامعها وخفايا سياستها فعرفنا ، ونائمين فاستيقظنا

اني مغتبط بك لإني رأيتك على رأينا في المدنية المادية ومفاسدها والظاهر ان أصحاب هذا الرأي في أوربة قليلون ، وهو رأي شيخ فلاسفتها هربرت سبنسر فقد حدثنا عنه أستاذنا الامام الحكيم الشيخ محمد عبده المصري الشهير أنه لما زاره في آخر سياحة له في أوربة — (وكان ذلك في مصطافه بمدينة بريتن — في ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣) سأل الفيلسوف الامام : هل زرت انكلترة قبل هذه المرة؟ قال نعم زرتها منذ ١٩ سنة عقب الاحتلال البريطاني لامور

أطلب من مكتبة المنار بشارع عابدين بمصر عـدد ٢٥

مطبوعات المنار

بيان الاثمان عدا التجليد واجرة البريد

قرش	
١٥	تفسير القرآن الحكيم لكل جزء
٣٠	« « « « للجزء السابع منه
٤	« سورة الفاتحة
٢	« سورة والعصر
٨	رسالة التوحيد (طبعة رابعة)
٦	الاسلام والنصرانية
٢	اصلاح المحاكم الشرعية
٣٠	شرح عقيدة السفاريني (جزآن)
٣٠	العلم الشامخ مع الذيل (المقبلي)
٨	سيرة خديجة أم المؤمنين (للزهراوي)
١٨	انجيل برنابا
٥	الدين في نظر العقل الصحيح
٣	الصلب والفداء صفحاته ١٦٨
٣	نظرة في كتب العهد الجديد
٦	دين الله في كتب أنبيائه
١٦	سنن الكائنات (الاول والثاني)
٥	أم القرى (طبع المنار) للكواكبي
٣٦	مدارج السالكين ثلاثة أجزاء
٣	اغاثة اللهفان في طلاق الغضبان
٥	انتقاد مؤلفات زيدان بك
٢	القول السديد في الاجتهاد والتقليد
٢	فتاوي في اصلاح المرأة

(للاستاذ الامام) — (للدكتور صدقي)

قرش	
٢٢٠٠	مجموعة المنار (٢٢ مجلداً)
٣٠٠	مجموعة السنة الثانية
١٥٠	« « الثالثة
٢٥	تاريخ الاستاذ الامام (المنشات
٢٠	« « (التآبين والمراثي)
١	مناسك الحج
٥	ذكرى المولد النبوي
٢	مختصر ذكرى المولد
٥	المصالح والمقاد
٥	شبهات النصارى وحجج الاسلام
١	المسلمون والقبط
٣	العرب والعربية (للاعظمي)
٢٥	دلائل الاعجاز . طبعة ثانية
٣٥	أسرار البلاغة
٣	الجرح والتعديل (للقاسمي)
٣	تاريخ الجهمية والمعتزلة (له)
٢	أعمال مجلس ادارة الازهر
٦	التوسل والوسيلة (طبعة ثانية)
٨	تحفة المحقق بشرح المنطق (للعطاس)
٨	صفة العلو للعلي الغفار (للذهبي)
٨	مفتاح اللغة العربية (تطبيق على القواعد)
١٥	بداية المجتهد (طبع الاستانة)

(لمنشيء المنار)

المشهور — ولكنهم ظلوا مقصرين في ذلك حتى وسع نطاق هذا العلم مثل الفيلسوف سبنسر وغيره فهم بارشاد هذا العلم يجتهدون في اتقاء الهلاك اجتهادا ربما يكون سببا في تأخيره فنحن في هذه الفرصة يجب ان نتقي شر اعتدائهم علينا، ليطول امد السلام فيكم وفينا

قال : ان التأخير ليس بمستطاع وقد حكيت عن الفيلسوف سبنسر انه كان يائساً من تلافي مفاسد الافكار المادية ونصر الحق والفضيلة عليها . وانا اخبرك بأنه يوجد كثير من عقلاء اوربة يعتقدون ان خرابها سيكون قريبا وانه ربما يكون هذا الجيل آخر جيل فيها ، وحجتهم عليها هذه الحرب الاخيرة

قلت : الا ترى ان من الممكن التوسل بأمثال هؤلاء العقلاء الى بث الدعوة في الشعوب الاوربية بالزام حكوماتها ترك العدوان على حريتنا واستقلالنا ، اكتفاء بمبادلة المنافع بينهم وبيننا، وتلافيا لما تولده المطامع في بلادنا من التنازع بين الدول الطامعة فيها ، الذي يفضي الى الحرب الآتية ، وهي التي اذا وقعت ستكون القاضية

قال : لا إمكان فهؤلاء السياسيون لا يحولهم عما تربوا ومرنوا عليه من المطامع والدسائس الا القوة القاهرة . . .

قلت : وبم تنصح لنا اذن ؟

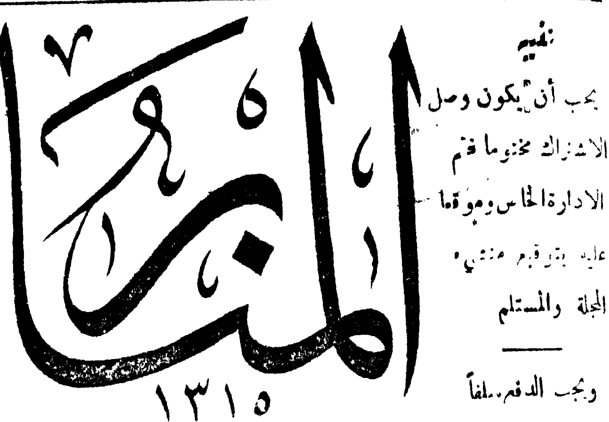
قال : اجمعوا كلمتكم ، وحافظوا على دينكم وآدابكم وفضائلكم ، واستعدوا للاستفادة من الحرب الآتية، فاذا كانت شعوبكم تتبع راي الزعماء العقلاء مثلكم فانكم تستفيدون من فرصة الحرب الآتية ، ما فاتكم مثله في الحرب الماضية ، والا فلستم الآن بأهل للاستقلال ولا للحرية، بل تحتاجون الى تربية طويلة...

هذا ملخص حديثنا السياسي على المائدة وفي السمر بعدها ، بل كان من حريته التامة ان صرح بما لا يجوز لي ان انقله عنه الا باذنه ، وهو يعتقد ان ساسة الغرب يكذبون فيما يرموننا به من العيوب ليحتجوا به على اقناع مجالسهم واحرار شعوبهم بالاعتداء علينا . ومن مجاملته الادبية لي قوله : اني اعتقد بتناسخ الارواح ، وقد رايت روحي قريبة من روحك ولكنها لم تبلغ درجتها في الارتقاء ، واني ارجو ان تدركها بعد موت وحياة اخرى فنلتقي في الحياة الثالثة تلاقي الاتحاد والمساواة ، فأجبته بمجاملة تليق بالمقام وأثنيت على ماافادنا ، وما نصح به لنا، مغتبطا باتفاقنا في الافكار والآراء .

﴿ الجزء التاسع ﴾ ١٣٤٠ ﴿ المجلد الثالث والعشرون ﴾

تنبيه
يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشىء المجلة والمستلم

ويجب الدفع سلفاً



قيمة الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهباً في مصر و ٢٥ شلناً في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة أو عن نصف سنة
سنة المجلة عشرة اجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران
لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

﴿ عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي «المنار بمصر» ﴾

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ الناس في عماية عن النافع، وفي انكباب على الضار، فلا تعجب اذا
لم يسرعوا بالاشتراك في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى
تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغار،
ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا، والفقراء لا يستطيعون الى البذل
سبيلا، ولكن ذلك لا يضعف الامل، في نجاح العمل ﴾

مستحضرات محمد علي نصوحي

التي حازت الشهرة التامة لحسن تاثيرها السريع في جميع أنحاء العالم المتنور ونالت النياشين والمداليات الذهبية والفضية من الدولة العلية ومن معارض دول أوربا

غرش صاغ أسماء و بيان استعمال هذه الادوية الموضحة أدناه

١٥ اكسير نصوحي لتقوية المعدة وفقر الدم ومزيل الانتفاخ والآلام ومنظم الحيض

١٢ حبوب نصوحي لتقوية المعدة والاعصاب والدم و يقوي الجسم عموما

١٢ ماء الحياة للشعر يمنع سقوطه تاكيدا و يقوي البصيلات الشعرية بمسافة قليلة

١٢ روماتيزمول دهان شافي لجميع الامراض الروماتيزمية الحديثة والمزمنة

١٢ شراب يودونتيك فوسفاتية لتقوية الاطفال اللنفاويين ولين العظام ومنقي للدم ومزيل العقد الخنازيرية و يقوم مقام زيت الحوت

١٢ ماء الشباب يزيل الكلف والتمشف و يكسب الجسم نعومة ولطافة

١٥ زيت الحياة للشعر يطول و يطري الشعر و يمنع سقوطه وتقصيفه

١٢ اكسير العشبة المركب المنقي للدم والشافي للامراض الزهرية وأنواع الربوا

٨ حقنة نصوحي خاصة لمنع السيلان الحديث والمزمن بدون ألم

٧ البرشام المعدي لتصليح المعدة وازالة الحموضة ومرارة الفم الناشئة من سوء الهضم

١٠ خلاصة الكينا المركبة لتقوية المعدة والامعاء و تمنع الآلام التي تحصل في الظهر أو في فم المعدة خصوصا عند القيام من النوم

٨ نقط نصوحي الوقاية من الكوليرا ومكروباتها وتصليح المعدة ولمنع البواسير

٥ حبوب ملينة ضد الإمساك الذي يتولد من سوء الهضم وانتفاخ البطن

١٠ أودنتين دواء للاسنان يمنع التسوس و يسكن الآلام حالا بسرعة عجيبة ومطهراً للأسنان والفم

٨ حبوب صدرية لازالة السعال وخروج البلغم بسهولة من الصدر بغير تعب

٥ مسحوق للشعر يزيله في مسافة أربع دقائق بغاية السهولة و يظهر محله ناعما

١٠ القطرة الهندية خاصة لازالة الحبيبات واللحمية الحديثة والمزمنة

٥ مسحوق الصفا لاجل جلاء الاسنان وتقوية اللثة وحفظهما و يشفي الحفر معطرا للفم

٥ قطرة نصوحي لازالة الالتهابات المزمنة والحديثة والرمد الحبيبي والصديدي ويجلو البصر و يعيد قوتها الحقيقية

نشوق صحي ضد الزكام و يشفي للنوازل ومنعش للجسم :

مستودعه العمومي بمعمله الكيماوي باجزخانة نصوحي بميدان العتبة الخضراء بمصر



— قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق —

٣٠ ربيع الاول ١٣٤١ ــ ٢٦ العقرب (خ ٢) سنة ١٣٠١ هش ١٩ نوفمبر ١٩٢٢

تفسير القرآن الحكيم

(٣١) يَٰبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣٢) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ. كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

روى مسلم في صحيحه والنسائي والبيهقي في سننهما ومخرجو التفسير المأثور عن ابن عباس ان النساء كنّ يطفن بالبيت عراة الا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدا منه فلا أحله

واخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبير قال كان الناس يطوفون بالبيت

فهرس الجزء التاسع من المجلد ٢٣

وجملة القول إن الروايات في سبب نزول هاتين الآيتين قد روي مثلها في نزول ما قبلهما من آيات اللباس كما تقدم مختصرا. والمعنى أن هذه الآيات كلها نزلت مبطلة لتلك الضلالة الجاهلية الفاحشة ومقررة لمشروعية اتخاذ الملابس للستر ولزينة التجمل واظهار نعمة الله على عباده. قال عز وجل

﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ يقال في هذا النداء ماقلنا في مثله قبله ونزيد أنه يشمل النساء بالتبع للرجال شرعا لا لغة يدل على بعثة النبي (ص) الى جميع البشر . والظاهر أن هذه الوصايا مما أوصى الله تعالى به من سبق من الرسل وسنعود الى هذا في تفسير آخرها ؛ والزينة ما يزين الشيء أو الشخص فهي اسم من زانه يزينه زينا، ضد شانه — اي عابه — يشينه شيناً. وأخذها عبارة عن التزين لانه إنما يحصل بأخذما يزين واستعماله ، والمراد بها هنا الثياب الحسنة المعتادة بدليل القرينة والاضافة وسبب نزول الآيات — والا فأنواع الزينة في الدنيا كثيرة ومنها المال والبنون — فلا يدخل فيها ماهو خاص بالنساء من الحلي والحلل التي يتحببن بها الى أزواجهن وقد تكون شاغلة عن العبادة. وأقل هذه الزينة مايدفع عن المرء أقبح ما يشينه بين الناس وهو مايستر عورته . وقد اقتصر بعضهم على هذا لاجل جعل الامر للوجوب وانما يجب لصحة الصلاة والطواف ستر العورة فقط على ما جرى عليه جمهور الفقهاء على اختلافهم في تحديد العورة، وقالوا: ان مازاد على ذلك من التجمل بزينة اللباس اللائق عند الصلاة — ولا سيما صلاة الجمعة والجماعة وفي العيدين — سنة لا واجب. ولكن اطلاق الامر يدل على وجوب الزينة للعبادة عند كل مسجد بحسب عرف الناس في تزينهم المعتدل في الجامع والمحافل ليكون المؤمن عند عبادة الله تعالى مع عباده المؤمنين في أجمل حالة لائقة به لا تكلف فيها ولا اسراف ، فمن قدر بلا تكلف على عمامة وإزار ورداء ، أو ما في معناها من قلنسوة وجبة وقباء ، لا يكون ممتثلا للامر بالزينة اذا اقتصر على إزار يستر العورة فقط (وهي عند بعض الائمة السوأتان فقط. وعند الجمهور ما بين السرة والركبة) وان صحت صلاته، فان المقام ليس مقام بيان شروط صحة الصلاة بل هو أوسع من ذلك ، ومن العلماء من يقول: إن ستر العورة في الصلاة واجب لا شرط لصحتها. وان فيما ورد من الاخبار والآثار في المسألة ما يدل على ما قلنا حتى جعلت النعال من

عراة يقولون: لانطوف في ثياب أذنبنا فيها، فجاءت امرأة فألقت ثيابها فطافت، ووضعت يدها على قبلها وقالت : (البيت) فنزلت هذه الآية (خذوا زينتكم عند كل مسجد — الى قوله — والطيبات من الرزق) والروايات في هذا المعنى كثيرة عن ابن عباس وتلاميذه وغيرهم من مفسري السلف وفي بعضها عنه أنهم كانوا يطوفون بالليل عراة وأكثرها مطلقة . وفي بعضها عنه: كانت العرب اذا حجوا فنزلوا في أدنى الحل نزعوا ثيابهم ووضعوا رداءهم ودخلوا مكة بغير رداء الا أن يكون للرجل منهم صديق من الحمس (١) فيعيره ثوبه ويطعمه من طعامه ، فأنزل الله (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وفي رواية عن طاوس أنهم كانوا يضعون ثيابهم خارجا من المسجد ويدخلون فاذا دخل رجل وعليه ثيابه يضرب وتنزع عنه ثيابه فنزلت. وعن قتادة حكاية ذلك عن حي من اليمن والصواب انه عام ولم يكن أحد من العرب يلبس ثيابه في الطواف الا الحمس من قريش فانهم كانوا يميزون أنفسهم على سائر الناس : يطوفون بثيابهم — وهذا حسن في نفسه — ويأتون البيت من ظهره لا من بابه اذا كانوا محرمين ، وقد أبطل هذا كتاب الله تعالى بقوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون) ويقفون عند المشعر الحرام (جبل قزح) بمزدلفة لا في عرفات. ويعللون هذا بأنهم أهل الحرم فلا يخرجون منه ، وعرفة خارج حدّ الحرم المعروف بالعلمين المنصوبين اللذين ينفر الحجاج من بينهما عند الدفع منها الى المزدلفة ولذلك ورد أن النبي (ص) لما خرج في حجة الوداع الى الموقف كانت قريش لاتشك في أنه يقف عند المشعر الحرام بمن معه من قريش ويأمر الناس بأن يذهبوا الى عرفة فيقفوا فيها فخاب ظنهم، وأبطل النبي (ص) امتيازهم وسن لهم ولغيرهم المساواة. وبدأ (ص) بنفسه حتى انه أبى أن يتخذ لنفسه مكاناً في منى يستظل فيه من الشمس لما أرادوا عمله له . وقال « منى مناخ من سبق » رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن عائشة بسند صحيح

(١) الحمس جمع أحمس كحمر جمع أحمر وهو وصف لبني قريش وصفوا به لحماستهم أو تحمسهم أي تشددهم في الدين من الحماسة التي هي الشدة والشجاعة أو لانتمائهم الى الحمساء وهي الكعبة

على المنبر فقال: القول ما قال أبي، ولم يأل ابن مسعود — أي لم يقصر — وروي عن الحسن السبط عليه السلام والرضوان أنه كان اذا قام للصلاة لبس أجود ثيابه فسئل عن ذلك فقال ان الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي وهو يقول (خذوا زينتكم عند كل مسجد)

والمأخوذ من جملة هذه الروايات وغيرها ماحققه وفصله عمر رضي الله تعالى عنه وهو أن الامر يختلف باختلاف حال الانسان في السعة والضيق كالنفقة قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) فمن عنده ثوب واحد يستر جميع بدنه فليستتر به جميع بدنه ويصل به، فان لم يستر الا العورة كلها أو العورة المغلظة — وهي السوأتان — فليستتر به مايستره، ومن وجد ثوبين مهما يكن نوعهما أو اكثر فليصل بهما، والخلاصة أنه يطلب أن يكون في أوسط حال. حسنة يقدر عليها وقد عد الفقهاء من اعذار ترك الجمعة والجماعة فقد الرجل للثياب اللائقة به بين أمثاله حتى العمامة للعالم

هذا الامر بالزينة عند كل مسجد — لا المسجد الحرام وحده — أصل من أصول الاصلاح الدينية والمدنية يعرف بعض قيمته مما روي في سبب نزول هذه الآيات وانما يعرفها حق المعرفة من قرأ تواريخ الامم والملل وعلم أن اكثر المتوحشين الذين يعيشون في الحرجات والغابات، أفراداً وجماعات، يأوون الى الكهوف والمغارات، والقبائل الكثيرة الوثنية، في بعض جزائر البحار وجبال أفريقية، كلهم يعيشون عراة الاجسام نساء ورجالا، وان الاسلام ما وصل الى قوم منهم الا وعلمهم لبس الثياب بايجابه للستر وللزينة إيجابا شرعيا، ولما أسرف بعض دعاة النصرانية الاوربيين في الطعن في الاسلام لتنفير أهله منه وتحويلهم الى ملتهم، ولتحريض اوربة عليهم، رد عليهم بعض المنصفين منهم. فذكر في رده أن لانتشار الاسلام في أفريقية منة على أوربة بنشره للمدنية في أهلها بحملهم على ترك العري وإيجابه لبس الثياب الذي كان سبب الرواج تجارة النسيج الاوربية فيهم. بل أقول: إن بعض الامم الوثنية ذات الحضارة والعلوم والفنون كان يغلب فيها معيشة العري حتى اذا ما اهتدى بعضهم بالاسلام صاروا يلبسون ويتجملون ثم صاروا يصنعون الثياب، وقلدهم جيرانهم من الوثنيين بعض التقليد،

الزينة وهي كذلك وان تركها جميع المسلمين في المساجد لانهم يفرشونها كما يفرشون بيوتهم بالحصر أو بالبسط والطنافس

أخرج الطبراني والبيهقي في سننه عن ابن عمر عن رسول الله (ص) قال « اذا صلى أحدكم (أي أراد الصلاة) فليلبس ثوبيه فان الله عز وجل أحق من تزين له . فان لم يكن له ثوبان فليتزر اذا صلى ، ولا يشتمل أحدكم في صلاته اشتمال اليهود » واخرج الشافعي واحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والبيهقي عن ابي هريرة ان النبي (ص) قال « لا يصلين احدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء » واخرج ابو داود والبيهقي عن بريدة قال نهى رسول الله (ص) ان يصلي الرجل في لحاف (ثوب يلتحف به) واحد لا يتوشح به . ونهى ان يصلي الرجل في سراويل وليس عليه رداء . واخرج ابن عدي وابو الشيخ وابن مردويه عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) « خذوا زينة الصلاة — قالوا وما زينة الصلاة ؟ قال — البسوا نعالكم فصلوا فيها » واخرج العقيلي وابو الشيخ ابن مردويه وابن عساكر عن انس قال قال رسول الله (ص) في قول الله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) قال « صلوا في نعالكم » وفي معنى هذين الحديثين بضعة احاديث أخرى ضعيفة يؤيدها ما أخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن انس انه سئل : أكان رسول الله (ص) يصلي في نعليه ؟ قال : نعم . واخرج احمد والشيخان وغير الترمذي من اصحاب السنن عن ابي هريرة ان سائلا سأل النبي (ص) عن الصلاة في الثوب الواحد فقال « أو لكلكم ثوبان؟ » زاد البخاري في رواية : ثم سأل رجل عمر فقال : اذا وسع الله فأوسعوا : جمع رجل عليه ثيابه ، صلى رجل في ازار ورداء ، في إزار وقميص ، في إزار وقباء[1] في سراويل ورداء ، في سراويل وقميص ، في سراويل وقباء ، في تبّان[2] وقباء ، في تبان وقميص . قال واحسبه قال : في تبان ورداء . وذكروا في هذا السؤال ان سببه ما رواه عبد الرزاق أن ابيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود اختلفا فقال أبي : الصلاة في الثوب الواحد غير مكروهة وقال ابن مسعود إنما كان ذلك وفي الثياب قلة — فقام عمر

(١) القباء هو ما يسمى في مصر بالقفطان وفي الشام بالغنباز (٢) التبان بضم التاء وتشديد الباء سراويل ليس له رجلين يتخذ من الجلد و يلبسه في زمننا المصارعون

المسرفين ﴾ اي إن ربكم الذي انعم عليكم بهذه النعم لمنفعتكم ، لايحب المسرفين في امرهم، بل يعاقبهم على الاسراف ، بقدر ما ينشأ عنه من المفاسد والمضار ، فالنهي راجع الى الثلاثة كما يؤخذ من أكثر الروايات ، بل حذف المعمول يدل على العموم، اي لا تسرفوا في هذه الاشياء ولا في غيرها، ويؤيده تعليل النهي بأنه تعالى لايحب جنس المسرفين — أي لأنهم يخالفون سننه في فطرتهم ، وشريعته في هدايتهم، بجنايتهم على أنفسهم في ضرر أبدانهم ، وضياع أموالهم، وغير ذلك من مضار الاسراف الشخصية والمنزلية والقومية. اخرج عبد بن حميد والنسائي وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي فى شعب الايمان من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي (ص) قال « كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا فى غير مخيلة ولا سرف فان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » وفى معناه عن ابن عباس: كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت اذا أخطأتك اثنتان : سرف أو مخيلة . والمخيلة (بفتح الميم بوزن سفينة) الخيلاء والاعجاب والكبر، وعن عكرمة فى قوله « ولا تسرفوا » قال في الثياب والطعام والشراب. وعن وهب بن منبه قال : من السرف أن يكتسي الانسان ويأكل ويشرب ما ليس عنده . وفى رواية عن ابن عباس فى قوله (انه لا يحب المسرفين) قال في الطعام والشراب . وفى أخرى قال : أحل الله الاكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة . ولم يذكر اللباس والمخيلة لا تظهر الا فيه

والاصل في الاسراف تجاوز الحد فى كل شيء بحسبه ، والحدود منها طبيعي كالجوع والشبع والظمأ والري فلو لم يأكل الانسان الا اذا أحس بالجوع ومتى شعر بالشبع كف وان كان يستلذ الاستزادة ، ولو لم يشرب الا اذا شعر بالظمأ واكتفى بما يزيله فلم يزد عليه لاستلذاذ برد الشراب أو حلاوته ، لم يكن مسرفا في أكله وشربه ، وكان طعامه وشرابه نافعا له — ومنها اقتصادي وهو أن تكون نفقة الثلاثة على نسبة معينة من دخل الانسان لا تستغرق كسبه ، فمن نفينا عنه الاسراف الطبيعي في أكله وشربه قد يكون مسرفا في ماله اذا كان نوع طعامه وشرابه مما لا يفي دخله بمثله — ومنها عقلي أو علمي ، ومنها عرفي وشرعي . ومن حدود الشرع فى الطعام والشراب واللباس أنه حرم من الطعام الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، ومن الشراب ، الخمر

هذه بلاد الهند على ارتقاء حضارة الوثنيين فيها قديما وحديثا لا يزال الوف الالوف من نسائهم ورجالهم عراة أو أنصاف أو ارباع عراة . فترى بعض رجالهم في معاهد تجارتهم وصناعتهم بين عار لا يستر الا السوأتين — ويسمونهما « سبيلين » وهي الكلمة العربية التي يستعملها الفقهاء في باب نواقض الوضوء — أو ساتر لنصفه الاسفل فقط ، وامرأة مكشوفة البطن والفخذين أو النصف الاعلى من الجسم كله أو بعضه ، وقد اعترف بعض علمائهم المنصفين بأن المسلمين هم الذين علموهم لبس الثياب والاكل في الاواني ولا يزال اكثر فقرائهم يضعون طعامهم على ورق الشجر ويأكلون منه ، ولكنهم خير من كثير من سائر الوثنيين سترا وزينة ، لان المسلمين كانوا حكامهم ، وقد كانوا ولا يزالون من أرقى مسلمي الارض علما وعملا وتأثيرا في وثنيي بلادهم وأما المسلمون في بلاد الشرق التي يغلب عليها الجهل فهم أقرب الى الوثنية منهم الى الاسلام في اللباس وكثير من الاعمال الدينية ومنهم نساء مسلمي (سيام) اللاتي لا يرين في أنفسهن عورة سوى السوأتين كما بين هذا من قبل فحيث يقوى الاسلام يكون الستر والزينة اللائقة بكرامة البشر ورقيهم ؟

فمن عرف مثل هذا عرف قيمة هذا الاصل الاصلاحي في الاسلام ، ولولا ان جعل هذا الدين المدني الاعلى اخذ الزينة من شرع الله أوجبه على عباده لما نقل امما وشعوبا كثيرة من الوحشية الفاحشة ، الى الحضارة الراقية ، وإنما يجهل هذا الفضل له من يجهل التاريخ وان كان من اهله ، بل لا يبعد ان يوجد في متحذلقة المتفرنجين من يجلس في ملهى او مقهى اوحانة متكئا مميلا طربوشه على رأسه يقول : مامعنى جعل اخذ زينة اللباس من امور الدين ؟ وهو من لوازم البشر لا يحتاجون فيه الى وحي الهي ولا شرع ديني ؟ وقد يقول مثل هذا في قوله تعالى

﴿ وكلوا واشربوا ﴾ وهذا الامر المقيد بما عطف عليه من النهي ارشاد عال أيضا فيه صلاح للبشر في دينهم ومعاشهم ومعادهم ، لا يستغنون عنه فى وقت من الاوقات ، ولا عصر من الاعصار ، وكل ما بلغوه من سعة العلم فى الطب وغيره لم يغنهم عنه . بل هو يغني المهتدي به فى امره ونهيه عن معظم وصايا الطب لحفظ الصحة — والمعنى خذوا زينتكم عند المساجد وأداء العبادات ، وكلوا من الطيبات ، واشربوا الماء وغيره من الاشربة النافعة المستلذات ، ﴿ ولا تسرفوا ﴾ فيها ولا تعتدوا بل الزموا الاعتدال ، ﴿ انه لا يحب

عائشة عند ابن مردويه والبيهقي من أن الاكل مرتين في اليوم من الاسراف ضعيف ومعارض بالصحاح . وحديث أنس عند ابن ماجه « ان من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت » ضعيف أيضا ولكن معناه صحيح وحكمة من جهة أخرى وذلك أن من أتبع نفسه هواها، ولم يكبح جماحها بقوة الارادة عن بعض شهواتها، فانها تقوده الى الاسراف والى شرور أخرى . وقد مال بعض الصحابة الى ذلك وشرعوا فيه حتى استأذن بعضهم النبي (ص) في الخصاء فأدبهم الله ورسوله بما ورد من الآيات والاحاديث في ذلك وقد فصلنا القول فيه تفصيلا عند تفسير قوله تعالى من سورة المائدة (٥ : ٩٠ ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا) الخ الآيتين [١] وبينا فيه أن ماعني بعض الصوفية بنقله من أخبار الزهد في الطعام كالغزالي في كتاب كسر الشهوتين — فأكثره لا أصل له ومنه الموضوع و الضعيف وأقله الصحيح وأن جملة سيرة النبي (ص) في الطعام أنه كان يأكل ما وجد من خشن ومستلذ، ليكون قدوة للمعسرين وهم اكثر أصحابه، وللموسرين وهم الاقلون منهم في عهده ، وقد أيسروا من بعده ، على أنه ورد أن أحب الطعام اليه اللحم، ولكنه لم يكن يهتم بالطعام، وانما كان يهتم بأمر الماء والشراب فلا يشرب الا العذب النظيف ويحب البارد الحلو، حتى كان يستعذب له الماء من مسافة يوم أو يومين، وأما اللباس فكان في عامة أحواله يلبس ما كان يلبس قومه ، ولبس من خشن اللباس ومن أجود أنواعه ليكون قدوة للغني والفقير

وجملة القول ان الطعام والشراب ضرورة بشرية حيوانية، وزينة إنسانية، ولكن ضل فيها فريقان من البشر في كل أمة من الامم — فريق الغلاة في الدين الذين يتركون الاكل والشرب من الطيبات المستلذة النافعة بخلا وشحا ، او يحرمونها على أنفسهم تحريما دائما أو في أيام أو أشهر مخصوصة غلواً في الدين ، وتقربا الى الله تعالى بتعذيب النفس واضعاف الجسم - وفريق المترفين المسرفين في اللذات البدنية الذين جعلوا جل همهم من حياتهم التمتع باللذات ، فهم يأكلون ويتمتعون كما تتمتع الانعام ، بل هم أضل في تمتعهم منها ، لانها تقف عند حاجة فطرتها ، فلا تعدو فيها داعية غريزتها ، التي تحفظ بها حياتها

(١) راجع ص ١٧ - ٣٢ من جزء التفسير السابع

وهي كل مسكر كما حرم كل ضار منهما كالسموم، ومن اللباس الحرير المصمت أي الخالص على الرجال دون النساء — فهذه أشياء محرمة بأعيانها فلا تباح الا لضرورة تقدر بقدرها. وحرم مما يلابسها الاكل والشرب في أواني الذهب والفضة. وهذا وماقبله ثابت في الاحاديث الصحيحة، والظاهر أن النبي (ص) عده من السرف الذي يدخل في عموم النهي عن الاسراف في الثلاثة، ونهى أيضا عن لباس الشهرة وعن تشبه المسلمين بغيرهم . واعتبر علماء الشرع عرف الناس فيما يجب من نفقة الاقارب التي تختلف باختلاف الضيق والسعة ، أخذا من قوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) الآية — فيجب على الزوج الغنيّ لزوجته الغنية مالا يجب على الفقير من غذاء ولباس . ولكن درجات الغنى والفقر متفاوتة لا يمكن ضبطها وتحديدها ، والمعتبر في كل طبقة من الناس عرف المعتدلين منهم الذي يدخل في طاقتهم — ومن تجاوز طاقته مباراة لمن هم في الثروة مثله من المسرفين أو لمن هم اغنى منه واقدر كان مسرفا، وكم خربت هذه المباراة والمنافسة من بيوت كانت عامرة، ولاسيما اذا اتبعت فيها أهواء النساء في التنافس في الحلي والحلل، والمهور وتجهيز العرائس، واحتفالات الاعراس والمآتم، وما يتبعها من الولائم والوضائم[1] وإن من النساء من ترى من العار أن تلبس الغلالة أو الحلة في زيارتها لامثالها مرتين بل لا بد لكل زيارة من حلة جديدة. وهذا سرف كبير، وضرره على الامة أكبر من ضرره على الافراد، ولاسيما في مثل هذه البلاد، التي تأتي بكل أنواع الزينة من البلاد الاجنبية ، فتذهب ثروتها الى من يستعين بها على استذلالهم والتعدي على استقلالهم .

ولا يعارض هذا ما ورد من الآثار وسيرة الخلفاء الراشدين وغيرهم من السلف في التقشف فان هذا الهدي القرآني هو أصل الشرع وكل ما خالفه فله سبب يعرفه الواقف على جملة سيرتهم وما كانوا عليه من الفقر والضيق في أول الاسلام ، وما خافوا على الامة من الفساد بالترف والسرف عند خروجها من ذلك الضيق الى تلك السعة التي لاحد لها بالاستيلاء على ملك كسرى وقيصر

على أن الميل الى التقشف والتقتير والغلوّ في ذلك تدينا معهود من طباع البشر كضده ، والاعتدال والقصد هو الذي خاطب به الشرع الناس كلهم ، وهو يختلف باختلاف اليسر والعسر والزمان والمكان . وما ورد من حديث

(١) الوليمة طعام العرس والوضيمة طعام المآتم

من حبها ، وفي عقولهم من الاستعداد للابداع فيها، ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، وأكثر للمنعم شكرا ، وأوسعهم بسننه وآياته علما ، والطيبات من الرزق هي المستلذات من الاطعمة والاشربة ، واشتراط كونها حلالا يؤخذ هنا من النهي عن الاسراف فيها ، وصرح به في آيات أخرى كما تقدم في سورتي البقرة (٢ : ١٦٧) والمائدة (٥ : ٩٠ و ٩١)

خلق الله تعالى البشر مستعدين لاظهار آياته وسننه في جميع ما خلقه لهم في هذا العالم الذي يعيشون فيه. ذلك بأنه أودع في غرائزهم ميلا الى العلم والبحث واكتشاف المجهولات ، والاطلاع على الخفيات ، لا حد له يقف عنده ، وحبا للشهوات الحسية والعقلية ، والزينة الصورية والمعنوية ، لا حد له أيضا ، فاندفعوا بهذه الغرائز التي لم تخلق لغيرهم ممن يشاركهم في حياتهم الجسدية كانواع الحيوان، ولا في حياتهم الروحية من الملائكة والجان ، فلم يدعوا شيئا عرفوه بحواسهم الا وعنوا بالبحث فيه، ولا شيئا عرفوه بعقولهم الا وبحثوا عنه ، ولم يكن بحثهم من طريق واحد ولا لغرض واحد ، بل من طرق كثيرة لاغراض شتى، لم تنته ولن تنتهي في هذه الحياة المقضي عليها بالنهاية ، وإنما هم مخلوقون لحياة لا نهاية لها ولا حد، كما تدل عليه غرائزهم واستعدادهم الذي ليس له حد

ولقد كانت غريزة حب الزينة وغريزة حب الطيبات من الرزق سببا لتوسع البشر في اعمال الفلاحة والزراعة، وما يرقيها من فنون الصناعة وسائر وسائل العمران واظهار عجائب علم الله وحكمته وقدرته في العالم ، ورحمته واحسانه بالخلق، ولو وقف الانسان عند حد ما تنبت له الارض من الغذاء لحفظ حياة أفراده الشخصية وبقاء حياته النوعية كسائر أنواع الحيوان، لما وجد شيء من هذه العلوم والفنون والاعمال وهل كان ما ذكر في بيان خلقه الاول من أكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عنها الا بدافع غريزة اكتشاف المجهول، والحرص على الوصول الى الممنوع؟ وهل كان ما ذكر من حرمانهما من الراحة بنعيم الجنة التي يعيشان فيها رغدا بغير عمل، الا لبيان سنة الله في جعل هذا النوع عالما صناعيا تدفعه الحاجة الى العمل ، ويدفعه العمل الى العلم، ويدعه حب الراحة الى التعب ، ويثمر له التعب الراحة ؟

وقد عرف من اختبار قبائل هذا النوع وشعوبه في حالي بداوته وحضارته أنه يتعب ويبذل في سبيل الزينة ، فوق ما يتعب ويبذل في سبيل ضروريات

الفردية والنوعية . وأما المترفون من الناس فانهم يسرفون في كل ذلك فيأكلون قبل تحقق الجوع ويشربون على غير ظمأ ، ويتجاوزون قدر الحاجة في الاكل والشرب كما يتجاوزونه في غيرهما ، ويستعينون على ذلك بالتوابل والمحرضات للشهوة ، فيصابون من جراء ذلك بتمدد المعدة ، وسوء الهضم وفساد الامعاء من التخمة ، وكثرة الفضلات في الجسم ، التي تحدث تصلب الشرايين المعجل بالهرم ، وغير ذلك من الامراض . كما هو شأنهم فى شهوة داعية النسل التي بينا ضرر الانهماك والاسراف فيها قريبا فى الكلام على مسألة ستر السوأتين حتى فيما بين الزوجين وفى مواضع أخرى . لاجل هذا قيد الامر في الاكل والشرب من الطيبات بالنهي عن الاسراف كما قيده في زينة اللباس

هذا وإن الاقتصاد في المعيشة قد وضعت له قواعد وأصول، فرعت منها مسائل وفروع، فيحسن الاستنارة بها و بعلم تدبير المنزل على اجتناب ما حظره الشرع من الاسراف والتبذير، والبخل والتقتير ، واتباع ماحث عليه ورغب فيه من القصد والاعتدال في النفقات والصدقات ، وقد ذكرنا بعض الآيات والاحاديث في ذلك في تفسير قوله تعالى أول سورة النساء (٤ : ٤ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)(١)

﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ ﴾

حرمت العرب في جاهليتها زينة اللباس في الطواف تعبدا وقربة ، وحرم بعضهم أكل بعض الطيبات من الادهان وغيرها في حال الاحرام بالحج كذلك وحرموا من الحرث والانعام ، ما بينه تعالى في سورة الانعام . وحرم غيرهم من الوثنيين وأهل الكتاب كثيرا من الطيبات والزينة كذلك ، فجاء دين الفطرة الجامع بين مصالح البشر في معاشهم ومعادهم ، المطهر لارواحهم وأجسادهم — ينكر هذا التحكم والظلم للنفس، فالاستفهام في قوله تعالى (قل من حرم) الخ إنكاري يدل على أنه من وساوس الشياطين ، لا مما أوحاه تعالى الى من سبق من المرسلين ،أي لم يحرمه احد منهم،ولم يجعل سبحانه حق التبليغ عنه لغيرهم. واضافة الزينة الى الله تعالى يؤذن باستحسانها والمنة بها ، وإخراجها للناس عبارة عن خلق موادها وتعليمهم طرائق صنعها ، بما أودع من فطرهم

(١) راجع ص ٣٨١ ج ٤ تفسير

بالاصالة والاستحقاق في الحياة الدنيا ، ولكن يشاركهم غيرهم فيها بالتبع لهم ، وان لم يستحقها مثلهم ، وهي خالصة لهم يوم القيامة — أو حال كونها خالصة لهم يوم القيامة ، (فقد قرأ نافع « خالصة » بالرفع على أنها خبر — والباقون بالنصب على الحالية)وقيل: ان المعنى هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة من المنغصات ولكنها تكون لهم يوم القيامة خالصة منها. وهذا المعنى صحيح في نفسه، ولكن المتبادر هو الاول، كما تدل عليه الآيات الناطقة بأن دين الله الحق يورث أهله سعادة الدنيا والآخرة جميعا كقوله تعالى (فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا) وقد بينا هذا المعنى مراراً

وبيان هذا أن المؤمنين انما كانوا أحق من الكافرين بهذه النعم لانهم أجدر بما تتوقف عليه في ترقيها من العلوم والفنون والصناعات التي أرشدهم اليها الدين بما حثهم عليه من معرفة سنن الله تعالى في خلقه،وما أودعه في هذه المخلوقات من الحكم والمنافع والآيات البينات الدالة على قدرته وعلمه وحكمته فيما أحكم من صنعها ، وعلى رحمته وجوده واحسانه الى عباده بتسخيرها لهم، ولانهم أحق بشكره عليها بلسانهم وجوارحهم وقلوبهم . فالمؤمن يزداد علما وإيمانا بربه والهه كلما اكتشف شيئا من سننه وآياته في نفسه أوفي غيرها من الموجودات، ويزداد شكرا له كلما زادت نعمه عليه بالعلم وثمرات العلم فيها، ولذلك ذكرنا جل ثناؤه في أول هذا السياق بمنته علينا بتمكيننا في الارض وما جعل لنا فيها من المعايش وبما يجب من شكره عليها ، وقد بينا أن من أصول الشكر قبول النعمة واستعمالها فيما وهبها المنعم لاجله وهو شكر الجوارح، ولا يكمل شكر الاعتقاد بانها من فضله وشكر اللسان بالثناء عليه الا بشكر الاعضاء العملي وهو الاستعمال . وفي حديث أبي هريرة عند أحمد والترمذي والنسائي والحاكم « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »وهو حديث صحيح . والذي يظهر لنا من جعل التنظير فيه بين الطاعم الشاكر والصائم الصابر دون الجائع الصابر أن الجوع أمر سلبي ولكن الصيام عمل نفسي يشترط فيه النية فهو طاعة كالاكل بالنية مع الشكر

المعيشة ، وكثيراً ما يفضلها عليها عند التعارض، فالمرء قد يضيق على نفسه في طعامه وشرابه ليوفر لنفسه ثمنا لثوب فاخر يتزين به في الاعياد والمجامع ، وماذا تقول في المرأة وهي أشد حبا للزينة من الرجل ، وقد تؤثرها على جميع اللذات الاخرى؟ وان توسع الاغنياء في أنواع الزينة التي ينفسون بها على الفقراء هو الذي وسع الطرق لاستفادة هؤلاء من فضل أموال أولئك ، فان الغواصين الذين يستخرجون اللؤلؤ من أعماق البحار، وعمال الصياغة والحياكة والتطريز والبناء والنقش والتصوير وسائر الزينات، كلهم أو جلهم من الفقراء الذين يتزين الاغنياء بما يعملون لهم وهم منه محرومون ، ولكنهم لا يصلون الى مالا بد لهم منه من معيشة وزينة تليق بهم الا بسبب تنافس الاغنياء فيه

فحب الزينة أعظم أسباب العمران ، واظهار استعداد الانسان، لمعرفة سنن الله وآياته في الاكوان ، فهي غير مذمومة في نفسها ، وانما يذم الاسراف فيها ، والغفلة عن شكر المنعم بها ؛ ومن الاسراف فيها جعلها شاغلة عن عبادة الله تعالى وعن سائر معالي الامور والكمالات الانسانية ، من علمية أو عملية أو اجتماعية، دنيوية كانت أو أخروية، ومنه اضاعة الوقت الطويل في التطرز والتطرس والتورن كما يفعل النساء وبعض الشبان. وكذلك الطيبات من الرزق. وهذه الامور المذمومة ليست لوازم للزينة والطيبات تحصل بحصولها ، وتزول بزوالها ، وليس الحرمان من الزينة والطيبات علة سببية ولا غائية. للقيام بمعالي الامور الدينية والدنيوية، ولا لشكر الله تعالى والرضا منه ، ولا هو أعون على ذلك . وانما الابتلاء والاختبار يقع بكل من حصولها والحرمان منهما ، وإن المالك لهما أقدر على طاعة الله وشكره وتزكية نفسه ونفع غيره من الفاقد لهما ، فلا وجه اذاً لتحريم الدين لهما ، ولا لجعله إياهما عائقين عن الكمال بحيث يعبد الله تعالى ويتقرب اليه بتركهما ، كما جرى عليه وثنيو البراهمة وغيرهم، وسرت عدواه التقليدية الى اهل الكتاب غلوا في الدين ، وسرت عدوى هؤلاء وأولئك الى كثير من المسلمين، فصاروا يبثون في الامة أن أصل الدين وروحه وسره في تعذيب النفس وحرمانها من الطيبات والزينة . وقد كذب الله الجميع بقوله عز وجل

﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ أي قل أيها الرسول لامتك: هي — أي الزينة والطيبات من الرزق — ثابتة للذين آمنوا

رسول الله (ص) أحسن ما يكون من الحلل . وأخرج ابن مردويه عنه قال : وجهني علي بن أبي طالب الى ابن الكوّاء واصحابه وعليّ قميص رقيق وحلة ، فقالوا لي انت ابن عباس وتلبس مثل هذه الثياب ؟ قلت اول ما اخاصمكم به قال الله (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده — و: خذوا زينتكم عند كل مسجد) وكان رسول الله (ص) يلبس في العيدين بردي حبره .

وحكى الغزالي في كتاب العلم من الاحياء ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن أنس رضي الله عنهما — بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الاولين والآخرين ; من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني انك تلبس الدقاق، وتأكل الرقاق [1] ، وتجلس على الوطيء، وتجعل على بابك حاجبا . وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت اليك المطي وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك . فاتق الله تعالى يامالك . وعليك بالتواضع، كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام

فكتب اليه مالك — بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس الى يحيى بن يزيد . سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والادب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فأما ماذكرت لي اني آكل الرقاق، وألبس الدقاق، واحتجب وأجلس على الوطيء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) واني لاعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام اهـ

اذا صحت هذه الحكاية فمراد الامام مالك أن ترك مجموع ذلك خير لمن صار يقتدى به مثله ، اوقاله تواضعا، ولذلك لم يتركه ، ولم يكن النوفلي من طبقة مالك في علم ولا عمل ، بل ضعفه الامام أحمد وغيره في الحديث ، وقد كان قشف بعض السلف عن قلة ، وتقشف بعضهم لاجل القدوة ، وإنما الزهد في

(١) الدقاق الثياب الدقيقة النسج وهي ضد الغلاظ ويجوز أن يكون الرقاق بكسر الراء وقوله وتأكل الرقاق هو بضم الراء الخبز المنبسط المرقق يتخذ من لب الحنطة وكان أجود الخبز

والاكل والشرب من الطيبات بدون اسرافهما قوام الحياة والصحة التي يتوقف عليها القيام بجميع الاعمال الدينية والدنيوية، من عقلية وبدنية ، ولهما التأثير العظيم في جودة النسل الذي تكثر به الامة ، والاطباء يحظرون الزواج على كثير من المرضى ويعدون زواجهم خطرا على صحتهم ، وجناية على نسلهم وعلى أمتهم ، بما يكون سببا لسوء حال نسلها ، والمؤمن الكامل الذي من شأنه أن لا يعمل عملا الا بنية صالحة يقصد بحسن تغذية بدنه بالطيبات كل ما يعقله من فوائدها ، ويتجنب ما نهى الله عنه من الاسراف فيها ومن أكل الحرام ؛ فيكون عابداً لله تعالى في ذلك كله فتكثر حسناته فيه ، فلا غرو اذا جعل في أكله كالصائم فيما يناله من الثواب ، ولما قال النبي (ص) لاصحابه « وفي بُضع احدكم صدقة » اي في الملامسة الزوجية اجر وثواب كثواب الصدقة — قالوا يارسول الله: أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر؟ قال «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر» — رواه مسلم من حديث أبي ذر — والكافر ليس كذلك فانه لا يكون له همّ في الغالب الا التمتع بالشهوة . غير متحر للحلال ولا لحسن النية ، ولذلك ورد في حديث الصحيحين «المؤمن يأكل في معًى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء»

واللباس الجيد النظيف له فوائد في حفظ الصحة معروفة ، وله تأثير في حفظ كرامة المتجمل به في أنفس الناس ، فان القلوب من وراء الاعين ، وفيه اظهار لنعمة الله به وبالسعة في الرزق ، الذي له شأن في القلوب غير شأن التجمل في نفسه ، والمؤمن يثاب بنيته على كل ماهو محمود من هذه الامور وبالشكر عليها . روى أبوداود عن أبي الاحوص عن أبيه قال : أتيت رسول الله (ص) في ثوب دون . فقال « ألك مال ؟ قال نعم . قال — من أي المال ؟ قال قد آتاني الله من الابل والغنم والخيل والرقيق — قال « فاذا آتاك الله فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » وأخرج الترمذي وحسنه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله (ص) « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال . لما خرجت الحرورية أتيت عليا فقال : ائت هؤلاء القوم . فلبست أحسن ما يكون من حلل اليمن ، فأتيتهم ، فقالوا مرحبا بك يا ابن عباس ما هذه الحلة ؟ قلت ما تعيبون عليّ ؟ لقد رأيت على

باختيارهم الى ما فيه نجاحهم في الحال ، وفلاحهم في المآل ، أو الى سعادة الدارين . ولقد كان من العجب أن يغفل الكثيرون عن سبب هذه الحضارة أو يجهلوا أنه القرآن، حتى كان الجهل لسببها ، سببا لاضاعته و إضاعتها، وأمسى المسلمون من أجهل الشعوب وأفقرهم وأضعفهم، وأقلهم خدمة لدينهم — فغاية دينهم أن تكون لهم زينة الدنيا وطيباتها، وسيادتها وملكها ، وأن يكونوا فيها شاكرين لله عليها، قائمين بما يرضيه من الحق والعدل، والخير والبر، وكل ما تقتضيه خلافته في الارض، وبذلك يكونون أهلا لسعادة الدنيا والآخرة. والدنيا مزرعة الآخرة كما قال أحد حكماء دينهم، ثم انتهى هذا الجهل بالكثيرين من أهل هذا العصر منهم ومن غيرهم ان صاروا يظنون أن دين الاسلام هو سبب ضعف المسلمين وجهلهم وذهاب ملكهم ؟ وقد بينا من قبل بطلان هذا الجهل الذي قلب الحقيقة قلبا . وحجتنا كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وتاريخ هذه الامة. ولكن القارئين قليلون، والذين يفهمون منهم اقل ، والذين يعتبرون بما يفهمون اندر . ولله الامر من قبل ومن بعد ؟

فتاوى المنار

﴿ حكم استعمال الاسبرتو — الكحول ﴾

أفتى بعض فقهاء الهند بتحريم استعمال الكحول في الاصباغ والادهان والعطور ولا سيما تزيين المساجد بالاصباغ التي يدخل فيها وعللوا ذلك بكونه خمرا نجسة. وقد أرسل الينا بعض فضلاء المسلمين هنالك نص الفتوى في ذلك وسألونا هل هي صواب أو خطأ وان نبين ذلك بما عندنا من الدلائل في أقرب وقت لان الناس مضطربون فيه . وقد اكتفينا بتلخيص سؤالهم . ونذكر بعده ما أرسل من ترجمة الفتوى بالعربية على ضعفها وغلطها ونقفي عليها بالجواب ، ومن الله تعالى نستمد الصواب . ونسأله ان يؤتينا الحكمة وفصل الخطاب

القلب ، لا ينافيه الاعتدال في الزينة والاكل والشرب ، ولا كثرة المال ، اذا اتفق في مصالح الامة وتربية العيال ، وقد جهل ذلك اكثر الصوفية وبينه أحد أركان التحقيق في العلم منهم كالسيد عبد القادر الجيلي ، فقد روي أن بعض مريديه شكوا اليه اقبال الدنيا عليهم فقال : أخرجوها من قلوبكم الى أيديكم فانها لا تضركم

فقد علمنا من هذا كله أن الزينة والطيبات من الرزق هي حق المؤمنين في الدنيا وانها لهم بالذات والاستحقاق — وهو مبني على أنه يجب أن يكونوا بمقتضى الايمان والاسلام أعلم من الكافرين بالعلوم والفنون والصناعات الموصلة اليها ، وأن يكونوا من الشاكرين عليها ذلك الشكر الذي يحفظها لهم ويكون سببا للمزيد فيها ، بحسب وعد الله تعالى وسننه في خلقه . ومنه تفهم حكمة تذييل الآية بقوله تعالى ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ وقد سبق مثل هذا التعبير ، والمعنى ان هذا التفصيل لحكم الزينة والطيبات الذي ضل فيه أفراد وأمم كثيرة من البشر افراطا وتفريطا لا يعقله الا القوم الذين يعلمون سنن الاجتماع وطبائع البشر ومصالحهم وطرق الحضارة الشريفة فيهم ، وقد فصله تعالى بهذه الآيات الموافق هديها لفطرة الله التي فطر الناس عليها ، على لسان نبيه الامي الذي لم يكن يعرف شيئا من تاريخ البشر في بداوتهم وحضارتهم فراطهم وتفريطهم فيهما ، قبل أن أنزل الله تعالى عليه كتابه الحكيم تبيانا لكل شيء يحتاجون اليه في سعادتهم ، فكان هذا التفصيل من الآيات العلمية على نبوته (ص) لانه خلاصة علوم كثيرة فاصلة بين النافع والضار ، ما كان لمثله ان يعلمها بذكائه ، وانما هي وحي الله ، وقد قصر المفسرون في بيان هذه الحقائق ، على أن بعض المحققين قد ذكروا ما يؤيد ماقلناه وان لم يحتج الى تأييدهم لوضوحه في نفسه ، فقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن المسلمين أعلم من جميع الكافرين بكل العلوم البشرية وأن أهل السنة منهم أعلم من المبتدعة في ذلك

نعم هكذا كان فلولا القرآن لما خرجت العرب من ظلمات جاهليتها وبداوتها ووثنيتها الى ذلك النور الذي صلحت به وأصلحت أمما كثيرة بالدين والعلوم والفنون والآداب بما أحيت من علوم الاوائل وفنونها وأصلحت من فاسدها فصدق عليهم تعريف الدين المشهور بأنه وضع الهي سائق لذوي العقول السليمة

(س) — ان الاسبيرتو ضروري لهذه الالوان والادهان

(ج) — لاهو ضروري للالوان والادهان ولا هي ضرورية المساجد . ودعوى عموم البلوى فيه ضلال ومكابرة وجدال من كل معاند

(س) — اذاً تسحقر مساجدنا في مقابلة معابد الكفار

(ج) — ان العزة الحقيقية أن نكون مؤمنين صادقين ، ونصلي الخمس مجتمعين خاشعين ، لا في زخرفة المساجد وتشييدها للمباهاة بمقابلة معابد الاديان، بل كرهها النبي صلى الله عليه وسلم في الاحاديث المروية عنه فاعلم

(س) — لابد من تحرير هذه الاسئلة والاجوبة ليستهدى بها المؤمنون ، وليبلغها الغائبين الحاضرون

(ج) — يا أسفا على جهلنا وضلالنا هـذا حتى انا احتجنا الى بيان حرمة الخمر ونجاستها، وتحرير أدلتها .وهي بنصوص الكتاب والسنة ، واجماع الامة، رجس من عمل الشيطان ، مشهور متواتر من عهد الصحابة عليهم الرضوان ، فاذا يكون الحال ، على هذا المنوال ، من عدم التمييز بين الحرام والحلال، وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فوالله ماندري كم من اخواننا الجاهلين وقعوا في مهاوي الضلال والسعير، من ارتكاب المعاصي والبدع وأنواع الفواحش والمنكرات ، فواويلاه ثم واويلاه ، ولا حول ولا قوة الا بالله

هذا — وهذه خلاصة النصوص من الكتاب والسنة الصريحة ، وأقوال علماء المذاهب الاربعة الصحيحة ، فتمسكوا بها وتذكروا ، وبلغوها واشكروا ، وليعلم ان تعلم الحلال والحرام ، وسائر فرائض الاسلام ، والاذعان بها ، والتسليم لها ، فرض على المكلفين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (أي عن الشرك والبدعة والكفر والمعصية) من خصائص المؤمنين ، ولهذا أرسل الله تعالى رسوله الاعظم، سيدنا محمدا الاكرم- صلى الله عليه وسلم - بالكتاب والحكمة فبلغ الرسالة، وأدى الامانة، ونصح للامة، وكشف الغمة، وجلا الظلمة، وجاهد في الله، وعبده حتى أتاه اليقين، وقد أمر الامة بحفظ تلك الامانة (أي الكتاب والسنة) وأدائها الى من

﴿ نص الفتوى الهندية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله سبحانه وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعـد . فهذه صورة ما أجبنا به عن الاسئلة الواردة علينا في أمر المسجد والشراب — بتوفيقه تعالي وهو يهدي للحق والصواب

(سؤال) — هل يجوز استعمال الاسبريت (الاسبيرتو يعني روح الخمر) على أبواب المسجد والحيطان، مخلوطا ببعض الالوان والادهان؟

(الجواب) - لايجوز أبدا لان الخمر حرام ونجاسة مغلظة وملعون(؟) في الشريعة الاسلامية

(س) — بعض الناس يقول انه كما يجوز استعمال الخمر في معالجـة المرضى يجوز في هذا أيضا ؟

(ج) — لايجوز أبداً لانه حرام ونجس الا اذا بلغ المريض حد اليأس ولم يوجد له دواء غير الخمر ورأى طبيب حاذق مسلم انها تنفعه فحينئـذ يسوغ بعض العلماء استعماله بقدر الضرورة فان سلم فشتان بين المريض المعذور، والمسجد المعمور

(س) — هل الخمر نجس وحرام استعمالها بعـد خلطها مع بعض الاشياء وذهاب رائحتها أيضا ؟

(ج) — نعم ولو خلطت ببعض العطريات فانها نجس وحرام

(س) — يظنون ان الاسبيرتو ليس بخمر

(ج) — هذا ظن فاسد منهم والحق انه خمر حاد مسكر جدا على التحقيق وانه أخبث من البول . وأما تبديل اسمها وتغيير رائحتها وتقليل جرمها فلا يجدي نفعا وقد ورد في الخبر، عن النبي الصادق الابر، ذم مستحلي الخمر بتبديل اسمها

(س) — ماذا عليهم اذا استعملوا الاسبيرتو على جدران المسجد وأخشابه دون موضع الصلاة

(ج) — لايجوز لهم هذا حتى على خارج جدار المسجد حتى تقذره بظاهر أيضا لان الشريعة الغراء أكدت في تطهير المساجد وتعظيمها تأكيداً بليغا

(تحقيق القول) قال الدكتور الحكيم غلام جيلاني شمس الاطباء في كتابه المعتبر المشهور المسمى بمخزن الحكمة (وقد وثقه وصدقه جمهور الدكاترة والاطباء المشاهير في الهند): الخمر باعتبار استخراجها على ثلاثة أنواع أولها (بير) وركنه الاكبر الشعير وغيره . والثاني (واين) وركنه الاعلى العنب وغيره . والثالث (سبريت) أي اسبيرتو . وهو يتخذ من الشرابين المذكورين بعمل التصعيد والتقطير وهو اكثر حدة وقوة لزيادة (الكحل) وهو الجزء المسكر فيه أهمن صحيفة ١٤٦

وقال : مقدر الكحل — وهو الجزء الفعال في الخمور بالنسبة المئوية هكذا : ٢ — ٤ في المائة في البيرا و ١١ في المائة في الشمبانية و ٢٣ في المائة في بوت و ٥٣ في المائة في البراندي و ٥٤ في المائة في الوسكي والروم و ٨٦ في المائة في السبيرتو اه — من صحيفة ١٤٩ — وذلك في الطبعة الثانية من الكتاب المذكور . فالذين يقولون : إن الاسبرتو ليس بخمر مشروبة بل دواء أكال أو سم قتال — ضالون مضلون لانه معلوم أن الاسبرتو يخالط لاكثار الاسكار ببعض الخمور الخفيفة أو الاشربة العادية ويجعل في كثير من الادوية الاوروباوية فتصير به الادوية رجسا من عمل الشيطان نعم شربه صرفا يضر بالانسان لحدته وشدة اسكاره ولو فرضنا أنه لا يشرب أو انه دواء أكال فهو ما لم تتغير حقيقته بصيرورته خلا رجس على كل حال

الجواب صحيح أبو عتيق محمد شفيق — المدعو بشفيق الرحمن

كتبه أحقر العباد محمد عبد المنعم بأعكظه

خطيب مسجد الجامع ببمبيء

لقد أجاد من أفاد خادم العلماء محمد عبد الغفور المدرس الاول

في المدرسة الهاشمية ببمبيء

بسم الله الرحمن الرحيم ـ حمداً لمن وفق أولي الدراية ، للحكم والعمل بمقتضى الرواية ، وصلاة وسلاما يتوجان بتاج القبول ، على سيدنا محمد الحبيب المقبول ، (وبعد) فقد سخر الله برحمته حضرة النبيل الشيخ شفيق الرحمن ، عامله الله معاملة

يستحقها الى يوم الدين . وليعلم أن انكار فرض من فرائض الاسلام ، أو حكم ضروري من الاحكام ، كفر وعدوان ، وأن الاصرار على خلافها معصية كبيرة مستلزمة للكفر واللعنة والخسران

أما الآيات — (١) (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي) الآية (٢) (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية — (٣) (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)

وأما الاحاديث (١) «أمر ببناء المساجد وأن تنظف وتطيب» رواه الترمذي وأبو داود (٢) « من أكل هذه الشجرة المنتنة فلا يقربنَّ مسجدنا » رواه الشيخان (٣) «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وصا عها وبائعها وشاربها» الحديث رواه أبو داود (٤) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر يجعل في الدواء فقال « إنها داء ليست بدواء » (٥) « إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » رواه أبو داود والترمذي (٦) « لا تداووا بالمحرم » رواه أبو داود

(فائدة) اذا تحقق أنه صلى الله عليه وسلم منعنا عن التداوي بالمحرم وأخبر أن الله لم يجعل شفاءنا فيه وأن الخمر داء ليست بدواء ، وهو ما ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحي يوحى . وقال تعالى فيه (ص) (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهل يجوز لمسلم بعد ذلك أن يعتقد شفاء في الخمر وهو من المؤمنين ؟ لا والله لا يجوز له ذلك ، كيف وفيه تكذيب للنبي الصادق الامين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الى يوم الدين

وأما الفقه (فقد) أجمعت الائمة والامة على أن الخمر نجاسة مغلظة وحرام قطعي قليلها وكثيرها ، ولا يجوز استعمالها والانتفاع بها كيف ما كان ، وهذا هو المذهب المفتي به للعلماء الحنفية عليهم الرحمة والرضوان وفي هذا القدر كفاية ، والله يعصمنا من الغباوة والغواية ، وله الحمد في البداية والنهاية

في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٠ (حرره عبده المذنب أبو عتيق محمد شفيق نزيل بمبي غفرله)

من اطلع على هذه الادلة العمل بمقتضاها وفقني الله واياكم لما فيه صلاح في الاولى والاخرى

البائس

الجواب صحيح والله الموفق

سليمان عبد العزيز ميرداد

أحقر العباد محمد فضل كريم الدهلوي الخطيب

الخطيب الامام بمسجد المنارة في بمبىء

الامام في مسجد رنكاري محله

بمبىء

الجواب صحيح

محمد شرف الدين

مهتمم اليتيم خانة الاسلامية بمبىء

(مدير دار الايتام الاسلامية)

الجواب صحيح

عبد السميع

مدرس اليتيم خانة الاسلامية بمبىء

جواب المنار

الحمد لملهم الصواب. قد جاء في محكم القرآن أن الخمر رجس من عمل الشيطان، من شأنها أن توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة، فلا نزاع في هذا ولا في كونها محرمة في كتاب الله وسنة رسوله تحريماباتا لاهوادة فيه، وقد بينا من مضار الخمر ومفاسدها في تفسير الآيات الواردة فيها ما لا يوجد أقله في تفسير آخر ولا في كتاب فقهي، ولا خلاف في وجوب صيانة المساجد عن النجاسات والاقذار أيضا

وأما مسألة كون السبيرتو أو الكحول خمرا وكون كل ما وجد أو دخل فيه أحدهما نجسا نجاسة حسية يجب تطهير ما يصيبه منها وان كان عطرا — فهي مسألة اجتهادية ليس فيها نص قطعي ولا راجح في الكتاب ولا السنة ولاهي من المسائل الاجماعية كما ادعى أخونا الفاضل مولوي محمد شفيق ومن أجاز فتواه من علماء الهند الكرام كما يعلم مما نبينه في المسائل الآتية، وان سبق بيانه في المنار من قبل

ذوي الاحسان ، لتحقيق حقيقة (الاسبرتو) لما سأله بعض الاخوان ، عن استعمال ذلك في الحيطان ، وتعين أنه روح الخمر بعد الاطلاع على كتاب مخزن الحكمة المترجم من الانكليزي الى (الاوردو) لاحد الدكاتر المسلمين المحققين ، وحيث إن الفتوى على قول الامام محمد رحمه الله تعالى في النجاسة وحرمة التناول واتفاق الائمة الثلاثة لزم تجنبه و بعده ولا سيما من المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فجزاه الله عن مناضلته عن الدين ، ورزقنا والمسلمين حسن اليقين ، ولقد أصاب فيما أجاب والعهدة على المترجم وبالله التوفيق حرره

الفقير أحمد يوسف الفارسي المدني

خطيب مسجد اسماعيل حبيب

ما كتب المجيب في الجواب فهو الحق وعين الصواب

الراقم قاضي غلام أحمد تلياني

المدرس الاول في المدرسة المحمدية بمبيء

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، قد تأملت في هذه الفتوى ، فوجدتها محكمة المباني ، متقنة المعاني ، قضاياها موافقة لما عليه المعول ، من نصوص القرآن والحديث التي عليها العمل ، كيف لا ومحررهذا الشيخ الفاضل المولوي شفيق الرحمن ، سلمه الله المنان ، فوالله دعوت لمحررها بحسن المثوبة ودوام التوفيق ، وما أجاب هذا الفاضل بتعيين المصيراليه ، وغيره لا يعول عليه ، والله أعلم

أبو السعود محمد سعد الله المكي الخطيب

والامام في مسجد زكريا بمبيء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجيب الدعوات ، والصلاة والسلام على سيد السادات ، وعلى آله الغر المحجلين ، وصحبه والتابعين ، و بعد فيقول العبد البائس : اني اطلعت على هذه الفتوى (وفي الاصل هذا السؤال) فوجدتها مشحونة بالادلة الواضحة ، والنقول المعتمدة في الدين ، وضوحا لا غبار عليه ، فيجب والحالة هذه على كل

﴿ الثالثة ﴾ نطقت الآيات الصريحة، والاحاديث الصحيحة الفصيحة بأن هذا الدين يسر لا حرج فيه كقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله في أجمع آيات الطهارة بعد الامر بالوضوء والغسل والتيمم (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) الآية وقوله (ولو شاء الله لاعنتكم) أي ولكنه لم يشأ اعناتنا وهو إيقاعنا فيما فيه مشقة، والاحاديث في هذا المعنى معروفة في الصحاح والسنن ولاجله سميت هذه الملة بالحنيفية السمحة

﴿ الرابعة ﴾ من الامور المعلومة من شؤون البشر بالضرورة أن بعض الناس يتحمل من التكاليف بسهولة ما لا يتحمله غيره الا بمشقة ، وأن منهم الميال بطبعه الى الغلو في الدين أو التزام العزائم ومنهم المعتدل المتوسط ومنهم من يثقل عليه أن يزيد على فعل الواجب وترك الحرام . ومنهم من يقصر في هذا أيضا . قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم من مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) ولاجل هذه الحقيقة الثابتة في سنن الفطرة كان من حكمة الدين أن يوجد في الكتاب والسنة ما دلالته صريحة قطعية، أو راجحة جلية كالذي أجمع عليه أو عمل به جمهور السلف. وما دلالته خفية ليأخذ أهل العزائم من الصديقين المقربين - وهم السابقون في الآية - بما لا يمكن أخذ الابرار به وهم المقتصدون فيها — فضلا عن الظالمي أنفسهم . والتحريم العام الذي يخاطب به جميع أفراد الامة هو ما كان قطعي الدلالة أي لا مجال فيه للتأويل والاجتهاد ، والاجتهادي يعمل فيه كل أحد بما أداه اليه اجتهاده . ولا تحمل الامة كلها على ظن مجتهد . وقد قال الفقهاء: ان أول ما يجب على امام المسلمين الاعظم وخليفة رسولهم (ص) « حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الامة » [1] ولولا هذا لابطل كل خليفة اجتهاد غيره في العلم واجبر الامة على اتباعه او اتباع مذهب امامه...

ومن الشواهد أو الدلائل المتعلقة بموضوع بحثنا في ذلك أن آية سورة البقرة في الخمر تدل على تحريمها دلالة راجحة ولكنها غير قطعية لانه قال فيها وفي الميسر

(١) الاحكام السلطانية للماوردي

وإننا قبل تحقيق الحق في هذا المقام نذكر أولئك العلماء الكرام الذين نخالفهم في اجتهادهم بمسائل كثيرا ما يغفل عنها العلماء عند الفتوى في مسائل الحلال والحرام التي يوجبون العمل بها على الامة الاسلامية

﴿ المسألة الاولى ﴾ ان التحريم الديني المحض كمسألتنا هو حق الرب تعالى وحده ولذلك عرفه علماء الاصول بأنه خطاب الله المقتضي للترك اقتضاء جازما ، فالقول بان كذا حرام بغير دليل صريح من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة يعدّ من القول على الله بغير علم ومن الافتراء عليه تعالى ، وشرعا لم يأذن به ، وذلك منتهى الخطر على الدين ، فيجب الاحتياط في ذلك لان فاعله يكون قد اتخذ نفسه شريكا لله تعالى كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)

ولسنا نريد بالتذكير بهذه المسألة القطعية تعريضا ما بأولئك المفتين فيما نرى أنهم أخطأوا فيه ، فان المجتهد المخطيء أجرا على اجتهاده وهو معذور في خطأه اذا بذل جهده في طلب الحق فيه باخلاص ، وآية ذلك رجوعه عما أخطأ فيه إذا ظهر له ذلك

﴿ الثانية ﴾ إن من يتبع رأي أحد من الناس في التحريم الديني وما في معناه من العبادات من غير أن تظهر له الحجة فيه عن الله تعالى ورسوله (ص) فقد اتخذه ربا وشريكا لله تعالى كما يعلم من الآية المذكورة في المسألة الاولى ومما ورد في الحديث المرفوع تفسيرا لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وذلك قوله (ص) لعدي بن حاتم «اما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه» رواه اكثر مخرجي التفسير المأثور والترمذي في جامعه وحسنه والبيهقي في سننه

وخرج بالتحريم الديني ما يحظره الامراء وقواد الجيوش على اتباعهم لمصلحة راجحة أو دفع مفسدة في أمور الدنيا او الحرب ، فلا يشترط في طاعتهم فيها أن تكون منصوصة في الكتاب والسنة ، بل يدخل هذا في عموم ما ورد من الامر بطاعتهم في المعروف ويكفي أن لا يكون معصية لله تعالى

وعلى لحم الخنزير بأي سبب اتفق أن تذهب حياته ـ وعلى الدم نفسه من الحيوان الذي ليس بمائي انفصل من الحي أو الميت اذا كان مسفوحا أعني كثيرا ، وعلى بول ابن آدم ورجيعه . وأكثرهم على نجاسة الخمر ، وفي ذلك خلاف عن بعض المحدثين اه وسنذكر في المقصد بعض من صرحوا بطهارتها

﴿ السابعة ﴾ اختلف العلماء في ازالة النجاسة هل هي فرض أو سنة؟ واختلفت مداركهم الاجتهادية في التطهير هل المراد به إزالة عين النجاسة وصفاتها من اللون والطعم والرائحة أم إضعافها وازالة صورتها المستقذرة ؟ بالغ بعض أهل المدرك الاول — ولاسيما الشافعية منهم — فكان من اجتهادهم ما لا يعقل له معنى وما فيه حرج شديد وعنت كان سببا لابتلاء الكثيرين بالوسواس ومنه ما يشبه تطهير الاطباء للاجسام والجروح والاشياء كاشتراطهم أن يكون الماء القليل (وهو مادون القلتين) وارداً على النجاسة لامورداً ... وهذا ما لا يتيسر الا للخواص الواجدين. وما ورد في السنة الصحيحة من الاستنجاء بالحجر، وصفة تطهير الثوب من دم الحيض والمني، وتطهير النعل بدلكها بالارض، وأشباه ذلك — يدل على أن الواجب هو الثاني والاول كمال فيه . واختلفوا أيضا في كون طهارة البدن والثوب والمكان شرطا لصحة الصلاة أم لا

﴿ الثامنة ﴾ للعلماء مذاهب في إزالة النجاسة وزوالها يؤخذ من مجموعها على اختلاف أصحابها ما قلنا في المسألة الخامسة : انه مدلول النصوص وهو أن الغرض الشرعي من الطهارة هو أن يكون المسلم نظيفا لاتنفر منه الطباع السليمة. ولا يشترط في ذلك أن لا يكون على بدنه ولا ثوبه ذرة من أعيان النجاسة يدركها الطرف المعتدل ، يعلم من أحاديث مسح النعل المتنجس بالارض وفرك المني وحته وإماطته بإذخرة وغير ذلك. ومن المطهرات الدباغ وتخلل الخمرة عند من يقولون بنجاستها وإزالة عين النجاسة عن المصقول وقالت الحنفية ان الارض اذا تنجست تطهر بالجفاف سواء كان بالشمس أو الهواء أو النار مع أن الجفاف لا يزيل من المادة النجسة الا ما يتبخر منها وقد تبقى رائحتها واستدلوا على ذلك بأن المسجد النبوي كانت الكلاب تدخله وتبول فيه وما كانوا

(واثمهما اكبر من نفعهما) أي ان مفسدتهما راجحة على منفعتهما، ودرء المفاسد مقدم عند الفقهاء على المصالح المساوية، فكيف اذا كانت المفسدة هي الراجحة، ومع هذا لم يعدها عمر رضي الله تعالى عنه البيان الشافي في الخمر وظل يدعو ان ينزل الله تعالى فيها «بيانا شافيا» ولكن بعض الصحابة تركوا شرب الخمر لهذه الآية عند نزولها ولم يتركها كلهم بل لم يأمرهم النبي (ص) بتركها وباهراق ما كان لديهم منها الا عند نزول آية المائدة التي صرح فيها بقوله تعالى (فاجتنبوه - الى قوله - فهل أنتم منتهون؟) فلما قرئ ذلك على عمر قال: انتهينا انتهينا

﴿الخامسة﴾ النجاسة في اللغة القذارة والخبث وهي حسية ومعنوية، فالحسية ماتعافه الطباع السليمة لنتنه كالبول والعذرة. والمعنوية مايعلم خبثه وقبحه بالشرع أو العقل قال تعالى (إنما المشركون نجس) والطهارة النظافة والتنزه عن الاقذار. والمطلوب منها في الشرع: ازالة النجس وما دونه كقلح الاسنان، والوضوء والغسل وبدلها وهو التيمم، وفي الوضوء والغسل والتيمم معنى التعبد ولذلك اشترط فيه اكثر أئمة الفقه النية ولم يشترطوه في الاول وان كان مطلوبا شرعا

ومجموع ما ورد في الكتاب والسنة في ازالة النجاسة يدل على أن مراد الشرع من المسلم أن يكون نظيفا بقدر الاستطاعة بدنا وثوبا ومسجدا وكل ذلك معقول المعنى ليس فيه شيء ظن بعض العلماء أنه للتعبد الا غسل الاناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات احداهن بالتراب للحديث الذي ورد فيه وفي رواية «وعفروه الثامنة بالتراب» والحنفية والعترة لا يأخذون بهذا الحديث. والشافعي وأحمد يقولان: إن سببه نجاسة الكلب أو لعابه، وجعله بعضهم للتعبد وزعم بعض الصوفية أن سببه كون سؤر الكلب يورث قساوة القلب، واكتشفت الاطباء مايصح أن يكون سببا له وهو كون لعابه سببا للاصابة بالدودة الوحيدة أوالدودة الشريطية. وقد تقدم تفصيل القول في ذلك في المنار من قبل وليس مقصودا هنا

﴿السادسة﴾ قال العلامة ابن رشد في بداية المجتهد: وأما أنواع النجاسات فان العلماء اتفقوا من أعيانها على أربعة: على ميتة الحيوان ذي الدم الذي ليس بمائي،

الموضوع

بعد هذا التمهيد نقول (أولا) ان الخمر ليست بنجسة نجاسة حسية (وثانيا) ان دعوى اثبات نجاستها بالكتاب والسنة والاجماع ممنوعة (وثالثا) ان الكحول (السبيرتو) ليس بخمر بل ولا ينحصر وجوده في الخمر بل يوجد في أنواع النبات وغيرها ويكثر في المختمرات من العجين وغيره وأكثر مايكون استحضاره من الخشب والقصب وهو أقوى طهورية من الماء (ورابعا) ان سلمنا أنه خمر وان الخمر نجسة فان ما يدخل فيه من الادهان وأنواع الطلاء والادوية والاعطار ينبغي أن يكون طاهرا كالخل والمري والخبز والصابون الذي يدخله الزيت النجس وأمثالها

الخمر طاهرة حساً وشرعاً

أما كون الخمر طاهرة غير نجسة نجاسة حسية ، فهو أمر حسيّ لا يمكن المراء فيه ، وأما كونها طاهرة شرعاً من الجهة الحسية - وان كانت أم الخبائث والرجس المعنوي - فلان الاصل في الاشياء الطهارة وليس في الشرع مايخالف الحس ، وما ورد في الشرع من الحث على الطهارة والنظافة الحسية فلا يفهم منه الا التنزه عن الاقذار كما ورد في حديث تطهير المسجد من بول الاعرابي وازالة ما أصاب البدن أو الثوب أو المكان باذهاب عينه أو اذهاب قذارته بحيث لا تنفر الطباع السليمة مما أصابه . وانما كان يصح إلحاق الشرع الخمر بالنجاسات الحسية لو ورد الامر الصريح بغسل ما أصابه شيء من الخمر ولم يرد ، وقد كانوا يشربونها إلى آخر مدة النبي (ص) لم تحرم قطعيا الا في سورة المائدة وهي من آخر مانزل من القرآن ، ولا شك في أن الشاربين لها لا يسلمون من اصابة أيديهم وثيابهم بشيء منها ، ولو كانت من النجاسات والاقذار في الواقع ونفس الامر أو في حكم الله تعالى لامروا بالتنزه عنها قبل تحريمها ، وكان يكون ذلك من المنفرات عنها الممهدات لتخفيف وقع تحريمها

يطهرونها . والغرض من هذا بيان مدرك هؤلاء الفقهاء الذين يتبعهم ملايين كثيرة من المسلمين في يسر الشريعة

ويحسن أن نذكر هنا حديث بول الاعرابي في المسجد الذي رد به الجمهور عليهم وان لم يكن البحث لتحقيق الراجح في هذه المسائل : روى الجماعة (أي أحمد والشيخان وأصحاب السنن) من حديث أبي هريرة وانس بن مالك (رض) ان اعرابيا بال في المسجد فقال الصحابة له : مه مه - وهي كلمة زجر - فقال رسول الله (ص) « لاتزرموه - أي لاتقطعوا عليه بوله - دعوه » فتركوه حتى بال . هذا سياق أنس ، وقال أبو هريرة : فقام اليه الناس ليقعوا به فقال النبي (ص) « دعوه وأريقوا على بوله سجلا أو ذنوبا من ماء . فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » وتتمة سياق أنس : ثم قال (ص) « ان هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » قال ثم أمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه . والسجل والذنوب بفتح أولها الدلو الواسعة الملأى وقال ابن السكيت في الثانية : فيها قريب من الملء ، ولا يطلق هذان اللفظان على الدلو الفارغة

ومن المطهرات عند الحنفية النار وانقلاب العين كالزيت النجس الذي يدخل في عمل الصابون . ومذهبهم فيه قوي جداً يدل على فقه الشرع وفهم كنه الطهارة التي طولب الناس بها وهي النظافة والتنزه عن الاقذار، لا الاعنات وتكليف مالا يعقل تعبدا محضا . فهذا المذهب لايحتاج الى دليل من النص بعينه، ومما يدل عليه اجماع الامة على عدم وجوب النية ولا اشتراطها في إزالة النجاسة . ولهم أن يستدلوا عليه بحديث أبي الدرداء في (المري) الذي يصنع من الخمر والسمك والملح ويوضع في الشمس . وقد أكله أبو الدرداء وغيره من الصحابة كما سيأتي ، ونحن نستدل به علي طهارة الخمر . ولكنهم قالوا : لو جعل الخمر في مرقة لاتؤكل لتنجسها بها ولاحد مالم يسكر منه (أي الآكل) لانه أصابه الطبخ . ويكره أكل خبز عجين عجنه بالخمر لقيام اجزاء الخمر فيه (اه من الهداية)

آية المائدة . وهو مردود من وجوه

(أحدها) ان الرجس في اللغة هو الخبيث القذر حسا أو معنى ، فالحسي ماتدرك قذارته بالحس ونفور الطباع السليمة ويتنزه عنه الناس كالبول والعذرة ، والمعنوي ماتدرك قذارته بالعقل أو الشرع أو بهما معا كالكفر والنفاق . قال الراغب بعدماذكرماهو بمعنى هذا : والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر اه

وأقول: ان الرجس قد ذكر في القرآن في تسع آيات لا يحتمل ارادة النجاسة الحسية منها الا في واحدة فقط وهي قوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس) والراجح ان الضمير في قوله «فانه» راجع الى الثلاثة بتأويل ماذكر كما بيناه في تفسير الآية مؤيداً بالشواهد من التنزيل ومن كلام العرب ، أما الاولان فاستقذار الطباع لهما معروف ، وأما الثالث فمعنى كونه رجسا أنه ملازم للاقذار كثير التغذي منها . وانك لتجد ذكر ازالة الرجس عن أهل البيت النبوي قد قرن بأن المراد به تطهيرهم وأكد ذلك بالمصدر ولم يقل أحد من المفسرين ان المراد بالرجس في الآية النجاسة الحسية وبالتطهير ازالتها ، على أن بعض العلماء قالوا ان تأكيد الفعل بالمصدر يخرجه عن كونه مجازا و يحتم كونه حقيقة . وهذه الآية حجة عليهم الا أن يقولوا: ان التطهير حقيقة في ازالة الاقذار الحسية والمعنوية والتنزيه عن كل منهما . أو ان الرجس حقيقة في الخبث المعنوي لانه هو الا كثر في استعمال القرآن وغيره

(ثانيها) أن لفظ الرجس فيها خبر عن الخمر والميسر والانصاب والازلام كما قال جمهور المفسرين ولا شيء من ذلك بقذر في الحس ولا نفور الطبع فتعين أن يكون كله من الرجس المعنوي ، وجعله خبراً عن الخمر وخبر ما عطف عليها محذوفا تكلف مخالف للمتبادر من العبارة لغة، وانما جيء به لتأييد القول بنجاستها ، والا فالاصل في خبر المبتدأ وما عطف عليه أن يكون خبرا عنها جميعا ، ولو كان خبراً عن الخمر لقال «فاجتنبوها » لان الخمر مؤنثة اللفظ قال الاصمعي ولا يجوز تذكيرها ، فان قيل جوزه غيره قلنا هو الفصيح الذي لا خلاف فيه ولغة القرآن أفصح اللغات

على نفوسهم كالذي ذكره المفسرون من التنفير عنها بآيتي البقرة والنساء ، ولما أخر بيان نجاستها الى وقت نزول القطع بتحريمها ، ولا يقال إنها انما صارت نجسة بالتحريم لان الكلام في النجاسة الحسية وهذا لايختلف باختلاف الحكم فهي مازالت كما كانت قبل التحريم وربما طيبها الناس بعد ذلك فكانت أبعد عن القذارة مما كانت ، وسيأتي مايؤيد هذا

تحقيق القول فيما استدل به على نجاسة الخمر

استدل المفتي الهندي ومن وافقه بدعوى الاجماع وهي دعوى ممنوعة فقد نقل العلماء الخلاف بين فقهاء السلف في نجاستها كما رأيت في عبارة ابن رشد في (بداية المجتهد) وممن قال بطهارتها منهم فقيه المدينة الامام ربيعة شيخ الامام مالك كما في شرح المهذب للنووي وغيره . وفي كتاب (رفع الالباس في وهم الوسواس) لاحمد ابن العماد الفقيه الشافعي مانصه :

« ومنه الخمر وهي نجسة خلافا لربيعة شيخ الامام مالك وداود (امام الظاهرية) فانهما قالا بطهارتها كالسم الذي هو نبات والحشيش المسكر ، وحكى الغزالي وجها في المحترمة ووجها في ان باطن حبات العنب المستحيلة خمرا طاهر ، وحكى الشيخ تقي الدين رحمه الله في شرح الموطأ طهارة المحترمة ، والمحترمة هي التي اعتصرت بقصد ان تتخذ خلا » اه ثم ذكر القول بأن مااعتصره أهل الكتاب — من المحترمة أي بناء على عدم تكليفهم بفروع الشريعة ، فجميع خمور أهل الكتاب أو غير المسلمين طاهرة على الوجه . ويفهم منه أن القول بنجاستها تغليظ على المسلمين لاجل المبالغة في اجتنابها ، بالتباعد عن أسبابها ، ولكن هذا لايصح أن يجعل دليلا شرعيا على النجاسة الحسية وما يترتب عليها من الاحكام الكثيرة التي تنسب الى دين الله وتجعل مما خاطب الناس بتحريمه عليهم

وممن قال بطهارة الخمر من فقهاء الحديث المتأخرين الامام الشوكاني في(السيل الجرار)وغيره والسيد حسن صديق خان في (الروضة الندية)

وأما الاستدلال على نجاستها بالكتاب العزيز فهو محصور في تسميتها رجسا في

بعدهم من السلف يتوقون أوانيهم فلا يأكلون ولا يشربون فيها الا بعد غسلها لتواتر ذلك عنهم، بل ثبت في الصحيحين أن النبي (ص) توضأ من مزادة مشركة. وتوضأ عمر من جرة نصرانية. والتغليظ في معاملة المشركين أشد منه في معاملة أهل الكتاب

وثبت أكل الصحابة (رض) المري المصنوع من الخمر والسمك ففي كتاب الصيد من صحيح البخاري أن أبا الدرداء قال في المري: ذبح الخمرَ النينانُ والشمس. والمري من التوابل المثيرة لشهوة الطعام وهو بضم الميم وسكون الراء. وضبط في النهاية تبعا للصحاح بتشديد الراء نسبة الى المرّ وهو الطعم المعروف. والنينان جمع نون وهو الحوت. واسناد ذبح الخمر الى السمك والشمس مجازي معناه أنهما ذهبا بطعم الخمر واسكارها كما كانوا يعبرون عن تأثير مزجها بالماء اذا كثر بالقتل، كما قال حسان

ان التي عاطيتني فشربتها   قتلت قتلتَ فهاتها لم تقتل

قال الحافظ في الفتح: وهذا الأثر سقط من رواية النسفي وقد وصله ابراهيم الحربي في غريب الحديث له من طريق أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء فذكره سواء. قال الحربي هذا (مري) يعمل بالشام يؤخذ الخمر فيجعل فيه الملح والسمك و يوضع في الشمس فيتغير عن طعم الخمر. وذكر الحافظ طرقا أخرى له عن أبي الدرداء للطحاوي وعبد الرزاق. ثم قال ورويناه في جزء اسحق بن الفيض من طريق عطاء الخراساني قال: سئل أبو الدرداء عن أكل المري فقال: ذبحت الشمس سكر الخمر فنحن نأكل لا نرى به بأسا، قال أبو موسى عبر عن قوة الملح والشمس وغلبتها على الخمر وازالتها طعمها ورائحتها بالذبح الخ (ثم قال) قال وكان أهل الريف من الشام يعجنون المري بالخمر وربما يجعلون فيه أيضا السمك الذي يربى بالملح والابزار مما يسمونه الصحناء. والقصد من المري هضم الطعام فيضيفون اليه كل ثقيف أو حرّيف ليزيد في جلاء المعدة واستدعاء الطعام بحرافته وكان أبو الدرداء وجماعة من الصحابة يأكلون هذا المري المعمول بالخمر اه المراد مما أورده الحافظ ومما ذكره عن بعضهم تعليل الحل بتخلل الخمر ولا يصح الا على التشبيه والا فان الخل مائع لا طعام.

ويؤيد كون الانصاب والازلام رجسا قوله تعالى في آية أخرى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان)

(ثالثها) ووصف الرجس بأنه من عمل الشيطان . ثم بيان عمل الشيطان في الخمر والميسر خاصة بانه ايقاع العداوة والبغضاء بين السكارى والمقامرين، وصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة . ولو لم يكن قوله (رجسا من عمل الشيطان) راجعا الى الخمر الميسر والانصاب والازلام جميعا لما صرح بذكر الخمر والميسر في هذا البيان

(رابعها) ان الصحابة رضي الله عنهم أراقوا كل ما كان عندهم من الخمر عند نزول هذه الآية حتى كانت تجري في شوارع المدينة ولو كانت الخمر نجسا حسيا يجب تطهير ماتصيبه بمنطوق الآية لتوفرت الدواعي على نقل عنايتهم بتطهير أوانيهم وما أصاب أبدانهم وثيابهم منها عند اراقتها فانه من الضروريات ولم يرد شيء من ذلك كما تقدم

وأما الاستدلال على نجاستها بالسنة فقد أعجز المدعين لذلك رواية خبر صحيح صريح فى ذلك . وانما استدل بعضهم بحديث أبي ثعلبة عند أحمد وأبي داود إذ قال للنبي (ص) ان أرضنا أرض أهل كتاب وانهم يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر فكيف نصنع بآنيتهم وقدورهم ؟ قال «ان لم تجدوا غيرها فارحضوها بالماء واطبخوا فيها واشربوا » وهذه واقعة حال ذكرت فى الصحيحين بدون ذكر الخنزير والخمر فيها، وغسلها من احتمال طبخ الخنزير وشرب الخمر فيها ضرب من النظافة لايتعين أن يكون سببه نجاسة ما كان فيها وهو مجهول ، والاصل فى الاشياء الطهارة ، وأبو ثعلبة هذا هو الخشني أسلم عام خيبر أو قبله وسأل النبي (ص) عن أواني أهل الكتاب وعن الصيد ما يحل منه ؟ وذلك قبل نزول آية حل طعام أهل الكتاب فامره النبي (ص) بما ذكر من غسل أوانيهم مبالغة فى النظافة التي كان يميل اليها والتباعد عن الانس بهم قبل تمكن الاسلام . والا فهو معارض بالاحاديث الكثيرة والروايات عن الصحابة فى أكل طعامهم فى أوانيهم، وجبنهم، والتوضؤ والشرب من أوانيهم أيضا ، ولا سيما في أيام فتح بلادهم ، ولو كان الصحابة ومن

والنقيع، وهو الشراب الذي يكون من نبذ نحو زبيب أو تمر أو تين جاف في الماء أي طرحه فيه وكان النبي (ص) والصحابة يشربونه قبل أن يشتد ويصير مسكرا فانه يكون حينئذ خمراً . وكان النبي (ص) يشرب منه مدة ثلاثة أيام في الغالب فاذا شعر بحموضته أذن بأن يشرب به الخدم وترك شربه احتياطا — وقد فصلنا القول في ذلك في تفسير آية المائدة

وأما الكحول —السبيرتو— فهو سائل قابل للاحتراق سريع التبخر او الطيران يستخرج غالباً من الخشب وجذور القصب وأليافه وهو يوجد في جميع أنواع النباتات ولاسيما الفاكهة ويكثر جدا في قشر البرتقال والليمون وفي كل ما يختمر من الاشياء كالعجين ، ولا يستخرج من الخمور لغلائها ورخصه . وهو أقوى المطهرات فانه يزيل النجاسات والاقذار التي تعسر ازالتها بالماء . وانما يستخرج لاستعماله في التطهير الطبي وتحضير كثير من الادوية، وحفظ بعض الاشياء من الفساد وفي الاعطار والاصباغ والوقود والاستصباح وغير ذلك،وقد كلفنا بعض علماء الكيمياء والطب من ثقات المسلمين ببيان علمي فني سننشره فيه في ذيل هذه الفتوى . فهو ليس بشراب ولا يمكن شربه لانه سم قاتل

نعم ان هذا الكحول أو الغول هو المادة المؤثرة في الخمور التي لولاها لم تكن مسكرة وانه اذا وضع في شراب غير مسكر بنسبة مخصوصة يصير مسكرا . ولكن هذا لا يقتضي أن يسمى هو خمرا لغة ولا شرعا ولا عرفا ، كما أن المادة المؤثرة في قهوة البن التي يسميها الكاوبون(كافيين) والمادة المؤثرة في الشاي التي يسمونها (شايين) والمادة المؤثرة في التبغ (الدخان)التي يسمونها (نيكوتين) اذا وضعت في شراب آخر أو في طعام يصير له مثل تأثير القهوة والشاي والتبغ ولا يسمى بأسمائها . وكل ما يترتب على ذلك من الحكم الشرعي ان الشراب الذي يوضع فيه من الكحول ما يجعله مسكرا يحرم شربه لاسكاره ، ويدخل عندنا في عموم الخمر وان وضع له اسم آخر خلافا للحنفية ومن على رأيهم من اللغويين وغيرهم فلا يعدونه منها لغة ولا حكما من كل وجه

هذا الاثر يدل على ان أولئك الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعتقدون طهارة الخمر ولو كانت نجسة لتنجس السمك والملح والاناء بها قبل أن تذبحها الشمس ومتى تنجس السمك تعذر تطهيره عند جماهير الفقهاء الا من يقول ان استحالة العين وزوال نتن النجاسة مطهر ، وهذا القول يقتضي حل جميع الادهان والادوية التي تدخلها نجاسة اذا زال نتنها بحيث لا يعد ذلك الشيء قذراً لغة ولا عرفا . وهذا هو مدرك الحنفية وهو مدرك صحيح ولكن خرجوا عنه في بعض المسائل. ومن العجيب أن اخواننا علماء الهند الذين شددوا في واقعة الفتوى من فقهاء الحنفية فيما يظهر ، ولكنهم لما اجتهدوا في المسألة كان اجتهادهم بعيدا عن مدرك المذهب الذين تفقهوا فيه، ومثل هذا كثير

حقيقة الخمر والكحول

الخمر كل شراب مسكر . هذا هو المختار عندنا على ما حققناه في التفسير ولكن الفقهاء واللغويين اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى أن الخمر ما كان من عصير العنب اذا اشتد وغلا — زاد بعضهم وقذف بالزبد — وعليه الحنفية الذين يقلدهم اكثر مسلمي الهند. وهذه الخمرة العنبية هي المحرمة عندهم بالنص قطعا ما قل منها وما كثر ، وهي التي يعدونها نجسة نجاسة مغلظة . وأما سائر المسكرات فلهم فيها أقوال ثالثها أنها طاهرة، وما عداها من المسكرات فأصل المذهب أن المحرم منها هو القدر المسكر، بل لهم فلسفة دقيقة في تحقيق كون الكأس الاخيرة أو الجرعة الاخيرة التي حصل بها الاسكار هي المحرمة دون ما قبلها ، والجمهور يخالفهم في هذا بحق رجحه بعضهم ، ولكنه مذهب اجتهادي على كل حال .

والتحقيق الصناعي أن الخمر نوعان (أحدهما) مايصنع بالتخمير وهو وضع الفاكهة الرطبة كالعنب والبسر او الجافة كالتمر والزبيب أو الحب كالقمح والشعير في الماء حتى يختمر وكذا العسل وخمره تسمى في اللغة البتع ، ولهم في ذلك صناعة بعضها بالنار و بعضها بدونها ، و يسمون هذا النوع في زماننا بالنبيذ وهو أصناف كثيرة ومنها ماله اسم آخر كالبيرا المتخذة من الشعير واسمها العربي الجعة. والنبيذ بالعربية هو النقوع

تحريم استعمالها في ذلك قد يكون سببا لموت كثير من المرضى والجرحى حين أو اطول مرضهم وزيادة آلامهم في احوال كثيرة ولاسيما حال الحرب . وانني أذكر مادة واحدة من مستحضرات الكحول منبها إلى بعض منافعها ليقاس عليها غيرها وهي (صبغة اليود) فلهذه الصبغة من المنافع الكثيرة التي لا تشوبها أدنى مضرة ما يكفي لعد تحريم استعمالها من أعظم الجنايات على المسلمين ، فهي على كونها من المطهرات الطبية للجروح المانعة من عروض الفساد لها الذي ربما يفضي الى قطعها تستعمل علاجا واسعافا في أمراض متعددة ، وقد كانت والدتي أصيبت برثية حادة (روماتزم) عجزت بها عن المشي والصلاة واقفة فعالجها الدكتور شرف الدين بك الطبيب التركي المشهور بصبغة اليود دهنا وشربا بوضع خمس نقط في نصف كوب من الماء تشربه قبل الطعام وأذن لها أن تزيد عدد النقط الى عشر فشفيت حتى تمكنت من أداء فريضة الحج بغير مشقة ، وعالج به غلاما عندنا اصيب بالحمى التيفوثية فشفي باذن الله . وكثيرا ما يسعل الاطفال عندنا في الليل حتى يحرمونا النوم فاذا دهنا صدر الطفل بصبغة اليود مخففة بالكحول أو بعض أعطاره كالكولونيا سكن السعال في الحال

فمن ذا الذي يقول: إن دين الفطرة والحنيفية السمحة ، الذي من اهم اصوله القطعية بالنص اليسر ورفع الحرج ، — يحرم على المسلمين جميع منافع هذه المادة الكثيرة بدعوى مكابرة للحس هي جعلها نجسة وتسمية طيبها اقذارا ، ودهانها للخشب المانع من امتصاصه للوساخة والجاعل له في منتهى الجمال والنظافة رجسا تنزه عنه المساجد كالبول؟ ابهذا يصدق علينا قول نبينا (ص) انما بعثنا ميسرين ، ونكون ممتثلين لامره « يسروا ولا تعسروا » ؟

انني لو ذهبت أعد ما أعلم من منافع الكحول في الطب والصناعة لعددت عشرات منها وان ما أعلمه من ذلك دون ما يعلمه الاطباء والكيماويون ، فتحريم هذه المنافع الكثيرة على المسلمين بمثابة أن يقول محرموها في كل منها إن الله تعالى خاطبنا بما يقتضي تركه اقتضاء جازما ، وانه مما يعذب الله المسلمين على فعله ، ويثيبهم على تركه ، والشبهة على ذلك أن فيه مادة أداهم اجتهادهم الى أنها من الاقذار التي يجب

والقائلون بنجاسة الخمر لم يعللوا حكمهم بان فيها مادة نجسة هي علة نجاستها ولم يكونوا يعلمون بوجود هذه المادة فيها حتى نفرع على قولهم ان كل ما توجد فيه يكون نجسا، وان كان في الواقع ونفس الامر طيبا وطهورا، بل أقوى مزيل للنجاسات ومطهر للاشياء ، فان هذا قلب للحقائق ، وانما أرادوا فيما يظهر المبالغة في اجتنابها والبعد عن مظان استعمالها في غير الشرب لئلا يكون ذريعة له. ألا ترى أن الحنفية جعلوا مسألة النجاسة فيها تابعة لقوة الدليل على تحريم شربها، فقالوا: ان نجاسة خمر العنب مغلظة لانهـا هي المحرمة عندهم بالنص القطعي ، وأما سائر المسكرات فقيل طاهرة وقيل نجسة نجاسة مغلظة وقيل مخففـة ، والمعروف بالقطع الآن أن الكحول في الاشربة التي تسمى الروحية كالعرقي والكونياك والوسكي أكثر منه في خمرة العنب المسماة بالنبيذ، ولو كانت النجاسة تابعة لمقـدار الكحول لوجب أن تكون نجاسة المسكرات المقطرة المسماة بالروحية أغلظ من نجاسة خمر العنب. ثم ألا ترى أن الشافعية ذكروا قولا بطهارة الخمر المحترمة وهم أشد الفقهاء تدقيقا وتشديدا في مسائل النجاسة

ثم ان جعل مادة الكحول هي النجسة بنفسها والعلة لنجاسة ما توجد أو أو تكثر فيه يقتضي الحكم بنجاسة العجين المختمر ونقيع التمر والزبيب ولا سيما اذا أتى عليه يومان أو ثلاثة وكان ذلك في بلاد حارة كالحجاز وهو كالعجين المختمر طاهر بالاجماع، وكذا كل ما يوجد فيه من فاكهة ونبات، ولوجب تطهير اليد والسكين اذا قشر بها الليمون والبرتقال .

فعلم من هذا ومن الملحق الفني الذي سنؤيده به أن ماذكر في الفتوى الهندية في بيان حقيقة الخمر والـكحول مترجما عن الانكليزية قاصر

وخلاصة القول أن الـكحول مادة طاهرة مطهرة وركن من اركان الصيدلة والعلاج الطبي والصناعات الـكثيرة وتدخل فيما لا يحصى من الادوية ، وأن تحريم استعمالها على المسلمين يحول دون اتقانهم لعلوم وفنون وأعمال كثيرة هي من أعظم أسباب تفوق الافرنج عليهم كالـكيمياء والصيدلة والطب والعلاج والصناعة، وان

لرد مانراه خطأ واتباع ما نراه صوابا (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

(تنبيه) أخرنا طبع هذه الكراسة اكثر من شهر حتى طبع كل ما بعدها انتظارا للملحق الفني الذي أشرنا اليه فيها فتأخر من وعدنا بكتابته لنا حتى اضطررنا الى ارجائه الى الجزء التالي

﴿ عطوف آل رضا ﴾ أنعم الله تعالى على صاحب هذه المجلة ببنت كاملة الخلق ولدت له قبل فجر ٢٩ من هذا الشهر سماها عطوفا فنسأله تعالى أن يجعلها قرة عين

المعاهدة العراقية البريطانية

كتبنا في آخر الجزء السادس كلمة عن العراق ومصر وتشابه السياسة البريطانية فيهما ، ذكرنا فيها ما كثر الحديث فيه من وضع الانكليز مشروع معاهدة تعقدها مع حكومة العراق لا يذكر فيها الانتداب الذي صار لفظه ممقوتا عند العراقيين كلفظ الحماية عند المصريين وغيرهما — ولكنها تضمن لهم كل ما يبغونه في العراق من سلطة ومنفعة ، وذكرنا العراقيين أن لا يخدعون بالالفاظ والمظاهر دون الحقائق ، وذكرناهم بأن ما يعطونه للانكليز بالمعاهدة اذا كان مخلا بالاستقلال المطلق من كل قيد فتقييده بالانتداب أقل خطراً من جعل الانكليز مطلقي التصرف فيه . . .

وقد أعلنت بعد ذلك هذه المعاهدة مؤلفة من ١٨ مادة موقعاً عليها من المندوب البريطاني ومن رئيس وزارة العراق عن حكومتهما بل ملكيهما، فاذا هي صك لاستعباد الدولة البريطانية للعراق، فالمادة الاولى منها نص في تعهد ملك الانكليز لملك العراق بناء على طلبه بما يقتضي لدولته من المشورة والمساعدة دون أن يمس ذلك بسياستها الوطنية . . وقد عرفنا معنى المشورة في مصر اذا هي سلب السلطة كلها من الحكومة الوطنية وجعلها كالآلة، وعرفنا معنى المساعدة في السودان فدفع الانكليز ٨٠٠ الف جنيه مساعدة على فتحه يدعون بها الآن امتلاك السودان كله الى الابد

والمادة الثانية هذا نصها « يتعهد جلالة ملك العراق بأن لا يعين مدة

التنزه عنها لاجل أن يكون المسلم طاهرا نظيفا، وان كانوا يرون بأعينهم ا
للنجاسة، على أنها تتبخر — أو تطير كما يقول العامة عندنا — اذا عرضت لل
نحو الثوب والاناء وذلك انها مركبة من عنصري الماء (والاكسجين
وغاز الكربون فعينها تزول البتة دون النجاسات التي يقول الحنفية أ
يطهر بالهواء والشمس ؟

فيا أيها المفتون بنجاسة الكحول وتحريم استعمال كل مايدخل ،
وأصباغ وأدهان وأعطار، وقد اشتدت حاجة البشر اليها في هذه الا
تحرمون منافع ثبت ثبوتا قطعيا أن بعضها صار من الضروريات، وسائره
او من الكماليات، بحيث يجزم العالم بأصول الشرع أنها في جمل
الكفايات، وقد عمت بها النعمى، ولا أقول عمت بها البلوى، وان م
بامكان الاستغناء عنها كلها في هذا العصر بدليل الاستغناء عنها ف
من يقول بامكان استغناء المسلمين عن أسلحة هذا العصر في الدفاع
كما استغنى عنها من قبلهم ؟ فاتقوا الله واعلموا أن هذه التشديدات
الله بها من سلطان، المخالفة للحقائق الثابتة بالحس والعقل والوجد
الكثيرين من أهل هذا العصر عن الاسلام، وجعلته من أشد الحر
حتى صار بعض حكامهم يرون أنهم مضطرون الى ترك شريعته، واتباع
لتكون لهم دولة عزيزة، وامة راقية محترمة، (ما يريد الله ليجعل عا
ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

فاذا ظهر لكم بما شرحناه أن فتواكم كانت غلطا فان مما يم
الله وعند الناس أن تصرحوا بذلك وترجعوا الى الحق وتعلنوه للنا
بفعل سلفنا الصالحون (رض) فقد صرح أمير المؤمنين عمر بن
المنبر بأن ما كان عزم عليه من تحديد مهور النساء خطأ، وان المر
فيه هي التي أصابت. وان ظهر لكم انه خطأ فردوا ما أدلينا به من الـ
فتوانا على الناس كما نشرنا فتواكم، ليحكم سائر المسلمين بيننا و بينكم، و

﴿ الشفاعة الشرعية والتوسل الى الله ﴾

بالاعمال ، و بالذوات والاشخاص

تابع لما قبله من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

وسئل أيضاً رحمه الله تعالى هل يجوز للانسان أن يتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم في طلب حاجة أم لا ؟

﴿ فأجاب ﴾

الحمد لله — أجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد ان يسأله الناس ذلك و بعد ان يأذن الله له في الشفاعة

ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة واستفاضت به السنن من أنه يشفع لاهل الكبائر من أمته و يشفع أيضاً لعموم الخلق

وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا ان شفاعته انما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات . ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقاً

وأجمع أهل العلم على ان الصحابة كانوا يستشفعون به في حياته ، و يتوسلون بحضرته ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا — فيسقون

وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ربما ذكرت قول الشاعر وانا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فالاستسقاء هو من جنس الاستشفاع به وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة و يطلب من الله أن يقبل دعاءه وشفاعته فينا . وكذلك معاوية بن أبي سفيان لما أجدب الناس في الشام استسقى بيزيد بن الاسود الجرشي رضي الله تعالى عنه وقال : اللهم انا نستشفع ونتوسل اليك بخيارنا،يا يزيد ارفع يديك ، فرفع (يديه)

هذه المعاهدة موظفاً ما في العراق من تابعية غير عراقية في الوظائف التي تقتضي ادارة ملكية بدون موافقة جلالة ملك بريطانيا وستعقد اتفاقية منفردة لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه في الحكومة العراقية »

وهذه المادة أظهر المواد في اثبات سوء نية الانكليز وكون الاستقلال لفظيا مجردا من كل معنى — والا فلماذا يمنع ملك الانكليز ملك العراق أن يوظف من شاء وشاءت حكومته من سوري أو مصري أو غيرهما من الشعوب العربية في هذه البلاد العربية بدون موافقتهم ؟

والمادة الثالثة فيما يفترض على حكومة العراق في قانونها الاساسي من اعتبار « حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان في العراق ويكفل لهم حرية الوجدان التامة وحرية ممارسة جميع أشكال العبادة وان لا يكون أدنى تمييز لبعضهم على بعض بسبب الجنس أو الدين أو اللغة » الخ والمعنى أن لا يكون للوطنيين أدنى امتياز في شيء ما من أمور الوطن والحكومة على أي أجنبي شرقي أو غربي في حق ولا مصلحة ولا رغبة .. (؟) وسيعلم العراقيون ما وراء هذه الدسائس من الصغار والهوان لهم في وطنهم اذا خانت الجمعية الوطنية بلدها فصدقت على هذه المعاهدة

والمادة الرابعة في التزام ملك العراق قبول ما يقدمه له ملك الانكليز من المشورة بواسطة المعتمد السامي في جميع الشؤون المهمة المتعلقة بالتعهدات والمصالح الدولية والمالية للثاني - وأن يستشير المعتمد السامي الاستشارة التامة في كل ما يتعلق بالامور المالية والسياسية ؟ والمعنى أنه غير مستقل في شيء من ذلك

والمادة الخامسة في حق ملك العراق في التمثيل السياسي في لندن وغيرها مقيداً « بما يتم عليه الاتفاق بين الفريقين الساميين المتعاقدين » وبأن يكون العراقيون تحت حماية ملك بريطانية في كل مكان لا ممثل لملكهم فيه (؟)

والمادة السادسة في تعهد ملك بريطانية بادخال العراق في جمعية الامم . وهذه المادة هي التي يظن بعض الجاهلين أنها المنة الوحيدة على العراق وليس كذلك

والمادة الثامنة في الحظر على حكومة العراق أن تبيع أو تهب أو تؤجر شيئا من أرض العراق الى دولة أجنبية — وهذه المادة أهم المواد عند الانكليز فانهم لم يعطوا العراق الاستقلال اللفظي الا لاجل أن يمنعوا الدول القوية كالولايات المتحدة أن تشاركهم في بترول البلاد او غيره من مواردها (لها بقية)

بذاته لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين[1] بل عمر بن الخطاب ومعاوية ومن كان يحضرهما من الصحابة والتابعين لما أجدبوا استسقوا بمن كان حياً كالعباس وكيزيد بن الاسود رضي الله عنهما ولم ينقل عنهم انهم في هذه الحالة استشفعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند قبره ولا غيره فلم يقسموا بالمخلوق على الله عز وجل ولا سألوه بمخلوق نبي ولا غيره بل عدلوا الى خيارهم كالعباس وكيزيد بن الاسود، وكانوا يصلون عليه في دعائهم، روي عن عمر رضي الله عنه انه قال: انا نتوسل اليك بعم نبينا. فجعلوا هذا بدلا عن ذاك لما تعذر عليهم أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه

وقد كان من الممكن أن يأتوا الى قبره فيتوسلوا به ويقولوا[2] في دعائهم في الصحراء: نسألك ونقسم عليك بأنبيائك أو بنبيك أو بجاههم ونحو ذلك. ولا نقل عنهم[3] انهم تشفعوا عند قبره ولا في دعائهم في الصحراء. وقد قال صلى الله عليه وسلم «اللهم لا تجعل قبري وثنا. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه الامام مالك في الموطأ وغيره وفي سنن أبي داود أنه قال «لا تتخذوا قبري عيداً» وقال «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قال ذلك في مرض موته يحذر ما فعلوا: وقال «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»

وقد روى الترمذي حديثا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه علم رجلا

---

(١) عبارته في كتابه التوسل والوسيلة الذي اختصرت منه هذه الفتوى هكذا (فاما التوسل بذاته في حضوره أو في مغيبه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته او بغيره من الانبياء او السؤآل بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين

(٢) كذا في النسخة التى طبعنا عنها ولعل الاصل: أو يقولوا الخ أي في حال البعد عن القبر (٣) هكذا ذكر النفي هنا (بلا) معطوفا وهو يقتضي المقابل لعل الاصل: ولكن لم ينقل عنهم انهم توسلوا بذاته ولا نقل عنهم الخ وهذا الواقع الذي صرح به في عدة مواضع من كتبه ورسائله

ودعا الناس حتى سقوا ، ولهذا قال العلماء يستحب أن يستسقى بأهل الدين والصلاح، واذا كانوا بهذه المثابة وهم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحسن ، وفي سنن أبي داود وغيره ان رجلا قال: انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فقال « ويحك أتدري ما الله؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك » فأنكر عليه قوله: انا نستشفع بالله عليك ولم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله — لان الشفيع يسأل المشفوع اليه أن يقضي حاجة الطالب والله تعالى لا يسأل أحدا من عباده أن يقضي حوائج خلقه وان كان بعض الشعراء ذكر استشفاعه بالله في مثل قوله

شفيعي اليك الله لا رب غيره وليس الى رد الشفيع سبيل

فهذا كلام منكر لم يتكلم به عالم. وكذلك بعض الاتحادية ذكر انه استشفع بالله الى رسوله وكلاهما خطأ وضلال . بل هو سبحانه المسئول المدعو الذي (يسأله من في السموات والارض) والرسول صلى الله عليه وسلم يستشفع به الى الله أي يطلب منه أن يسأل ربه الشفاعة في الخلق أن يقضي الله بينهم ، وفي أن يدخلهم الجنة، ويشفع في أهل الكبائر من أمته ويشفع في بعض من يستحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها[1] أن يخرج منها، ولا نزاع بين جماهير الامة أنه يجوز أن يشفع لاهل الطاعة المستحقين للثواب ، وعند الخوارج والمعتزلة انه لا يشفع لاهل الكبائر لان الكبائر عندهم لا تغفر ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها . ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ولا يخلد أحد في النار من أهل الايمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة من ايمان أو مثقال ذرة .

والاستشفاع به و بغيره هو طلب الدعاء منه وليس معناه الاقسام به على الله والسؤال بذاته بحضوره. فاما في مغيبه أو بعد موته فالاقسام به على الله والسؤال

(١) أي من المؤمنين

وانزال الغيث، بكل طريق، دليل على أن المشروع ماسنوه دون ما تركوه، ولهذا ذكر الفقهاء في كتبهم في الاستسقاء ما فعلوه دون ما تركوه. وذلك أن التوسل به في حياته هو الطلب لدعائه وشفاعته، وهو من جنس مسألته أن يدعو، فمازال المسلمون يسألونه أن يدعو لهم في حياته، وأما بعد موته فلم يكن الصحابة يطلبون منه ذلك لا عند قبره ولا عند غيره كما يفعله كثير من الناس عند قبور الصالحين (١) وان كان قد روي في ذلك حكايات مكذوبة عن بعض المتأخرين، بل طلب الدعاء مشروع لكل مؤمن من كل مؤمن، فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب لما استأذنه في العمرة « لا تنسنا يا أخي من دعائك » حتى إنه أمر عمر أن يطلب من أويس القرني أن يستغفر له، مع أن عمر رضي الله عنه أفضل من أويس بكثير، وقد أمر أمته أن يسألوا الله له الوسيلة وان يصلوا عليه

وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من رجل يدعو لاخيه في ظهر الغيب بدعوة الا وكل الله به ملكا كلما دعا لاخيه بدعوة قال الموكل به آمين ولك مثل ذلك» [٢] فالطالب للدعاء من غيره نوعان أحدهما أن يكون سؤاله على وجه الحاجة اليه فهذا بمنزلة أن يسأل الناس قضاء حوائجه. والثاني أنه يطلب منه الدعاء لينتفع الداعي بدعائه له وينتفع هو فينفع الله هذا وهذا بذلك الدعاء كمن يطلب من المخلوق ما يقدر المخلوق عليه، والمخلوق قادر على دعاء الله ومسألته، فطلب الدعاء منه جائز كمن يطلب منه الاعانة بما يقدر (عليه) فأما ما لا يقدر عليه الا الله فلا يجوز أن يطلب الا من الله، لا من الملائكة ولا من الانبياء ولا من غيرهم، لا يجوز أن يقول لغير الله: اغفر لي، واسقنا الغيث، ونحو ذلك. ولهذا روى الطبراني في معجمه

«١» يزعم بعض الناس في زماننا أنه لا فرق في طلب الدعاء والشفاعة منه « ص » بين حالي الحياة والممات لأنه حي في قبره . وكأنهم يدعون أنهم أعلم من الصحابة وسائر أئمة السلف بذلك فالصحابة رضي الله عنهم فرقوا بين الحالين وان شئت قلت بين الحياتين ، والامور التعبدية لا تشرع بالعقل ولا بالقياس

(٢) الحديث في صحيح مسلم بمعنى ما ذكر من حديث أبي الدرداء بثلاثة ألفاظ ليس هذا منها فهو مذكور بالمعنى ورواه أبو داود ايضا

أن يدعو فيقول « اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إني أتوسل بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفعه في » وروى النسائي نحو هذا الدعاء . وفي الترمذي وابن ماجه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال « ان شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني أسألك وأتوجه بنبيك نبي الرحمة يارسول الله اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم فشفعه في . قال الترمذي حديث حسن صحيح [١] ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ان أعمى قال يارسول الله : ادع الله لي أن يكشف لي عن بصري . قال « فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني أتوجه بك الى ربي أن يكشف عن بصري ، اللهم فشفعه في » قال فدعا وقد كشف الله عن بصره فهذا الحديث فيه التوسل الى الله به في الدعاء . ومن الناس من يقول: هذا يقتضي جواز التوسل بذاته مطلقا حيا وميتا ومنهم من يقول : هذه قضية عين وليس فيها الا التوسل بدعائه وشفاعته لا التوسل بذاته ، كما ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون به اذا أجدبوا ثم إنهم بعد موته انما توسلوا بغيره من الاحياء بدلا عنه فلو كان التوسل به حيا وميتا مشروعا لم يعدلوا عنه وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه ، الى غيره ممن ليس مثله ، فعدولهم عن هذا الى هذا مع أنهم السابقون الاولون وهم أعلم منا بالله ورسوله وبحقوق الله ورسوله وما يشرع من الدعاء وما ينفع ، وما لا يشرع ولا ينفع ، وما يكون أنفع من غيره وهم في وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج الكربات ، وتيسير العسير ،

(١) هو حديث غريب كما صرح الترمذي انفرد به ابو جعفر قال هو غير الخطمي ، وظاهر صنيع تهذيب التهذيب تبعا لاصله انه مجهول فانه وضع له عددا خاصا ولم يزد على ما قاله فيه الترمذي انه غير الخطمي والا فهو عيسى بن الرازي التيمي ولكن هذا ضعيف حتى قال ابن حبان ينفرد عن المشاهير بالمنا كير او محمد ابن ابراهيم المؤذن وليس بالقوي ، وللترمذي تساهل في التصحيح ، ومتن الحديث شاذ أيضا الا أن يفسر التوجه به بدعائه وهو متعين كما يعلم مما فصله المؤلف

ولهذا كان سيد الشفعاء اذا طلب منه الخلق الشفاعة يوم القيامة يأتي ويسجد تحت العرش قال «فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن فيقال: أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع» فاذا أذن الله في الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع فيه. قال أصحاب هذا القول فلا يجوز أن يشرع ذلك في مغيبه و بعد موته، وهو معنى الاقسام به على الله والسؤال بذاته ، فان الصحابة رضي الله عنهم قد فرقوا بين الامرين، فان في حياته صلى الله عليه وسلم ليس في ذلك محذور ولا مفسدة، فان أحداً من الانبياء لم يعبد في حياته بحضوره فانه ينهى أن يشرك به ولو كان شركا أصغر، كما ان من سجد له نهاه عن السجود له، وكما قال «لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد» وأمثال ذلك

وأما بعد موته فيخاف الفتنة والاشراك به كما أشرك بالمسيح والعزير وغيرهما ولهذا كانت الصلاة في حياته مشروعة عند قبره منهيا عنها والصلاة خلفه في المسجد مشروعة ان لم يكن المصلي ملاقاه والصلاة الى قبره منهيا عنها (١)

فمعنا أصلان عظيمان (أحدهما) انه لا يعبد الا الله (والثاني) أن لا يعبد الا بما شرع لا بعبادة مبتدعة، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لاحد فيه شيئا

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» فلا ينبغي لاحد أن يخرج عما مضت به السنة، وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه سلف الامة، وما

---

(١) هذه العبارة كلها قد حرفها الناسخ ولم نجد لها أصلا في كتاب التوسل والوسيلة نصححها عليه والذي يعلم من القرائن بمعونة الاحاديث الواردة في النهي عن الصلاة في القبور واليها والنهي عن اتخاذ قبره وثنا يعبد واتخاذه عيدا — ان الصلاة خلفه (ص) أو بالقرب منه في حياته لم يكن يخشى أن يقصد بها تعظيمه بها فتكون اشراكا لأنها غير خالصة لله تعالى ، وأما الصلاة الى قبره وتعظيمه بعد وفاته واتخاذه عيدا فيخشى منه ذلك ولذلك نهى عنه

أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال الصديق رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فجاؤا اليه فقال «انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله» وهذا في الاستعانة مثل ذلك

فاما ما يقدر عليه البشر فليس من هذا الباب ولهذا قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وفي دعاء موسى عليه الصلاة والسلام: وبك المستغاث. وقال أبو يزيد البسطامي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون وقدقال تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة)[1] الآية فبين أن من اتخذ النبيين أو الملائكة أو غيرهم أربابا فهو كافر. وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض — الى قوله — ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقال تعالى عن صاحب ياسين (وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون * أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) الآية وقال تعالى (ولاتنفع الشفاعة الا لمن أذن له) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)

فالشفاعة نوعان أحدهما الشفاعة التي أثبتها المشركون ومن ضاهاهم من جهال هذه الامة وضلالهم وهي شرك

والثانية أن يشفع الشفيع بأن المشفع اللهالتي أثبتها الله[2] لعباده الصالحين

(١) بل هما آيتان والشاهد في الثانية أظهر وهي قوله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا، أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون)

«٢» لعل اصل العبارة: والثانية أن يشفع الشفيع باذن المشفع (بكسر الفاء) وهو الله تعالى، وهي الشفاعة التي أثبتها الله الخ

الصالحة(١) ولا ريب ان لهم عند الله من المنازل أمراً يعود نفعه عليهم ونحن ننتفع من ذلك باتباعنا لهم، ومحبتنا لهم، وبدعائهم لنا، فاذا توسلنا الى الله بايماننا بنبيه ومحبته وموالاته واتباع سنته ونحو ذلك فهذا من أعظم الوسائل، وأما نفس ذاته مع عدم الايمان به، و(عدم) طاعته وعدم دعائه لنا، فلا يجوز، فالمتوسل اذا لم يتوسل لا بما من المتوسل به ولا بما منه ولا بما من الله فبأي شيء يتوسل؟(٢) والانسان اذا توسل الى غيره بوسيلة فاما أن يطلب من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك مثل أن يقال لابي الرجل أو صديقه أو من يكرم عليه: اشفع لنا عند فلان (واما) أن يسأل كما يقال بحياة ولدك فلان وبتربة أبيك فلان وبحرمة شيخك فلان ونحو ذلك. وقد علم ان الاقسام على الله بغير الله لا يجوز بل لا يجوز أن يقسم بمخلوق على الله أصلا. وأما حديث الاعمى فانه طلب من النبي أن يدعو له كما طلب الصحابة رضي الله عنهم الاستسقاء منه صلى الله عليه وسلم وقوله «أتوجه اليك بنبيك محمد» أي بدعائه وشفاعته لي. ولهذا في تمام الحديث: فشفعه في. فالذي في الحديث متفق على جوازه وليس هو مما نحن فيه. وقد قال تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) فعلى قراءة الجمهور(٣) انما يتساءلون بالله وحده لا بالرحم، وتساؤلهم بالله متضمن إقسام بعضهم على بعض بالله وتعاهدهم بالله. واما على قراءة الخفض فقد قالت طائفة من السلف: هو قولك أسألك بالله وبالرحم فمعنى قولك أسألك بالرحم ليس اقساما بالرحم فان

(١) سقط من هذا الموضع جواب اما من نسختنا مع شيء من شرطها والمعنى ظاهر ومثله في كتبه الاخرى ولعل الاصل: وأما اذا لم نتوسل بدعائهم ولا بالاعمال الصالحة التي نفعلها اقتداء بهم بل توسلنا اليه وسألناه بذواتهم أو جاههم عنده – كنا متوسلين اليه بامر أجنبي ليس سببا لاجابة سؤالنا الخ

«٢» أي اذا لم يتوسل بما هو من المتوسل به كدعائه له – ولا بما هو منه هو كعمله الصالح وايمانه ولا بما هو من الله تعالى كسؤاله بفضله ورحمته وما أوجبه على نفسه فبأي شيء يتوسل والوسيلة – وهي القربة الى الله – محصورة في هذه الثلاث التي هي أسباب اجابة السؤال والعطاء دون ذوات الانبياء والصالحين وصفاتهم وجاههم اذ هي ليست من اعمالنا ولا من اعمالهم لنا (٣) هي نصب الارحام

علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تقل على الله مالا تعلمه

وقد اتفق العلماء على انه لا ينعقد اليمين بغير الله ولو حلف بالكعبة أو بالملائكة أو بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لم ينعقد يمينه ولا يشرع له ذلك بل ينهى عنه إما نهي تحريم وإما نهي تنزيه فان للعلماء في ذلك قولين والصحيح أنه نهي تحريم ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »

وفي الترمذي عنه أنه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ولم يقل أحد من العلماء انه ينعقد اليمين بأحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام. فان عن احمد في انعقاد اليمين بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتين لكن الذي عليه الجمهور كمالك والشافعي وأبي حنيفة انه لا ينعقد اليمين به كاحدى الروايتين عن أحمد وهذا هو الصحيح، ولا يستعاذ أيضا بالمخلوقات بل انما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته ولهذا احتج على ان كلام الله غير مخلوق بقوله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » فقد استعاذ بها والمخلوق لا يستعاذ به. وفي الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم انه قال «لا بأس بالرقى مالم يكن شركا» كالتي فيها استعانة بالجن كما قال تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وهذا مثل العزائم والاقسام التي يقسم بها على الجن وقد نهي عن كل قسم وعزيمة لا يعرف معناهما بحيث أن يكون فيهما مالا يجوز من سؤال غيره .

فسائل الله بغير الله اما أن يكون مقسما عليه واما أن يكون طالبا بذلك السبب كما توسل الثلاثة في الغار بأعمالهم، وكما يتوسل بدعاء الانبياء والصالحين. فان كان إقساما على الله بغيره فهذا لا يجوز . وان كان طالبا من الله بذلك السبب كالطلب منه بدعاء الصالحين والاعمال الصالحة فهذا يصح لان دعاء الصالحين سبب لحصول مطلوبنا الذي دعوا به، وكذلك الاعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا. فاذا توسلنا بذلك كنا متوسلين اليه بوسيلة تبقى عنده . واما اذا لم نتوسل بدعائهم ولا بالاعمال

تعالى « قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين نصفها لي و نصفها لعبدي ولعبدي ماسأل » والعبد يعود عليه نفع النصفين والله تعالى يحب النصفين لكن هو سبحانه يحب أن يعبد . وما يعطيه العبد من الاعانة والهداية هو وسيله الى ذلك فانما يحبه لكونه طريقا الى عبادته، والعبد يطلب ما يحتاج اليه أولا وهو محتاج إلى الاعانة على العبادة والهداية الى الصراط المستقيم وبذلك يصل الى العبادة الى غير ذلك مما يطول الكلام فيما يتعلق بذلك وليس هذا موضعه وان كنا خرجنا عن المراد (للفتوى بقية)

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا ابو الكلام
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

فصل

واقعة الامام الحسين عليه السلام

ولمعترض أن يقول لو كانت طاعة الخليفة واجبة في كل حالة كما ذكرت ، لما خرج الامام الحسين على خلافة يزيد بن معاوية ، ولما عدته الامة محقا وشهيدا مظلوما —

والجواب على هذا أن الامام لم يحارب أهل الشام في ذلك الحين الذي كان يدعي الامامة لنفسه ولطلب الخلافة دون يزيد والذي يعتقد غير هذا فكأنه لم يطلع على واقعة كربلاء كما ينبغي. ويجب أن يفرق الناس بين الحالتين حالة خروجه من المدينة وحالة قتله بكربلاء ، فانهما مختلفتان اختلافا كليا ولهما حكمان مختلفان في الشريعة —

القسم بها لا يشرع لكن بسبب الرحم أي ان الرحم توجب لاصحابها بعضهم على بعض حقوقا كسؤال (أصحاب الغار) الثلاثة لله عز وجل باعمالهم الصالحة

ومن هذا — الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الخارج الى الصلاة « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياءا ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أن تنقذني من النار وأن تدخلني الجنة » فهذا الحديث (عن) عطيه العوفي وفيه ضعف[1] فان كان هذا كلام النبي الله عليه وسلم فهو من هذا الباب لوجهين أحدهما أن فيه السؤال لله بحق السائلين عليه، وبحق الماشين في طاعته، وحق السائلين أن يجيبهم، وحق الماشين أن يثيبهم، وهذا حق أحقه على نفسه سبحانه وتفضل به، وليس للمخلوق أن يوجب على الخالق شيئاء ومنه قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن) . وفي الصحيح من حديث معاذ « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحقهم عليه ان فعلوا ذلك أن لا يعذبهم » فحق السائلين ، والعابدين له هو الاثابة والاجابة فذلك سؤال له في أفعاله كالاستعاذة وقوله « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك » فالاستعاذة بالمعافاة التي هي فعله كالسؤال باثابته التي هي فعله . وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقول « ياعبدي انما هي اربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقي » فالتي هي لي تعبدني لا تشرك بي شيئا والتي هي لك اجزيك به أحوج ما تكون اليه . والتى بيني وبينك — منك الدعاء وعلي الاجابة ، والتي بينك وبين خلقي فأت الى الناس ما تحب أن يأتوه اليك » وتقسيمه في الحديث الى قوله واحدة لي وواحدة لك هو مثل تقسيمه في حديث الفاتحة بحيث يقول الله

(١) بل قال في مجمع الزوائد ان اسناده مسلسل بالضعفاء — لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده

فلم يكن للامام حينئذ الا طريقان : اما أن يسلم نفسه واهله الى هؤلاء الطغاة ، واما ان يستشهد بطلا مغوارا ، والشريعة لم تجبر أحدا على أن لا يدافع عن نفسه ويدعها اكلة للآكلين فاختار عليه السلام الطريق الثاني بالشجاعة الهاشمية وكمال العزيمة واستشهد مظلوما !

فتأمل في هذه الحالة ، فانها غير ما كانت عند خروجه من المدينة ، فانه اذ ذاك كان مطالبا بالخلافة — اما في كربلاء فلم يكن مدعيا لها ولا محاربا لاجلها ، بل كان معصوما ، طاهرا زكيا ، وقع في مخالب الظلمة الاشقياء الذين لا يعرفون الحق ولا الانسانية ، فأبت نفسه الابية ان تخضع لهم وتذل امامهم ، فقام وجها لوجه يدافع عن شرفه وناموسه فقتل ظلماً وعدوانا وبغير حق — ومن العجيب ان الناس من قرون يخطئون في فهم هذه الواقعة ، مع انها واضحة — ومن اراد التوسع فمليه «بمنهاج السنة» ج٢ لشيخ الاسلام ابن تيمية —

فصل

شرط القرشية

قد علمت مما مر أن الخليفة اذا انتخب فله شروط ، وقد ظل العلماء الى زمن طويل يحسبون منها القرشية أيضا ، أي إن الخليفة مع سائر الشروط يجب أن يكون قرشياً ، والا لا تصح خلافته — هذا في صورة الانتخاب أما اذا استولى عليها مستول ، فلا ينظر فيه الى شرط ما الا الاسلام وانعقاد حكومته — ولا خلاف في أنه لم توجد بعد الخلافة الراشدة خلافة جامعة لسائر الشروط ، فخلافة بني أمية وبني العباس ان كانت قرشية ، فقد كانت فاقدة لشروط أخرى كثيرة ، سيما الشرط الاساسي لها ، وهو أن تكون بانتخاب الامة ، لا بالسيف والدم — وهذا الشرط لم يوجد في أي خلافة ، بعد الخلافة الراشدة[1] — ثم بعد هذا الشرط يشترط أن يكون الخليفة عادلا ، غير مستبد يحكم برأيه ، بالشورى ويسير على كتاب الله وسنة رسول الله وسنة

(١) هذا مبالغة والواقع ان بدء خلافتهما كان بالقوة لا خلافة كل فرد منهما

فالحالة التي كانت عند خروجه من المدينة أن حكومة يزيد لم تكن تمكنت بعد ، ولم تتم بيعته بالخلافة في المراكز الاسلامية المهمة والعواصم والقصبات، ولا اجتمع عليه أهل الحل والعقد من المسلمين ، لان صوت أهل المدينة كان من الاول أقوى الاصوات في مسئلة الخلافة لكونهم كانوا في العاصمة الاسلامية وفيهم أهل الحل العقد — ثم لما انتقلت العاصمة في زمن علي عليه السلام الى الكوفة ، أصبح للكوفة شأن عظيم في السياسة ، فلما خرج الامام كانت المدينة غير متفقة على يزيد ؛ أما الكوفة فجميع أهلها كانوا ضده ، وكانوا يلحون على الامام أن يقوم للخلافة ويأخذ بيعتهم عليها ، فالحسين عليه السلام لا حرص على الخلافة ولا خرج على الامام ، بل قام في الحين الذي توفي خليفة المسلمين فيه وخلا محله ، ولم يتمكن أحد في مقامه تمام التمكن ، مجيبا لطلب الجم الغفير من المسلمين الذين كانوا في المراكز المهمة — مثل أهل الكوفة والعراق — ولا ريب أنه كان يراعي في قيامه مصلحة كبيرة أخرى أيضا وهي صون الامة من مثل يزيد وخلافته —

وان قيل: إن معاوية كان عهد بالولاية اليه فما كان يجوز للامام أن يخرج عليه ، فجوابه ان الشريعة لا تعتبر عهد الاب الى ابنه بالخلافة شيئا — ولذلك لما ألح معاوية على عبد الله بن عمر (رض) بأن يبايع يزيد ، قال « لا أبايع لاميرين » (رواه ابن حبان ونقله في الفتح)

وان سلمنا جدلا أن هذا العهد معتبر وصحيح ، فلا يعتد به مالم تتمكن الحكومة ، اذ الشرط الجوهري للخلافة كما علمت انعقاد الحكومة فمن انعقدت حكومته، فقد صحت خلافته والا فلا —

فهذه الحالة كانت عند خروجه من المدينة ؛ ولكن تغيرت عند وصوله الكوفة ، لان أهلها بايعوا يزيد على يد ابن زياد ، وقلبوا للامام ظهر المجن ، كما فعلوا مع أبيه من قبل — فلما رأى عليه السلام أن الناس دخلوا في طاعة يزيد وتمكنت حكومته، أقلع عن المطالبة بالخلافة وعزم على أن يعود الى المدينة — الا أن ابن سعد وجيشه لم يسمح له بذلك بل حاصره وحاول أسره وأهله وحرمه — فقال لهم الامام خلوا سبيلي لاذهب الى دمشق فاخاطب يزيد في شأني — ولكن الظالمين أبوا الا اسره —

فما دام هذا النواوي الذي هو من اكبر أنصار القرشية يقول بنص هذا الحديث: إن امارة العبد مهما كان دنيء النسب ، خسيس الحال — صحيحة في صورة الاستيلاء والغلبة ، فكيف يعترض على الخليفة العثماني القائم المتمكن بكونه ليس من قريش ؟ ان سلمنا أن القرشية شرط ضروري للخلافة(١)

والحقيقة أن البحث في شروط الخلافة لا علاقة له بالمسئلة التى نحن بصددها ، الا أننا لا نرى بأسا في أن نتكلم على شرط القرشية ، اذ هو مزلة لاقدام كثير من الناس

(١) لا شك في ان صديقنا مؤلف هذه الرسالة لا غرض له من تاليفها الا تاييد الخليفة العثماني التركي واثبات صحة خلافته ووجوب طاعته شرعا . وهذا الغرض لم يوضع موضع خلاف جديد لاجل القرشية فيحتاج في تأييده الى التحريف والايهام الذي ارتكبه في نقل نصوص العلماء والتصرف فيها وهو غافل عن الحقائق الواقعة في هذا العصر وأهمها ان الخليفة العثماني في حكم الاسير المحجور عليه من سلطة أجنبية غير اسلامية وان القوة المتغلبة في الامة التركية خصم له وانما يمثلها مصطفى كمال باشا فهو الذي تجب طاعته اذا أمر أو نهى بحسب القاعدة التي ذكرها ، وان لم يتحل بلقب الخلافة ، وهذا اللقب ليس بواجب شرعا . وبمقتضى هذه القاعدة يجب طاعة كل متغلب بالقوة أينما كان ومهما يكن لقبه وان تعدد ، وعليه الحكومات الاسلامية في الشرق كالفرس والافغان ، وفي الجنوب كاليمن ونجد ، وفي الغرب كمصر ومراكش . فالخليفة العثماني غير متغلب عليها ولا أمر له فيها ولا نهي فيطاع ، أو يعصى سواء منها ماسيطرت عليه دولة أجنبية وما لا سيطرة عليه لاحد والمعترف بهذه الخلافة وغيره . والعمل بهذه القاعدة هو الذي أضاع الخلافة الصحيحة المستوفاة الشروط . اذ وجد في كل عصر من يؤيد كل متغلب مهما تكن حاله . وجعلوا الضرورة العارضة أمرا شرعيا ثابتا . والذنب الاكبر في هذه السنة السيئة على معاوية الذي سنها ، فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة . على أن أكثر خلفاء بني أمية وبني عباس كانوا قائمين باهم واجبات الخلافة من نشر الاسلام وحماية دعوته والجهاد في سبيلها واقامة الحدود والحكم بالشرع في كل شيء وانما كان أكثر ظلمهم في التصرف في أموال الامة وفي التنكيل بمن يتصدون لنزع السلطة منهم ، وأقله في أمور اجتهادية أخطأوا فيها كحمل الناس على القول بخلق القرآن

واذا مارى المؤلف في الاجماع على شرط القرشية فهل يماري في الاجماع على =

الخلفاء الراشدين ، ومعلوم أنه لم يكن أحد من الخلفاء هكذا غير عمر بن عبد العزيز(رض)[1] وقد استولى الاعاجم على الحكومة بعد العباسيين، ثم انتقلت الخلافة من العباسيين الذين كانوا بمصر الى الترك والعثمانيين ، فهي فيهم من ذلك الحين الي الآن بلا نزاع ، وقد اجمعت الامة الاسلامية على طاعة هذه الخلافة العثمانية[2] وتحسب السلاطين العثمانيين خلفاء من قرون عديدة ، فان كان خلفاء بني أمية وبني العباس فاقدين لخمسة شروط مثلا ، فنفرض الخلفاء العثمانيين فاقدين لسبعة شروط ، فاذا لم يضر بالاولين فقدان هذه الشروط ، فكيف يضر بالآخرين ؟ فان كان العثمانيون ليسوا من العرب ولا قريش ، فلا يقدح به في خلافتهم لان المسئلة هنا ليست مسئلة انتخاب الخليفة حتى ينظر في شروطه ، وانما الذي يهم في هذه الصورة هو أن يقوم قائم بالخلافة والحكومة الاسلامية ، لئلا يضطرب أمر الامة ، ويصبح فوضى ، فلهذا لا أهمية لشروط الخلافة ههنا وجدت أو لم توجد

ومن شروط الخلافة المتفق عليها الحرية ، أي يجب في الخليفة أن يكون حرا لا عبدا ، ولكن العبد اذا تغلب بشوكته وقوته وقامت حكومته ، فلا خلاف في أن طاعته واجبة ، ولا يوجد مثال في تاريخ الامم بأسرها الا في الامة الاسلامية ، أن العبيد صاروا فيها أئمة وملوكا وقوادا ، وخضع لهم المسلمون من العرب والعجم بلا عذر ولا انكار — والاحاديث النبوية أكبر شاهد على ذلك — فقال النبي (ص) « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة» وفي رواية مسلم عن أبي ذر «وان كان عبدا مجدع الاطراف» وفي رواية ابن حصين « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا وأطيعوا له » والنواوي يقول في شرحه والمراد أخس العبيد اسمع وأطع وان كان دنيء النسب ، حتى لو كان عبدا أسود مقطوع الاطراف ، فطاعته واجبة ، ويتصور امارة العبد اذا ولاه بعض الائمة ، أو تغلب على البلاد بشوكته وأتباعه . ولا يجوز ابتداء عقد الولاية له مع الاختيار ، بل شرطها الحرية (ج ٢ : ١٢٥) وفي فتح الباري « لو تغلب حقيقة بطريق الشوكة فان طاعته تجب اخماداً للفتنة » (١٣ : ١٠٩)

« ١ » هذا الحصر غير صحيح على اطلاقه « ٢ » دعوى الاجماع ممنوعة

صحف هذه المدينة ، فتصل الى أحرار جميع الشعوب الاوربية الكريمة ، فتكون حجة لمحكمة الامم اذا أرادت أن تحكم بالحق ، فيما اختلف فيه الغرب مع الشرق ، وذلك يتوقف على سماع أقوال الخصمين ، والنظر في مستندات الفريقين ، وحجة عليها اذا هي حكمت للقوي القاهر ، بمجرد دعواه على المقهور العاجز ، يشهد بها عليها أولئك الاحرار العدول ، ويسجلها عليها التاريخ الصحيح ، حين ترى عاقبة هذا الحكم وتؤاخذ بسوء مغبته ، يوم تعود الحرب جذعة (١) بهذه السياسة الخدعة ، الخبأة الطلعة (٢) التي يسلك أخراتها (٣) ومضايقها المغرورون بقوتهم ، المسرفون في مطامعهم ، المتلذذون بعظمة استرقاق الشعوب ، المتنعمون بما يسلبون فيها من الخزائن والجيوب ، بل نرجو من هؤلاء الاحرار المنصفين ، أن يجاهدوا هؤلاء الساسة الماكرين ، ويؤلبوا عليهم هذه الشعوب التي أرهقوها بالجندية ، وفوادح الضرائب المالية ، فيتعاون العلماء والكتاب ، والصناع والزراع ، على قلب سياسة المطامع ، المعززة بالبنادق والمدافع ، المفضية الى حرب بعد حرب ، لا تنتهي الا بخراب الارض ، واهلاك الحرث والنسل .

أصيخوا أصيخوا أيها الاحرار الى ما يلقيه عليكم شرقي خبير بشؤون الشرق ، وما يجب أن يتبدل من علاقته بالغرب ، بما أحدثت هذه الحرب من الانقلاب الاجتماعي فيه ، وأنتم أنتم الذي يمكنكم بهذا الانقلاب أن تكفروا سيئات هذه الحرب وفظائعها عن مدنيتكم وشرف شعوبكم ، وتأخذوا على أيدي دهاة سياسة الطمع والكبرياء أن يرهقوكم ويرهقوا العالم كله بحرب شر منها ، اذا ظلوا متحكمين في أموالكم ، وجنودكم وعمالكم ، وظللتم مخدوعين بفصاحة خطبهم الخلابة ، ومستعذبين لحلاوة أمانيهم الجذابة .

(١) الجذعة بالتحريك الشابة الفتية وهي مؤنث الجذع واصل استعماله في بهيمة الانعام (٢) الخدعة الكثير الخداع والخبأة الكثيرة الاختباء والاستتار والطلعة الكثيرة الطلوع فهذه صيغ مبالغة معروفة وهي بضم ففتح (كهمزة لمزة) ويستوي فيها المذكر والمؤنث والجمع بين الضدين الخبأة والطلعة انما يكون بالتعاقب والتناوب أي انها تختبىء تارة وتظهر أخرى كسلاحف البحر فالاختباء من الخوف والطلوع لاجل الاستطلاع (٣) الاخرات المضايق وأحدها خرت فهي كقفل واقفال

الرحلة الاوربية

(٧)

بينت في الفصل السابق انه كان مما أرجو أن أخدم به أمتنا و بلادنا الشرقية في أوربة ابلاغ من ألقى من أحرار الاوربيين حقيقة حال الشرق ، وموقفه اليوم أمام الغرب ، والاستعانة بهم على اصلاح ذات البين، وانه جرى لى أحاديث مع بعض من لقيت منهم ذكرت بعضها،وكنت قبل ذلك كتبت مقالة في الموضوع أردت أن تكون بلاغا عاما لهم فلم يتيسر لي نشرها فاني لما كلفت صاحبنا الشيخ علي الغاياتي ترجمتها قرأها واعادها الي قائلا: إنه لا يوجد جريدة في جنيف تقبل ان تنشرها ، لشدة حكمها على انكلترة وفرنسة وهذا نصها

﴿ نداء الشرق لاحرار الغرب ﴾

هذه صيحة حق، من جانب الشرق ، يتموج بها الهواء في بهرة الغرب [١] مدينة جنيف الحرة ، التي هي كالمنار في هذه البهرة ، حيث جمعية الامم، ومثابة [٢] كل شعب مظلوم يشكو ممن ظلم ، فعسى أن تخترق مسامع أعضاء هـذه الجمعية ، فتنفذ الى عقول حكيمة ، وقلوب رحيمة ، وعسى أن تردد صداه

= الحرية؟ وهل يجهل أن المتغلبين «حكمهم حكم البغاة وقطاع الطرق فلا يعتد بهم» كما صرح به الحافظ ابن حجر في شرح حديث ابن عمر « لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان » من شرحه للبخاري؟ انه لا يجهل ذلك

وانا ندعو كل مسلم يستطيع أن ينصر الترك على أعدائهم المعتدين على ملكهم أو يساعدهم عليهم ولو بالمال أن يفعل لانهم مسلمون معتدى عليهم واذلائهم اذلال للاسلام، لا لاجل وجود الخليفة فيهم، والا فان هذا الخليفة حكم بفتوى من شيخ الاسلام عنده بان الكماليين خارجون عليه يجب قتالهم فانكر السواد الاعظم من المسلمين عليه ذلك وكان عطفهم على الكماليين عاما ومساعدتهم لهم بالمال ترد من كل قطر. وقد كان لانتصارهم على اليونان من السرور والابتهاج في الشرق والغرب مالم يسبق لمثله نظير ولو اطاعوا هذا الخليفة كما يوجب عليهم المؤلف لاستأصلوا الكماليين. ذلك بان قاعدة السياسة العامة، هي ترجيح المصلحة العامة، ولا يحتاج فيها الى الخروج عن الاحكام الشرعية الاجماعية أو القريبة من الاجماعية بقوة أدلتها، وضعف الخلاف فيها ،

(١) البهرة بوزن الغرفة الوسط والمراد انها أوسط أوربة (٢) المثابة مجتمع الناس الذين يختلفون اليه بدءا وعودا وهو من ثاب يثوب بمعنى عاد ورجع

أسباب جديدة أحدثتها الحرب ثم معاهدات الصلح ، وهذه الاسباب نوعان: يقظة الشرق، وتأريث الحقد والانتقام بين امم الغرب

ما تعلمه الشرق من الحرب والصلح

أيها الاحرار — اعلموا أن حرب المدنية المادية الاوربية وهدنتها ، ومعاهدات الصلح ونتائجها ، قد علمت عوام شعوب الشرق ما لم يكن يعلمه الا بعض خواصهم من سوء مقاصد الدول المستعمرة ، حتى ساء الاعتقاد بالامم الاوربيـة أنفسها ، فهدمت في خمس سنين ما بنى في العقول والقلوب من فضل هذه المدنية وعظمة أهلها في مدة قرن كامل — وعلمتها وجوب الاتحاد والتعاون بينهـا على اختلاف أديانها ، ومذاهبها وأجناسها ، على دفع عادية المستعمرين ، القساة المتكبرين الظالمين المرائين — علمتها الاقتداء بهم في بذل النفس والنفيس، وعدم المبالاة بالموت في سبيل الحرية والاستقلال — علمتها أنهم لا يعرفون للحق ولا للعدل ولا للفضيلة ولا للانسانية معنى، وان الشرف والمجد استبداد القوي بالضعيف واستعباده وتسخيره لعظمته وشهواته، -علمتها أنهم كذابون مراؤن أفاكون ، يسمون الاشياء بأسماء أضدادها ، يحسنون بذلك سيئاتهم ويقبحون حسنات غيرهم .

كان الشرقي اذا أراد أن يؤكد صدق قوله أو الوفاء بوعده يقول : «كلمة افرنجية ، أو انكليزية » وقد صاروا يطلقون هذا الوصف النسبي على ضد ما كانوا يطلقونه عليه تعميما وتخصيصا ، ويعتقدون بحق ان الترك أصدق وابر واعدل وارحم من الافرنج عامة، ومن الانكليز والفرنسيس خاصة ، وكيف لا وقد وعدهم هؤلاء بالتحرير والاستقلال وعودا عامة وخاصة بما امطرت شركاتهم البرقية وجرائدهم الخافقين (الغرب والشرق) من وصف مبادئهم ومقاصدهم من الحرب، وبما كانت طياراتهم تلقيه في البلاد العربية من المنشورات والجرائد العربية الشارحة لهذه الوعود الموجزة ، والمفصلة لمقاصد تلك المباديء المجملة ، واهم تلك المنشورات ماكان باسم امير مكة بالامس وملكها اليوم ، والامير فيصل احد قواد الحلفاء بالامس وملك العراق من قبل بريطانيـة اليوم ، وجريدة القبلة التي انشأتها حكومة الحجاز بعد الثورة العربية ، وجريدة الكوكب التي كانت تصدرها السلطة البريطانية بمصر . فكان هذا وذاك وعودا وعهودا رسمية

أيها الاحرار المتفكرون إنه ليقل فيكم من كان له علم أو المام بدخائل هذه السياسة الافاكة (١) المرائية ، أو سبر لغور مكرها وتلبيسها ، وقد كنتم معذورين في الزمن الماضي بتصديقهم في زعمهم أن الاستعداد للحرب، هو الذي يمنع الحرب، وأن التنافس في الاستعمار الذي هو علة عللها ليس الامسابقة في خدمة الانسانية ، بتحضير الشعوب الهمجية ، ومباراة في العمران الذي يرفه معيشتكم ومعيشة هذه الشعوب جميعا، ليعم العلم والعمران ، ويعيش البشر كلهم في رغد السلام

أما الآن فلم يبق لكم عذر اذا استمررتم مخدوعين بخلابتهم ، مستسلمين لكيدهم، فقد فضحتهم هذه الحرب شر فضيحة، وكذبت دعواهم أن الاستعداد للحرب أنفى للحرب ، ورأيتم كيف كان التزاحم على الاستعمار والتنافس في حب السيادة سببا للمباراة في الاستعداد لها ، وكيف كان هذا الاستعداد مضرما لنارها، وسببا لازهاق أرواح الملايين من البشر ، ولخراب ماعمروه في العشرات بل المئات من السنين، ولضياع ماربح المستعمرون بظلم الشعوب المستعبدة من الاموال ، ثم لتشويه مدنية هذا العصر وسوء سمعتها

ألا إن تبعة هذه المصائب يجب أن تلقى على أكتاد (٢) رجال هذه السياسة السوءى، وان لم يثبت على أحدمنهم بعينه إلقاء جذوة النار الاولى ، فانني على رأي الفيلسوف الاجتماعي (موسيو غوستاف لوبون) في تبرئة كل دولة من دولها، وكل رجل من هذه الدول ملوكها ووزرائها ، من تعمد بدء الحرب حتى المانية وعاهلها ، وروسية وقيصرها ، وفي أن سببها الحق مجموع أعمالهم السياسية التي كانت كنقط ماء تقع في كأس لم تلبث ان طفحت ففاضت كما قال ، أو كتجميع القوى الضاغطة يوجب الانفجار ، أو كوضع البارود بجوار النار، لايؤمن عليه الاحتراق، فاذا لم تؤاخذوا هؤلاء الساسة بما جنته سياستهم على البشر لعذركم إياهم بخطأ الاجتهاد، فلماذا تقرونهم على الاصرار على هذا الخطأ والاستمرار على هذه السياسة، وأنتم تعلمون أن المعلولات تتكرر بتكرار عللها، والمسببات تدوم بدوام أسبابها ؟ فكيف وقد تجدد لهذه المصائب والدواهي

---

(١) الافاكة بالتشديد صيغة مبالغة من الافك وهو صرف الشيء عن وجهه الحق بالكذب أو التلبيس والتمويه، أو المغالطة والتاويل (٢) الكتد ما بين الكتفين

والخداع ، الاولى منهما الشطر الشرقي من افريقية ، والثانية الشطر الغربي من آسية ، ويدخل في هذه السيادة جميع المعاهد المقدسة للاديان السماوية ،كما ان لها السيادة في الهند والتبت على اقدم معاهد الديانات الوثنية

إنما يرتاب من اشرنا اليهم من الناس في علم من وصفنا من أعضاء جمعية الامم — وهم الاكثرون — بما ذكرنا من كيد ساسة الدول الظافرة لها ومكرهم بها، لانهم يظنون أن الجمعية بجملتها راضية بنظامها ،ملقية بقيادها الى مجلسها، كما تنقاد الرعية الجاهلة الى ملكها المستبد بها؛ ذلك المجلس الذي يفصل باسمها في أعظم المسائل تبعة واسوإها عاقبة كمسألة الوصايات الانتدابية، افيصدقون انها مساعدة ، وهم يرون ما بينهم من المساومة والمنازعة ، والمصارعة والمقارعة [1] ويقرءون بعض ما تجود به برقياتهم وصحفهم من أنباء المظاهرات والثورات على سلطتهم العسكرية القاسية ،في البلاد المرزوءة بالوصاية بدعوى العطف عليها والرحمة بها ،ومساعدتها على النهوض بأعباء حريتها واستقلالها ، وما يعترفون به أحيانا من مقاومة ذلك بتدمير القرى والمزارع ، بأكساف الطيارات وقذائف المدافع ، التي تقتل العجزة والنساء والاطفال ،وقلما تصيب المتظاهرين أو الثائرين من الرجال ، وبفرض الغرامات الثقيلة على أهلها الوادعين الساكنين، وغير ذلك من ضروب القهر والاستعباد الذي شرحه تقرير المؤتمر السوري الفلسطيني وما ألحق به

قواعد السلم بين الشرق والغرب

اني بعد بيان هذه الحقائق ألخص لجمعية الامم ولجميع أحرار الشعوب الاوربية آراء شعوب الشرق ، وآمالهم في أحرار شعوب الغرب، وهي : —

(١) إن زعماء شعوب الشرق من علماء الحقوق والشرائع والخطباء والكتاب والضباط الذين هم قادة الافكار وجنودهم من النابتة الجديدة المتعلمة قد أجمعوا على أن يكونوا أحرارا في بلادهم، مستقلين بأمر حكوماتهم ، لا سيد عليهم من سوى أنفسهم ، بل لا سيد الا شرائع البلاد وقوانينها ، والمساواة في العدل بين المقيمين فيها ، سواء كانوا من أهلها أو من المهاجرين اليها .

(١) للمقارعة معنيان : ضرب كل للآخر وضرب القرعة بينهما على ما يختلفان له في قسمته

من الحلفاء تصدر من لدن ملوكهم وقوادهم، وتنشرها برد هم العسكرية وطياراتهم، فلا يمكن ان تكون من غيرهم .

ثم كانت عاقبتها احتلالا عسكريا قاهراً في سورية والعراق، معززا بجميع آلات الحرب الحديثة مع بيع وطن فلسطين العربي لليهود، واستعباداً واستذلالا للعرب من قبل المحررين المنقذين لهم ، المنتدبين باسم جمعية الامم لمساعدتهم على النهوض بأمر استقلالهم، بعد ما اصابهم ما اصابهم من نوائب الحرب ، ولكن هذه المساعدة اضطرت هؤلاء الاصدقاء المخدوعين الى ثورات ومقاومات دمرت مئات من المزارع والقرى، وقتلت عشرات الالوف في العراق وسورية

جهل جمعية الامم بمكر الحلفاء بها

ايها الاحرار المنصفون : اننا نعلم انه لا يعزب عن علمكم ان التنافس في القوة المادية ، والتزاحم على المطامع الاستعمارية ، هما اللذان اوقدا نار الحرب العامة ، وان معاهدات الصلح السوءى في فرسايل وسان ريمو وسيفر هي التي نقضت تلك المبادىء وجعلت الظفر فتحا وانتقاما واستعمارا سيعيد الحرب جذعة ، ولكن الذي يرتاب فيه كثير من الناس في الشرق والغرب هو علم محبي الحق والعدل من اعضاء جمعية الامم الذين ليس لدولهم هوى ولا لافرادهم ضلع مع احد من الدول الظافرة القاهرة، بما يكيد لهم دهاة ساسة هذه الدول بمجلس الجمعية وما يلقون على عواتقهم من التبعة الثقيلة تجاه العالم الانساني: تبعة حكم جمعية الامم لهم وإقرارها إياهم على قهرهم للشعوب المغلوبة في الغرب واستخدامهم اياها لمنافعهم باسم التعويضات، وعلى استعباد شعوب الشرق كلها باسم الانتداب، هذا الاسم الذي ابتدعوه ليكون مخرجا لهم من تلك الوعود والعهود، ودعوى ان الحرب كانت بين مبدأين (المبدا الجرماني الذي يبغي الاستعلاء على الامم بالقوة، ومبدا الحلفاء الذين يبغون حرية الامم) وعلى جعل بناء السلم العام الدائم قائما على اختصاص هؤلاء القاهرين الجائرين بالقوى الحربية ، بأنواعها البرية والبحرية والجوية ليدوم لهم القهر والاستعباد للمحرومين منها ، والعاجزين عنها ، او يكفل لذات القوة الكبرى، ان يدوم لها الرجحان والكلمة العليا، الا وهي بريطانية العظمى، التي شرعت في تأسيس امبراطوريتين جديدتين كانت تحلم بهما من عهد بعيد ، فجعلت حرب المبدأين وسيلة لتأسيسهما بقوة الجند والسلاح ، وقوة الكيد

الانقلاب التركي الجديد

وثائق تاريخية

إسقاط الدولة العثمانية ، وتأسيس دولة تركية ، وجعل سلطة الخلافة العثمانية روحية ، بحرمان الخليفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية ، عملا بقاعدة الدمقراطية الاوربية

بينا كان صديقنا الزعيم الهندي الكبير (مولانا أبو الكلام) يجهد قريحته في استنباط الدلائل لاقناع العالم الاسلامي بوجوب طاعة الخليفة العثماني السلطان محمد وحيد الدين والخضوع لخلافته وإن أساء وظلم وفعل ما فعل ما لم يكن كفرا بواحا ، وارتدادا عن الاسلام صراحا ، — كان هذا الخليفة يستفتي شيخ الاسلام في دولته في اعتبار حماة الدولة من أبطال الاناضول الكماليين بغاة خارجين على الامام (الخليفة) يجب قتالهم شرعا ، ويعد المقاتل لهم بأمر الخليفة غازيا مأجورا ، والمقتول بأيديهم شهيدا مغفورا ، وكان هؤلاء الكماليون قد ألفوا حكومة تركية محضة ، لها السلطان كله على الامة باسم الامة ، ولا سلطان عليها لملك ولا خليفة ، وما يتبع ذلك من ثل عرش آل عثمان ،

وضع هؤلاء الغزاة المستبسلون ميثاقا وطنيا لانقاذ بلادهم من السلطة الاجنبية التي فرضتها عليهم معاهدة الصلح مع الحلفاء وقبلها السلطان وحيد الدين وحكومته — ثم وضعوا لحكومتهم الوطنية قانونا أساسياً نسخوا به قانون حكومة آل عثمان وأسقطوا دولتهم . واننا ننشر الآن هذا الميثاق وهذا القانون مترجمين بالعربية . ونقفي عليهما بنشر ترجمة الخط السلطاني بتأليف وزارة الداماد فريد باشا المتضمن لأمره بقتال الكماليين وترجمة فتاوي شيخ الاسلام بذلك ، و بلوغ الصدارة العظمى في تنفيذ أمر الخليفة المؤيد بهذه الفتاوي — ونجعل هذا أصلا وتمهيدا لبيان ما ترتب عليه من الانقلاب بالفعل

(٢) يرى هؤلاء الزعماء أن التعاون الانساني بين الشرق والغرب يجب أن ينحصر في استعانة الشرقيين بأهل الفنون الغربية على عمران بلادهم واستخراج كنوز الثروة منها باصلاح الري وترقية الزراعة واستخراج المعادن وزيت البترول وغيره وبما يتوسل به الى ذلك من العلوم والفنون ، وللغربيين في مقابلة ذلك ما يأخذه هؤلاء الفنيون من الاجور العظيمة ، وما يجلبون من الاغذية لبلادهم ، و المواد الاولية لمعاملهم ، وما يربحون من بيع مصنوعاتهم الكثيرة ، وبهذا دون غيره تكمل الروابط الانسانية بين الامم والشعوب ، ويعم العمران ويستغني عن سفك الدماء ، وتأريث العداوة والبغضاء . بل يحل محلهما الحب والاخاء

(٣) اذا وجد في أحرار الغرب من يساعد زعماء الشرق على هذا الاصلاح الانساني الذي هو أقوى ذرائع السلام في الارض، فأول ما يجب أن يبدؤا به إقناع دولتي انكلترة وفرنسة بتعديل معاهدات الصلح المتعلقة بالشرق بالحق والعدل او نسخها بخير منها، واستقلال الاقوام التي لا يمكن أن ترضى بأن يكون السلطان في بلادها لاجنبي عنها، كعرب الجزيرة والسوريين والعراقيين والمصريين والترك، والفرس والافغانيين ، بأن ترفع الاحتلال العسكري من مصر وفلسطين وسورية ولبنان والعراق وتترك لاهل هذه البلاد الحرية التامة في شكل حكوماتها، برأي مجالس نيابية منتخبة من أهلها

(٤) أن تكف الحكومة البريطانية عن الدسائس التى تبثها في اليمن وسائر جزيرة العرب لايقاع الشقاق والفتن بين امرائها واغراء بعضهم ببعض ومخادعتهم بعقد اتفاقات بينها وبينهم تتوسل بها الى العبث باستقلالهم عند سنوح الفرص

(٥) اذا أعرض أحرار أوربة عن هذه الدعوة ، أو عجزوا عن إصلاح ذات بين الشرق والغرب ، ورأى زعماء الشعوب الشرقية ان جمعية الامم رضيت لنفسها بأن تكون شر آلة وجدت في الارض ، لهدم قواعد الحق والعدل، بكفالتها للقوي بالمال والسلاح كل ما يطمع فيه من الاضعف – فستكون عاقبة ذلك خراب أوربة بحرب أخرى، أو بلشفية أضر من البلشفية الروسية وأضرى ، واتحاد جميع شعوب الشرق ، على الانتقام من جميع امم الغرب ، (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)

ومقابل ذلك يجب أن تتمتع الاقليات الاسلامية النازلة في الممالك المجاورة بنفس هذا الضمان لحقوقها،

المادة السادسة — ان الموقعين على هذا يعتبرون الاستقلال التام والحرية المطلقة شرطاً لابد منه لحياتهم الوطنية، ولترقية بلادهم الاقتصادية والقومية ولتأسيس حكومة الدولة وادارتها على أساس ثابت جديد

ولهذه الاسباب صحت عزيمة موقعي هذا الميثاق على مقاومة كل قيد تشريعي أو مالي من شأنه الحيلولة دون الارتقاء القومي

ويجب على كل حال أن تكون شروط القيام بما سيفرض على تركيا من الواجبات غير مخالفة للقواعد المقررة في هذا الميثاق

الآستانة في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠

القانون الاساسي

للدولة التركية الجديدة — أو قانون التشكيلات الاساسية

المواد الاساسية

المادة ١ ـ السيادة للشعب، بلا قيد ولاشرط، وأصول الادارة مستندة الي قيام الشعب بالذات وبالفعل بادارة شئونه

المادة ٢ ـ تجتمع القوة التنفيذية، والقوة التشريعية في الجمعية الوطنية الكبرى التي تمثل الشعب وحدها تمثيلا حقيقيا

المادة ٣ ـ تقوم الجمعية الوطنية الكبرى بادارة الدولة التركية وتدعى حكومتها « حكومة الجمعية الوطنية الكبرى »

المادة ٤ ـ تتألف الجمعية الوطنية الكبرى من أعضاء ينتخبهم اهل الولايات

المادة ٥ ـ تنتخب الجمعية الوطنية الكبرى مرة كل عامين. والمدة الانتخابية لكل عضو هي عامان . ويجوز أن ينتخب العضو كرة اخرى . وتستمر الجمعية في عقد اجتماعاتها الى حين انتخاب الجمعية التي تخلفها . فاذا تعذر الانتخاب مد أجل الجمعية سنة اخرى . وكل عضو من أعضاء الجمعية ينوب عن الشعب جميعه لاعن الاهالي الذين انتخبوه فقط،

ترجمة الميثاق القومي التركي بالعربية

وهو الذي تأسست الحكومة الكمالية في الاناضول لاجل تنفيذه

المادة الاولى — ان الاقطار العثمانية التي أكثر سكانها من العرب والتي تحتلها جيوش الاعداء منذ عقد الهدنة في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٨ يجب أن يقرر مصيرها طبقاً لارادة أهليها على أن يمكنوا من الاعراب عن ارادتهم بملء الحرية.

وأما الاقطار العثمانية الواقعة أمام خط الهدنة ووراءه التي اكثر سكانها من المسلمين العثمانيين الذين تجمعهم وحدة الدين والمذهب والغاية الوطنية فهي حريصة على حقوقها القومية ، ومزاياها الاجتماعية، فلا تقبل التجزئة والتقسيم على أي حال ولا بأي شرط

المادة الثانية — ان ألوية قارص واردهان وباطوم التي أثبت أهلوها منذ تحريرهم بصورة علنية صريحة ارادتهم الرجوع الى حمى أمهم تركية ، فلايرى الموقعون على هذا الميثاق بأسا بأخذرأي سكانها مرة أخرى في مصيرها بتمام الحرية

المادة الثالثة — ان النظام القانوني لتراقية الغربية الذي كان تقريره معلقا على عقد الصلح مع تركيا يجب أن يؤسس طبقا لارادة الاهالي على أن يعربوا عنها بحرية تامة

المادة الرابعة — تكون سلامة الآستانة — عاصمة الدولة ومقر الخلافة — وبحر مرمرة — مصونة كل الصيانة وفي مأمن من كل اعتداء :

اذا قبل هذا المبدأ فان الموقعين على هذا مستعدون لقبول أي قرار يؤخذ باتفاق الرأي بين الحكومة السلطانية والدول صاحبات الشأن لضمان حرية المضايق للتجارة العالمية والمواصلات الدولية .

المادة الخامسة — ان الموقعين على هذا الميثاق يقبلون القواعد الخاصة بحقوق الاقليات التابعة للبلاد الاجنبية كما تقررت في المعاهدات الخاصة المعقودة بين دول الحلفاء وبين أعدائهم وبعض الدول المشتركة معهم

الولايات . ومدة اجتماع هذه المجالس عامان وتجتمع في كل عام شهرين

المادة ١٣ — ينتخب مجلس شورى الولاية من بين أعضائه رئيساً للقيام بوظيفة الاجراء (التنفيذ) مع هيئة ادارة من بين الاعضاء تنتخب لادارة شعب الادارة بحيث تكون وظيفة الاجراء في يد هذه الهيئة الدائمة

المادة ١٤ — للجمعية الوطنية الكبرى وال يمثلها في كل ولاية ، تعينه حكومة الجمعية الوطنية، ووظيفته القيام بالواجبات العامة المشتركة للدولة . ولا يتداخل الوالي (في غير ذلك) الا عند وقوع تعارض بين واجبات الدولة والواجبات المحلية

﴿ الاقضية ﴾

المادة ١٥ — القضاء جزء اداري ، ليست له شخصية معنوية . يقوم بادارته (قائمقام) معين من قبل حكومة الجمعية الوطنية الكبرى ويكون تحت أمر الوالي

﴿ الناحية ﴾

المادة ١٦ — الناحية شخصية معنوية حائزة لاستقلال ذاتي في حياتها الخاصة

المادة ١٧ — لكل ناحية مجلس شورى وهيئة ادارة ومدير

المادة ١٨ — مجلس شورى الناحية ينتخبه اهل الناحية مباشرة

المادة ١٩ — ينتخب مجلس شورى الناحية هيئة ادارتها ومديرها

المادة ٢٠ — لمجلس شورى الناحية وهيئة ادارتها قوة قضائية اقتصادية ومالية تعين القوانين المخصوصة درجاتها

المادة ٢١ — تتألف الناحية من قرية أو عدة قرى

﴿ التفتيش ﴾

المادة ٢٢ ـ تعين مناطق التفتيش العام بتوحيد الولايات باعتبار علاقاتها الاقتصادية والاجتماعية

المادة ٢٣ ـ يتكفل المفتش العام بالامن العام في منطقته وتفتيش المعاملات في الدوائر وتنظيم الامور المشتركة بين الولايات التي في منطقته ويراقب المفتش العام وظائف الدولة العامة والوظائف الخاصة بالإدارات المحلية مراقبة دائمة

المادة ٦ - تجتمع الهيئة العامة للجمعية الوطنية الكبرى في أول نوفمبر من كل عام بغير دعوة

المادة ٧ - تنفيذ الاحكام الشرعية ، وسن جميع القوانين أو تعديلها أو الغاؤها ، وعقد الصلح والمعاهدات ، واعلان الدفاع الوطني، وما يشابهها من الحقوق الاساسية — خاصة بالجمعية الوطنية الكبرى. وتتخذ الاحكام الفقهية والحقوقية الموافقة لمعاملات الناس وحاجيات الزمان والآداب والمعاملات أساساً لوضع القوانين والنظم . وتعين واجبات الوزراء ومسؤلياتهم بقانون مخصوص

المادة ٨ - يقوم بادارة دوائر الحكومة من تنتخبهم الجمعية الوطنية الكبرى لذلك وفاق القانون المخصوص . وتعين الجمعية للوزراء وجهة الادارة فيما يختص بالتنفيذ وتستبدل بهؤلاء الوزراء غيرهم عند الحاجة

المادة ٩ - الرئيس الذي تنتخبه الهيئة العامة للجمعية الوطنية الكبرى يرأس الجمعية مدة عقدها ، وللرئيس أن يضع توقيعه باسم الجمعية وأن يصدق على قرارات الوزارة ، ورئيس الجمعية هو الرئيس الطبيعي للوزارة

﴿ الادارة ﴾

المادة ١٠ - تنقسم الادارة التركية باعتبار أحوالها الجغرافية والاقتصادية الى ولايات، وتنقسم الولايات الى أقضية وتتألف الاقضية من نواح

﴿ الولاية ﴾

المادة ١١ - الولاية ذات شخصية معنوية وهي حائزة لاستقلالها الداخلي (Autonomie) في أمورها المحلية . وللمجالس الشورية في كل ولاية أن تقوم بادارة أوقافها ومعاهدها الدينية ومعارفها وصحتها واقتصادياتها وزراعتها وأشغالها والمعاونة الاجتماعية ، بموجب القوانين التي تضعها الجمعية الوطنية الكبرى. وتستثنى من ذلك السياسة الداخلية والخارجية، والامور الشرعية والعدلية والعسكرية والعلاقات الاقتصادية الدولية ، وتكاليف الحكومة العامة وما يشمل منافعه اكثر من ولاية واحدة

المادة ١٢ — يتألف مجلس شورى الولايات من أعضاء ينتخبهم أهالي

الاصلاح أصبح في حالة وخيمة بسبب الاضطرابات التي وقعت تحت اسم القومية (في الاصل الملية) وظلت التدابير الاصلاحية التي اتخذت حتى الآن لصدها عقيمة

«وقد أظهرت الوقائع الاخيرة، أنه اذا استمر معاذ الله تعالى هذا العصيان فسيكون مصدرا لاحوال وخيمة ، فلذلك نطلب انفاذ الاحكام القانونية بحق مثيري هذه الاضطرابات المعروفين والداعين اليها، واعلان العفو العام عن الذين انضموا اليها واشتركوا فيها بسائق الغفلة ، واتخاذ التدابير النهائية لاعادة الامن والانتظام وتأييده في ممالكنا الشاهانية بسرعة تامة وا كمالها ، وتوطيد ارتباط رعايانا الصادقين بمقام الخلافة والسلطنة المحقق الذي لا يتغير ، وانشاء الروابط الصميمة الاطمئنانية مع الدول المتحالفة العظمى والاهتمام بالدفاع عن منافع الدولة والامة استناداً على أساس الحق والعدل لتكون شروط الصلح معتدلة وبذل الجهد لعقد الصلح بأسرع ما يمكن ، وريثما يتم ذلك يجب التوسل بأنواع التدابير المالية والاقتصادية لتخفيف العسرة العامة بقدر الامكان . وأسأل جناب الحق أن يجعلكم مظهرا لتوفيقاته الالهية »

﴿ الوثيقة الثانية ﴾

(فتاوى شيخ الاسلام بان الكماليين بغاة يجب قتالهم)

ما قول مولانا شيخ الاسلام ومفتي الانام في بعض أشخاص شريرين اتحدوا واتفقوا في البلاد الاسلامية الواقعة تحت ولاية قطب نظام العالم خليفة المسلمين- أدام الله تعالى خلافته الى يوم القيامة- وانتخبوا رؤساء لهم وأخذوا يحتالون على الرعية الشاهانية الصادقة ويغفلونهم ويضلونهم بالتزوير، ويجمعون الجنود بلا أمر عال، ويفرضون أنواع الغرامات والضرائب خلافا للشرع الشريف، ومغايرة للامر المنيف، زاعمين في الظاهر أن ذلك لتجهيز الجيش والحقيقة أنه لمحض الرغبة في جمع المال، ويستعملون أنواع التضييق، ويأخذون أموال الناس وأشياءهم غصبا بعد تعذيبهم ، فعوّدهم ذلك ظلم عباد الله ، وجرأهم على ارتكاب الجرائم، فهجموا على بعض القرى والبلاد من الممالك المحروسة فخربوها، وجعلوا عاليها سافلها، وقتلوا عدداً من الابرياء، وسفكوا دماء طاهرة ، وعزلوا بعض الموظفين العلميين والملكيين والعسكريين المنصوبين من قبل أمير المؤمنين،

﴿ مادة منفردة ﴾

المادة المنفردة ـ هذا القانون مرعي من يوم نشره لكن الجمعية الوطنية الكبرى الحالية لاجتماعها على الدوام الى حين تحقيق غاياتها كما هو مصرح في المادة الاولى من قانون (نصاب المذاكرة) المؤرخ ٥ سبتمبر ١٩٢٠ لاتنفذ المواد الرابعة والخامسة والسادسة من هذا القانون قانون التشكيلات الاساسية الا اذا قررت الجمعية ذلك باكثرية ثلثيها بعد تحقق تلك الغايات

١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٣٩ ـ ٢٠ يناير سنة ١٩٢١

(المنار) قد علم من هذا القانون ان الترك قد أزالوا به السلطة الملكية العثمانية. والخلافة الاسلامية معا، فليس لغير الجمعية الكبرى في بلادهم أمر ولا نهي وهذه امنية لحزب (التركية الفتاة) منذ عشرات السنين سنحت الفرصة الآن لنيلها بسهولة كما سنفصله بعد

ثلاث وثائق تاريخية

في مناهضة دولة السلطنة والخلافة العثمانية للنهضة الكمالية

﴿ الوثيقة الاولى ﴾

الخط السلطاني الصادر بمنصبي الصدارة ومشيخة الاسلام وباقرار وزارة الداماد فريد باشا المتضمن للامر بالقضاء على نهضة الاناضول الوطنية

محمد وحيد الدين

« وزيري سمير المعالي فريد باشا

« بناء على استقالة سلفكم (صالح باشا) وجه مسند الصدارة الى عهدتكم لما هو مشهود من درايتكم وأهليتكم وأحليت المشيخة الاسلامية أيضا الى عهدة دري زاده عبد الله افندي وقد اقترنت باقرارنا هيئة الوكلاء الجديدة التي ألفتموها طبقا للمادة السابعة والعشرين من القانون الاساسي

« ان موقفنا السياسي الذي بدأ منذ عقد الهدنة يقترب تدريجا من

أم لا ؟ ويكون الذين يقتلهم البغاة من الجند شهداء ومن التوابين أم لا ؟ نرجو الجواب

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

وفي هذه الصورة هل يكون المسلمون الذين لا يطيعون الامر السلطاني الصادر بقتال هؤلاء البغاة آثمين ومستحقين للتعزير الشرعي أم لا؟ نرجو الجواب

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

﴿ الوثيقة الثالثة ﴾

بلاغ الصدارة لانفاذ الخط السلطاني بعقاب الترك الكماليين

« تجتاز الدولة العثمانية اليوم أزمة حرجة لاعهد لها بمثلها من قبل. فالوطن في خطر حقيقي

« لقد كان الواجب على هذه الامة أن تسلك سبيل السلامة والعقل بعد ما لاقته من عبر الحرب العظمى التي سيقت اليها بدون علمها ورضائها، والتي استنفدت أموالها ودماءها، وانجلت عن انكسارها الذي انتهى باستسلامها الى الدول حين عقد الهدنة، فتتعظ بهذه النتائج وتعود الى رشدها وصوابها

« بيد أن بعض الاشخاص الذين لم يدركوا هذه الحقيقة كما يجب قاموا بدافع الانانية والنفع الذاتي يسعون للفتنة والفساد متسترين باسم الانظمة الوطنية فأحرج ذلك موقفنا السياسي وجعله في أشد الاخطار ونكأ من جهة ثانية جروح هذا الوطن المقدس الذي أثقلته تكاليف الحرب وجرحته أنواع الجنايات وسوء الاستعمالات التي ارتكبت في سني الحرب جراحاً بالغات

« وقد انتجت بعض الحوادث المؤسفة التي وقعت اثارة الرأي العام في أوربة وأميركا علينا فكان من أثره تشديد شروط الصلح فوق شدتها واحتلال الدول العظمى للآستانة احتلالا عسكريا مؤقتاً طبق أحكام الهدنة فقام على أثر ذلك العصاة يسعون لقطع المواصلات بين الاناضول والعاصمة وان ذلك لاعظم خيانة وطنية

« ان هذه الحركة الباغية المتسترة بستار الوطنية جعلت الاناضول عرضة لاحتلال مخيف من جهة، وتكاد تورد الدولة موارد جديدة من الاخطار والمصائب. ان أعظم أعداء الامة العثمانية اليوم هؤلاء الذين يضحون الامة

ونصبوا غيرهم أناسا من رهطهم، وقطعوا وسائط المواصلات والنقل بين مقر الخلافة والممالك المحروسة، ومنعوا إنفاذ الاوامر الصادرة من جانب الدولة قاصدين بتجريدهم مقر الخلافة عن الاقطار الاخرى كسر شوكة الخلافة وتوهينها واهانة مقام الامامة المعلى بخروجهم عن طاعة الامام، ونشرهم الاراجيف والاشاعات الكاذبة للاخلال بالنظام والانتظام، والامن العام في بلاد الدولة العلية، وسوق الناس الى الفتنة والسعي بالفساد، كما هو ظاهر ومحقق، فاذا أصر الرؤساء المذكورون وأعوانهم وأتباعهم من الباغين على عنادهم وفسادهم، ولم يتفرقوا بعد الامر العالي الصادر اليهم بالتفرق فهل يجب قتلهم وقتالهم، وتخليص العباد من مضرتهم، وتطهير البلاد من شرهم وخباثتهم؟ وهل يكون ذلك فرضاً مشروعاً طبقاً لما نصت عليه الآية الكريمة (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) أم لا ؟ نرجو الجواب ؟

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

كتبه الفقير

دري زاده السيد عبدالله عفي عنهما

وفي هذه الصورة أيكون [1] من الواجب على المسلمين القاطنين في الممالك المحروسة والقادرين على الحرب والضرب اجابة دعوة الامام العادل خليفتنا السلطان محمد وحيدالدين والالتفاف حوله لقتال البغاة المذكورين أم لا ؟ نرجو الجواب

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

وفي هذه الصورة هل يكون امتناع الجنود الذين يجردهم الخليفة المشار اليه لقتال البغاة المذكورين عن قتالهم وفرارهم منه كبيرة أم لا ؟ وهل يكونون آثمين يستحقون في الدنيا التعزير الشديد، وفي العقبى العذاب الاليم، أم لا ؟ نرجو الجواب

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

وفي هذه الصورة هل يكون الذين يقتلون البغاة من جنود الخليفة غزاة

« ١ » في الاصل : بهذه الصورة ألا يكون الخ ولا يصح العطف بالنفي على السؤال المنفي بقوله في آخر السؤال أم لا لأن الجواب عنهما بنعم - ومثله مابعده ، فجعلنا الاستفهام الاول ايجابيا

كانت واقعة في أسر الاعداء المحتلين لعاصمتها ، والمسيطرين عليها بالقهر والدسائس جميعا ، وقد قبلت معاهدة الصلح المخزية السالبة لاستقلالها ، بعد سلخ ماسلخت من بلادها ، وكان الكماليون هم الذين أبوا قبول هذا الخزي باختيارهم ، وقاوموه بسلاحهم ، فكان ضلع العالم الاسلامي كله معهم ، وتم ذلك بنصر الله تعالى لهم

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولأم (المخطيء) الهبل

ظفر الترك باليونان

وثلهم عرش دولة آل عثمان

وجعلهم الخلافة الاسلامية ، سلطة روحانية أدبية

(وتلكَ الايامُ نداولها بينَ الناسِ ، وليعلمَ اللهُ الذينَ آمنُوا ويتَّخِذَ منكم شُهَدَاءَ ، واللهُ لاَ يحبُّ الظالمين * وَليُمَحِّصَ اللهُ الذين آمَنُوا وَيَمحقَ الكافرين)

اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون)

استخف الظفر في الحرب الدولة البريطانية فخانها حلمها الراسخ وروّيتها وأناتها في الامور ، فأظهرت ما كانت تكتم من التعصب الديني وعداوة الاسلام ، وحاولت القضاء على ما بقي من السلطة الاسلامية الضعيفة والاستقلال المضطرب ، في بلاد الترك والعرب ، فتقسمت هذه البلاد بينها وبين حلفائها قسمة ضيزى ، وكان مما اصطفته لنفسها مصر وسائر ما بقي من بلاد العرب — الا مفحص قطاة في سورية لحليفتها فرنسة — والقسطنطينية العظمى مع زقاقيها العظيمي الشأن (الدردنيل والبوسفور) على ثقة منها بأن مملكتي ايران والافغان في قبضة يمينها ، وبلاد القوقاس وتركستان في قبضة شمالها ، وصرّح كبير وزرائها لويد جورج أن هذه الحرب ، آخر حرب صليبية في الارض ، أي لم يبق فيها شعب اسلامي مستقل يمكنه أن يذود على حوضه

والوطن تجاه مطامعهم الشخصية متسترين بدعوى الوطنية الكاذبة، وان هؤلاء يهيئون سلسلة ثقيلة من الجنايات للعاقبة التي يعملون لاجلها ، فقد داسوا على الدستور وعلى قوانين الدولة بأرجلهم، وأخذوا يرتكبون الفضائح المتوالية ويجمعون الدراهم من الاهالي بالاكراه ، ويجندونهم بالقوة ويوصلون أنواع الاذى اليهم، ويقتلون من لا يقدم لهم الدراهم ولا يدخل في جيشهم ويباغتون القرى وينهبونها ، ويحرقون القصبات ، هذه الافعال منافية للامر الالهي ومردودة في نظر الشرع الشريف كما هو مبين في الفتوى الشريفة المنشورة أعلاه ، وإن الحكومة الحاضرة تعد الاحتفاظ بحياة كل فرد من الامور الواجبة في هذه الاوقات اكثر منها في كل زمان للمساعدة على انهاض هذا الوطن العثماني الذي أصيب بأنواع المصائب، وتعميره وتلافي خسارته في النفوس والقوة

« ان هذه الحكومة التي تفضل ادراك آمالها من خير وصلاح بغير سفك دماء لا تتردد في تأديب هؤلاء الذين حادوا عن الطريق المستقيم امتثالا لارادة حضرة صاحب الخلافة السنية المبلغة بموجب الخط الهمايوني، ووفقا للشرع الشريف، والخط المنيف ، وذلك لانقاذ حياة الدولة والامة وسلامتهما من خطر محقق

« بناء عليه نعلن أولا : ان الذين اشتركوا في حركات العصيان — مخدوعين بأقوال القائمين بهذه الحركات أو متأثرين بتهديدهم وهم يجهلون ما تجره من النتائج الوخيمة — اذا عادوا نادمين وعرضوا صداقتهم واخلاصهم لجلالة مولانا (أفندينا) في مدى أسبوع يكونون محلا للعفو العالي

ثانيا — ان الحكومة ستؤدب القائمين بالعصيان والداعين اليه والمشتركين فيه من المصرين على عنادهم كما يقضي بذلك الشرع والقانون . ولما كانت الحكومة لا تتسامح في أي جهة من جهات المملكة باعتداء الاهالي المسلمين، على مواطنيهم من غير المسلمين ولا باعتداء هؤلاء على مواطنيهم المسلمين، فكل من يرتكب مثل هذه الاعمال أو يتغافل ويتسامح في ايقاعها شخصياً يكون عرضة لاشد العقاب » انتهى

(المنار) لوكان ذلك الخط السلطاني والفتاوى الشرعية وهذا الامر الوزاري صدرت في حال عادية والحكومة متمتعة باستقلالها في شأن فئة من رعيتها بغت عليها، وخرجت عن طاعتها لم يكن عليها غبار ، ولكن هذه الحكومة

يسبق له نظير في أعظم المعارك بتدبيره وإحكامه ونظامه ، واستيفائه لجميع الشرائط الفنية ، وسرعة تأثيره في ميادين مختلفة — وكان على هذا عقب سلسلة حروب مع البلقانيين في البلقان ومع إيطالية في طرابلس الغرب ومع انكلترة في فلسطين والعراق ومع روسية في الاناضول ومع الانكليز والفرنسيس جميعا في غاليبولي ثم مع فرنسا في كايكية ومع الارمن في القوقاس — وكان على هذا وذلك بعد انكسار الدولة وطلبها الهدنة ،والخضوع لشروطها القاهرة، ثم قبول حكومة السلطان في الآستانة لشروط الصلح القاضية بتقسيم بلاد الدولة بين الاحلاف وسيطرتهم على الامارة التركية الصغيرة التي أبقوها باسم سلطان الترك وخليفة الاسلام في ماليتها وعسكريتها وأحكامها القضائية — وكان على هذا كله بعد إلقاء الانكليز المحتلين لعاصمة الدولة الفساد بين السلطان وحكومته وبين ابطال الاناضول المدافعين عما بقي من بلادهم قبل ان يعمها الاحتلال الاجنبي المذل بل المميت ،والمطالبين باستقلال ما رزىء بالاحتلال منها حتى حملوه على الحكم بعصيانهم، وإباحة إهراق دمائهم ،بخروجهم على سلطانهم وخليفتهم ، لكسر قوتهم المعنوية، بفتوى من شيخ الاسلام ، تطبق عليهم حكم البغاة الخارجين على الامام ، المحاربين لله ورسوله والساعين في الارض بالفساد ، ولو انه أمر بهذا وهو حر في تصرفه، مستقل في حكومته ، لما اكترثوا لامره ، فكيف وهم يعتقدون أنه واقع تحت أسر أعداء الاسلام ومسير بنفوذهم ، فعصيانه واجب ، واسقاط حكومته ضربة لازب — ثم انه كان على هذا كله ظفراً بدولة بريطانية العظمى، وقضاء على ما كان من نفوذها الاسمى ، وإحباطا لسعيها المعلوم. وهو ازالة ملك الاسلام من الشرق ،والاستيلاء على جميع دول الغرب ، ولذلك كان ضلع حليفتها فرنسة مع الترك الكماليين ، مقاومة لمساعدتها هي لليونانيين

أصبح الترك الكماليون بهذا النصر أمام عدوتهم انكلترة وجها لوجه بزوال تلك الواسطة التي كانت تحاربهم بها ومن ورائها ، فطفقت تحشر أساطيلها امام الدردنيل ووراءه ،وتسوق جيوشها الى (غاليبولي وشناق قلعه)وأهابت بحليفتيها المحتلتين معها للآستانة ان تستعدا لقتال الترك فأبيتا ذلك عليها ،فصاح لويدجورج يستنجد الامبراطورية كلها لتحفظ له ثمرة النصر في الشرق فكان جواب أكثرها خافتا — فهبت الاحزاب البريطانية المعارضة تفضحه بأنه يريد

بسلاحه ، فان الدولة العثمانية ، آخر دولة حربية اسلامية ، قد سقطت تحت السيطرة الاوربية المسيحية

فلما رأت ان اسود الترك في الاناضول قد جمعوا فلول جيوشهم ، وأبوا الخضوع لما فرض عليهم في معاهدات الصلح الجائرة من إلقاء سلاحهم لاعدائهم ، والخنوع لما أوجبوا عليهم في أنفسهم وأموالهم وادارة بلادهم ، أغرت بهم الدولة اليونانية ، عدوتهم التاريخية ، وقد زاد بفضلها عليها عددها ، وتضاعف بمساعدتها لها مددها ، فجاست خلال الديار ، وسامتها الخسف والتبار ، وحكمت فيها السيف والنار ، وقتلت الكبار والصغار ، والوزير البريطاني الاكبر (لويد جورج) يمدها في غيها ، وينصرها في بغيها . فعز على ليوث العرين ، وشم العرانين ، أن تلج الثعالب أغيالها ، وتغتال فيها أشبالها ، فبطشوا بزحوف اليونان البطشة الصغرى فوقفوا لا يتقدمون ولا يتأخرون ، ثم صاح بهم العدل الالهي (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون)

هجمت الليوث التركية الكمالية تلك الهجمة الصادقة على جيوشهم فولوا مدبرين ، (فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين) ، فطردتهم في مدة اسبوعين ، مما تبوّؤه في مدى سنتين ، فقتل منهم عشرات الالوف ، واسر عشرات الالوف ، وفر الباقون من مصارع الحتوف ، تعبث في أقفيتهم الحراب والسيوف ، وما زال يطاردهم سيف النصر ، حتى القى من سلم منهم عند سِيف البحر ، حيث تنتظر السفن كل شريد وطريد ، فيما كانوا يحتلون من ثغري إزمير وإزَميد ، وغنم الترك ما لا يحصى من سلاحهم وعتادهم ، ومتاعهم وزادهم ، وناهيك بأسر من أخطأه الرصاص من كبار قوادهم ، وفشل تدبير لويد جورج وفنزيلوس بتجديد القيصرية (الامبراطورية) البيزنطية ، وحلم الملك قسطنطين الثاني بلبس تاج قسطنطين الاول في محراب جامع (أياصوفية) وخاب كيد الانكليز لاجلاء مسلمي الترك من شرقي أوربة بهمجية اليونان ، كما أجلي مسلمو العرب من غربيها (الاندلس) بهمجية الاسبان ،

لو كان كل ما في هذا النصر العزيز أنه سحق جيش تركي مهاجم ، لجيش يوناني مدافع ، يفوقه في العدد والعدد والمدافع ، لما كان بدعا من النصر ، ولا مما يعده الترك من موجبات الفخر ، ولكنه كان أثراً لهجوم عسكري لم

لا يرضى مالك أمرهم

هذا العطف الاسلامي العام ، والمكانة السامية امام دول الخلفاء ، التي لا تنال عندهن الا بسفك الدماء ، قد جرءا الكماليين على القبض على أعنة الادارة في الآستانة المحتلة ، والشروع في انفاذ خطتهم في إسقاط الدولة ، ومحا كلمة رؤسائها حتى السلطان المتحلي بلقب الخلافة ، وقد اوعز اليه بأن يستقيل فأبى ، وظن أنه يستطيع أن يحدث بقوة الانكليز حدثا ، فلما رأى أن السواد الاعظم من أهل الآستانة عليه معهم لا معه عليهم ، اتفق مع السلطة البريطانية المحتلة على الفرار من العاصمة بنفسه ففعل ، وقد نقلوه مع غلام له وبعض حاشيته على بارجة انكليزية الى مالطة ، وشاع انهم يريدون اخذه الى الهند رجاء ان يفرقوا به كلمة المسلمين فيها ، وقد دعاه ملك الحجاز الى مكة بلسان البرق بايعاز من الانكليز كما يقال لتدبير كيد في الخلافة يوقع في العالم الاسلامي الشقاق ، او ينفره من الترك الكماليين فيكون عونا لهم عليهم ، والا فان جريدة القبلة لسان ملك الحجاز لم يطل العهد على تكفيرها لهذا الخليفة ، فهل كان اظهاره العداوة لقومه ، واهانته لنفسه ولمنصبه بالالتجاء الى عدوه ، رجوعا عن الكفر الى الايمان ، ومدعاة الى التعاون على اقامة الاسلام ؟ أم ثم كيد ككيد صواحب يوسف يريد به الانكليز ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، ويريد صاحب الحجاز من أسير الانكليز في مكة ، مثل ما كان من أسير السلطان سليم في الآستانة ، ليقول (هذه بضاعتنا ردت الينا) ؟ إذن ينبغي أن يكون له قوة حجازية ، كقوة سليم العثمانية ، وأما قوة الدولة البريطانيـة ، الموجهة الى اماتة السلطة الاسلامية ، فلن تكون محيية للخلافة النبوية ، وان تركت حكومة الترك الجديدة باب الفتنة مفتوحا بما اخترعت من الخلافة الروحية ، وحصرت السلطة كلها في جمعيتها الوطنية .

اضطرب العالم الاسلامي لنبأة ابتداع خلافة ذات سلطة روحية ، مجردة من كل سلطة حكومية ، وهي بدعة جديدة من الجهتين الايجابية والسلبية ، لم يرم الى مثلها أحد من مبتدعة المسلمين الا الباطنية ، فهم الذين جعلوا لامامهم المعصوم سلطانا روحيا وأوجبوا اتباعه في كل ما يفسر به النصوص وان كانت قطعية وفسرها بما يخالف معناها القطعي ، ولكنهم لما قدروا على تأسيس دولة جعلوا الامام الروحي ، هو السلطان السياسي والحاكم الشرعي . وليس في الاسلام

اثارة حرب صليبية أخرى تنفرد بريطانية العظمى بها دون أوربة، وتوسطت فرنسة بصداقتها للكماليين فأقنعتهم بعقد الهدنة، وترك الزحف على تراقية والآستانة، فعقدت الهدنة في ثغر (مدانية) وهو ثغر تركي صغير، كان لهم بعقدها فيه شرف كبير، وضمن لهم الحلفاء فيه الحدود التي قرروها في ميثاقهم القومي. وكان هذا فشلا لسياسة الوزير لويد جورج أدى الى سقوط وزارته، وعرف العالم كله ان الذي أسقطها هو الغازي كمال باشا بقوته. وقد أصبح الترك بعد ذلك الذل والنكال، يخاطبون بريطانية العظمى مخاطبة الانداد والاقتال، وهذا ما كانوا فقدوه منذ قرون وأجيال، فسبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء

أذاع البرق أنباء هذا النصر في العالم فاهتز لها الشرق، وشخصت أبصار دول الغرب، وكادت تصعق الدولة البريطانية خيبة وخزيا، كما صعقت اليونانية قهراً وعجزا

لله در الكهرباء فثغرها الـ ـبسام كم يبدو يبشر بالجدا
ولربما التهبت فكان وميضها نارا فأحرق من بغى وتمردا

احتفل المسلمون بهذا النصر المبين في كل قطر من الاقطار، بقدر ما لأهله من الحرية ووسائل الاجتماع واظهار السرور، وكان قصب السبق في ذلك لمصر والهند، ويليهما سورية والعراق على كراهة ملكها لذلك، ويليهما تونس والجزائر فراكش، وكان العهد ببلاد المغرب الاقصى انها أقل بلاد الاسلام اهتماما بالدولة العثمانية وما يجري فيها، فصارت بسبب الحماية الفرنسية كأمثالها أوقريبا منها، واتفق أن ضلع الدولة الحامية لها في هذه المرة مع الترك، حتى ان سلطان المغرب هنأ الحكومة الفرنسية — لا الحكومة الكمالية — بهذا النصر (!) وقد قرأنا في جريدة السعادة المغربية عدة قصائد لادباء المغرب في الابتهاج به، وأنهم يعدونه نصراً للاسلام على أعدى أعدائه، وقد كتب الينا من اليمن أن كلا من الامام يحيي والسيد الادريسي قد احتفلا في بلادهما بهذا النصر، وأمر السيد الادريسي باطلاق واحد وعشرين مدفعا من المواقع العسكرية ايذانا بالاحتفال. وقد يظن ان بلاد الحجاز هي التي شذت وحدها، وإنما الذي شذ وحزن لهذا النصر هو ملكها، وأما أهل الحجاز ولا سيما البلدين المكرمين فهم أشد حبا للترك ودولتهم من غيرهم، ولكنهم تحت ضغط حكم قاهر لا يملكون من حريتهم شيئا

الامام الحق المتحلي بشروط الامامة والقائم بحقوقها حتى يجب نصره عليهم ، بل كان جماهير المسلمين يقرونه بمنصب الخلافة لاجل تقوية الدولة والامة بهذا المنصب أمام الاعداء ، فاذا انقلب الامر ، وانعكس الوضع ، وصار أعداء الملة هم الذين يستعينون بمنصبه على سلب سلطتها ، والاستيلاء على بلادها — فهل يقول من له أدنى مسكة من الدين أو العقل بنصر أعداء الاسلام على المسلمين لاجل من سلحوه بهذا اللقب ليكون قوة للمسلمين على أعدائهم ؟

لعل الانكليز يظنون أن المسلمين قد سفهوا أنفسهم ، حتى انحدروا الى هذا الدرك الاسفل من الجهل بدينهم ومصالحهم ، وأنه يمكنهم أن يتخذوا محمد وحيدالدين ، فتنة للمسلمين ، ولاسيما اذا وضعوه في مكة ، واتحد مع صنيعتهم الاول ملك الحجاز على اثارة هذه الفتنة في البلاد المقدسة ، وهو على كونه قد حكم عليه بالمروق من الاسلام ، لم يخرج عن سياسته بدعوته الآن الى الاقامة عنده في المسجد الحرام ، الذي حرم الله ان يقربه المشركون والكفار — فان تكفيره اولا خدمة للانكليز ونصر لهم على الدولة التركية ، ودعوته الآن الى مكة خدمة لهم كذلك ، ولكنها خدمة خاسرة ، في الاولى والآخرة

لو عرف جماهير المسلمين في الاقطار المختلفة الحقيقة التي بيناها آنفا لما اكثروا الخوض في مسألة الخليفة الذي والى اعداء امته وملته ، ولا في مسألة خلفه ، ولا في تخطئة حكومة الجمعية الوطنية او تأييدها في امره ، ولحصروا تأييد هذه الحكومة بما يقوي مركزها امام اعدائها ، ونصحوا لها بأن ترجيء البت في مسألة الخلافة الى الوقت المناسب لها ، ولكن اقناع غير المحصورين بذلك متعذر . والظاهر لي ان الجمهور الاعظم على الرأي الذي ظهر لنا انه الصواب ، وان جهر بعضهم بما يخالف في السلب أو الايجاب . ومن المضحكات ان مسلمي سورية عظم عليهم امر سلب السلطة من الخلافة حتى انتقم بعضهم من صورة مصطفى كمال باشا التي كانوا يرفعونها تكريما لها

واما الجرائد ، فقد جاءتنا بالنقائض ، فمن الكتاب فيها من انكر ما حصل انكاراً شرعيا ، ومنهم من حاول جعله شرعيا بالتأويل ، ومنهم من بحث عن شواذ التاريخ واعتداء الخارجين على الخلفاء فأراد ان يجعله امراً مشروعاً يحتذى ، ومنهم من اظهر سروره بازالة سلطة الخلافة ، بالفصل بين السياسة والحكومة ، وبين الدين والشريعة . وهؤلاء من غلاة المتفرنجين الملحدين ، الذين نرد عليهم في

سلطة روحية بالمعنى الذي ابتدعته الباطنية - والترك لا يريدونه - ولا المعروف عند النصارى وهو نحو منه، حتى نهرب من الجمع بين السلطتين و نقلد بعض النصارى في التفريق بينهما. وانما سلطة الخليفة في الاسلام حكومية محضة، وهو مسؤول عن عمله كغيره ، وان كان رئيسا دينيا ودنيويا، فمعنى رياستـه الدينية أنه هو صاحب الاولية والاولوية في مثل إمامة الصلاة والخطبة من العبادات الاجتماعية. ولكن لا يكلف مسلم أن يتبعه في اجتهاده في أمور العقائد والعبادات الشخصية، وانما تجب طاعته فيما يأمر به أو ينهى عنه من حيث هو حاكم اذا لم يكن معصية . وقد أمر بعض خلفاء العباسيين بالقول بخلق القرآن فخالفهم أعظم أئمة أهل السنة كالشافعي وأحمد ولم يكونوا يخالفونهم فيما يحكمون به أو يأمرون من الامور السياسية والمدنية الموافقة للشريعة ، وسنبين أحكام الخلافة في مقال آخر

إننا نرى أن أهم مصالح المسلمين السياسية الآن أن يؤيدوا الترك الكماليين في موقفهم أمام دول أوربة الطامعة في اغتصاب ما بقي للمسلمين من ملك وملك، وهو دون ما اغتصبته من قبل، وان لا نجعل خطأهم في مسألة الخلافة سببا لاضعافهم في هذا الموقف، بل ندعه الى أن يتم الصلح ويحق لهم الاستقلال الصحيح المطلق من قيود النفوذ الاوربي فحينئذ ندلي اليهم بما لدينا من الحجج الشرعية والسياسية، على ما يجب أن يكون عليـه مقام الخلافة الشرعية من سلطان ونفوذ، ومنه اثبات أن سلطة الخليفة مقيدة بالشرع والشورى، وأنه هو الممثل لسلطة الامة ووحدتها لا صاحب سلطة فردية مستبدة ، وان الاشتراط عليه عند المبايعة من سنن الراشدين التي جرى عليها الصحابة، فان عبد الرحمن بن عوف لما فوض اليه رجال الشورى الامر واراد مبايعة علي أو عثمان اشترط على من ولاه اتباع سيرة من قبله فقبل، والسلطة الحقيقية في الحكومة الاسلامية لجماعة أهل الحل والعقد الذين لا يكون الخليفة خليفة الا بمبايعتهم كما فصلناه في تفسير قوله تعالى(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وسنلخصه في مقالة الخلافة التي وعدنا بها آنفا

ان أولي الامر وأهل الحل والعقد في الدولة التركية في هذا الوقت هم الجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة ، وهم الذين اذا نجحوا تنجو الدولة واذا خذلوا وخابوا (لا سمح الله) تهلك الدولة ، ولم يكن الخليفة الذي ناوءهم وناوؤه هو

أطلب من مكتبة المنار بشارع عابدين بمصر عدد ٢٥

مطبوعات المنار

بيان الأثمان عدا التجليد واجرة البريد

قرش		قرش	
١٥	تفسير القرآن الحكيم لكل جزء	٢٢٠٠	مجموعة المنار (٢٢ مجلداً)
٣٠	« « « « الجزء السابع منه	٣٠٠	مجموعة السنة الثانية
٤	« سورة الفاتحة	١٥٠	« « الثالثة
٢	« سورة والعصر	٢٥	تاريخ الاستاذ الامام (المنشآت
٨	رسالة التوحيد (طبعة رابعة)	٢٠	« « (التأبين والمراثي)
٦	الاسلام والنصرانية	١	مناسك الحج
٢	اصلاح المحاكم الشرعية	٥	ذكرى المولد النبوي
٣٠	شرح عقيدة السفاريني (جزآن)	٢	مختصر ذكرى المولد
٣٠	العلم الشامخ مع الذيل (للمقبلي)	٥	المصلح والمقلد
٨	سيرة خديجة أم المؤمنين (للزهراوي)	٠	شبهات النصارى وحجج الاسلام
١٨	انجيل برنابا	١	المسلمون والقبط
٥	الدين في نظر العقل الصحيح	٣	العرب والعربية (للاعظمي)
٥	الصلب والفداء صفحاته ١٦٨	٢٥	دلائل الاعجاز. طبعة ثانية
٣	نظرة في كتب العهد الجديد	٣٥	أسرار البلاغة
٠	دين الله في كتب أنبيائه	٣	الجرح والتعديل (للقاسمي)
١٠	سنن الكائنات (الاول والثاني)	٣	تاريخ الجهمية والمعتزلة (له)
	أم القرى (طبع المنار) للكواكبي	٢	أعمال مجلس ادارة الازهر
٣	مدارج السالكين ثلاثة أجزاء	٦	التوسل والوسيلة (طبعة ثانية)
	اغاثة اللهفان في طلاق الغضبان	٨	تحفة المحقق بشرح المنطق (للمطاس)
	انتقاد مؤلفات زيدان بك	٨	صفة العلو للعلي الغفار (للذهبي)
	القول السديد في الاجتهاد والتقليد	٨	مفتاح اللغة العربية (تطبيق على القواعد)
	فتاوى في اصلاح المرأة	١٥	بداية المجتهد (طبع الاستانة)

(الأستاذ الإمام) — (مؤلفات الدكتور صدقي) — (لمنشىء المنار)

مقالات (مدنية القوانين) ونحن ندعو المسلمين الى العطف على الدولة التركية الجديدة، وتأييدها بأشد ما كنا نؤيد به الدولة العثمانية التليدة، ولا نرى أننا محتاجون في سبيل ذلك الى الانحراف عن شيء من أحكام ديننا . ولا الى الاقرار بأن كل ما عملته هذه الدولة أو تعمله صوابا . فانما نحن نؤيدها في مقاومة المعتدين عليها وعلينا . ولا نشترط لذلك أن تكون معصومة في أعمالها، لا في مسألة الخلافة ولا في غيرها . وقد ترجمت لنا الجرائد خطبا واقوالا في هـذا الموضوع لزعماء الكماليين اهمها خطبة للغازي مصطفى كمال باشا نفسه وسننشرها في الجزء التالي ان شاء الله تعالى

وجملة القول إن آخر ما جاء من أنباء هذا الانقلاب (الى سلخ هذا الشهر) بعد كتابة ما تقدم، ان الكماليين قد امضوا امر محو الدولة العثمانية من لوح الوجود، وجعلها من قصص ألواح التاريخ . وانهم انتخبوا عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة على شرطهم . لا امر له ولا نهي في حكومتهم . ولعلهم يستفيدون بذلك تخفيف ضغط الانكليز عليهم ، وشدة تأييد الروس لهم ، فانهما اشد الدول خوفا من عاقبة سلطة الخلافة الدينية ، الاولى تخاف على مستعمراتها الاسلامية ، والثانية تخاف على دعوتها البلشفية ، ولا ضرر على الاسلام فيما وقع ، فالخلافة العثمانية كانت اسمية فائدتها انتفاع الدولة العثمانية بنفوذها السياسي ، فلتنتفع الدولة التركية الآن باعلان التخلي عنه ، الى ان تقتنع ثانية بالانتفاع به، وليس من البعيد ان تقتنع في زمن قريب بوجوب إقامتها على حقها ، وقيامها بكل ما يمكن من وظائفها ، كاحياء الدعوة الى الاسلام ، ومقاومة تيار الالحاد والابتداع ، واقامة الحدود وتنفيذ الاحكام، وجباية الزكاة وتوزيع الصدقات ، وتلافي ضرر التفرق باختلاف المذاهب والاجتهاد ، بجمع الكلمة على قواعد الاجماع ، ووضع نظام للتعليم الديني والوعظ والارشاد، حتى تعترف جميع الحكومات الاسلامية بها ، وتأخذ التفويض باقامة الدين وتنفيذ الشرع من ممثليها ، وطالما خطر في بالنا انه يجب ان يكون لها ديوان خاص ، مؤلف من عقلاء العلماء واولي الاختصاص ، المختارين من جميع المذاهب الاسلامية في الاقطار المتفرقة . ومن ممثلي حكوماتها المختلفة . وقد كاشفنا بهذا الراي ، من يعدون أولى اولي الامر وارباب الشأن . ولله الامر من قبل ومن بعد .

الجزء العاشر ١٣٤٠ المجلد الثالث والعشرون

المنار

١٣١٥

تنبيه

يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم

ويجب الدفع سلفاً

قيمة الاشتراك

عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهباً في مصر و ٢٥ شلناً في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة أو عن نصف سنة

سنة المجلة عشرة اجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي «المنار بمصر»

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

الناس في عماية عن النافع، وفي انكباب على الضار، فلا تعجب اذا
لم يسرعوا بالاشتراك في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى
تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر،
ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا، والفقراء لا يستطيعون الى البذل
سبيلا، ولكن ذلك لا يضعف الامل، في نجاح العمل

مستحضرات محمد علي نصوحي

التي حازت الشهرة التامة لحسن تاثيرها السريع في جميع أنحاء العالم المتنور ونالت النياشين والمداليات الذهبية والفضية من الدولة العلية ومن معارض دول أوربا

غرش صاغ — أسماء و بيان استعمال هذه الادوية الموضحة أدناه

١٥ اكسير نصوحي لتقوية المعدة وفقر الدم ومزيل الانتفاخ والآلام ومنظم الحيض
١٢ حبوب نصوحي لتقوية المعدة والاعصاب والدم و يقوي الجسم عموما
١٢ ماء الحياة للشعر يمنع سقوطه تاكيدا و يقوي البصيلات الشعرية بمسافة قليلة
١٢ روماتيزمول دهان شافي لجميع الامراض الروماتيزمية الحديثة والمزمنة
١٢ شراب يودونتيك فوسفاتية لتقوية الاطفال اللنفاويين ولين العظام ومنقي للدم ومزيل العقد الخنازيرية و يقوم مقام زيت الحوت
١٢ ماء الشباب يزيل الكلف والتمشف و يكسب الجسم نعومة ولطافة
١٥ زيت الحياة للشعر يطول و يطري الشعر و يمنع سقوطه وتقصيفه
١٢ اكسير العشبة المركب المنقي للدم والشافي للامراض الزهرية وأنواع الربوا
٨ حقنة نصوحي خاصة لمنع السيلان الحديث والمزمن بدون ألم
٧ مرشاد المعدي لتصليح المعدة وازالة الحموضة ومرارة الفم الناشئة من سوء الهضم
١٠ خ[illegible] المركبة لتقوية المعدة والامعاء و يمنع الالام التي تحصل في الظهر أو في فم المعدة خصوصا عند القيام من النوم
٨ نقط نصوحي الوقاية من الكوليرا ومكروباتها وتصليح المعدة ولمنع البواسير
٥ حبوب ملينة ضد الامساك الذي يتولد من سوء الهضم وانتفاخ البطن
١٠ أودنتين دواء للاسنان يمنع التسوس و يسكن الآلام حالا بسرعة عجيبة ومطهراً للأسنان والفم
٨ حبوب صدرية لازالة السعال وخروج البلغم بسهولة من الصدر بغير تعب
٥ مسحوق للشعر يزيله في مسافة أربع دقائق بغاية السهولة و يظهر محله ناعما
١٠ القطرة الهندية خاصة لازالة الحبيبات واللحمية الحديثة والمزمنة
٥ مسحوق الصفا لاجل جلاء الاسنان وتقوية اللثة وحفظهما و يشفي الحفر معطرا للفم
٥ قطرة نصوحي لازالة الالتهابات المزمنة والحديثة والرمد الحبيبي والصديدي و يجلو البصر و يعيد قوتها الحقيقية
نشوق صحي ضد الزكام و يشفي للنوازل ومنعش للجسم

مستودعه العمومي معمله الكيماوي باجزخانة نصوحي بميدان العتبة الخضراء بمصر



— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق —

٢٩ ربيع الآخر ١٣٤١ — ٢٦ القوس (خ ٣) سنة ١٣٠١ هش ١٨ ديسمبر ١٩٢٢

تفسير القرآن الحكيم

(٣٣) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

بعد ان أنكر التنزيل في الآية السابقة على المشركين وغيرهم من أهل الملل تحريم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق — قفى عليه ببيان أصول المحرمات العامة، التي حرمها لضرر ثابت لازم لها لا لعلة عارضة، وكلها من أعمالهم الكسبية ، لا من مواهبه ونعمه الخلقية ، ليعلم أن له الحمد والشكر لم يحرم على الناس الا ماهو ضار بهم ، دون ماهو نافع لهم ، فقال

﴿ قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن ، والاثم والبغي بغير الحق ، وان تشركوا بالله لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾

فهرس الجزء العاشر من المجلد ٢٣

بل ذهب الراغب الى ان حقيقة البغي طلب تجاوز الاقتصاد في القدر أو الوصف سواء تجاوزه بالفعل أو لم يتجاوزه . وذكر انه قد يكون محموداً وهو تجاوز العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع . واستعمال القرآن له في المعنيين اللذين ذكرناهما آنفاً وفي غيرهما يؤيد هذا التعريف كقوله في البحرين (بينهما برزخ لا يبغيان) وقوله في أهل الجنة (لا يبغون عنها حولا) وقوله (أفغير دين الله يبغون * أفحكم الجاهلية يبغون * قل أغير الله أبغي ربا * يبغونكم الفتنة * ويبغونها عوجا) ومنه البغاء وهو طلب النساء الفاحشة . وقد يتعدى الى مفعولين ومنه (أغير الله أبغيكم إلهاً — قل أغير الله أبغي ربا) وقال في الاساس : وابغني ضالتي — اطلبها لي ، وأبغني ضالتي — أعني على طلبها . قال رؤبة : * فاذكر بخير وابغني ما يبتغى * أي اصنع بي ما يُحب أن يصنع ، وخرجوا بغياناً لضوالهم اه وهو لا يشذ عن تعريف الراغب لان مراده بتجاوز الاقتصاد يشمل طلب الضالة التي خرجت من حيازة المالك حتى كأنه يطلب ما ليس له ، ورؤبة يطلب إحساناً وكرامة ليست حقاً له

فعلم من هذا أن البغي هو الاثم الذي فيه تجاوز لحدود الحق أو اعتداء على حقوق أفراد الناس أو جماعاتهم وشعوبهم ولذلك اقترن الاثم بالعدوان كقوله (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان — ولا تعاونوا على الاثم والعدوان — ترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان) ومنه (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) أي فمن اضطر الى شيء من محرمات الطعام غير طالب لها لذاتها فانه تجاوز للحق — ولا عاد حد الضرورة فيما يتناوله منها

وقد قيد البغي بكونه بغير الحق لاستعماله بالمعنى اللغوي الذي يشمل تجاوز الحدود المعروفة أو المألوفة فيما لا ظلم فيه ولا فساد ، ولا هضم لحقوق الجماعات ولا الافراد ، كالأمور التي ليس لهم فيها حقوق ، أو التي تطيب أنفسهم فيها عن بعض حقوقهم فيبذلونها عن رضى وارتياح لمنفعة أو مصلحة لهم يرجونها ببذلها ، وقيل ان القيد للتأكيد

وقال ابن القيم : ان الاثم ما كان محرم الجنس ، والعدوان ما كان محرم القدر والزيادة فهو تعدي ما أبيح الى القدر المحرم كالاعتداء في أخذ الحق ممن هو عليه بأخذ زيادة عماله ، وباتلاف اضعاف ما أتلف عليه أو قول اضعاف ما قيل

هذا كلام مستانف لبيان ماحرمه الله تعالى بعد إنكار أن يكون حرم الزينة والطيبات لان الحال تقتضي أن يسئل عنه . والمعنى قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين وغيرهم من أهل الملل الذين ظلموا أنفسهم وكذبوا على الله بزعمهم انه حرم على عباده ما أخرج لهم من نعم الزينة والطيبات من الرزق وكذا لمن اتبعك من المؤمنين : إنما حرم ربي في كتبه، على ألسنة رسله هذه الانواع الخمس أو الست من أعمالهم الضارة التي يجنون بها على أنفسهم ، فجعل تحريمها هو الدائم الذي لا يباح بحال من الاحوال كما يدل عليه الحصر بانما وهي

١و٢ — الفواحش الظاهرة والباطنة — فالفواحش جمع فاحشة وهي الفعلة أو الخصلة التي فحش قبحها في الفطر السليمة والعقول الراجحة التي تميز بين الحسن والقبيح والضار والنافع وكانوا يطلقونها على الزنا واللواط والبخل الشديد وعلى القذف بالفحشاء والبذاء المتناهي في القبح ، وتقدم تفصيل القول في الفواحش ماظهر منها وما بطن في تفسير (٥ : ١٥١) وهي من آيات الوصايا العشر في أواخر سورة الانعام [١] وفيه احالة في تفسير ماظهر منها ومابطن على تفسير (١١٩ وذروا ظاهر الاثم وباطنه) من تلك السورة [٢]

٣و٤ — الاثم والبغي ، تقدم ان الاثم في اللغة هو القبيح الضارّ فهو يشمل جميع المعاصي الكبائر منها كالفواحش والخمر والصغائر كالنظر واللمس بشهوة لغير الحليلة وهو اللمم ، ومنه قوله تعالى (٥٣ : ٣١ الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) فعطف الفواحش على كبائر الاثم لا على الاثم وهو من عطف الخاص على العام . وكذلك عطف البغي على الاثم هنا من عطف الخاص على العام . ومعناه في أصل اللغة الطلب ، وقالوا بغى الجرح — اذا ترامى الى الفساد ، أو تجاوز الحد في فساده . ومنه البغي في الارض الوارد في عدة آيات كقوله (١٠ : ٢٣ فلما أنجاهم اذاهم يبغون في الارض بغير الحق) وقد صرح في بعضها بالفساد (٢٨ : ٧٧ ولا تبغ الفساد في الارض) واذا عدي البغي بعلى كان بمعنى التجاوز والتعدي على الناس في انفسهم اواموالهم اواعراضهم ومنه (٢٨ : ٨٦ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم — ٣٨ : ٢١ خصمان بغى بعضنا على بعض — ٤٩ : ٩ فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي)

« ١ » ص ١٨٧ ج ٨ تفسير « ٢ » ص ٢١ ج ٨ تفسير

اي ماعندكم ادنى دليل بهذا القول القطعي الذي تقولونه مع ان ماتكذبه البراهين والآيات البينة مثله يحتاج مدعيه الى اقوى البراهين والحجج واعظمها سلطانا على العقول، ولما كان منهم من قد يعترف بأنه قول لا تقوم عليه حجة من العقل بل لا يتصور العقل وجوده ولكنه يدعي أنه قد ورد به النقل عن الانبياء وان المسيح ادعاه لنفسه قال (اتقولون على الله ما لا تعلمون) وهذه الآية تناسب الآية التي نفسرها

٦ — القول على الله بغير علم، وهو أعظم هذه الانواع من أصول المحرمات الذاتية التي حرمها الله تعالى في دينه على ألسنة جميع رسله ؛ فانها أصل الأديان الباطلة، ومنشأ تحريف الأديان المحرفة، وشبهة الابتداع في الدين الحق المصحح كتابه المعصوم للاديان المبدلة، والمهيمن على الكتب المحرفة، المحررة سنة رسوله بالاسانيد المتصلة، المحصاة تراجم رواتها في الكتب المدونة، فمن العجائب بعد هذا أن ينتشر في أهله الابتداع، وتتعارض فيه المذاهب وتتعادى الاشياع، مع نهي الكتاب عن التفرق والاختلاف، ووعيد المتفرقين بعذاب الدنيا وعذاب النار، ومع بيانه للمخرج من فتنة التنازع، ومعالجته لادواء التدابر والتقاطع، ولكنهم حكموا الاهواء، حتى في العلاج والدواء، فاتبعوا كما انبأ الرسول (ص) سنن من قبلهم، حتى في قوله تعالى (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم)

ومن غمة الجهل أن اكثر المسلمين لا يشعرون بهذا حتى علماؤهم الذين يروون حديث « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما، وفي رواية شبرا شبرا وذراعا ذراعا . فهم يقولون : صدق رسول الله، ولا حول ولا قوة الا بالله، ولا يبحثون في أسباب هذا الابتداع، ولا يتأملون في أقوال من بحث فيها قبلهم من العلماء، فقد نقل الحافظ ابن عبد البر في كتاب العلم وغيره من الحفاظ عن بعض علماء الصحابة والتابعين أن رأس البلية في هذا الابتداع القول في الدين بالرأي، وهذا هو الحق، فما من أحد يبتدع أو يتبع مبتدعا في أصول الدين او فروعه الا وهو يستدل على بدعته بالرأي، وقد ظهرت مباديء هذه البدع والآراء والاهواء في القرون الاولى قرون العلم والسنة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يكن هذا كله بمانع لها اذ كان من

فيه ، فهذا كله تعد للعدل . قال : وكذلك ما أبيح له قدر معين منه فتعداه الى أكثر منه كمن أبيح له إساغة الغصة بجرعة من خمر فتناول الكأس كلها ، أو أبيح له نظرة الخطبة والسوم والمعاملة والمداواة ، فأطلق عنان طرفه في ميادين محاسن المنظور ، وأسام طرف ناظره في تلك الرياض والزهور ، فتعدى المباح الى القدر المحظور ، الخ ما أطال به في وصف نظر الشهوة ومفاسده

ثم قال إن الغالب في استعمال البغي ان يكون في حقوق العباد والاستطالة عليهم ، وانه اذا قرن بالعدوان كان البغي ظلمهم بمحرم الجنس كالسرقة والكذب والبهت والابتداء بالاذى — والعدوان وتعدي الحق في استيفائه الى اكبر منه ، فيكون البغي والعدوان في حقهم كالاثم والعدوان في حدود الله (قال) فههنا أربعة أمور : حق لله وله حد ، وحق لعباده وله حد ، فالبغي والعدوان والظلم تجاوز الحدين الى ماوراءهما ، أو التقصير عنهما فلا يصل اليها اه

٥ — الشرك بالله وهو معروف وقد بينا أنواعه في مواضع من هذا التفسير ، ومن المعلوم بالضرورة انه أبطل الباطل فلا يمكن أن يقوم عليه حجة من العقل ، ولا سلطان من الوحي ، والسلطان الحجة البينة لان لها سلطة على العقل والقلب ، فقوله تعالى (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) بيان للواقع من شركهم ، وتكذيب لهم في مضمون قولهم (٦ : ١٤٨ لو شاء الله ماأشركنا) الآية [1] ونص على أن أصول الايمان ، يجب أن تكون بوحي من الله مؤيد بالبرهان ، فهو كقوله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) الآية ، ولا يكون الا كذلك . ولكنه تعالى عظم شأن الدليل والبرهان في دينه ، وناط به تصديق دعوى المدعي وردها ، بصرف النظر عن موضوعها ، حتى كأن من جاء بالبرهان على الشرك يصدق به ، وهو من فرض المحال ، للمبالغة في فضل الاستدلال ، وقد قال في سياق إقامة البراهين على توحيده (٢٧ : ٦٥ أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) على انه صرح بأنه ليس لديهم برهان ، فيما أقام على كذبهم فيه البرهان ، وكيف يكون لديهم ماهو في نفسه محال ، كقوله (١٠ : ٦٨ وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له مافي السموات وما في الارض ، إن عندكم من سلطان بهذا ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟) وان هنا نافية

«١» ص ١٧٦ ج ٨ تفسير

أو مكروه في الدين بغير دليل واضح من النصوص ، وما اكثر الغافلين عن هذا المتجرئين على التشريع ، وقد بينا مراراً في هذا التفسير ان هذا حق الله وحده، ومن تهجم عليه فقد جعل نفسه شريكاله ، ومن تبعه فيه فقد اتخذه رباً له، وقد كان علماء الصحابة والتابعين يتحامون القول في الدين بالرأي ويتدافعون الفتوى حتى في موضع الاجتهاد وإنما كان ائمة الامصار يقصدون بالتوسع في الاستنباط فتح ابواب الفهم لا التشريع الذي ألصق بهم، حتى اذا قال احدهم اكره كذا من باب الورع والاحتياط جعل اتباعه من بعده قوله من الكراهة الشرعية التي فسروها بأنها خطاب الله المقتضي للترك اقتضاءاً غير جازم وعلى ذلك فقس . وللمحقق ابن القيم تفصيل حسن لهذه المسألة وتفسير للآية في كتابه مدارج السالكين هذا نصه:

« وأما القول على الله بلا علم فهو اشد هذه المحرمات تحريما واعظمها إثما ، ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي عليها الشرائع والاديان ، ولا تباح بحال . بل لا تكون الا محرمة ، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال ، فان المحرمات نوعان : محرم لذاته لا يباح بحال ، ومحرم تحريمه عارض في وقت دون وقت . قال الله تعالى في المحرم لذاته (قل : إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) ثم انتقل منه الى ما هو أعظم منه فقال (والاثم والبغي بغير الحق) ثم انتقل منه الى ما هو أعظم منه فقال (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) ثم انتقل منه الى ما هو اعظم منه فقال (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثماً ، فانه يتضمن الكذب على الله ونسبته الى ما لا يليق به ، وتغيير دينه وتبديله ، ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه ، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما أحقه ، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه ، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه ، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله ، فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ولا أشد إثماً ، وهو أصل الشرك والكفر ، وعليه اسست البدع والضلالات . فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم

« ولهذا اشتد نكير السلف والائمة لها ، وصاحوا بأهلها من أقطار الارض وحذروا فتنتهم أشد التحذير ، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان ، اذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد .

من الافراد ، لا من مصدر القوة والنظام ، الذي هو مقام الخلافة الاسلامية ، فكيف يكون الامر بعد ذلك وقد ضعف العلم او زال ، اذ لا علم الا علم الاجتهاد والاستقلال ، ثم فشا النفاق والدهان ، وصار طلب العلم الديني حرفة للكسالى والرذال ، روى ابن أبي خيثمة من حديث أنس : قيل يارسول متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال : « اذا ظهر فيكم ما ظهر في بني اسرائيل — اذا ظهر الادهان في خياركم ، والفحش في شراركم ، والملك في صغاركم ، والفقه في رذالكم » أورده الحافظ وأقره، ثم قال وفي مصنف قاسم بن أصبغ بسند صحيح عن عمر : فساد الدين اذا جاء العلم من قبل الصغير ، استعصى عليه الكبير ، وصلاح الناس اذا جاء العلم من قبل الكبير ، تابعه عليه الصغير . (قال) وذكر أبو عبيد أن المراد بالصغر في هذا صغر القدر لا السن اه وصغير القدر هو المهين الذي ليس له من العقل والفضيلة وعزة النفس ما يحترم به ويتخذ قدوة ، كما هو شأن اكثر المسترزقة بطلب العلوم الشرعية ، ومنه يعلم أن الكبير هو الكبير بعقله وفضله ، لا بنسبه وماله ، (١)

حرم الله تعالى على عباده ان يقولوا عليه شيئا بغير علم ، والرأي والظن ليس من العلم ، قال تعالى في غير المؤمنين (٥٣ : ٢٨ وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا) وما شرع من اجتهاد الرأي في حديث معاذ وغيره فهو خاص بالقضاء لانه نص فيه ويتوقف عليه ومثله سائر الاحكام الدنيوية ، من سياسية وادارية، لا في اصول دين الله وعبادته وما حرم على عباده تحريما دينيا فان الله اكمل دينه فلم يترك فيه نقصا يكمله غيره بظنه ورأيه ، بعد وفاة رسوله ، وليس لحاكم ولا مفت ان يسند رأيه الاجتهادي الى الله تعالى فيقول هذا حكم الله وهذا دينه ، بل يقول هذا مبلغ اجتهادي فان كان صوابا فمن توفيق الله تعالى وإلهامه وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان كما روي عن بعض أئمة سلفنا الصالحين . ومن تأمل هذه الآية حق التأمل فانه يجتنب ان يحرم على عباد الله شيئا أو يوجب عليهم شيئا في دينهم بغير نص صريح عن الله ورسوله بل يجتنب ايضا ان يقول هذا مندوب

«١» كالاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان امير البلاد يهابه حتى قال مرة انه يدخل علي كانه فرعون ! فذكر ذلك للاستاذ فقال انما فرعون صاحب ملك مصر وهو هو وانما انا من رعيته . .

الاحكام الشرعية

﴿ المتعلقة بالخلافة الاسلامية ﴾

لقد كانت الخلافة والسلطنة فتنة للناس في المسلمين كما كانت حكومة الملوك فتنة لهم فى سائر الامم والملل . وكانت هذه المسألة نائمة فأيقظها الاحداث الطارئة في هذه الايام ، اذ أسقط الترك دولة آل عثمان ، وأسسوا من أنقاضها فيهم دولة جمهورية بشكل جديد. من أصوله أنهم لا يقبلون أن يكون فى حكومتهم الجديدة سلطة لفرد من الافراد لا باسم خليفة ولا باسم سلطان ، وانهم قد فصلوا بين الدين والسياسة فصلا تاما ؛ ولكنهم سموا أحد أفراد أسرة السلاطين السابقين ، خليفة روحيا لجميع المسلمين وحصروا هذه الخلافة في هذه الاسرة ، كما بينا ذلك بالتفصيل فى هذا الجزء وما قبله من المنار ، لذلك كثر خوض الجرائد في مسألة الخلافة واحكامها ، وكثر الخلط والخبط فيها ، ولبس الحق بالباطل ؛ فرأينا من الواجب علينا أن نبين أحكام شريعتنا فيها بالتفصيل الذي يقتضيه المقام ، ليعرف الحق من الباطل ، وأن نقفي على ذلك بمقال آخر في مكان نظام الخلافة من نظم الحكومات الاخرى وسيرة المسلمين فيه وما ينبغي لهم في هذا الزمان ، وان تأييدنا للحكومة التركية الجديدة ، لما يوجب علينا هذا البيان والنصيحة ، ونحن انما نؤيدها لمكان الدين ، ومصلحة المسلمين ، وما أضعف ديننا وأهله ، الا محاباتهم للاقوياء فيه ، فكانت محاباة العلماء للملوك والخلفاء وبالا عليهم وعلى الناس ، وقد أخذ الله الميثاق على العلماء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه — ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) ومن الله نستمد الصواب ؛ ونسأله الحكمة وفصل الخطاب :

وقد أنكر تعالى على من نسب الى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب : هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية . فكيف بمن نسب الى أوصافه مالم يصف به نفسه ؟ أو نفى عنه منها ماوصف به نفسه ؟ قال بعض السلف : ليحذر أحدكم أن يقول أحل الله كذا وحرم الله كذا ، فيقول الله : كذبت لم أحل هذا ولم أحرم هذا . يعني التحليل والتحريم بالرأي المجرد بلا برهان من الله ورسوله

« وأصل الشرك والكفر هو القول على الله بلا علم ، فان المشرك يزعم أن من اتخذه معبوداً من دون الله ، يقربه الى الله ويشفع له عنده ، ويقضي حاجته بواسطته ، كما تكون الوسائط عند الملوك . فكل مشرك قائل على الله بلا علم ، دون العكس ، إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والابتداع في دين الله ، فهو أعم من الشرك ، والشرك فرد من أفراده . ولهذا كان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موجبا لدخول النار ، واتخاذ منزلة منها مبوءه ، وهو المنزل اللازم الذي لا يفارقه صاحبه ، لانه متضمن للقول على الله بلا علم كصريح الكذب عليه ، لان ما انضاف الى الرسول فهو مضاف الى المرسل ، والقول على الله بلا علم صريح افتراء الكذب عليه (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟) فذنوب أهل البدع كلها داخلة تحت هذا الجنس فلا تتحقق التوبة منه الا بالتوبة من البدع ، وانى بالتوبة منها لمن لم يعلم أنها بدعة ، أو يظنها سنة ، فهو يدعو اليها ، ويحض عليها ؟ فلا تنكشف لهذا ذنوبه التي تجب عليه التوبة منها ، الا بتضلعه من السنة وكثرة اطلاعه عليها ، ودوام البحث عنها والتفتيش عليها ، ولا ترى صاحب بدعة كذلك أبداً . فان السنة بالذات تمحق البدعة ولا تقوم لها ، واذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة ، وازالت ظلمة كل ضلالة ، اذ لا سلطان للظلمة مع سلطان الشمس ، ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة ، ويعينه على الخروج من ظلمتها الى نور السنة ؛ الا تجريد المتابعة ، والهجرة بقلبه كل وقت الى الله ، بالاستعانة والاخلاص وصدق اللجأ الى الله ، والهجرة الى رسوله ، بالحرص على الوصول الى أقواله واعماله وهديه وسنته « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله » ومن هاجر الى غير ذلك فهو حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة والله المستعان . » اه

ومعرفته بالكتاب والسنة ، وهو يقتضي وجوب حصوله وذلك بنصبه اه ومعنى الا خير أن ما اجمعوا عليه من وجوب طاعته في المعروف شرعا ووجوب معرفته بالكتاب والسنة وكونها من اهم شروطه يقتضي ان نصبه واجب شرعا وقد اطال السعد في شرح المقاصد في بيان هذه الوجوه وما اعترض به بعض المبتدعة المخالفون عليها والجواب عنها

وقد غفل هو وأمثاله عن الاستدلال على نصب نصب الامام بالاحاديث الصحيحة الواردة في التزام جماعة المسلمين وامامهم وفي بعضها التصريح بأن « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » رواه مسلم من حديث لابن عمر مرفوعاً ، وسيأتي حديث حذيفة المتفق عليه وفيه قوله (ص) له « تلزم جماعة المسلمين وامامهم »

٣ – من ينصب الخليفة ويعزله

اتفق اهل السنة على ان نصب الخليفة فرض كفاية ، وان المطالب به اهل الحل والعقد في الامة ، ووافقهم المعتزلة والخوارج على ان الامامة تنعقد ببيعة اهل الحل والعقد . ولكن اضطرب كلام بعض العلماء في اهل الحل والعقد من هم ؟ وهل تشترط مبايعتهم كلهم ام يكتفى بعدد معين منهم ؟ ام لا يشترط العدد ؟ وكان ينبغي ان تكون تسميتهم بأهل الحل والعقد مانعة من الخلاف فيهم ، اذ المتبادر منه انهم زعماء الامة واولو المكانة وموضع الثقة من سوادها الاعظم ، بحيث تتبعهم في طاعة من يولونه عليها فينتظم به امرها ، ويكون بمأمن من عصيانها وخروجها عليه ، قال السعد في شرح المقاصد كغيره من المتكلمين والفقهاء : هم العلماء والرؤساء ووجوه الناس [1] زاد في المنهاج للنووي الذين يتيسر اجتماعهم . وعلله شارحه الرملي بقوله لان الامر ينتظم بهم ويتبعهم سائر الناس . وهذا التعليل هو غاية التحقيق منطوقاً ومفهوماً فاذا لم يكن المبايعون بحيث تتبعهم الامة فلا تنعقد الامامة بمبايعتهم . وهذا هو المأخوذ من عمل الصحابة رضي الله عنهم في تولية الخلفاء الراشدين فان عمر عدّ البدء في بيعة ابي بكر فلتة لانه وقع قبل ان يتم التشاور بين جميع اهل الحل والعقد اذ لم

« ١ » قال الشبراملسي في قولهم ووجوه الناس : من عطف العام على الخاص فان وجوه الناس عظماؤهم بامارة أو علم أو غيرهما اه ص ١٢٠ ج ٧

١ — التعريف بالخلافة

الخلافة، والامامة العظمى، وإمارة المؤمنين — ثلاث كلمات معناها واحد وهو رئاسة الحكومة الاسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا

قال العلامة الاصولي المحقق السعد التفتازاني في متن مقاصد الطالبين ، في علم أصول عقائد الدين[1] : « الفصل الرابع — أي من العقائد السمعية — في الامامة وهي رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم

وقال العلامة الفقيه ابو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية[2] الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا

وكلام سائر علماء العقائد والفقهاء من جميع مذاهب أهل السنة لا يخرج عن هذا المعنى ، الا أن الامام الرازي زاد قيداً في التعريف فقال : هي رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص . وقال هو احتراز عن كل الامة اذا عزلوا الامام لفسقه . قال السعد في شرح المقاصد بعد ذكر هذا القيد في التعريف وما علله به : وكأنه أراد بكل الامة أهل الحل والعقد واعتبر رئاستهم على من عداهم أو على كل من آحاد الامة اه

٢ — حكم الامامة أو نصب الخليفة

أجمع سلف الامة واهل السنة وجمهور الطوائف الاخرى على ان نصب الامام أي توليته على الامة واجب على المسلمين شرعا لاعقلا فقط كما قال بعض المعتزلة واستدلوا بأمور لخصها السعد في متن المقاصد بقوله : لنا وجوه (الاول) الاجماع وبين في الشرح ان المراد اجماع الصحابة قال وهو العمدة ، حتى قدموه على دفن النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) انه لا يتم الا به ما وجب من اقامة الحدود وسد الثغور ونحو ذلك مما يتعلق بحفظ النظام (الثالث) ان فيه جلب منافع ودفع مضار لا تحصى وذلك واجب اجماعا (الرابع) وجوب طاعته

«١» توفي سعد الدين سنة ٧٩١ وطبع شرحه للمقاصد في الاستانة سنة ١٣٠٥ وهو عمدة علماء الكلام من العرب والترك وغيرهم «٢» توفي سنة ٤٥٠ وكتابه هذا فريد في بابه وهو مطبوع بمصر سنة ١٢٢٨ ومترجم بعدة لغات

منهم اذا كان بمشهد من الشهود وهو غلط أوضح . وقد ذكر هذا القول الفقهاء مقيدا بما اذا انحصر الحل والعقد فيه [1] بأن وثق زعماء الامة به وفوضوا أمرهم اليه ، وهذا لم يقع ويندر ان يقع . وامامة عثمان لم تكن بمبايعة عبد الرحمن بن عوف وحده بل كانت عامة لا خاصة به، وكذلك مبايعة عمر لابي بكر ، فان الامامة لم تنعقد بمبايعته وحده بل بمتابعة الجماعة له، وقد صح ان عمر أنكر على من زعم ان البيعة تنعقد بواحد من غير مشاورة الجماعة وكان بلغه هذا القول في أثناء حجه فعزم على بيان حقيقة امر المبايعة وما يشترط فيها من الشورى على جماهير الحجاج فذكره بعضهم بان الموسم يجمع اخلاط الناس ومن لا يفهمون المقال ، فيطيرون به كل مطار ، وانه يجب ان يرجيء هذا البيان الى أن يعود الى المدينة فيلقيه على اهل العلم والرأي ففعل

قال على منبر الرسول (ص) : بلغني ان قائلا منكم يقول والله لو مات عمر لبايعت فلانا ـ فلا يغترن امرؤ ان يقول ان بيعة ابى بكر كانت فلتة فتمت، الا وانها قد كانت كذلك ولكن وقى الله شرها ، وليس فيكم من تقطع اليه الاعناق [2] مثل أبي بكر، من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة ان يقتلا . ثم ساق خبر بيعة ابي بكر وما كان يخشى من وقوع الفتنة بين المهاجرين والانصار لولا تلك المبادرة بمبايعته للثقة بقبول سائر المسلمين . رواه البخاري وقد أقرت جماعة الصحابة عمر على ذلك فكان اجماعا

فتحرر بهذا أن الاصل في المبايعة ان تكون بعد استشارة جمهور المسلمين واختيار أهل الحل والعقد ولا تعتبر مبايعة غيرهم الا أن تكون تبعاً لهم . وان عمل عمر (رض) خالف هذا الاصل القطعي فكان فلتة لمقتضيات خاصة لا أصلا شرعيا يعمل به ، ومن تصدى لمثله فبايع احدا فلا يصح ان يكون هو ولا من بايعه اهلا للمبايعة ، بل يكون ذلك تغريرا قد يفضي الى قتلهما اذا أحدث في الامة شقاقا يوجبه

٤ — سلطة الامة ومعنى الجماعة

قال الله تعالى في وصف المؤمنين (وامرهم شورى بينهم) والقرآن يخاطب جماعة المؤمنين بالاحكام التي يشرعها حتى احكام القتال ونحوها من الامور العامة

«١» الرملي في شرح المنهاج ص ١٢٠ ج ٧ «٢» اي اعناق المطي في الرحلة اليه

يكن في سقيفة بني ساعدة احد من بني هاشم وهم في ذروتهم ، وتضافرت الروايات بأن أبا بكر (رض) اطال التشاور مع كبراء الصحابة فى ترشيح عمر فلم يعبه أحد له بشيء الا شدته ، وان كانوا يعترفون انها في الحق فكان يجيبهم بأنه يراه يلين فيشتد هو - وهو وزيره - ليعتدل الامر ، وان الامر اذا آل اليه يلين في موضع اللين ويشتد في موضع الشدة - حتى اذا رأى انه أقنع جمهور الزعماء - وفي مقدمتهم علي كرم الله وجهه - صرح باستخلافه فقبلوا ولم يشذ منهم أحد ، ولما طعن عمر رأى حصر الشورى الواجبة في الستة الزعماء الذين مات الرسول (ص) وهو عنهم راض لعلمه بأنه لا يتقدم عليهم احد ولا يخالفهم فيما يتفقون عليه أحد ، لأنهم هم المرشحون للامامة دون سواهم (وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن ابن عوف) ، ولما أخرج نفسه عبدالرحمن بن عوف منهم وجعلوا له الاختيار بقي ثلاثا لا تكتحل عينه بكثير نوم وهو يشاور كبراء المهاجرين والانصار ، ولما رجح عثمان دعا المهاجرين والانصار وامراء الاجناد فلما اجتمعوا عند منبر رسول الله (ص) بعد صلاة الفجر صرح لهم باختياره وبايعه هؤلاء كلهم ، رواه البخاري في صحيحه وغيره . والمراد بأمراء الاجناد ولاة الاقطار الكبرى مصر والشام وحمص والكوفة والبصرة وكانوا قد حجوا مع عمر في ذلك العام وحضروا معه المدينة . ولما شذ احد هؤلاء الولاة - وهو معاوية فلم يبايع عليا كرم الله وجهه مع اجماع سائر المسلمين على مبايعته كان من الفتنة وتفرق الكلمة ما كان . وانما تصح المبايعة باتفاقهم ، أو اتفاق الا كثرين الذين يتبعهم غيرهم ، ومن لم يتبعهم بالاختيار ، سهل عليهم إكراهه بقوة الامة على الطاعة والانقياد ومن رؤسائهم في هذا العصر قواد الجيش ، كوزير الحربية واركان الحرب ، ومتى تمت البيعة في العاصمة وجب ان تتبعها الولايات بمبايعة ولانها اذا كانوا يتبعون فيها ، والا وجب ان ينضم اليهم زعماء أهلها من العلماء والقواد وغيرهم

وغلط بعض المعتزلة والفقهاء فقالوا ان البيعة تنعقد دائما بخمسة ممن يصلح للامامة بدليل ما أشار به عمر اذ حصر الشورى في الستة المرشحين وقبل جميع الصحابة منه ذلك فكان اجماعا . نعم كان إجماعا في تلك الواقعة ، لا إجماعا على ذلك العدد في كل مبايعة ، وقالوا ان مذهب الاشعري انها تنعقد بعقد واحد

الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) فقد حقق أن المراد بأولي الامر أهل الحل والعقد الذين يمثلون سلطة الامة . وقد تابعه على هذا النيسابوري واختاره الاستاذ الامام ، ووضحناه في التفسير مستدلين عليه بقوله تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ومن المعلوم بالضرورة أن أولي الامر الذين كانوا مع الرسول يرد اليهم معه أمر الامن والخوف وما أشبههما من المصالح العامة ليسوا علماء الفقه ولا الامراء والحكام — بل أهل الشورى من زعماء المسلمين (١)

٥ — شروط أهل الاختيار للخليفة

اشترط العلماء في جماعة المسلمين أهل الحل والعقد شروطا بينها الماوردي في الاحكام السلطانية بقوله :

(فصل) فاذ اثبت وجوب الامامة ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم (١) فاذا قام بها من هو اهلها سقط فرضها عن الكافة وان لم يقم بها احد حرج من الناس فريقان (احدهما) اهل الاختيار حتى يختاروا اماماً للامة (والثاني) أهل الامامة حتى ينتصب احدهم الامامة ، .

فاما اهل الاختيار فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة (احدها) العدالة الجامعة لشروطها (والثاني) العلم الذي يتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة على الشروط المعتبرة فيها (والثالث) الرأي والحكمة المؤديان الى اختيار من هو للامامة اصلح ، وبتدبير المصالح اقوم واعرف . وليس لمن كان في بلد الامام على غيره من أهل البلاد فضل مزية يقدم بها عليه ، وإنما صار من يحضر ببلد الامام متوليا لعقد الامامة عرفا وشرعا ، لسبوق علمهم بموته ، ولان من يصلح للامامة في الاغلب موجودون في بلده اه (فتح الباري)

أقول لهذه الشروط مأخذ من هدي السلف فقد قال الطبري : لم يكن

---

(١) راجع تفسير « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم » في آخر تفسير المجلد ١٣ وأول ١٤ من المنار أو الجزء الخامس من التفسير ص ١٨٠ — ٢٢٢

المراد بطلب العلم هنا تحصيل ما فوق الفروض العينية من علوم اللغة والشرع وفنون المعيشة والطب والقتال

التي لا تتعلق بالافراد كما بيناه في التفسير ، وقد امر بطاعة اولي الامر — وهم جماعة — لا اولي الامر ، وذلك ان ولي الامر إنما يطاع بتأييد جماعة المسلمين الذين بايعوه له وثقتهم به ، ويدل على هذا المعنى ماورد من الاحاديث الصحيحة في التزام الجماعة وكون طاعة الامير تابعة لطاعتهم واجتماع الكلمة بسلطتهم كحديث ابن عباس في الصحيحين عن النبي (ص) قال « من رأى من أميره شيئاً فليصبر عليه فان من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية » ولما اخبر النبي (ص) حذيفة بن اليمان بما يكون في الامة من الفتن في الحديث الصحيح المشهور قال فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟ قال (ص) « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قال قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها » الخ

قال الطبري بعد ذكر الخلاف في الجماعة ، ومنه حصر بعضهم إياه في الصحابة ،: والصواب لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة (قال) وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحداً في الفرقة ويعتزل الجميع ان استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر اه نقله عنه الحافظ في شرح البخاري واقره

هؤلاء الجماعة هم اولو الامر من المسلمين واهل الحل والعقد و منهم أولو الشورى لدى الامام ، ومتى خوطب المؤمنون في الكتاب والسنة وآثار الصحابة في امر من الامور العامة فهم المعنيون المطالبون بتنفيذ الامر ، ومن الآثار الدالة على الاجماع في ذلك قول ابي بكر (رض) في خطبته الاولى بعد المبايعة : أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني ، واذا زغت فقوموني . وروي نحوه عن عمر وعثمان : وهم الذين فرضوا له راتب الخلافة رجل من أوساط المهاجرين لا أعلاهم ولا أدناهم

وقد تقدم في التعريف بالخلافة قول الرازي ان الرئاسة العامة هي حق الامة التي لها أن تعزل الامام (الخليفة) اذا رأت موجباً لعزله ، وقد فسر السعد معنى هذه الرئاسة لئلا تستشكل فيقال اذا كانت الرئاسة للامة فمن المرءوس ؟ فقال إنه يريد بالامة أهل الحل والعقد أي الذين يمثلون الامة بما لهم فيها من الزعامة والمكانة ، ورئاستهم تكون على من عداهم أو على جميع أفراد الامة . والثاني هو الصحيح ويؤيد هذا تفسير الرازي لاولي الامر في قوله تعالى (٤ : ٥٨ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا

وابن ماجه عن حذيفة وصححوه ، وبالغ فقهاء المذاهب المدونة فعدوا أعماله قواعد في الجزئيات كالخراج ومعاملة أهل الذمة وهي أعمال اجتهادية تتبع المصلحة

وهذا العلم هو المادة لما ذكر في الشرط الثالث من الحكمة وجودة الرأي . ولم يشترط قوة العصبية فيهم لان المفروض انهم أهل الحل والعقد الذين تعتمد عليهم الامة في امورها العامة ، وأن أحكام الشرع فيها هي الحاكمة والنافذة ، وان المسلمين لا يدينون الا بها ، ولا يخضعون الا لمن ينفذها ، وأما التغلب بعصبية الجنس فليس من هدي الاسلام في شيء ، بل هو خروج عن هدايته ، وحكمه فيه سيذكر بعد

فعلم مما تقدم ان لقب أهل الحل والعقد مراد به معنى المصدرين فيه بالقوة وبالفعل وهم الرؤساء الذين تتبعهم الامة في امورها العامة ، واهمها نصب الامام الاعظم وكذا عزله اذا ثبت عندهم وجوب ذلك ، ومن يملك التولية يملك العزل ، كما تقدم بيانه في مسألة سلطة الأمة ، قال امام الحرمين في الامام الذي «جار وظهر ظلمه وغشمه ولم يرعو لزاجر عن سوء صنيعه : فلاهل الحل والعقد التواطؤ على ردعه ولو بشهر السلاح ونصب الحروب »[١] ومن ظن ان كل من يوصف بالعلم والوجاهة تنعقد ببيعتهم الامامة ويجب على الامة اتباعهم فيها فقد جهل معنى الحل والعقد ومعنى الجماعة والاجماع ، وما تقدم من الاخبار والآثار ، ومن كلام المحققين في المسألة ولا سيما شروط اهل الاختيار .

٦ — الشروط المعتبرة في الخليفة

قال السعد : وقد ذكر في كتبنا الفقهية انه لا بد للامة من امام يحيي الدين ويقيم السنة وينتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها . ويشترط أن يكون مكلفا مسلماً عدلا حراً ذكراً مجتهداً شجاعاً ذا رأي وكفاية سميعاً بصيراً ناطقاً قريشياً . فان لم يوجد في قريش من يستجمع الصفات المعتبرة ولي كناني فان لم يوجد فرجل من ولد اسماعيل فان لم يوجد فرجل من العجم اهـ[٢]

والمراد بقوله مجتهدا الاجتهاد في الاحكام الشرعية ، بالعلم بأدلتها التفصيلية والتفصيل الاخير في حال فقد القرشي للشافعية وقيل انه من فرض ما لا يقع ،

«١» شرح المقاصد « ٢٧٢ ج ٢ » «٢» « ص ٢٧١ ج ٢ » ايضا

في أهل الاسلام أحد له من المنزلة في الدين والهجرة والسابقة والعقل والعلم والمعرفة بالسياسة ما للستة الذين جعل عمر الامر شورى بينهم .اه

أما العدالة التي هي الشرط الاول فهي عند الفقهاء عبارة عن التحلي بالفرائض والفضائل، والتخلي عن المعاصي والرذائل، وعما يخل بالمروءة ايضاً، واشترط بعضهم فيها ان تكون ملكة لا تكلفا ، ولكن التكلف اذا التزم صار خلقاً

وأما العلم فيعنون به علم الدين واذا اطلقوه كان المراد به العلم الاستقلالي المعبر عنه بالاجتهاد ، و يفهم من كلام بعضهم ان الاجتهاد في الشرع شرط في مجموعهم لا في كل فرد منهم؛ فقد قال في الروضة وأصلها انه يشترط ان يكون فيهم مجتهد

و تقييده شرط العلم بما قيده به يدل على أنه يختلف باختلاف الزمان فان استحقاق الامامة في هذا العصر يتوقف على علوم لم يكن يتوقف عليها في العصور القديمة ، وقد ذكر بعض العلماء أن من مرجحات اختيار الصحابة لابي بكر (رض) أنه كان أعلمهم بأنساب العرب وبأحوالهم وقواتهم ، ولاجل هذا لم يهب من قتال أهل الردة ما هابه عمر ، ولابد الآن للامام وجماعة الشورى (أهل الحل والعقد) لذين هم قوام إمامته وأركان حكومته من العلم بالقوانين الدولية والمعاهدات العامة ، وبأحوال الامم والدول المجاورة لبلاد الاسلام وذات العلاقات السياسية والتجارية بها من حيث سياستها وقوتها وما يخاف ويرجى منها ، وما يحتاج اليه لاتقاء ضرها والانتفاع بها..

ومن الآثار في ذلك قول الحافظ في الكلام على مبايعة عثمان من (الفتح) : والذي يظهر من سيرة عمر في امرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد انه كان لا يراعي الافضل في الدين فقط بل يضم اليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع فيها فلاجل ذلك استخلف (أي أمر) معاوية والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل منهم في أمر الدين والعلم كأبي الدرداء في الشام وابن مسعود في الكوفة اه وسيرة أبي بكر وعمر في الخلافة يقتدى بها ولا سيما في الامور العامة الكلية التي تسمى سنة بدليل اشتراط عبد الرحمن إياها مع سنة الرسول على علي وامتناعه عن ترجيحه لعدم جزمه في الجواب أو تقييده بالاستطاعة وترجيحه لعثمان لجزمه بغير قيد لان سنتهما نالت الاجماع ولقوله (ص) « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه احمد والترمذي

عليه العمل بتسليم الانصار واذعانهم لبني قريش ثم اذعان السواد الاعظم من الامة عدة قرون حتى ان الترك الذين تغلبوا على العباسيين وسلبوهم السلطة بالفعل لم يتجرأ أحد منهم على ادعاء الخلافة ولا التصدي لانتحالها حتى بالتغلب الذي يجيء الكلام فيه بعد ، وما ذلك الا لان الامة كلها مجمعة على ماذكر معتقدة له دينا بل كانوا يدعون النيابة عنهم ،

وأما الاحاديث في ذلك فكثيرة مستفيضة في جميع كتب السنة وقد أخرجوها في كتب الاحكام وأبواب الخلافة أو الامارة والمناقب وغيرها ولم يقع خلاف في مضمون مجموعها بين أهل السنة من عرب ولا عجم ، ولم يتصد أحد من علماء الترك لتأويلها ، وقد طبع بعض الكتب المثبتة لها في الآستانة باذن نظارة المعارف حتى في زمن السلطان عبد الحميد الذي لم يهتم بلقب الخليفة أحد مثله ومنها شرح المقاصد الذي نقلنا عنه هنا ما نقلنا ، وكذا المواقف مع شرحه وحواشيه . وحديث « قدموا قريشاً ولا تقدموها » الذي ذكره الماوردي رواه الشافعي والبيهقي في المعرفة بلاغاً وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة والبزار في مسنده من حديث علي كرم الله وجهه والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن السائب بأسانيدها صحيحة . وفي معناه حديث أبي هريرة المرفوع في الصحيحين « الناس تبع لقريش في هذا الشأن » ولا نريد ذكر بقية الاحاديث وانما خرجنا الحديث الذي اعتمده الماوردي وذكرنا مايقرب منه في لفظه لانه لم يخرجه

وحسبنا من قوة حديث « الائمة من قريش » من حيث الرواية قول الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند ذكره في المناقب من صحيح البخاري ما نصه : قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيا لما بلغني ان بعض فضلاء العصر ذكر انه لم يرو الا عن أبي بكر الصديق اه وذكر الحافظ أن لفظ أبي بكر لسعد ابن عبادة في السقيفة في مسند أحمد : والله لقد علمت ياسعد ان رسول الله (ص) قال وأنت قاعد « قريش ولاة هذا الامر » فقال له سعد: صدقت

فمن علم هذا لا يلتفت الى مايذكره بعض أهل هذا العصر من تأويل تلك الاحاديث والبحث في اسانيد بعضها او من ان شرط القرشية من الشروط الخلافية وان قال هذا بعض كبار المتكلمين فان هؤلاء يذكرون أمثال هذه الخلافات الشاذة عن بعض المبتدعة لاجل الرد عليها ، لا لانها كالخلاف بين أئمة الحق في المسائل الاجتهادية

وكل ماقبله متفق عليه عند أهل السنة ، الا الحنفية فقد أجاز بعضهم تولية غير العالم المجتهد لانه يستعين بالمفتين المجتهدين كالقضاء وقد قال الشيخ قاسم بن قلطوبغا في حاشيته على المسايرة لشيخه الكمال بن الهمام (١) ان الشروط التي لا تنعقد الخلافة بدونها عند الحنفية هي الاسلام والذكورة والحرية والعقل وأصل الشجاعة وان يكون قرشيا. اه أي وماعداهذه فشروط تقديم في الاختيار لاشروط انعقاد ووضح الماوردي هذه الشروط بقوله (٢)

« وأما أهل الامامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة (احدها) العدالة على شروطها الجامعة (والثاني) العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام (والثالث) سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة مايدرك بها (والرابع) سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض (والخامس) الرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح (والسادس) الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدوّ (والسابع) النسب وهو ان يكون من قريش لورود النص فيه ، وانعقاد الاجماع عليه ، ولا اعتبار بضرار حين شذ فجوزها في جميع الناس لان أبا بكر الصديق (رض) احتج يوم السقيفة على الانصار في دفعهم عن الخلافة لما بايعوا سعد بن عبادة عليها (أي أرادوا مبايعته) بقول النبي (ص) « الائمة من قريش » فأقلعوا عن التفرد بها ، ورجعوا عن المشاركة فيها حين قالوا : منا أمير ومنكم أمير ، تسليما لروايته ، وتصديقا لخبره ، ورضوا بقوله : نحن الامراء، وأنتم الوزراء وقال النبي (ص) « قدموا قريشا ولا تقدموها » — أي ولا تتقدموها — وليس مع هذا النص المسلم شبهة لمنازع فيه ، ولا قول لمخالف له . اه

أقول: قد تقدم الكلام في العدالة والعلم المشترطين في أهل الاختيار ويأتي مثله هنا بالاولى ، أما الاجماع على اشتراط القرشية فقد ثبت بالنقل والفعل، رواه ثقاة المحدثين واستدل به المتكلمون وفقهاء مذاهب السنة كلهم . وجرى

(١) توفي الكمال سنة ٨٦١ وهو من أجل علماء الحنفية قيل انه بلغ درجة الاجتهاد المطلق وتوفي الشيخ قاسم المذكور سنة ٨٧٨ والظاهر انه من علماء الترك، والمسايرة مطبوعة مع شرحها للكمال بن ابي شريف الشافعي المتوفى سنة ٩٠٥ وحاشية الشيخ قاسم بالمطبعة الاميرية سنة ١٣١٦ (٢) ص(٤و٥) من الاحكام السلطانية

ولهذه العلة لم يعط النبي (ص) المفتاح (أي مفتاح الكعبة) للعباس ابن عبد المطلب (رض) (والثاني) أن المهم في الخلافة رضاء الناس به واجتماعهم عليه وتوقيرهم إياه وان يقيم الحدود ويناضل دون الملة وينفذ الاحكام ، واجتماع هذه الامور لايكون الا في واحد بعد واحد ، وفي اشتراط أن يكون من قبيلة خاصة تضييق وحرج فربما لم يكن في هذه القبيلة من تجتمع فيه الشروط وكان في غيرها » اه

وأقول : إن الله تعالى ختم دينه وأتمه وأكمله بكتابه الحكيم الذي أنزله « قرآناً عربياً » [١] و « حكماً عربياً » [٢] على خاتم رسله العربي القرشي ، واقتضت حكمته أن يكون نشره في مشارق الارض ومغاربها بدعوة قريش وزعامتهم، وقوة العرب وحماية هذه الدعوة بسيوفهم ، وكل من دخل في الاسلام من الاعاجم وكان له عمل صالح فيه كان تابعاً لهم متلقياً عنهم ، على مساواة الشرع فى أحكامه بينهم ، ونبوغ كثير من مواليهم الذين استعربوا بالتبع لهم، وكانت قريش في جملة بطونها أكمل العرب خلقاً وأخلاقاً وفصاحة وذكاء وفهماً وقوة عارضة كما كانت أصرح نسباً في سلالة اسماعيل وأشرف تاريخاً في العرب بفضائلها وفواضلها وخدمتها لبيت الله تعالى — فكان مجموع هذه المزايا التي كملت بالاسلام مؤهلا لها لاجتماع كلمة العرب عليها ، ثم كلمة من يدخل في الاسلام من شعوب العجم بالاولى ، ولاسيما بعد النص من الرسول (ص) بذلك واجماع أصحابه عليه — فحكمة جعله صلوات الله وسلامه عليه خلافة نبوته فيها وسببه أمران (الاول) كثرة المزايا التي تنتشر بها الدعوة ، وتكون بحسب طباع البشر سبباً لجمع الكلمة ، ومنع المعارضة والمزاحمة أو ضعفها — وكذلك كان، فان الناس أذعنوا لهم على تنازعهم وكثرة من لم يقم بأعباء الخلافة منهم ولا أخذها بحقها فلم يكونوا يبتغون بديلا من فرد أو بيت منهم ، الا الى آخر منهم، وكان افتئات بعض الاعاجم على بعض العباسيين فسقا عن الشرع كسائر أنواع التعدي على الاموال والاعراض (والثاني) أن تكون اقامة الاسلام متسلسلة في سلائل أول من تلقاها ودعا اليها ونشرها حتى لا ينقطع اتصال سيرها المعنوي والتاريخي فان

« ١ » هذا اللفظ في سورة يوسف والزمر وفصلت والشورى والأحقاف
« ٢ » سورة الرعد آية ٣٩

وغرض من يماري أو يكتم شرط القرشية في هذا العصر تصحيح خلافة سلاطين بني عثمان ، وهذا مالا سبيل اليه عنـد أهل السنة المشترطين للقرشية باجماع مذاهبهم الا بقاعدة التغلب، وأما عند الخوارج فلا سبيل اليه البتة. لانهم انما أنكروا شرط القرشية، نعالحصر الامامة في بيت معين. وماذا يضر العثمانيين ان تكون خلافتهم بالتغلب وقد قال بعض الفقهاء في بني أمية وبني العباس كلهم أو جلهم مثل ذلك

وأما حكمة حصر النبي (ص) الخلافة الشرعية فيهم أو سببه فقد ذكر المتكلمون والفقهاء فيه ما روي من قول أبي بكر الصديق فيه للانصار في سقيفة بني ساعدة: من انهم أوسط العرب نسبا ودارا، وأعزهم أحسابا . وزاد بعضهم ما كان الصديق في غنى عنه في ذلك الوقت . وأجمع كلام لهم في هـذا ماذكره الشيخ أحمد ولي الله الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة) (١) وفي بعضه نظر قال : —

« والسبب المفضي لهذا ان الحق الذي أظهره الله على لسان نبيـه (ص) انما جاء بلسان قريش وفي عاداتهم، وكان أكثر ما تعين من المقادير والحـدود ماهو عندهم ، وكان المعد لكثير من الاحكام ماهو فيهم ، فهم أقوم به ، وأكثر الناس تمسكا بذلك ، وأيضاً فان قريشاً قوم النبي (ص) وحزبه ولا فخر لهم الا بعلو دين محمد (ص) وقد اجتمع فيهم حمية دينية ، وحمية نسبية ، فكانوا مظنة القيام بالشرائع والتمسك بها ، وأيضاً فانه يجب أن يكون الخليفة ممن لا يستنكف الناس من طاعته لجلالة نسبه وحسبه ، فان من لا نسب له يراه الناس حقـيرا ذليلا ، وأن يكون ممن عرف منهـم الرئاسات والشرف ، ومارس قومه جمع الرجال ونصب القتال ، وأن يكون قومه أقوياء يحمونه وينصرونه ويبذلون دونه الأنفس ، ولم تجتمع هـذه الامور الا في قريش ولا سيما بعـد مابعث النبي (ص) ونبه به أمر قريش ، وقد أشار أبو بكر الصديق (رض) الى هذه فقال : ولن يعرف هذا الامر الا لقريش هم أوسط العرب دارا الخ »

« وانما لم يشترط كونه هاشمياً مثلا لوجهين (أحدهما) أن لا يقع الناس في الشك فيقولوا انما أراد ملك أهل بيته كسائر الملوك فيكون سببا للارتداد ،

(١) ولد سنة ١١٠١ وتوفى سنة ١١٧٦ وهو مجدد علوم الدين في الهند في القرن الثاني عشر وكتابه هذا في حكمة التشريع طبع في الهند ومصر مرارا

في خلافة عثمان وأظهرها معاوية بعده . ولم يتجدد لقريش شأن في زمن الراشدين لم يكن لها ولا في زمن الامويين والعباسيين الا أن الامويين كانت عندهم عصبية لاهل بيتهم ثم للعربية فمقتهم العالم الاسلامي وقلبهم قبل أن يستكمل ملكهم قرناً واحداً .

ولم يكن لبني تيم في خلافة أبي بكر ولا لبني عدي في خلافة عمر أدنى امتياز على أحد من أقرانهم ، ونزوان بني أمية على مصالح الامة في زمان عثمان كان بسبب ضعفه، لا بنعرة عصبية منه، ولم يغفر له الرأي الاسلامي العام هذا بل هاج الناس عليه حتى كان ذلك تمهيدا لتمكن أصحاب الدسائس الخفية في الاسلام من قتله، أعني دسائس حزب عبدالله بن سبأ اليهودي والمجوس مثيري الفتن في الاسلام

وقد روي ان الامام العادل العاقل عمر حذر عثمان وعلياً وعبدالرحمن من مثل هذا الايثار الاقارب المنافي لهدي الاسلام والمفضي الى فساد الامر ، فقال لهم لما جعل الامر في الستة : ان الناس لن يعدوكم أيها الثلاثة ، فان كنت ياعثمان في شيء من أمر الناس فاتق الله ولا تحملن بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس ، وان كنت ياعلي فاتق الله ولا تحملن بني هاشم على رقاب الناس ؛ وقال لعبد الرحمن مثل ذلك . ذكره الحافظ في شرح البخاري ، وقوله ان الناس لن يعدوكم مبني على القاعدة التي قررناها وهي ان أمر الخلافة للامة لا للستة الزعماء الذين أراد عمر جمع كلمة الامة بجمع كلمتهم لعلو مكانتهم فيها بمناقبهم

على ان النبي (ص) قد أوعد قريشا في بعض الاحاديث بانتقام الله منهم اذا لم يقيموا الحق والعدل والرحمة كما شرعها ، والاحاديث في ذلك متعددة منها قوله (ص) « يامعشر قريش انكم أهل هذا الامر مالم تحدثوا فاذا غيرتم بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى القضيب » رواه أحمد وأبو يعلى عن ابن مسعود بسند رجاله ثقات وله طريق آخر بلفظ آخر وشواهد ومنها « الامراء من قريش ما عملوا فيكم بثلاث — مارحموا اذا استرحموا وأقسطوا اذا قسموا وعدلوا اذا حكموا » رواه الحاكم عن أنس بسند حسن

هذا وان العباسيين لم يحملوا بني هاشم على رقاب الناس بل كانوا أشدمن بني أمية وطأة على العلويين الذين هم خيارهم وفضلوا الفرس ثم الترك على العرب

الملل والامم وليدة التاريخ وربيبته

ألم تروا أن سيرة الخلفاء الراشدين تعد هي المثل الاعلى لاحكام الكتاب والسنة النبوية وهديهما ، وان سيرة الخلفاء المدنيين من الامويين والعباسيين الذين نشروا العلوم والفنون ورقوا الحضارة في الشرق والغرب تعد أصل المدنية الاسلامية وسندها ؟ أو لم تروا أن صلة العالم الاسلامي بمهد الاسلام الموضعي (الحجاز) تعد في الدرجة الثانية لصلته بكتابه وسنته، حتى ان الخليفة الذي نصبته الدولة التركية الجديدة في الآستانة قد لقب نفسه بخادم الحرمين الشريفين كالسلاطين الذين كان الحجاز خاضعاً لهم ؟

ألم تعلموا ان الاسلام على حريته وسماحته قد خص الحجاز أوجزيرة العرب بأن لا يبقى فيها دينان وأوصى بذلك النبي (ص) في آخر حياته ؟ ألم يبلغكم أن بعض المؤرخين من غير المسلمين قال: لو ان الجيش الذى فتح جنوب فرنسة بعد فتح الاندلس كان كله او اكثره عربياً لملك اوربة كلها ودان له اهلها ، وانما انتقض الافرنج عليه لان اكثره كان من البربر الذين لم يفهموا الاسلام ولم يلتزموا احكامه في حفظ العهود والعدل وعدم الاعتداء على الاموال والاعراض كالعرب ، أفرأيتم لو جعل الاسلام خلافة النبوة مشاعا وتغلب عليها العجم من القرون الاولى أكان يحفظ الاسلام ولغته كما حفظ بنشر خلفاء قريش له من برهم وفاجرهم ؟ وهذا بحث يتسع المجال لشرحه ولكن في غير هذا المقال الذي نريد أن يكون بقدر الحاجة الطارئة ،

وقد أورد بعض فضلاء العصر شبهة على جعل الخلافة في قريش بأنها تعارض ماجاء به الاسلام من المساواة ومن نزع العصبية وتسوّد طائفة معينة على سائر المسلمين بل جعلها كالشبهة التي أوردها بعض العلماء على الشيعة الذين يحصرونها في العلويين من أنها تفتح باب الطعن في الاسلام لغير المؤمنين بزعمهم أن النبي (ص) انما أسس ملكا لاهل بيته ، وكل ذلك ظاهر البطلان كما بيناه في موضع آخر من المنار فان قريشاً بطون كثيرة متفرقة وكان بينها من التعادي في الجاهلية مابين غيرها من قبائل العرب وبطونها ومنه عداوة بني عبد شمس لبني هاشم التي خفيت في بعد فتح النبي (ص) لمكة وتأليفه لابي سفيان كبير بني أمية وفي خلافة أبي بكر وعمر ، وبدأ الاستعداد لاظهارها

وكان الصحابة يبايعون النبي (ص) على السمع والطاعة في المنشط والمكره وقول الحق والقيام به فيما استطاعوا وعدم عصيانه في معروف ، كما قال تعالى في مبايعة النساء له (ولا يعصينك في معروف) وقد صح أن النبي (ص) هو الذي كان يلقنهم قيد الاستطاعة عند المبايعة .[1] وقد بايعوه أيضاً على الاسلام وعلى الهجرة وعلى الجهاد والصبر وعدم الفرار من القتال وعلى بيعة النساء المنصوصة في القرآن . والاحاديث في هذا معروفة في الصحيحين والسنن . نخص بالذكر منها حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه ولفظه كما في كتاب الفتن من البخاري : دعانا النبي (ص) فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وان لا ننازع الامر أهله « إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » ولفظه في باب المبايعة من كتاب الاحكام « بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الامر أهله ، وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » قال الحافظ في شرح حديث البخاري في المبايعة على السمع والطاعة الذي تقدم في الأصل عند قوله فيه من كتاب الفتن « وأن لا ننازع الامر أهله » أي الملك والامارة ،

وجملة القول ان العلماء اتفقوا على وجوب الخروج على الامام بالكفر واختلفوا في الظلم والفسق لتعارض الادلة ومنها سد ذريعة الفتنة والتحقيق المختار ان على الافراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما دون الخروج على وليّ الامر بالقوة ، وأما أهل الحل والعقد فيجب عليهم مايرون فيه المصلحة الراجحة حتى القتال وقد تقدم النقل فى هذا في مسألة سلطة الامة وسنعود اليه في بحث مايخرج به الامام من الخلافة

٨ - ما يجب على الامة بالمبايعة

ومتى تمت المبايعة وجب بها على المبايعين وسائر الامة بالتبع لهم الطاعة للامام في غير معصية الله والنصرة له ، وقتال من بغى عليه أو استبد بالامر دونه ، وسيأتي الكلام على دار العدل والجماعة ، وما يتعلق بها كحكم الهجرة

وأهم مايجب التذكير به من طاعة الامام الحق على كل مسلم وكذا امام الضرورة أو التغلب على كل من بايعه بالذات ومن لزمته بيعة أهل الحل والعقد —

وأما العلويون فكانوا أزهد الناس في الدنيا وملكها ، ولولا ذلك لسعوا لها سعيها، ومن صح منه الهوى أرشد للحيل ، ولم يتول أحد منهم الامامة بعد أن نزل عنها الامام الحسن السبط عليه السلام الا أئمة الزيدية في اليمن فكانوا وما زالوا أفضل وأعدل أهل بيت تولوها بعد الراشدين . واما ادارسة المغرب فيلقبون بالسلاطين وأما العبيديون فكانوا أدعياء في النسب وفي الاسلام أيضاً

وجملة القول ان الشعوبية اوردوا شبهات كثيرة على العرب وعلى قريش وأجاب عنها العلماء كابن قتيبة وغيره ، ولكل قوم محامد ومساوى ودين الله فوق كل شيء وما صح دليله واجمعت عليه الامة او سوادها الاعظم في خير القرون لا نقبل رأياً ولا بحثاً في نقضه والا لم يبق لنا شيء . من ديننا ، وما كانت أهواء العصبية والمحاباة في الدين الا فتنة لنا ، وضارة بعربنا وعجمنا ، وان جهل ذلك الكثيرون منا ، وان حكمة الشارع (ص) في جعل خلافة نبوته في قريش منزهة عن العصبية الجاهلية التي حرمها ، ولبابها مكان قريش من هذا الدين ولغته وأهلها . إذ لم تقم له قائمة الا بهم وبها ، ثم لم يخدمه أحد من الاعاجم الا من أتقنها ، نخدمه أولا من استعرب من الفرس ، ثم جدد قوة دولته العثمانيون من الترك ، بعد ان مزق شمله وأضعفه سلفهم ، وسنبين بعد ما يجب له علينا وعليهم .

٧ — صيغة المبايعة

الامامة عقد تحصل بالمبايعة من أهل الحل والعقد لمن اختاروه اماماً للامة بعد التشاور بينهم ، والاصل في البيعة أن تكون على الكتاب والسنة وإقامة الحق والعدل من قبله وعلى السمع والطاعة في المعروف من قبلهم . ففي الصحيح ان عبدالرحمن ابن عوف قال في مبايعته لعثمان : أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده ، وبايعه الناس على ذلك . وان الناس لما اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل عبد الله بن الزبير بايعه عبد الله ابن عمر (رض) بعد ان كان امتنع عن مبايعتهما دعاً لاجل الخلاف والتفرقة . فكتب اليه : اني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت ، واني بني قد أقروا بذلك .

بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما) قال فسكت ساعة ثم قال اطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله اه

وقد أعز الله البشر بالاسلام ومقتضى الكتاب والسنة انه لا طاعة ولا خضوع فيه الا لله تعالى ، وطاعة الرسول من طاعته لقوله (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وطاعة اولي الامر كذلك لقوله (وأولي الامر منكم) ولذلك اشترط فيها ان تكون في تنفيذ اصول شرعه او فروعه . وقد قال بعض امراء بني أمية لبعض علماء التابعين : أليس الله قد أمركم بأن تطيعونا في قوله (وأولي الامر منكم) ؟ فقال له : أليست قد نزعت عنكم — يعني الطاعة — اذ خالفتم الحق بقوله (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ؟ نقله الحافظ في الفتح : قال ومن بديع الجواب وذكره . على ان اولي الامر هنا الجماعة أي الامة كما تقدم

٩ — ما يجب على الإمام للملة والامة

يجب على الامام نشر دعوة الحق ، واقامة ميزان العدل ، وحماية الدين من الاعتداء والبدع ، والمشاورة في كل ماليس فيه نص ، وهو مسئول عن عمله يراجعه كل أحد من الامة فيما يراه أخطأ فيه ، ويحاسبه عليه أهل الحل والعقد ، وقد قال (ص) « الامام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته » رواه الشيخان من حديث لابن عمر وغيرهما . وقد بين الماوردي ما يجب عليه في عشر قواعد كلية لم يذكر منها مسألة المشاورة، على كثرة النصوص فيها، واستفاضة آثار الراشدين في الجري عليها ، اتباعاً لما صح من عمل النبي (ص) بها ، قال :

« والذي يلزمه من الامور العامة عشرة أشياء :

(أحدها) حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الامة، فان نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل ، والامة ممنوعة من زلل (الثاني) تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين ، وقطع الخصام بين المتنازعين ، حتى تعم النصفة فلا يتعدى ظالم ، ولا يضعف مظلوم (الثالث) حماية

أداء زكاة المال والانعام والزرع والتجارة — والجهاد الواجب وجوباً كفائياً على مجموع الامة والواجب وجوباً عينياً على أفرادها رجالا ونساء على ماهو مبين في كتب الفقه ، كما يجب عليهم طاعة من ولاهم أمر البلاد من الولاة السياسيين والقضاة وقواد الجيوش دون غيرهم ، ويجب على هؤلاء الخضوع له فيما يقيد به سلطتهم وفي عزله إياهم اذا عزلهم ، والشرط العام في الطاعة أن لا تكون في معصية لله تعالى والاحاديث الصحيحة في هذا معروفة ومجمع على معناها.

ومن الاخبار والآثار التي يحسن إيرادها هنا ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : دخلت المسجد فاذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست اليه فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره (١) اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه « الصلاة جامعة » فاجتمعنا الى رسول الله صلى عليه وسلم فقال « انه لم يكن نبي قبلي الا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير مايعلمه لهم وينذرهم شر مايعلمه لهم ، وان أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً (٢) وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس الذي يحب ان يؤتى اليه . ومن بايع اماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه. فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » فدنوت منه فقلت له: أنشدك الله آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأهوى الى أذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته أذناي ووعاه قلبي ، فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل اموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم

(١) انتضلوا وتناضلوا — تباروا في الرمي بالسهام ومثلها الرصاص . والجشر بالتحريك الدواب تجعل في مكان ترعى فيه وتبيت ، وهو مايسمونه الآن التربيع

(٢) يرقق الفتن بعضها بعضاً : يجعله رقيقا اي ضعيفا وانما ذلك بمجيء متاخرها أشد مما قبله ، فيعد المتقدم رقيقا بالاضافة الى مابعده

مازال يحلب دَرّ الدهر أشطره يكون متبعاً يوما ومتبعا
حتى استمر على شزر مريرته مستحكم الرأي لاقحما ولاضرعا [1]

(أقول) عبارته في الواجب الاول في منتهى التحقيق، وهو المحافظة على ما أجمع عليه السلف الصالح من الدين واطلاق الحرية للامة فيما سواه من المسائل الاجتهادية من حيث العلم وعمل الافراد في العبادات، واما ما يتعلق بالسياسة والقضاء المنوط بالحكومة فله أن يرجح بعض الاحكام الاجتهادية على بعض، باستشارة العلماء من أهل الحل والعقد، ولا سيما اذا لم يكن هو من اهل الاجتهاد في الشرع، ولقد كان ائمة الدين يطيعون الخلفاء فيما يخالف اجتهادهم من امور الحكومة اذا لم يخالف النص القطعي من الكتاب والسنة ولكنهم لم يطيعوهم في القول بخلق القرآن لانه من امور العقائد التي خالفوا فيها السلف.

والجهاد الذي ذكره في الواجب السادس أراد به القتال العيني والكفائي وانما يجب على كل مكلف اذا استولى العدو على بعض بلاد المسلمين وتوقف دفعه على ذلك والا اكتفى بمن يستنفرهم الامام بحسب الحاجة؛ والجهاد قد يكون بالمال واللسان ومنه الدعوة الى الاسلام بالبرهان، وتجب طاعة الامام في التعليم العسكري بنظام القرعة وغيره، وعليه أن يعد للاعداء ما يستطيع من قوة ليقاتلهم بما يقاتلوننا به أو يفوقهم، ومنه انشاء البوارج والغواصات والطيارات الحربية وأنواع الاسلحة الخ وتجب طاعته في ذلك كله بالمال والنفس بنص قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) والخطاب للامة وانما الرئيس هو الذي يوحد النظام فيها. وعلى هذا تكون العلوم والفنون الطبيعية والكيماوية والآلية كلها من الواجبات الكفائية ومالا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب. وليس في الاسلام جهاد يجب به قتال كل مخالف وان كان معاهدا أو ذميا

١٠ — الشورى في الاسلام

(أقول) وأهم ما يجب على الامام المشاورة في كل ما لا نص فيه عن الله ورسوله،

(١) المرير والمريرة الحبل والشزر الفتل من جهة اليسار وهى اشده، اي حتى ثبت واطرد عزمه وقوته على طريقة واحدة لا تردد فيها ولا ضعف كالحبل المفتول اشد الفتل، والقحم الضخم البطيء الحركة والضرع بالتحريك الضعيف والجبان

البيضة [١] والذب عن الحريم ، ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الاسفار ، آمنين من تغرير بنفس أو مال (والرابع) اقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك ، وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك (والخامس) تحصين الثغور بالعدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا تظهر الاعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً ، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد [٢] دماً (والسادس) جهاد من عاند الاسلام بعد الدعوة ، حتى يسلم أو يدخل في الذمة ، ليقام بحق الله تعالى في اظهاره على الدين كله (والسابع) جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف (والثامن) تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير (التاسع) استكفاء الامناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوضه اليهم من الاعمال ، ويكله اليهم من الاموال ، لتكون الاعمال بالكفاءة مضبوطة ، والاموال بالامناء محفوظة ، (العاشر) أن يباشر بنفسه مشارفة الامور وتصفح الاحوال لينهض بسياسة الامة ، وحراسة الملة ، ولا يعوّل على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة ، فقد يخون الامين ويغش الناصح ، وقد قال الله تعالى (ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ، ولا عذره في اتباع الهوى حتى وصفه بالضلال . وهذا وان كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع . قال النبي عليه السلام « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ولقد أصاب الشاعر فيما وصف به الزعيم المدبر حيث يقول (البسيط)

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا
وليس يشغله مال يثمره ... عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا [٣]

(١) البيضة في اللغة الواحدة من بيض الطير وبيضة الحديد ، وحوزة كل شيء وهي المراد هنا أي يحمي حوزة الامة وهو ما يسمونه اليوم بالامن العام
(٢) المعاهد هنا يشمل أهل الذمة ومن بيننا و بينهم معاهدات من الاجانب
(٣) هذا البيت لم يذكره الماوردي لئلا يتوهم انه ينبغي أن يكون ولي الامر أبتر معدما وان كان النفي للمال والولد باعتبار ما وصفا به وهو الشغل بهما عن مصلحة الامة

ولذلك كانوا اذا راجعوه في أمر امر به ورأوا المصلحة في غيره سألوه أقاله أو فعله بوحي من الله ام من رأيه ؟ فاذا قال انه من رأيه ذكروا رأيهم وقد يعمل به ورجحه على رأيه كما فعل في يوم بدر فقد جاء «ص» ادنى ماء فنزل عنده فقال الحباب بن المنذر : يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا ان نتأخر عنه ؟ ام هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » فقال يا رسول الله ليس هذا بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغوّر ما وراءه الخ فقال له النبي «ص» « لقد أشرت بالرأي » وعمل برأيه . وفي رواية ابن عباس عند ابن سعد أن جبريل نزل فقال للنبي « ص » الرأي ما اشار به الحباب بن المنذر

وقد استشار «ص» ابا بكر وعمر « رض » في اسرى بدر فاختلف رأيهما فقال « لو اجتمعتما ما عصيتكما » وكان رأيه موافقا لرأي ابي بكر فأنفذه ثم نزل الوحي بما يؤيد رأي عمر وهو قوله تعالى (ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض) الآيتين فقال « ص » لعمر « كاد يصيبنا في خلافك شر » والروايات في هذه المسألة كثيرة . وكل هذا كان قبل امر الله تعالى اياه بمشاورتهم فانه نزل في غزوة احد وفيها رجح رأي الاكثرين على رأيه «ص» ورأي كثير من كبراء الصحابة (رض) وأخرج ابن مردويه عن علي كرم الله وجهه قال سئل رسول الله «ص» عن العزم — أي قوله تعالى (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) فقال « مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم »

وقد حققنا مسألة الشورى في الحكومة الاسلامية بالتفصيل في تفسير هذه الآية من سورة آل عمران وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) من سورة النساء . وبينا في الاول الحكمة في ترك الرسول «ص» نظام الشورى للامة وعدم وضع أحكام لها ، وملخصه ان النظام يختلف باختلاف احوال الامة في كثرتها وقلتها وشؤونها الاجتماعية ومصالحها العامة في الازمنة المختلفة فلا يمكن ان تكون له احكام معينة توافق جميع الاحوال في كل زمان ومكان ، ولو وضع لها أحكاماً مؤقتة لخشي ان يتخذ الناس ما يضعه لذلك العصر وحده دينا متبعا في كل حال وزمان وان خالف المصلحة ، كما فعلوا في الاخذ بظواهر مبايعة أبي بكر وعثمان واستخلاف عمر . فاكتفى بشرع الله للمشاورة وتربيته « ص » الامة عليها بالعمل . على أن أولي العصبية خالفوا

ولا اجماع صحيحا يحتج به ، أومافيه نص اجتهادي غير قطعي ، ولاسيما أمور السياسة والحرب المبنية على أساس المصلحة العامة ، وكذا طرق تنفيذ النصوص في هذه الامور اذ هي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فهو ليس حاكما مطلقاً كما يتوهم الكثيرون بل مقيد بأدلة الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين العامة وبالمشاورة ، ولولم يردفيها الا وصف المؤمنين بقوله تعالى (وامرهم شورى بينهم) وقوله لرسوله (وشاورهم في الامر) لكفى ، فكيف وقد ثبتت في الاخبار والآثار قولا وعملا ، وسبب هذا الامر للرسول «ص» بالمشاورة في امر الامة ، جعله قاعدة شرعية لمصالحها العامة ، فان هذه المصالح كثيرة الشعب والفروع لا يمكن تحديدها ، وتختلف باختلاف الزمان والمكان فلا يمكن تقييدها ، وقد ذهب بعض علماء السلف الى أن النبي «ص» كان غنيا عن المشاورة فلولا ارادة جعلها قاعدة شرعية لما أمره الله بها . روي عن الحسن البصري في تفسير قوله تعالى (وشاورهم في الامر)أنه قال: قد علم الله أنه ما به اليهم من حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده . وروي في المرفوع ما يؤيده فقد اخرج ابن عدي والبيهقي بسند حسن عن ابن عباس أن الآية لما نزلت قال رسول الله « ص » «اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ، ومن تركها لم يعدم غيا » اي شرعها الله تعالى لتحقيق الرشد في المصالح ومنع المفاسد فان الغي هو الفساد والضلال . ولكن الاحاديث الصحيحة ناطقة بأن النبي «ص» لم يكن مستغنيا عن غيره من الناس الا فيما ينزل عليه فيه الوحي وقال « انتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم عن عائشة وأنس وقال « ما كان من أمر دينكم فاليَّ ، وما كان من امر دنياكم فأنتم أعلم به » رواه أحمد وفي حديث رافع بن خديج في صحيح مسلم أيضا انه « ص » قال « إنما انا بشر ، اذا امرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » وهذا هو الموافق لقوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي) فهو ممتاز على البشر بالوحي اليه ولكنه فيما عداه وعدا ما يستلزمه بشر تجوز عليه الاعراض البشرية ، ويحتاج الى غيره في الامور الكسبية ، وكونه اكمل البشر لا يقتضي ان يحيط بكل شيء علما ويقدر على كل عمل فان هذا لله وحده (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك)

الخلافة الإسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا أبو الكلام
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

باب «الأئمة من قريش»

فصل

تحقيق مادة قريش واشتراط القرشية

إذا تتبعت الكتاب والسنة والآثار والدلائل الشرعية والعقلية ، لا تجد فيها نصا قطعيا على تخصيص الخلافة والامامة بقريش نعم ، نجزم بصحة الاحاديث التي وردت في هذا الباب . وكذلك خطبة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة على مسمع من الصحابة ، وعدم إنكارهم عليها ، وشهرة هذا الامر فيهم ومن بعدهم الى انقراض الدولة العباسية أيضا صحيحة — ولكن الحقيقة مع ذلك كله على خلاف ما يفهمه الناس ، لانه كما لا ينكر ما ذكرناه آنفا ، لاينكر أن الشريعة الغراء لم تحصر الخلافة قط في قوم دون قوم وقبيلة دون أخرى — قل ما شئت عن هذه الشريعة . ولكن لا يسعك أن تقول هذا . لانها انما جاءت لتحرير الانسانية من القيود والاغلال التي كانت عليها ولاعلاء شأنها ورفع معالمها واعلان ناموس العمل وهدم أوثان العصبية والامتيازات القوميه الباطلة ، فهل ترجع بعد هذا القهقرى ، وتشيد بأيديها هيكلا جديدا لتلك الاوثان المجذوذة ؟[1]

---

(١) يا للعجب ! اعترف الكاتب بصحة الاحاديث واجماع الصحابة ومن بعدهم قولا وعملا على كون الخلافة في قريش ثم شرع ينفي هذا الاثبات بنظرية ظاهرة البطلان =

ما شرعه الله باتباع اهوائهم ومطامعهم لتقصير أولي الامر في وضع هذا النظام لكل زمان بما يناسبه، كما ضبط عمر « رض » الامر في زمنه بما يناسبه ، بل عني علماؤنا بمسائل النجاسة والحيض والبيوع أشد من عنايتهم بهذه المسألة حتى قال امام كبير مثل الاشعري ان بيعة رجل واحد من أهل الحل والعقد تلزم الامة اذا أشهد عليها ، فانى يستقيم أمر أمة تعمل بهذا القول في رياستها العامة؟

وأما الآثار عن الراشدين في المشاورة فكثيرة (منها) مارواه الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران ان أبا بكر كان يسأل عامة المسلمين عما لا يجد فيه نصاً من الكتاب ولا سنة عن النبي (ص) هل يعلمون عن النبي (ص) فيه شيئاً — فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا فيأخذ به ويحمد الله تعالى (قال) وان أعياه ذلك دعا رءوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به ، وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك — وزاد انه كان بعد النظر في الكتاب والسنة ينظر فيما قضى به أبو بكر أيضاً لانه كان لا يقضي الا بنص أو مشاورة . وانظر الى الفرق بين سؤال عامة المسلمين عن الرواية واختصاص الرؤساء والعلماء بالمشاورة — ذلك بأنهم هم جماعة أولي الامر واهل الحل والعقد الذين أمر الكتاب بطاعتهم بعد طاعة الله ورسوله وقال في احالة أمر الامة اليهم (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (للكلام بقية)

﴿ تنبيه ﴾ لهذه المقالة بقية تأتي من أهم مباحثها مسائل الاستخلاف والعهد وخلافة الضرورة والتغلب وما يخرج به الخليفة من الامامة وعزله والخروج عليه ودار العدل والجور، وتعدد الخلفاء في وقت واحد ، وحال المسلمين فيه اليوم وحكوماتهم المستقلة، وتعارض المانع والمقتضي في توحيد مقام الخلافة، أو ما يجب على المسلمين ويحظر عليهم في ذلك .

وقد علم مما نشر ويزداد وضوحا فيما سينشر ان خلع حكومة الجمعية الوطنية في انقره لمحمد وحيد الدين نافذ شرعا، وأنه ليس الآن خليفة ولا سلطانا ، ولا يتوقف تصحيح خلعه على تكفيره كما ادعى بعض من كتب في المسألة فقال اننا رأينا منه كفرا بواحا أي ظاهرا لا يحتمل التأويل ، وانما يؤخذ الحكم مما ذكرناه في مسألة المبايعة ومسألة سلطة الامة ، ويوضحه ماسيأتي

طعنتم في امارة أبيه وقد كان لها أهلا ، وان أسامة لها أهل » فتأمل وقوله عليه السلام كيف ذكر كلمة « الاهل » ليعلم أن الامارة والرآسة تتوقف على الاهلية لاغير [١] — وقول عائشة (رض) في زيد مشهور حيث قالت : لو كان زيد حيا ، ما استخلف رسول الله (ص) غيره [٢] وسرية اسامة التي نحن بصددها كانت مشتملة على سادات من المهاجرين والانصار وفحول من العرب العرباء وقريش أصحاب المجد الباذخ . وكان فيها أبو بكر الصديق الذي خلف رسول الله (ص) ، وصار بعد بضعة أيام أميراً للمؤمنين ، ورئيسا للمسلمين [٣]

وهكذا أمر بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي معلوم مشهور ، حتى إن عمر الفاروق القرشي كان يقول في بلال : سيدنا ومولانا واذا رأى صهيبا يقول : نعم العبد صهيب . لو لم يخف الله لم يعصه . وأوصى حين وفاته أن يصلي عليه صهيب — وأمير المؤمنين علي عليه السلام القرشي الهاشمي كان يقول في سلمان : سلمان منا أهل البيت [٤] وكان من أمر العرب

(١) هذا لا يعارض الاحاديث التي هي أصح منه والاجماع في الامامة العظمى وهو في امارة سرية من الجيش ولو عارضها لكانت هي أولى بالترجيح
(٢) رأي عائشة هذا شاذ وقد ثبت بطلانه بنصوص الاحاديث في امامة قريش حتى ما كان منها اخبارا عن المستقبل اذ كيف استخلفه وقد اعلمه الله بان الخلافة ستكون في قريش تدافرها وبما ظهر من حكمة الشرع في عدم استخلاف شخص معين
(٣) سبحان الله . كيف يذكر المسلمين اليوم بالانساب والاحساب حتى يفتخرون بها ويعدونها موازين الشرف ، ثم كانت منبوذة من ذلك الزمن المبارك فلم يكن ينظر اذ ذاك الا في العمل والتقوى ، فأقدمهم وأقربهم الى الله والى رسوله كان أشرف وأكبر من غيره ، وهذا أسامة مع تأخره في النسب كان يتقدم في العطاء على شرفاء قريش ، وقد اعترض مرة عبد الله بن عمر على تقدم أسامة عليه فقال له أبوه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين : كان أبوه أحب الى رسول الله من ابيك ، وكان احب الى رسول الله منك . فما أعجب هذا الانقلاب الذي أحدثه الاسلام في أولئك الذين كانوا يحتقرون سائر الناس ويعدون كافة البشر أدنى وأحط منهم . حتى إنهم اتقوا يوم بدر من منازلة كفاة يثرب فردوهم بلا قتال ولكنهم بعد الاسلام يخضعون لامارة العبيد وابناء العبيد ولا يستنكفون منها . يقدم ابن العبد على ابن السلطان فيظل ساكتا ولا يفوه بكلمة ! اه من حاشية الاصل
(٤) بل هذا حديث مرفوع رواه الطبراني في الكبير والحاكم عن عمرو بن عوف

لسنا في حاجة الى لاطناب والتفصيل ، اذ كل من له أدنى معرفة بالشريعة يعلم حق العلم أنها من أول نشأتها انقضت على قصور الامتيازات القومية الفخمة ودكتها دكة واحدة ، حتى جعلتها أثراً بعد عين — هذا كان حال العرب قبل الاسلام؟ كانوا في غاية من العصبية ، مبالغين في اعتبار النسب ، غير مبالين بمن سواهم ، لا يرون لاحد شرفا ولا فضلا ، حتى الرعاة منهم كانوا يشمخون أمام الملوك والعظماء ، ويعدون القياصرة والاكاسرة صغيرين أمام عزهم القومي وشرفهم النسبي - ليست العرب وحدها ، بل الدنيا كلها كانت سائرة على هذا المنهج ، عاكفة على هذه الاوثان ، موثقة بهذه القيود والاصفاد ، ظهر الاسلام فهاجم قبل كل شيء هذه الاصنام . ونادى مناديه بأعلى صوته : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٤٩ : ١٢) فجعل أساس الشرف والفضل العمل وحده . فمن علا به عمله فهو شريف فاضل ، ومن سقط به عمله فهو ساقط مهين ، مهما كان كريم النسب عالي الحسب . وقال (أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان الا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى) (٥٣ : ٤٦) وكان صاحب لوائه (ص) يصيح بين الانام « ليس منا من دعا الى عصبية ، ليس منا من قاتل على عصبية . وليس منا من مات على عصبية » وأوصى أمته في آخر حياته يوم الحج الاكبر قائلا « لافضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، كلكم أبناء آدم » (الشيخان) وقال « ليس لاحد فضل على أحد الا بدين وتقوى ، الناس كلهم بنو ادم وآدم من تراب » (رواه الجماعة) فظهور الاسلام وقيامه ضمان المساواة في النوع الانساني ، فلا فضل بعده لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، الناس كلهم اخوان ، أبوهم آدم وأمهم حواء ، وإنما الافضل أحسنهم عملا وأقومهم طريقة وأتقاهم لربهم !

أما عمله (ص) فشاهد على ذلك ، فانه لما بعث آخر بعث في حياته أمر عليه أسامة بن مولاه زيد ، فأنكر على هذا بعض السذج فقال (ص) « لقد

= وهي كون ذلك يعارض تحريرها للانسانية الخ ثم بني على ذلك تاويل الاحاديث وانكار الاجماع متناسيا من الروايات الشاذة والآراء التي سنبين بطلانها في مواضعها ، ثم نعرضها على القراء ليميزوا راجحها من مرجوحها

فهو حق، سواء فهمناه او لم نفهمه ، ولذا لم نستبعده بمجرد فهمنا وعقلنا بل استبعدناه لانا ماوجدناه فيهما ، وقلنا : انه لايليق بهذا الدين ، دين الفطر دين المساواة ، دين العمل

من الخرافات الى الحقيقة

— ٧ —

(٧٠) اعتنى المسلمون قديماً بالرياضة البدنية اعتناءا زائداً ، لان العمل الصحيح لا يكون الا في الجسم الصحيح . ولذلك كانو يعلمون الشبان فن الفروسية والرماية والسباحة اتباعاً للحديث الشريف القائل « علموا أولادكم السباحة والرماية »(١) « وعليكم بالرمي فانه خير لهوكم »(٢) « والرمي خير مالهو تم به »(٣)

ليتأمل العاقل نتيجة دين يأمر بتوسيع دائرة المعارف وتزييد أسباب الثروة وتقوية البدن ! (وفن الحرب) وهذه الاركان الثلاثة متصل بعضها ببعض كم لصقت محاسن الاخلاق بالتحاب والتواد ، هل يقف أمام قوم هذا منهاجهم مهما قل عددهم وعديدهم أعظم أمبراطورية ؟

(٧١) الرحمة للصغير واحترام الكبير كان خلقاً راسخاً لانه (ص) قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا »(٤)

(٧٢) الاقتصاد كان أساساً ثابتاً ومحترماً لانه جاء في الحديث « ماعال من اقتصد »(٥)

(٧٣) وأما الشح فكان مذموماً جداً ، جاء في الحديث الشريف « محق الاسلام محق الشح شيء »(٦)

(٧٤) السخاء كان امراً ممدوحاً جداً ، قال (ص) « أقيلوا السخي زلته فان الله آخذ بيده كلما عثر »(٧)

---

(١) ابن منده في المعرفة والديلمي في مسند الفردوس بسند حسن
(٢) الطبراني في الاوسط عن سعد بسند صحيح (٣) الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر (٤) احمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو بسند صحيح (٥) أحمد عن ابن مسعود بسند حسن (٦) أبو يعلى عن أنس باسناد حسن (٧) الخرائطي في مكرم الاخلاق عن ابن عباس باسناد صحيح

بعد الاسلام أن انحلت عصبيتهم النسبية في خلال قرن ، وسبقهم العجم في مضمار المحاسن والفضائل ، وخضعت العرب أمام علمهم وعملهم كما كانت تخضع أمام قريش وبني هاشم ، حتى اضطر الخليفة القرشي هشام بن عبد الملك أن يقول للامام الزهري : والله ليسودن الموالي العرب ، ويخطب لهم على المنابر ، والعرب تحتهم » (العقد الفريد)[1]

فهل يتصور بعد هذا ان داعي الاسلام (ص) الذي دعا النوع الانساني الى نبذ العصبية وغرور النسب واقامة المساواة العامة — يرجع القهقرى (؟) فيتبع هواه (؟) ويحصر الحكومة والسلطنة والخلافة في قومه وقبيلته الى آخر الدهر ؟ ويقول لسائر الناس لا فضل ولا شرف ولا حق الا بالعمل والاهلية ثم ينسى هذا ويترك العمل وراء ظهره ويقول لنفسه ، النسب ، القبيلة ، الوطن ، ويسلط قومه على العالم كله ؟ لعمر أبيك ان هذا لشيء عجاب![2]

نعم انه من اعجب العجب ، ولكن ما كنا لنبالي به لو نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، لان ميزان الحق عندنا الكتاب والسنة ، فاذا ثبت فيهما شيء

---

(١) القول في سبق العجم للعرب باطل كما يعلمه كل منصف يعرف التاريخ فهم ساهموهم ولكن ما فاقوهم في شيء وقد قصدوا اذلال العرب ولم تقصد العرب الا عزهم ومساواتهم بهم في الاسلام

(٢) كل ما ذكره شعريات وخطابيات متكلفة تعود على ما اراده من جعل الخلافة في بني عثمان المخصوصين بالنقض وأما جعلها في قريش فلا يقتضي ذلك ولا عدم المساواة بين الناس في الدين والفضل والحقوق والجزاء في الآخرة ، ومن أدلته أنه لم يمنع من ارتفاع شأن الموالي والاعاجم حتى في أزمنة الخلفاء الجائرين من قريش وقد كان أكثر ولاة بني العباس وقوادهم من الاعاجم في النسب ولولا ذلك لما سادوا قريشا وغيرها وافسدوا امر الاسلام حتى بالغلو في تعظيم آل الرسول (ص) وقد زل قلمه زلة فاحشة بل زلت قدمه بما قاله في حيز الاستفهام ، مما لا يليق التفوه به في حق خير الانام وان كان الاستفهام إنكاريا ، ولو لم يكن كذلك لكان كفرا صريحا وقذفا فظيعا وانما نشراه أداء لامانة النقل ونستغفر الله تعالى منه لنا وله . ومن لوازمه ان جميع اهل السنة القائلين بحصره (ص) للامامة في قريش يرمونه « ص » بما برأه الله تعالى منه من اتباع الهوى !! وهو تكفير لهم غير مقصود للكاتب ولازم المذهب غير مذهب في الاغلب

من المكانة الاقتصادية في عصرنا . لبتنبه الكسالى .

(٨٠) كانوا يضعون الشيء في محله ويتباعدون عن الاسراف والتبذير استرشاداً بقوله (ص) « أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله عز وجل » (١) وهذا يدل على أنه لم يكن من المعروف في عصره (ص) تخصيص الثروة بأناس كسالى ينامون على ظهورهم تاركين العمل وعادين هذا عبادة

(٨١) كان العمل والجد ممدوحاً والكسل مذموماً لقوله (ص) « من بات كالا من طلب الحلال بات مغفوراً له» (٢)

(٨٢) أشد ما اعتنت به الديانة الاحمدية الصناعة والتجارة لانه (ص) قال « أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » (٣)

(٨٣) كان الفقر مكروها مستعاذا منه وانما يطلب الصبر عليه وكان (ص) يقول «أعوذ بالله من الفقر والعيلة ومن أن تظلموا أو تظلموا» (٤) و« اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن اظلم أو أظلم » (٥) . ان أبا بكر كان تاجراً غنيا . وكذلك ذو النورين . واكتسب طلحة والزبير ثروة هائلة من التجارة .

(٨٤) ما كان في أوائل الاسلام أحد ينكمش في زاوية أو تكية ليأكل ويشرب من ثمرة جد غيره باسم العبادة . لانه (ص) قال «استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك» (٦)

لذلك كان كل واحد يشتغل بعمل من الاعمال حسب قدرته العقلية والبدنية

(٨٥) الحراثة كانت محترمة جداً وقد أمرنا بها سيدنا (ص) بقوله «احرثوا فان الحرث مبارك واكثروا فيه من الجماجم » (٧)

(٨٦) الحياة الاستقلالية كانت اساس أمل كل فرد . لانه (ص) قال

---

(١) احمد ومسلم وأصحاب السنن ماعدا أباداود عن ثوبان (٢) ابن عساكر عن أنس بسند صحيح (٣) احمد والطبراني والحاكم عن رافع بن خديج والطبراني عن ابن عمر وهو حديث صحيح (٤) الحاكم في المستدرك بلفظ «تعوذوا بالله . . . وآخره وان تظلم او تظلم » (٥) ابو داود والنسائي وابن ماجه » (٦) البزار والطبراني والبيهقي عن ابن عباس وهو صحيح (٧) أبو داود في مراسيله عن علي بن الحسين مرسلا

من لا يعرف أن أبا بكر وعثمان رضي الله عنهما سمحا بثروتهما لاجل استكمال وسائل الحرب ؟

(٧٥) وأما البخل فكان في أقصى درجات المعيبات والمذمومات . لقوله (ص) فيه « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق » (١)

(٧٦) حرية الوجدان وحرمة المساكن وصيانة الملك بأنواعه ولا سيما الكتب والرسائل وأمثالها من الحريات السياسية التي طالما افتخر بها الاوربيون كانت من جملة ماجاءنا به نبينا قبل الف سنة وكسور ، قال الله تعالى (لكم دينكم ولي دين) وقال (لا إكراه في الدين) وقال رسوله « من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقؤا عينه » (٢) وقال الله (لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وقال (ص) « من اطلع في كتاب أخيه بغير أمره فكأنما اطلع في النار » (٣) وقصارى القول لو اعتنى علماؤنا باستخراج أمثال هذه الاحاديث لوجدوا فيها من الوثائق ماهو كاف لابطال كل دعوى اتهم بها الدين الحنيف .

ومما يوجب الاسف أن المصائب التي حلت بالمسلمين كأنها لم تكف لفتح عيونهم لتحري أوامر هذا الدين المبين الذي نقتضي أن يكون متبعوه في طليعة العلماء والاغنياء والاقوياء والامراء . واعجباه !

(٧٧) ان التهيؤ للخصم ومقابلة قوته بالقوة من أسس الاسلام لذلك قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فهل للمسلمين بعد هذا أن يكلوا الامور لمشيئة الله تعالى ويعطلوا قوائهم وأوامر القرآن ويعدوا ذلك من الاسلام ؟

(٧٨) أرشد (ص) الي حسن اختيار الموظفين بقوله « لكل شيء آفة تفسده . وآفة هذا الدين ولاة السوء » (٤) فهل يحل بعد هذا أن يقبل الوالي المسلم الشفاعات لاجل توسيد الامور العامة لغير أهلها

(٧٩) كانوا يعتنون بكل ما يزيد الثروة العمومية ولا سيما تربية الغنم لانه (ص) قال « اتخذ الغنم فانها بركة » (٥) وغير خاف على أحد أهمية مالالغنم

(١) البخاري فى الادب المفرد والترمذي باسناد صحيح (٢) احمد ومسلم من حديث أبي هريرة (٣) الطبراني في الكبير عن ابن عباس (٤) رواه الحارث من حديث ابن مسعود وصححوه (٥) الطبراني والخطيب عن أم هانيء . وابن ماجه بلفظ «اتخذي»

(٩٣) نهى النبي (ص) لمن رابط القلب بالمشعوذين وقال « من تعلق شيئاً وكل له » (١) والنتيجة الحرمان .

(٩٤) كذلك نهى عن مراجعة العرافين الذين يبتزون أموال الناس بدعوى الاخبار عن الغيب ، قال « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين يوماً » (٢) ولان الله تعالى قال في كتابه الكريم آمراً نبيه ان يبلغ الامة: (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك) .
فما قول خفاف العقول الذين يطلبون علم الغيب من العرافين بعد ما جاء في هذه الآية الكريمة من الصراحة ؟

(٩٥) نهى (ص) عن التشاؤم من الاسم أو من صوت الطير وعن الرمل وعد ذلك وثنية فقال « العيافة والطيرة والطرق من الجبت (٣)

(٩٦) وكذلك عد التطير شركاً فقال « الطيرة شرك » (٤)

(٩٧) كانوا لا يتشاءمون من طير الطائر ولا يعتمدون على أقوال الكهنة والسحرة . لانه (ص) أخرج من يفعل ذلك من الجمعية الاسلامية اذ قال « ليس منا من تطير ولا من تطير له او تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له » (٥)

(٩٨) الحسد والنميمة والكهانة كانت بمنزلة واحدة لانه جاء في الحديث الشريف « ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه » (٦)
أين من يعتبر ؟

(٩٩) لا واسطة بين العبد والمعبود في دين أحمد . وكل فرد مسؤول عن عمله . لان الله تعالى قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أما ما يعمله أو يتخذه بعض الجهلة من الوسطاء لله تعالى فهو مأخوذ من الامم السابقة وتقليد (للاغراء) من النصارى و(للبراهمة) عند الهنود القدماء و(للمونده) عند الزردشتيين وللكاهن عند الكلدان . وما لهذا مكان في دين الاسلام .

(١) احمد والترمذي والحاكم وحسنوه (٢) احمد ومسلم عن بعض امهات المؤمنين (٣) أبو داود عن قبيصة وهو صحيح (٤) احمد والبخاري في الادب المفرد واصحاب السنن عن ابن مسعود (٥) الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين وهو حسن (٦) رواه أيضا عن عبد الله بن بسر

«خيركم من لم يترك آخرته لدنياه. ولا دنياه لآخرته. ولم يكن كلا على الناس»[1]
لذلك كان كل يسعى لئلا يكون حملا ثقيلا على المسلمين شأن البطالين والكسالى اليوم
(٨٧) الاتجار في الاقطار وجلب مايحتاجه الناس كان من الامور الممدوحة والاحتكار كان من الامور المذمومة. جاء في الحديث «الجالب الى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله، والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله»[2]
هنا أدعو القارىء الكريم لأن يطالع بحث التجارة الخارجية وبحث الاحتكار في كتب الاقتصاد السياسي ليرى علو معنى هذا الحديث
(٨٨) التبذير وعمل الاشياء التي لا فائدة منها كانت مجهولة عندهم لان النبي (ص) قال «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[3]
من هنا يفهم أن اتناء الترب وزيارتها ليس من الاسلامية في شيء. وقد انتقلت هذه الخرافة لديننا الصافي النقي من أساطير الهنود القديمة.
اذاً اتلاف شيء من الثروة وايقاد الشموع على القبور موجب للعنة. فأين المتأملون؟
(٨٩) في القرون الوسطى كان للنصارى في محلات مختلفة صوامع ينقطعون للعبادة فيها. فنهانا نبينا عن ذلك «لا رهبانية في الاسلام» لان الله أمرنا بالعمل اذ قال (وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم)
(٩٠) ان ذبح القربان على القبور ممنوع في دين الاسلام لانه جاء في الحديث «لاعقر في الاسلام»[4]
(٩١) النذر «لاوفاء لنذر في معصية الله»[5]
(٩٢) تعليق بعض الاشياء على الاولاد وغيرهم لدفع النظر واستكتاب النسخ لاجل محبة الارزاق لزوجاتهن من أمور الشرك نعوذ بالله لقوله (ص) «ان الرقى والتمائم والتولة شرك»[6] ليتنبه الغافلون! المبذرون.

(١) الخطيب عن أنس بسند صحيح (٢) الحاكم عن اليسع بن المغيرة مرسلا (٣) أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن ابن عباس بسند صحيح وليس سبب اللعن التبذير بل ان هذا العمل من العادات الوثنية (٤) أبو داود عن أنس (٥) رواه أحمد عن جابر بسند حسن، والنذور للموتى منهيا عنها هو من أعمال الشرك ولا فائدة في شيء من هذه النذور وانما يستخرج بها من مال البخيل كما ورد في حديث آخر
(٦) احمد وابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود وهو صحيح

طائفة الشيعة

سورية وحاجتها الى الاصلاح

كان لطائفة الشيعة المشهورة باسم المتاولة)شأن عظيم في جبل عامل وجبل لبنان من سورية ونواحي بعلبك في سعة الاملاك والوجاهة والثروة وفي العلم والادب . ولما كان ما كان من نهضة النصارى الاخيرة في لبنان انكمش الشيعة وتضاءلوا وفاقهم النصارى في كل شيء حتى غلبوهم على أملاكهم الواسعة فلم يبق لهم فيه شيء يذكر ، وقد كان من أسباب ذلك السخاء العربي البالغ منتهى حد الاسراف ، وحب الفخفخة والعظمة ولو بالباطل ، والثناء والتعظيم وان كان كذباء حتى ان كثيرا من أملاك شيوخهم وكبرائهم قد آلت الى من كان عندهم من الفلاحين والخدم من النصارى الذين كانوا يستغلون هذا الضعف منهم بغاية الحذق كحفظ امتيازهم لهم بلبس الحذاء الاحمر المسمى بالجزمة . ومن أغرب ما حكي عنهم في ذلك أن أحد الفلاحين أهدى الى شيخ بلده منهم جزمة حمراء فأنعم عليه الشيخ بحقل او كرم عظيم (يسمى عودة) كان هو في أشد الحاجة اليه

لم تشارك الشيعة النصارى في شيء من تلقي العلوم والفنون الحديثة في القرن الماضي وكذلك كان أهل السنة الذين هم أكثر سكان مدن سورية الكبرى وأولى بالاسراع الى كل ما يتجدد من أسباب الحضارة ، ولكن هؤلاء عنوا في هذا القرن بعض العناية في العلوم والفنون العصرية وفي التجارة وترقية الزراعة أيضا وظل جيرانهم من الشيعة على خمولهم راضين من العلم والادب بما يتلقاه بعض رجال الدين منهم في مدرسة النجف الكبرى أو على المتخرجين فيها من فنون العربية والعلوم الشرعية

وقد قرأنا في الشهر الماضي مقالتين في جريدة الاتفاق الاسبوعية التي تصدر في مدينة صيدا عنوانهما (تأخر الطائفة الشيعية وكيفية تقدمها) كانت هي الداعية بل الداعية لنا الى كتابة هذا ، اذ راعنا منها وصف كاتب المقالة (المخلص) الغيور لقرى الشيعة في جبل عامل وبعلبك بأنها مهدمة المساجد خالية من المدارس ، وقوله ان الاميين منهم يتجاوز عددهم ٩٥ في المئة ، وان هذا الجهل اكبر أسباب حرمانه

(١٠٠) ان الله غني عن أية واسطة بينه وبين عبده . لانه قال في كتابه الكريم (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) .

واما بناء القبور الفخمة والمزينة واتخاذها ملجأ لقضاء الحاجيات فهو ليس من الاسلام في شيء . ولكنه تقليد للنصارى والهنود والايرانيين كما سيجيء تفصيل دخول هذه الخرافات في تعاليم الاسلام .

(١٠١) الغيبة كانت مستكرهة جداً لان الله قال (ولا يغتب بعضكم بعضا . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟)

ليتنبه الاغبياء الذين يقضون أوقاتهم باغتياب الناس والسبحة في أيديهم

(١٠١) لم يعتن الدين الاسلامي بشيء كما اعتنى بالعلم . وقد جاء في الحديث « طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة وطلب العلم يوما خير من صيام ثلاثة اشهر »[١] وقال أيضا « العلم أفضل من العبادة وملاك الدين الورع[٢] » و« فضل العلم أحب الي من فضل العبادة »[٣] و « افلح من رزق علما »[٤]

(١٠٣) الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي من أهم قواعد الدين الحنيف وحفظا لكرامة الضرر جاء في القرآن الكريم (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)

فان كان جل جلاله ينهى نبيه عن السيطرة، فهل يكون هناك دين يكفل الحرية أزيد من دين الاسلام ؟ وسنبحث في مقابلة الاسلام لغيره في هذه المسألة بحثا خاصا . (له بقية) حسني عبد الهادي

« ١ » الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس « ٢ » الخطيب وابن عبد البر في كتاب العلم « ٣ » الطبراني في الاوسط والحاكم عن حذيفة والثاني عن سعد وتتمته « وخير دينكم الورع » وهو صحيح « ٤ » البخاري في التاريخ والبيهقي في الشعب بلفظ « افلح من رزق لبا » اي عقلا

في الوظائف وسائر المعاملات ! أن نساءهم ورجالهم كانوا يتجسسون لهم ويدخلون المعسكرات التركية والبلاد ويجمعون الاموال حتى من المسلمين للعصب المسلحة المستعين بها على قتال الترك . وقال « إنهم بهذه الطريقة كانوا يصحبون معهم ضباطا من الجيش الانكليزي الذي كان يحارب في جهات الموصل فيقف هؤلاء على جميع حركات الالمان والاتراك العسكرية . وهذا ما جرى مع (الكبتن ولوز) الضابط الانكليزي الذي دخل هو ورفيق له مرة مع تاجر أرمني متنكرين الى مدينة (اكر) وكان يصحبهم أحد تجار المدينة الارمن المسمى ناصر علي خان وهذا (أي الذي هو خان) ادعى أن زوجاته الثلاث فقضى في (اكر) بضعة أيام جمع فيها مبلغا من المال وتزود الضابطان وفقاتهم جميع ما عرفوه من الحقائق عن الجيش الالماني التركي » وذكر أن ذلك الضابط الانكليزي كان الارمن بكتابة مقال عنهم قال فيه : « حرام أن يحكم الترك ويسيطروا على هذا الشعب الارمني النشيط الذي هو كفؤ لتنتظم أمور دولة عظيمة لذلك نرى أرمينية اليوم إرلاندة ثانية في تركية »

ونعلق على هذه الكلمة أن الانكليز الذين يسخرون الشعوب لخدمتهم من حيث لا تشعر قد جعلوا الارمن الاذكياء جدا في دائرة ضيقة جدا من أشقى أهل الارض فجنوا عليهم أقبح جناية كما جنوا أخيرا على اليونان الذين يشبهون الارمن في نشاطهم وغرورهم بأنفسهم — وعلى العرب الاغرار من قبلهم ، ولا يزال الانكليز كالسيل يقذف جلمودا بجلمود ، ومن العجائب استمرار انخداع الشعوب — بله الافراد — بتغريرهم ، ولعل الاحداث الحاضرة تنتهي بمعرفة جميع الشعوب حقيقة أمرهم وأن مثلهم (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) وأما الافراد فلا يزالون يجدون فيهم أغبياء وخونة الى أن يجيء اليوم الذي يعاقب فيه كل شعب من يخونه ويغشه بحمله على قبول النفوذ الاجنبي في بلاده ، وعسى أن يكون ذلك اليوم الموعود قريبا

ثم نعود الى الكلام في اصلاح طائفة الشيعة الذي يهمنا جدا فنقول : اننا كنا عزمنا أن نزور النجف في رحلتنا الهندية العراقية فحال دون عزمنا ما عرانا من

الطائفة من تمثيلها في الحكومة الحاضرة كما يجب، وأن بعضهم سعى في العام الماضي الى تعيين عضو شيعي في محكمة التمييز (النقض والابرام) التي انشئت في بيروت « غير أنهم خجلوا لما ادعوا أن الطائفة ليس لديها سوى ثلاثة شبان من خريجي مدارس الحقوق» والحكومة غير راضية عنهم . (كذا قال أفليس في قوله مبالغة؟)

ثم قال الكاتب : يتفرع عن الجهل فروع عديدة أهمها التعصب الديني لاعمى الذي جعلنا أن نتسكع في مهاوي الشقاء ونرتطم في حمأة التخلف لاهين في تكفير زيد وتشريك عمرو وسوانا دائب في ترقية نفسه واعلاء شأنه الخ ثم ذكر فرعا آخر من فروع الجهل وهو الخمول أو الجمود في العقول والفتور في الهمم

ثم ذكر من أسباب هذا التأخر تفرق كلمة الرؤساء وتحاسد الزعماء و مقاومة كل منهم الآخر بدلا من التعاون على رفع شأن الطائفة، وقفى عليه بتدخل علمائهم في كل الامور السياسية وعده من أهم علل تأخر الطائفة معللا له أو مستدلا عليه بأن « الدين واللغة شيء والسياسة شيء آخر لم يتفقا وان يتفقا » و بأن الرؤساء الروحيين الغربيين لايتدخلون في السياسة البتة . و قترح على علماء الطائفة ومجتهديها التفرغ لتوثيق الرابطة الدينية وتوطيدها على أسس القومية الحق وتهذيب أخلاق الامة

هذا ملخص المقالة الاولى . وأما ملخص الثانية وقتراح تأليف جمعية من خيرة العلماء والزعماء لترقية شأن الطائفة بالعلوم والفنون العصرية ومساعدة جريدة راقية تمثل الطائفة . وضرب اليهود والارمن مثلا للطائفة الصغيرة التي ليس لها حكومة ويجب عليها أن تنهض بنفسها وهمتها واقدامها

قال : « والطائفة الشيعية هي كالارمن واليهود من كل وجه الاوجه واحد وهو التقدم والتفوق » ولكنه ذكر في سبب الفروق بينهما أن اليهود والارمن غير متعصبين كالشيعة. وهذا غلط فهم أشد خلق الله تعصبا لانفسهم على غيرهم ولكن بعلم وعقل، ودهاء وحذق

ثم ذكر من نشاط الارمن في خدمة الجيش الانكليزي ومساعدتهم له في حربه لدولتهم العثمانية (التي كانت تفضلهم على قوم نبيها العرب وعلى سائر العثمانيين

البابية والبهائية دعوا الشيعة الى دين وثني جديد قد ظهر فساد مثله من ضلال الباطنية وفرقها المعلومة فستجاب لها ألوف منهم . وإذا أنتم دعوتموه الى الاصلاح الحق الذي يجمع كلمة المسلمين ويزيل الاحقاد التي كان سببها السياسة وعداوة الباطنية للاسلام نفسه ورجعتم بالاسلام الى أصوله من الكتاب وصحيح الاثر وسيرة السلف الصالح من أئمة آل البيت وغيرهم مع بيان كفالة الحنيفية السمحة لما يرقي المسلمين في هذا العصر من علوم وفنون وأعمال فانكم تنجحون نجاحا عظيما

قال: إن هذا حسن ولكن المستعدين له من كبراء العلماء المجتهدين قليلون لان معظم أوقات حياتهم مصروفة فيما يحول بينهم وبين العلم بالحاجة اليه وذكر لي كلمة عن كبير منهم — رأيته في الهند وأثنيت له على علمه وفضله — قال ان من المسائل التي اهتم بتحقيقها واطالة البحث فيها مسألة بول البراق الذي عرج عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى السماء هل هو طاهر أم نجس ؟ ؟ (قال) ولكن كثيرا من النابتة الجديدة في النجف الاشرف مستعدون لهذا الاصلاح وهم يتمنون لو يرونكم،ولو اجتمعوا بكم لاستفادوا كثيرا. فقلت انكم أنتم تبلغونهم رأيي وانما الانسان بعلمه وربه ، لا بصورته وبدنه..

بعد هذه الكلمة التي أقصد بها إثبات اهتمامي باصلاح حال طائفة الشيعة خاصة أقول انني أجيز اقتراح الكاتب (محاص) تأليف جمعية من العلماء والزعماء لرفع شأن الطائفة بالعلم والعمل والثروة ، وأنكر عليه قوله أن الشيعة كاليهود والارمن فينبغي لهم أن يتأسوا بهم في نهضتهم : اليهود شعب له مقوّمات الشعوب المستقلة بجنسيتها في نسبه ودينه ولغته ، والارمن مثله في كل شيء الا الدين ولكن لهم رئاسة دينية خاصة والشيعة ليست كذلك فلا هي مستقلة بدين ولا لغة ولا نسب، بل دينها الاسلام وهي مؤلفة من شعوب كثيرة ذات لغات وانساب مختلفة ، وانما شيعة سورية عرب في اللغة والنسب ، فلم يبق بينها وبين الارمن شبه الا في اختلاف المذهب،وهو لا يقتضي في الاسلام التفرقة — فالصواب أن يكونوا في الاصلاح القومي مع أبناء جنسهم من العرب في كل ما يرقي الامة العربية،وفي

الحي في البصرة ثم في بغداد و الاضطرار عقب النقه الى السفر . كنا عزمنا على هذه الزيارة لاجل البحث مع محبي الاصلاح من العلماء ولا سيما السادة الشرفاء منهم في هذا الاصلاح . وقد جاء منهم وفد الى بغداد لزيارتنا ودعوتنا الى النجف الاشرف. وقد قال لنا رئيسهم وهو سيد عالم شهير: اننا نعدك اماما مصلحا لجميع المسلمين فلماذا تخص أهل السنة بارشادك و نقدك لما حدث فيهم من البدع والخرافات وعندنا أضعاف أضعافها وأنت ساكت عنها ؟

فأجبته : حقا انني على ضعفي وعجزي حريص على الاصلاح الاسلامي على اطلاقه و عمومه لا أخص به أهل مذهب دون غيره ، واني لست سنيا بمعنى التعصب أو التقليد لمذهب من المذاهب التي تنتمي الى السنة كالاشعرية أو الحنفية والشافعية بل أنا سني بمعنى اني مستمسك بما صح من سنة النبي (ص) لا أوثر عليه تقليد أحد . وأما سبب سكوتي عن انكار بعض البدع والخرافات الفاشية في الشيعة فلأن قراء المنار من الشيعة قليلون ولا يحتاجون الى النص في المنار على انكار بعض البدع الخاصة بهم كنقل جثث الموتى من البلاد البعيدة رمما منتنة الى قرب مدافن آل البيت عليهم السلام في العراق لدفنها في مساجدهم أو بقرب منها (٠ ٧) ولو فعلت هذا لجاء بضد ما نريد من الاصلاح بانكاره اذ يكون سببا لحمل بعض متعصبي العلماء الجامدين على الطعن في المنار وصاحبه بأنه متعصب لاهل السنة على الشيعة بل عدو لهم ، كما فعل بعضهم في سورية اذ ألف رسالة عنوانها (الشيعة والمنار) لما رأى بعض قراء المنار من طلبة العلم والادباء قد استحسنوا طريقة المنار الاستقلالية في فهم الدين وحرية العلم والرأي . وانما أدع هذا لكم . ثم تكلمنا فيما ينبغي من طرق الاصلاح العام والخاص ورأيي فيهما

ومما قلته إن الشيعة أشد تعصبا من سائر المسلمين في دينهم ومذهبهم وأشد احتراما للعلماء والسادة وطاعة لهم . وهذا مما يعين على الاصلاح ، وان كان منبعا لكثير من الفساد ، فيجب على العلماء ولاسيما السادة منهم أن ينهضوا بأمر الاصلاح قبل أن يغير الزمان الشعب عليهم ، فهذه الحال لا يمكن دوامها ، وقد رأيتم أن

الله لحياة أهل دينه وعزهم وملكهم مثل أصل الوحدة والاعتصام الذي يكون به المسلمون كالجسد الواحد، ولا محظور فيهما على المسلمين أشد ولا أغلظ من التفرق والانفصام، ولولا فتنة الخلافة لما بلغ ضرر تفرق المذاهب في الاسلام هذا الحد، فوالله إنني أكتب هذا وأنا في ألم لا يعرفه الا من ذاقه. أتنفس الصعداء أن أرى فئة من المسلمين ترى نفسها بين فئة منهم أكبر منها كاليهود بين نصارى روسية أو الارمن بين مسلمي الترك ويدعوها طلاب إصلاحها الى ان تحذو حذو هذين الشعبين . . .

أئن كنتم أيها الاخوة فئة قليلة في اخوانكم مسلمي سورية فليست شيعة العراق بقليل فيه بل هم الاكثرون ، وهم مقصرون فيما يطالب الناصح (المخلص) تشميركم فيه من وسائل الترقي الدنيوي ، ثم ان دولة الشيعة الايرانية هي مقصرة عن شأو جارتها التركية المنسوبة الى السنة ، وان نهضة جارتها الاخرى وهي الدولة الافغانية — على حداثتها — خير من نهضتها في السياسة والعمران . وإن لما أشار الناصح (المخلص) من القاء حمل كبير من أوزار التبعة على علماء الطائفة ومجتهديها وجها وجيها ليس هو اشتغالهم بالسياسة كما قال تصريحا ، بل هو جهلهم بها كما لمح اليه في قوله : ان الدين واللغة شيء والسياسة شيء آخر ، ولكن السياسة في الاسلام من الدين ، ومن الخطأ المبين تقليد بعض المتفرنجين منا لبعض متفرنجة النصارى وأساتذتهم في الفصل بين الدين والدولة ، على أن أكثر المتدينين من النصارى — ولا سيما الكاثوليك — ينكرون عليهم ذلك ، وفي هذا المقام تفصيل لامحل له هنا . وانما الغرض ان نبين غلط المتفرنجين منا في مسألة السياسة وان نذكر كاتب المقال بأن السبب الذي جعله يشعر بأن الشيعة في سورية كاليهود والارمن هو السياسة، وان علاجه لا يأتي الا من قبل العلماء الذين يفهمون السياسة ، وقد اتفقت مع صديقي العلامة (السيد عبدالحسين) العاملي على أن الذي فرقنا هو السياسة، وان الذي يجمعنا هو السياسة، فنعوذ بالله من شر السياسة ونسأله من خيرها

تذكرت أنني قلت في أيام طلبي للعلم كلمة في هذا المعنى كان لها تأثير لولا

الاصلاح الديني مع سائر اخوانهم المسلمين فيما يطهرهم من البدع والخرفات ويزكيهم بهدي الاسلام، والتعاون مع سائر المسلمين على كل ما يرفع شأنه و يعز أهله . و بمنع أن يكون الخلاف في بعض المسائل المذهبية سببا للتفرق والشقاق الذي حظره كتاب الله وبرأ الرسول (ص) من أهله بقوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)

الشيعة ليسوا أقلية في سورية فانهم مسلمون ولا ينبغي لهم أن يفترقوا عن سائر المسلمين في شيء الا اذا كانت المصلحة في تمثيلهم في الحكومة أرجح لهم ولسائر المسلمين ما دامت هذه القسمة التي صفع بها أرباب المطامع لبنان الصغير أولا فلبنان الكبير ثانيا قائمة على عروشها وهي جعل الوظائف و عمال الحكومة قسمة دينية مذهبية . وقد كنا نعتقد في أنفسنا على رصيفنا وصديقنا الفاضل صاحب مجلة العرفان الغراء نزعتها المشابهة لنزعة مجلة لمشرق الحزوبية في التنويه بشعراء الشيعة ومصنفي الشيعة وما أشبه ذلك مما يقوي الشعور بنزعة المذهب، ولا ننكر انه على رأينا في حب الاتفاق، وانه لا يقصد ما يترتب على عمله من تقوية الشعور بالافتراق ، والشيعة كانت قبل بدعة المذاهب الدينية في الاسلام حزبا سياسيا ثم اصيبا ببدعة المذاهب كغيرهم ، ولا يصلح شأن المسلمين صلاحا تاما ما داموا شيعا واحزابا تتعصب كل شيعة وكل حزب لمذهب ديني معين

وانما الاصلاح الديني الذي يحيا به الاسلام وأهله هو مافصلناه من قبل في المنار على قاعدة جمع الكلمة على ما أجمع عليه المسلمون قبل تدوين المذاهب من كتاب الله والسنن ولا سيما العملية المتواترة وأركان الاسلام وتحريم الفواحش ماظهر ومابطن الخ وجعل مسائل المذاهب الخلافية حرة كمسائل العلوم والفنون الاخرى يعمل فيها العالم بما يراه أرجح عنده، و يستفتي فيها العامي من يثق بعلمه ودينه من العلماء فيما يجهله ، فبهذا يزول المانع من تعاون جميع المسلمين على ما يرقيهم في أمور دنياهم مع حفظ دينهم و يكون لهم شأن عظيم بين الامم

ليس في هدي القرآن وسنة الرسول (ص) أصل من الاصول التي شرعها

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فتخاوصت عيناه عند الجواب وسجيتا بعده وأثنى بما أثنى . ولما التقينا في الاستانة في سنة ١٣٢٩ كان يذكرني بهذه المجالس و ينوه بها . ونعود الى موضوعنا فنقول :

ان طائفة الشيعة ما زالت اكثر طوائف أهل السنة احتراما وطاعة لعلمائها ولا سيما السادة العلويين منهم ، ولا تزال أنباء العراق تأتينا بما يدل على ان لاولئك العلماء الاعلام اليد الطولى في الحركة الوطنية الاستقلالية ومقاومة الدسائس الاجنبية التي ترمي لجعل استعباد الاجنبي لاهل العراق وغيرهم من مسلمي الشرق قانونيا مؤيدا بمعاهدة خادعة « وما المعاهدات الاحجة القوي على الضعيف » كما قال أعظم ساسة أوربة . ولكنهم لقلة تمرسهم بالسياسة يخشى عليهم ان يخدعوا اليوم ، كما خدعوا في مؤتمر كربلاء من قبل ، فقد بلغنا الآن ان الدسائس تعمل للتفرقة بين علماء العرب منهم وعلماء إيران ، فالواجب عليهم ان يتقنوا السياسة وكل ما يتوقف عليه الاستقلال في هذا العصر كما يتقنها البابا ورجاله ورهبانه

فاذا ظلوا على جمودهم واعراضهم عن البحث فيما يحتاج اليه المسلمون في هذا العصر من العلوم والفنون والصناعات ، والنظام المالي وسياسة الامة التي تجمع بين هداية الدين وقوة الامة بالمال والقوة ... والسعي في إنهاضها وجمع كلمتها — فان اليوم الذي تنبذهم فيه الامة سيكون قريبا ، وحينئذ يكون التحامل عليهم شديداً على سنة ردّ الفعل الطبيعية ، فعلماء الشيعة لا يزالون أصحاب الزعامة في طائفتهم على حين نزعت الزعامة من علماء أهل السنة وصار نفوذ المتفرنجين حتى الملاحدة منهم في العامة المتدينة أقوى من نفوذهم كما هو مشاهد في بلاد الترك و بلاد مصر ، وقد سبق متفرنجو الاتحاديين في الترك الى سلب سلطة شيخ الاسلام على المحاكم الشرعية فجعلوها تابعة للمحاكم الاهلية القانونية [1] فليفكر في ذلك علماء الشيعة ،

---

(١) بعد كتابة هذه المقالة للجزء الثامن وتعذر نشرها فيه وفي التاسع جاءنا نبأ سلب الترك للسلطتين التشريعية والتنفيذية من خليفتهم كما بيناه في محله

نسيتها ولما كنت أصدق أنها مما كان يخطر ببالي في ذلك العهد

كان عندنا في طرابلس الشام ايام طلبي للعلم فيها متصرف له إلمام واسع بالعلوم الدينية والفنون العربية [1] شافعي المذهب كأهل بلدنا القلمون، وكان كثيرا ما يزورنا في أيام الجمع مع بعض العلماء والوجهاء ويحب أن يصلي الجمعة عندنا — وقلما يوجد مكان تقام فيه الجمعة مستوفاة الشروط على مذهب الشافعي كما تقام عندنا — وكان كثير البحث في المسائل الشرعية والاجتماعية — وقد جرى الحديث مرة عندنا على المائدة في ضعف المسلمين وحكوماتهم فقلت: (إن رأس أسباب ذلك جهل رجال الدين بالسياسة وجهل رجال السياسة بالدين) فامتعض الباشا وقال: أو رجال السياسة والدولة جاهلون بالدين؟ قلت: ان وجود مثل سعادتكم فيهم نادر ولا شك أن الاكثرين كذلك — وأردت أن أفصل .. فغير والدي رحمه الله تعالى موضوع الكلام، واستكبر الحاضرون هذا القول للباشا مني على بدايتي في العلم وحداثة سني وكان منهم الشيخ علي رشيد الميقاتي من وجهاء شيوخ طرابلس وابن أخيه صالح أفندي من موظفي الحكومة فطفق هذا يذيع هذه الكلمة وينوه بها، وهي قد اغرت الباشا بكثرة البحث معي وكان يعجبه جوابي لاني لا أجيب الا بما تحضرني فيه حجة

وأذكر على سبيل الاستطراد مسألة في موضوعنا هذا وهي قوله لي: ان الدولة مخطئة في استثنائكم يا معشر طلاب العلوم الشرعية وعلمائها من الخدمة العسكرية فأنتم أولى من غيركم بها، وهذا الاستثناء لا أصل له في الشرع فقد كان علماء الصحابة كلهم يجاهدون مع الرسول (ص) فحضرني الجواب بالبداهة ولم يكن هذا البحث خطر ببالي من قبل فقلت: بل لهذا أصل في محكم القرآن ... فجحظت عيناه وقال: في محكم القرآن؟ قلت نعم قال تعالى في سورة التوبة وهي من آخر ما نزل

(١) هو مصطفى ذهني باشا آل بابان من أمراء الكرد والد أحمد نعيم بك العالم المشهور وعضو مجلس المعارف الكبير في الاستانة والمرحوم اسماعيل باشا بابان الذي كان ناظرا للمعارف فيها

كرر هذه الحقيقة التي اقرها الشعب واقرتها الهيئة الجليلة المؤلفة من وكلائه تبعا لارادة الامة مرارا ، وارجوكم ان تتفضلوا بالاصغاء الي بضع دقائق

حضرات الزملاء : لعلكم توافقوني على القاء نظرة سريعة قصيرة في التاريخ التركي والتاريخ الاسلامي توضيحا للحقيقة

خلاصة تاريخية سياسية للتركية والاسلامية

ان في هذا العالم الانساني امة تركية عظيمة يزيد عددها على مائة مليون على أقل تقدير ، ولهذه الامة مكان فسيح في التاريخ يضاهي مكانها على وجه الارض. واذا اشئتم — ايها السادة — امكننا ان نقيس هذا التاريخ بمقياسين الاول خاص بالعهد الذي يتقدم التاريخ المدون . ومنه نعلم ان اول تركي ابن يافث ابن نوح عليه السلام . وليس لنا الا ان نتسامح مع اول العهود التاريخية التى كانت تتسامح في جمع الوثائق ، انما يمكننا ان نقول مستندين الى اقطع الدلائل التاريخية ، المادية الجلية : ان الاتراك اسسوا دولا عظمى في قلب آسيا منذ خمسة عشر قرنا وكانوا من العناصر التي تجلت فيها جميع انواع القابليات الانسانية . وقد قام بتأسيس تلك الدول التركية اجدادنا الذين كانوا يرسلون سفراءهم الى (الصين) ويتقبلون سفراء (بيزانطة) في عواصمهم

كذلك من المعلوم ايها الزملاء ان في العالم كتلة عربية يتكون من قسمها الاسيوي كتلة متكاتفة . وقد ظهر من هذه الامة العربية فخر العالم ، والرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ايها السادة ، ان الله واحد احد عظيم ، ونستطيع ان نقول ناظرين الى تجليات السنن الالهية. ان الناس يصح فحصهم وهم في حالين ، وفي عهدين : العهد الاول عهد الصبا والشباب البشري ، والعهد الثاني عهد الرشد والكمال الانساني ، والانسانية في عهدها الاول كالطفل وكالشاب تبتغي ان تشتغل بنفسها بالوسائل القريبة المادية . وقد اقتضت ارادة الله ان يبعث في الناس من يرشدهم الى ان يتم وصولهم الى الكمال، ولذلك ارسل فيهم من عهد آدم عليه السلام أنبياء ورسلا لا يمكن عدهم او احصاؤهم ، الى ان قام نبينا الاعظم بتبليغ آخر الحقائق الدينية والمدنية. فلم تبق حاجة الى الاتصال بالناس بواسطة رسله حيث قد وصلت درجة كمال النوع البشري الى حد يصله بالالهامات الآلهية رأسا ولهذا كان

واننا نحيلهم في هذا المقام على مقالات (مدنية القوانين) التي ننشرها في المنار ونرجو من صديقنا العلامة السيد عبد الحسين ومن سميه العلامة الشيخ عبد الحسين وهما أشهر علماء جبل عامل أن يبينا لنا رأيهما فيها وفي هذه المقالة كتابة واذا سمحا لنا بنشر آرائهما في المنار فاننا نرجو أن نستفيد بها ونفيد ، على أننا ننشر ما يتفضل به غيرهما من علماء الشيعة وغيرهم من تأييد أو نقد في هذا المقام ، يفيدنا فيما نسعى اليه من الاصلاح ، (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

خطبة الغازي مصطفى كمال باشا

❊ التي ألقاها في مجلس الجمعية الوطنية الكبير بأنقره في جلسة ١٢ ربيع الاول (اول نوفمبر) التي اعلنوا فيها اسقاط الدوله العثمانية للاقناع بكون سلب المجلس السلطة من الخليفة موافق للشرع الاسلامي وكان ذلك على اثر ارسال توفيق باشا الصدر الاعظم برقيات اليه بطلب اعضاء من حكومة انقره ينضمون الى الاعضاء الذين يختارهم الباب العالي لمؤتمر الصلح الدولي . ❊

ماهية الباب العالي

أيها الزملاء . ان توفيق باشا الذي يضيف الى اسمه في الآستانة صفة غير شرعية ، قد راجع القيادة العليا لجيوشكم ببرقية خصوصية سرية ، ثم اردفها ببرقية صريحة تفشي سر الاولى . واذا ما فحصتم البرقية ألفيتموها ترمي الى تهويش الرأي العام الاسلامي واضعاف حكومتنا الوطنية التي فازت في الدفاع عن قضيتنا المقدسة فوزاً فعليا وقانونيا ازاء الاعداء الذين كانوا يرومون محق استقلالنا . وقد اقتضت تلك البرقية العارية عن المعنى والمنطق تكرار حقيقة مؤيدة بوجود مجلسكم العالي . لا شك ان الحقيقة المندمجة في شكل ادارتنا هي اخذ الشعب التركي بزمام اموره وقيامه بمهام سلطنته الشعبية منذ ثلاثة اعوام ودفاعه عن قضيته المقدسة . وقد ادى ظهور هذه الحقيقة الى زوال باطل : هو اجتماع سيادة الشعب وسلطنته في يد شخص واحد ،

الاولى: ان يكون الاستحقاق لمقام الخلافة بالكفاءة والقدرة على ادارة مصالح الامة. وعليه ينبغي ان تكون الخلافة في اقوى الاقوام (او قال القبائل) نفوذا ورشدا وهذا رأي جمهور الصحابة (١)

الثانية: ان يكون من نصروا الاسلام الى ذلك اليوم اهلا للخلافة. وهذا رأي الانصار

الثالثة: التزام قوة القرابة. وهذا رأي الهاشميين.

لم يتسن ترجيح وجهة نظر من هذه الوجهات باتفاق الآراء لانتخاب الخليفة. فقام سيدنا عمر وبايع أبا بكر الصديق منعا لتشتت الآراء فبويع له. ومن ذلك يتبين ان التأثيرات الشخصية هي التي انتجت انتخاب الخليفة الاول، لا ائتلاف الميول العامة تألفا طبيعيا حول نقطة واحدة. (٢)

والحق، ايها السادة لا يصح لنا ان نظن ان هذه المناقشات الخاصة بالخلافة لا محل لها فان امر الخلافة في الحقيقة اعظم مصلحة اسلامية. والخلافة

قوتهم، ولم يكن المهاجرون الا ضيوفا عندهم، وأما المهاجرون وسائر الانصار فكانت حجتهم التي أدلى بها أبو بكر أن النبي (ص) نص على أن الخلافة في قريش وان العرب لا تدين الا لهم لمزاياهم المسلمة بينهم — أي احتجوا بنص الشارع وبالمصلحة العامة التي هي من اصول الشرع ومقاصده، لا بقوة عصبية أبي بكر فان الاسلام أمات العصبية الجنسية وانما احياها بنو أمية فجنوا على الاسلام اكبر الجنايات وأما بنو هاشم فكانوا يزيدون على سائر قريش بقربهم من الرسول (ص) وذلك مرجح لهم فليس بينهم وبين نظرية الجمهور تعارض، ولكن عمر (رض) خاف أن يسبق الانصار الى مبايعة رجل كبير منهم كسعد بن عبادة فيقع الشقاق بينهم وبين المهاجرين وتكون فتنة فبادر الى مبايعة أبي بكر لاعتقاده أنه هو الرجل الوحيد الذي يتبعه السواد الاعظم في مبايعته لكثرة مزاياه وترشيح النبي «ص» له بامامة الصلاة في آخر حياته، وكذلك كان

(١) هذا خطأ محض فلم يكن احد من الصحابة يجيز ان يجعل الخلافة بقوة العصبية لتكون محل تنازع الاقوياء كما حصل بعد «٢» في هذا التعبير نظر والحق ما بيناه آنفا، وقد صرح عمر على المنبر بان بيعة ابي بكر كانت فلتة اي أمرا استثنائيا عارضا لا يجوز القياس عليه وان الله وقي المسلمين شرها بسبب أنه لا يوجد في الامة أحد تقطع أعناق الابل في الرحلة اليه والاتفاق على فضله مثل أبي بكر

الرسول المجتبي خاتم الانبياء وكان كتابه اكمل الكتب السماوية.[١]

ولد عليه الصلاة والسلام قبل الف وثلاثمائة وواحد واربعين عاماً في يوم الاثنين من شهر (ابريل) ربيع الاول قبل طلوع النهار. وقد شب واكتهل، قبل ان يرسل وكان وجهه نورانياً، وكلامه روحانياً، لا يفوقه احد في رشده ورويّته، بل يفوق الكل في صدقه وحلمه ومروءته. وقد امتاز محمد المصطفى بأمثال هذه الصفات الجليلة قبل بعثته، فاشتهر في قبيلته بلقب محمد «الامين» وكان محبوبا، محترما، موثوقا به لدى الجميع قبل بعثته

بعث محمد عليه الصلاة والسلام في سن الاربعين وارسل في سن الثالثة والاربعين فظل سيدنا فخر العالم يسعى عشرين عاما متكبدا اعظم المشاق، محوطا بأشد الاخطار. وقد ارتقى الى اعلى عليين بعد ان بلغ الرسالة، وأتم تأسيس الاسلام. وها نحن اولاء في يومنا هذا (١٢ ربيع الاول) ندرك ذكرى ذلك اليوم فقد ارتحل الرسول الاعظم الى دار البقاء في مثل هذا اليوم بالتاريخ العربي. فلما ارتقى الرسول الى الرفيق الاعلى اجتمع المسلمون الذين ارشدهم الى الحق وعلى الاخص اصحابه الكرام (ص) وبكوا الفقده مرّ البكاء. وانما ادرك ارباب الفطنة ان لا فائدة في هذا الحزن الذي تقضي به البشرية فاجتمعوا للتشاور في اتخاذ التدابير التي يتسنى بها رؤية مصالح الامة وادارتها بعد ارتحال رسول الله (ص) اجتمعوا لينتخبوا اميراً يخلف رسول الله وقد كانوا يرون النبي الاعظم يحب ابا بكر حبا جما وانه اشار في آخر ايامه بما افاد انه ينبغي ان يخلفه ابو بكر

آراء الصحابة في الخلافة

فكان المنتظر ازاء ذلك عقد اجتماع لانتخاب ابي بكر الصديق انتخابا رسميا. ولكن الانتخاب لم يكن سهلا الى هذه الدرجة حيث قامت المناقشات والمفاوضات الكثيرة، وحدثت الاختلافات العظيمة، وظهرت ثلاث وجهات نظر مهمة في امر الانتخاب:[٢]

(١) المنار: هذه الجملة في الرسل وحكمة اكمال الدين بخاتمهم مقتبسة من رسالة التوحيد للاستاذ الامام بالاختصار، وهي في الرسالة منتهى البلاغة في البيان

(٢) التحقيق أن الخلاف لم يطل وانما كان بين المهاجرين والانصار اذ ظن بعض هؤلاء أنهم أحق بالحكم لان العاصمة (المدينة) دارهم والقوة التي نصرت الاسلام فيها

أم يكسر ؟ فقال له حذيفة : بل يكسر . فقال عمر : اذن لا يغلق بعدها أبداً ، وتأسف . والحق ان الباب كان يوشك أن يحطم ، اذ قد اتسعت البلاد الاسلامية وكثرت الاعمال . وكان من العسير تعميم العدل الكامل في كل مكان بمثل تلك الادارة . كان سيدنا عمر يفكر في ذلك ويتدبر في نتائجه ويضرع الى الله أن يقبض روحه . ولقد سأله سائل وهو يبكي يوماً عن سبب بكائه فأجابه . كيف لا أبكي وانا أخشى لو ضاعت شاة على نهر الفرات أن أسأل عنها ؟ .

أجل ان الفاروق رضي الله عنه كان قد فهم حق الفهم ان الامارة الموسومة باسم الخلافة غير كافية لادارة دولة وان الفرد الواحد مهما اعتمد على فضيلته وقدرته ومهابته لا يستطيع ادارة دولة بأجمعها (١) . ولهذا السبب كان (عمر) لا يفكر في خليفة بعده (٢) حتى لقد قال لمن أشاروا عليه بتولية ولده بأنه تكفي ضحية واحدة من بيت واحد . وخاطبه « عبد الرحمن بن عوف » رضي الله عنه اذ قال له : سأوليك الخلافة بعدي ، قائلا . أو تنصحني بقبولها ؟ فأجابه . لا . فقال له عبد الرحمن : والله لا أقبلها أصلا .

وقد كانت النتيجة ان توصل (عمر) الى أحسن حل إذ أحال امارة الدولة ومصلحة الامة الى مجلس شورى (٣) فاجتمع أصحاب الشورى والشعب في المسجد وهنالك قر رأيهم على تفويض أمر الادارة الى خليفة انتخبوه .

(١) هذا غلط آخر أو مغالطة أخرى اراد الخطيب أن يجعلها حجة لما أراده من شكل حكومتهم الجديدة وسبب ذلك انه يظن أن الخلافة سلطة شخصية مطلقة والصواب أنها سلطة شورى مقيدة . وانها أقرب الى شكل حكومة الجمعية الوطنية منها الى شكل حكومة سلاطينهم الذين كانوا يسمونهم خلفاء كوحيد الدين وعبد الحميد الا أنها خير منها ولم يكن شكل الادارة علة لما حصل من الاحداث والفتن بل طبيعة الاجتماع التي ترتبت على سيادة دين جديد ولغة جديدة وشعب جديد في امم كثيرة ذات ملل متعددة في اقطار واسعة في اقل من ربع قرن مع صعوبة المواصلات

(٢) الصواب أنه كان يفكر والروايات فيه كثيرة «٣» ليس عمر هو الواضع للشورى بل رب عمر في قوله تعالى «وامرهم شورى بينهم» من سورة الشورى وقوله لرسوله «وشاورهم في الامر» وعمل نبي (ص) بذلك حتى كان يرجع عن رأيه الى رأيهم كما فعل في غزوتي بدر واحد

النبوية امارة تربط اهل الاسلام اجمعين وتكفل اجتماعهم على كلمة الاتحاد . وقدقضت الحكمة الالهية ان لا تنعقد الا على السطوة والقوة [1] اذ المقصد الاصلي منها دفع الفساد، وتوطيد امان البلاد، وتنظيم امور الجهاد. وتعهد المصالح العامة، وهذا كله منوط بالسطوة والقوة . تلك سنة الله في خلقه .

من اجل ذلك كانت وجهة النظر الاولى التي عرضتها عليكم فيما سلف ، والتي تجعل الخلافة في الامة ذات الحول والطول ، أرجح وأغلب وجهة [2] . وكان من الصواب أن يتقلد أبو بكر الصديق الخلافة بالتأثير

تأسست بعد عهد السيادة النبوية امارة اسلامية باسم الخلافة على هذا المنوال . وقد حدثت الردة وبعض الحركات الرجعية بعد وفاة الرسول فأخمدها أبو بكر ووطد دعائم السلام. ثم توسل الى توسيع حدود الامارة الاسلامية. ولما أحس بدنو أجله تذكر ما وقع من المشاكل في أمر انتخابه وانتخب عمر الفاروق بنفسه لمقام الخلافة، وعهد اليه بها وقدمه للامة

اتسعت البلاد الاسلامية في عهد (الفاروق) اتساعا عظيما وكثرت الثروة ونمت نموا كان من شأنه — كما هي العادة — حدوث الاغراض الدنيوية بين الناس ، وظهور الثورة والفتنة ، حتى لقد كانت هذه النقطة تزعج الفاروق الذي كان يتذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد قال لخواص أصحابه : ان أمته سيظهر امرها ، وتهزم أعداءها ، وتفتح اليمن والقدس والشام ، وتقتسم خزائن الاكاسرة والقياصرة ، وأنها ستنشب بينها الفتنة بعد ذلك فتضل وتغوى ، وتسير سير الملوك السالفين . حتى لقد سأل الفاروق يوماً (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه عن الفتنة التي تموج موج البحر فأجابه انه لا بأس عليه منها وان بينه وبينها باباً مغلقاً . فسأله عمر هل يفتح هذا الباب

«١» نعم ولكن قوة الاسلام المتحدة لا قوة شعب ولا قبيلة تحتكر السيادة وكون الخليفة من قريش الكثيرة البطون لا يقتضي هذا الاحتكار ولم يفعله احد لقريش ولكن ابتدعه الامويون لانفسهم فسنوا سنة سيئة كما قلنا من قبل

(٢) نص عبارته أن رأي الجمهور كان أرجح بالنظرية التي ذكرها وهي جعل الخلافة فيمن قومه أقوى من قوم الفريقين الآخرين وقد بينا ان هذا خطأ محض وضد الواقع بل كانت قوة الاسلام واحدة والا فان قوم أبي بكر هم بنو تيم وليسوا باقوى ولا أرشد من بني هاشم ولا من الانصار — فهذا التعليل غلط او مغالطة

تمكن الناجح في حيلته من هزيمة النزيه (١) وارهاق آله وعياله وهنالك تحولت الخلافة الى سلطنة اسلامية باسم الخلافة

فتحت الدولة الاموية فتوحات عظيمة ، ولكنها لم تحي الا تسعين عاما طافحة بالوقائع الدموية من أولها الى آخرها ، وقد أسقطت الامة العربية دولة بني أمية في عام ١٣٢ وأسست مكانها دولة أخرى هي الدولة العباسية التي كان يلقب رؤساؤها بألقاب الخلافة . وكان هناك في الاندلس كذلك ملوك ظلوا يلقبون بألقاب الخلافة قرونا . بالرغم من وجود الخلافة العباسية في العراق

أسلفت فيما سبق انه كانت قد تأسست في أواسط آسية دولة تركية قبل خمسة عشر قرنا أي قبل هجرة الرسول الاعظم بقرنين ونصف ، وقد اعتنق الاتراك الذين أسسوا هذه الدولة الدين الاسلامي قبل الف سنة . ووسعوا بلادهم في اتجاه الشرق حتى حدود الصين ، وأقبلوا حتى سورية والعراق في عهد الدولة العباسية بصفتهم جنودا . وقووا نفوذهم في هذه البلاد التي تحت حكم الخلفاء العباسيين ، وارتقوا الى أسمى المقامات ، وتولوا قيادة الجيوش .

وقد تأسست في القرن الرابع الهجري دولة تركية عظيمة باسم الدولة السلجوقية . فكان الاتراك الذين يعملون باسم هذه الدولة ينتشرون في بلاد القافقاس) من جهة ، وبلاد إيران والعراق وسورية من جهة الجنوب ، وبلاد الاناضول من جهة الغرب ، حتى دخلت دولة الخلفاء العباسيين المقيمة في بغداد في دائرة نفوذ هذه الدولة . والحق أن هذه الدولة التركية مدت سلطانها الى ما وراء النهر وخوارزم والشام ومصر واكثر الاناضول في اواسط القرن الخامس الهجري ، ووسعت حدودها حتى كاشغر ونهر سيحون الى البحر الابيض والبحر الاحمر وبحر عمان ، بحيث كان الخلفاء العباسيون في بغداد تحت نفوذهم وادارتهم . وقد جلس (ملكشاه) الذي يمثل السيادة التركية بجانب الخليفة المقتدي بالله وتصاهرا .(٢)

«١» الظاهر الموافق الواقع ان المراد الهزيمة المعنوية لا الهزيمة في القتال فعلي كان هو المنصور والحسن صالح معاوية وهو اقوى منه حقنا للدماء

«٢» في مسألة كون الدولة السلجوقية تركية والايوبية كردية بحث تاريخي

تولى سيدنا (عثمان) الخلافة ولكن كان قد تحطم الباب الذي قضي عليه بالتحطم، وبدأ القيل والقال وظهرت امارات عدم ارتياح في اكثر الممالك الاسلامية . وقد وقف سيدنا عثمان موقف الضعف والعجز حتى لقد دعاه «معاوية» عامله على الشام لصيانة حياته فرفض «عثمان» ذلك وأمر «معاوية» أن يرسل اليه جنوداً للمحافظة عليه . ولكن لم يتسع المجال لاتخاذ هذه التدبير حيث قامت المناطق التي أعلن أهلها العصيان وتقدمت المدينة وحاصرت «عثمان» في بيته ثم أراقت دمه وهو بجانب زوجته

تولى الخلافة بعد ذلك سيدنا «علي» كرم الله وجهه بين ضوضاء عظيمة ووقائع دموية — وقد تحطم الباب — ولحق أن العراق ولمين وسورية والقطر الحجازي كانت بلاداً مختلفة وان كان يسكنها شعب واحد . وقد اضطر الخليفة في الحجاز ان يقف وجهاً لوجه ازاء وان يستمد الى القوة حيث كان «معاوية» لا يعترف بخلافة «علي» كرم الله وجهه بل يتهمه بدم عثمان .(١) فكان مما فعله الخليفة المأمور بتنفيذ الاحكام القرآنية قطع الحرب ازاء الجيوش الاموية التي علقت القرآن على رؤوس رماحها . وتعهد الصرفان بقبول ما يقضي به الحكمان. كان سيدنا «علي» حاضراً اذ اجتمع مندوبه «أبو موسى الاشعري» مع (عمرو بن العاص) مندوب معاوية لتنظيم أمر التحكيم . فاعترض مندوب «معاوية» على ماخطه أبو موسى الاشعري من ان هذا تحكيم بين أمير المؤمنين علي ومعاوية وطلب إلغاء عبارة أمير المؤمنين قائلا انه لا يعترف بامارته الا من هم تحت أمره فلا يعترف به أهل الشام . فوافق سيدنا «علي» على ذلك . والكل يعلم تلك الحيلة الدنيئة التي وقعت بعد ذلك بين مندوبي الطرفين . وهنالك بشر (عمرو) معاوية بالخلافة اذ نجح في حيلته . كما أن عليا استمر يقوم بالخلافة بعد أن تردد قليلا فيما اذا كان يجب عليه أن يراعي حكم الحكم ام لا

يتبين من هذا ان اثنين من كبار المسلمين لم يترددا في التنازع باسم الخلافة والتحارب من اجلها واراقة دماء شعب يتشيع لكل واحد منهما رغما من ان الكل على دين واحد. والكل من امة واحدة

«١» التحقيق انه عاق المبايعة لعلي على تسليمه قتلة عثمان لانه اتهمه بدمه

ايها السادة . ان الاتراك الذين أسسوا في اواسط آسية دولا على دول قاموا بتأسيس دولتين عظيمتين بلغتا أوج المدنية في غرب ذلك ، هما الدولة السلجوقية الايرانية، والدولة السلجوقية الاناضولية . ومن المعلوم ان (قونية) كانت حاضرة الدولة السلجوقية لاناضولية وان هذه الدولة قد حافظت على حياتها حتى عام ٦٩٩ . وبينما هذه الدول الاسلامية التركية المعروفة تسمى وتعمل ظهر الفاتح (جنكيزخان) وخرج من (قارة قوروم) سنة ٥٩٩ ووسع حدوده حتى بحر الصين وبحر البلطيق والبحر الاسود وقد استولى حفيده (هلا كو) خان سنة ٦٥٦ على بغداد وقتل الخليفة العباسي المستعصم وبذلك رفع الخلافة من وجه الارض فعلا

لقد رأى سيدنا عمر في حياته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستطاع وقف تموجات الهيئة الاجتماعية . وفارق الحياة الدنيا مضطرب الروح، واما سيدنا عثمان فقد سال دمه على صحف القرآن وسط الهجمات المقدرة ، ولم يتمكن الامام علي كرم الله وجهه من تقرير الخلافة في عهدته ولا من المحافظة على حقوق آل بيت الرسول ، و لامويون لم يستطيعوا المحافظة على الخلافة اكثر من تسعين عاما، وقد اضطر الخلفاء العباسيون الى حصر نفوذ الخلافة بين اسوار بغداد ، وقد ذهب المستعصم آخرهم ضحية لهلاكو مع اولاده وعياله وثمان مائة الف من المسلمين.

وأما خلفاء الاندلس الذين لم يتجاوز نفوذ خلافتهم قصر الحمراء بعد ضعف الخلافة العباسية فكلنا يعلم عاقبة فاجعتهم في أوائل القرن الخامس الهجري . وقد أدت الواقعة الخطيرة التي قام بها (هلاكو) الى اعدام الخليفة ومقام الخلافة(١)

ولكن لم تمض ثلاثة أعوام على ذلك حتى التجأ الى الحكومة المصرية (المستقر بالله) من آل عباس سنة ٦٥٩ هجرية فاعترف ملك مصر بخلافته ، وقد جاء من بعده ١٧ خليفة لم يكن لاحدهم أدنى نفوذ أو تأثير رأسي بل كان يستخلف

---

(١) يريد بكل ما تقدم ان حكومة الخلافة الاسلامية بالمعنى المعروف في الاسلام لم تنجح ، لم تثبت لعلة ذاتية فيها تقتضي انها لا تصلح للمسلمين . وهذا خطأ محض والصواب ما أشرنا اليه في حاشية قبل هذه وان خروج المسلمين عن احكام الاسلام في الخلافة كان من اسباب تفاقم تلك الاحداث والفتن وسقوط الدول

اريد ان احلل هذا المنظر وهذا الموقف قليلا . لقد كان (الخاقان) التركي الذي يمثل دولة تركية عظيمة لا يرى بأسا في المحافظة على مقام الخلافة وحدها ولو رأى بأسا في ذلك لكان في مقدوره ان ينزع تلك الصفة من الخليفة وان يضيفها الى نفسه ، اي انه لو اراد (ملكشاه) لفعل في بغداد ما فعله السلطان سليم في مصر بعد خمسة قرون[1] . بل اننا نرى (ملكشاه) لم يفكر الا في ان يخلف المقتدي لله من هو اصدق للدولة التركية والبق بمقام الخلافة . وقد ضغط على الخليفة المقتدي بالله لعزل ولده من ولاية العهد واقامة حفيده مكانه

والآن — ايها السادة — مقام الخلافة محفوظ وبجانبه مقام السيادة والسلطنة الوطنية ، اي الجمعية الوطنية التركية الكبرى . ولا شك ان هذين المقامين يقفان جنبا الى جنب وقفة اعلى واسمى من وقفة الخلافة العاجزة الضعيفة إزاء ملكشاه ، لان تركيا الحديثة تمثلها الجمعية الوطنية الكبرى ، ولان الشعب التركي يتعهد ويتكفل بأن يكون سنادا لذلك المقام بجميع قواه ، من حيث هو واجب وجداني ديني[2]

لنتقدم في ملاحظتنا التاريخية بضع خطوات اخرى حتى تتضح لنا ضرورة ادارتنا الحالية ومقدار نفعها للاسلام

واجتماعي لا محل له الآن كما انه لا محل لذكر شيء من عمل الترك في الدولة العباسية التي اعتمدت عليهم ورفعت مكانتهم على العرب والعجم

« ١ » هذه مسالة فيها نظر من وجوه نرجيء بيانها الى وقت آخر لا يلابس الحقيقة فيه غيرها وانما نذكر الخطيب وقراء الخطبة بما بين تاثير الاعتقاد والرأي العام وظروف الأحوال وصروف الزمن فقد كان نفوذ الجون ترك في عهد الاتحاديين أقوى من نفوذ السلطان وآل عثمان ولكنهم لم يقدروا على نزع الملك منهم كما قدروا عليه في عهد الكماليين

« ٢ » الخلافة ليست مقاما وجدانيا حقه الاحترام في القلب فقط بل هي عبارة عن رياسة الحكومة الاسلامية ، فرئيس هذه الحكومة التي تقيم الاسلام باحياء دعوته والدفاع عنها و تنفذ أحكامه هو خليفة الرسول وان لم يسم خليفة ، فان هذا اللقب لم يطلق على غير الاول من الخلفاء الراشدين وقانون الجمعية الوطنية قد حصر السلطة كلها فيه وليس فيه ذكر الخليفة وقد نصبت خليفة روحيا في الاستانة واننا ننتظر ما نوط به من الاعمال

مجلسكم الموقر، أي الجمعية الوطنية التركية الكبرى، التي تدعى حكومتها (حكومة الجمعية الوطنية التركية الكبرى) وليس هناك مقام سلطنة أو هيئة حكومة أخرى في البلاد

والآن قد يدور بالخلد سؤال عما يصير اليه امر الخلافة بعد انهدام المقام الشخصي الذي يضيف لنفسه تلك الصفة

أيها السادة لقد رأينا مقام الخلافة في بغداد في عهد الخلفاء العباسيين وفي مصر يعيش قرونا بجانب السلطنة، مع انفراده عنها، وان من الطبيعي جدا أن يكون مقام الخلافة بجانب مقام السلطنة الشعبية، مع فرق هو انه كان على رأس السلطنة في بغداد ومصر شخص، وأما في تركيا فيجلس في ذلك المقام شعب ثم لا يكون مقام الخلافة ضعيفاً عاجزاً ملتجئاً، كما كان في بغداد ومصر، بل سيترنم فيه شخص عال يستند على الدولة التركية (١)

وعلى هذا النحو سيزداد الشعب التركي قوة كل يوم بصفته دولة عصرية مدنية، وستتضاعف سعادته ورفاهيته وفهمه لانسانيته ونفسه، كما أنه سيظهر في مظهر العزة والرفعة التي تشرح قلوب المسلمين أجمعين، ويجعله النقطة التي يجتمع حولها العالم الاسلامي بروحه ووجدانه وايمانه.

أيها السادة: لا أرى حاجة لايضاح ما تعده الدولة التركية والجمعية الوطنية الكبرى وحكومتها من القوة والبركة والنجاة والسعادة للشعب التركي. فان تجارب ثلاثة أعوام وثمار تلك التجارب كافية لايضاح ذلك على ما أعتقد وأما الفوائد التي تجنيها تركيا وتجنيها العالم الاسلامي من مقام الخلافة بعد ذلك فسيبرهن عليها المستقبل بكل وضوح

ان الدولة التركية الاسلامية ستكون اسعد دولة في العالم لكونها منبعا

«١» كان سبب وجود شبح يسمى خليفة في جانب السلطان التركي ببغداد والجركسي بمصر هو اعتقاد أولئك الترك والجراكسة أن الخليفة الحق يجب أن يكون قرشيا ومنه تستمد السلطة لتكون شرعية ولا محل لاعتقاد الحكومة التركية مثل هذا الاعتقاد في بني عثمان الذين سلبتهم الملك لانها لا تراهم أهلا له بل تراه ضررا على الامة — على أن عمل أولئك السلاطين لم يكن شرعيا في الحقيقة بل في الصورة فما الفائدة في محاكاتهم فيه؟ ومن لم يكن أهلا للسلطنة لا يكون أهلا للخلافة بالاولى لانها سلطنة وزيادة — سلطنة وخلافة ونبوة

بعضهم بعضا تحت حماية الحكومة المصرية. فلما تشتت الادارة السلجوقية أسست الامة التركية الدولة العثمانية مكان الدولة السلجوقية عام ٦٩٩ هجرية. وقد وجد السلطان سليم عند دخوله مصر عام ٩٢٤ من يلقب بالخليفة، عدا من قتلهم من ملوك مصر، فلم يتردد ذرة في أن بقاء [illegible] فة الخلافة في شخص عاجز مما يشين العالم الاسلامي فاتخذها لنفسه على أن يجعل قوة لدولة التركية [illegible]داً لها

أيها السادة: تأسست الدولة العثمانية عام ٦٩٩ هجرية وتقلدت الخلافة عام ٩٢٤. فلم يمض على ذلك التاريخ خمسون سنة حتى أتمت ثلاثة قرون من حياتها تدعى عهد الاعتلاء والانتصارات المتوالية أما بعد ذلك فقد بدأ عهد الانحطاط فصارت الحدود التركية تضيق كل يوم. وتنقص قوات الشعب التركي مادة ومعنى كل يوم، وتنزل الضربات الموجهة على رأس الاستقلال التركي وتمحق أراضي المملكة وثروتها ونفوسها وكرامتها بسرعة مدهشة. (١)

كانت البلاد منتبهة مستعدة لمعالجة أسباب مصائبها منذ قرون في لحظة واحدة. اذ كان التاريخ واضحاً للغاية. وكان الشعب قد بلغ أشده وكماله ليعمل لملافاة نتائج غفلته الؤلمة التي انسته نفسه من جراء اتخاذه واسطة وقوة لترويج اطماع الاشخاص الذين يريدون أن يتحكموا وأن يتسلطوا وأن يستولوا وأن ينتفعوا وان يستريحوا، أن يتوغلوا في السرف والترف وأنواع الرذائل وغير ذلك من المقاصد الدنيئة. هنالك لم يتردد الشعب في الحكم بأنه قد حان الوقت الذي يستعمل قوته ونفوذه المعقول المشروع الانساني

ولهذا هب الشعب التركي الذي أسس دولة جنكيزية ودولة سلجوقية ودولة عثمانية وجرب جميع هذه الدول بالحوادث فأسس في هذه المرة دولة باسمه وعنوانه ووقف بإزاء المصائب التي بلي بها بقدرته وقوته التي فطر عليها

سلم الشعب جميع أموره وجمع السلطة الشعبية، لا في شخص واحد، بل في مجلس عال مؤلف من وكلائه الذين ينتخبهم جميع أفراده، وهذا المجلس

«١» يفهم من قوله هذا بمعونة ماسبقه ان منصب الخلافة الذي ادخله السلطان سليم في الدولة هو الذي كان سبب سرعة انحطاطها وقد صرح الدكتور رضا نور عنل هذا في حديثه الآتي - فياليت شعري اي عمل عمله سليم ومن بعده باسم الخلافة فكان سبب ضعفها اما والله لو قاموا بوظائف الخلافة لملكوا الشرق كله ....

أقول هذا وأنا لهذه القوة ناصح أمين، ومؤيد لها في مكافحة اعداء المسلمين، وكنت أول من قاوم السعي لجعل شريف مكة الذي خرج على الدولة ووالى اعداءها خليفة للمسلمين، ونوهت بأعمال الكماليين وفضلتهم عليه وعلى اولاده ولكني لا أقول الا ما اعتقد أنه الحق، ومنه أن الغازي مصطفى كمال باشا مخطيء فيما رمى اليه في خطبته من محاولة اثبات ان نظام الخلافة الشرعي غير صالح ولا موافق لمصلحة الامة، وان سيدنا عمر علم بذلك ومهد السبيل لنظام غيرها بأمره بالشورى في انتخاب الخليفة بعده — ومخطيء في استدلاله على ذلك بعجز الامويين والعباسيين والعثمانيين عن اقامة تلك الخلافة، كما اخطأ في دعواه ان جمهور الصحابة جعلوا الخلافة تابعة لقوة العصبية الجنسية — ونتيجة هذا أنه مخطيء في حكمه المقصود بالذات من أن الحق أو الصواب ما فعله المتغلبون على الخلفاء الاولين من سلب سلطتهم، وجعلهم آلة للتبرك بلقبهم، وان ذلك حجة لاقتداء الحكومة التركية الوطنية بهم، كل ذلك باطل واعتداء على الشرع نفذ بالقوة، ويمكن الآن أن ينفذ مثله بالقوة، ولكن لم يكن ذلك ولن يكون هذا حقا ولا خيرا لمن فعله، بل صدق على الجميع قول الرسول (ص) في الامارة والحرص عليها بغير حقها «نعم المرضعة وبئست الفاطمة» رواه البخاري وقد بينا الحق في المسألة في مقالتنا التي نشرناها في هذا الجزء، وقد كتبنا الى الغازي مصطفى كمال كتابا أشرنا فيه الى الخطة المثلى في احياء مقام الخلافة والانتفاع به وذلك قبل وقوع هذا الحدث الاخير الذي نرجو أن يصححوا خطأهم فيه بعد الصلح واستشارة علماء الاسلام الاعلام من جميع الاقطار — هذا واننا نتم السياق التاريخي الذي بدأنا به فنقول

التقرير الذي اعتمد وقرار الحكومة

القى الغازي مصطفى كمال باشا خطبته هذه في جلسة الجمعية الوطنية الكبرى التي عقدت لاعلان اسقاط دولة آل عثمان وحكومة الباب العالي بمناسبة برقيات الصدر الاعظم توفيق باشا التي ارسلها اليه يطلب فيها ارسال مندوبين لمؤتمر الصلح يشتركون مع مندوبي الباب العالي. وأما التقريرات التي اشار اليها في الخطبة فقد اعتمد منها تقرير الدكتور رضا نور الموقع من ٦٨ نائبا وبني عليه قرار الجمعية الآتي

ومنشأ لتجلي السعادتين

والآن اختم كلامي قائلا أني ارى جميع الزملاء متحدين ومتفقين تمام الاتفاق في اساس المسألة التي نتباحث فيها ، وتلك حال سارة توجب شكر الامة وتبريك الجمعية المبجلة ، لقد تلي علينا تقرير مفصل من قبل ، ولدينا تقرير آخر قدم الآن ، وكلاهما متحد في الاساس ، فليس لدينا الا ان نحرر ما ورد فيهما في شكل اصرح والطف ، ثم نحيلهما على راي الجمعية الوطنية المبجلة ونعلنهما بعد الحصول على رايها ، وبذلك نحول دون جميع الدسائس التي يدسها علينا اعداؤنا » انتهت الخطبة

﴿ المنار ﴾ إن المراد من هذه الخطبة السياسية جعلها حجة للجمعية الوطنية التركية في إسقاط الدولة العثمانية وتأليف دولة تركية محضة بشكل جمهوري جديد واقامة هذه الدولة خلافة روحية للمسلمين بمعنى جديد لم يعرف من شكله الا أنها محصورة في بني عثمان وان الدولة التركية هي التي تنتخب خليفة تركيا عثمانيا وتؤيده بقوتها وتحمله على حرمانه من سلطة الحكومة أجل والزم من الخليفة العباسي الذي تغلب عليه سلاطين الترك في بغداد والذي تغلب عليه سلاطين مصر ، ولكن هذه التنظيرات التاريخية على ما فيها ليست حججاً شرعية على ما كان وعلى ما يراد الآن . وإنما هي مبنية على قاعدة « الحق للقوة » ولا تحتاج الدولة التركية الجديدة إلى حجة غيرها . وليس السلجوقيون ولا الجراكسة ولا غيرهما أولى بها منها ، وهذه القاعدة هي التي تجرى عليها سياسة هذا العصر وجميع الشعوب الاسلامية التي تعطف على الترك وتؤيدهم فانما تؤيدهم لاجل قوتهم الحربية والتلذذ بأن شعبا اسلاميا يقاتل الافرنج المستذلين لهم قتال الاكفاء ، ويضطرهم بقوته الى احترامه والاعتراف بحقوق لدولته ، لا لاجل الخلافة والخليفة ، والبرهان القاطع على ذلك انهم كانوا إلباً واحداً على محمد وحيد الدين ، لما ناوأ الكماليين ، ولا تأثير في ذلك لما يقال من تنازل الاسير العباسي للسلطان سليم أمره عن الخلافة التي لم يكن يملك منها الا دون ما يملك وحيد الدين منها ومن السلطنة عند فراره من مالطة فان فقد الشعب التركي المسلم هذه القوة الحربية المنارة (لا سمح الله بذلك) لم يعد احد من المسلمين يبالي بأمره أوجد فيه خليفة أم لا . فعليه اذن ان يوجد خلافة صحيحة او يدع

٣ — الحكومة التركية الجديدة تقوم مقام الامبراطورية العثمانية وترثها وحدها في داخل حدودها الوطنية

٤ — حيث إن الامة قد تولت السيادة بنفسها بموجب قانون التشكيلات الاساسية فالسلطة التي في الآستانة صارت الى العدم وانتقلت الى التاريخ

٥ — ليس في الاستانة حكومة مشروعة بل إن الاستانة وما حولها عائد للجمعية الوطنية الكبرى ، ولهذا يجب تعيين الموظفين لها من قبل حكومة الجمعية الوطنية

٦ — الحكومة التركية تنقذ مقام الخلافة الذي هو حقها المشروع من أيدي الاجانب الذين وقعت الخلافة أسيرة في أيديهم . »

﴿ قرار الجمعية الوطنية ﴾

وفي جلسة أول نوفمبر نشرت الجمعية الوطنية منشوراً وقراراً باتفاق الآراء محصورا في مادتين هذه ترجمتهما :

١ — ان الشعب التركي قد فوض للجمعية الوطنية الكبرى ، التي تمثله تمثيلا حقيقياً جميع حقوق سيادته وحاكميته بمقتضى قانون التشكيلات الاساسية بحيث تجتمع تلك السيادة والحاكمية في الشخصية المعنوية للجمعية اجتماعا لا يقبل تركا ولا تجزئة ولا انتقالا الى غيرها ، كما فوض اليها استعمال تلك السيادة وعدم الاعتراف بأي قوة أو هيئة لا تستند على الادارة الوطنية. فلهذا لا يعترف بشكل أي حكومة في داخل حدود الميثاق الوطني الا حكومة الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا . من أجل ذلك يعتبر الشعب التركي شكل الحكومة التي في الا ستانة والمستندة على السيادة الشخصية منتقلة الى التاريخ انتقالا أبديا ابتداء من يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠

٢ — الخلافة في آل عثمان بحيث تنتخب الجمعية الوطنية الكبرى لها من آل ذلك البيت أرشدهم وأصلحهم علماً وأخلاقاً . والدولة التركية سناد مقام الخلافة
١ نوفمبر سنة ١٩٢٢

وهذا نص التقرير

﴿ تقرير الدكتور رضا نور الموقع من ٦٨ نائباً ﴾

« ان الدولة والامة العثمانية قد نزلت بها أعظم المصائب من جهل السراي والباب العالي واسرافهما منذ قرون وقد كانت نتيجة ذلك أن تدهورت البلاد في مهاوي الانقراض . لكن الشعب التركي المؤسس للامبراطورية العثمانية والمالك الحقيقي للبلاد هب دفعة واحدة في الاناضول ووقف في وجه أعدائه الخارجين كما جاهد السراي والباب العالي اللذين اشتركا مع الاعداء في معاداته وأسس الجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة كما الف جيوشها وحارب أعداءه الخارجين والسراي والباب العالي ، في أحرج الظروف حتى وصل الى يوم النجاة . أسس الشعب التركي قانون التشكيلات الاساسية اذ رأى خيانة السراي والباب العالي وأخذ السيادة من السلطان لنفسه بالمادة الاولى من ذلك القانون كما أعطى الامة جميع القوات التنفيذية والتشريعية بالمادة الثانية منه وجمع كل الحقوق الملوكية في نفسه من اعلان حرب وعقد صلح وغير ذلك . بالمادة السابعة منه . فبناء عليه قد انهدمت الامبراطورية العثمانية القديمة منذ ذلك الحين وتأسست مكانها دولة تركية وطنية ، كما زال السلطان منذ ذلك اليوم وتولى مكانه الشعب ، فليس للهيئة الموجودة في الآستانة سناد شرعي غير أجنبي يمكنها أن تستند اليه بل هي ظل زائل

أسست الامة حكومة شعبيـة تحمي حقوق الشعب والفلاح وتتكفل بسعادته مكان الحكومة الشخصية المؤسسة على تحكم جماعـة النزق والترف . فلهـذا نحار أشد حيرة اذ نرى في الآستانة أولئك الذين شاركوا العـدو في معاداته للشعب التركي لا ينفكون يتحدثون بحقوق الخلافة والسلطنة وحقوق البيت الملكي ، بل انه يندر في التاريخ وجود وثيقة كبرقيـة توفيق باشا من جهة غرابتها ومخالفتها للواقع وعليه فاننا نطلب اتخاذ القرارات الآتية :

١ — قد انقرضت الامبراطورية العثمانية مع مبدإ الاوتوقراطية

٢ — تأسست حكومة فتية قوية وطنية باسم الدولة التركية مبنية على قواعد الحكومة الشعبية

الدفاع عن بيضتها، واعلاء كلمتها. فاذا ما استند الخليفة الى حراب الترك يصبح ذا تأثير معنوي في العالمين الاسلامي والمدني »

المحرر — هل صدر قرار بفصل وكالة الشرعية (المشيخة الاسلامية) عن الوزارة على أن تكون مرتبطة بمقام الخلافة أم لا؟ وهل ينتظر حدوث شيء مثل هذا؟

الدكتور — لم يصدر شيء حتى الآن وقد ترك البحث في هذه الفروع موقتاً على أن يعاد اليها في فرصة ثانية فيفصل في أمرها

لقد أحدثنا انقلابا تاما الآن فهذا الانقلاب الذي هو انقلاب الانقلابات من أعظم الانقلابات التي عرفها التاريخ فجاء عصريا تاما ولم يبق لنا وقت نعالج فيه المسائل الثانوية

المحرر — الا ترون أنه كان الافضل تأجيل اصدار هذا القرار ريثما يعقد الصلح؟

الدكتور — لقد وقع الانقلاب في الزمن الملائم، ولا يغرب عن البال أن هذا الامر داخلي بحت لا علاقة له بالصلح الخارجي

ويلوح لي أن أهل الآستانة لم يدركوا تماما مزايا هذا الفصل ولكنهم سيعلمون في المستقبل القريب أن فيه سعادة الاسلام وحياة تركيا

« من الحقائق الثابتة أن الامة التركية لا تعيش داخل ادارة امتزج فيها الدين بالدنيا(١) وليعلم أهل الاستانة أن الامة التركية ولاسيما قرويي الاناضول منها لا يخضعون لسلطنة الاشخاص فقد سئموا ذلك وملوه (٢)

«اسمعوا خفقان قلب الاناضول وانصتوا الى روحه التي تقول: ان الانسان ليس متاعا تجاريا يقايض عليه وما هو بمملوك فيضحى لنيل الفخار وارضاء الشهوات والمطامع. كنا نظن أن أهل الاناضول على شيء من الجهل والغباوة ولكننا لما اضطررنا الى التغلغل في احشاء الاناضول والتنقل في ربوعه والاختلاط بأهله عن كثب أدركنا اننا كنا على خطأ وأن الاناضوليين يفكرون أحسن منا وينظرون الى المسألة من أصلها

وبعد فانني أرجو أن اسألكم بوجدانكم وعلمكم لماذا لا توافقون على الفصل

(١) هذا تصريح آخر بأن الحكومة غير دينية وهذا أخص من جعلها غير مرؤوسة لخليفة ديني فحكومة الافغان دينية ورئيسها ليس خليفة الاسلام الشرعي

(٢) لا نثق بنقل الدكتور عن فلاحي الاناضول فان اعتقاده ليس كاعتقادهم قطعاً

كلمة الدكتور رضا نور بك في الخلافة والسلطنة (*)

لما وصل الى الاستانة الدكتور رضا نور بك وزير الصحة والتعاون الاجتماعي في انقرة وأحد مندوبي الترك لمؤتمر لوزان في طريقه الى أوربا اجتمع به أحد الصحافيين وسأله عن رأيه في الانقلاب الاخير وعن نتائجه فأجابه الدكتور بما نعرّبه هنا وفيه القول الفصل لان الدكتور من زعماء هذه الحركة وهو الذي قدم بالاشتراك مع حسين عوني بك مبعوث أرضروم تقريراً الى المجلس الكبير بفصل الخلافة عن السلطنة فجرت المناقشة في مضمونه ووافق عليه المجلس

قال الدكتور :

« هذا هو التاريخ ماثل أمامنا يحدثنا أنه كان في العصر العباسي خلفاء ما تدخلوا في الشؤون الزمنية مطلقاً ، ولا اكتمك أن الدول التي يجمع خلفاؤها بين السلطتين الدينية والمدنية في أشخاصهم تصير دائماً الى الفناء والانقراض (١) اذا فكرت في هذا الامر ضمن دائرة العلم والاصول الادارية يظهر لك أن القرار الذي أصدرناه بفصل الخلافة عن السلطنة منطبق على أحدث الاصول (٢) وسيقابل العالم المتمدن والعالم الاسلامي كله عملنا بالارتياح وستظل الامة والدولة التركية حامية لمقام الخلافة المعلى وتتولى جيوش تركيا وحرابها الدفاع عنه

« ولا يخفى ان الخلافة تكون دائماً في الدول والامم القوية القادرة على

---

*) المقطم في ٢ ربيع الآخر

(١) أكثر متفرنجي الترك على هذا الرأي وهم مخطئون في جعل الجمع بين السلطتين سبب الفناء فان الدول التركية التي نوه بها مصطفى كمال باشا وقال انها أبت انتحال الخلافة وأمثالها من الدول التي لم تكن جامعة بين السلطتين قد انقرضت أيضاً وهي كثيرة وقد اشرنا الى اسباب ذلك في موضع آخر وهذه حكومة اليمن جامعة بين السلطتين منذ أكثر من الف سنة ونيف وقد حاولت الدولة العثمانية القضاء عليها منذ أربع قرون فعجزت ولا تزال باقية وبيت الامامة فيها أقدم بيت ذي حكومة في الارض

(٢) نعود فنقول إن فصل الخلافة عن السلطنة يخرجها عن معناها الشرعي الى معنى أحدث الاصول المخالفة لاصول الاسلام القديمة اي يخرجها عن كونها الخلافة الاسلامية ويجعلها كخلافة مشايخ الطريق وهي حينئذ لا تحتاج الى حراب ولا مدافع

سعادة المسلمين ولانه موافق لاحكام الشرع الشريف

المحرر — هل تفكرون في نشر بلاغ على العالم الاسلامي بما تم ؟

الدكتور — لا أدري ، ويجب أن تعلموا أن المسلمين كلهم متحدون معنا فكراً وقد ثبت ذلك في مواقف كثيرة ، ولما قمت برحلتي الاخيرة في روسيا كان مسلموها يقولون لي « إن الاناضول صار كعبة المسلمين »

المحرر هل حددتم اعمال الخليفة ووظائفه ؟

الدكتور — لم يتم شيء من ذلك . ومن الممكن أن الخليفة سيقوم بالاشتراك مع وكيل الشرعية (شيخ الاسلام) بادارة الامور الدينية ، على ان عن ذلك فان للخليفة في العالم أعمالا كثيرة أخرى

المحرر — هل أبلغتم الخليفة الحالي شيئا مما تم ؟

الدكتور — لا اعرف والذي استطيع قوله هو انه اذا لم يسأل مجلس انقره عما تم بشأنه فلا يبلغه المجلس شيئا الآن اه

﴿ المنار ﴾ لاشك في ان الدكتور رضا نور بك صاحب هذه التصريحات من أركان الجمعية الوطنية لحكومة أنقرة وان قرارها التاريخي كان بترجيح رأيه ورأي من سبق فأقنعهم به ، ولكن حكمه على العالم الاسلامي عامة وعلى مسلمي الاناضول خاصة هو كأقواله في الشرع الاسلامي ليس مبنياً على شيء من العلم الصحيح . ان العالم الاسلامي يعطف على حكومة أنقرة في شيء واحد وهو مقاومتها لسلطة الاجانب المعتدين عليها وعلى غيرها من الشعوب الاسلامية

وأما مسألة الخلافة وما قرروه بشأنها فن المسلمين المصرح بالانكار عليه ، والساكت المنتظر انجلاء الغمة وما يكون بعد الصلح ، والمهنيء للخليفة الجديد المبايع له على أنه خليفة المسلمين وحاكمهم وصاحب السلطان عليهم وان سلب حكومة أنقرة لسلطته باطل فهو غير نافذ شرعاً ، ولم يشذ عن هذه الفرق الا أفراد من المتفرنجين الذين يودون الانسلال من الحكومة الدينية ومن كل ما هو من الدين ، ولا قيمة لهم بين المسلمين (ولتعلمن نبأه بعد حين)

هذا واننا كنا قد رأينا برقية لشركة روتر فيما كان من الخلاف والمعارضة لتقرير هذا الدكتور في الجمعية الوطنية ولا سيما مسألة الخلافة فلم نحفل بها ،

بين الخلافة والسلطنة ؟ فاننا لو رحنا نقلب صحف التاريخ العثماني لوجدنا أنه كان بين السلاطين من كانت له لحية مزخرفة يطلقها ثم يحاول السير بين صفوف الامة واجراء الحكم باسم الخلافة (١)

المحرر — متى يكون انتخاب الخليفة ؟

الدكتور — لا أعلم متى يكون ذلك ومن المقرر أنه سيختار الارشد والاصلح من أبناء عثمان

المحرر — لا يخفى عليكم أن بين المسلمين دولا وجماعات أولي قوة وبأس فاذا قامت احدى هذه الدول غداً وقالت إنها ستختار الخليفة فماذا نقول لها؟

الدكتور — يصعب جداً على هاتيك الجماعات الاسلامية انتزاع الخلافة من أيدينا لان الخلافة قائمة على القوة، ولان فصلنا بين الخلافة والسلطنة موافق أيضاً لاحكام الشرع الشريف (٢) وزد على ذلك اننا لو نظرنا فيما له علاقة بالتاريخ الاسلامي من شؤون الخلافة نجد أنه من الضروري لبقاء الخلافة في آل عثمان نيل موافقة العالم الاسلامي والهنود وسواهم من الامم الاسلامية الاخرى على اتفاق في الرأي بهذا الامر (٣)

ولما كانت الخلافة قائمة على القوة وليس من المستطاع بقاء الخلافات الضعيفة فستظل الخلافة بأيدينا أبديا لاننا نبذل دماءنا في سبيلها منذ عصور ، والترك هم الذين أوصلوها الى الهند والصين وقاتلوا الامم الاخرى دونها (؟؟)

المحرر — من هو الارشد والاصلح بين أبناء عثمان ؟

الدكتور — يوجد على كل حال بينهم رجل يصلح للقيام بهذا الامر

المحرر — ماذا سيكون لقراركم من التأثير في العالم الاسلامي ؟

الدكتور — لا أظن انه سيكون له اثر سيء فان غايتنا كما قلت آنفا هي

---

(١) هذا عبث بمنصب الخلافة سببه الجهل بها وبالاسلام الذي شرعها، وذلك السلطان المدعي لها دجال مبطل، وأنصاره أضل منه وأجهل ، فهل يصح أن يحكم على ضرر الخلافة وفسادها بفساد أمثال اولئك السلاطين المدعين لها بالباطل ؟

(٢) كلا انه مخالف للشرع وان أصل الشرع ان تكون القوة للحق لا الحق للقوة وكل ما خالف ذلك فغير شرعي

(٣) فستبصر ويبصرون

ولكن المعارضة أخذت بالاشتداد وكانت تتألف من حزبين قويين أحدهما حزب الاتحاد والترقي وعدد أعضائه خمسة وأربعون والآخر حزب آخر تألف لهذه الغاية من أنصار قره واصف بك المشهور وعدد أعضائه خمسه وتسعون . أما الاتحاديون فعارضوه لانهم وجدوا هذا الاقتراح فرصة سانحة للايقاع بحزب الحكومة والحلول محله وأما أنصار (قره واصف بك) فكانت معارضتهم مبنية على أسباب دينية وسياسية لامحل لايرادها هنا. فلما أعيا حزب الحكومة الامر ورأى أن المعارضين يكثر عددهم وينسحبون كلما طرح الاقتراح للتصويت تصرف كما تقول النشرتان المذكورتان آنفاً تصرف حزب الاتحاد والترقي في مجلس المبعوثان قبل الحرب ، وذلك بأن طرح الاقتراح للتصويت وطلب أن يبدي الموافقون آراءهم برفع الايدي فرفع الموافقون أيديهم وقام ضجيج هائل في المجلس الى اذ أعلن الرئيس أن الاكثرية قد حصلت وأعلن انفضاض الجلسة

ولما عرف هذا الامر استقال عبد الله عزمي بك وزير الشؤون الدينية ولكن صدر اليه الامر بأن يبقى في منصبه ريثما يتعين خلف له (مطالع)

﴿ المنار ﴾

هذا التفصيل مؤيد لما ورد في بعض الانباء الخاصة من أن الاكثرين في الجمعية العمومية كانوا معارضين للدكتور رضا نور زعيم الغلاة في هذه الفكرة التي يعتقدون أن وجوده في موسكو هو الذي قوى عزيمته عليها، ولولا أن الرئيس مصطفى كمال باشا أيده أخيراً لرفض اقتراحه نهائياً. وبهذا ظهر لنا سر ادعاء الرئيس في خطبته أن بيعة أبي بكر رضي الله عنه حصلت بتأثير عمر الشخصي لا برأي الامة. وقد بينا غلطه — وإن شئت قلت مغالطته في هذا — في تعليقنا على الخطبة ولكن لم يظهر لنا غرضه من هذه المغالطة الا بعد وقوفنا على هذا الخبر.

ونختم هذا الموضوع هنا بأن حكومة أنقره مؤيدة الآن بأعظم قوة عسكرية ملكتها طاقة البلاد ، لها في عنقها منة الانقاذ ، فهي في حالة غير عادية، ولا يظهر شكل حكومة الشعب فيها كما هي الا بعد إلقاء السلاح وعود الجند الى أعماله، وانتخاب أعضاء الجمعية الوطنية انتخاباً سلمياً اختيارياً، والا بعد التروي والتشاور في مسألة الخلافة ، ولاسيما مشاورة علماء الاقطار الاسلامية غير التركية فيها . وينبغي أن يراعى في هذا التشاور من يصلح له والله الموفق .

ولكننا رأينا اليوم (٢٩ ربيع الآخر) قبل طبع هذه الكراسة من المنار تفصيلا لما كانت اثبتته تلك البرقية نشرته جريدة الاهرام فرجحنا نشره اتماما للوثائق التاريخية وهو

انفصال السلطنة عن الخلافة

كيف وضعه مجلس أنقرة الوطني

حضرة الفاضل صاحب جريدة الاهرام

نشرتم في جريدتكم مقالات مختلفة لانصار فصل السلطنة عن الخلافة ولمعارضيها فلا شأن لي في الزيادة على ما قيل لان فيه كفاية للمسلمين ولكنني أريد أن أذكر في هذه الرسالة بعض ما اطلعت عليه عن الكيفية التي وضع بها القرار الذي قضى بفصل الخلافة عن السلطنة مستقيا معلوماتي عن نشرتين نشر الاولى منهما لطفي فكري بك أحد المندوبين في المجلس الوطني الكبير والمحامي الصحافي المعروف. ونشر الاخرى العالم المشهور الشيخ بشير في (نيكده) وهذه خلاصة ما ورد فيهما أعرضه على طلاب الفائدة لمقارنته بما يعارضه واستخراج حقيقة الواقع

وضعت الفتوى بفصل السلطنة عن الخلافة بناء على اقتراح قدمه الدكتور رضا نور بك — أحد مندوبي الترك في لوزان الآن — في ٣٠ اكتوبر الماضي الى المجلس الوطني الكبير. ووقع عليه ستة وسبعون من زملائه فجرى فيه بعض التعديل وأحيل الى لجنة الامور الشرعية في أول نوفمبر الماضي وهذا المجلس عقد جلسة دامت ساعتين وأسفرت عن وضع قرار معارض له من جميع الوجوه

على أنه عند ما طرح الاقتراح على المجلس لقي معارضة شديدة وكلما حاول أنصاره عرضه للتصويت لاقراره بالاكثرية كان المعارضون ينسحبون من الجلسة فتعطل لعدم وجود العدد القانوني لابداء الآراء . ولم يكن عدد الموجودين في المجلس يزيد على ٢٢ مبعوثا فأرسل الغازي مصطفى كمال باشا يستدعي أنصاره المتغيبين لاسباب مختلفة

تقضي على الشرق كله بها . ولولا الاختلاف بينهم على تقسيم بلاده لما بقي لهذا الذماء من الاستقلال الضعيف المهدد فيه عين ولا أثر . والفضل الا كبر للنهضة التركية الجديدة ان قادتها قاؤا ما أوجرتهم سياسية أوربة من سم اليأس ، وكشفوا ماوضعته على أبصارهم من غشاوة الوهم ، واحتقروا الموت في سبيل حريتهم . فهم قد أجمعوا أمرهم على سد منافذ السيطرة الاوربية السابقة عليهم ، وشرها ماتمتعوا به من الامتيازات ، وما استغلوه من حماية المسيحيين وحقوق الاقليات ، ودسائس المدارس والجمعيات . وتصرف المصارف والشركات .

ولكن الترك قد عرفوا من أوربة مالم يعرف عرب الحجاز وسورية والعراق ، الذين يبيعهم زعماؤهم للاجانب ويمنون عليهم معهم بالتحرير من الاسترقاق ، زاعمين ان المشتري الجديد ، خير من الشريك التليد . وانهم سيقنعونه بالكلام ، على جعلهم شركاء له في الاحكام ، وجعل الرق وسيلة للحرية ، والانتداب ذريعة للاستقلال التام . عرف الترك ان هذه الدول لاتعرف حقاً إلا للحسام ، ولا مستحقا للحرية الا المحتقر للموت الذؤام . وسيرى اتحاد دول الحلفاء الكبرى ، ودول البلقان الاخرى ، انهم لا يرهبون اتحادهم ، ولا يرجعهم التهديد والوعيد عن اصرارهم على تحرير بلادهم . فاما أن يضطر الاتحادان العظيمان الى احترام ميثاقهم ، والاعتراف لهم بمساواة أعظم دولهم ، والا أعادوها عليهم (أي الحرب) جذعة ، وذلك ماتأباه أممهم ، فانها ملت القتال وبذل الاموال ، وسيكون الفوز للترك أعداء الحلفاء ، والخسار والعار على من محضوهم الود والولاء

يعلم الحلفاء علم اليقين أن الترك في أشد الحاجة بل الاضطرار الى الصلح لان شعوب أوربة حاربت أربع سنين فأنهكتهم الحرب وأفنت ثرواتهم العظيمة ، والترك حاربوا عشر سنين على قلتهم وفقرهم فهم أحوج الى الراحة وسلامة من بقي من رجالهم ، والانصراف الى عمارة ماخربت الحرب من بلادهم

ويعلم الترك علم اليقين ان شعوب اوربة كلها سئمت الحرب وخسارتها فلا يسمح شعب منهم لدولته بتجديدها لاجل الاجهاز على الترك . بل لا ترغب دولة من دولهم بالقضاء الابدي على دولة الترك الا انكلترة ، وليس من مصلحتها الانفراد بحربهم ، لمكانتهم من العالم الاسلامي المضطرب ومن الروسية البولشفية ، وما يستطيعان من التأثير في الشرق الادنى كله حيث حياة انكلترة وعظمتها .
ولكنها لوعلمت ان الترك غير مستعدين للحرب ، لاستطاعت أن تحرمهم من ثمرة

مؤتمر لوزان للصلح في الشرق

انعقد مؤتمر الصلح في لوزان وبرز في ميدانه قائده العام لورد كرزون وزير الخارجية البريطاني يقاتل الوفد التركي بسيفين سيف الاتحاد الاوربي في يمينه وسيف الاتحاد البلقاني في شماله ، ومن ورائهما العالم المسيحي في أوربة وأميريكة يظاهره على تأليف اوطان خاصة للاقليات المسيحية في الوطن التركي الصغير — الارمن والروم والاشوريون والكلدانيون كلهم مسيحيون يجب أن يكون لهم أوطان في قلب البلاد الاسلامية ، ولاسيما الدولة التركية ، يمتازون فيها بلغاتهم وتقاليدهم الدينية والمدنية ، التي كانوا بها حربا للدولة العثمانية ، وسببا من أسباب سقوطها — كما ظاهر دولته هذا العالم كله على تأسيس وطن لليهود في قلب البلاد العربية (فلسطين أوسورية الجنوبية)

إذا قال الترك اننا نريد أن نعيش أحراراً مستقلين في عقر دارنا ، وهو جزء صغير من سلطنتنا (امبراطوريتنا) الواسعة التي سلبتموها منا ، فالعدل والحق أن نكون فيها مثلكم في بلادكم ، وديننا وقوانيننا توجب علينا أن يكون للمخالفين لنا في الدين من المشمولين بسيادتنا مثل مالنا من الحقوق وعليهم ما علينا ، وماضينا يشهد لنا بتسامحنا . قالت الدول الاوربية القوية : كلا إنكم قوم متعصبون تريدون ظلم المسيحيين ، فاذا قال الترك لهم اذا كان ما تتهموننا به من الظلم قبيحاً ومحرماً فلماذا تظلمون المسلمين ؟ وقد بحت أصواتهم وحفيت أقدامهم وأقلامهم من تكرار التظلم والاستغاثة ، ولا منصف ولا مغيث ، قالوا ان المسلمين متعصبون يستغيثون من العدل والرحمة المسيحية التي نعاملهم بها فلا يقبلونها ؛ وأما المسيحيون عندكم فهم يشكون من ظلم حقيقي اسلامي

مثال ذلك — وهو قليل من كثير — اننا رحمنا عرب فلسطين المسلمين فأعطينا وطنهم لليهود وجعلنا حكومته يهودية ، في ظل عدالة الدولة البريطانية ، لاجل أن يعمروا هذا الوطن ويرقوا فيه الحضارة وينموا الثروة ، فيعيش العرب في ظلنا وظلهم ناعمين متمتعين بالحضارة واللذات . فحملهم التعصب والجهل على الشكوى من هذه الرحمة ، بدلا من الشكر على هذه النعمة . وهكذا نريد أن نرحم الارمن في الاناضول والاشوريين في العراق ! ! !

قد حذقت دول الاستعمار الاوربية هذه السياسة ومردت عليها ، وكادت

البهائية أنصار الدولة البريطانية السائدة ، ويمنعها من مراقبة أعمالهم ومطبوعاتهم الضارة كما نراه في مصر وستحدث هذه المادة من الفتن والفساد مالا يعلم عاقبته الا الله ، لأن العراق لم يألف احتمال مثل هذا كمصر ، ولولا سوء نية الانكليز في هذه المادة لا كتفوا بحرية الاديان حتى في الدعوة اليها بشرط أن لا يطعن واحد في دين الآخر ولا يشوه نصوصه . فان قيل انه قد اشترط فيها « أن لا تخل الاعمال بالنظام العام وحسن ادارة الحكومة » قلنا هذا الشرط سيكون حجة على الحكومة لا لها اذا فرضنا أنها تجرأت على التصدي لمنع شيء مما أشرنا اليه

والثالثة عشرة في التزام ملك العراق تنفيذ ما تقرره جمعية الامم لمنع الامراض

والرابعة عشرة في سن قانون للآثار القديمة

والخامسة عشرة في عقد اتفاق مالي بين الطرفين ينص فيه على ما يعطي ملك الانكليز لحكومة العراق من المرافق العامة وعلى مساعدة حكومته لهم بالمال حسب الحاجة وعلى تصفية ديون العراق . وهذا الاتفاق سيكون مثار آفات وغوائل كبيرة ان لم تقم به حكومة عليمة بدقائق الفنون المالية والمكايد السياسية ، ومسلحة بالشجاعة الأدبية ، فالانكليز استباحوا سلب السودان من مصر بحجة انهم ساعدوها على فتحه ، بعد أن أجبروها على تقرير تركه ، ثم على فتحه برجالها وما لها وانما ساعدوها بمبلغ حقير لا يوازي ما استفاده بعض رجالهم منها

السادسة عشرة في تعهد ملك الانكليز بقدر ما تسمح له التعهدات الدولية (المجهولة لدى العراق) بان لا يضع عقبة في سبيل ارتباط العراق مع الدول العربية المجاورة بمقاصد جمركية أو غيرها . وفحواها أن حكومة العراق غير مستقلة ولا حرة في مثل هذا الارتباط بنفسها

والسابعة عشرة في تحكيم محكمة العدل بجمعية الامم في الخلاف الذي يمكن أن يقع بين الطرفين في هذه المعاهدة على أن يكون الاعتماد على النص الانكليزي (؟؟)

والثامنة عشرة وهي الاخيرة في كون مدة هذه المعاهدة عشرين سنة ، وليس فيها نص في شكل حكومة العراق بعدها اذا قررت وجوب الغائها ، تكون حرة مستقلة بعد تكوين الانكليز اياها كما يشاؤن ، وتقييدها بالقيود المالية وغيرها كما يهوون ؟ أم يقررون ما شاءوا في امرها ، بدعوى انهم هم الذين أوجدوها ، وما لهم من المصالح فيها ، والديون عليها ، ؟ نعم هكذا يفعلون ، واذا لم يستقل العراق في فرصة ارتباك العالم الحاضرة ، فستكون كرتهم خاسرة ،؟

النصر ؛ وتراوغهم الى ان تخضعهم الحاجة والفقر . فلا مندوحة لهم اذاً عن التهديد بالحرب ، اذا تعذر ان ينالوا حريتهم المطلقة بالسلم .

فان قيل - بل قيل - كيف يحاربون في عدة ميادين ، للحلفاء والبلقانيين — فنقول ان فرنسة وايطالية لاتحاربان الترك ، وروسية تساعدهم على البلقانيين والانكليز ، وهم قادرون على اخذ العراق بفرقة واحدة من جيشهم ، لان اهلها لايحاربونهم لاجل الدولة البريطانية ، وهم يعلمون ان معاهدتها مع الملك فيصل خديعة استعمارية . ومن ادلتها انها لم تسمح لهم بجيش عربي عراقي ليظلوا عالة عليها . وقد خلقت لهم أقليات مسيحية جعلت لها جنداً خاصاً لاجل منع الوحدة الوطنية . فهل يسمح مجلس العموم الانكليزي للورد كرزون المتعصب عدو الاسلام بمئات الملايين من الذهب ومئات الالوف من الجند ، ليقاتل به الترك في الموصل ويحتفظ بالعراق ؟ المعقول لا ، وعلم الغيب لله تعالى

﴿ المعاهدة العراقية البريطانية — تابع ماقبله ﴾

والمادة التاسعة تسلب الحكومة العراقية حريتها القضائية بهذا النص « يتعهد جلالة ملك العراق بقبول اللائحة التي يشير بها جلالة ملك بريطانية ويكفل تنفيذها في أمور العدلية لتأمين مصالح الاجانب بسبب إلغاء الامتيازات » الخ وقد كافح المصريون أشد الكفاح في رفض ماهو أقل من هذا القيد مما عرض عليهم ويكافح الترك في لوزان الآن مثل ذلك فيما هو دونه أيضا ، فياحسرة على العراق

والمادة العاشرة في عقد اتفاقات منفردة لتأمين تنفيذ المعاهدات والاتفاقات أو التعهدات التي تعهد ملك الانكليز بتنفيذها في العراق !! ووراء هذا من الغوائل ماهو سالب لكل استقلال

والحادية عشرة في مساواة الرعايا البريطانيين في العراق لغيرهم من دول عصبة الامم والقصد فيها الى إرضائهم مع امتياز الدولة البريطانية بالسيادة الفعلية

والثانية عشرة نص في ان « لاتتخذ وسيلة ما لمنع أعمال التبشير أو التدخل فيها » وهذا حجر شديد على حكومة العراق يحول دون محافظتها على كرامة دينها من تكذيب القرآن الحكيم وخاتم النبيين (ص) والطعن فيهما والتنفير عن الاسلام من قبل مبشري النصارى وتأويل النصوص بالباطل من

الذي كان يدعي أنه من المسلمين المصلحين ، فلا غرابة اذا انخدع غيرهم لهم ، وان علموا كثيرا من أصول دينهم . اذا كانوا من غير المسلمين العارفين بحقيقة الاسلام ، وأما من يعرف حقيقة التوحيد فيستحيل أن يقبل عقيدة وثنية ، ومن يعرف ما كرم الله به البشر ورفع من شأن حريتهم بالاسلام ، فلا يعقل ان يرضى لنفسه بأن يكون عبدا لبشر مثله كالزعيم الملقب بالبهاء .

وقد بلغني في هذه الايام أن منهم احمد افندي صفوت صاحب الخطبة الذي اقترح بها على المسلمين هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والقياس ، والاخذ بمقاصد القرآن دون دلالة لفظه في الاحكام ، وهي التي رددت عليها من قبل في المنار ، فظهر لي الآن سر ما فيها من النفاق والمراء ، غير المعهود من صحيح العقيدة ولا فاسدها من رجال القضاء ، وسر اعتمادالانكليز على صاحبها وندبهم له لاصلاح القضاء في فلسطين ، وانه من كيدهم الخفي لهذا الدين ، والبهائية صنائعهم في كل مكان ، ولا سيما العراق وايران ، وقد كان لروحي افندي من بطانة الوكالة البريطانية في جده دسائس كثيرة في الحجاز

ومنهم م . خ الذي كتب مقالة جهلية في الخلافة ووصف نفسه في امضائها بأنه من علماء الاسلام وأنه وكيل جمعية حفظ الخلافة . فتصدى كثير من العلماء للرد عليه ، وأنكر بعضهم كونه عالما أزهريا مصريا ، والحق أنه مصري أزهري ، ولكنه مضطرب غير عالم ولا مسلم ، بل هو بهائي ، وحسبنا في الرد عليه أنه بهائي ،

كانت الدولة العثمانية مشترطه على البابية - البهائية والازلية — جميعا أن لا يدعوا الى دينهم في بلادها . والا أخرجتهم منها . فلم يكونوا يبثون دعوتهم الا في مصر ، وبطريق المناظرة والمغالطة دون الجهر . وقد أصابت لجنة الدستور بعدم اصغائها الى طلبهم الاعتراف بدينهم كما طلبوا ، فان نص في الدستور المصري على حرية كل دين واباحة كل دعوة فسترى مصر فتنا عظيمة من البهائية لانهم يدعون العامة الى دين جديد باسم الاسلام ممن يلبسون لباس علماء المسلمين ويدعون الاسلام . ولو صرحوا بدينهم ودعوا اليه ولم يحرفوا القرآن والسنة له لهان أمرهم . وسنعود الى الكلام في شأنهم ان شاء الله تعالى

﴿ خاتمة المجلد الثالث والعشرين ﴾

باسم الله وبحمده [illegible] نختتم هذا [illegible] من المنار كما افتتحناه بهما ، ونسأله تعالى أن [illegible] يجعل [illegible] كل أعمالنا [illegible] خالصة له وباسمه ، وان يوفقنا دائما الى التسبيح بحمده ،

واننا ننصح لاعضاء الجمعية التأسيسية المنتخبة ، بأن يطلعوا على جميع ما كتبه المصريون في قضيتهم الحاضرة ، أو المطبوع منه خاصة ، ليكونوا على بصيرة من هذه المعاهدة التي ستكون حجة القوي على الضعيف كما قال (بسمارك) في المعاهدات المنطبقة على القانون الدولي مع الدول العظمى ، فما القول في العراق الذي جعلوه تحت وصايتهم ، وأقرتهم دول عصبة لصوص الامم على ذلك لانها آلة في أيديهم ؟

﴿ البهائية بعد موت زعيمهم عباس افندي ﴾

مات في أثناء هذا العام زعيم البهائية عباس أفندي ابن بهاء الله إلههم ومشترعهم ، وكان يلقب نفسه ويلقبونه بعبد البهاء اعترافاً بألوهية والده ، وقد وقع الشقاق بينهم فيمن يخلفه فيهم ، فانه قد أوصى لرجل غير الذي أوصى له والده ، ولكل من الخليفتين حزب يتبعه ويؤيده ، ويخذل الآخر ويفنده ، وذلك صدع لوحدتهم ، وقد كان مثاراً للعجب أن يوصي العبد ، بما يخالف أمر الرب ، واذا ظهر السبب ، بطل العجب ،

هذا الدين الجديد ، طور عصري لضلال الباطنية القديم ، وكان عباس افندي أدهى مؤسسيه وناشريه ، حتى انه حظر الى اليوم اظهار كتابهم الذي يسمونه (الكتاب الاقدس) لانه اذا تناولته الايدي يتعذر نشر الدعوة في كل شعب وقطر بما يناسب أفكار أهله وعقائدهم ومشاربهم ، فان أهل الحضارة في هذا العصر ، يكثر فيهم المستقلون في الفكر ، فلا يسهل أن تنشر فيهم دعوة الى دين له أصل معروف : كتاب يدعون انه مقدس معصوم ، الا ويكون الحكم في هذه الدعوة لنصوص هذا الكتاب ، دون ما تزينه الدعاة من الدعاوي وتزوره من الاختلاب ، تستميل به المستعدين ، وتكتفي أمر المعارضين والمستعدين ، وقد كان عباس جذيلهم المحكك ، وعذيقهم المرجب ، وانما كان والده البهاء شخصاً يشغلون به الخيال ، وينزهونه عن القول والقيل والقال ، فلا يسمح للناس برؤيته ، ولا بمراجعته ومرادته ، لئلا تعرفه الحواس والعقول ، وتحكم له أو عليه بما يفعل ويقول ، وكان عباس يخبر عنه كل من اضطر الى ذكره له ، بما يرجو بفراسته أن يستحسنه ويقبله ، شأنه في الاخبار عن نحلتهم ، والحكاية عن مذهبهم أو طريقتهم وقد سبق لنا ذكر الشواهد على هذا

قد خدع كثير من عقلاء المسلمين وأذكيائهم بنفاقهم ودهاء عباس افندي

ويجعلنا من عبيد نعمته وشكره .

ومن فضله ونعمته أن أقدرنا على الاستمرار على اصدار المنار ، على فق
الاعوان والانصار ، ومطل أكثر المشتركين في جميع الاقطار ، بعد ان كا
جل شكوانا من أبناء هذه الديار ، ولا سيما الاغنياء الكبار ، فليس سبب
ذلك القلة ، بل مايعرفه المتفكرون في أنفسهم ، وما قصر فيه المسلمون عن
شأو غيرهم ، فان المنار تخصص باصلاح شؤونهم في دينهم ودنياهم ، فشأنهم
معه ماقال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في كلمته المأثورة .

ومما لدينا من المواد للمجلد الرابع والعشرين فتاوى ورسائل مهمة لشيخ الاسلام
ابن تيمية لم تنشر بعد وبقايا ماننشر مسلسلا ككتاب (من الخرافات) ورحلة
أوربة وتتمة كتاب الخلافة الاسلامية للزعيم الهندي الكبير الشيخ أبو الكلام
أحمد، وتتمة ما بدأنا به من المقال في هذه المسألة التي صارت اليوم أم المسائل
الاسلامية وأهمها، وأحوجها الى تعاون أهل العلم والرأي في بيان حقيقتها
ووسائل إقامتها، ومما يناسب هذا تتمة مقالات (مدنية القوانين) فان الخلافة
عدوة المتفرنجين ولدينا ترجمة خطاب ذلك الزعيم الهندى الذي قدمه الى المحكمة
الانكليزية عند ماأرادت محاكمته على بعض خطبه المحرضة على حكومة الهند،
وهو خطاب غريب فى بابه ، لا يتجرأ على مثله الا من كان مثل موقظ الشرق
وواضع أساس الاصلاح الاسلامي، المرحوم السيد جمال الدين الافغاني، وسيرى
قراؤه ان خطب زعيم مصر (سعد باشا زغلول) تعد في غاية اللين والاحتراس
بالنسبة الى خطب زعيم الهند وله مقدمة ترجمه تلميذنا الشيخ عبدالرزاق
المليحي في وصف الثورة الهندية السلمية، وخلاصة أعمالها ، لاتستغني بلادنا
المصرية وأمثالها عن الاحاطة بها ولدينا رسالة تاريخية غريبة في بابها أيضا عنوانها
(انتداب العرب في سويسرة في القرون الوسطى) للامير شكيب ارسلان
الشهير، ووعدنا بترجمة ماهو أهم منها عند جميع المسلمين

وسنعود ان شاء الله تعالى الى تقريظ المطبوعات الحديثة وكنا كتبنا في
ذلك شيئاً للاجزاء الاخيرة فاضطرتنا الى ارجائه مباحث الخلافة

فعسى أن نجد من القراء مايشد أزرنا ويكون عونا لنا على جهادنا ، من
أداء الحق، والتواصي بالحق وبالصبر، ولله الحمد من قبل ومن بعد. وصلى الله على
خاتم الرسل وهادي الخلق، وآله وصحبه وسلم